إماطة اللثام

عمّا تمسُّ الحاجةُ لمعرفته من عقائد وقوائع وأحكام

إعداد

د. عماد الحسيني
الرابطة العالمية لخريجي الأزهر

د. محمد السوقي علي
الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف

تقديم

فضيلة الشيخ حسن عبد الوهاب البنا
رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية (فرع عابدين)
والمدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وعضو هيئة التوعية الإسلامية بالمدينة المنورة (سابقًا)

فضيلة الشيخ عادل السيد
مدير إدارة الدعوة والإعلام
بجماعة أنصار السنة المحمدية
بمصر - عابدين - القاهرة

بستان المعرفة
خطوات نحو التميز

دار ابن عباس

إِمَاطَةُ اللِّثَامِ

عَمَّا تَمَسُّ الحَاجَةُ لِمَعْرِفَتِهِ، مِنْ: عَقَائِدَ وَوَقَائِعَ وَأَحْكَامٍ

إعداد

د. عماد الحسيني
الرابطة العالمية لخريجي الأزهر

د. محمد الدسوقي علي
الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف

تقديم

فضيلة الشيخ حسن عبد الوهاب البنا
رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية (فرع عابدين)
والمدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وعضو هيئة التوعية الإسلامية بالمدينة المنورة (سابقًا)

فضيلة الشيخ عادل السيد
مدير إدارة الدعوة والإعلام
بجماعة أنصار السنة المحمدية
بمصر – عابدين – القاهرة

دار ابن عباس للنشر والتوزيع - القاهرة
الطبعة الأولى

إهداء

= إلى علماء وشيوخ وأساتذة وطلاب الأزهر ليضبطوا بُصْلة مسارهم على ما انتهجه النبي ﷺ وصحابته وتابعيهم بإحسان

= إلى كل من أسس وأقنعَ أو اقتنع بأكذوبة طاغوتية حكام المسلمين.. فمحى بأفكاره الخبيثة: ما أمر الله به ورسوله من طاعة أولي الأمر في غير معصية، وما أجمع عليه أئمة السلف من الدعاء لهم لا عليهم

= إلى من اخترع وآمن بمفردة (توحيد الحاكمية) حتى أشاع وأحيا على إثرها فكر الخوارج أصحاب مقولة (لا حكم إلا الله)، وليصل بهذا المصطلح، إلى:
تكفير من أراد لهم الله أزلًا أن يلوا أمور المسلمين دون ما ضوابط شرعية، والحكم على ديار الإسلام بأنها ديار كفر وجاهلية، وإهلاك من ثمّ الحرث والنسل، وتحقيق مآرب أعداء الإسلام

= إلى كل من سلك نهج الخوارج ورضي لنفسه أن يكون: ممن (يضرب بعضهم رقاب بعض)، وممن (يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية)، وأن يعيش كما قال عبد القاهر الجرجاني إمام البلاغة:

كبّــر على العلم يا خليلي ** ومل إلى الجهل ميل هائم
وعش حمارًا تعش سعيدًا ** فالسعد في طالــع البهائم

= إلى كل من ترك الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.. ليحقق ما ارتضاه أولئك من: منازلة العباد ومنازعة حكام البلاد

من كنوز الحكمة في: تصوير ما نحن فيه وفيما يجب فعله أو الحذر منه

= قال ﷺ : (سيأتِي على النّاسِ سنوات خَدّاعاتٌ يصَدَّقُ فيها الكاذبُ، وَيكَذّبُ فيها الصَّادِقُ، ويُؤْتمَنُ فيها الخائِن، ويُخَوّنُ فيها الأمين، وينطِقُ فيها الرُّوَيبِضَةُ، قِيل: يا رسول الله، وما الرّويبِضةُ؟؛ قال: الرّجلُ التّافهُ ينطقُ في أَمْرِ العامّة) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخَرِّجاه)، وقال ابن حجر: (إسناده جيّد)، وحسّنه الألباني والأرنئوط.

= وقال فيما رواه مسلم: (سيكون في آخر الزمان كذابون، يأتونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم)

= وقال فيما صح عنه: (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية .. الحديث)، وفي بعض رواياته: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)

=و قال عمر الفاروق ﷺ : (لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا هدى يركبه يحسبه ضلالة، فقد ثبتت الحجة وانقطع العذر)، وقال: (إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنة، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي، فضلوا وأضلوا)

= وقال علي بن أبي طالب ﷺ : (إياكم والاستنان بالرجال، فإن كنتم مستنين لا محالة فعليكم بالأموات)

= وقال حذيفة ﷺ : (خذوا طريق من قبلكم، فوالله لئن سبقتم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا وإن تركتموه يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا)، وقال: (الضلالة حق الضلالة: أن تعرف ما كنت تنكر وأن تنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في دين الله فإن دين الله واحد).

= وقال ابن عمر ﷺ : (لا أعلم شيئًا في الإسلام أفضل عندي، من: أن قلبي لم يخالطه شيء من هذه الأهواء المختلفة)

= وقال معاذ ﷺ : (إياكم والبدع والتبدع والتنطع، وعليكم بالأمر العتيق)

= وقال أبو الدرداء ﷺ : (صدق رسول الله؛ تركنا والله؛ على البيضاء ليلها ونهارها سواء)

= وعن ابن مسعود ﷺ قوله: (ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلًا، إن آمَن آمن وإن كفر كفر، فإن كنتم لابد مقلدين فبالميت، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة)، وقال: (من كان مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة)، وقال: (إنكم أصبحتم على الفطرة، وإنكم ستُحدثون ويُحدثُ لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدي الأول)، وقال: (لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، وعن أمنائهم وعلمائهم، فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا)، وقال: (من كان متأسيًا فليتأس بأصحاب رسول الله فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علومًا وأقلها تكلفًا وأقومها هديًا وأحسنها حالًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم)، وفي رواية مماثلة للحسن البصري: (فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فإنهم ورب الكعبة على الهدى المستقيم)

= وقال ابن عبّاس ﷺ : (عليك بالاستقامة، واتبع الأمر الأول ولا تبتدع)، وقال: (إن الله لم يجعل في هذه الأهواء شيئًا من الخير، وإنّما سمّي هوى: لأنه يهوي بصاحبه في النار)

= وقال عمرو بن سالم الخزاعي ﷺ : (من أمَرّ السنة على نفسه قولًا وفعلًا، نطق بالحكمة.. ومن أمَرّ الهوى على نفسه نطق بالبدعة، لأن الله تعالى يقول: (وإن تطيعوه تهتدوا.. النور/ ٥٤)

= وقال المهلب بن أبي صفرة: (الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال الناس عليها حتى سفكت الدماء واستبيحت الأموال والفروج، وعظُم الفساد في الأرض بذلك)

= وقال الحسن البصري: (إنما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السُبل وحادوا عن الطريق، فتركوا الآثار وقالوا في الدين رأيهم؛ فضلوا وأضلوا)

= وقال وهب بن منبه: (لقد أدركت صدر الإسلام، فوالله ما كانت الخوارج جماعة قط إلا فرقها الله على شر حالتها، وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضَرب الله عنقه، ولو مكن الله لهم لفسدت الأرض، وقُطِّعت السبل، ولعاد أمر الإسلام جاهلية، وإذًا لقام جماعة كل منهم يدعو لنفسه بالخلافة، مع كل واحد منهم عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضًا، ويشهد بعضهم على بعض بالكفر، حتى يصبح المؤمن خائفًا على نفسه، وعلى دينه ودمه وأهله وماله، لا يدري مع من يكون)

= وقال الأوزاعي: (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول)، وقال: (اصبر نفسك على السنة، وقِفْ حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفِك الصالح، فإنه يسعُك ما وسِعهم)

= وقال عنبسة بن سعيد قاضي الري: (ما ابتدع رجل بدعة، إلا غلَّ صدره على المسلمين، واختلجت منه الأمانة)

= وقال سفيان الثوري: (ديننا دين العجائز والصبيان).. كونه على الفطرة التي لم تلوث بأفكار وعقول البشر، وقال: (كل أهل الأهواء يرون السيف على أهل القبلة، وأما أهل السنة فإنهم لا يرون السيف على أحد منهم، وهم يرون الصلاة والجهاد مع الأئمة تامة قائمة، ولا يُكفِّرون أحدًا بذنب ولا يشهدون عليه بشرك)

= وقال مالك إمام دار الهجرة: (إن أقوامًا ابتغوُا العبادة وأضاعوا العِلم، فخرجوا على أمة محمد بأسيافهم، ولو ابتغوُا العِلم لحجزهم عن ذلك)

= وقال أبي سليمان الداراني: (ما حدّثتني نفسي بشيء إلا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة، فإن أتت بهما وإلا رددته في نحرها)

= وقال نعيم بن حماد: (إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك.. فإنها الجماعة حينئذ)

= وقال أحمد بن حنبل: (نشهد أن الخلافة في قريش ما بقي اثنان، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها، ولا يُخرج عليهم، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة.. والانقياد إلى من ولاه أمركم، لا تَنزع يدًا من طاعته، ولا تخرج عليهم بسيفك، ولا تَخرج على السلطان، وتسمع وتطيع، ولا تنكث بيعة، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مُخالف مفارق للجماعة.. والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب لزومها.. ولا تُعن على فتنة بيد ولا لسان، ولكن اكفف يدك ولسانك وهواك، والكف عن أهل القبلة، ولا نكفر أحدًا منهم بذنب).. ثم قال وهو يتناول فرق الضلالة: (وأما الخوارج: فمرقوا من الدين، وفارقوا الملة، وشردوا عن الإسلام، وشذوا عن الجماعة، فضلوا عن السبيل والهدى، وخرجوا على السلطان، وسلوا السيف على الأمة واستحلوا دماءهم وأموالهم، وعادَوا من خالفهم، وكذا من قال بقولهم وكان على مثل رأيهم، وثبت معهم في بيت ضلالتهم)

= وقال أبو المظفر السمعاني: (السبب في اتفاق أهل الحديث: أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثهم الافتراق والاختلاف)

= وقال الحافظ ابن كثير عن خوارج عصره: (لو قوي هؤلاء لأفسدوا الأرض كلها عراقًا وشامًا، ولم يتركوا طفلًا ولا طفلة، ولا رجلًا ولا امرأة، لأن الناس عندهم: قد فسدوا ولا يصلحهم إلا القتل جملة)

= وقال الشيخ أحمد شاكر: (القاتل السياسي يقتل مطمئن النفس، راضي القلب، يعتقد أنه يفعل خيرًا، فإنه يعتقد بما بُثَّ فيه من مغالطات أنه يفعل عملًا حلالًا جائزًا، إن لم يعتقد أنه يقوم بواجب إسلامي قصَّر فيه غيره.. فهذا: مرتد خارج عن الإسلام، يجب أن يعامل معاملة المرتدين، وأن تطبق عليه أحكامهم في الشرائع)

مقدمة فضيلة الشيخ الوالد / حسن عبد الوهاب البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.. آل عمران/ ١٠٢)، (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا.. النساء/ ١)، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا.. الأحزاب/ ٧٠، ٧١).

وبعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.. أما بعد:

فقد أسعدني الله باللقاء مع الأخ في الله الأستاذ الدكتور/ محمد الدسوقي علي، وقدم لي مؤلفه الذي هو بعنوان:

(إماطة اللثام عما تمس الحاجة لمعرفته من عقائد ووقائع وأحكام)

فتصفحته مطلعًا على مواضيعه وأحطت علمًا بأسماء المراجع التي رجع إليها الأخ المصنف .. وقد أعجبني في الكتاب دعوته للمسئولين في الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف بتبني منهج علماء السلف في جميع مسائل الاعتقاد، فهي السبيل الوحيد للنجاة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم أفلا تعقلون.. الأنبياء/ ١٠).. وهذه الدعوة لو وجدت آذانًا صاغية لخرَّجت لنا أجيالًا تحمي أصول الإسلام وتنافح أهل البدع، ليصبح سبيل الله مستقيمًا، ومِن أفضل هذه الكتب التي أشار إليها، هو: ما ألفه الإمام أبو الحسن الأشعري الذي تنتمي إليه مؤسسة الأزهر العريقة، أعني: كتاب (الإبانة عن أصول الديانة)، وهو آخر ما صنفه الإمام الأشعري رحمه الله.

وكتاب المؤلف: (إماطة اللثام) مليء بالمعلومات النافعة التي تناولها صاحب الكتاب وفق أهل السنة والجماعة.

هذا وكنت أود أن أكتب مقدمة ضافية وتقريظًا يليق بالكتاب وبما فيه من علم نافع، مؤيَّدٌ بالكتاب والسنة وفَقْهِ سلف الأمة، وأولهم الصحابة رضي الله عنهم، ثم من تبعهم بإحسان، ولكن أكتفي بهذه الإشارة فقط، لضيق الوقت.

والله من وراء القصد وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه حسن عبد الوهاب البنا
رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية (فرع عابدين)
والمدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وعضو هيئة التوعية الإسلامية بالمدينة المنورة (سابقًا)
عابدين في ٢٤ من ربيع الأول للعام ١٤٤٠ الموافق ٢/ ١٢/ ٢٠١٨

مقدمة فضيلة الشيخ عادل السيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى.. أما بعد:

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يَرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكًا عاضًّا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.. ثم سكت)([1]).

وهذا الحديث ينبغي أن نفهم التاريخ الإسلامي – ماضيه وحاضره ومستقبله – في ضوئه، فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يتكلم إلا بوحي من الله (إن هو إلا وحي يوحى) كما قال تعالى في سورة النجم.. وواضح من الحديث أن أنظمة الحكم التي تتوالى على الأمة الإسلامية حتى قيام الساعة قد ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتركنا نتخبط في اجتهادات بشرية في أمور من أخطر ما يكون، فهو الرسول الذي علم الأمة آداب الاستنجاء ودخول الخلاء، فهل سيترك أخطر الأمور التي تتعلق بها مصائر الأمم والشعوب – وما يترتب عليها من فتن ودماء – عرضة للأهواء والاجتهادات البشرية؟.. اللهم غفرًا.

وبناء على هذا الحديث، نفهم واقع الأمة في أزمنتها من عصر الرسالة إلى أحداث ما قبل النهاية، وهي التي اصطلح العلماء على تسميتها بزمن وأحداث (الفتن والملاحم).. فأول هذه الأمة وبدايتها هي أعظم فترة مرت في تاريخ البشرية، وهي فترة النبوة المذكورة في الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يَرفعها..)، وظلت لمدة ثلاث وعشرين سنة، وهي أعظم أيام في التاريخ شهدت العدل والرحمة في أعلى درجاتها، متمثلًا في أعظم رسول جاء إلى الأرض، (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم.. التوبة/ ١٢٨).

ثم شاء الله أن يلحق رسوله بالرفيق الأعلى لتبدأ مرحلة ثانية، وهي المعبر عنها بقوله عليه السلام: (ثم تكون خلافة على منهاج النبوة)، وهي الخلافة التي بدأت بصدِّيق الأمة أبي بكر ثاني اثنين إذ هما في الغار رضي الله عنه.. ثم تلاه الفاروق الذي قال عنه صلى الله عليه وسلم: (لو كان بعدي نبيًا لكان عمر).. ثم تلاه الحييُ ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه.. ثم تلاه زوج البتول الطاهرة والد السبطين سيدا شباب أهل الجنة، أعني: الحسن والحسين ريحانتا رسول الله.. وهذه الخلافة كانت على منهاج النبوة.. وحتى لا يختلف الناس في تحديد فترة خلافة النبوة على غرار ما فعل الشيعة، لم يترك النبي للناس تحديدها باجتهاداتهم، بل نص على مدد سنواتها تحديدًا مع أنه لم ينص على تحديد فترة النبوة، لأنه لن يقع الخلاف فيها، كونه نبيًا واحدًا وليس بعده نبي، ولذلك قال كما رواه عنه سفينة مولاه: (خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتِي الله الملك أو ملكَه من يشاء)([2]).

قال سعيد (الراوي) قال لي سفينة: (أمسك عليك، أبا بكر سنتين، وعمر عشرًا، وعثمان اثني عشر، وعلي كذا).. ولما وجد العلماء أن مدة هؤلاء الأربع تقل عن ثلاثين بستة أشهر، ورأوا أن هذه الفترة مكملة للثلاثين، هي: بالضبط التي مكثها الحسن بن علي –رضي الله عنهما– قبل أن يتنازل عن الخلافة حقنًا للدماء، اعتبروا مدة الحسن بن على داخلة في الخلافة الراشدة.. والله أعلم.

وبعد انتهاء مدة الخلافة الراشدة، وهي: ثلاثون سنة بنص الحديث جاءت مرحلة الملك العاض، والذي فسره ابن الأثير في النهاية واعتمده كثير من أهل العلم، هو: "أن يصيب الرعية في الملك عسفٌ وظلم كأنهم يعضوُّن فيه عضًا، و(العضوض) من أبنية المبالغة".. وهنا نجدنا نتوقف لحظة لنبين أمرًا مهمًا،

([1]) رواه أحمد من حديث حذيفة رضي الله عنه، وذكره الألباني في الصحيحة

([2]) رواه أصحاب السنن وصححه ابن حبان، كما قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٢١٢) ط. السلفية

وهو: هل كان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، مَلِكًا بهذا الوصف؟، الجواب: نعرفه من حديث آخر للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله مبينًا حال معاوية رضي الله عنه، قال: "جرى بعد موت معاوية من الفتن والفُرقة والاختلاف ما ظهر به مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، حيث قال: (سيكون نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة نبوة ورحمة، ثم يكون مُلكٌ ورحمة، ثم يكون ملك عضوض)، فكانت نبوة النبي نبوة ورحمة، وكانت خلافة الخلفاء الراشدين خلافة نبوة ورحمة، وكانت إمارة معاوية مُلكًا ورحمة، وبعده وقع الملك العضوض"، وكذلك قال شيخ الإسلام: "ومعاوية رضي الله عنه كان أفضل ملوك هذه الأمة"، قلت: ولذلك فليس من الصواب أن يقول القائل – كما اشتُهر على ألسنة الناس–: (عمر بن عبد العزيز كان خامس الخلفاء الراشدين)، هذا خطأ لمخالفته لهذه الأحاديث، إضافة إلى أنه لم يكن أفضل ولا أعدل من معاوية الصحابي الجليل رضي الله عنه، بل كانت فترته داخلة في فترة الملك، كما دخلت فترة معاوية في الملك، وكلاهما كان مُلكًا ورحمة، وبناء على ذلك يكون الملك العضوض هو الغالب وإن اعتراه بعض فترات الملوك الرحماء وعلى رأسهم (معاوية) رضي الله عنه، ثم يليه ولا يتقدمه (عمر بن عبد العزيز).

ولا بد أن نفهم أن كلمة (ثم) التي تفصل بين المراحل، لا تعني أن هناك فترة زمنية بين كل مرحلة والتي تليها، نظرًا لأنه لا توجد مراحل بين المراحل، ذلك أن الخلافة الراشدة بدأت بأبي بكر ومبايعته في سقيفة بني ساعدة، ولم يكن الرسول قد دفن بعد، بحيث لم يقم المسلمون بتجهيز رسول الله ودفنه – مع عظم هذا الأمر – إلا بعد أن أصبح للمسلمين خلافه.. وهذا يعني: أن كلمة (ثم) تفيد تراخي هذه المراحل وطولها – كلٌّ بحسبه – والله أعلم.

ثم تأتي مرحلة الملك العضوض والتي كانت بدايتها ملكًا ورحمة كما أسلفنا في عهد معاوية، لتستقبل الأمة بعد موته فتنًا وأحداثًا عظيمة، ترتب عليها دماء وأشلاء وانتهاك للحرمات –سلمنا الله والمسلمين منها ومن الخوض فيها.

ثم جاءت المرحلة الرابعة، وهي مرحلة الحكم الجبري أو (الملك الجبري)، فيُراد به: الملك بالقهر والجبر، قال ابن الأثير في النهاية: "(ثم يكون ملك وجبروت)، أي: عتو وقهر، يقال: جبَّار بيِّن الجبرَوَّة والجبريَّة والجبروت"، وهذه الفترة يحلو للبعض أن يفسرها بالحكومات العسكرية التي قامت في بلادنا بعد طرد الاحتلال الأوربي، وهذا خطأ جسيم في تفسير كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، وإلا فمتى حَكَم البلاد الإسلامية حكام مدنيون، كما يدعي بعض من يتكلم بغير حجة ولا برهان؟!.. وهل كان حكام بني أمية أو بني العباس أو المماليك أو صلاح الدين الأيوبي أو غير هؤلاء ينطبق عليهم وصف حكام مدنيين؟!.. ألم يكونوا قوادًا عسكريين؟!.. بل حتى الخلفاء الأربعة كانوا من أعظم المجاهدين، ولكن كلمة (عسكر) لها مدلول قبيح عند هؤلاء قد أعاننا الله على تفنيده وبيان الفخ المنصوب من خلال إطلاق هذه اللفظة للطعن في جيش الكنانة حفظه الله.

المهم أن الحكم الجبري جاء في الحديث بلفظ (ملكًا جبريًا)، الأمر الذي يعني: أنه لا يتحدث عن صفة الحكم من ناحية كيفية التوَلِّي: هل هو بالوراثة كالأنظمة الملكية، أو حكمًا بالتغلب كما يُقال عما يسمى بالانقلابات العسكرية.. بل إن عبد الملك بن مروان قد كان متغلبًا، وأخذ الحكم بالقوة وليس بالشورى، ثم أصبحت الوراثة في بنيه فيما بعد؛ وكذلك رأس الدولة العباسية وصل للحكم فيما يشبه الانقلاب العسكري ثم بعد ذلك أصبح وراثيًا، فأصل أي حكم ملكي؛ إما: بمشورة أهل الشوكة والسلطان، أو بالقوة المسلحة المتغلبة، وهذا أمر يتفق عليه جميع العقلاء.

وعليه فقوله (ملكًا جبريًا) يقصد به – زيادة على العسف والظلم الذي كان في المرحلة التي سبقته –: أن الظلم سيتحول إلى قهر وجبر، ومن يراجع ما كان من مجازر وقهر وظلم عبر التاريخ يجد مصداق كلامه عليه السلام.

هذا، ولا ينبغي النظر إلى قوة الدولة وعظمة الفتوحات؛ وصرف النظر عما كان يحدث من قهر وظلم وجبر، للحكم على نظام الحكم بالعدل أو الظلم.. فإن عهد المأمون والمعتصم مثلًا؛ كان من أعظم عهود

الأمة من ناحية قوة الدولة وشدَّتِها على الرومان وغيرهم، وما قصيدة أبي تمام، أعني: بائيته الشهيرة المفتتحة بقوله:

السيف أصدق إنبـاء من الكتب ** في حدِّه الحد بين الجد واللعب

وفيما يقول:

تسعون ألفًا كآساد الشرى نَضِجَتْ ** جلودهمْ قبل نُضج التين والعنبِ

ومع ذلك لم يشهد عهد من العهود([1])، عسفًا وظلمًا وجبرًا ومحاربة للسنة وامتحانًا بالبدعة نال أكابر أهل العلم كالإمام أحمد وغيره؛ كما شهد هذا العصر.

وقد يقول قائل: وماذا تقول في بعض الفترات التي جاء فيها حكام بالعدل والرحمة بين الناس؟.. أقول: هؤلاء ينطبق عليهم قول الحسن البصري – رحمه الله – حينما سئل عن حكم عمر بن عبد العزيز، فقال: (لابد للناس من تنفيس)، يعني: ينفِّسُ الله عن الأمة من روحه سبحانه.

فإذا انتهت هذه (المرحلة الرابعة)، جاءت المرحلة الخامسة والأخيرة؛ وهي قوله –صلى الله عليه وسلم –: (ثم تكون خلافة على منهاج النبوة).. وهذه المرحلة الأخيرة تحتاج إلى فضل نظر لبيانها، لأن الرسول – عليه السلام – لم يترك بيانها أيضًا للاجتهاد، بل قال: (لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا)، قال: (ثم يخرج رجل من عترتي – أو قال: من أهل بيتي – يملؤها قسطًا وعدلًا، كما ملئت ظلمًا وعدوانًا)([2])، وقال كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلًا مني – أو قال: من أهل بيتي – يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا)([3]).

قلت: وواضح جدًا من هذه الأحاديث: أن الخلافة على منهاج النبوة وهي المرحلة الخامسة والأخيرة قبل قيام الساعة، هي خلافة المهدي من ولد فاطمة – رضي الله عنها – والسؤال هو:

هل المهدي هو بداية الخلافة الراشدة الأخيرة، أم هو نهايتها؟

والجواب على ذلك ليس محلًا للاجتهاد أيضًا، لأن الرسول ما تركنا لاجتهاداتنا في هذا الأمر الخطير، بل قال: (يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا)، وفي الحديث الآخر: (كما ملئت ظلمًا وعدوانًا).

وواضح جدًا أن الفترة التي تسبق خروج المهدي هي فترة ظلامية تقوم على العدوان والظلم والجور، فهل يقول عاقل: إن هذه الفترة السابقة على خروج المهدي هي خلافة راشدة؟، ولئن كانت خلافة راشدة فما هي المِلكية الجبرية إذن؟!

والواضح جدًا أن فترة المُلك الجبري ممتدة، بل ستبلغ أوْجهَا في آخر الزمان حتى تصل إلى امتلاء الأرض بالظلم والعدوان والجور والظلم.. وإذا بأمر الله الذي إذا أراد شيئًا أن يقول له فيكون، وإذا بالمهدي يخرج بعد أن يصلحه الله في يوم وليلة، وإذا بالقلوب المتنافرة تجتمع عليه؛ ولا تقولن كيف؟! ولم؟!.. فإن أمر الله كان قدرًا مقدورًا.

أضف إلى ذلك أن هذه الفترة ستكون مليئة بالخوارق، وسيخرج الدجال، وينزل عيسى بن مريم، ثم تكون الأحداث قبل نهاية الدنيا، وقد يقول قائل: إن خروج المهدي سيكون بعد فتح بيت المقدس وهذا لن يتم إلا بوجود خلافة راشدة، أقول: إن كل ما كتب في هذا الأمر – للأسف – محض تخمين، ومع ذلك لو سلمنا جدلًا بوقوع بعض الفتوحات فهل شرط الفتوحات أن يكون الحكم على منهاج النبوة؟! كيف ذلك مع وجود الفتوحات العظيمة للأمة في المشارق والمغرب، مع حكم بني أمية وبني العباس، بل في ظل حكم الدولة العثمانية، ولم تكن دولة من هذه الدول خلافة على منهاج النبوة، وأنه كان يطلق عليها خلافة من باب التوسع في اللفظ، أما الخلافة عل منهاج النبوة فهي مقصورة على خلافة الراشدين (ثلاثين عامًا) ثم خلافة آخر الزمان.

([1]) أعني: العهود التي كانت على الإسلام، ولا أعني: حكم (الإسماعيليين) الذين اصطلحوا على تسميتهم بـ (الفاطميين)، فهؤلاء لم يكونوا من أهل الإسلام بالإجماع.

([2]) أخرجه أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

([3]) رواه أبو داود والترمذي.. وراجع السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني رحمه الله، لتقف على هذه الأحاديث والكلام على أسانيدها وفقهها

فالواضح من الحديث أن ملك الجبر ممتد إلى ما شاء الله تعالى حتى تصل الأرض إلى امتلائها بالظلم والجور والبغي والعدوان، ثم تأتي الخلافة الراشدة متمثلة في خلافة المهدي من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم على منهاج النبوة، وتظل هذه الخلافة حتى يشاء الله شيئًا.. وفي تعليل الخلافة الأخيرة وأنها تكون من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما، يقول ابن القيم – رحمه الله – في (المنار المنيف) ص ١٥١: "وفي كونه من ولد الحسن سر لطيف وهو أن الحسن رضي الله عنه ترك الخلافة لله، فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض، وهذه سنة الله في عباده أن من ترك لأجله شيئًا أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضل منه".

- إذا تمهد ما سبق للقارئ الكريم، أقول: جزا الله خيرًا أخي الكريم فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الدسوقي الأستاذ بجامعة الأزهر، الذي اقتحم هذه العقبة وهذا الحصن الذي شيده أهل البدع خلال قرن من الزمان، أعني: أدعياء جماعة الإخوان ومن سايرهم وسار في ركابهم ممن ادعى السلفية ونصرة السنة، وقالوا بشغور الزمان عن الجماعة والإمام بعد سقوط الخلافة العثمانية، ورتبوا على ذلك على أن واجب الوقت الذي ينبغي على الأمة، ليس الدعوة على الكتاب والسنة ولا إلى التوحيد ومحاربة الشرك والإلحاد والبدع، زاعمين أن الواجب هو تحقيق الخلافة الغائبة.

وبناء على ذلك قامت جماعة الإخوان بقيادة مؤسسها ومرشدها الأول (حسن البنا) بهذا الواجب، ولكي يتحقق اعتَبرت جماعتُه أنها هي (الجماعة الأم) وهي (جماعة المسلمين)، وأن قائدها ومرشدها وإمامها هو (إمام المسلمين) الذي يأخذ البيعة العظمى من أفرادها، ويصبح هؤلاء الأفراد – الذين يعيشون في مجتمعات تعلوها حكومات ويحكمها أولياء أمور – لا يدينون لهؤلاء الحكام بالسمع ولا الطاعة، بل يسعون جاهدين لإسقاطهم، بل وتفكيك هذه الحكومات والقضاء على جيوشها، فأصبحت هذه الجماعة خنجرًا في ظهر جميع الحكومات الإسلامية، وتوالِي أعداء الأمة في السر للنيل من هذه الحكومات.

ولقد أجاد مؤلفنا في بيان خطورة هذه الجماعات، ولم يكتف بذلك، بل وصف الدواء الناجع لمثل هذه الأمراض التي رتعت في جسد الإسلام لمدة تقترب من القرن من الزمان، وهذا الدواء هو: الرجوع على دراسة كتب العقائد وأصول السنة التي تركها لنا أئمتنا كـ (أصول السنة) للإمام أحمد وغيره من أئمة الهدى، وأفاض الدكتور – حفظه الله – في بيان هذه المصادر، ودعا الأزهر والأوقاف لتبني هذه المناهج وتدريسها لطلاب الأزهر وكذلك في مساجدنا.. فما المانع من تدريس كتاب (الإبانة) لأبي الحسن الأشعري، أو (رسالته إلى أهل الثغر) أو كلامه في (المقالات) عن عقيدة أهل الحديث التي اعترف الأشعري أنه يقول بها ويعتقدها، وهذه الكتب هي آخر ما صنفه رحمه الله تعالى.

فإن كان الأزهر يدعو على المذهب الأشعري؛ فها هو إمام الأشعرية قد تركها لنا بينة نقية بدون فلسفة أو تمحكات عقلية.. وكرر فضلته الدعوة لتبني هذا المنهج الرشيد لتجديد الخطاب الديني ولإخراج الشباب من الفكر المتطرف ومن المذهب الحروري الذي اكتوت بناره بلاد المسلمين، فأصبح الشباب المتدين يجتهد في إسقاط بلاده وجيوش بلاده حتى تفرغ الساحة لجيوش الصهاينة وأعداء الأمة الإسلامية، ويخلو لهم الجو في التحكم فينا سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا، وهذا الشباب يحسب أنه يحسن صنعًا.

ولقد ذكر لنا فضيلته أحداثًا جسيمة أظهرت لنا متابعته الدقيقة لكل الأحداث التي تمر بها أمتنا، فالرجل بقدر انشغاله بدراسته الأكاديمية التي تكفي لشغل جميع وقته، بقدر انشغاله أيضًا وخوفه على بلاده وأمته ودينه، فكل ذلك جعله يعكف على متابعة ما يجري.. ومما هالني أني وجدت أن كثيرًا من القضايا التي حدثت فيها أعمال إرهابية؛ كان القائمون بها أزهريين طلابًا في جامعة الأزهر.. وهذا ذكّرنا بالعرض العسكري الذي تم داخل جامعة الأزهر عن طريق ميلشيات الإخوان من طلبة الأزهر، وكانوا يرتدون ساعتها ملابس حماس، وقد كان ذلك قبل أحداث ٢٥ يناير، وهذا أمر خطير، فهؤلاء الشباب الذين نعدهم لكي يكونوا حملة مشاعل الهداية والنور، يُختطفون من بين أيدينا جهرة وفي وضوح النهار، فكيف حدث

هذا ومن المسئول عنه؟ ومن هو هذا المقصر الذي أوصل الأمر إلى هذا الحد؟ ولم لم يحذِّر أساتذة الأزهر طلابهم من هذه الأفكار التكفيرية المدمرة

فالمؤلف يضع أيدينا على العلة؛ ويبين كعالم أزهري المحنة التي يعيشها في داخل مؤسسته، ويبين لنا المخرج منها، وأرجو أن يَلقى كلامه آذانًا صاغية وعقولًا تستوعب خطورة المحنة التي نمر بها وتمر بها الأمة، فالعلاج لن يكون إلا في كتاب الله وسنة رسوله، ولن يكون أبدًا بالسعي وراء حلم الخلافة الذي لن يتحقق إلا كما أراده الله، وإلا كان الساعون لتحقيقه في نظري كاليهود الذين كانوا يعلمون أن الرسالة الأخيرة لن تكون إلا في بني إسماعيل وكانوا ينتظرونها على أحر من الجمر، لكنهم كانوا يريدون التأثير في إرادة الله ومشيئته، وهذا مستحيل – تعالى الله عما يقول ويظن الظالمون علوًا كبيرًا.

فالإخوان ومن يشايعهم يتعامَوْن عن معرفة حقيقة أن الخلافة الأخيرة على منهاج النبوة، وأن الخليفة لن يكون إلا قرشيًا ومن نسل فاطمة تحديدًا، وأن الله سيصلحه في يوم وليلة – يعني: سيأتي على قدر الله وعلى النحو الذي أخبر به رسوله – فلماذا هذه المعارك القائمة على الخلافة التي يكذبون ويدّعون أنها سقطت سنة ١٩٢٤، مع أنها ملك جبري وأن الخلافة الحقيقية كانت مدتها ثلاثون سنة فقط، فهل هم يؤثرون في مشيئة الله كما ظن أسلافهم من اليهود الذين انتظروا أن يكون نبي آخر الزمان إسرائيليًا مع علمهم بأنه لن يكون إلا إسماعيليًّا.

كذلك أبان مؤلفنا – حفظه الله – أن الجماعة الإخوانية حينما قامت بعملياتها الإرهابية إبان اعتصامها بـ (رابعة والنهضة) وقبل ذلك وبعده، أماطت اللثام عن حقيقتها التي حاولت أن تُخفيها في أزمنتها قبل ٢٥ يناير.. أعني: حقيقتها التي تقوم على الإرهاب واستحلال الدماء المعصومة، نظرًا لأنهم يعتقدون أن بلادنا ديار حرب، وديار الحرب لا عصمة فيها للدماء ولا للأموال ولا للأعراض، وهذا هو المنهج الذي تربّت عليه منذ نشأتها على يد البنا، فلم يكن ما حدث من التنظيم الخاص في أربعينات من اغتيالات خروجًا على منهج الجماعة، بل أثبتت الأحداث الأخيرة أنه منهج راسخ لدى الجماعة وأنها كانت في فترة سابقة تتبرأ من ذلك تقِيَّة

أكرر شكري وامتناني بما قدمه فضيلة المؤلف في هذا الكتاب الطيب.. وإن تكن من كلمة أخيرة أذكرها، قبل انتهاء هذه المقدمة التي شرفني بكتابتها فضيلة الأخ الدكتور – حفظه الله – فهي كلمته التي أنهى بها كتابه وهي: "لكن يبقى السؤال: لقد ذكرنا من كلام أئمة السلف إجمالًا وتفصيلًا ما فيه الكفاية، وبكل ما ذكروه نطق جميع أصحاب العقائد من شيوخ أهل السنة وتابعيهم بإحسان، ولم يشذ عن ذلك منهم أحد، فهل يَعْقل هذا أولادنا الذين يُلقون – ولا يزالون– بأيدهم إلى التهلكة بعد أن ضُللوا، وخالفوا ما كان عليه أئمة الهدى[1]؟، وأين هم المتَّبَعون من أمثال: حسَّان ويعقوب والحويني، وأصحاب القنوات الفضائية من المشايخ، ومن يزعمون أنهم (سواعد إخاء) وقد تبين أنهم سواعد فرقة وهدم وخروج وابتداع؛ أين هم من هذا الكلام، حتى يلَقِّنوه لأتباعهم، على الأقل: إبراءً للذمة؟".. قلت: (عادل السيد): وفي هذا كفاية الكفاية والله الموفق والمستعان.

كتبه: (عادل السيد)
مدير إدارة الدعوة والإعلام بجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر
عابدين القاهرة.. الأحد ٢٤ ربيع الأول ١٤٤٠ هجرية..
الموافق ٢/ ديسمبر سنة ٢٠١٨

(1) الذين نسأل الله أن يحيينا على ما حَيُوا عليه ويميتنا على ماتوا عليه، وأن يعصمنا من الزلل ومن مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن

مقدمة المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فهذا الكتاب؛ هو: حجة بيني وبين الله فيما يختصم فيه المختصمون ممن يحسبون أنفسهم على منهج السلف وليسوا كذلك، ويعدُّ فرصة سانحة لتغيير ما بأنفسنا ومراجعتها، والسير بها تجاه ما يرضي ربها، فليس ثمة أفضل لتربية الأنفس وتزكيتها وترقيقها وإخضاعها لأمر ربها في صلاح دنياها وأخراها، من أن تغير ما بها حتى يغير الله ما بأنفسنا الأمارة وما بواقعنا المليء بالأوجاع والمكتظ بالمآسي.. ولنستبشر خيرًا، فلقد مرت بأمة الإسلام أزماتٌ تفوق ما نحن فيه بمراحل، وفِتَنٌ كقطع الليل المظلم، فما لانت لها قناة ولا انطفأ في صدرها أمل ولا كُسرت لها إرادة.. بيد أن أئمة أهل السنة العاملين إزاء أوضاعها اتبعوا طريقة سديدة ما رأيت أحدًا في زماننا قام بها خير قيام، وكان قوام هذه الطريقة: جمع الأمة – عبر مجامع أو قنوات مؤسسية وعلماء موثوق بإخلاصهم وحِنكتهم وصحة معتقدهم – على عدة بنود، تؤكد أولًا الثوابت من أمور الاعتقاد، ثم تحسم مواد الخلاف فيما بينها، وما على الحاكم أو المُشَرِّع إلا أن يقوم بتقنينها والاهتمام بها وجمع الأمة حولها والمحاسبة عليها، وما على أئمة أهل السنة المتجردين من الحزبية والعصبية إلا أن يقوموا بنشرها ودعوة الناس إليها، فبذا تجتمع الأمة على كلمة سواء وتُمرِّر أزَماتها وتسترد عافيتها.

ولعل هذا هو سر تجدُّدِها، وما تجد بسببه كتب أصول الاعتقاد شاهدةً ومقيمةً الحجة إما لها إن أراد الله بها خيرًا وإما عليها إن كانت الأخرى لا قدر الله.. فتسمع عن اعتقاد الأوزاعي والثوري وابن عيينة وابن المديني وأبي ثور والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم وسهل التستري والطبري.. كما تقرأ (أصول السنة) للحميدي ولأحمد بن حنبل وابن أبي زمنين و(العقيدة الطحاوية) للإمام الطحاوي المصري، و(الإبانة عن أصول الديانة) للأشعري، و(شرح أصول السنة) للبربهاري، و(الشريعة) للآجري، و(أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) للالكائي، و(النصيحة) للجويني، و(اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة) للصابوني، و(الاعتقاد) لأبي الحسين بن القاضي أبي يعلى الفراء، و(الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة) للأصبهاني، و(الاقتصاد في الاعتقاد) لعبد الغني المقدسي، و(لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد) لابن قدامة، و(العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام، و(الدرة المُضيّة في عقد الفرقة المرضية) لمحمد بن أحمد السفاريني، و(التحف في مذاهب السلف) للشوكاني، و(سلم الوصول إلى علم الأصول) وشرحها (معارج القبول) لحافظ حكمي.. وهكذا، وكلها بحمد الله موجودة ومطبوعة.. وثمة نموذج حيٌّ لهذه التجربة متمثلة في جمع أمير المؤمنين (القادر بالله) الناس على ما عرف بـ (العقيدة القادرية).

وتعجب عندما ترى هذه الاعتقادات متضمنة أشياء هي محل اتفاق من نحو الالتزام والتمسك بالكتاب والسنة والإجماع، وعندما تراها أحيانًا متضمنة أحكامًا فقهية من نحو (المسح على الخفين) – فيما يشبه في زماننا مسائل: النقاب وختان الإناث – بقصد التنبيه على أنها أعلامٌ في تمييز أهل السنة عمن ينكرونها من أهل البدع والضلال.. الأمر الذي يعكس مدى حرص الأوائل على رفع شعائر الإسلام وإزالة كل أسباب الخلاف، سواء ما تعلق منها: بأمور الاعتقاد مما لا يسوغ أن يختلف عليها اثنان، عكس ما هو حاصل الآن من إصرار من البعض على: (جعل التعارض بين العقل والنقل أمرًا واردًا)، وعلى (تقديم العقل حينذاك على النقل)، ومن (إخراج العمل في مسمى الإيمان)، ومن (تأويلٍ للصفات أو تفويضها)، إذ تلك أمور المفترض ألا يسع النزاع حولها، وكان الخلاف فيها وسيظل يعرف بـ (خلاف التضاد)، كون الحق فيها واحدًا لا يتعدد.. أو ما تعلق منها: بأمور سعوا إلى حسمها لئلا يتخذ منها الرويبضة من المترخصين والدهماء بين الحين والآخر وسيلة لتشتيت الأمة ومادة لتمزيق وحدتها وتضييع وقتها واستنزاف جهدها وطاقتها، وأيضًا لئلا تعطي فرصة للتطرف والقول بأن الدولة ضد الإسلام، وبخاصة أيام الفتن كالتي نعيشها الآن، إذ القاعدة في هذا لدى الجميع أن سلامة الدين والحفاظ على هوية الأمة لا تقل أهمية عن سلامة الوطن.

وحري بنا – ونحن نسعى لتربية النفس ونتطلع لتصحيح مسارها والتزود بما ينفعها من العمل الصالح وخير الزاد التقوى – أن نلجأ في طريق تصويب أخطائنا ثم معالجة قضايا أمتنا، إلى ما كان عليه سلفنا، وذلك: برجوعنا إلى الثوابت ننطلق من خلالها إلى التجرد الكامل للآية والحديث وما أجمعت عليه الأمة، ثم إلى حسم أيةِ مادة لخلاف قضت فيه جمهرة المسلمين بحكم، من نحو ما سبق ومن نحو: (الاختلاط والسحر والتبرج والربا واقتناء الكلاب لغير صيد أو حراسة والتظاهر والانتماء وحب الأوطان)، بقصد الفصل فيها شرعًا، وتفويت الفرصة على من يريد أن يجعل منها قضايا يشغب بها على الأمة.. والسعي قبل ذلك إلى: نقض البيعات والتحزبات التي طالما فرقت الأمة وجعلتها شيعًا أيًّا كان مؤسسيها أو ما خلَّفتْه من تراث تَأَكَّدَ أن ضرره كان أكثر من نفعه، ولاسيما أن ضمن ما كان يدعو إليه الأوائل ترك هذا، وما اعتراف (الوليد الكرابيسي) على نفسه بعد أن ألَّف من الكتب ما ألَّف، وبعد أن جمع أولاده قبل وفاته قائلًا لهم: "أوصيكم بواحدة إن لزمتموها كنتم بخير.. عليكم بما كان عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق يدور معهم"، وما قول أحمد وقد سُئل عنه فكلح وجهه: "إنما جاء بلاؤُهم من هذه الكتب التي وضعوها، تركوا آثار رسول الله وأصحابه وأقبلوا على هذه الكتب"([1])، إلا شاهد صدق على ما نقول، ولقد كان الوليد قبل توبته أشبه في زماننا بمن ينظِّر لما أصّل له ولما اشتملت عليه كتبه من تخليط بين الحق والباطل([2])، إذ لا أحد أحق بسماعه وطاعته من الله ورسوله ومن صحبه ومن تبعهم بإحسان، فإنه الحق الذي انعقدت عليه قلوب جماعة المسلمين وستظل كذلك إلى يوم البعث والدين، والذي صدق فيه قول مالك: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا الذي أصلح أولها)، وقول غيره: (لأن أكون ذنبًا في الحق، أحب إلي أن أكون رأسًا في الباطل).. وإنما يتحقق التغيير –بواقعنا وفي ضوء ما ذكرنا – بالآتي:

مشكلات أمتنا تنحصر في: (الفراغ الديني) و(الوقوع تحت تأثير مفاهيم وتصوراتٍ خاطئة).. فهل من مشمر للتغيير؟!:

أولًا: استيعاب جملة الأحاديث التي نبَّأت بما يكون في آخر الزمان من أمور السياسة الشرعية، كونها رسمت ما يجب أن يكون عليه حال الأمة تجاه ما يشغب به البعض حول أمر خلافتها وواجباتها الآنية وبما لا يكاد يدع بعدها مجالًا لمجتهد، من نحو: حديث حذيفة المتفق عليه، وفيه قوله: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر، قال: (نعم)، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير، قال: (نعم وفيه دخن)، قلت: وما دخنه، قال: (قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر)، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر، قال: (نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا)، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تَعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

ومن نحو: حديثه الذي صححه الألباني، وفيه يقول عليه السلام: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون ملكًا عاضًّا فتكون ما شاء الله لها أن تكون ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون ملكًا جبرية فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة) ثم سكت.. وحديث مسلم وفيه قوله عليه السلام: (يكون في آخر الزمان خليفة يُقسِّم المال – وفي رواية: يكون في آخر أمتي خليفة يَحثي المال حثيًا – ولا يَعدُّه).. وعن تلك الأخيرة وأنها في مهدي أهل السنة المنتظر، جاء قوله عليه السلام فيما رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وصححه ابن تيمية في منهاج السنة، وحسن إسناده الألباني في

([1]) والأثران على الترتيب في (الحجة) للأصبهاني ١/ ٢٢٦، و(شرف أصحاب الحديث) للخطيب البغدادي ص ٦

([2]) فتجده وكما ذكر شيخ الإسلام في درء التعارض ٨/ ٦٠: "تارة يسلك مسلك نفاة الصفات الخبرية وينكر على من يسميها صفات.. وتارة يثبتها.. وتارة يوجب التأويل"

تخريج أحاديث المشكاة ٣/ ٢٤: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلًا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا).

وتكاد هذه الأحاديث الأربعة تصور واقعنا وشبهاتِه بخير ما يكون التصوير، إذ تفيد الثلاثة الأخيرة منها، أن ثمة خلافة ستقع آخر الزمان بعد حكومات جبرية استمرت عقودًا وشاء الله لها أن تسقط تباعًا، وأنها ستكون على منهاج النبوة وفي مهدي أهل السنة، وفي ذلك رَدٌّ على مَن ادعاها لنفسه تحت مسمى (أستاذية العالم)، دون مهدي أهل السنة، ومن غير أن يجعلها على منهاج النبوة، ولكن هيهات فالأمر نافذٌ على ما أخبر به من لا ينطق عن الهوى بأبي هو وأمي.

بينا يوجب الحديث الأول منها: لزوم طاعة مَن آتاه الله المُلك من المسلمين وأراده له أزلًا وشاء وقدّر أن يجعله واليًا، وحَرَّم علينا الخروج عليه بالقول أو الفعل ما لم يأت كفرًا بواحًا.. كما يُحرِّم الحديث تحريمًا قاطعًا أن تَشق فِرقة – مهما أوتيت من علم وتقى – صف عامة المسلمين وسوادهم الأعظم وتدعي أنها جماعتهم، أو تأخذ لنفسها البيعة العامة فتجعل من نفسها غصَّة في حلق كل دولة، وبخاصة لو كانت هذه الدولة دار إسلام يقام ويؤذن فيها للصلاة.. إذ في ذلك من المآخذ الشرعية – من غير مخالفة الأحاديث وعقيدة أهل السنة والجماعة –:

وجود بيعات من غير تمكين، لأناس غير ممكنين ولا أصحاب شوكة ولا سلطان، وهذا ما لا يجوز شرعًا وبحقه يقول شيخ الإسلام في (منهاج السنة)١/ ١١٥: "النبي أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين، الذين لهم سلطان يَقدرُون به على سياسة الناس، لا بطاعة معدوم ولا مجهول، ولا من ليس له سلطان ولا قدرة على شيء أصلًا"، وفيه ١/ ٥٢٧: "بل الإمامة عند أهل السنة تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها – يعني: لكونهم وكما أُثبتت الأحداث والوقائع الأدرى بما يحيق بالبلاد من أخطار والأقدر على فهم سياسات أعداء الإسلام – ولا يصير الرجل إمامًا حتى يوافقه أهل الشوكة عليها الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة، فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان، فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إمامًا، ولهذا قال أئمة السلف: من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الوِلاية، فهو من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله، فالإمامةُ مُلك وسلطان".

وكذا عقدها في كل دولة من دول المسلمين لمن ينازع فيها الأمر أهله، بما يعني جعلها لأكثر من واحد في كل دور الإسلام، وهذا أيضًا لا يجوز، لحديث مسلم: (من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنًا من كان)، وفي أخرى: (فاقتلوه)، وفي أخرى: (إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما)، "وهذا – على حد قول ابن كثير في تفسير (إني جاعل في الأرض خليفة) – قول الجمهور، وقد حكا الإجماع عليه غير واحد، منهم إمام الحرمين" ابن الجويني، ونص كلامه كما في (الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد) ص ١٦٩: "والذي عندي فيه، أن عقد الإمامة لشخصين في صقع واحد متضايق الخطط والمَخاليف غير جائز، وقد حصل الإجماع عليه"، وهو الموافق لقول الأثبات من المحدَثين، ففي المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان ١/ ٣٦٧: "البيعة لا تكون إلا لولي أمر المسلمين، وهذه البيعات المتعددة مبتدَعة، وهي من إفرازات الاختلاف، والواجب على المسلمين الذين هم في بلد واحد وفي مملكة واحدة، أن تكون بيعتهم واحدة لإمام واحد، ولا يجوز المبايعات المتعددة" إ.هـ.

كما أن فيه من المآخذ: الخلط بين الإمامة العظمى والإمامة الصغرى، وارتكاب ما نهى عنه النبي من مفارقة جماعة المسلمين، وعدم الصبر على الإمام، وخشية أن يموت المسلم الذي انشق عنهما ميتة جاهلية، لصريح قوله عليه السلام: (من رأى من أميره شيئًا يكرهه، فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، فميتته جاهليه)، وقوله كما في حديث مسلم: (من كره من أميره شيئًا فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرًا فمات عليه، إلا مات ميتة جاهلية).. كما أن فيه مظِنّة الوقوع في بدعة الخوارج وهم من عناهم النبي بقوله: (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) كونهم وقد أخذوا البيعات لأنفسهم واعتبروا أنفسهم جماعة المسلمين، عَدُّوا غيرهم بطبيعة الحال

خارجين عن جماعة المسلمين، وما يجري في أرض الواقع شاهد صدق على فساد هذا المنهج وما أحدثه – ولا يزال – من فتن لا قِبَل لأمة الإسلام بها.

ولا يَرِدُ على ما ذكرنا: أنَّا ابتلينا بحكام لا يهتدون بهدي النبي ولا يستنون بسنته، لأن جوابه: قول شيخ الإسلام بـ (منهاج السنة) ١/ ٥٥٦ –وهو يتحدث عما يقتضيه حديث حذيفة من وجوب طاعة الإمام ذي السلطان الموجود بالفعل والذي هذا حاله، لكن له القدرة على عمل مقصود الوِلاية ولم يأت كفرًا بواحًا لنا فيه من الله برهان –: "وهو ﷺ قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، وبقيام رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان الإنس، وأمر مع هذا بالسمع والطاعة للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فتبين أن الإمام الذي يطاع: هو من كان له سلطان، سواء كان عادلًا أو ظالمًا"، وجوابه كذلك: أن ذلك ناشئ عن قصورنا نحن في التربية والدعوة إلى ذلك ففي الخبر: (كما تكونوا يُولى عليكم)، وقد ذكر الدكتور جمال الدين محمود الأمين العام للشئون الإسلامية في مقال له بعنوان (قضية تطبيق الشريعة بين المزايدة والمعاندة) نشر بأهرام ١٠/ ٤/ ١٩٨٤: "أن كل تغير في المجتمع نحو الإسلام بكل قيمه وأخلاقه وتشريعه، يحتاج إلى جهد أكبر وأعظم وأجل من مجرد إصدار قوانين، والتغيير الذي ينبغي أن يحدث: هو في قيم الناس وأخلاقياتهم التي ابتعدت كثيرًا عن قيم الإسلام وأخلاقه.. أما المزايدة في قضية القوانين فحسب، بغض النظر عن القيم والأخلاق الإسلامية، فهو تبسيط يصل إلى حد السذاجة في معالجة مشكلات المجتمع([1])"إ.هـ.

إزالة الشبهات لا يتأتى سوى بتغيير ما بأنفسنا والرجوع بها لما عليه فهم سلف الأمة للنصوص:

ثانيًا: حسم سائر ما يتعلق بأمور الإمارة، كونها محط الاهتمام ومصدر الشبهات لدى شبابنا بخاصة: وذلك من نحو: الانشغال عن الدعوة بالحرص على الإمارة والمناصب بالمخالفة لصريح قوله عليه السلام لابن سَمُرة: (لا تسأل الإمارة، فإنك إن.. أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها)، وقوله في المتفق عليه: (إنا والله لا نُوَلي هذا العمل أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه).

ومن نحو: جعل الخلافة – مع كل ما سبق من شبهات حولها – غاية، وتصويرها وكأنها أصلٌ من أصول الإسلام أو جزءُ من معتقداته، إذ تلك هي عقيدة الروافض والمعتزلة والخوارج، فضلًا عن أن لفظ الحديث: (فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام) نصٌّ في أن عدم وجودها من الأساس أمر وارد، بل إن قوله كذلك: (فاعتزل تلك الفرق) نصٌّ في اعتزال الفرق التي تنازع في هذا جماعة المسلمين وإمامهم، وإنما جاءت هذه الشبهة جراء الخلط بين الإمامة العظمى وبين المطالبة بقيام حكومة أيًّا كانت([2]) والتي الأمر فيها لا يعدو أن يكون كما ذكر ابن خلدون في مقدمته: "من المصالح العامة التي يترك أمر تدبيرها إلى الأمة"([3]).

ومن نحو الاحتجاج بالنصوص الواردة في وعد الله المؤمنين بالتمكين، إذ ذلك يَرِدُ عليه: أن المراد بتمكين الاستخلاف – جمعًا بين النصوص –: المفهوم العام الشامل الذي يعني: "نيابة الإنسان عن الله في التصرف في الأرض بإعمارها عن طريق إنفاذ أحكامه وتصديق أخباره، بحيث لا يستبدل بنا في أداء هذه المهام: قومًا آخرين؛ فنُحْرم فضلها ونأثم على تقصيرنا نحوها"، وهذا ما اصطلح عليه علماء اللغة والشرع، وما تضافر على ذكره آي القرآن في نحو: آية البقرة/ ٣٠، والأعراف/ ٦٩، ٧٤، والأنعام/ ١٦٥، ويونس/ ١٤، ٧٣، والنمل/ ٦٢، وفاطر/ ٣٩.. ومن نحو تجاهل النصوص الواردة في شرط (القرشية) في أمر الخلافة بزعم أن هذا الشرط محل خلاف، وهذا أيضًا يَرِدُ عليه: مخالفة غير المشترِط لها، لما ترجح، ومخالفته كذلك لإجماع ولمعتقد أهل السنة، بل ولصريح قوله عليه السلام: (الأئمة من قريش) الذي عليه: يعلق الماوردي في الأحكام السلطانية ص٣ وما بعدها بقوله:

([1]) ينظر الإسلام والخلافة لحازم عبد المتعال الصعيدي ص ٣٠٩

([2]) ولفظ د. حازم عبد المتعال الصعيدي ص ٢٦٦ بعد دراسة مستفيضة لعرض الرأيين: "بين المطالبة بقيام هذا الطراز الخاص من أنواع الحكومات وبين المطالبة بقيام حكومة أيًّا كانت"

([3]) ينظر السابق ص ٢٦٢، ٢٥٦، ٢٧٢

وبه "احتج أبو بكر يوم السقيفة على الأنصار في دفعهم عن الخلافة، لما بايعوا سعد بن عبادة، فأقلعوا عن التفرد بها ورجعوا عن المشاركة فيها حين قالوا: (منا أمير ومنكم أمير)، تسليمًا لروايته –بأبي هو وأمي– وتصديقًا لخبره.. وفي الحديث فيما صححه الألباني: (قدِّموا قريشًا ولا تَقَدَّموها)، وليس مع النص المُسَلَّم به شبهةٌ لمنازع فيه، ولا قولٌ مخالفٌ له"إ.هـ.

ويقول الإمام أحمد في كتاب السنة: "والخلافة في قريش ما بقي اثنان، ليس لأحد أن ينازعهم فيها، ولا يَخرج عليهم، ولا نُقرُّ لغيرهم بها إلى قيام الساعة"، ويُصدِّقه ما رواه البخاري: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان)، (إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد، إلا كبّه الله على وجهه، ما أقاموا الدين)، وما رواه مسلم: (الناس تبع لقريش في الخير والشر)، يعني: في الإسلام والجاهلية، كما في رواية: (الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم، وكافرهم لكافرهم).

وقد علق النووي في شرح مسلم ١٢/ ١٥٨ مجلد ٦ بعد ذكره جملة من الأحاديث في ذلك، فقال – وبنحوه ابن حجر في باب (الأمراء في قريش) ١٣/ ١٢٦ وما بعدها –: "هذه الأحاديث وأشباهها، دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك مَن بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرَّض بخلافٍ من غيرهم فهو محجوج عليه بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم وبالأحاديث الصحيحة، قال القاضي عياض: (اشتراط كونه قرشيًا: هو مذهب العلماء كافة)، قال: (وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم يُنقل عن أحد من السلف فيها قول يخالف ما ذكرنا، وكذلك مَن بعدهم في جميع الأعصار)، قال: (ولا اعتداد بقول النَّظّام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قريش)"، ويردف النووي قائلًا: "وبيّن النبي أن هذا الحكم مستمر إلى آخر الدنيا، ما بقي في الناس اثنان، وقد ظهر ما قاله ﷺ .. فمن زمنه إلى الآن: الخلافة في قريش من غير مزاحمة لهم فيها، وتبقى كذلك ما بقي اثنان كما قاله"إ.هـ.

وقد خلص د. الدميجي في كتابه (الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة) ص ٢٦٥ إلى القول بأن "القرشية شرط من الشروط التي وردت النصوص عليه صريحة، وانعقد إجماع الصحابة والتابعين عليه، وأطبق عليه جماهير علماء المسلمين، ولم يخالف في ذلك إلا النزر اليسير من أهل البدع كالخوارج وبعض المعتزلة والأشاعرة"، ثم نقل أقوال الأئمة في اشتراطها، ولم يكتف بذلك حتى فند كل ما خالف إجماعهم، فمَن الذي من أهل السنة يجرأ أو يرضى لنفسه أن يخرج عن إجماعهم أو أن يكون في مصاف المعتزلة وكلاب أهل النار؟!.

ما يميز أهل السنة: أنهم يَدْعُون عند التحاكم إليها، ويتركون أقوال الناس لها:

ثالثًا: التزام السنة بتقديمها على ما سواها، وتقديم ما أجمعت الأمة على فهمه منها([1])، ليَخرج من ذلك تلك الأقوال الشاذة والمرجوحة التي يختارها المُفْتُون في كثير من الأحيان في أي شيء وفي كل شيء ليعارضوا بها ما صح عن رسول الله بحجة مواكبة العصر ومستجداته وبأن الدين يسر ومرن([2])..

وليَدخل أولئك الذين عناهم ابن القيم في مختصر الصواعق ص ٦٢٧ بأنهم: "يتركون أقوال الناس لها.. ويَعرضون أقوال الناس عليها فما وافقها قبلوه وما خالفها من أقوال الرجال طرحوه.. ويدْعون عند التنازع إلى التحاكم إليها دون آراء الرجال وعقولها.. وأنه إذا صحت لهم السنة عن رسول الله ﷺ لم

([1]) ففي كلام الله: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليما.. النساء/ ٦٥)، (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظًا.. النساء/ ٨٠)، (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.. النور/ ٦٣)، (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا.. النساء/ ١١٥)، وفي السنة: (إنه من يعش بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)

([2]) وليخرج كذلك أولئك الذين عناهم شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٣/ ٦٢ بقوله: "وأهل البدع لا يجعلون اعتمادهم في الباطن ونفس الأمر على ما تلقوه عن الرسول، بل على رأوه أو ذاقوه، ثم إن وجدوا السنة توافقه وإلا لم يبالوا بذلك، فإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضًا أو حرفوها تأويلًا، فهذا هو الفرقان بين أهل الإيمان والسنة وأهل النفاق والبدعة وإن كان هؤلاء لهم من الإيمان نصيب وافر من اتباع السنة لكن فيهم من النفاق والبدعة بحسب ما تقدموا فيه بين يدي الله ورسوله وخالفوا الله ورسوله"، وعناهم تلميذه ابن القيم بقوله في إغاثة اللهفان ص ٤٣١: "إذا عقد المتلقي قلبه على ذلك – تجريد اتباع الرسول وتحكيمه في دِقِّ الدين وجُله، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه – وأعرض عما سواه ووزنه بما جاء به الرسول – فإن وافقه قبله، لا لكون ذلك القائل قاله بل لموافقته للرسالة، وإن خالفه ردّه ولو قاله من قاله – فهذا الذي ينجّيه من فتنة الشبهات"

يتوقفوا عن العمل بها واعتقاد موجبها على أن يوافقها موافق، بل يبادرون إلى العمل بها من غير نظر إلى من وافقها أو خالفها.. وقد نص الشافعي على أن الواجب على من بلغته السنة الصحيحة أن يقبلها وأن يعاملها بما كان يعاملها به الصحابة حين يسمعونها من رسول الله، فيُنزل نفسه منزلة من سمعها منه، وقال: (أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله، لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس كائنًا من كان)"، ومن أبرز سمات أهل السنة أيضًا – والكلام لا يزال لابن القيم –: "أنهم لا ينتسبون إلى مقالة معينة ولا إلى شخص معين غير الرسول، فليس لهم لقب يُعرفون به ولا نسبة ينتسبون إليها سوى الحديث والسنة.. وأنهم ينصرون الحديث الصحيح والآثار السلفية وأهل البدع ينصرون مقالاتهم ومذاهبهم"، وهذا هو.

الأزهر قلعة العلم وعمود فسطاطه، وبصلاحه ينصلح حال الأمة وبفساده يفسد:

ولئن أساغ البعض لنفسه إهمال النصوص فيما ذكرنا لهوى في نفسه، فإنه أولى بأن يُعمِلَها: العلماءُ العاملون المتجردون من ورثة الأنبياء في أنحاء المعمورة، وبخاصة من أبناء الأزهر، فهؤلاء – دون ذوي الرأي والهوى والبدع واستجلاب البلاء والدمار والخراب على أمة الإسلام – هم أولى بالاتباع لو صحت عقائدهم وخلصت نواياهم وحدُّوا من سلطان العقل، ولاسيما أن معهم إلى جانب هذه النصوص: اتفاق الصحابة وإجماع الأمة.

ومما يجب لفت انتباههم إليه من أمور الاعتقاد التي استقر عليها الأوائل بناء وإضافة لما سبق: (جمع الناس على الإمام والدعاء له علنًا والغزو معه)، (وتجنب أهل البدع المخالفين لما سقناه، ومخاصمتهم وعدم مجالستهم)، و(حرمة القتال في الفتنة).. إلخ، ففي (الإبانة عن أصول الديانة) لأبي الحسن الأشعري ص ٤٩ وما بعدها – على سبيل المثال – ما ملخصه:

"ديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا وبسنة نبينا وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، ونقر بما رواه الثقات عن رسول الله لا نرد من ذلك شيئًا، ونؤمن بعذاب القبر وأن الإيمان قول وعمل، ومن ديننا: أن نصلي الجمعة والأعياد خلف كل بر وفاجر، كما روي أن عبد الله بن عمر كان يصلي خلف الحجاج، وأن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافًا لقول من أنكر ذلك، ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف وترك القتال في الفتنة، ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة ومجانبة أهل الأهواء".

وفي (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) للصابوني ما ملخصه: "إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم بصفاته التي نطق بها وحيُه أو شهد له بها رسوله، ومن مذهبهم أن الإيمان قول وعمل، وأن المؤمن وإن أذنب ذنوبًا صغار كانت أو كبائر فإنه لا يَكْفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد فإن أمره إلى الله، ويرون الجمعة والعيدين خلف كل إمام مسلم، برًّا كان أو فاجرًا، ويرون جهاد الكفار معهم وإن كانوا جوَرة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحَيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل، ويتجانبون ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يُحبونهم ولا يَصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مَرَّت بالآذان وقَرَّت في القلوب ضرَّت، وجَرَّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جَرَّت، وهذه الجُمل أجمعوا عليها كلها، ولم يثبت عن أحد منهم ما يُضادها، واتفقوا مع ذلك على: القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم والتقرب إلى الله بمجانبتهم ومهاجرتهم"، وبكل هذا نطق جميع أصحاب العقائد ولم يشذ عن ذلك منهم أحد.

لكن يبقى السؤال أين دور الأزهر من كل هذا الذي نحن وجميع الأمة في مسيس الحاجة إليه؟.. لقد تمخضت جهود الأزهر مؤخرًا إلى أن المشكلة تكمن فيما اعتزمت عليه وزارة الأوقاف ولجنتها في مجلس الشعب في سبتمبر ٢٠١٨ من عودة البرنامج التلفزيوني (ندوة للرأي)، بمشاركة نخبة من العلماء والمفكرين المستنيرين، لمناقشة قضايا الفكر والرأي والتجديد، وأن البرنامج يأتي في إطار التعاون

والتنسيق بين الوزارة والهيئة الوطنية للإعلام، لنشر الفكر الإسلامي الصحيح، وإبراز سماحة الأديان ومواجهة الفكر المتطرف، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، فضلًا عن عمل خطة طموحة لتجديد الخطاب الديني مدتها – حسب جريدة اليوم السابع في ١٣/ ٧، ٤/ ٨/ ٢٠١٨ ([1])– أربع سنوات بتكلفة ١، ٣ مليار جنيه، تهدف إلى: تنفيذ ١٨ ألف قافلة دعوية، ونحو ١٥٠ حملة توعية، و٣٠ ألف ندوة ثقافية، وتنظيم نحو ٣٠٠ دورة تدريبية، والتوسع في لجان الفتاوى الدينية من ٢٣٠ حاليًا إلى ٤٥٦ لجنة بنهاية البرنامج، وزيادة عدد الوعاظ ليصل لـ ١٠ آلاف في نهاية ٢٠٢٢ بدل من ٤١٠٥ حاليًا.

وهذا كله ليس كافٍ بالمرة، فالمشكلة أكبر من هذا بكثير وأعقد، وتكمن في أن أفكارًا توارثتها أجيالنا على مدار عقود بل قرون مضت، ولا يزال الأزهر عاجزًا عن مواجهتها، لا لشيء إلا لأنه وضع نفسه في قالب أشعري لا يريد أن يخرج منه إلى ما هو أرحب، ولا أرحب ولا أفضل ولا أوسع من الرجوع في كل أمور الاعتقاد إلى ما صلح به أول هذه الأمة، ومن جعل مصدر التلقي فيها ليس العقل وإنما الشرع([2])، كون الخلاف في مسائل الأصول والاعتقاد لا يسع والحق فيهما واحد لا يتعدد ولا يتجزأ.

وإدراكًا منا لأهمية تقييم هذه الخطة للخروج بنتائج أفضل.. نقول: إن ما جاء بأطروحة الوزارة لا يلبي طموحات شعوبنا العربية والإسلامية، نظرًا لأن الخطة التي وضعتها الوزارة لن تقضي البتة على التطرف ولن تجدي مثقال ذرة، مع وجود عقيدة تحتاج إلى إعادة نظر، ولا تدعو إلى صحيح الاعتقاد ووسطيته بحق، ولا تحارب وتبدِّع الخروج على حكام المسلمين، ولا تحث على الدعاء لهم بالصلاح والهداية، ولا تحض على السمع والطاعة لهم في غير معصية.. وإنما نروم فيما نطرحه هنا تحقيق ما تطمح إليه أمتنا من إيجاد عقيدة صحيحة مجمع عليها تتضمن كلَّ ذلك، وتنعقد عليها قلوب أبنائنا بالأزهر وغيره من المعاهد الدينية على مستوى عالمينا العربي والإسلامي، وتَجمع الأمة على كلمة سواء.

ونحن في إطار حديثنا عن جهود السابقين من جهابذة العلم وما بذلوه من جهود حثيثة لمجابهة التطرف والإرهاب في عصورهم.. وتأكيدًا منا: على ضرورة أن تثمر هذه الجهود، وعلى أهمية إيجاد عملٍ إيجابي يشارك فيه شيوخ الأمة وعلماؤها، ويهدف لوضع تصور حقيقي وعملي لمواجهة التطرف والإرهاب يقوم على عقيدة صحيحة ملزمة، ولا يقتصر على جهة ما.. وسعيًا منا: لعمل محاكاة لما تعتزم عليه الوزارة تروم الوصول إلى كلمة سواء، ولوضع خريطة واضحة المعالم تستقي مبادئها من جهود الأوائل وتستوعب ما سبقها من تجارب.. وأملًا في وضع مناهج عقدية تتربى عليه أجيالنا القادمة في الأزهر ومعاهد العلم وتنعقد عليها قلوب أبنائنا وتكون سببًا في إصلاح البلاد والعباد.. ومن خلال قناعتنا بأن آخر هذا الزمان لن ينصلح إلا بما صلُح به أوله.. يأتي حديثنا هنا عن معتقدات أئمة الهدى.

ونظرًا لكثرتها مع كونها واحدة فسنتخير بعضًا منها، وإلا فكل ما كتبوه في باب الاعتقاد تكاد تراه مكرورًا، لما سبق أن قلنا أن ثوابت الدين وأصوله من الأمور المجمع عليها، وأن الحق في قضايا الاعتقاد واحد لا يتعدد.. والله نسأل أن يحيينا على حَيُوا عليه ويميتنا على ماتوا عليه.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

****

([1]) ومما جاء في اليوم السابع بهذا الصدد من أخبار:

=(افتتاح أكبر أكاديمية في العالم لتدريب وتأهيل الأئمة والدعاة في مصر والعالم العربي، من خلال علماء أكفاء ومستنيرين في شتى المجالات، وذلك خلال شهر أكتوبر المقبل، من أجل نشر الوسطية والاعتدال في العالم أجمع).

= برنامج الحكومة يخصص ٣.١ مليار جنيه لتجديد الخطاب الدينى.. الجمعة، ١٣ يوليه ٢٠١٨ ١٢:٠٠ ص

حرص برنامج الحكومة لعام ١٨/ ٢٠١٩ – ٢١/ ٢٠٢٢، والذي حمل عنوان "مصر تنطلق"، على دعم الجانب الدعوى وتجديد الخطاب الديني لمواجهة الفكر المتطرف وتفتيت الإرهاب بالتوازي مع المواجهات الأمنية، من خلال مجمع البحوث الإسلامية، باعتباره الجناح الدعوى لمؤسسة الأزهر الشريف، وذلك بتخصيص ٣.١ مليار جنيه لتنفيذ عدد من الحملات والإجراءات التي تهدف وتضمن نشر الفكر الوسطى وضمان الريادة المصرية في نشر تعاليم الدين الإسلامي الوسطى، ونص البرنامج على تنفيذ ١٨ ألف قافلة دعوية ونحو ١٥٠ حملة توعية و٣٠ ألف ندوة ثقافية وتنظيم نحو ٣٠٠ دورة تدريبية، والتوسع في إنشاء لجان الفتاوى الدينية من ٢٣٠ لجنة حاليا إلى ٤٥٦ لجنة بنهاية البرنامج، وزيادة عدد الوعاظ من ٤١٠٥ حاليا لـ ١٠ آلاف واعظ بنهاية عام ٢٠٢٢.

= صوت الأمة ٨/ ٨/ ٢٠١٨: أعلنت حكومة الدكتور مصطفى مدبولي، عن بدء تنفيذ خطة متكاملة على مدار ٤ سنوات في الفترة من ٢٠١٨ حتى ٢٠٢٢، لتجديد الخطاب الديني، ونشر سماحة الدين الإسلامي في مواجهة التطرف الفكري، والأعمال الإرهابية التي تنتج عن عدم الفهم الصحيح لأمور الدين، وتصويب المفاهيم الخاطئة والمغلوطة، من خلال أنشطة دعوية وتدريبية وتوعوية من شأنها مواجهة ما تروجه الجماعات الإرهابية المتطرفة.

([2]) إذ ذاك الأمران – أعني: الرجوع في أمور الاعتقاد لمنهج السلف، وإعمال الشرع.. هما الأساس، وبغيرهما ينهدم أي بناء أو إصلاح

الباب الأول:
مجمل عقائد سلف الأمة وتابعيهم من أهل السنة في قضايا: التكفير، والقتال في الفتنة، ومنازعة حكام المسلمين والخروج عليهم

الفصل الأول: المسكوت عنه الواجب اتباعه في عقيدة أئمة القرون الثلاثة الأولى الخَيِّرة، بشأن قضايا: التكفير، والقتال في الفتنة، والتشيع، ومنازعة حكام المسلمين والخروج عليهم

المبحث الأول: معتقد أئمة العلم وحُفّاظ الحديث من التابعين وتابعيهم: (الثوري، والرازيَّيْن: أبي زُرْعَة، وأبي حاتم.. نموذجًا)؛ يقضي بالنهي عن تكفير أهل القبلة وعن الخروج على الأئمة والقتال في الفتنة والسماع لأهل البدع

وكما قلنا ونكرر فإنه وفي إطار حديثنا عن جهود السابقين من جهابذة العلم وما بذلوه من جهود حثيثة لمجابهة التطرف والإرهاب في عصورهم، وسعيًا لوضع خريطة واضحة واضحة المعالم تستقي مبادئها من جهود الأوائل وتستوعب ما سبقنا من تجارب، وأملًا في وضع مناهج عقدية تتربى عليه أجيالنا القادمة في الأزهر ومعاهد العلم وتنعقد عليها قلوب أبنائنا وتكون سببًا في إصلاح البلاد والعباد.. يأتي حديثنا هنا عن معتقدات أئمة الهدى: (الثوري)، و(أبي زُرعة)، و(أبي حاتم).. لكن بعد إلقاء الضوء على سيرتهم وما أسفرت عنه جهودهم العلمية في خدمة أمتهم ودينهم ودنياهم.

فالثوري، هو: الفقيه الكوفي أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق، سيدُ العلماء العاملين في زمانه، وأحدُ أعلام الزهد عند المسلمين، وإمامٌ من أئمة الحديث، وواحدٌ من تابعي التابعين، قال عنه سفيان بن عيينة: "ما رأيت رجلًا أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري"، كما قال عنه بشر الحافي: "سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما"، وقال الذهبي: "هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه"، ومما قاله عنه: "قد كان سفيان رأسًا في الزهد والتألّه والخوف، رأسًا في الحفظ، رأسًا في معرفة الآثار، رأسًا في الفقه، لا يخاف في الله لومة لائم، وكان من أئمة الدين".. نشأ الثوري في الكوفة وتلقّى العلم بها، ونوّه الكثيرون بذكره منذ صغره لفرط ذكائه وحفظه حتى إنه جلس وحدّث وهو ما زال شابًا، وسمع من عدد كبير من العلماء حتى صار إمامًا لأهل الحديث، طلبه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ومِن بعده ابنه المهدي لتولي القضاء فتهرّب منهما وأعياهما، إلى أن غضبا عليه وطورد حتى توفي متخفيًا في البصرة سنة ١٦١هـ.

وأبو زُرْعَة، هو: الإمام الثقة سيد الحفاظ، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي.. كان أحمد يعظمُه، وإذا جالسه ترك أحمد نوافله واشتغل عنها بمذاكرته، وقد رُوى عنه أنه قال: (صح من الحديث سبعمائة ألف حديث، وهذا الفتى –يعني: أبا زُرعة– يحفظ ستمائة ألف حديث).. أفاد الذهبي في السير ١٣/ ٦٦: أنه طلب العلم وهو حدث، وارتحل إلى الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وكتب ما لا يوصف كثرةً، حتى قال عن نفسه: (كتبت عن إبراهيم بن موسى الرازي مائة ألف حديث، وعن أبي بكر بن أبي شيبة مائة ألف)، وقال إسحاق بن راهويه: (كلُّ حديث لا يعرفه أبو زُرعة فليس له أصل)، قال ابن أبي شيبة: (ما رأيت أحفظ من أبي زرعة) يعني: في الحديث.. وقال علي بن الجنيد: (وكذلك سائر العلوم) ويشهد لذلك قوله: (أنا أحفظ في القراءات عشرة آلاف حديث).. قال أبو بكر الخطيب: (كان إمامًا ربانيًا، حافظًا متقِنًا مُكْثِرًا صادقًا)، وقال يونس بن عبد الأعلى: (ما رأيت أكثر تواضعًا من أبي زرعة، هو وأبو حاتم إماما خراسان، وبقاؤهما صلاح للمسلمين)، وقال: (إن أبا زُرعة أشهر في الدنيا من الدنيا)، وعن الذهلي: (لا يزال المسلمون بخير ما أبقى الله لهم مثل أبي زُرعة، وما كان الله ليترك الأرض إلا وفيها مثل أبي زُرعة، يُعَلّم الناس ما جهلوه)، وقال القاسم بن صفوان: سمعت أبا حاتم يقول: (أورع من رأيت أربعة: آدم بن إياس، وأحمد بن حنبل، وثابت بن محمد الزاهد، وأبو زُرعة) قال القاسم: فذكرته لعثمان بن خرزاذ فقال: (وأنا أقول أحفظ من رأيت أربعة: محمد بن المنهال الضرير، وإبراهيم

بن عرعرة، وأبو زُرعة، وأبو حاتم).. وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ: "هو الإمام حافظ العصر.. كان من أفراد الدهر حفظًا وذكاءً وديانًا وإخلاصًا وعلمًا وعملًا".. وقال أبو يعلى الموصلي: "جَمَعَ حفظ الأبواب والشيوخ والتفسير، وكتبنا بانتخابه بـ(واسط) ستة آلاف حديث".. وقال ابن الجوزي في صفة الصفوة: "كان من كبار الحفاظ وسادات أهل التقوى".. وجاء عن الحافظ ابن رجب الحنبلي أنه "أحد الأعلام، وحفاظ الإسلام، وكان من الصلاح والعبادة والخشية بمحل عظيم"، وأورد عن أبي حاتم قوله: (ما خلّف أبو زُرعة بعده مثله: علمًا، وفقهًا، وصيانة، وصدقًا!".

تلك هي بعضُ شهادات جهابذة العلم له.. ناهيك عما خلفه من مؤلفات، قام بحصرها وتوثيقها د: سعدي الهاشمي في دراسته عن أبي زُرعة.. توفي أبو زرعة سنة ٢٦٤هـ وقد سمعه ابن عمه يقول في مرضه الذي مات فيه: (اللهم أني اشتاق إلي رؤيتك، فإن قال لي: بأي عمل اشتقتَ إلي؟، قلت: برحمتك يا رب)، وبعدها رآه محمد بن مسلم في المنام فقال له: ما فعل بك ربك؟؛ فقال: قربني وأدناني وقربني وأدناني ثم قال: (ألحقوه بأبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله)، قال محمد بن مسلم: فوقع في نفسي في النوم: (سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل).. رحم الله الجميع بقدر ما قدموا للإسلام والمسلمين.

وأبو حاتم الرازي، هو: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، الإمام الحافظ الناقد الكبير، أحد الأعلام وشيخ المحدثين، كان –كما في السِّير ١٣/ ٢٥٠– من بحور العلم، طاف البلاد وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنف، وجرح وعدّل، وصحّح وعلّل، وهو من نظراء البخاري ومن طبقته، تتلمذ على مشايخ كُثر يتعذر استقصاؤهم، قيل إنهم بلغوا: قريبًا من ثلاثة آلاف، وقد حدّث في رحلاته بأماكن، وارتحل بابنه ولقي به أصحابَ ابن عيينة ووكيع، وقال النسائي: (إنه ثقة) وكذا قال عن أبي زُرعة، وقال الخلال: (أبو حاتم إمام في الحديث)، وقال أبو نعيم: (إمام في الحفظ والفهم)، وقال الخطيب: (كان أحد الأئمة الحفاظ الأثبات مشهورًا بالعلم مذكورًا بالفضل)، وقال اللالكائي: (كان إمامًا حافظًا متثبّتًا) وكان قد ذكره في شيوخ البخاري؛ وقال الخليلي: (كان أبو حاتم عالمًا باختلاف الصحابة وفقه التابعين ومَن بعدهم، سمعت جدي وجماعة سمعوا القطان يقول: ما رأيت أجمع من أبي حاتم ولا أفضل منه).

وكان أحمد الرقام قد روى عن أبي زُرعة قوله لأبي حاتم: (ما رأيت أحرص على طلب الحديث منك؛ فقال: إن عبد الرحمن ابني لحريص، فقال: مَن أشبه أباه فما ظلم)، قال الرقام: (فسألت عبد الرحمن عن اتفاق كثرة السماع له، وسؤالاته لأبيه، فقال: ربما، كان يأكل وأقرأ عليه! ويمشي وأقرأ عليه! ويدخل الخلاء وأقرأ عليه! ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه)؛ وقال ابن كثير في البداية: (أبو حاتم أحد الأئمة الحفاظ الأثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل)، وقال الذهبي في العبر: هو (حافظ المشرق.. بارع الحفظ واسع الرحلة، من أوعية العلم.. كان جاريًا في مضمار البخاري وأبي زُرعة)، وقال أحمد بن سلمة النيسابوري: (ما رأيت بعد إسحاق ومحمد بن يحيى أحفظ للحديث من أبي حاتم الرازي، ولا أعلمَ بمعانيه)، توفي رحمه الله سنة ٢٧٧.

أ-مجمل معتقد الثوري، وفيه "الصبر تحت لواء السلطان جارَ أم عدَل" والجهاد معه، كما فيه الرد على أهل الإرجاء والتشيع والتكفير:

كتب الثوري لشعيب بن حرب فيما ينفعه الله به ويكون سببًا في نجاته: "القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود"، وذلك في إشارة إلى ردِّ ما قالته الجهمية ومن تبعهم من الأشاعرة وغيرهم، من: (أن القرآن ليس كلام الله وإنما هو عبارة عنه، قد ألهمه الله جبريل فبلَّغه محمدًا ﷺ ونزل به عليه)، زعمًا منهم أن الكلام اللفظي المنزل والمكون من صوت وحرف يتنزه عنه كلام الله تعالى، وهذا أمر شرحه يطول.. ويقول الثوري في ردِّ ما تكلم به أهل الإرجاء في تهوينهم من شأن العمل، وما فاه به الخوارج في تكفيرهم مَن ترك شيئًا منه، وما أكثر هؤلاء وأولئك في زماننا: "الإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة"، وفي جوابه عمن لديه شك في إيمان الصحابة وعدالتهم، ولا يقْدرُهم قدرَهم من جميع فرق التشيع، يقول الثوري رحمه الله جوابًا عن سؤال شعيب (وما موافقة

السنة؟)–: "تقدُمَةُ الشيخين: أبي بكر وعمر، يا شعيب؛ لا ينفعك ما كتبت حتى تقدم عثمان وعليًا مِن بعدهما، يا شعيب؛ لا ينفعك ما كتبتَ حتى لا تشهد لأحد بجنة ولا نار إلا للعشرة الذين شهد لهم رسول الله.. ولا ينفعك ما كتبتَ حتى تؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره، وأن كلًا من عند الله".

والحق أن الثوري كان حاسمًا في آرائه حول الفرق التي عاصرته، فقد رُوي أن واحدًا جاءه فسأله: "رجلٌ يُكذِّب بالقدر، أصلي وراءه؟، فقال سفيان: (لا تقدموه)، قال: هو إمام القرية ليس لهم إمام غيره، قال: (لا تقدموه، لا تقدموه)، وجعل يصيح"، كما سَمِع ابن المبارك سفيان يقول: "الجهمية كفار، والقدرية كفار"، وكان المُؤَمَّل بن إسماعيل قد نقل عنه قوله: "خالفتنا المرجئة في ثلاث؛ نحن نقول: (الإيمان قول وعمل)، وهم يقولون: الإيمان قول بلا عمل، ونحن نقول: (يزيد وينقص)، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص، ونحن نقول: (نحن مؤمنون بالإقرار)، وهم يقولون: نحن مؤمنون عند الله".

وفي جوابه عمن يلوكون بألسنتهم الحداد الحكام من أهل السنة –مسفهين ومنفرين ومهيجين ومحرضين ومحقرين، بل ومكفرين إياهم أحيانًا ومخرجيهم من الملة– يقول الثوري ناصحًا شعيبًا ومِن ورائه كلَّ من يصلح له الخطاب: **"يا شعيب؛ لا ينفعك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر، والجهادُ ماض إلى يوم القيامة، والصبرُ تحت لواء السلطان جار أم عدل"**.. ثم يختم كلامه في ثقة لا تطرق إليها أدنى ريب فيقول: "يا شعيب: إذا وقفتَ بين يدي الله فسألك عن هذا، فقل: يا رب، حدثني بهذا سفيان الثوري، ثم خلِّ بيني وبين ربي"إ.هـ.

ب- معتقد أبي زُرعة وأبي حاتم الرازيَّين يقضي: بالكف عما شجر بين الصحابة، وبالنهي عن تكفير أهل القبلة وعن الخروج على الأئمة والقتال في الفتنة والسماع لأهل البدع والضلال:

وذلك فيما رواه بسنده عنهما أبو القاسم اللالكائي، قال: "أخبرنا محمد بن المظفر المُقرئ، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن حبَش المُقْرِئ قال: حدثنا ابن أبي حاتم قال: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك؟، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار –حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا– فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، والقدَر خيره وشره من الله، وخير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون المهديّون.. وأن العشرة الذين سمَّاهم رسول الله وشهد لهم بالجنة، على ما شهد به ﷺ، وقولُه الحق، والترحم على جميع أصحاب محمد والكف عما شجر بينهم.

وأن الله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيفَ؟، أحاط بكل شيء علمًا (لَيْس كَمثله شيءٌ وهُوَ السَّميع الْبَصِيرُ.. الشورى/ ١١)، وأنه تعالى يُرى في الآخرة، يراه أهل الجنة بأبصارهم ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء، والجنة حق والنار حق، وهما مخلوقان لا يفنيان أبدًا، والجنة ثوابٌ لأوليائه والنار عقاب لأهل معصيته إلا من رحم الله.. والشفاعة حق، وأن ناسًا من أهل التوحيد يخرجون من النار بالشفاعة حق، وعذاب القبر حق، ومنكر ونكير حق.. والبعث من بعد الموت حق، وأهل الكبائر في مشيئة الله، **ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم ونكل أسرارهم إلى الله.**

ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان"، تأمل: (في كل دهر وزمان)، كذا بما يحسم أمر الخلاف على الخروج عليهم بالجور و"الفسق والظلم وتعطيل الحقوق"، ويؤكد صدق مقولة من ذهب إلى أن "الخلاف كان أولًا، ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم" كذا قاله عياض فيما نقله عنه النووي في شرح مسلم ١٢/ ١٨١ مجلد٦.. ويواصل أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم كلامه فيما يحكيه عن أبيه وعن أبي زُرعة، فيقول مؤكدًا:

"ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا، ولا ننزع يدًا من طاعة، ونَتّبع السنة والجماعة ونجتنبُ الشذوذ والخلاف والفُرقة، وإن الجهاد ماض مذ بعث الله نبيه عليه السلام إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطله شيء، والحج كذلك.. والناس مؤمنون في أحكامهم ومواريثهم ولا ندري ما هم عند الله.. والمرجئة والمبتدعة ضُلاّل، والقدرية

المبتدعة ضلال، فمن أنكر منهم: أن الله يعلم ما لم يكن قبل أن يكون فهو كافر، وأن الجهمية كفار، وأن الرافضة رفضوا الإسلام، والخوارج مُراقٌ –يعني: للحديث، وفيه ما يؤكد عدم جواز توليهم أمور المسلمين كما هو الحاصل في زماننا وإن أخفوا ذلك وفعلوا الأفاعيل– ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرًا ينقل عن الملة، ومن شك في كفرهم ممن يفهم فهو كافر، ومن شك في كلام الله، يقول: (لا أدري مخلوق أو غير مخلوق) فهو جهمي، ومن وقف في القرآن جاهلًا عُلِّم وبدِّع ولم يُكَفّر.

قال أبو محمد: وسمعت أبي يقول: (وعلامة أهل البدع الوَقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار، وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة القدرية: تسميتهم أهل الأثر مجبرة، وعلامة المرجئة: تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية، وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل السنة ناصبة، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء.. قال: وسمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع ويغلِّظان في ذلك أشد التغليظ، وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار –وما أكثرها في زماننا وفي جل بلدان المسلمين– وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين، ويقولان: (لا يُفلح صاحب كلام أبدًا).

قال أبو محمد –عبد الرحمن بن أبي حاتم–: (وبه أقول أنا)، وقال أبو علي بن حبش المقري –الراوي عن أبي محمد–: (وبه أقول)، وقال شيخنا ابن المظفر –الراوي عن ابن حبش–: (وبه أقول)، وقال شيخنا –يعني: اللالكائي المصنف–: (وبه أقول)، وقال الطُرَيثيثيُّ –راوي اعتقاد (شرح أصول السنة) عن اللالكائي–: (وبه أقول)، وقال شيخنا السُّلَفي –هو الراوي عن الطُّريثيثي–: (وبه نقول)"إ.هـ.. هذا، وقد روى ابن قدامة المقدسي جزءًا من هذا المعتقد بإسنادَين مختلفين في كتابه (إثبات صفة العلو)، كما روى الذهبي جزءًا منه بسنده في (سير أعلام النبلاء) ج ١٣ ص ٨٤.

جـ وفيما انفرد به أبو حاتم ما يؤكد أيضًا: ترك الكتب المبتناة على غير أثر، وعدم الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة:

يقول أبو حاتم الرازي فيما رواه اللالكائي ورآه في بعض كتب أبي حاتم مما سُمَع منه: "مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله وأصحابه والتابعين ومن بعدهم بإحسان، وترك النظر في موضع بدعهم، والتمسك بمذهب أهل الأثر مثل أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم، وأبي عبيد القاسم بن سلام، والشافعي.. ولزوم الكتاب والسنة، والذب عن الأئمة المتبعة لآثار السلف، واختيار ما اختاره أهل السنة من الأئمة في الأمصار مثل: مالك في المدينة، والأوزاعي بالشام، والليث بمصر، والثوري وحماد بن زيد بالعراق من الحوادث مما لا يوجد فيه رواية عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وترك رأي الملبِّسين المُمَوِّهين المزخرِفين المُمخرِقين الكذّابين.

وكلام الله وعلمه وأسماؤه وصفاته وأمره ونهيه ليس بمخلوق بجهة من الجهات، ومن زعم أنه مخلوق مجعول فهو كافر بالله كفرًا ينقل عن الملة، ومن شك في كفره ممن يفهم ولا يجهل فهو كافر.. والاتباع للأثر عن رسول الله وعن الصحابة والتابعين بعدهم بإحسان، وترك كلام المتكلمين وترك مجالستهم وهجرانهم، وترك مجالسة من وضع الكتب بالرأي بلا آثار.

واختيارنا أن الإيمان قول وعمل، إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأركان.. وجميع فرائض الله التي فرض على عباده: العمل به من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص، ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض، ونؤمن بالمساءلة في القبر وبالكرام الكاتبين، وبالشفاعة المخصوص بها ﷺ ، ونترحم على جميع أصحاب النبي، ولا نسب أحدا منهم.. ونعتقد أن الله على عرشه بائن من خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولا نرى الخروج على الأئمة ولا نقاتل في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولى الله أمرنا، ونرى الصلاة والحج والجهاد مع الأئمة، ودفع صدقات المواشي إليهم، ونؤمن بما جاءت به الآثار الصحيحة بأنه يخرج قوم من النار من الموحدين بالشفاعة.. وفقنا الله وكل مؤمن لما يحب ويرضى من القول والعمل، وصلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد لله رب العالمين"إ.هـ باختصار.

د-الأئمة الثلاثة –على غرار نظرائهم– يحذرون من (البدع وأهلها وبخاصة ممن أصلوها وضعوا فيها الكتب)، كونهما أساس كل مصيبة تحل بالأمة ومصدر كل فتنة:

ومن يتأمل كلام الثوري والرازيَين في معتقدهم يَلحظ التأكيد على هجر البدع، وذكر سمات أهلها وضرورة التحذير منهم والتغليظ عليهم وترك مجالستهم، وعدم التأثر بكتبهم التي هي مما يوحي به شياطين الجن إلى شياطين الإنس زخرف القول غرورًا، وتخالف آثار أئمة السلف الماضين.. كما يَلحظ أن اللالكائي نفسه الذي ساق هذه المعتقدات أكد على هذا، ذلك أنهما –البدع وأهلها– أضر على الإسلام والمسلمين من أعداء الإسلام، إذ في ظل أجوائهما تجدُ الأفكار الهدامة والآراء المخالفة والفتاوى المغلوطة التي: تحرف الكلم عن مواضعه، والتي: تحرم الحلال وتحل الحرام، وتسبيح الأعراض والدماء، وتوقع منفذيها تحت مسمى الخوارج ومن (يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية)، والتي: تنسف ضوابط الجهاد المشروع فتبيحه تارة بـ(غير إذن الوالدين) وتارة بـ(دون إمرة) وثالثة (وراء إمام غير ممكن).

بل وتجد من يُشعل الفتن ويدير الحروب تحت (رايات عُمِّيَّة)، وهي –كما سبق أن ذكرنا– التي الأمر فيها معمى لا يستبين وجهه كما قاله أحمد والجمهور، والتي بحقها قال عليه السلام كما في مسلم (١٨٤٨): (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات، مات ميتة جاهلية، ومن قُتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لِلعصبة ويقاتل للعَصبة فليس من أمتي، ومن خرج من أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي بذي عهدها، فليس مني)، وذاك ما يفسر أن جلَّ ضحايا هذه الحروب مسلمين أو معاهَدين ومستأمنين، وحسبك من كل ذلك تحذير نبينا الوارد في قوله المتفق عليه: (لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض)، وقوله كما في البخاري (٣١٦٦): (من قتل معاهَدًا لم يرِح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا).

لأجل هذا وغيره من مفسدات الدين ومتبعات الأهواء والخصومات، كان التحذير من البدع والمبتدعين، ففي بداية كتاب اللالكائي (شرح أصول السنة)، وعقب ما عقده تحت باب: (ما روي عن النبي في الحث على اتباع الجماعة والسواد الأعظم، وذم تكلف الرأي والرغبة عن السنة، والوعيد في مفارقة الجماعة)، وما أدرجه تحت هذا الباب من نصوص في ذلك هي من الأهمية بمكان.. جاء كلامه عن (سياق ما روي عن النبي في النهي عن مناظرة أهل البدع وجدالهم، والمكالمة معهم والاستماع إلى أقوالهم المحدثة وآرائهم الخبيثة)، فذكر في ذلك النصوص من القرآن والسنة، ثم ذكر تحته من أقوال الأئمة فيما ذكر، قول ابن مسعود ﷺ : (إياكم وما يُحدِثُ الناس من البدع، فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرَّة، ولكن الشيطان يحدث له بدعًا حتى يخرج الإيمان من قلبه، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة والصيام والحلال والحرام، فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب)، قيل: يا أبا عبد الرحمن: فإلى أين؟ قال: (إلى لا أين، يمكث في مكانه، يهرب بقلبه ودينه لا يجالس أحدًا من أهل البدع).

يعني: لأن كل مكان فيه من البدع والشر ما فيه.. وصدق فوالله إن لفِعْل شياطين الإنس في ذلك من الأخطار ما لا يقَدَّر قدرُه، وما لا يساوي فعل الشيطان شيئًا بجواره.

كما ساق اللالكائي فيما ساق، قول عمر ابن الخطاب: (إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي، فضلوا وأضلوا)، وقوله: (اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتُني أرد أمر رسول الله برأيي اجتهادًا مني، ووالله ما آلو عن الحق، وذلك يوم أبي جندل –في صلح الحديبية– والكتاب بين رسول الله وأهل مكة، فقال: اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: بل اكتب باسمك اللهم؛ قال: فرضي ﷺ وأبيتُ عليهم، حتى قال: يا عمر تراني قد رضيتُ وتأبى، قال: فرضيتُ).

وقول سهل بن حنيف بصفين: (يا أيها الناس! اتهموا رأيكم، فو الله لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أني أستطيع أن أرد من أمر رسول الله لرددته) –يعني: لأن الأمر فوق طاقتنا، ومرادهما: أنه إذا اختلف عقلك ورأيك وفهمك مع دين الله فلا تتهم الدين كما يفعل المعتزلة، إذ إنهم يقولون: الأصل عندنا العقل، والدين يقاس عليه، فما وافق العقل فهو دين الله وما خالفه فليس دينًا، فإن كان حديثًا ردوه، وإن كان آية أولوها تأويلًا يتناسب مع العقل، فجعلوا الميزان عقولهم، والدين يعرض على العقل بعد ذلك، بخلاف

منهج أهل السنة والجماعة، فإن الميزان الذي توزن به الأقوال والأعمال هو كتاب الله وسنة رسوله بفهم السلف، فما وافق ذلك فهو دين الله، وما خالفه فلا يمكن أبدًا أن يكون دينًا إذ لا يسوغ لمؤمن بحال أن يقدم آراءه وعقله على كتاب الله وصحيح سنة نبيه.

والأمر بالطبع ينسحب على أصحاب الأهواء ممن يظنون في أنفسهم أنهم دائما على الحق المبين وأنهم يمثلون الإسلام خلافًا للغير الذي يجب عليه أن ينفذ أوامرهم ولو في المعاصي والعياذ بالله، بل قد يصل الأمر أن يأتوا بالآي المخاطب بها الرسول وأصحابه ليسقطوها على أنفسهم ظنًا منهم أن سواهم هم من أهل الكفر والنفاق والتردد والشقاق، بينا القاعدة في كل ذلك وقد علَّمَناها رسول الله: أن (من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)، وأن (الطاعة في المعروف)، وأنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)– قال أبو العالية: (إياكم وهذه الأهواء التي تُلقِى بين الناس العداوة والبغضاء)، وقال: (ما أدري أي النعمتين عليَّ أعظم: أن أخرجني الله من الشرك إلى الإسلام، أو عصمني في الإسلام أن يكون لي فيه هوىً).

وعن الشَّعبي: (إنما سُميت الأهواء، لأن تهوي بصاحبها إلى النار)، وعن أبي الجوزاء: (لأن يجاورني في داري قردة وخنازير، أحب إليّ من أن يجاورني أحدٌ من أصحاب الأهواء)، وعن الحسن: (أهل الهوى بمنزلة اليهود والنصارى)، وعن الأوزاعي: (أن إبليس لقي جنوده يشاورهم كيف يأتون بني آدم، حتى قال: لآتينهم من قِبَل ذنب لا يستغفرون منه، فبث فيهم الأهواء) فهي إذًا باب الشيطان إلى الإنسان، ولذا صح في ذلك قول سفيان الثوري: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، والمعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها)، وهذا ما أجمع عليه أئمة السلف، قال ثابت بن العجلان: (أدركت أنس بن مالك، وابن المسيب، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، والشعبي، وإبراهيم النخعي، وعطاء بن أبي رباح، وطاووس، ومجاهد، وابن أبي مليكة، والزهري، ومكحول، والقاسم.. وعد ناسًا كثيرة وقال: (كلهم يأمرونني بالجماعة، وينهوني عن أصحاب الأهواء).

وكان الحسن البصري يقول: (لا تجالسوا أهل الهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم)، وقد دخل رجلان من أهل الأهواء على محمد بن سيرين، فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث واحد؟، فقال: (لا)؛ قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟، قال: (ولا آية، تقومان عني وإلا قمت) فلما سئل عن ذلك قال: (إني كرهت أن يقرآ آية، فيحرفانها فيقرّ ذلك في قلبي).. وورد عن الحسن البصري قوله: (صاحب البدعة لا يَقبلُ الله له صلاة، ولا صيامًا، ولا حجًا، ولا عمرة، ولا جهادًا، ولا صرفًا، ولا عدلًا)، وعنه: (لا يقبل الله من صاحب البدعة شيئًا)، وعنه: (ثلاثة ليست لهم حرمة في الغيبة، وذكر منهم: صاحب البدعة الغالي ببدعته)، وعنه: (ليس لصاحب بدعة ولا لفاسق يعلن بفسقه غيبة).

وعن أبي قلابة بحق أهل البدع والأهواء: (لا تجالسوهم ولا تخالطوهم؛ فإني لا آمن عليكم أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم كثيرًا مما تعرفون فتهلكوا) وهذا من فقهه في الدين، ومما وصى به أبو قلابة أيوب السختياني: (احفظ عني أربعًا.. وذكر منها: ولا تمكن أصحاب الأهواء من سمعك) أي: لا تسمع لهم ولا كلمة؛ لأنك لو سمعت هلكت، قال أبو قلابة: (ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف)، ولا غرو؛ فهم بين نقمتين، الأولى: الانحراف عن المنهج العقائدي، والثانية: أنهم يتصورون أن عقيدتهم هي الحق، فتحملهم هذه العقيدة الباطلة على الخروج بالسيف.

هذا، ومما أثر عن عمر بن عبد العزيز في واحدة من أهم علامات أهل البدع والأهواء، قوله: (إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة)، وعن محمد بن النضر الحارثي قوله: (من أصغى سمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم أنه صاحب بدعة، نزعت منه العصمة، ووُكِلَ إلى نفسه)، وعن التحذير من البدعة وصاحبها قال قتادة موصيًا الأحول: (يا أحول، إن الرجل إذا ابتدع بدعة، ينبغي لها أن تذكر حتى تُحذر)، وإنا والله لنجد في زماننا ما هو على العكس من ذلك، وتلك هي الفتنة بعينها، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي تأكيد ما سبق، يقول يحيى بن كثير: (إذا لقيت صاحب بدعة في طريق، فخذ في غيره)، ويقول ابن المبارك موصيًا: (إياك أن تجالس صاحب بدعة)، ويقول الفضيل بن عياض: (من أتاه رجل فشاوره، فدله على مبتدع فقد غش الإسلام، واحذروا الدخول على صاحب البدع؛ فإنهم يصدُّون عن الحق)، وقال:

(لا تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة)، وقال: (لا تجلس مع صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه)، وقال: (صاحب البدعة لا تأمنه على دينك، ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه، فمن جلس إلى صاحب بدعة ورَّثه الله العمى)، وقال: (علامة النفاق: أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة)، أي: يترك مجلس أهل السنة ويجلس مع أهل البدعة، وقال: (أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة، وينهَون عن أصحاب البدع)، وقال: (طوبى لمن مات على الإسلام والسنة، فإذا كان كذلك فليُكثر من قول: ما شاء الله)، وقال: (لا يرفع لصاحب بدعة إلى الله عمل).

وعن إبراهيم بن ميسرة قوله: (من وقّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام)، وعن عبد الله بن عمر السرخسي قوله: (أكلت عند صاحب بدعة أكلة فبلغ ذلك عبد الله بن المبارك، فقال: والله لا أكلمك ثلاثين يومًا)، وعن ابن المبارك: (لم أر مالًا أمحق من مال صاحب البدعة)، وقوله: (اللهم لا تجعل لصاحب بدعة عندي يدًا فيحبه قلبي)، وقوله: (صاحب البدعة على وجهه الظلمة، وإن ادَّهن كل يوم ثلاثين مرة).. وعن إبراهيم النخعي: (ليس لصاحب البدعة غيبة)، وعن عطاء الخراساني قال: (ما يكاد الله أن يأذن لصاحب بدعة بتوبة)، وقال رجل من أصحاب الأهواء لأيوب السختياني: أسألك عن كلمة، فولى أيوب وهرب وهو يقول: (لا؛ ولا نصف كلمة، لا تسألني عن شيء) مرتين، ويشير بأصبعيه، وعن مالك بن أنس إمام دار الهجرة، قوله: (كلما جاءنا رجل أجدل، تَركْنا ما نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ لجدله).

تلك هي عقيدة الإسلام ووصايا أئمته، ومن ورائهما الحِفَاظ على أسس الدين وأصوله التي انبنى عليها والتي أجمع عليها الماضين الأوائل من أئمة السلف ممن شهد الرسول لهم ولمن تبعهم بإحسان بالخيرية.. فهل من مشمر للسير على هداهم والتجرد في اتباعهم حفاظًا على دين الله ونهج رسوله؟.. هذا ما ينبغي على كل مسلم أن يشغل في الإجابة عنه فكره وعقله، وأن يجعله واقعًا عمليًا في حياته

المبحث الثاني: معتقد (الإمام البخاري، وشيخه عليِّ بن المديني).. ينهى بشدة عن تكفير الموحِّد، ويقضي بتحريم الخروج على الحاكم المسلم

واستكمالًا لعمل ما يعرف مؤخرًا بـ (المحاكاة) لما تقوم به وزارة الأوقاف ومعها مؤسسات الأزهر، من جهود تهدف للقضاء على التطرف والإرهاب، نواصل حديثنا في طرح ما نحسب أنه –دون سواه– الحل الأمثل لتحقيق ذات الهدف، ذلك أن الدعوة إلى صحيح الدين والاعتقاد وانعقاد قلوب أجيالنا الفائتة عليه، هو: ما بسببه نجت الأمة فيما سلف مما هو أخطر مما نحن فيه، وما بسببه كذلك نجحت في القضاء على هاتين الظاهرتين وتلاشيهما والقضاء عليهما، حتى انحسرت في طوائف محدودة سرعان ما أفلح من كان قبلنا في صدِّها وإرجاعها إلى صوابها أو التحذير منها.. ثم انطلقت الجهود –بعد إصلاح الدين– نحو إصلاح الدنيا وإعمارها، فاكتمل البنيان وتمت النعمة والحمد لله.. وتحقيقًا لذات الهدف، وامتدادًا لتاريخنا المكتظ بهذه التجارب من نحو ما فعله أبو بكر مع المتأولة وابن عباس مع الخوارج وابن حنبل مع مخالفيه، وفي إطار عرضنا لِما انصلح به أول هذه الأمة، نعرض هذه المرة لمجمل لمعتقد: الإمامَ البخاري إمام المحدثين وأمير المؤمنين في الحديث، وشيخه عليِّ بن المديني، لكن ليس قبل أن نُعَرِّف بهما.

فعلي بن المديني، هو –كما في (سير أعلام النبلاء) ١٥/ ٤١ وما بعدها–: الشيخ الإمام الحجة، أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر السعدي المعروف بابن المديني، ولد بالبصرة وتعُود جذور عائلته إلى المدينة المنورة، برع في علم الحديث وصنّف وجمع، وساد الحفاظ في معرفة العلل، ويقال: (إن تصانيفه بلغت مائتي مصنف)، وكان سفيان بن عيينة يسميه: (حية الوادي) لكثرة سعيه وسعة انتشاره لطلب الحديث، ويقول: "إني لأرغب عن مجالستكم، ولولا عليٌّ بن المديني ما جلستُ"، كما كان ابن المديني واحدًا من أكابر شيوخ البخاري الذي قال عنه: "ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني".. قال أبو داود: "ابن المديني أعلم باختلاف الحديث من أحمد بن حنبل"، وقال أبو حاتم الرازي: "كان ابن المديني عَلَمًا في الناس في معرفة الحديث والعلل"، وقال أبو عبيد: "انتهى العلم إلى أربعة: أبو بكر بن

أبي شيبة أسردهم له، وأحمد بن حنبل أفقههم فيه، وعلي ابن المديني أعلمهم به، ويحيى بن معين أكتبهم له"، وقال أبو قدامة السرخسي: "سمعت عليًا يقول: رأيت كأن الثريا تدلت حتى تناولتها"، قال أبو قدامة: "صدّق الله رؤياه، بلغ في الحديث مبلغًا لن يبلغه أحد"، وكان أحمد بن حنبل لا يسميه، إنما يكنيه تبجيلا له.. ومما أُثر عن ابن المديني قوله: "إن الله أعز هذا الدين برجلين، أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة"، توفي الحافظ علي بن المديني ٢٣٤هـ، رحمه الله رحمة واسعة وجعلنا وإياه في أعلى عليين.. اللهم آمين.

أما الإمام البخاري فهو أمير المؤمنين في الحديث الإمام المقدَّم: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، كان أبوه عالمًا جليلًا سمع من حماد بن زيد ومالك وروي عنه العراقيون.. مات إسماعيل وولده البخاري صغير فكفلته أمه وأحسنت تربيته وقد رعته العناية الإلهية من صغره، فقد رُوي أن البخاري ذهبت عيناه في صغره، فرأت والدته الخليل إبراهيم في المنام، فقال لها: "يا هذه! قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك"، فأصبح وقد رد الله عليه بصره، فتبدل حزنها سرورًا.. نبغ البخاري في صغره وهو في الكُتَّاب، فرزقه الله قلبًا واعيًا، وذاكرة قوية، وذهنًا وقادًا.. كما كان عزيز النفس عفيفًا، زاهدًا عف اللسان، شديد الورع، ومما يدل على ذلك قوله: "ما اغتبت أحدًا قط منذ علمتُ أن الغيبة حرام"، وكان يقول: "إني لأرجو أن ألقي الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا".

وكان قد أُلهم حفظ الحديث فأخذ منه بحظٍّ كبير ولمّا يبلغ العاشرة من عمره، ثم صار يختلف إلى علماء عصره، وأئمة بلده الذين أخذ عنهم وصار يراجعهم ويناقشهم، وما أن بلغ السادسة عشر حتى حفظ كتب ابن المبارك ووكيع.. وفي الحرمين الشريفين وبعد رحلته إليهما ألف البخاري بعض مؤلفاته ووضع أساس الجامع الصحيح الذي اقتصر فيه على الأحاديث الصحيحة دون غيرها وجمع فيه نحو ستمائة ألف حديث، وقد عده حفّاظ الأمة أصح كتب السنة.. عاش البخاري في عصرٍ اجتمع فيه أئمةٌ أعلام ومحدثون كبار، وقد أجهد نفسه للسماع منهم وملاقاتهم، يقول الخطيب: "رحلَ البخاري إلى محدثي الأمصار، وكتب بخراسان ومدن العراق كلها والحجاز والشام ومصر، وورد بغداد دفعات"، وقال هو عن نفسه: "كتبتُ عن ألف وثمانين نفسًا، ليس فيهم إلا صاحب حديث".. سمع رحمه الله من شيوخ لا يحصى عددهم، وأخذ عنه الحديث خلق كثير في كل بلدة حدّث بها، قال الإمام النووي: "وكان يحضر في مجلسه أكثر من عشرين ألفا يأخذون عنه، وممن روي عنه من الأئمة الأعلام: مسلم بن الحجاج والترمذي والنسائي وأبو حاتم وأبو زُرعة وابن خزيمة".

ومن فضل الله عليه أن جميع أئمة عصره قد عرفوا فضله وعظموه، وعرفوا أنه يفوقهم في حفظه وفهمه، فأثنوا عليه، حتى قال أحمد بن حنبل: "ما أخرجت خراسان مثل محمد ابن إسماعيل"، وقال ابن خزيمة: "ما تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله من محمد بن إسماعيل"، وقال ابن راهويه: "يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن البصري لاحتاج إليه لمعرفة الحديث وفقهه"، توفي رحمه الله سنة ٢٥٦هـ وكان عمره اثنتين وستين سنة.. تلك نبذة مختصره عن حياتهما وجهودهما، وإليك مجمل معتقدهما:

أ-(اعتقاد عليّ بن المديني ومَن نقل عنه ممن أدركه من جماعة السلف):

كذا عنون له اللالكائي في أول كتابه (شرح أصول السنة)، وقد بدء ابن المديني معتقده بقوله: "السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها أو يؤمن بها، لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، ثم تصديقٌ بالأحاديث –يقصد أحاديث الصفات– والإيمان بها، لا يقال (لم؟) ولا (كيف؟)، إنما هو التصديق بها.. ولا يخاصم أحدًا ولا يناظر ولا يتعلم الجدل، والكلام في القدر وغيره من السنة مكروه، ولا يكون صاحبه من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم.. والقرآن كلام الله ليس بمخلوق، ولا تضعُف أن تقول ليس بمخلوق فإن كلام الله ليس ببائن منه وليس منه شيء مخلوق.. وأن الله يكلم العباد يوم القيامة ويحاسبهم وليس بينهم وبينه ترجمان.. والإيمان بعذاب القبر وأن هذه الأمة تفتن في قبورها وتُسأل عن النبي ﷺ، ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله وكما أراد".

شيخ البخاري يرد عادية الخوارج والشيعة في كل عصر ومصر:

ويأتي ضمن ما ذَكرَ مِن لوازم السنة: نبذ ما يدين به الخوارج من التكفير بالذنب واستحلال دماء الموحدين لأدنى ملابسة، و"الإيمان بشفاعة النبي، وإخراج قوم من النار بعد ما احترقوا وصاروا فحمًا – ويعني بهم: العصاة من أمة محمد ﷺ – فيؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة كما جاء في الأثر، كيف شاء الله وكما شاء.. والإيمان قول وعمل على سنةٍ –أي متابعة– وإصابة ونية، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا.. وليس شيء من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة.. ولا يُشهد على أحد من أهل القبلة بعمل عَمِله بجنة ولا نار، نرجو للصالح، ونخاف على الطالح المذنب ونرجو له رحمة الله، ومن لقي الله بذنب تائبًا منه غير مصرٍّ عليه، فإن الله يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ومن لقي الله وقد أقيم عليه حدُّ ذلك الذنب فهو كفارته، ومن لقيه مصرًا غير تائب من الذنوب التي استوجبت بها العقوبة: فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ومن لقيه مشركًا: عذبه ولم يغفر له.. ومن مات من أهل القبلة موحدًا مصليًا، صلينا عليه واستغفرنا له، لا نحجب الاستغفار ولا نَدَعُ الصلاة عليه لذنب صغيرٍ أم كبير، وأمره إلى الله".

هذا، ويأتي ضمن لوازم السنة: طرح ما عليه فرق الشيعة الضالة، ومنه ذم الصحابة وذاك قوله: "وخير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله الذين لم يختلفوا في ذلك، ثم مِن بعد الثلاثة؛ أصحاب الشورى الخمسة: (علي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك)، كلهم يصلح للخلافة وكلهم إمام، كما فعل أصحاب رسول الله، ثم أفضل الناس بعد أصحاب رسول الله: القرن الذي بُعث فيهم كلهم.. وأدناهم صحبة، هو أفضل من الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال، فالذي صحب النبي ورآه بعينيه وآمن به ولو ساعة، أفضل بصحبته من التابعين كلهم ولو عملوا كل أعمال الخير.. ومن تنقَّص أحدًا من أصحاب رسول الله أو أبغضه لحدَثٍ كان منه أو ذكر مساوئه، فهو مبتدع حتى يترحم عليهم جميعًا، فيكون قلبُه لهم سليمًا.. وذا رأيت الرجل يعتمد من أهل البصرة على (أيوب السختياني وابن عون ويونس والتيمي) ويحبهم ويكثر ذكرهم والاقتداء بهم، فارج خيره، وإذا رأيت الرجل من أهل الكوفة يعتمد على (طلحة بن مصرف وابن أبجر وابن حيان التيمي ومالك بن مغول وسفيان الثوري وزائدة)، فارجه، ومِن بعدهم: (عبد الله بن إدريس ومحمد بن عبيد وابن أبي عتبة والمحاربي)، فارجه" يعني لكون هؤلاء هم –دون سواهم من متبعي الرأي ومقدمي العقل على النقل–: من الأكابر ومن خِيرة ملازمي السنة وأئمتها.

ابن المديني يَعُدَّ من لوازم السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وتجريم دِوَل الخفاء التي تقيمها الخوارج:

ومن لوازم السنة التي ضمَّنها ابن المديني معتقده ونص عليها: ما جاء في قوله: إنه **"لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ليلة إلا عليه إمام: برًّا كان أو فاجرًا، فهو أمير المؤمنين"**، يقول: "والغزو مع الأمراء ماضٍ إلى يوم القيامة البرُّ والفاجر، لا يُترك، وقسمة الفيء وإقامة الحدود للأئمة ماضية، ليس لأحد أن يطَّعن عليهم ولا ينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة، وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاَّه جائزة قائمة ركعتان، من أعادها فهو مبتدع تارك للإيمان مخالف، وليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الجمعة خلف الأئمة أيًّا من كانوا برهم وفاجرهم، والسنة أن يصلوا خلفهم لا يكون في صدره حرج من ذلك"، وفيه الرد على من أبطل صلاة الجمعة خلف من أنابهم السلطان، وراح يصليها في بيته بمزاعم واهية كان هو السبب فيها وفي تكفير مجتمعات المسلمين والتآمر على حكامها الموحدين.

قال: **"ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين –وقد اجتمع عليه الناس فأقروا له بالخلافة بأي وجه كانت برضا كانت أو بغلبة– فقد شاق هذا الخارج عليه العصا، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ ، فإن مات الخارج على ذلك مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن عمل ذلك فهو مبتدع على غير السنة"**، وهذا للأسف ما يقع من كثيرين في زماننا، وما يحرضون الشباب السذج عليه، كون عقيدة أولئك المحرضين مبتناة على منازعة الأمر أهله، وعلى تكوين دول

باطنية داخل كل دولة عربية أو إسلامية تكون لها ولقادتها السمع والطاعة المطلقة في المنشط والمكره والعسر واليسر، بدعوى أننا في جاهلية كالجاهلية الأولى أو أشد، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال شيخ البخاري فيما يسوغ لآحاد الرعية: "ويحل قتال الخوارج واللصوص إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله أو ما دون نفسه، وله أن يقاتل عن نفسه وماله حتى يدفع عنهما في مقامه، وليس له إذا فارقوه أو تركوه أن يطلبهم ولا يتّبع آثارهم وقد سلم منهم، ذلك إلى الأئمة، وينوي بجهده أن لا يقتل أحدًا، فإن أُتِيَ –أي: قتل– على يده في دفعه عن نفسه في المعركة، فأبعد الله المقتول –يعني: أهلكه، لأحاديث: (شر الخلق والخليقة) (طوبى لمن قتلهم وقتلوه) (لئن أدركتُهم لأقتلنهم قتل عاد) (قتالهم حق على كل مسلم).. إلخ– وإن قُتل هو في ذلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجونا له الشهادة كما في الأثر –ويعني به قوله عليه السلام: (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد)– وجميع الآثار إنما أمِر بقتاله ولم يؤمر بقتله، ولا يقيم عليه الحد، ولكنه يدفعه إلى من ولاّه الله أمره فيكون هو من يحكم فيه"..

وهذا يفسر قول أبي سعيد الخدري: "قتال الخوارج أحب إليّ من قتال الدَّيلم" وقد أخرجه البخاري في المناقب (٣٦١٠)، وقول أبي أمامة ﷺ : "شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتيل من قتلوه) الذي أخرجه أحمد في مسنده (١٩٤١٤) وغيره وحسنه الألباني في ظلال الجنة (٩٠٦)، وقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥١٢: "وقد استفاض عن النبي الأحاديث بقتال الخوارج، وهي متواترة عند أهل العلم بالحديث، واتفق على قتالهم سلف الأمة وأئمتها ولم يتنازعوا في قتالهم".

ب-معتقد الإمام البخاري: أهميته.. صحة نسبته إليه.. موافقة ما فيه لما تواتر عمن سبقه من الأئمة والحفاظ:

وتحت عنوان: (اعتقاد أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البُخاري، في جماعةٍ من السَّلَفِ الذين يَروِى عنهم)، يسجل اللالكائي في أول كتابه (شرح أصول السنة)، اعتقاد البخاري –رحمه الله– أمير المؤمنين في الحديث، وهذا الاعتقاد جزء صغير رواه الحافظ محمد بن أحمد البخاري –الملقب غُنْجار– في تاريخ بُخارى (كما في سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٠٧)، ومن طريقه اللالكائي في (السنّة)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/ ٥٨)، وساق صدره الذهبي في السير (١٢/ ٤٠٨)، وبعضه ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٣٤٥)، وذكر ابن حجر في فتح الباري (١/ ٤٧) بعد أن ساق مطلعه مختصرًا: أن سند اللالكائي صحيحٌ إلى البخاري.. وقد أفاد البخاريُّ فيه فوائدَ جَليلة، أهمّها:

نقلُ اتفاقِ مشايخه الكثيرين في الأمصار على هذا الاعتقاد، وسمى منهم جماعةً من الأئمة والحفاظ، فكان حكايةً عن اعتقاد السّلف أهلِ الحديث في البُلدان، وإجماعِهم عليه، ومنها: الإفادة من مجمل رحلاته بين خُراسان ومصر، والنص على شيوخه وأنهم جاوزوا الألف! وقد سمّى منهم خمسة وأربعين من أعيانهم في البلدان.. وهذا مجمل ما نحتاجه من هذا المعتقد:

البخاري يحسم الخلاف مع (أهل الإرجاء والتجهم والقدر والتشيع) ومن تأثر بهم إلى يومنا هذا:

يقول رحمه الله: إن مما أجمع عليه مَن ذَكَر: "أن الدِّين قولٌ وفعل، وذلك لقول الله: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة.. البينة/ ٥)، وأنّ القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ.. قال ابن عُيَينة: بَيّن الله الخَلقَ مِن الأمر، فقال: (ألا له الخلق والأمر.. الأعراف/ ٥٤)، وأنّ الخيرَ والشرّ بقدرٍ، لقوله: (قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق.. الفلق/ ١، ٢)، ولقوله: (والله خلقكم وما تعملون.. الصافات/ ٩٦)، ولقوله: (إنا كل شيء خلقناه بقدر.. القمر/ ٤٩).. وما رأيتُ فيهم أَحَدًا يتناول أصحابَ محمد ﷺ ، قالت عائشة: أُمِروا أن يَستَغفروا لهم، وذلك قوله: (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم.. الحشر/ ١٠)"، تعني: فكان ما كان –ممن لم يخلفهم بإحسان– مِن سَبِّهم والطعن فيهم.

كما يحسم الخلاف مع (التكفيريين وسافكي الدماء المعصومة ومن ينابذون حكام المسلمين)، فينهى عن تكفير أهل القبلة، وعن منازعة الأمر أهله، ويسوق في ذلك النصوص:

وذلك قوله فيما أجمع عليه علماء عصره وبعبارات مختصرة وسهلة: "ولم يكونوا يُكَفِّرون أحدًا من أهل القبلةِ بالذَّنب، لقوله: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.. النساء/ ٤٨، ١١٦).. وكانوا يَنهون عن البِدَع مما لم يَكُن عليه النبيُّ وأصحابُه، لقوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.. آل عمران/ ١٠٣)، ولقوله: (وإن تطيعوه تهتدوا.. النور/ ٥٤)، ويحثُّون على ما كان عليهِ ﷺ وأتباعُه، لقوله: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون.. الأنعام/ ١٥٣)، وأن لا نُنازعَ الأمرَ أَهلهُ، لقولِه عليه السلام: (ثَلاثٌ لا يُغَلُّ عليهنَّ قَلْبُ امرئ مُسلِمٍ: إخلاصُ العملِ لله، **وطاعةُ وُلاة الأَمر، ولزومُ جماعَتِهِم)**، ثمَّ أُكِّد في قوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.. النساء/ ٥٩)، **وأن لا يرَى السّيفَ على أمة محمد ﷺ ، قال الفُضيل: (لو كانت لي دعوةٌ مستجابةٌ لم أَجعَلْها إلا في إمامٍ)، لأنه إذا صَلَح الإمام أَمِنَ البلادُ والعِباد، قال ابنُ المُبارك: (يا مُعَلِم الخيرِ مَن يجترئ على هذا غيرُك؟)"([1]).**

إنه الصدع إذن بكلمة الحق وعدم الخوف في الله لومة لائم، في وقت –كزماننا– عُمِّيَتْ فيه السنة وفشا النفاق وعلا صوت الباطل وعزَّ فيه قولة الحق وعزمة الصدق.. ذلك أن من خرجوا على حكام المسلمين –ممن انطبقت عليهم شروط الولاية التي سيأتي ذكرها عند الحديث عن إمامة المتغلب بالباب الثاني والتي فرضتها واقع السياسة الشرعية لشعوبنا الإسلامية والعربية، ومست إليها الحاجة والضرورة ومواكبة ما يلائم واقعنا ومجتمعنا الدولي– مطلقين عليهم وعلى إخوتنا وأبنائنا الحامين لديار الإسلام، ألقاب: (جند الطواغيت) و(أحفاد الفراعنة) و(عبيد البيادة).. إلخ، ومحرفين الكلم عن مواضعه كشأن خوارج كل عصر، ومثالهم في زماننا أولئك المحتجين على من ذكرنا بقوله تعالى: (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين.. القصص/ ٨).

قد أداهم ذلك لأن يقاتلوا في الفتنة من عادوهم بغير حق، وان يهلكوا أنفسهم تحت رايات عُميَّة، وأن يُعملوا السيف في أمة محمد ﷺ ، بعد أن كفروهم واستحلوا دماءهم وتألهوا على الله وأوجبوا لهم النار ولمفجريهم الجنة.. وقد جاء ما ذكره البخاري ليكون أبلغ ردٍّ على كل هذه المعتقدات الفاسدة.

وقد ردها من قبلُ وعيدُ الله الشديد والوارد في قوله: (ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا.. النساء/ ٩٣)، وقول نبيه –كما في صحيح البخاري–: (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا)، وقوله فيه: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله –أمانه وضمانه– وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته)، وقوله كما في صحيح الترمذي: (لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار)، وقوله فيه: (لزوال الدنيا، أهون عند الله من قتل رجل مسلم)، وقوله كما في صحيح أبي داود: (كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركًا، أو مؤمن قَتل مؤمنًا متعمدًا).

وقوله في خطبة الوداع كما في الحديث المتفق عليه: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟، اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فرب مبلَّغ أوعى من سامع)، وقوله كما في السلسلة الصحيحة (٢٦٩٧): (يأتي المقتول متعلقًا رأسه بإحدى يديه، متلبِّبًا قاتله بيده الأخرى، تشجب أوداجه دمًا حتى يأتي العرش، فيقول

([1]) ومن العجائب المضحكات المبكيات، أن تقرأ مع هذا: (جماعة أنصار البخاري) إحدى أحدث الأذرع الإرهابية للنظام القطري، وتقول تفاصيل الخبر الذي نشر في ١/ ١٢/ ٢٠١٨:

"بث حساب قطريليكس، المعنى بفضح جرائم تنظيم الحمدين، فيديو جراف يكشف عن أسرار (جماعة أنصار البخاري)، إحدى أحدث الأذرع الإرهابية للنظام القطري، وتقول المصادر: إن إيران وقطر تواصلان إمداد جماعة (أنصار البخاري) الإرهابية بالمال والسلاح، لتحل محل تنظيمي داعش والنصرة، محذرة تلك المصادر من هجمات مسلحة تعد لها هذه الجماعة في سوريا ومصر والعراق.. وقال الحساب: إن تنظيم الحمدين يواصل مخططاته التخريبية ضد العرب، وعمد لتصعيد ذراع إرهابية جديدة، مع تراجع نفوذ داعش وجبهة النصرة، وتعد ميليشيات (أنصار البخاري) أحدث الأذرع الإرهابية القطرية، في حلب وبلاد الشام.

وكشف القيديو جراف، عددًا من المعلومات عن (جماعة أنصار البخاري)، وأنها حركة جهادية أوزبكية يقودها الإرهابي (أيمن جواد التميمي)، أطلق هذه الحركة أو الجماعة أمير قطر الخارجي الانقلابي: (تميم بن حمد) في حلب، لاستكمال مسيرة جبهة النصرة المنهارة، حيث يبلغ عدد مقاتليهم في سوريا نحو ٥٠٠ عضوًا حتى الآن.. بدأ نشاط هذه الحركة في آسيا، وأعلنت عن نفسها عقب المقاطعة العربية لقطر.. لاحظ تبدأ كالعادة في سوريا بحجة التخلص من نظام الأسد، ثم تنطلق إلى بلاد الشام ومصر وليبيا لتخرب وتدمر وتسفك الدماء المعصومة التي البخاري برئ منها ومنهم.. وسبحان من له في خلقه شئون، وصدق رسول الله (كلما طلع قرن قطع).

المقتول لرب العالمين: هذا قتلني! – وفي رواية: سل هذا فيم قتلني؟– فيقول الله للقاتل: تعسْت، ويُذهب به إلى النار)، وقوله كما في مسلم (١٨٤٨): (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات، مات ميتة جاهلية، ومن قُتل تحت راية عُمِّيَّة –الأمر الأعمى لا يستبين وجهه كما قاله أحمد والجمهور– يغضب للعصبة ويقاتل للعُصبة فليس من أمتي، ومن خرج من أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها –أي على حد قول النووي: لا يكترث بما يفعله فيها ولا يخاف وبال عاقبته– ولا يفي بذي عهدها، فليس مني)، وقوله بحق المعاهَدين والمستأمنين من غير المسلمين كما في البخاري (٣١٦٦): (من قتل معاهَدًا لم يرِح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا).

<u>جـ–ما حثَّ عليه النبي وأتْباعُه مما أشار إليه البخاري ووافق ما أجمع عليه علماء عصره بل ومتبعيهم بإحسان، والذي يُشَخِّص حالنا ويصف لنا الدواء الناجع الذي لا عذر بعده لمعتذر.. يقضي بـ(لزوم جماعة المسلمين وإمامهم) وبخاصة عند حلول الفتن:</u>

على أن ما سبق ذكره يمثل الحالة التي أوقعنا فيها شياطين الإنس، ويجسد في زماننا الأيام التي تنبأ بها نبينا والتي تحدث عنها عبد الله بن عمرو –وهو جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه– قائلًا: "كنا مع رسول الله في سفر فنزلنا منزلًا فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضِلُ –من المناضلة وهي: المراماة بالنشاب– ومنا من هو في جَشَرِه –الدواب التي ترعى وتبيت مكانها– إذ نادى منادي رسول الله: (الصلاة جامعة)، فاجتمعنا إليه ﷺ فقال: "إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يَدُل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فترقق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: (هذه مهلكتي)، ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول: (هذه، هذه)، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة فؤاده فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر.. يقول راويه: فدنوت منه، فقلت له:

أنشدك الله أأنت سمعتَ هذا من رسول الله، فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه؛ وقال: سمِعَتْه أذناي ووعاه قلبي.. الحديث"، وقد رواه مسلم (١٨٤٤) تحت (باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول).. وعلق النووي عليه بقوله –فيما يمثل دُوَلَ الباطن والخفاء التي أوجبت الطاعة لمجاهيل غير ممكنين، والتي عمَّت قرابة المائة دولة في عالمينا العربي والإسلامي–: "قوله: (فإذا جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر)، معناه: ادفعوا الثاني فإنه خارج على الإمام – المعلوم الممكن ذي الشوكة والسلطان– فإذا لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتِلوه، فإن دعت المقاتلة إلى قتله قُتل ولا ضمان فيه، لأنه ظالم مُتعدٍّ في قتاله"، قال: "الحديث فيه دليل لوجوب طاعة المتولين للإمامة بالقهر من غير إجماع ولا عهد".

ومما يزيد الأمر وضوحا ما فعله الإمام مسلم، فقد أعقب الباب الفائت بـ **(باب: الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم)**، وأدرج تحته حديث: (إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)، **و(باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق)**، وأدرج تحته حديث: **(اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حُمّلتم)**، جوابًا عن سؤال كُرر: (أرأيت يا رسول الله إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعون حقنا، فما تأمرنا؟!)، والنبي في مرتين أو ثلاث يُعرض حتى قال ما قال.. وكان قبل ذلك قد ذكر حديث أبي هريرة وفيه: **(أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم)**، وحديث ابن مسعود وفيه: (إنها ستكون بعدي أثرةٌ وأمورٌ تنكرونها)، قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟؛ قال: **(تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم)**.

ولم يقف الأمر على ذلك حتى أرخى –بأبي هو وأمي– العنان لحذيفة إلى آخر مدى، فحدّثه عما يجري في زماننا، بل وما بعد زماننا وما يجب فعله تجاه حكام المسلمين وفي حال عدم وجودهم، وجعل عليه السلام يصف لحذيفة ما نحن فيه من دخن وكأنه ينظر إليه ويعايشه كما ننظر نحن إليه ونعايشه، ففي رواية مسلم (١٨٤٧) وتحت (باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة)، جاء قوله ﷺ : "يا رسول الله إنا كنا بِشَرٍّ فجاء الله بخير

فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟؛ قال: (نعم)، قلت: هل من وراء ذلك الشر خير؟؛ قال: (نعم)، قلت: فهل من وراء ذلك الخير شر؟، قال: (نعم)، قلت: كيف؟ قال: **(يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس)**، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركتُ ذلك؟، قال: **(تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع)"**.

وفي رواية أخرى لمسلم وتحت نفس الباب؛ إضافةٌ تصوِّر ما عليه خوارج عصرنا وما يجب على المسلم حيال هذا الواقع المرير، يقول حذيفة: "فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟، قال: (نعم)، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟، قال: (نعم، وفيه دخن)، قلت: وما دخنه؟ قال: **(قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر)**، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟، قال: (نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)، قلت: يا رسول الله؛ صفهم لنا، فقال: (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا)، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟، قال: **(تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)**.. الحديث"، وقد رواه البخاري أيضًا برقم (٣٦٠٦).

وبيانًا للدخن الذي خالط الخير وورد ذكره في الحديث، واستنادًا لما أخبر به النبي وأضحى علينا اتّباعه، وتعليقًا على ما يجب على المسلم فعله أو تركه في زماننا، وعما يقتضيه وجوب طاعة الإمام ذو السلطان الموجود بالفعل والذي له القدرة على عمل مقصود الوِلاية، وإن كان فيه ما فيه مما ورد ذكره بالأحاديث، يقول ابن تيمية في (منهاج السنة) ١/ ٥٦١: **"وهو ﷺ قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، وبقيام رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان الإنس، وأمر مع هذا بالسمع والطاعة للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فتبين أن الإمام الذي يطاع، هو: من كان له سلطان، سواء كان عادلًا أو ظالمًا"**، ويقول ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٠: "الذي يظهر أن المراد بـ **(الدعاة على أبواب جهنم)** من قام في طلب المُلك من **الخوارج** وغيرهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله: (الزم جماعة المسلمين وإمامهم)، يعني: ولو جار، ويوضح ذلك رواية أبي الأسود: (ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك)، وكان مثل ذلك كثيرًا في إمارة الحجاج ونحوه"، الذي كان منه ما كان، والذي كما ذكر ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص ٣١٥: **"كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يصلي خلفه، وكذا أنس بن مالك، وكان الحجاج فاسقًا ظالمًا.. وكذلك عبد الله بن مسعود وغيره كانوا يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان يشرب الخمر، حتى إنه صلى بهم الصبح مرة أربعًا ثم قال: أزيدكم؟".**

وهنا يواصل ابن حجر كلامه فيقول ضمن كلامه عن لزوم الجماعة، وما ترجح لدى الطبري إمام المفسرين: "قال الطبري: اختُلف في حكم هذا الأمر (الزم) وفي الجماعة، فقال قوم: (هو للوجوب)، والجماعة: (السواد الأعظم).. فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة.. والصواب: أن المراد من الخبر: لزوم الجماعة التي في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة"إ.هـ.. وفي إطار حديثه عما يؤخذ من حديث حذيفة يقول ابن حجر: إن ضمن ما يؤخذ من قوله عليه السلام لحذيفة –وقد سأل عما إذا لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام– (اعتزل تلك الفرق ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة): "ذمُّ مَن جعل للدين أصلًا خلاف الكتاب والسنة وجعلهما فرعًا لذلك الأصل الذي ابتدعوه، وفيه: وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهَدي النبوي ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع"إ.هـ.. فما أجمل السؤال والجواب وهما يصوران واقعنا وما بعد واقعنا!، وأجمل بهما!.

وبعد: فها أنت ذا –أخي الكريم– أمام نصوص الأكابر من أئمة الحديث وشراحه، كلهم يتحدث عن أئمة المسلمين الجورة الظلمة الفسقة، وما رأينا أحدًا منهم قال بخلع الثوب الذي ألبسه الله إياهم، وما توقفوا عند تسميتهم (أئمة) و(ولاة أمور)، وما أنكروا واقعهم المعايش وطفقوا يؤلفون عليه كلامًا ويجتلبون له مصطلحات ما أنزل الله بها من سلطان كما يفعل الآن المحسوبون ظلمًا على السلف، ولا استفاد أحد من الأحاديث ما أفاده معاصرونا ممن يدّعون أنهم على نهجهم، وما أشار أحدهم لشيء مما سبق ولا ألمح إليه، بل صرح النووي في الجزء ١٢/ ١٨٧ مجلد ٦ بأن "في حديث حذيفة هذا: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ووجوب طاعته، وفيه معجزاتٍ لرسول الله، وهي: هذه الأمور التي أخبر بها وقد وقعت كلها"،

وذلك بعد أن كشف رحمه الله عن أن مراده ﷺ بقوله: (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)، هم: من جاء ذكرهم في حديث (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)، وهم كما قال العلماء: "من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة".

ومما تجدر الإشارة إليه: أن ما ذكرناه لابن حجر هنا يمثل شرحَ بعضِ ما بوّب له الإمام البخاري، وإلا فالإمام البخاري –من غير ما سطره في معتقده– قد عنون في صحيحه بـ (كتاب الأحكام) وهو بالفتح الجزء ١٣/ ١١٩ وما بعدها، لأبواب: **(قول الله تعالى: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.. النساء/ ٥٩)، (الأمراء في قريش)، (السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية)، (من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها ومن سألها وُكِل إليها)، (ما يكره من الحرص على الإمارة)**، وذكر في كلٍّ منها من النصوص ما لا مزيد عليه.

كما بوّب لـ (كيف يبايع الإمام الناس)، وذكر فيه خبر عبد الله بن عمر –وقد اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان– فكتب ابن عمر: (إني أقرُّ بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت، وإن بَنيّ قد أقروا بمثل ذلك.. والسلام)، وكان أمر العراق قد انتظم لمصعب ابن الزبير أخي عبد الله بن الزبير، فسار عبد الملك إلى مصعب فقاتله حتى قتله وملك العراق كله، ولم يبق مع عبد الله بن الزبير إلا الحجاز واليمن، فجهز له عبد الملك الحجّاج بن يوسف الثقفي فحاصره سنة اثنتين وسبعين إلى أن قتل عبد الله بن الزبير، وكان ابن عمر قد امتنع أن يبايع أحدًا حتى انتظم الملك كله لعبد الملك فبايع له حينئذ، إ.هـ ملخصًا من الفتح ١٣/ ٢٠٦، ٢٠٧.

وفيه: أنه على الرغم مما أحدثه واقترفه عبد الملك، وما اشتُهر عن الحجاج قائد جنده من الجرأة على الدماء، وعدم احترامه لأعلام الأمة وإلحاقه الأذى بهم، وقتله ابن الزبير وكثيرًا من الأخيار منهم التابعي الجليل سعيد بن جبير تلميذ ابن عباس، وحصاره لمكة عدة شهور لتضييق الخناق على ابن الزبير ومن معه، ورميه الكعبة بالمجانيق على ما قيل، وإذلاله لأهل الحرمين، إلا أن ابن عمر دان لهما بالسمع والطاعة عقب الغلبة، وكان يصلي خلفهما، فما بال من كان دون أولئك في الذنوب وإعمال القتل إلا بحق، في زماننا من حكام المسلمين، يَخرج عليهم أتباع كل ناعق ممن يميلون مع كل ريح ولم يستضيئوا بنور العلم ولا يحسنون إدارة ما تحت أيديهم، لينازعوا الأمر أهله؟.

رحم الله شيوخ الإسلام: البخاري ومسلم والطبري والنووي وابن تيمية وابن حجر وسائر أئمتنا أئمة أهل السنة والجماعة، وأسكنهم فسيح جناته؛ ويا ليتنا نفهم عن الله ورسوله كما كانوا يفهمون، ونعمل من ثم بما عملوا به، إذ يمكننا أن نستخلص من كلامهم:

أ-أن القول بأننا ابتلينا بحكام لا يهتدون بهدي النبي في إقامة الحدود وما شابه ممن الأصل في دساتير بلادهم أنها "جزء من العالم الإسلامي" وأن "الإسلام دين الدولة والشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع"، يَرِدُ عليه –من غير ما ذكرناه لابن تيمية رحمه الله– أنه لا يجوز الخروج بسببه على أئمتنا ولا أن نحمِّل الولاة وحدهم نتيجته، ففي الخبر (كما تكونوا يولّى عليكم)، "وكل تغيير في المجتمع نحو الإسلام بكل قيمه وأخلاقه وتشريعه يحتاج إلى جهد أكبر وأعظم وأجَلّ من مجرد إصدار قوانين، والتغيير الذي ينبغي أن يحدث، هو في قيم الناس وأخلاقهم –وتلك هي مهمة الدعاة والعلماء بالدرجة الأولى– أما المزايدة في قضية القوانين فحسب بغض النظر عن القيم والأخلاق الإسلامية، فهو تبسيط يصل إلى حد السذاجة في معالجة مشكلات المجتمع" على حد ما ذكر د. جمال الدين محمود الأمين العام الأسبق للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مقال له نشر بأهرام ١٠/ ٤/ ١٩٨٤ وذكرناه له في مجلة التوحيد في عددها (٥٣٨) ص٥٧ في مقال بعنوان: (دعوة للتغيير).

ب-ألاّ خير لكل الدعوات والجماعات المنتسبة للسلفية – والتي ما اختلفت إلا من بعد ما جاءهم العلم وجاءتهم البيّنات بغيًا بينهم– إن لم تجمعهم عقائد الماضين وأحاديث سيد المرسلين، وإن لم يُجمعوا أمرهم ويضعوا خطة موحدة لصلاح البلاد والعباد، ويكن لهم دور بارز في دعوة المجتمع لصحيح الدين والاعتقاد، ويبينوا موقفهم بوضوح ممن: (أراده الله أزلًا لولاية أمرنا)، وممن: (ينازعون الأمر أهله،

ويَخرجون على جماعة المسلمين، ويُغرقون أنفسهم في بدع الخوارج، ويستحلون دماء الموحدين من حماة ثغور الإسلام، وذلك بعد أن كفّروهم وأوجدوا لأنفسهم العلل في قتلهم، ومن قبل ذا قصَّروا في معرفة الحق ودعوة أنفسهم وغيرهم إلى كلمة سواء).

وأخيرًا: فإني أحسب أن هذا من العلم الذي يجب تعلمه والعمل به والدعوة إليه ونشره، عملًا بما استقر عليه علماء الأمة من إدخاله ضمن مسائل الاعتقاد، وفرارًا ممن قال تعالى بحقهم: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيِّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.. البقرة/ ١٥٩)، وسعيًا لتنظيم شمل المسلمين وحقن دمائهم وتسكين دهمائهم وحماية بيضتهم وتوحيد صفهم ومحاربة عدوهم، وإعمالًا لما أجمع عليه أئمة أهل السنة فـ"قد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء" كذا نص عليه ابن حجر في الفتح ١٣/ ٩.

****

المبحث الثالث
معتقد فقهاء الأمة من أئمة المذاهب الأربعة بشأن قضايا: التكفير، والقتال في الفتنة، والتشيع، ومنازعة حكام المسلمين والخروج عليهم

أولًا: قضايا: التكفير، والقتال في الفتنة، ومنابذة حكام المسلمين.. في معتقد فقهاء المذاهب الأربعة

تمهيد: إن المتأمل لما كان عليه أئمة الفقه وأصحاب المذاهب الأربعة: أبو حنيفة النعمان فقيه العراق ت١٥٠، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة ت١٧٩، ومحمد بن إدريس الشافعي ناصر الحديث ت٢٠٤، وأحمد بن حنبل إمام أهل السنة ت٢٤١، وهم في غنى عن التعريف.. يجد أن عقائدهم في مجملها مبتناة –كسابقيهم ولاحقيهم من أئمة أهل السنة والجماعة– على ما كان عليه الرسول وصحابته الكرام عليهم الرضوان، فقد ردوا جميعًا ما عليه الأشاعرة من بدع تعطيل الصفات وتأويلها أو تفويض معانيها، كما كانت مواقفهم ثابتة في قضايا عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، وعدم خروجهم على حكامهم على الرغم مما كان يدين به بعض أولئك الحكام من بدع ومعاصي، وما تلبسوا به من أمور منكرة حكموا فيها بغير ما أنزل الله واستنُّوا فيها بغير سنة رسول الله، وذلك هو نفس ما يعاني منه مجتمعنا وشبابنا، الأمر الذي يعني ضرورة أن نستدعي آراءهم وندرس بعناية فائقة مواقفهم فيما يمس قضايا أمتنا وواقع عصرنا، لنتعرف على ما ينبغي أن يكون عليه حالنا ونتخذ من هذه الآراء والمواقف دروسًا وعبرًا نستعين بها على: مواجهة ما ألمَّ بنا من إرهاب وتطرف وأفكارٍ هدامة، وقبل ذلك على تحسين صورة إسلامنا الذي تم تشويهه عن قصد أو غير قصد من أناس فهموه بطريق الخطأ وأعطوا صورة سيئة ومنفِّرة عنه.. وإليكم بعض ما فاهوا به.

أ-إجماع الأئمة الأربعة ومتبعيهم من أئمة العلم على: (وجوب السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين وعدم الخروج عليهم) وعلى: (تحريم القتال في الفتنة)

ونذكر من أقوال أئمة الحنفية ما قاله الإمام الطحاوي ت ٣٢١ في عقيدته المسماة باسمه والتي تلقتها الأمة بالقبول، وفيها: **"ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ما لم يأمروا بمعصية([1])، وندعو لهم**

([1]) ومراد أئمة السنة بالمعصية: معصية الله بارتكاب ما حرم الله ورسوله ونهيا عنه، لا معصية الأمير أو المرشد في مخالفة أمره هو ولو أمر بمعصية، فإن هذا مما حرمه الله ورسوله، ذلك أن طلب الطاعة للبشر أيًّا ما كانت منزلتهم ودرجاتهم عند الله وقربهم منه، وإطلاقها واكتمالها دون تردد على النحو الذي تدعو إليه جماعة الإخوان مثلًا –وعلى غرار ما جاء في قول مؤسسها في رسالة التعاليم ص١٧ عن الطاعة في (مرحلة التعريف): "وأريدُ بالطاعة: امتثال الأمر وإنفاذه توًّا في العسر واليسر والمنشط والمكره"، وقوله في (طور التكوين): "ونظام الدعوة في هذا الطور: صوفي بحت

بالصلاح والمعافاة"، ومما استدل به ابن أبي العز في شرح ما ذكرناه للطحاوي: قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.. النساء/ ٥٩)، وقوله ﷺ كما في البخاري ومسلم: **(من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني)**، وأثر أبي ذر وفيه قوله: **(إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدًا حبشيًا مجدَّع الأطراف) كذا بمسلم، ولفظ البخاري: (ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة)**([1])**، وحديث الصحيحين: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة).**

ومما استشهد به كذلك على وجوب الطاعة للحاكم في غير معصية قوله عليه السلام لحذيفة: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، وقوله: **(من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات فميتته ميتة جاهلية)**، وهو في صحيح سنن أبي داود بلفظ: **(فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)..** إلى آخر ما ذكره من أدلة أعقبها –رحمه الله– بقوله ص ٣٢٥: **"فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية..** وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، **بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور**، فإن الله ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل".

ويأتي ضمن من نص من أئمة الحنفية على وجوب السمع والطاعة للحاكم المسلم في غير معصية وعدم الخروج عليه: إمام المذهب أبي الحسن الأشعري ت ٣٢٤، فقد ذكر أصحاب التراجم أن الأشعري

من الناحية الروحية، وعسكري بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائمًا: أمر وطاعة من غير تردد ولا مراجعة، ولا شكٍّ ولا حرج"– افتئات على الله ورسوله حيث الطاعة المطلقة لهما دون ما سوهما، وما عدا ذلك مما يكون لحكام المسلمين وولاة أمورهم في البيعات العامة –والخاصة بطريق الأولى– فمقيدة بألا تكون في المعصية، "ولعل هذا هو السرّ في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.. النساء/ ٥٩)، فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولوا الأمر فشرط الأمر بطاعتهم، ألا تكون في معصية"، كذا ذكره السعدي في تفسيره الآية.

وفي تفسيرها يقول الطبري إمام المفسرين في حسم الخلاف في تعريف (ولي الأمر)، أهم الولاة أم العلماء والفقهاء؟: "وأوْلى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: (هم الأمراء والولاة)، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة، وللمسلمين مصلحة".. إلى أن قال: "فإذا كان معلومًا أنه لا طاعة واجبة لأحد غير الله أو رسوله أو إمام عادل، وكان الله قد أمر في قوله: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) بطاعة ذي أمرنا، كان معلومًا أن الذين أمر تعالى بطاعتهم من ذوي أمرنا، هم: الأئمة من ولاة المسلمين دون غيرهم من الناس.. وإذا كان ذلك كذلك، كان معلومًا صحة ما اخترنا من التأويل دون غيره".. وهذا الذي رجحه ابن جرير، هو اختيار البيهقي في الجامع لشعب الإيمان ١٣/ ٤١ وقد احتج له بحجة أخرى، فقال: "والحديث الذي ورد في نزول هذه الآية، دليل على أنها في الأمراء"، ويعني به ما أخرجه البخاري ومسلم بشأن مَن بعثه النبي على رأس سرية من أصحابه، وأمرهم أن يطيعوه فأغضبوه، فقال: أليس أمركم النبي أن تطيعوني؟، قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطبًا، فجمعوا، فقال: أوقدوا نارًا، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهمُّوا وجعل بعضهم يُمسك بعضًا ويقولون: فررنا إلى النبي من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ ذلك النبي فقال: (لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، إنما الطاعة في المعروف).

وقد كان الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله– بصيرًا بهذه المسألة الخطيرة لدى جماعة الإخوان، وبسببهما فُصل من مكتب الإرشاد وعضوية الجماعة، كونه سعى في تصحيح مسارهما وقال عنهما في كتابه (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث) بما مفاده: "لا سمع ولا طاعة إلا لله وللرسول ولمن ولاه الله على المسلمين".. وكان أن ذكر في كتابه (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث) وبالحرف، ما نصه: "إن الذين يحسبون أنفسهم جماعة المسلمين، يرون مخالفة قائدهم ضربًا من مخالفة الله ورسوله، وطريقًا ممهدة إلى النار وبئس القرار"، واستطرد – رحمه الله – يقول:

"إلا أنني عزَّ عليَّ أن يلعب بالإسلام وأبنائه بهذه الطريقة السمجة، وأن تتجدد سياسة الخوارج مرة أخرى، فيُلعن أهل الإيمان ويُترك أهل الطغيان، وبم؟، باسم أن القائد وبطانته هم وحدهم أولو الأمر، وأن لهم حق السمع والطاعة، وأن الخارج عليهم يصدق فيه قول رسول الله ﷺ : (من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه ليس بفارق الجماعة شبرًا فيموت، إلا مات ميتة جاهلية)، وقوله: (من خلع يدًا من طاعة، لقي الله لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)، وهذه الأحاديث وأمثالها وردت في منع الفتوق الجسيمة التي يحدثها الشاغبون على الدولة، الخارجون على الحكام"، يقول: "بيدَ أن تعليم هذا الجنون، كان أسلوبَ تربيةٍ وتجميعٍ عند بعض الناس، أن يقال: إن الولاء للقيادة يُكفِّر السيئات وأن الخروج على الجماعة يَمحق الفضائل، أي إسلام هذا؟!، ومَن مِن علماء الأولين والآخرين أفتى بهذا اللغو؟، وكيف تُلْبِسون الدِّين هذا الزي المنكر؟!، وهيهات! فقد تغلغل هذا الضلال في نفوس الناشئة حتى سأل بعضهم: هل يَظن المسلم نفسه مسلمًا بعدما خرج من صفوف الجماعة؟، ولنفرض أن رئيس الجماعة هو أمير المؤمنين وأن له حقوق الحليفة الأعظم، فهل هذا يؤتيه على أتباعه حق الطاعة العمياء؟!، لقد كان الراسخون في العلم يَدعون إلى الله ويتجردون للدعوة، فكان الناس يرون طاعتهم من طاعة الله لأنهم تلقوا دروس معرفته عنهم، ثم جاء الراسخون في الجهل يطلبون حقوق القيادة، ويتحدثون عن قانون (السمع والطاعة)، ولست أعنِّف دعِيّا من هؤلاء على مزاعمه ومطالبه، فالأمر كما قيل: (بعض الناس طغاة لأننا نركع لهم)".

لقد رفض الشيخ الغزالي الركوع لطغيان الجماعة، فعاش عزيزًا أبيًا، وأكرم الله مرقده الأخير بأن جعل مثواه في البقيع بمدينة رسول الله، بجوار أشرف الخلق وأكرمهم على المولى سبحانه، وهذا كلام رجل كان منهم في الصفوف الأولى ثم تبرأ من أفعالهم براءة المسلم من أفعال الكفار إ.هـ من تعليق مجلة الأزهر ص ٦٤٤ من عددها الصادر في ربيع الأول/ ١٤٣٦ الموافق يناير/ ٢٠١٥.

([1]) قال ابن حجر في الفتح ١٣/ ١٣١: "الإمامة لا تكون إلا في قريش، وأجمعت الأمة على أنها لا تكون في العبيد.. قال الخطابي: (قد يُضرب المثل بما لا يقع في الوجود)، يعني: وهذا من ذاك، أطلق العبد الحبشي مبالغة في الأمر بالطاعة وإن كان لا يُتصوَّر شرعًا أن يلي ذلك"إ.هـ.. وهذا هو، لاسيما مع وجود (لو) التي تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط.

تتلمذ على يد أبي علي الجُبّائي شيخ المعتزلة ودرس فقه أبي حنيفة شأنه شأن المعتزلة فمعظمهم كان حنفية، وقد ظل على مذهب الاعتزال لا يفارقه أربعين سنة، ثم بعد تحوله إلى مذهب أهل السنة والحديث تأثر كثيرًا بما كان عليه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، وقد ذكر هو ذلك في كتابه (الإبانة)([1])، وكان الأشعري قد ساق في (رسالته إلى أهل الثغر) ص ٢٩٦ إجماع أهل العلم على عدم جواز الخروج على أئمة المسلمين قائلًا في الإجماع الـ ٤٥: **"وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئًا من أمورهم عن رضًا أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر، لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جارَ أو عَدَل، وعلى أن يغزوا معهم العدو".**

وقد جاء سوقه إجماع أهل السنة والجماعة هنا ردًا على ما جنحت إليه فرق المعتزلة والخوارج، ذلك أن من أصول المعتزلة الخمسة: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ومن أقوالهم وأفعالهم يظهر أنهم إنما أرادوا بذلك الخروج على الأئمة وقتالهم، فكان رد الأشعري السالف الذكر في (رسالته)، وأيضًا في (مقالات الإسلاميين) ص ٢٧٨، ٢٩٥ وفيها عن جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة: **"ويرون العيد والجمعة خلف كل بر وفاجر.. ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف، وأن لا يقاتلوا في الفتنة"**، وكذا ص ٤٥١ وفيها عنهم: **"إن الإمام قد يكون عادلًا ويكون غير عادل، وليس لنا إزالته وإن كان فاسقًا، وأنكروا الخروج على السلطان، ولم يروه".**

كما كان رده عليهم في كتابه (الإبانة في أصول الديانة) ص ٥٣، حيث قال: **"ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف، وندين بترك القتال في الفتنة".**

وما ذكرناه عن أئمة الحنفية صرح بنحوه أئمة المالكية([2])، فقد قال ابن أبي زيد ت ٣٨٩ والمعروف بـ (مالك الصغير) في رسالته (مقدمة ابن أبي زيد القيرواني)، ما نصه: **"والسمع والطاعة لأئمة المسلمين وكل من ولي أمر المسلمين عن رضًا أو عن غلبة واشتدت وطأته من بَرٍّ أو فاجر، فلا يُخرَج عليه، جار أو عدل"**.. بل أفتى الإمام مالك بعدم قبول شهادة من كان على بدعةِ الخوارج وغيرهم، ولا توليتهم إمامة المسلمين في الصلاة ولا في الثغور، ولا حتى مكالمتهم، وذلك قوله فيما نقله عنه القاضي عياض في ترتيب المدارك ٢/ ٤٧:

"لا تجوز شهادة القدري الذي يدعو إلى بدعته، ولا الخارجي والرافضي"، وقال عياض بنفس المصدر: "سُئل مالك عن أهل القدر أنَكُفُّ عن كلامهم؟، قال: (نعم؛ إذا كان عارفًا بما هو عليه)، وفي رواية أخرى قال: (لا يُصلى خلفهم ولا يقبل عنهم الحديث وإن وافيتموهم في ثغر فأخرجوهم منه)"إ.هـ

كما قال بنحوه الإمام الشافعي وسائر أئمة الشافعية، ففي رده عادية التكفيريين والخارجين على حكام المسلمين يحكي الشافعي –رحمه الله– فيما رواه عنه أبو شعيب وأبو ثور والبرزنجي الحسيني، أن ضمن السنة التي رأى أصحابه من أهل الحديث وأخذها عنهم مثل ابن عيينة ومالك: "ولا أكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب وإن عمل الكبائر، وأكِلُهم إلى الله.. ولا أُنزل المُحسن من أمه محمد الجنة بإحسانه، ولا المسيء بإساءته النار، وأعرف حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه، وأحدِّث بفضائلهم وأُمسك عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم.. والشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ .. **والجهاد ماضٍ مع كل بر وفاجر، وصلاة العيدين والجمعة إلى يوم القيامة.. والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا يُخرج عليهم بالسيف.. والإيمان بهذا كله حق، فمن ترك من هذا شيئًا فهو مخالف لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ".**

([1]) وذلك قوله: "قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.. قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا، وبسنة نبينا وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل –نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته– قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكّين، فرحمة الله عليه من إمام مقدّم، وجليل معظم، وكبير مفخم، وعلى جميع أئمة المسلمين".. وذكر معتقده.

([2]) بل ومالكُ نفسه، ففي معتقده في الحرورية وما أشبههم: أنهم "يقتلون إذا لم يتوبوا"، و"أن دماءهم موضوعة عنهم وأما أموالهم فتؤخذ لأنهم إنما استهلكوها على التأويل، وأنه لا يصلى على موتاهم ولا تتبع جنائزهم ولا تعاد مرضاهم، فإذا قتلوا فذلك أحرى ألا يصلى عليهم" (ينظر عقيدة الإمام مالك ص ١٤٩ للمغراوي).

كما يقول في وصيته التي رواها عنه الحسين بن هشام البلدي، **بـ"السمع والطاعة لأولي الأمر ما داموا يصلون، والولاة لا يُخرج عليهم بالسيف، والخلافة في قريش"([1]).**

إلى أن ختم الوصية بقوله: "وأُوصي بتقوى الله، ولزوم السنة والآثار عن رسول الله وأصحابه، وترك البدع والأهواء واجتنابها.. وعليكم بالجمعة والجماعة، ولزوم الإيمان والتفقه في الدين"إ.هـ من جمهرة عقائد أئمة السلف ص ١٥٧: ١٦٢.

وكان الآجري محمد بن الحسين البغدادي الشافعي ت٣٦٠ قد جعل في كتابه (الشريعة) ص٤٠ وتحت عنوان: **(باب في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين والصبر عليهم)**، يسوق في ذلك جملة من الأحاديث، وقبلها طفق يتكلم عن الخوارج ويختم كلامه فيهم بقوله: "قد ذكرتُ من التحذير من مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله عن مذهب الخوارج ولم ير رأيهم، وصبر على جور الأئمة وحَيْف الأمراء ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله كشف الظلم عنهم وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح وجاهد معهم كلَّ عدو للمسلمين، فإن أَمروا بطاعة فأمكنه أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروا بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت الفتنة بينهم لزم بيته وكف لسانه ويده ولم يهوَ ما هم فيه ولم يُعِن على فتنة، فمن كان هذا وصفه: كان على الطريق المستقيم"إ.هـ.. وكذلك فعل اللالكائي في شرحه لـ (أصول أهل السنة) ٢/ ١٠٤٣ والصابوني على نحو ما مرّ بنا.

كما بوّب إسماعيل بن محمد الأصبهاني –المعروف بـ (قوّام السنة) والمتوفى سنة ٥٣٥– في عدم الخروج على حكام المسلمين بعناوين: **(منع الخروج على أولي الأمر)، و(النهي عن سب الأمراء والولاة وعصيانهم)، و(توقير الأمراء)**، وذلك في كتابه (الحجة في بيان المحجة) ٢/ ٤١٨، ٤٣٥، ٤٣٨، وسرد لذلك من الأحاديث قوله ﷺ : **(عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك ويسرك وعسرك وأثرة عليك)**[2]، يعني: وإن لم يصلك حقك منهم، ومن الآثار قول عبادة بن الصامت لجنادة: (عليك بالسمع والطاعة في يسرك وعسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، ولا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمرك بمعصية الله بواحًا).

ومما ذكره الإمام النووي الشافعي تعليقًا على ما أدرجه مسلم من أحاديث جعلها تحت عنوان: (باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) ١٢/ ١٧٦ مجلد ٦: "أجمع العلماء على وجوبها في غير معصية وعلى تحريمها في المعصية، نقل الإجماع على هذا القاضي عياض وآخرون.. قال العلماء: المراد بأولي الأمر: من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء، هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم، وقيل: هم العلماء، وقيل: الأمراء والعلماء".. إلى أن قال: **"وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة: في جميع الأحوال**، وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم".. وقال تعليقًا على حديث: (إلا أن تروا كفرًا بواحًا): "معنى الحديث:

لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم **إلا أن تروا منهم منكرًا محققًا تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرتُه** وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل؛ فغلط من قائله مخالف للإجماع، قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من

([1]) وقد سبق أن ذكرنا في بداية هذا الكتاب أن ذلك ما أجمع عليه أئمة أهل السنة وسقنا لذلك كلام القاضي عياض والنووي، ونزيد هنا على ما قالاه، قول أبي الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين ص ١٢٥ عن الخوارج وأنهم مَن "يرون أن الإمامة في قريش وغيرهم إذا كان القائم بها مستحقًا لذلك، ولا يرون إمامة الجائر"، وكذا كلام ابن حجر –في شرحه حديث البخاري: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي اثنان)– قال في الفتح ١٣/ ١٢٧: "مقتضاه حصر جنس الأمر في قريش، فيصير كأنه قال: (لا أمر إلا في قريش).. والحديث وإن كان بلفظ الخبر فهو بمعنى الأمر كأنه قال: (ائتموا بقريش خاصة)، وبقية طرق الحديث تؤيد ذلك، ويؤخذ منه أن الصحابة اتفقوا على إفادة المفهوم للحصر، خلافًا لمن أنكر ذلك، وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم أن شرط الإمام أن يكون قرشيًا.. وقالت الخوارج وطائفة من المعتزلة: يجوز أن يكون الإمام غير قرشي.. وقال أبو بكر بن الطيب:

لم يُعرج المسلمون على هذا القول بعد ثبوت حديث: (الأئمة من قريش)، وعمل المسلمون به قرنًا بعد قرن وانعقد الإجماع على اعتبار ذلك قبل أن يقع الاختلاف.. وقال عياض: (اشتراط كون الإمام قرشيًا مذهب العلماء كافة، وقد عدُّوها من مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف، وكذلك مَن بعدهم في جميع الأعصار، قال: ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة – وكذا من قال بقول هؤلاء جميعًا في زماننا من جماعة الإخوان، ومن ينازع الخلافة أهلها كأردوغان – لما في ذلك من مخالفة أئمة وجماعة المسلمين"إ.هـ.

([2]) ولفظه بمسلم من حديث أبي هريرة: (عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك).

الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه.. وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يُخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويفه للأحاديث الواردة في ذلك"إ.هـ

وبنحوه ذكر ابن حجر الشافعي المذهب، وذلك في شرحه على البخاري ١٣/ ١٢٤، وكلاهما على أن الخلاف في عزله للفسق أو الظلم وتعطيل الحقوق **"كان أولًا، ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم"** كذا نص عليه النووي في شرحه لمسلم ١٢/ ١٨١ نقلًا عن القاضي عياض.

وعبارة ابن حجر – في شرحه حديث (ما أقاموا الدين) وَرَدِّه ابن التين في قوله: (وقد أجمعوا: أنه إذا دعا إلى كفر أو بدعة أنه يُخرج عليه، واختلفوا إذا غَصب الأموال وسفك الدماء وانتهك، هل يقام عليه أو لا؟) –: أن "ما ادعاه من الإجماع على القيام فيما إذا دعا الخليفة إلى البدعة، مردود؛ إلا إن حُمل على (بدعة تؤدي إلى صريح الكفر)، وإلا فقد دعا المأمون والمعتصم والواثق إلى بدعة القول بخلق القرآن، وعاقبوا العلماء من أجلها بالقتل والضرب والحبس وأنواع الإهانة، ولم يقل أحد بوجوب الخروج عليهم بسبب ذلك، ودام الأمر بضع عشرة سنة حتى ولي المتوكل الخلافة، فأبطل المحنة وأمر بإظهار السنة.

وما نقله ابن التين من الاحتمال – يعني: من أن يكون المراد بالحديث: فإذا لم يقيموه لا يُسمع لهم البتة، أو: لا يجوز إبقاؤهم على ذلك، وجواز أن يفهم منهما أو من أيهما: الخروج–: خلافُ ما تدل عليه الأخبار الواردة في ذلك، الدالة على العمل بمفهومه –من أنهم (إذا لم يقيموه لا يُسمع لهم)، في المعصية وحسب، دون الخروج عليهم– أو أنهم إذا لم يقيموه يَخرج الأمر عنهم –يعني: بإرادة الله.. بأن يكون ذلك بعد إيقاع ما هُددوا به من اللعن الموجب للخذلان وفساد التدبير وقد وقع ذلك في صدر الدولة العباسية، ثم التهديد بتسليط من يؤذيهم عليهم، ووجد ذلك بالفعل: في غلبة مواليهم بحيث صاروا معهم كالصبي المحجور عليه، يقتنع بلذاته ويباشر الأمور غيره.. ثم اشتد الخطب فغلب عليهم الديلم فضايقوهم في كل شيء حتى لم يبق للخليفة إلا الخُطبة، واقتسم المتغلبون الممالك في جميع الأقاليم، ثم طرأ عليهم طائفة بعد ذلك حتى انتزع الله الأمر منهم في جميع الأقطار، ولم يبق للخليفة إلا مجرد الاسم في بعض الأمصار".

كذا بما محصله: ألا تكون الطاعة في المعصية، وألا يُخرج عليهم في جميع الحالات لأن الله هو الذي يتكفل بنزع الحكم منهم، إذ هو سبحانه وحده الذي بيده المُلك يؤتيه من يشاء وينزعه عمن يشاء، وما على الرعية إلا أن: تنشغل بنفسها، وبدعاتها وعلمائها تصلح من شأنها، وتتناصح فيما بينها، وتُرضيّ ربها حتى يغير الله ما بها، مصداقًا لقوله عليه السلام من حديث ابن عمر وهو في الصحيحة (١٠٨): (ولم يَنقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم)، وقوله –في الحديث المتفق عليه وفي جواب زوجه زينب (أنهلك وفينا الصالحون)–: (نعم إذا كثر الخبث).

وأن يعتقد المسلم أن المعوَّل عليه في إصلاح المجتمع وعودته إلى منهج الله، ليس هو الحاكم وحده، وأن يطلع الدعاة المخلصون بمهامهم ويسعوا بكل سبيل إلى مناصحة ولاة الأمور، وأن لا فرق في مخالفة ذلك بين من يرفع في زماننا شعار: (حَاكم حاكم يا قرآن) مثلًا وفي ثقافته استحلال الدماء المعصومة والخروج على حكام المسلمين، وبين نظرائهم فيما مضى ممن رفعوا شعار: (لا حكم إلا الله).. ويعتقد كذلك وجوب أن يؤدي الذي عليها تجاه حكامه، مصداقًا لقوله عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث سلمة بن يزيد: (اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حُمّلتم)، وقوله: (أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم)، وقوله: (تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم)، وقوله وهو أيضًا بمسلم: (خيار أئمتكم من تحبونهم ويحبونكم وشرار أئمتكم من تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل: يا رسول الله؛ أفلا ننابذهم بالسيف؟، فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله ولا تنزِعوا يدًا من طاعة).. وتلك هي بعض الأخبار الواردة في ذلك والتي بها نرضي ربنا، يفسرها أثر قتادة –وهو في العلو للذهبي ص٩٦– قال: (قالت بنو إسرائيل: يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرف رضاك من غضبك؟، قال: (إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم، وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم).

أما عن أئمة الحنابلة وإمامهم **ابن حنبل** في وجوب الطاعة لحكام المسلمين في غير معصية وعدم الخروج عليهم، فحدِّث ولا حرج، ونسوق مما ذكره فقهاء الحنابلة في هذا: ما قاله البربهاري ت ٣٢٩– في (شرح السنة) ص ١٣، قال: **"من خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي، قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار، وميتته مِيتةٌ جاهلية"، قال: "ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه وإن جار، وذلك لقوله عليه السلام: (اصبر، وإن كان عبدًا حبشيًا)، وقوله للأنصار: (اصبروا حتى تَلْقَوني على الحوض)، وليس في السنة قتال السلطان، فإن فيه فساد الدنيا والدين"**.. كما نذكر مما فاه به ابن قدامة الحنبلي في كتبه (المغني)، و(الكافي) بشأن عدم جواز الخروج على حكام المسلمين، قوله في المغني ١٣/ ١٦: "وأمرُ الجهاد موكولٌ إلى الإمام واجتهاده، ويَلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك"، وقوله في (لُمعة الاعتقاد) له: **"ومِن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين، بَرِّهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله"**.. ويقول **شيخ الإسلام** في منهاج السنة ١/ ٥٢٨: "والقدرة على سياسة الناس: إما بطاعتهم له، وإما بقهره لهم، فمتى صار قادرًا على سياستهم إما بطاعتهم أو بقهره، فهو ذو سلطان مطاع إذا أمر بطاعة الله"، ويقول في العقيدة الواسطية: **"ويرون – يعني: أهل السنة فيما أجمعوا عليه – إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء، أبرارًا كانوا أم فجارًا"**.

هذا، ولم يَفُتْ أئمة الإسلام أن ينبهوا على عدم الفرق بين من خرج على ولاة الأمور بالسلاح، ومن كان دأبهم ذكر مساوئهم وعدم الدعاء لهم ممن يعرفون بـ (الخوارج القَعْدِيّة)، وهم: أولئك الذين لا يرون الحرب والخروج بالسيف، لكنهم ينكرون على ولاة الأمور دون ما التزام بآداب النصيحة، ويزينون الخروج ويؤلبون الناس على الحاكم، ويخلعون عنه أحيانا لقب (ولي الأمر الشرعي) ويفتون الناس والشباب أنه مجرد موظف في الدولة، وأن أولئك أخبث كما جاء عن أحمد، فهم شر الشر وما أكثرهم في زماننا، وفي شأنهم يقول ابن حجر في تهذيب التهذيب ٨/ ١١٤ –وبنحوه في كتابه هدي الساري ص ٤٨٣ وأبو داود في مسائل أحمد ص٢٧١–: **"و(القَعَد الخوارج)، كانوا لا يرون الحرب، بل ينكرون على أمراء الجور حسب الطاقة، ويدعُون إلى رأيهم، ويزيِّنون مع ذلك الخروج ويُحَسنونه"** ولا يباشرونه، فجميعهم دُعاة على أبواب جهنم، قال أحمد كما في مسائل أبي داود: **"أشر أهل الأهواء الخوارج"، وقال: "قعد الخوارج هم أخبث الخوارج"**.

قال ابن تيمية عن جميعهم: "لم يكن أحدٌ شرًا على المسلمين من الخوارج، لا اليهود ولا النصارى فإنهم –أي الخوارج– كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم"، ومن قبلُ كان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)، وعن امتدادهم الذي أخبر به النبي بقوله: (كلما طلع قرن قطع)، جاء قول ابن حزم في الملل: "يلحق بالخوارج مَن شاركهم في آرائهم في كل زمان"، ولكثرة ما ورد بشأنهم فإنه يَعْلَمُ بعلاماتهم وبفتنتهم مبكرًا: كلُّ عالم مستنبط يملك أدوات الاجتهاد كما قال الحسن البصري فيما نقله عن ابن سعد في الطبقات الكبرى ٧/ ١٦٦: "الفتنة إذا أقبلت عرفها كلُّ عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل".

ب-وجميعهم كانوا حربًا على الشيعة بجميع طوائفها.. على نحو ما كانوا حربًا على الخوارج بطوائفهم:

فقد انعقد قلب أبي حنيفة تجاه ما فاهت به الشيعة من شناعات ومعتقدات، على نفس ما انعقد عليه بقية السلف عليهم الرضوان، ومن عباراته التي جاءت في (الفقه الأكبر) ص ٣٠٤ المُعَبِّر عن مذهبه: "ولا نذكر أحدا من صحابة الرسول ﷺ إلا بخير"، وقوله عن بقية الصحابة كما في (مناقب أبي حنيفة) للمكي ص ٧٦: "مقام أحدهم مع رسول الله ساعة واحدة، خير من عمل أحدنا جميع عمره، وإن طال"، وقوله كما في (اعتقاد أئمة السلف) د. محمد الخميس: "أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم نكف عن جميع أصحاب رسول الله إلا بذكرٍ جميل".

ومما أورده أبو نُعَيمٍ في الحلية ٦/ ٣٢٧ عن عبد الله العنبري قوله: "قال مالك بن أنس –فيما أفتى به بحق من انتقص من شأن الصحابة–: (من تنَقَّصَ أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ ، أو كان في قلبه عليهم

غِلٌّ، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا قوله تعالى: {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًا.. الحشر/١٠}"، كما أورد بنفس الصفحة عن رجل من ولد الزبير قوله: "كنا عند مالك فذكروا رجلًا يَتَنقَّص أصحاب رسول الله ﷺ ، فقرأ مالك هذه الآية: {محمد رسول الله والذين معه أشداء} حتى بلغ {يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار.. الفتح/ ٢٩}، فقال مالك: (من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله فقد أصابته الآية)".

هذا، وقد أورد البيهقي عن الإمام الشافعي قوله: "أثنى الله تعالى على أصحاب رسول الله في القرآن والتوراة والإنجيل، وسيق لهم على لسانه ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنأهم بما أتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، فهم أدوا إلينا سنن رسول الله وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد ﷺ عامًّا وخاصًّا وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل، وآراؤهم لنا أولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا".. كما أخرج الحسين بن هشام البلدي عنه قوله: "إن خير الناس بعد رسول الله من هذه الأمة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين، وأتولاهم وأستغفر لهم، ولأهل صفين القاتلين والمقتولين، وجميع أصحاب النبي أجمعين"، بل إن من شِعْره في الصحابة ما رواه صاحب المناقب وصاحب الطبقات عن المزني:

شهدت بأن الله لا رب غيره ** وأشهد أن البعث حق وأخْلَصُ
وأن عرى الإيمان قول مُبَيَّنٌ ** وفعلٌ زكيٌّ قد يزيد وينقصُ
وأن أبا بكر خليفةُ أحمد ** وكان أبو حفص على الخير يحرصُ
وأُشهدُ ربي أن عثمان فاضلٌ ** وأن علياً فضله متخصصُ
أئمة قوم يُهتدى بهداهم ** لَحى اللهُ من إيّاهُمُ يَتنقَّصُ
فما لغواة يشتمون سفاهة ** وما لسفيه لا يجاب فيخرصُ

وعن الإمام أحمد بن حنبل قوله كما في رواية عبدروس العطار: "من انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله أو أبغضه بحدث كان منه أو ذَكَر مساوئه، كان مبتدعًا، حتى يترحم عليهم جميعًا، ويكون قلبه لهم سليمًا".. وقوله كما في رواية الربعي: إن مما أجمع عليه تسعون رجلًا من التابعين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار بحق السنة التي توفي عليها رسول الله: "الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله.. والترحم على جميع أصحابه ﷺ وأزواجه وأولاده وأصهاره رضوان الله عليهم أجمعين"، إلى أن قال: "فهذه هي السنة، الزموها تسلموا، أخذُها بركة وتركها ضلالة".

وقوله –كما في رواية الأندرابي– : إن من صفات المؤمن من أهل السنة: "أن يعرف حق السلف الذين اختارهم الله لصحبه نبيه، ويقدم أبا بكر وعمر وعثمان، ويعرف حق علي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن وعوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد على سائر الصحابة، فإن هؤلاء التسعة هم الذين كانوا مع النبي على جبل حراء فقال ﷺ : (اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صِدِّيق أو شهيد)، والنبي عاشِرهم، وأن يترحم على جميع أصحاب محمد صغيرهم وكبيرهم، ويحدِّثُ بفضائلهم، ويمسك عما شجر بينهم".

وقوله كما في رواية الزَّرندي: "من زعم أن عليًا أفضل من أبي بكر فقد ردَّ السنة، لقوله ﷺ : (لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلًا).. ولا عين تطرف بعد النبي أفضل من أبي بكر، ولا عين تطرف بعد أبي بكر أفضل من عمر، ولا بعد عمر عين تطرف أفضل من عثمان، ولا بعد عثمان بن عفان عين تطرف أفضل من علي ابن أبي طالب، قال أحمد: (هم والله الخلفاء الراشدون المهديون)، وأن نشهد للعشرة أنهم في الجنة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، فمن شهد له ﷺ بالجنة، شهدنا له بها"إ.هـ.

وقوله من رواية الإصْطَخرِي([1]): "الحجة الواضحة الثابتة البينة المعروفة: ذكر محاسن أصحاب رسول الله كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساويهم والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب الرسول أو أحدًا منهم أو تنقَّص أو طعن عليهم، أو عرّض بعيبهم، أو عاب أحدًا منهم، فهو مبتدع

([1]) نسبة إلى (اصطخر) وهي من بلاد فارس.. كذا في كتاب (الأنساب) ١/ ٢٨٥.

رافضي خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وخير الأمة بعد النبي أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعَيبٍ ولا بنقص، فمن فعل ذلك: فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قَبِل منه وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلَّده الحبس حتى يموت أو يُراجِع –ولفظه من رواية ابن عوف الطائي: (كان مبتدعًا خارجًا عن الجماعة حتى يترحم عليهم جميعًا، فيكون قلبه لهم سليمًا)– ونعرف للعرب حقَّها وفضلها وسابقتها، ونحبهم لحديث: (فإن حبهم إيمان وبغضهم نفاق)([1])، ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب، ولا يقرّون لها فضل، فإنّ لهم بدعة ونفاقًا وخلافًا"!.هـ

ثانيًا: قضايا أخرى خُصَّ بتناولها كلٌّ.. تشغل بال الأمة وتمس واقعها المعاصر

١-أبو حنيفة يأخذ موقفًا معاديًا من: أهل الكلام وعلى رأسهم الأشاعرة الذين انساقوا وراء المعتزلة

وتظهر معاداة أبي حنيفة لأهل الكلام في قوله وقد سئل فيما أحدث الناس من الكلام والأعراض والأجسام: "مقالات الفلاسفة، عليك بالآية وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة" كذا جاء في الحجة للأصبهاني ١/ ١١٦، كما تظهر معاداته لهم في قصة طريفة رُويت من عدة طرق؛ إحداها عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة أن أبا حنيفة سُئل: (كيف وُفقت إلى الفقه؟)، فقال:

"أخبرُك، أما التوفيق فكان من الله، وله الحمد كما هو أهله ومستحِقُّه، إني لما أردت تعلم العلم جعلت العلوم كلها نصب عيني، فقرأت فَنًا فنًا منها، وتفكرت عاقبته وموضع نفعه، فقلت آخذ في (الكلام)، ثم نظرتُ فإذا عاقبته عاقبة سوء ونفعه قليل، وإذا كمل الإنسان فيه لا يستطيع أن يتكلم جهارًا ورمي بكل سوء ويقال: (صاحب هوى)"، إلى أن قال:

"ثم قلّبتُ (الفقه) فكلما قلّبته وأدرتُه لم يزدد إلا جلالة، ولم أجد فيه عيبًا، ورأيت الجلوس مع العلماء والفقهاء والمشايخ والبصراء والتخلق بأخلاقهم، ورأيت أنه لا يستقيم أداء الفرائض وإقامة الدين والتعبد إلا بمعرفته، وطلب الدنيا والآخرة إلا به، ومن أراد أن يطلب به الدنيا طلب به أمرًا جسيمًا، وصار إلى رفعة منها، ومن أراد العبادة والتخلي لم يستطع أحد أن يقول: تعبد بغير علم، وقيل: إنه فَقُه وعمِل بعلم"([2]).

أما عن (أمور وقضايا ومسائل الاعتقاد)، فهناك الكثير ممن ينسبون إلى أبي حنيفة كتاب (الفقه الأكبر) وهو كتاب معني بهذه الأمور، والحقُّ أن هذا الكتاب ليس لأبي حنيفة وإنما هو لأبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي أحد كبار أصحاب أبي حنيفة وفقهائهم([3])، وقد عبر في هذا الكتاب عما يتضمنه مذهب أبي حنيفة، وكان الحافظ الذهبي قد أومأ إلى عدم النسبة هذه فقال في العلو ص ١٠١: "بلغنا عن أبي مطيع صاحب (الفقه الأكبر) قال: سألت أبا حنيفة عمن يقول: (لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض)، فقال: (قد كفر، لأن الله تعالى يقول: {الرحمن على العرش استوى.. طه/ ٥}، وعرشه فوق سماواته"، وفي القصة إشارة إلى أن علة الكفر إنما هو إنكاره لما دلت عليه الآية صراحة من استعلائه سبحانه على عرشه، والرد على من قال خلاف ذلك من الأحناف والماتريدية.

وفي ذلك يقول الألباني في مختصر العلو ص ١٣٧: "ولا يُلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم، مخالفون له في كثير من اعتقاداته وقد ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد من يخالفهم في بعض اعتقاداتهم"، ونخص هنا بالذكر أبناء الأزهر، يقول: "وقصة أبي يوسف في استتابة بشر المريسي لما أنكر أن يكون الله فوق العرش مشهورة، رواها عبد الرحمن ابن أبي حاتم وغيره، وفيها: ما يدل على أن أصحاب أبي حنيفة الأُوَل كانوا مع السلف في

([1]) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٩٧ وقال الذهبي: فيه الهيثم بن حماد وهو متروك، وينظر الضعيفة (١١٩٠).
([2]) كذا ذكره السيوطي في (تبييض الصحيفة) ص ٢٣، ومحمد أبو زهرة في (أبو حنيفة.. حياته وعصره) ص ٢٤.
([3]) وكان علاَّمةً كبير الشأن، وكان ابن المبارك يعظمه ويجلُّه لدينه وعلمه، وإن كان لبعضهم فيه رأي آخر.

الإيمان بعلوه تعالى على خلقه، وذلك مما يعطي بعض القوة لهذه الروايات المروية عن أبي حنيفة، ومن ذلك: تصريح الإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي في عقيدته بأن الله مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه" وقد مر الكلام عن الطحاوي ومعتقده، ومنه: تصريح أبي يوسف القاضي في قوله:

"ناظرت أبي حنيفة ستة أشهر، فاتفق رأينا على أن من قال: (القرآن مخلوق) فهو كافر" كذا في العلو للذهبي ص ١١٢، وفي تعليقه على ذلك يقول الشيخ الألباني في المختصر ص ١٥٦: "وهذا هو الظن بالإمام أبي حنيفة وعلمه، فإن صح عنه خلافه، فلعل ذلك قبل أن يناظره أبو يوسف ، فلما ناظره ولأمر ما استمر ستة أشهر، اتفق معه على: أن القرآن غير مخلوق، وأن من قال: (القرآن مخلوق) كافر، وهذا في الواقع من الأدلة الكثيرة على فضل أبي حنيفة، فإنه لم تأخذه العزة ولم يستكبر عن متابعة تلميذه أبي يوسف حين تبين له أن الحق معه.. ولكن مما يؤسف له أشد الأسف أن كثيرًا من أتباعه وبخاصة المتأخرين منهم، قد تأولوا كلامه هذا بما يعود إلى رده، وذلك بحمله على الكلام النفسي" وجعل الألباني رحمه الله يذب عن الإمامين ويرد عادية المتأخرين بما يدحض حججهم ويقضي على شبههم.

وعلى هذا يرى أبو حنيفة أن صفات الله تعالى الذاتية وصفاته الفعلية كلها أزلية، لأن الله موصوف بكل ذلك منذ الأزل، ولم تحدث له صفة سواء ذاتية أو فعلية، وصفاته تعالى مخالفة لصفات المخلوقين، فهو سبحانه يعلم لا كعلمنا، لأن علمنا حادث لا يخلو من معارضة الوهم، وعلمه تعالى قديم أزلي، وكذلك القول في سائر صفاته الذاتية والفعلية، ولا أدل على هذا مما أثر عنه رحمه الله في قوله كما في الفقه الأكبر ص ٣٠٢: "وأما ما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف"، وقوله بنفس الصفحة: "وصفاته بخلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا، ويتكلم لا ككلامنا".

هذا، ونلحظ في (الفقه الأكبر) نفي التشبيه والتجسيم ردًا على المجسمة والمشبهة، وكلامًا عن الشفاعة والمسائل السمعية من وزن الأعمال والجنة والنار وعذاب القبر لا يختلف عما عليه سلف الأمة، كما نلحظ اهتمامًا بالحديث عن التكفير والتفسيق بما يعدُّ ردًا على الخوارج وبالطبع على نظرائهم ممن تأثر بهم وسار على نهجهم في زماننا من دعاة التطرف والتكفير.

٢- والإمام مالك هو الآخر يدحض ما عليه الأشاعرة وأهل الكلام والأهواء ويرسي لقاعدة إثبات الصفات وإمرار كيفياتها، كما يرد على المرجئة مقولاتهم الآثمة

فقد أخرج الدارقطني في (الصفات) ص ٧٥، والآجري في الشريعة ص ٣١٤، والبيهقي في الاعتقاد ص ١١٨، وابن عبد البر في التمهيد ٧/ ١٤٩ عن الوليد بن مسلم قال: (سألت مالكًا والثوري والأوزاعي والليث بن سعد عن الأخبار في الصفات فقالوا: أمروها كما جاءت).. كما أخرج أبو نُعَيم في الحلية ٦/ ٣٢٥ عن جعفر بن عبد الله قال: "كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، (الرحمن على العرش استوى.. طه/ ٥)، كيف استوى؟، فما وَجَد مالك من شيء ما وَجَد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء -يعني العَرَق- ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: (الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة)، وأمر به فأخرج".

وأورد الهروي عن أشهب بن عبد العزيز قال: "سمعت مالكًا يقول: (إيّاكم والبدع، قيل يا أبا عبد الله، وما البدع؟؛ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلْمه وقدرته ولا يسكتون عمّا سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان)".. ومن إثباته للعلوّ: ما أخرجه أبو داود في (مسائل الإمام أحمد) ص ٢٦٣ عن عبد الله بن نافع قال: "قال مالك: (الله في السّماء، وعلمه في كلّ مكان)".

ومن ذلك يعلم أن من قال خلافَ ذلك من تلامذته والمنتسبين إليه هم في الحقيقة مخالفون لمذهبه الذي عُرف عنه، ولا أدل على أن تلك فتنة واتباع لغير منهج أهل السنة قاطبة؛ مما قاله الكرجيّ رحمه الله في (الفصول في الأصول عن الأئمّة الفحول)، قال: "وقد افتُتِن خلقٌ من المالكية بمذهب الأشعريّة، وهذه – والله– سبّة وعار، وفلتةٌ تعود بالوبال والنّكال وسوء الدّار، على منتحل مذاهب هؤلاء الكبار".

ومما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الاستقامة) ١/ ١٣: "كلام مالكٍ في ذمِّ المبتدعة وهجرِهم وعقوبتهم كثيرٌ، ومِن أعظمهم عنده الجهميةُ الذين يقولون: إنَّ الله ليس فوقَ العرش، وإنَّ الله لم يتكلَّم بالقرآن كلِّه، وإنه لا يُرى كما وردت به السنَّة، وينفون نحو ذلك من الصفات، ثمّ إنّه كثيرٌ في المتأخِّرين مِن أصحابه مَن ينكر هذه الأمور كما يُنكرها فروعُ الجهمية، ويجعل ذلك هو السنَّةَ ويجعل القولَ الذي يخالفها –وهو قولُ مالكٍ وسائرِ أئمَّة السنَّة– هو البدعةَ، ثمَّ إنه مع ذلك يعتقد في أهل البدعة ما قاله مالكٌ، فبدَّل هؤلاء الدينَ فصَاروا يطعنون في أهل السنَّة".

كما أخرج أبو نُعَيمٍ بنفس المصدر ٦/ ٣٢٧ عن عبد الله بن نافع قال: "كان مالك بن أنس يقول: (الإيمان قول وعمل)"، وأخرج ابن عبد البر في كتابه (الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء) ص ٣٤، عن عبد الرزاق بن همام قال: " سمعت ابن جريح وسفيان الثوري ومعمر بن راشد وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس يقولون: (الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)".. وينظر للمزيد من أقواله (اعتقاد أئمة السلف) لمحمد الخميس.

٣-والشافعي كذلك يَرُدُّ عادية الأشاعرة في تعطيلهم الصفات، وعادية المرجئة في عدم إدخالهم العمل في مسمى الإيمان، على نحو ما ردَّ عادية الخوارج في خروجهم على حكام المسلمين، وعادية الشيعة في كراهتهم للصحابة

فقد ذكر هو ذلك في أول كتابه (الرسالة)، فقال: "الحمد لله الذي لا يبلغ الواصفون كنه عظمته، الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصف خلقه"، فجعل صفاته تعالى إنما تتلقى بالسمع.. كما صح عنه قوله: "القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذتُ عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وأنه تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف يشاء"، وقوله: "نثبت هذه الصفات التي جاء بها القران ووردت بها السنة وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه فقال: (ليس كمثله شيء.. الشورى/ ١١)".

وفي جزء الاعتقاد المنسوب للإمام الشافعي من رواية أبي طالب العشاري وغيرها، قوله –وقد سئل عن صفات الله وما ينبغي أن يُؤْمَن به–: "لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيُّه ﷺ أمتَه، لا يسع أحد من خلق الله قامت لديه الحجة إلا الإيمان بها، إذ القرآن نزل به، وصح عنده بقول النبي فيما رَوى عنه العدل، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالروية والفكر، وذلك من نحو: إخبار الله أن له يدين بقوله: (بل يداه مبسوطتان.. المائدة/ ٦٤)، و أن له يمينًا بقوله: (والسموات مطويات بيمينه.. الزمر/ ٦٧)، وأن له وجها بقوله: (كل شيء هالك إلا وجهه.. القصص/ ٨٨) وقوله: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.. الرحمن/ ٢٧)، وأن له قدما بقوله عليه السلام: (حتى يضع الرب عز وجل فيها قدمه) يعني: جهنم، وأن له ضحكًا لقوله عليه السلام للذي قتل في سبيل الله: (إنه لقي الله وهو يضحك إليه)، وأنه (يهبط كل ليلة إلى السماء الدنيا) بخبر رسول الله بذلك، وأنه ليس بأعور لقول النبي إذ ذكر الدجال: (إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور)، وأن المؤمنين (يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر)، وأن له أصبعا بقوله ﷺ : (ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل).. فإن هذه المعاني التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ مما لا يُدرَك حقائقها بالفكر والرؤية، ولا يَكُفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه"([1]).

وبشأن ذم الشافعي لـ(علم الكلام) الذي فشا وتسبب في تعطيل صفاته تعالى وتفويض معانيها على نحو لم يُرِدهما الشارع، وعن موقفه منه، أخرج ابن بطة عن أبي ثور قال: قال لي الشافعي: (ما رأيت أحدًا ارتدى شيئا من الكلام فأفلح)، كما أخرج الهروي عن يونس المصري قال: قال الشافعي: (لأن يَبتلي الله المرء بكل ما نهى الله عنه خلا الشرك بالله، خير من أن يبتليه بالكلام)، ومما ورد عنه في ذلك قوله:

([1]) ينظر صفة العلو لابن قدامة ص ٢٤ وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٨٣ واجتماع الجيوش ص ١٦٥.

(حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل ويُطاف بهم في العشائر؛ وينادَى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام)، وقوله: (لو علم الناس ما في الكلام والأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد)، وقوله: (والله لأن يفتي العالم فيقال: أخطأ العالم، خير له من أن يتكلم فيقال: زنديق، وما شيء أبغض إليّ من الكلام وأهله)، وقال المُزَني سألت الشافعي عن مسألة من الكلام، فقال: (سلني عن شيء إذا أخطأتُ فيه قلتَ: أخطأتَ، ولا تسألني عن شيء إذا أخطأتُ فيه، قلتَ: كفرتَ)، قال الذهبي في السير ١٠/ ١٨ معلقًا: "وهذا دال على أن مذهب أبي عبد الله –أي الشافعي– أنّ الخطأ في الأصول ليس كالخطأ في الاجتهاد في الفروع"([1])، ومنه يُعلم كيف كان علماؤنا القدماء الأفاضل يتشددون ويعملون بدأبٍ على توحيد الكلمة في أمور الاعتقاد كون الحق فيها واحد لا يتعدد، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه حالنا، خلافًا لمسائل الفروع التي تجد فيها توسعة ورحمة للمسلمين.

وفي رد عادية المرجئة، أخرج ابن عبد البر عن الربيع بن سليمان قال: "سمعت الشافعي يقول: (الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب، ألا ترى قول الله عز وجل: {وما كان الله ليضيع إيمانكم.. البقرة/ ١٤٣) يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، فسمى الصلاة إيمانًا، وهي: قول وعمل وعقد)".

كما قال فيما أخرج البيهقي: "الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"([2])، قال: "ولو كان هذا الإيمان كله واحدًا لا نقصان فيه ولا زيادة، لم يكن لأحد فيه فضل، واستوى الناس، وبطل التفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله في الجنة، وبالنقصان من الإيمان دخل المفرِّطون النار، إن الله بيَّن عباده كما سُوبق بين الخيل يوم الرهان، ثم إنهم على درجاتهم من سبقٍ عليه، فجعل كل امرئ على درجة سبقه، لا يُنقصه فيه حقه ولا يُقدَّم مسبوق على

([1]) ينظر إلى جانب ما ذكرنا: (آداب الشافعي) للرازي ص ١٨٢ ومناقب الشافعي) للبيهقي ١/ ٤٥٢ و(البداية والنهاية) لابن كثير ١٠/ ٢٥٤ وما بعدها.

([2]) وفي ذلك قصة أخرجها البيهقي عن أبي محمد الزبيري قال: "قال رجل للشافعي: أي الأعمال عند الله أفضل؟، قال الشافعي: (ما لا يَقبل الله عملًا إلا به)، قال: وما ذاك؟، قال: (الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسناها حظًا)، قال الرجل: ألا تخبرني عن الإيمان قول وعمل أو قول بلا عمل؟، قال الشافعي: (الإيمان عمل لله والقول بعض ذلك العمل)، قال الرجل: صف لي ذلك حتى أفهمه، قال الشافعي: (إن للإيمان حالات ودرجات وطبقات، فمنها: التام المنتهي تمامه، والناقص البيِّن نقصانه، والراجح الزائد رجحانه)، قال الرجل: وإن الإيمان لا يتم، وينقص ويزيد؟، قال الشافعي: (نعم)، قال: وما الدليل على ذلك؟، قال الشافعي: (إن الله فرض الإيمان على جوارح بني آدم، فقسمه فيها وفرّقه عليها، فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكِّلت من الإيمان بغير ما وُكلت به أختها بفرض من الله تعالى.

فمنها: قلبه الذي يَعقل به ويَفقه ويَفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره، ومنها: عيناه اللتان ينظر بهما، وأذناه اللتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يمشي بهما، ولسانه الذي ينطق به، ورأسه الذي فيه وجهه.. فأما فرض الله على القلب من الإيمان: فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن محمدًا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب، فذلك ما فرض الله على القلب، وهو عمله، قال تعالى: {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا.. النحل/ ١٠٦}، {ألا بذكر الله تطمئن القلوب.. الرعد/ ٢٨}، {لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم.. المائدة/ ٤١}، {وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله.. البقرة/ ٢٤٨}.. وفرض الله على اللسان: القول والتعبير عن القلب بما عقد وأقرَّ به، فقال في ذلك: {قولوا آمنا بالله.. البقرة/ ١٣٦}، {وقولوا للناس حسنًا.. البقرة/ ٨٣}، فذلك ما فرض الله على اللسان، وهو عمله.. وفرض الله على السمع: أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله، وأن يغض عما نهى تعالى عنه، فقال في ذلك: {فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. الزمر/ ١٨}، {والذين هم عن اللغو معرضون.. المؤمنون/ ٣}، {وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه.. القصص/ ٥٥}، {وإذا مروا باللغو مروا كرامًا.. الفرقان/ ٧٢}، فذلك ما فرض الله على السمع، وهو عمله وهو من الإيمان، وفرض تعالى على العينين: ألا يُنظر بهما ما حرم الله وأن يغضَّهما عما نهي عنه فقال في ذلك: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم.. الآيتين ٣٠، ٣١ من سورة النور}، فذلك ما فرض الله على العينين من غض البصر وهو عملها وهو من الإيمان، ثم أخبر عما فرض على القلب والسمع والبصر فقال: {ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولًا.. الإسراء/ ٣٦}"، قال:

يعني وفرض سبحانه على الفرج أن لا يهتكه بما حرم الله عليه، فقال: {والذين هم لفروجهم حافظون.. المؤمنون/ ٥}، فذلك ما فرض الله على الفروج وهو عملها.. وفرض على اليدين: ألا يبطش بهما إلى ما حرم الله وأن يبطش بهما إلى ما أمر من الصدقة وصلة الرحم والجهاد في سبيل الله والطهور للصلوات.. وفرض على الرجلين: ألا يمشي بهما إلى ما حرم الله فقال: {ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا.. الإسراء/ ٣٧}، وفرض على الوجه: السجود لله بالليل والنهار ومواقيت الصلاة، فقال في ذلك: {يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.. الحج/ ٧٧}، {وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا.. الجن/ ١٨}، ويعني بالمساجد: ما يسجد عليه ابن آدم في صلاته من الجبهة وغيرها.

قال الشافعي: "(فذلك ما فرض الله على هذه الجوارح.. وسمى الطهور والصلوات إيمانًا في كتابه.. فمن لقي الله حافظا لصلواته حافظا لجوارحه مؤديا بكل جارحة من جوارحه ما أمر الله به وفرض عليها، لقي الله مستكمل الإيمان من أهل الجنة، ومن كان لشيء منها تاركًا متعمدًا مما أمر الله به، لقي الله ناقص الإيمان).. قال الرجل: قد عرفتُ نقصانه وتمامه، فمن أين جاءت زيادته؟، قال الشافعي: (قال جل ذكره: {وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون.. التوبة/ ١٢٤، ١٢٥}، {إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى.. الكهف/ ١٣}".

سابق ولا مفضول على فاضل، وبذلك فضّل أول هذه الأمة على آخرها، ولو لم يكن لمن سبق إلى الإيمان فضل على من أبطأ عنه لَلِحق آخر هذه الأمة بأولها"إ.هـ

هكذا فعل في رده عادية المخالفين لمنهج السنة حتى أقام الحجة على نحو ما سبق.. وعن موقفه من كل أولئك المعاندين أخرج البيهقي عن يوسف بن يحيى البويطي قال: "سألت الشافعي؛ أصلي خلف الرافضي؟، قال: (لا تصل خلف الرافضي ولا القدري ولا المرجئ)، قلت: صفهم لنا، قال: (من قال: الإيمان قول فهو مرجئ، ومن قال: إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري)".

هذا، ولقد لمسنا فيما سبق توجيهات الشافعي لمقلديه: بلزوم السنة النبوية، وعدم تقديم الرأي –عياذًا بالله– على ما صح عن رسول الله، وعرفنا كيف كان مثالًا في ذلك، ونظيره فيه –بالطبع– بقية الأئمة، فقد كانوا جميعًا أحرص الناس على اتباع السنة، لأنهم يفهمون الآيات والأحاديث الواردة في هذا، ويعلمون أن السلامة إنما تكون بتطبيق السنة ونبذ ما سواها، ومما ورد عن الشافعي في الحث على عدم تقليده حال تعارض رأيه أو غيره مع السنة، قوله: (كل ما قلته فكان من رسول الله خلاف قولي مما صح، فهو أولى ولا تقلدوني)، وقوله: (إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله، فقولوا بها ودعوا ما قلته)، وقوله –وقد قال له رجل تأخذ بهذا الحديث يا أبا عبد الله–: (متى رَوَيتُ عن رسول الله حديثًا صحيحًا ولم آخذ به، فأشهدكم أنّ عقلي قد ذهب)، وقوله –وقد رَوى يومًا حديثًا فقال الحميدي: أتأخذُ به؟– (رأيتَني خرجتُ من كنيسة، أو عليَّ زنّارٌ حتى إذا سمعتُ عن رسول الله حديثًا لا أقول به؟!)، وقوله: (أي سماء تُظلّني وأي أرض تُقلّني إذا رويتُ عن رسول الله فلم أقل به؟)، وقوله: (كلُّ حديث عن النبي فهو قولي وإن لم تسمعوه مني)، كما رُوي عنه قوله: (إذا صح الحديث فهو مذهبي)، (وإذا صح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط)، (إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله، فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت).

وتلك –وأيم الله– دعوة للتجرد للحق ولنبذ التعصب للمشايخ والعلماء والذوات، وبخاصة فيما يخالفون فيه صريح الآية أو صحيح الحديث، وما أكثر ما ترى من طلاب العلم من إذا دعوته لِقال الله وقال رسوله، يجيبك بأنه يتبع شيخه!؛ كذا دون ما اعتبار لحديث صحيح أو أثر صريح أو قياس أو إجماع.. فيا سبحان الله!؛ متى كانت آراء الرجال مقدمة على كل ذلك؟!، وهل هذا إلا من الغلو في الدين ومن وتعظيم وعبادة الأشخاص؟!.. وها نحن قد عرفنا توجيهات الشافعي لطلابه ووصاياه لأصحابه، وعرفنا كيف كان يعظم السنة النبوية ويقدمها على أقواله التي لا تستند إلى دليل ويدعو أتباعه إلى تركها إن وجد الدليل، وكذا فعل بقية أئمة الفقه.

ولعله يكون درسًا لأولئك المقلدين الذين لا يقبلون سوى ما سمعوه تعصبًا لا أقول للشافعي ولا لأيٍّ من فقهاء الأمة، بل لشيخ معاصر تتلمذ على يديه؛ ناسين أو متناسين أن هؤلاء بشر يصيبون ويخطئون، وأن الأولى بهم والواجب عليهم يحتم أن يتجردوا ويوصوا أتباعهم –ولاسيما فيما يجدُّ من أحداث على أرض الواقع– بما أوصى به أئمة المذاهب أتباعهم، إذا القاعدة في مثل هذا ألا اجتهاد مع نص أو إجماع أو قياس أو أثر لصحابي أو تابعي، وألا تقديم للمؤمن بين يدي الله ورسوله، وأن أقوال العلماء والأئمة التي لم تستند على دليل هي القابلة للنقاش والاجتهاد شريطة العمل على وحدة الأمة وعدم شق الصف.

٤- والإمام أحمد يقدم نموذجًا للصدع بالحق والصبر على أذى حكام المسلمين وعدم الخروج عليهم، ويبين أن هذا من أصول السنة، ويعطي المثل والقدوة في ذلك بنفسه

ومما ورد عنه في ذلك: ما جاء في عقيدته التي رواها العطار، من قوله –رحمه الله– في (أصول السنة): إن "من السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة –لم يقبلها ويؤمن بها– لم يكن من أهلها:.. السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البَرّ والفاجر، ولمن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضُوا به، ولِمَن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، والغزو ماض مع الأمير إلى يوم القيامة البَرّ والفاجر لا يُترَك، وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ، ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم،

ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة، مَن دفعها إليهم أجزأت عنه بَرًّا كان أو فاجرًا، وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاّه، جائزة باقية تامة ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار، مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء؛ إذا لم يَرَ الصلاة خلف الأئمة أيًّا من كانوا بَرِّهم وفاجرِهم، فالسنة: أن يُصَلّي معهم ركعتين ويَدِينُ بأنها تامة، لا يكن في صدرك من ذلك شك.

ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين –وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة، بأي وجه كان، بالرضا أو بالغلبة– فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ : فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق".

قال أحمد: "وقتال اللصوص والخوارج جائز، إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله فله أن يُقاتل عن نفسه وماله، ويدفع عنها بكل ما يقدر، وليس له إذا فارقوه أو تركوه أن يطلبهم، ولا يتّبع آثارهم، ليس ذلك لأحد إلا الإمام أو ولاة المسلمين، إنما له أن يدفع عن نفسه في مقامه ذلك، وينوي بجهده أن لا يَقتل أحدًا، فإن مات على يديه في دفعه عن نفسه في المعركة فأبعد الله المقتول، وإن قُتِل هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجوتُ له الشهادة كما جاء في الأحاديث، وجميع الآثار في هذا إنما أُمِر بقتاله ولم يُؤمَر بقتله ولا اتِّباعه، ولا يُجهز عليه إن صُرِع أو كان جريحًا، وإن أخذه أسيرًا فليس له أن يقتله، ولا يقيم عليه الحد، ولكن يرفع أمره إلى من ولاّه الله فيحكم فيه"إ.هـ

وقال الحسن بن إسماعيل الربعي في روايته لما نحن بصدده: "قال لي أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والصابر لله تحت المحنة: أجمع تسعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله.."، وذكر منها: "والجهاد مع كل خليفة برٍّ وفاجر.. والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا، وأن لا نكفر أحدًا من أهل التوحيد وإن عملوا الكبائر".. وعبارة أحمد من رواية الأَنْدَرَابي نصها: "صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة"، ثم ذكر من صفاته: مَن شهد وأقر بأن "الجهاد ماض منذ بعث الله محمدًا ﷺ إلى آخر عصابة يقاتلون الدجال، لا يضرهم جور جائر.. والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ولا تَخرج عليهم بسيفك، ولا تقاتل في فتنة والزم بيتك"، إلى أن قال: "هذا ما أجمع عليه العلماء في جميع الآفاق"إ.هـ

وجاء في عقيدة أحمد من رواية الزَّرَنْدِي، أنه لما أشكل على مسدد بن مسرهد أمر الفتنة –يعني في القول بخلق القرآن وما وقع فيه الناس من الاختلاف في القدر والرفض والاعتزال وخلق القرآن والإرجاء– كتب إلى أحمد بن حنبل أن أكتب إليَّ سُنّة رسول الله ﷺ ، فلما ورد الكتاب على أحمد بكى وقال إنا لله وإنا إليه راجعون، يزعم هذا البصري أنه قد انفق على العلم مالًا عظيمًا وهو لا يهتدي إلى سنة رسول الله فكتب إليه يوصيه فيما يوصي: بـ "الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وألا يخرج عليهم بسيفه ولا يقاتل في الفتنة، وبالخروج مع كل إمام في غزوة وحجة، والصلاة خلف كل بر وفاجر صلاة الجمعة والعيدين".

وكان أبو يعلى قد ترجم في طبقات الحنابلة لأحمد الإصْطَخْرِي، ونقل عنه رسالة مطولة عن الإمام أحمد بن حنبل، صدّرها إمام أهل السنة بقوله: "هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها، المقتدَى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركتُ من أدركتُ من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها، فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق، فكان من قولهم:

"الانقياد إلى من ولاّه الله أمركم، لا تنزع يدًا من طاعته، ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل الله لك فرجًا ومخرجًا، ولا تخرج على السلطان، وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعةً، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة، وإن أمَرَك السلطان بأمر هو لله معصية، فليس لك أن تطيعه وليس لك أن تخرج عليه، ولا تمنعه حقه، والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب لزومها، فإن ابتليتَ فقدِّم نفسك دون دينك، ولا تُعن على الفتنة ولو بلسان، ولكن اكفف يدك ولسانك وهواك".

كما ذكر ضمنه: "الكف عن أهل القبلة، ولا تكفر أحدًا منهم بذنب ولا تُخرجه من الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث، فيُروي الحديث كما جاء وكما روي، وتصدقه وتقبله، وتعلم أنه كما رُوي نحو: ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك، أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام فاتبع الأثر في ذلك ولا تجاوزه"، وأورد أحمد ضمن ما قاله أصحاب الأثر وأهل السنة وأجمعوا عليه: أن "الخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها، ولا يَخرج عليهم، ولا نُقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة([1])، وأن الجهاد ماض قائم مع الأئمة برُّوا أو فجروا، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، وأن الجمعة والعيدان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة ولا أتقياء ولا عدولًا، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إلى الأمراء عدلوا فيها أم جاروا"إ.هـ

كل هذا يفوه به إمام أهل السنة على الرغم مما تعرض له من تعذيب على يد مخالفيه من الأمراء وأعوانهم، والغريب أنه في كل ذلك يقول –كما في سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٠ وما بعدها– "(لست أبالي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلًا بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط)، فسمعه بعض أهل الحبس، فقال: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سُرّيَ عنه"، قال حنبل ابن عم الإمام أحمد: "حبس أبو عبد الله في دارٍ ببغداد في إصطبل الأمير محمد بن إبراهيم، وكان في حبس ضيق، ومَرِض في رمضان، ثم حُوِّل بعد قليل إلى سجن العامة فمكث فيه نحوًا من ثلاثين شهرًا، وكنا نأتيه وغيره في الحبس، ورأيتُه يصلي بهم في القيد، فكان يُخرج رجله من حلقة القيد وقت الصلاة والنوم".

ويحكي صالح ابن الإمام أحمد عنه قوله: "لما جيء بالسياط، نظر إليها المعتصم فقال: ائتوني بغيرها([2])، ثم قال للجلادين: تقدموا، فجعل يتقدم إلي الرجل منهم فيضربني سوطين، فيقول له: شُدّ عليه قطع الله يدك! ثم يتنحى ويتقدم آخر فيضربني سوطين، وهو يقول في كل ذلك: شد قطع الله يدك!، فلما ضُربتُ سبعة عشر سوطًا، قام إليّ المعتصم فقال: يا أحمد علام تقتل نفسك؟ إني والله عليك لشفيق، وجعل عجيف –قائد جنده– ينخسني بقائمة سيفه، ويقول: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟ وطفق بعضهم يقول: يا أمير المؤمنين، دمه في عنقي، اقتله، وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين، أنت صائم، وأنت في الشمس قائم! فقال لي: ويحك يا أحمد ما تقول يعني في خلق القرآن؟، فأقول: (أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسول الله أقول به)، فرجع وجلس وقال للجلاد: تقدّم وأوْجِع قطع الله يدك، ثم قام الثانية والمعتصم يقول: أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي، ثم رجع وقال للجلاد: تقدم، فجعل يضربني سوطين ويتنحى، وهو في خلال ذلك يقول: شد، قطع الله يدك، فذهب عقلي، ثم أفقتُ بعد، فإذا الأقياد قد أطلقت عني، فقال لي رجل ممن حضر: كببناك على وجهك وطرحنا على ظهرك بارية – يعني: حصيرًا– ودُسْناك! قال أبي: (فما شعرت بذلك –لأنه كان قد أغمي عليه من شدة الدّوس على جسده حتى كاد أن يموت– وأتوني بسويق، وقالوا: اشرب وتقيأ، فقلت: لا أفطر، ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرت الظهر فتقدم ابن سماعة فصلى، فلما انفتل من صلاته وقال لي: صليتَ والدم يسيل في ثوبك؟ قلت: قد صلى عمر وجرحه يثعب دمًا)، قال صالح:

ثم خُلي عنه فصار إلى منزله، وكان مكثه في السجن منذ أخذ إلى أن ضُرب وخُلّي عنه، ثمانية وعشرين شهرًا، ولقد حدثني أحد الرجلين اللذين كانا معه، قال: (يا ابن أخي، رحمة الله على أبي عبد الله، والله ما رأيتُ أحدًا يشبهه، ولقد جعلتُ أقول له في وقت ما يوجه إلينا بالطعام: يا أبا عبد الله، أنت صائم، ولقد عطش، فقال لصاحب الشراب: ناولني، فناوله قدحا فيه ماء وثلج، فأخذه ونظر فيه، ثم رده ولم يشرب، فجعلتُ أعجب من صبره على الجوع والعطش، وهو فيما هو فيه من الهول!)".

وقال حنبل: سمعتُ أبا عبد الله يقول: (ذهب عقلي مرارًا، فكان إذا رُفع عني الضرب رجعتُ إلي نفسي وإذا استرخيتُ وسقطتُ رُفع الضرب، أصابني ذلك مرارًا، ورأيت المعتصم قاعدًا في الشمس بغير

([1]) ويذكرنا ذلك بما قلناه مرارًا في هذا البحث، ونقلنا له الإجماع، وفي ذلك ما يؤكد أن الحق الذي يجري على ألسنة أئمة السنة واحد لا يتعدد، ولا ينبغي الخلاف فيه ولا يجوز، وأن القول بجوازه حيد عن طريق السنة واتباع لمذهب الخوارج وقد تبعهم فيه الأشاعرة وأجروا فيه الخلاف كما سبق أن ألمحنا.

([2]) يعني: مما وَقْعُها وأثرها على الجسد أشدّ.

مظلة، فسمعتُه، وقد أفقتُ يقول لقاضي القضاة المعتزلي أحمد بن أبي داود([1])، لقد ارتكبتَ إثمًا في أمر هذا الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه –والله– كافر مشرك، قد أشرك من غير وجه، فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد؛ وقد كان أراد تخليتي بلا ضرب، فلم يدعْه)"، قال حنبل: وبلغني أن المعتصم قال لابن أبي داود عندما ضرب أبو عبد الله، كم ضُرب؟؛ قال: أربعة أو نيفًا وثلاثين سوطًا".. قال محمد ابن أبي حاتم الوراق: "سمعت أبي يقول: أتيت أبا عبد الله بعد ما ضرب بثلاث سنين أو نحوها؛ فجرى ذكر الضرب فقلت له: ذهب عنك ألم الضرب؟، فأخرج رحمة الله عليه يديه، وقبض كوعيه اليمين واليسار وقال: هذا: كأنه يقول قد خُلعا".

ورُوي عن شاباص التائب قال: (لقد ضُرب أحمد بن حنبل ثمانين سوطًا، لو ضربته على فيل لهدته).. وعن الحسن بن عبد العزيز الجروي قال: دخلت أنا والحارث بن مسكين على أحمد فقال لنا: ضربتُ فسقطتُ، وسمعت ذاك –يعني: ابن أبي داود– يقول: يا أمير المؤمنين هو والله ضال مضل، فقال الحارث: أخبرني يوسف بن عمر عن مالك عن الزهري أنه سُعي به – يعني بمالك– حتى ضُرب هو الآخر بالسياط، وقيل: عُلقتْ كتبُه في عنقه، ثم قال مالك: وقد ضرب سعيد بن المسيب وحلق رأسه ولحيته وضرب أبو الزناد، وضُرب محمد بن المنكدر وأصحاب له بالسياط، وما ذكر مالكٌ نفسه.. وقال مكي بن عبدان: ضَرب جعفر بن سليمان مالكًا تسعين سوطًا سنة١٤٧.. كذا كان صبرهم على الأذى وعلى من آذوهم، فما رأينا منهم أحدًا يكفر أحدًا ممن آذوهم، ولا خرّج واليًا سُلط عليه من الملة، ولا قال بخروج أتباعه –وما أكثرهم!– عليه، والكلام في ذلك أكثر من أن يحصى.

وككل أئمة السنة: الإمام أحمد يبشع تكفير أهل القبلة، ويدحض ما عليه سفكة دماء المسلمين، ويحذر منهم ومن سائر أهل البدع لإدراكه أنهم سبب كل بلاء:

ومما ورد عنه في ذلك قوله في أصول السنة: "أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والسنة عندنا آثار رسول الله وهي تُفَسِّر القرآن ولا تُدرك بالعقول ولا الأهواء –يعني: المتشابه منها– إنما هو الاتباع وترك الهوى.. والإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها، لا يُقال لِمَ؟ ولا كيف؟، إنما هو التصديق والتسليم له، مثل حديث: (إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أربعين يومًا.. الحديث) ومثل أحاديث الرؤية وإن نَبَتْ عن الأسماع واستوحش منها المستمع.. والإيمان بشفاعة النبي وبقوم يخرجون من النار بعد ما احترقوا وصاروا فحمًا، فيُؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة كما جاء في الأثر، كيف شاء الله وكما شاء

ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، نرجو للصالح ونخاف عليه، ونخاف على المسيء المذنب، ونرجو له رحمة الله، ومن لقي الله بذنب يجب له به النار تائبًا غير مُصرٍّ عليه، فإن الله يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ومن لقيه وقد أقيم عليه حدُّ ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته كما جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ ، ومن لَقيَه مُصِرّا غير تائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ومن لَقِيَه وهو كافر عذّبه ولم يغفر له.. ومن مات من أهل القبلة مُوَحِّدًا يصلّى عليه ويستغفر له، ولا يُحجب عنه الاستغفار، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرًا كان أو كبيرًا، أَمرُهُ إلى الله تعالى"، وفي زيادة عند محمد بن عوف الطائي: "إلا أن يكون من أهل البدع الذين أخرجهم النبي من الإسلام: القدرية والمرجئة، والرافضة، والجهمية، فقال: (لا تصلوا معهم، ولا تصلوا عليهم)"إ.هـ

ومما جاء في عقيدة أحمد قوله من رواية الأَنْدَرَابي: إن "من صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة، ألا يكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب.. والإيمان بأن الموحدين يخرجون من النار بعدما امتحشوا كما جاءت الأحاديث"، وأن "هذا مما اجتمع عليه العلماء في جميع الآفاق".. وقوله من رواية الزَّرندي: "ولا نتألى

([1]) هو أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي الجهمي، كان داعية إلى القول بخلق القرآن، له كرم وسخاء وأدب وافر ومكارم، قال المغيرة بن محمد المهلبي: (مات هو وولده محمد منكوبين، الولد أولًا، ثم مات الأب سنة ٢٤٠ ودفن بداره ببغداد)، صادره المتوكل وأخذ منه ستة عشر ألف ألف درهم، وافتقر.. وسبحان من له الملك وبيده مقاليد كل شيء.

على أحد من المسلمين أن يقول فلان في الجنة وفلان في النار إلا العشرة الذين شهد لهم النبي بالجنة.. ولا نكاح إلا بولي وخاطب وشاهدي عدْلٍ"([1])، إلى آخر ما ورد عنه في ذلك رحمه الله.

ومما ترسخ في عقيدة إمام أهل السنة –بل وجميع فقهاء المذاهب– ما أورده الإصْطَخْري عن أحمد من أن "الدين إنما هو كتابُ الله وآثارٌ وسننٌ وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة، يُصدِّق بعضُها بعضًا حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله وأصحابه والتابعين وتابع التابعين، ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدَى بهم، المتمسكين بالسنة والمعلَّقين بالآثار، لا يعرفون بدعة ولا يُطعن فيهم بكذب، ولا يُرْمَون بخلاف، وليسوا أصحاب قياس ولا رأي، إلا أن يكون في ذلك أثر عمن سلف من الأئمة الثقات، ومن زعم أنه لا يرى التقليد ولا يقلد دينه أحدًا فهو قول فاسق عند الله ورسوله ﷺ، إنما يريد بذلك إبطال الأثر وتعطيل العلم والسنة والتفرد بالرأي والكلام والبدعة والخلاف، وهذه المذاهب والأقاويل التي وصفتُ: مذاهب أهل السنة والجماعة والآثار وأصحاب الروايات وحملة العلم، الذين

([1]) وهذا حكم فقهي وإنما أدخله في مسائل الاعتقاد ونص عليه أحمد وغيره من جمهرة أئمة السلف: حسم الأمر وعدم الاعتداد بالخلاف في معارضة النكاح بغير ولي، وذلك للأدلة الصريحة والمشترطة ذلك، من نحو قوله ﷺ: (لا نكاح إلا بولي) وقد ترجم له البخاري في باب: "(من قال: لا نكاح إلا بولي) لقوله تعالى: (فلا تعضلوهن.. البقرة/ ٢٣٢) فدخل فيه الثيب وكذلك البكر، وقال: (ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا.. البقرة/ ٢٢١)، وقال: (وأنكحوا الأيامى منكم.. النور/ ٣٢)" وذكر حديث عائشة: (إن النكاح كان في الجاهلية على أربعة أنحاء، فنكاح منها: نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.. الحديث)، وعلق ابن حجر في الفتح 9/ ٨٩ يقول: "قوله (باب من قال لا نكاح إلا بولي)، استنبط المصنف هذا الحكم من الآيات والأحاديث التي ساقها، لكون الحديث الوارد بلفظ الترجمة على غير شرطه، والمشهور فيه حديث أبي موسى مرفوعا بلفظه أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة وصححه ابن حبان والحاكم، لكن قال الترمذي بعد أن ذكر الاختلاف فيه: (وأن من جملة من وصله إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبيه، ومن جملة من أرسله شعبة والثوري عن أبي إسحاق عن أبي بردة ليس فيه أبو موسى رواية، ومن رواه موصولا أصح لأنهم سمعوه في أوقات مختلفة، وشعبة وسفيان وإن كانا أحفظ وأثبت من جميع من رواه عن أبي إسحاق لكنهما سمعاه في وقت واحد، ثم ساق الترمذي من طريق أبي داود عن شعبة قال: سمعت سفيان الثوري يسأل أبا إسحاق أسمعت أبا بردة يقول: قال رسول الله ﷺ: {لا نكاح إلا بولي؟}، قال: {نعم}، وساق من طريق ابن مهدي قال: {ما فاتني الذي فاتني من حديث الثوري عن أبي إسحاق إلا لما اتكلت به على إسرائيل، لأنه كان يأتي به أتم}، وأخرج ابن عدي عن عبد الرحمن بن مهدي قال: {إسرائيل في أبي إسحاق أثبت من شعبة وسفيان}، وأسند الحاكم من طريق علي بن المديني ومن طريق البخاري والذهلي وغيرهم أنهم صححوا حديث إسرائيل)إ.هـ من كلام الترمذي".

يقول ابن حجر: "ومن تأمل ما ذكرته عرف أن الذين صححوا وصله لم يستندوا في ذلك إلى كونه زيادة ثقة فقط، بل للقرائن المذكورة المقتضية لترجيح رواية إسرائيل الذي وصله على غيره، وسأشير إلى بقية طرق هذا الحديث بعد ثلاثة أبواب؛ على أن في الاستدلال بهذه الصيغة في منع النكاح بغير ولي نظرًا، لأنها تحتاج إلى تقدير؛ فمن قدره: (نفي الصحة) استقام له، ومن قدره: (نفي الكمال) عكر عليه، فيحتاج إلى تأييد الاحتمال الأول بالأدلة المذكورة في الباب وما بعده.. قوله لقول الله تعالى: (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن)، أي: لا تمنعوهن، وسيأتي في حديث معقل آخر أحاديث الباب بيان سبب نزول هذه الآية، ووجه الاحتجاج منها للترجمة، قوله: (فدخل فيه الثيب وكذلك البكر)، ثبَت هذا في رواية الكشميهني وعليه شرح ابن بطال، وهو ظاهر لعموم لفظ النساء.. ووجه الاحتجاج بآية: (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) والتي بعدها: أنه تعالى خاطب بإنكاح الرجال ولم يخاطب به النساء، فكأنه قال: لا تنكحوا أيها الأولياء مولياتكم للمشركين"إ.هـ.

كما ذكر البخاري في الباب قول عمر: "لقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه فقلت: إن شئتَ أنكحتك حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبث ليالي ثم لقيني فقال: بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة".. قال الطبري: "في حديث حفصة – حين تأيمت – وعقَد عليها عمر النكاح ولم تعقده هي: إبطال قول من قال: إن للمرأة البالغة المالكة لنفسها تزويج نفسها وعقد النكاح دون وليها، ولو كان ذلك لها لم يكن رسول الله ﷺ ليدع خطبة حفصة لنفسها، إذ كانت أولى بنفسها من أبيها".

وكذا ذكر البخاري حديث معقل بن يسار وفيه: أن آية (فلا تعضلوهن) نزلت فيه، قال: زوجت أختًا لي من رجل فطلقها، فأعضلها معقل ولم يشأ أن يرجعها لزوجها.. الحديث وفي آخره بعد نزول الآية: (فروجها إياه)، وأطراف الحديث في ٤٥٢٩، ٥١٣٠، ٥٣٣٠، ٥٣٣١.

ثم ساق ابن حجر الخلاف في اشتراط الولي في النكاح، وقول الجمهور إنه "لا تزوج المرأة نفسها أصلا واحتجوا بالأحاديث المذكورة، ومن أقواها هذا السبب المذكور في نزول الآية، وهي أصرح دليل على اعتبار الولي، وإلا لما كان لعضله معنى، ولأنها لو كانت لها أن تزوج نفسها لم تحتج إلى أخيها، ومن كان أمره إليه لا يقال: (إن غيره منعه منه)، وذكر ابن المنذر أنه لا يُعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك"، ثم ذكر رحمه الله الخلاف في ذلك قائلًا: "وعن مالك رواية أنها إن كانت غير شريفة زوجت نفسها، وذهب أبو حنيفة إلى أنه لا يشترط الولي أصلًا، ويجوز أن تزوج نفسها ولو بغير إذن وليها إذا تزوجت كفؤا، واحتج بالقياس على البيع فإنها تستقل به، وحمل الأحاديث الواردة في اشتراط الولي: على الصغيرة.. لكن حديث معقل المذكور رفع هذا القياس، ويدل على اشتراط الولي في النكاح دون غيره ليندفع عن مولیته العار باختيار الكفء، وانفصل بعضهم فقال بجواز أن تزوج المرأة نفسها، لكن ذلك يتوقف على إجازة الولي كما قالوا في البيع، وهو مذهب الأوزاعي".

وبناء على ما سبق: فإن مجيء ذلك في مسائل الاعتقاد أظهر عدم الاعتداد بهذا الخلاف وقضى ببطلان وعدم صحة أن تزوج المرأة نفسها ولا غيرها، ولا ينعقد بعبارتها، وأنه يشترط الولاية لصحة وإتمام عقد النكاح، لإجماع الصحابة ولتوافر الأدلة من القرآن وكذا أدلة السنة التي منها – من غير ما سبق – ما صح عنه ﷺ من حديث عائشة: (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل.. الحديث)، وكلها أدلة قاطعة بحسم هذه المسألة، وأن الله تعالى خاطب بالنكاح الرجال ولم يخاطب به النساء، فيكون الزواج بغير ولي باطل.. كما أن العقل يقضي بذلك كون الزواج له مقاصد متعددة، والمرأة كثيرًا ما تخضع لحكم العاطفة، فلا تُحسن الاختيار، فيفوتها حصول هذه المقاصد، وجعل مباشرة العقد إلى وليها يمكنها من حصول هذه المقاصد على الوجه الأكمل، ثم إن أبا حنيفة نفسه – وهو من خالف الأدلة والإجماع في هذه المسألة، وهو بعدُ وفي النهاية تسري عليه أحكام البشر في مجانبة الصواب أحيانًا مع اجتهاده – محجوج عليه بقوله هو عن نفسه: "لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذنا"، وقوله: "حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي"، زاد في رواية: "فإنَّا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدًا"، وقوله: "إذا قلت قولًا يخالف كتاب الله وخبر الرسول ﷺ فاتركوا قولي". والسؤال الآن: هل ثمة حجة بعد كل هذا لمن يجيز نكاح المرأة نفسها، ويدخل فيه بالطبع ما أشيع من ذلك في الجامعات وغيرها تحت أي مسمى، أو تحت أي ظرف من الظروف، وهل يشك أحد أن مقترف هذه الجريمة بعد تحرير القول فيها واقع لا محالة في كبيرة وفاحشة الزنا والعياذ بالله؟.

أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث، وتعلمنا منهم السنن، وكانوا أئمة معروفين ثقات أصحاب صدق يُقتدى بهم ويؤخذ عنهم، ولم يكونوا أصحاب بدعة ولا خلاف ولا تخليط، وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم، فتمسكوا بذلك رحمكم الله وتعلموه".

وجعل رحمه الله يعذر إلى الله ويذكر أولئك المبتدعة بصفاتهم وسماتهم، فذكر ضمن ما ذكر المرجئة وأنهم "الذين يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل وأن الإيمان قول والأعمال شرائع وأن من آمن بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن حقًا: هم على قول المرجئة، وهو أخبثُ الأقوال وأضلُّه وأبعدُه من الهدى".

وذكر ضمن من ذكر الجهمية: وأنهم "الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله لم يكلم موسى، وأن الله ليس بمتكلم"، وهو ما لا يزال البعض ممن يحسب نفسه من أهل السنة للأسف يؤمن به.. كما ذكر ضمن من ذكر: الرافضة والنُصَيريّة والزيدية، والخوارج الذين جعل يصفهم بأنهم من "مَرَقُوا من الدين، وفارقوا الملة، وشَردوا عن الإسلام، وشذُّوا عن الجماعة، فضلوا عن السبيل والهدى، وخرجوا على السلطان، وسلُّوا السيف على الأمة، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وعادوا من خالفهم إلا من قال بقولهم، وكان على مثل رأيهم، وثبت معهم في بيت ضلالتهم.. ولا يرون للسلطان عليهم طاعة، ولا لقريش عليهم خلافة".

انظر وتأمل! أليس في ذلك ما يشخص بعض سمات من يعيشون بين أظهرنا ويسعون بكل سبيل لتحصيله؟.. قال رحمه الله عن أمثالهم: "وكفى بقوم ضلالة أن يكون هذا رأيهم ومذهبهم ودينهم، وهم ليسوا من الإسلام في شيء"إ.هـ.. رحم الله إمام أهل السنة وسائر إخوانه من أئمة الفقه بقدر ما أفادونا بعلمهم، وبقدر ما تحملوا وقدموا للإسلام وللمسلمين.. وما علينا – إن كنا صادقين في حبهم – إلا أن نتجرد للحق قدر المستطاع، وأن نسير على هداهم قدر الطاقة، وأن نساهم في نشر معتقداتهم ولا نكتمها، على الأقل خوفًا من أن نقع تحت طائلة من قال الله بشأنهم: (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلًا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.. البقرة/ ١٧٤).

****

الفصل الثاني
المسكوت عنه الواجب اتباعه في عقيدة صالحي الخلف لخير السلف من أئمة القرون الثلاثة التالية للقرون الخيرة..
الطحاوي – الأشعري – الآجري – اللالكائي – الصابوني – الأصبهاني – ابن قدامة.. نموذجًا

المبحث الأول.. (الطحاوية) و(إبانة الأشعري).. على منهج أهل السنة في: عدم تكفير المسلمين وعدم الخروج على حكامهم

أولًا: في خطوة حقيقية لتجديد الخطاب الديني.. (معتقد الإمام الطحاوي المصري) كسابقَيه: من شأن اعتناقه وتدريسه على أبناء الأزهر والمعاهد الدعوية؛ أن يقيم صحيح الدين ويقضي على التطرف والإرهاب

وتأكيدًا على ما سبق ذكره من ضرورة إيجاد عملٍ إيجابي يشارك فيه شيوخ الأمة وعلماؤها، ويهدف لتوسيع الدائرة للتفكير في برنامج علمي وخطة طموحة لتجديد الخطاب الديني، كما يهدف لوضع تصور حقيقي وعملي لمواجهة التطرف والإرهاب لا يقتصر على جهة ما.. وتعاونًا منا فيما اعتزمت عليه وزارة الأوقاف من عمل خطة مدتها أربع سنوات لهذا الغرض طبقًا لما نشرته جريدة اليوم السابع في ٤/ ٨/ ٢٠١٨.. وإدراكًا منا لأهمية تقييم هذه الخطة للخروج بنتائج أفضل.. نكرر: أن ما جاء بأطروحة الوزارة لا يلبي طموحات شعوبنا العربية والإسلامية، نظرًا لأن الخطة التي وضعتها الوزارة لن تقضي البتة على التطرف ولن تجدي مثقال ذرة مع وجود عقيدة تحتاج إلى إعادة نظر، ولا تدعو إلى صحيح الاعتقاد ووسطيته بحق، ولا تحارب وتبدِّع الخروج على حكام المسلمين، ولا تحث على الدعاء لهم بالصلاح والهداية، ولا تحض على السمع والطاعة لهم في غير معصية.. وإنما نروم فيما نطرحه هنا تحقيق ما تطمح إليه أمتنا من إيجاد عقيدة صحيحة مجمع عليها تتضمن كلَّ ذلك، وتنعقد عليها قلوب أبنائنا بالأزهر وغيره من المعاهد الدينية على مستوى عالمينا العربي والإسلامي، وتَجمع الأمة على كلمة سواء، وهذا ما نراه ماثلًا بوضوح هذه المرة من تقرير (العقيدة الطحاوية) للإمام الطحاوي.

والطحاوي كما قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ١٥/ ٢٧، هو: (الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها)، عَلَم من أعلام الإسلام، وهو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري الحنفي الطحاوي نسبة إلى (طحا) في قرى مصر، سكن أجداده مصر بعد الفتح الإسلامي وعقب نزوحهم من (أزد) باليمن، ونشأ هو في أسرة معروفة بالعلم والتقي والصلاح، وذات نفوذ ومنعة وقوة في صعيد مصر، وكان والده من أهل العلم والأدب والفضل، وأما والدته فهي أخت المُزَني صاحب الإمام الشافعي وكانت معروفة بالعلم والفقه والصلاح، فكان أن برز الطحاوي في علم الحديث وتفقه على مذهب الشافعي ثم انتقل منه إلى مذهب أبي حنيفة، وقد ذكر ابن خِلِّكان في الوفيات: أنه (برع فيه وفاق أهل زمانه، وانتهت إليه رئاسة الحنفية في مصر)، وكان قد (تفقه –كما في السِّير– بالقاضي أحمد بن أبي عمران الحنفي وجمع وصنف.. وارتحل بعدُ إلى الشام فلقي القاضي أبا خازم وتفقه أيضًا عليه).. عاصر الطحاوي جميع أمراء الدولة الطولونية وكانت له لدي بعض أمرائها مكانة مرموقة.. تخرج –رحمه الله– على كثير من الشيوخ وأفاد منهم، وقد أربى عددهم على ثلاثمائة شيخ، كما روى عنه خلق كثير، منهم: عبد العزيز بن محمد الجوهري قاضي الصعيد، وغيره.

قال عنه ابن يونس في (تاريخ العلماء المصريين)، والصفدي في (الوافي)، وابن الجوزي في (المنتظم): (كان ثقة ثبتًا فقيهًا عاقلًا)، وقال ابن كثير في (البداية والنهاية): (الفقيه الحنفي، صاحب التصانيف المفيدة والفوائد الغزيرة، وهو أحد الثقات الأثبات والحُفّاظ الجهابذة)، وقال ابن تغري بردي: (إمام عصره بلا مدافعة في الفقه والحديث واختلاف العلماء والأحكام واللغة والنحو، وصنف المصنفات الحسان)، وقال السيوطي في (طبقات الحفاظ): (الإمام العلامة الحافظ، صاحب التصانيف البديعة)، وقال

البدر العيني في (نخب الأفكار): (أما الطحاوي فإنه مُجمع عليه في ثِقَتِهِ وأمانته وفضيلته التامة ويده الطُّوْلَى في الحديث وعلله وناسخة ومنسوخه، ولقد أثنَى عليه السلف والخلف)، وقال حافظ المغرب ابن عبد البر: (كان الطحاوي كوفي المذهب، وكان عالمًا بجميع مذاهب الفقهاء).

ويُعد الإمام الطحاوي بحق من أئمة السلف الصالح العاملين على هُدي من الله وبصيرة، ومن الذين لم يألوا جهدًا في نشر مذهب السلف في العقيدة المستمدة من الكتاب والسنة والإجماع، ولا أدل على ذلك من كتابه الموسوم بـ(العقيدة الطحاوية) الذي تلقاه علماء الأمة سلفًا وخلفًا بالقبول، فإن الدارس لمجمل هذا الكتاب يتبين له أن مؤلفه قد التزم بمنهج أهل السنة والجماعة في مفهوم الاعتقاد، قال السبكي: (جمهور المذاهب الأربعة على الحق، يقرؤون عقيدة الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفًا وخلفًا بالقبول)، توفي رحمه الله سنة ٣٢١ ودفن بمصر.

١ـ وهاكم متن معتقده الذي ينبغي أن يُحفظ، يقول فيه رحمه الله:

"هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين.. نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يُعجزه، ولا إله غيره، قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام، حيٌّ لا يموت، قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة، ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، وكما كان بصفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبديًا، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم (الخالق)، ولا بإحداث البرية استفاد اسم (الباري).. وكما أنه محيي الموتى بعدما أحياهم استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم (الخالق) قبل إنشائهم.. (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.. الشورى/ ١١)، خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارًا، وضرب لهم آجالًا.. أمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تَنفُذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلًا، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو متعال عن الأضداد والأنداد، لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره.. ونشهد أن محمدًا عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى، وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء.. وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى وبالنور والضياء".

٢ـ الطحاوي ـ بعقيدةٍ مجمع عليها من قِبل أهل السنة ـ يرد على التكفيريين دعاواهم، ويوجب طاعة أولي الأمر وإن جاروا، ويمنع التألّه على الله بدخول أحد جنة أو حرمانه منها

ويقول في ذلك: "لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله.. ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم ولا نقنِّطهم، والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة، ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه.. وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا، وهم موحِّدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين، وهم في مشيئته وحكمه: إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر ذلك في قوله: (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.. النساء/ ٤٨، ١١٦)، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وبشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تولى أهل معرفته ولم يجعلهم في الدارين كأهل نُكْرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته.. ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد إلا من وجب عليه السيف"، وفيه وجوب القصاص من قتلة الموحدين، إذ قاتلوهم: شر الخلق والخليقة وكلاب أهل النار.

قال ردًا على من نصَّب نفسه قاضيًا وحاكمًا على الناس من أهل السنة ـ حكامًا ومحكومين ـ بالكفر والشرك والنفاق.. إلخ، بعد أن قصّر في دعوتهم ودعوة نفسه إلى الحق، وقنّطهم من رحمة الله بدعاوَى كاذبة ومبالغ فيها: "ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، والصلاة على من مات من الأبرار والفجار، ولا نُنزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يَظهر منهم شيء من ذلك، ونَذرُ سرائرهم إلى الله.. **ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا**

ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة.. ونتَّبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة، ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة، ونقول: (الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه)، ونرى.. الحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، بَرَّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يُبطلهما شيء ولا يَنقضهما".

وما أظن أن ثمة ردًا أبلغ من هذا في دحض شُبه من يحرفون الكلم في نحو قوله تعالى: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.. النساء/ ٥٩) عن مواضعه، أو يعطلونه في نحو قوله عليه السلام فيما رواه البخاري: (من يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني) وقوله: (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يُؤمر بمعصية) إلى غير ذلك مما أدرجه البخاري وكذا مسلم في بابي: (الإمارة والسِّيَر) و(وجوب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية).. فيخلع عمن لم يصدر عنه من ولاة أمور المسلمين كفرًا بواحًا، ولا أخلّ بالشروط التي يجب مراعاتها – وسيأتي ذكرها مفصلة عند الحديث عن إمامة المتغلب – ولاياتهم الشرعية التي أرادها الله لهم أزلًا ثم ألبسهم ثوبها واقعًا مجددًا، فيجعلهم –وهذا من أعجب العجب– موظفين عموميين، أو يقصد إلى اتباع وخلق أساليب تهدف إلى قلب الحقائق وتجاهل الواقع وتغييب العقول بغرض تلميع ولاتهم الباطنيين وتشويه صورة ولي الأمر الشرعي المعلوم، كأن يصوره على أنه انقلابي، أو علماني، أو طاغوت، أو فرعون، أو مغتصب سلطة، أو لا تنطبق عليه ضوابط الإمام المتغلب كونه كافرًا، أو يدعو عليه أو يسبه أو يلعنه، أو يدّعي أنه لا تصح لآحادهم ولاية كونه ليس واحدًا منهم.. إلى آخر ذلك مما يثير عليه الدهماء أو لا يردّ إليه القلوب النافرة عنه.. ليحتال –من وراء ذلك– على ما أوجبه لهم الله ورسوله وأجمع عليه أئمة أهل السنة من وجوب احترامهم والسمع والطاعة لهم في غير معصية، إذ كل ذلك نبذٌ لعقيدة أهل السنة، وضروب من الخداع ووساوس شياطين الإنس والجن، بل ومن الخروج المعنوي الذي من شأنه أن يجعل فاعله –عياذًا بالله– في مصاف الخوارج.

٣-ويرُدُّ على الأشاعرة نكرانهم أن يكون القرآن كلام الله على الحقيقة.. ونكرانهم سائر صفاته الخبرية والفعلية:

ويذكر الطحاوي ضمن عقائد أهل الملة: أنهم يشهدون "أن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدّقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه، وأوعده بسقر حيث قال: (سأصليه سقر.. المدثر/ ٢٦)، فلما أوعد الله بسقر لمن قال: (إن هذا إلا قول البشر) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر.. ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر.. والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية.. وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول فهو كما قال، ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلَّم لله ولرسوله، ورَدَّ عِلْم ما اشتبه عليه إلى عالمه، ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علْمَ ما حُظِر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا، زائغًا شاكًا، لا مؤمنا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبًا.. ومن لم يتوَقَّ النفي والتشبيه زلَّ ولم يصب التنزيه، فإن ربنا موصوف بصفات الوحدانية، ليس في معناه أحد من البرية، تعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات".

٤-ويحث على التصديق بالمعجزات وبباقي أركان الإيمان.. ويرد على الخوارج.. وكذا على أهل الإرجاء مزاعمهم وقولهم إنه لا يضر مع الإيمان معصية:

فيقول: "والمعراج حق، وقد أسرى بالنبي وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله فأوحى إليه ما أوحى، (ما كذب الفؤاد ما رأى.. النجم/ ١١).. والحوض الذي أكرمه الله به –غياثًا لأمته– حق، والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما رُوي في الأخبار، والميثاق الذي أخذه تعالى من آدم وذريته

حق، وقد علم الله فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يُزاد في ذلك العدد ولا يُنقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكلٌّ ميسر لما خُلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله، وأصل القدر سر الله في خلقه، لم يَطَّلِعْ على ذلك مَلَك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسُلّم الحرمان ودرجة الطغيان.. ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رُقِم.. وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.. والعرش والكرسي حق، وهو سبحانه مستغنٍ عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه.. ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلم موسى تكليمًا.. ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين.

ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين، ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله.. والإيمان واحد وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى، والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن، والإيمان: هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى.

ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين، ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلًا، وبسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار.. والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، وبالعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان.. والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدا ولا تبيدان، وإن الله خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلًا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلًا منه ومن شاء منهم إلى النار عدلًا منه، وكلٌّ يعمل لما قد فَرغ الله له، وصائر إلى ما خُلق له.. ونؤمن بأشراط الساعة التي منها: خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها، ولا يجوز تصديق الكهنة والعرافين، ولا نصدق كاهنًا ولا عرافًا، ولا من يدّعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

٥-ويرُدُّ على المعتزلة قولهم بخلق العباد أفعالهم:

وأفعال العباد خلقُ الله وكسبٌ من العباد، ولم يكلفهم تعالى إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير (لا حول ولا قوة إلا بالله)، لا حيلة لأحد ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئة المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدًا، تقدس عن كل سُوء وحَيْنٍ –والحَين: الهلاك– وتنزه عن كل عيب وشين، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات، والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات، ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غنى عنه تعالى طرفة عين.. والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى".

٦-ويرد على الشيعة مزاعمهم في الصحابة، وطعنهم في خلافة الراشدين منهم، ومزايدتهم والصوفية في حب آل البيت، ويحصن أبناءنا من كل ذلك:

فيقول: "ونحب أصحاب رسول الله ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، ونُثبت الخلافة بعد رسول الله أولًا لأبي بكر الصديق تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر ثم لعثمان ثم لعلي، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون، وأن العشرة الذين سماهم ﷺ وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله، وقوله الحق، وهم: (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح –وهو أمين هذه الأمة– رضي الله عنهم أجمعين، ومَن أحسن القول في أصحاب رسول الله وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذريّاته المقدّسين من كل رجس؛ فقد برئ من النفاق.

وعلماء السلف من السابقين ومَن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومَن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل، ولا نُفضِّل أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم.. ونرى الجماعة حقًّا وصوابًا، والفُرقة زيغًا وعذابًا، ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) وقال: (ورضيت لكم الإسلام دينًا)، وهو وسط بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس".

ثم يختم الطحاوي رحمه الله معتقده بقوله: "فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا، ونحن براء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الرديَّة، مثل: المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم؛ من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة، ونحن منهم براء، وهم عندنا ضلال وأردياء، وبالله العصمة"إ.هـ.. فما أحسنها من عبارات جزلة لو أجدنا حفظها، وما أجملها من معتقدات فذة لو أحسنا العمل بها والتواصي ببنودها وانعقاد قلوبنا عليها.. والله وحده هو الموفِّق والهادي إلى سواء السبيل.

ثانيًا: صحيح معتقد أبي الحسن الأشعري المتمثل في كتابه (الإبانة):
يردُّ على أشاعرة الزمان، ويحمل في طياته وحدة الأمة، والحل الأمثل لقضاياها

هذا، ويعد أبو الحسن إن أبا الحسن الأشعري إمام المذهب ت ٣٢٤، من أبرز أئمة أهل السنة ممن استقاموا على معتقد أهل السنة والجماعة وأثبتوا لله سائر صفاته الخبرية والفعلية في القرن الرابع الهجري، ومن الملائم –وحتى لا يشغب علينا من يشكك في كتبه التي أعلن فيها تراجعه لمذهب السلف، ووفاءً بحق العلم وأمانته– أن نكشف حقيقة ما كان عليه ونُفصح عما آل إليه أمره، وأن نبين بالدليل أن مَن يدَّعون شرف الانتساب إليه ممن يؤولون، هم في حقيقة الأمر على غير مذهبه.. وأن مذهب تأويل الصفات الخبرية والفعلية الذي ظل الأشعري عليه قرابة الثلاث سنوات، قد رجع عنه إلى طريقة النبي عليه السلام وصحابته وتابعيهم بإحسان في الأخذ بظواهر النصوص وعدم انتهاك حرماتها بالتفويض أو التأويل والتعطيل والتحريف.. وأننا نخادع أنفسنا لو لم نقل هذا أو قلنا بخلافه.

أ-الأشعري يتخلى عن مذهبه في التأويل، ويبرأ إلى الله منه، ويتبنى مذهب أهل السنة والجماعة:

ولا أدل على تخليه عن مذهب التأويل من شهادات علماء الأمة على مدار تاريخهم الطويل، ويكفينا منها في (القديم) شهادة الحافظ ابن كثير التي ذكرها في طبقات الشافعية ١/ ٢٠٥، حيث قال ما نصه: "ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة، وهي (الحياة) و(العلم) و(القدرة) و(الإرادة) و(السمع) و(البصر) و(الكلام)، وتأويل الخبرية كـ (الوجه) و(اليدين) و(القدم) و(الساق).. ونحو ذلك.

والحال الثالثة: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريًا على منوال السلف، وهي طريقته في (الإبانة) التي صنفها آخرًا".

كما يكفينا منها في (الحديث): شهادة العلامة المحقق محب الدين الخطيب، قال في هامش ص ٤٣ على (المنتقى) للذهبي: "قد علمتَ أن الأشعري كانت له ثلاثة أطوار: **أولها:** انتماؤه إلى المعتزلة.

والثاني: خروجه عليهم ومعارضته لهم بأساليب متوسطة بين أساليبهم ومذهب السلف.

والثالث: انتقاله إلى مذهب السلف وتأليفه في ذلك كتابه (الإبانة) وأمثاله، وقد أراد أن يلقى الله على ذلك".

وعلى شهادتَي الحافظ والمحب، تُحمل مقولة من اختزل مراحل الأشعري في اثنتين، حيث ذَكر أول ما كان عليه وآخر ما آل إليه أمره، وذلك من نحو:

ما ذكره ابن كثير نفسه في البداية والنهاية ١١/ ١٨٧ – وبنحوه ابن خِلِّكان في (وفيات الأعيان) ٢/ ٤٤٦– قال: "إن الأشعري كان معتزليًا فتاب منه بالبصرة فوق المنبر، ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم".

وما ذكره القاضي أبو بكر الباقلاني –الذي ليس في المتكلمين الأشعرية من هو أفضل منه ت ٤٠٣– من قوله في (الذب عن أبي الحسن الأشعري) له، وفي جوابات للمسائل التي سأله عنها أهل بغداد ورسالته التي بيّن فيها اتفاق الحنابلة والأشاعرة: "اعلموا أن مذهبنا ومذهب أبي الحسن الذي سطره في سائر كتبه الكبار والمختصرات هو مذهب الجماعة وسلف الأمة وما مضى عليه الصالحون من الأئمة.. وكذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله في صفات الله إذا ثبتت بذلك الرواية من إثبات الوجه له، والعينين واليدين اللتين نطق بهما الكتاب.. وقد بيّنا أن ديننا ودين الأئمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت من غير تكييف ولا تحديد، ولا تجسيم، ولا تصوير، بل كما جاءت بها الأحاديث"إ.هـ.

وكذا ما ذكره الحافظ الذهبي ت ٧٤٨، قال في كتابه (العلو) ص ١٦٣: "كان أبو الحسن أولًا معتزليًا أخذ عن الجبائي، ثم نابذه ورد عليه وصار متكلمًا للسنة ووافق أئمة الحديث، فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن ولزموها لأحسنوا، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق، فلا قوة إلا بالله".

وابن فرحون اليعمري ت ٧٩٩، قال في كتابه (الديباج) ص ١٩٣: "كان الأشعري في ابتداء أمره معتزليًا، ثم رجع إلى هذا المذهب الحق ومذهب أهل السنة فكثُر التعجب منه، وسُئل عن ذلك فأخبر أنه رأى النبي في رمضان فأمره بالرجوع إلى الحق ونَصرِه، فكان ذلك والحمد لله".. وينظر في تفاصيل ذلك والمزيد منه: كتابنا (صحيح معتقد أبي الحسن).

الأمر الذي يعني: أن من يظنون أنهم الآن على مذهب الأشعري، ليسوا في الحقيقة كذلك وإنما هم لا يزالون على مذهبه قبل الأخير.. وأن مذهبه الحقيقي المعوَّل عليه، هو: الذي –على حد قوله في (الإبانة)– كان عليه الإمام أحمد وسائر أئمة السلف من أهل السنة والجماعة، والذي فيه إثبات صفات الله وحملها على ظاهرها بلا تأويل ولا تفويض.. وأن المُعبِّر عن مذهبه الذي لقي الله عليه، هو: كتابه (الإبانة في أصول الديانة)، إذ هو مُعتمد مذهبه، والمعوَّل عليه، والمفصح عما ختم به حياته.

ب-(الإبانة)، هو لأبي الحسن الأشعري وإن رغمت أنوف:

ونذكر ممن شهد بذلك من غير من سبق:

١-الحافظ أحمد بن ثابت الطَّرْقي، قال فيما نقله عنه ابن درباس في كتابه (الذب عن أبي الحسن) ص ١٠٣: "رأيت هؤلاء الجهمية ينتمون في نفي العرش وتأويل الاستواء إلى الأشعري، وما هذا بأول باطل ادعوه وكذب تعاطوه، فقد قرأت في كتابه الموسوم بـ (الإبانة) أدلة من جملة ما ذكرتُه، على إثبات الاستواء".

٢-والحافظ إسماعيل الصابوني ت ٤٤٩، فقد جاء عنه فيما أورده ابن درباس ص ١٠٥، أنه ما كان يخرج إلى مجلس دَرْسه إلا وبيده كتاب (الإبانة) للأشعري ويُظهر الإعجاب به، ويقول: "ما الذي يُنكَر على مَن هذا الكتاب شرح مذهبه".. يقول ابن عساكر في التبيين ص ٣٨٩ معقبًا: "فهذا قول الإمام أبي عثمان، وهو من أعيان أهل الأثر بخراسان".

٣-والإمام البيهقي ت ٤٥٨، قال في كتابه (الاعتقاد) ص ٨٥: "ذكر الشافعي ما دل على أن ما نتلوه من القرآن بألسنتنا ونسمعه بآذاننا ونكتبه في مصاحفنا يسمى كلام الله، وأن الله كلم به عباده بأن أرسل به رسوله، وبمعناه ذكره أيضًا علي بن إسماعيل في كتاب (الإبانة)".

٤-والإمام نصر بن إبراهيم المقدسي ت ٤٩٠، قال ابن درباس ص ١٠٦: "وجدت كتاب (الإبانة) في كتبه ببيت المقدس، ورأيت في بعض تآليفه في الأصول فصولًا منها بخطه".

٥- والفقيه مُجلِّي بن جُميع، قاضي القضاة بالديار المصرية وصاحب كتاب (الذخائر) في الفقه ت ٥٥٠، قال ابن درباس ص ١١٩: "أنبأني غير واحد عن الحافظ المبارك البغدادي، ونقلته أنا من خطه في آخر كتاب (الإبانة)، قال: نقلت هذا الكتاب جميعه من نسخة كانت مع الشيخ المجلي الشافعي، وكان يعتمد عليها وعلى ما

ذكره فيها، ويقول: لله درُّ مَن صنفه!، ويناظر على ذلك من ينكره، وذكر ذلك لي وشافهني به، قال: هذا مذهبي وإليه أذهب، نقلت هذا سنة ٥٤٠ بمكة".

وغيرهم ممن كانوا قريبي عهد بوفاة الأشعري، وأعرف منا بحاله وبمكانة كتابه (الإبانة) وبصحة نسبته إليه.. ونذكر ممن وليهم:

٦- الحافظ ابن عساكر ت ٥٧١، في (تبيين كذب المفتري) ص ١٥٢، قال: "إذا كان أبو الحسن مستصْوَبَ المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد، يوافقه في أكثر ما يذهب إليه: أكابر العباد، ولا يقدح في معتقدِه غير أهل الجهل والعناد، فلا بد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونجتنب أن نزيد فيه أو نُنقص منه تركًا للخيانة، لتَعلمَ حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بـ (الإبانة)"، وذكر كثيرًا مما جاء فيه ثم عقّب يقول: "فتأملوا هذا الاعتقاد، ما أوضحَه وأبينَه!، وانظروا إلى سهولة لفظه، فما أفصحه وأحسنه!، وكونوا ممن قال الله فيهم: (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. الزمر/ ١٨)، وبيِّنوا فضل أبي الحسن واعرفوا إنصافه، واسمعوا وصفه لأحمد بن حنبل بالفضل واعترافه، لتعلموا أنهما كانا في الاعتقاد متفقين، وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقَين"، وقال ص ١٢٨ من التبيين: "وتصانيف الأشعري بين أهل العلم مشهورة معروفة، وبالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومن وقف على كتابه المسمى بـ (الإبانة) عرف موضعه من العلم والديانة".

٧-والشيخ الفقيه إبراهيم بن عيسى بن درباس ت ٦٢٢، قال في رسالته (الذب عن أبي الحسن الأشعري) ص ٩٩: "اعلموا معشر الإخوان أن كتاب (الإبانة) الذي ألفه الأشعري، هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده، وبه كان يدين الله بعد رجوعه من الاعتزال بمَنِّ الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه، فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله منها، وكيف وقد نص على أنه ديانته التي يدين الله بها، ورَوى وأثبت أنه ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث والماضين وقول أحمد، وأن ما فيه هو الذي يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ..

فهل يسوغ أن يقال: إنه رجع عن هذا إلى غيره؟!، فإلى ماذا يرجع؟! أتراه يرجع عن كتاب الله وسنة نبيه ويخالف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث المرضيون وقد علم أنه مذهبهم ورواه عنهم؟!، هذا لعمري ما لا يليق نسبته إلى عوام المسلمين، فكيف بأئمة الدين؟!".. يقول: "قد ذكر (الإبانة) واعتمد عليها وأثبتها للأشعري، وأثنى عليه بما ذكره فيها وبرأه من كل بدعة نسبت إليه، ونقل منها إلى تصنيفه: جماعةٌ من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم".

٨-وممن ذكر (الإبانة) وعَزَاها للأشعري: الحافظ الذهبي، قال في كتابه (العلو) ص ١٦١: "قال الأشعري في كتاب (الإبانة) له، في باب الاستواء: فإن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل: نقول: إن الله مستو على عرشه كما قال: (الرحمن على العرش استوى.. طه/ ٥)، إلى آخر ما في (الإبانة)".. ثم قال: "وكتاب (الإبانة) من أشهر تصانيف الأشعري، شهره ابن عساكر واعتمد عليه، ونسخه بخطه الإمام مُحيي الدين النووي".. وذكر الذهبي عن الحافظ الطَّرْقي أنه قال: "قرأت في كتاب الأشعري الموسوم بـ (الإبانة) أدلة على إثبات الاستواء".

٩-وابن فرحون، قال في (الديباج) ص ١٩٣: "ولأبي الحسن الأشعري كتب، منها كتاب (اللمع الكبير) وكتاب (اللمع الصغير)، وكتاب (الإبانة)"أ.هـ

١٠-وابن العماد الحنبلي ت ١٠٩٨، قال في (شذرات الذهب) ٢/ ٣٠٣: "قال أبو الحسن الأشعري في كتابه (الإبانة) وهو آخر كتاب صنفه، وعليه يَعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه"، ثم ذكر فصلًا من الإبانة.

١١-والسيد مرتضى الزبيدي ت ١١٤٥، قال في (إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين) ٢/٢: "صنف الأشعري بعد رجوعه من الاعتزال (الموجز)، كتاب مفيد في الرد على الجهمية والمعتزلة، و(مقالات الإسلاميين)، وكتاب (الإبانة)".

١٢-والعلامة الآلوسي مفتي بغداد ت ١٢٧٠، قال في (روح المعاني)١/ ١٠٣ يعتب على كل من اختلط عليه الأمر وقصد الحق وأخطأه: "والأشعري إمام أهل السنة، ذهب في النهاية إلى ما ذهبوا إليه -يعني: أهل السنة- وعوَّل في (الإبانة) على ما عوَّلوا عليه، فقد قال في أول كتاب (الإبانة) الذي هو آخر مصنفاته: (إن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم

التي بها تدينون، قيل له، قولنا الذي نقول به.. إلخ".. يقول الآلوسي معلقًا على ما أوقعه أهل الكلام سلفًا وخلفًا على الأشعري من حَيف عندما تجاهلوا عن قصدٍ ما آل إليه أمر شيخهم: "والعجيب من علماء أعلام ومحققين فِخَام، كيف غفلوا عما قلناه، وناموا عما حققناه؟!، ولا أظنك في مرية منه وإن قل ناقلوه وكثر منكروه".

١٣-ويكفينا –حديثًا– أن (الإبانة) كان عنوانًا لرسالة دكتوراه للأستاذة/ (فوقية حسين محمود) ببنات عين شمس، التي قامت بتحقيقه وتوثيقه من أصل أربع نسخ خطية، وقد قامت بنشره دار الأنصار بالقاهرة وكانت طبعته الأولى في سنة ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م برقم إيداع (٤٦٧٧).. كما كان موضوع تحقيق لما يربو عن خمسة آخرين.

هذا ما تيسر ذكره، ومن راجع في تفاصيله كتابنا السالف الذكر، سيخلص إلى نتيجة مؤداها: أن (الإبانة) قد وصل إلى أعلى درجات التحقيق والتوثيق، وأن من شككوا في نسبته للأشعري لسبب أو لآخر، حججهم داحضة، بل ولا أساس لها من الصحة.. كما أن فيما سبق: دلالة على أن من قال: إن لأبي الحسن في مسألة الصفات رأيين، أو ادعى عليه ما كان منه قبل تراجعه.. هو كاذب عليه وغاش له وللأمة، ومفتر عليه وعليها بالبهتان، ومخالف لمذهبه.

وإنما نقول ذلك ونؤكد عليه، لأن من شأن المخالفين للمعتقد الصحيح للأشعري الذي ختم به حياته، أن ينكروا ويشككوا في كلامه الذي رجع إليه، وأن يشككوا كذلك في تآليفه التي يأتي على رأسها كتاب (الإبانة) الذي سجل فيه تراجعه لمذهب أهل السنة، وأوضح فيه ما كان يعتنقه مؤخرًا، لأنهم لو سلّموا بهذا لكان في تسليمهم به اعترافٌ بمخالفتهم مذهب أهل السنة ونقضٌ لتأويلاتهم الباطلة ولمذاهبهم المنحرفة في النفي وذكر السلوب، والتي هي أقرب لمذهب الجهم والمعتزلة منها إلى مذهب أهل الحق، بل بينها وبين الأخير بُعد المشرفين.

جـ-يجب على القائمين على الأزهر وسائر المعاهد الشرعية أن يقرروا (إبانة) الأشعري لطلابهم، فمن غير أنه يحمل صحيح معتقده، فيه: الحل الأمثل لقضايا مجتمعاتنا، والنجاة مما نحن فيه من فتن

١-إذ بتأمل قول الأشعري في (الإبانة) ص ٤٩: "ديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله وسنة النبي وما رُوي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه أحمد بن حنبل قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون"، وقوله: "ونعوِّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا"، وذلك بعد أن ساق الأدلة من القرآن على وجوب طاعة الله ورسوله عليه السلام والأخذ بأدلة القرآن والسنة المطهرة وبخاصة فيما وصف الله به نفسه.. يُعلم أن مصدر التلقي لديه يختلف عمن عولوا على العقل حتى فيما استأثر الله بعلمه، فكان أن قدموه على نصوص الشرع في صفات الخالق وكثير من أمور الاعتقاد بل وفي جُلّ أحكام الشرع، فضلوا وأضلوا.. ويُعلم أنه برئ من كل ذلك، كونه أوجب نهج الكتاب والسنة وارتضى منهج الصحابة وكذا تابعيهم بإحسان وفي مقدمتهم أحمد إمام أهل السنة.

٢-وبتأمل قوله ص ٥٣: "ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف، وترك القتال في الفتنة"([1]).. يُعلم كم كان يمكن أن يَقضي كلامه هذا –لو دُرِّس لأبنائنا في الأزهر وغيره– على كل جماعات التكفير وعلى كل نابغة تخرج على حكام المسلمين وتستبيح دماء محكوميهم وتستحل أموالهم، وعلى كل مظاهر الفتن التي أحاطت بأهل الإسلام من كل جانب وفي جميع أصقاع الأرض، بل وتصون

([1]) وعلى ذلك الإجماع كما سيأتي.. ولقد ألحق ترك عقيدة أبي الحسن الأشعري بالأمة، وبأبناء الأزهر وبلد الأزهر على الأخص، ضررًا بالغًا في عقول أبنائنا بالأزهر.. وذلك حين قرر المسئولون عليهم مناهج وكتب متأخري الأشاعرة التي تقضي بجواز الخروج إذا ظهر من حكام المسلمين ترك الاستقامة، ففي مقرر المرحلة الثانوية بمعاهد الأزهر (شرح البيجوري –شيخ الأزهر الأسبق – على جوهرة التوحيد) – ص ٢٤٦ ما نصه: "وليس يعزل إذا ولي مستكملًا للشروط ثم أزيل وصف العدالة بطرو الفسق، خلافًا لطائفة ذهبوا إلى أنه يُعزل بذلك"، ولعله يقصد بتلك الطائفة أمثال الجويني – وهو بعد أحد المتكلمة – فقد ذكر في كتابه (الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد) ص١٦٩ ما نصه: "من انعقدت له الإمامة فقد لزمت، ولا يجوز خلعه من غير حدث وتغير أمر، فأما إذا فسق وفجر وخرج عن سمت الإمامة بفسقه، فانخلاعه ممكن"، وسيأتي كيف ساق القاضي عياض المالكي كذلك الخلاف في ذلك، وساق عقبه الإجماع بصيغة التمريض، وذلك قوله كما في شرح مسلم للنووي ١٢/ ١٨١ مجلد٦ –وبنحوه في سوق الخلاف ابن حجر في الفتح ١٣/ ١١–: "وقيل: إن هذا الخلاف كان أولًا ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم"إ.هـ.. فسوق متأخري الأشاعرة الخلاف بهذا الشكل؛ فتح باب الخروج على حكام المسلمين على مصراعيه ليلج فيه من يلج، وأغرى أولادنا لأن يعتبروا الخلاف في المسألة.. خلافًا لما عليه الأشعري وغيره من أئمة الاعتقاد كما نرى، وإنما نقول ذلك ليتأكد لنا أن في دراسة كتب الاعتقاد التي نشير هنا إلى بعضها: عصمةً لأبنائنا ونجاةً واستقرارًا لبلادنا من كيد الكائدين، وأمنًا وسلامًا لشعوبنا من أفكار التكفيريين.

دماء الآلاف مما ذهبت سدى، وقد رأينا كيف أنهم شوهوا صورة الإسلام وأضروا بأنفسهم وبغيرهم ومن قبل ذلك بإسلامهم، خدمة لأعداء الإسلام والمتربصين به وبالأمة.. ويعلم كم كان يمكن أن يعم الصلاحُ العبادَ والبلاد في سائر أقطار العالم، حيث يرتفع الدعاء للأئمة من فوق أعواد المنابر بالمساجد، وتنتشر دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة في الخافقين، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا.

٣-وبتأمل قوله ص ٥٢: "ونؤمن.. أن الإيمان قول وعمل"، يُعلم كيف كان يمكن لكبار الأئمة المحسوبين على أهل السنة أن يتوقفوا عما وقعوا فيه من تهوينٍ لشأن جنس العمل واعتباره شرط كمال، خوفًا بزعمهم وتحرزًا عن الوقوع في التكفير بالمعصية، فعالجوا بغلطِ معتقداتهم الخطأ بالخطأ، بعد أصبحوا من المرجئة قاب قوسين أو أدنى.

٤-وبتأمل قوله ص ٥٣، ١٣٣: "ونؤمن بعذاب القبر، ومنكر ونكير، ومساءلتهما المدفونين في القبور"، وقوله: "أجمع المسلمون أن لرسول الله شفاعة"، وأنها تكون "للمذنبين المرتكبين للكبائر".. يُعلم كيف كان يمكن لأولئك الذين يتلاعبون بدين الله ويشككون في ثوابته أن يحَجّموا ويُقفوا عند حدوهم.

٥-وبتأمل قوله ص ٥١: "وندين بأن لا نُكَفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله"، يُعلم أهمية الدعوة بالحكمة، وكيف كان يمكن لهذا السيل الجارف من تكفير أهل الضلالة –وما أكثرهم– للموحدين، وما يتبع ذلك من سفك دمائهم وإهلاك مقدراتهم وتدمير ممتلكاتهم وتفكيك جيوشهم، أن يتوقف، ليصير المسلمون بعدها أخوة متحابين متراحمين، ولتصح من ثمّ ولاءاتهم وبراءاتهم.. ويُعلم كيف كان يمكن لروح الكراهية التي دبت في مجتمعاتنا المسلمة –حتى اعتقد البعض أن الديار ديار كفر وأنهم وحدهم أهل الإيمان وما عداهم أهل جاهلية– أن تتوقف هي الأخرى، لو نحن علّمنا أولادنا ذلك وتوارثناه جيلًا بعد جيل.

وبعد: فهذا قليل مما في إبانة الأشعري، وإلا فلك أن تَطّلّع على المزيد مما قاله في كتابيه: (مقالات الإسلاميين)، و(رسالة إلى أهل الثغر)، ففيهما مما ذكرنا هنا الكثير([1]).

المبحث الثاني: (الآجُرِّي) و(اللالكائي).. يحذران من الخروج على حكام المسلمين

أولًا: معتقد (الآجري): يتضمن: التحذير من الخروج على حكام المسلمين والقتال في الفتنة

ويأتي ضمن علماء وأئمة القرن الرابع الهجري ممن وضعوا القواعد الأساسية لعقيدة الأمة: الإمام الآجُرّي، وهو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي، و(الآجُرِّي) بفتح أوله ممدودًا، وضم الجيم، وكسر الراء المشددة، نسبة إلى قرية من قرى بغداد يقال لها (درب الآجُرّ).. وقد نشأ فيها نَشأَة من يرجون تجارةً لن تبُور، فبكّر إِلَى مجالِس علماء بلدَته؛ وَلازمَ الحشمة والوقَار والورع المتين، وسلك في الزّهد والعبادة سُنن السادة السّالفِين، وجدّ في القيام في جوف الدَياجِي قَانتًا، يتلو بلسانِ التذَلل والرّجَاء:

([1]) ففي (رسالته إلى أهل الثغر) ص ٢٧٤ ساق الأشعري بالإجماع السادس والسابع والثلاثون، أن السلف "أجمعوا على أن المؤمن لا يُخرجه شيء من المعاصي، ولا يُحبط إيمانه إلا الكفر، وان العصاة من أهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع، غير خارجين عن الإيمان بمعاصيهم، وقد سمى الله عصاة أهل القبلة مؤمنين بقوله: (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع.. الجمعة/ 9)، ولم يخص بالحض على ذلك الطائعين دون العاصين.. كما أجمعوا على أنه لا يقطع على أحد من عصاة أهل القبلة – في غير البدع – بالنار، ولا على أحد من أهل الطاعة بالجنة إلا من قطع عليه رسول الله بذلك، وقد دل الله على ذلك بقوله: (إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.. النساء/ ٤٨، ١١٧)، وقد قال النبي عليه السلام: (لا تُنزلوا أحدًا من أهل القبلة جنة ولا نارًا).

كما ساق ص ٢٩٦ إجماع أهل العلم على عدم جواز الخروج على أئمة المسلمين قائلًا في الإجماع الـ ٤٥: "وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئًا من أمورهم عن رضًا أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر، لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جارَ أو عدَل، وعلى أن يغزوا معهم العدو"، وقد جاء كلامه هذا ردًا على ما جنحت إليه فرق المعتزلة والخوارج، ذلك أن من أصول المعتزلة الخمسة: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ومن أقوالهم وأفعالهم يظهر أنهم إنما أرادوا بذلك الخروج على الأئمة وقتالهم، فكان رد الأشعري السالف الذكر في (رسالته)، وأيضًا في (مقالات الإسلاميين) ص ٢٧٨، ٢٩٥ وفيها عن جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة: "ويرون العيد والجمعة خلف كل بر وفاجر.. ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف، وأن لا يقاتلوا في الفتنة.. وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم.. ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة بَرِّهم وفاجرهم، وموارثَتَهم.. ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار"، وكذا ص ٤٥١ وفيها عنهم: "إن الإمام قد يكون عادلًا ويكون غير عادل، وليس لنا إزالته وإن كان فاسقًا، وأنكروا الخروج على السلطان ولم يَرَوه"إ.هـ.

اتَّخِذْ طَـاعَة الإلـــه سَـبِيلًا * تَجدِ الفَوز بِالجِنان وتنجُو
واترك الإثمَ والفَواحشَ طُرًّا * يُؤتكَ اللهُ ما تَرومُ وَترجو

سمع الآجري وهو حدث يافعٌ: (أَبَا مُسلم الكجّيَّ) الَّذي فاق محدّثي عصره، وأَقرّ لـه بالإمامـة والصّدارة أبنَاءُ دهره؛ فَحصَّلَ في سنٍّ مبكّرة الحديث بالأسانيد العوالِي، وتفرّد عن أقرانـه وذوِيـه بِأُوساط المعالي.. كان الآجري من المحدّثين في بغداد قبل أن يهجرها إلى مكة حيث أقام، وحدّث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة (٣٣٠ هـ)، وفي أثنائها انتقل حاجًا إلى مكة، فأعجبتـه.. فسأل الله أن يرزقه الإقامة بها سنة، فأقام بها مجاورًا ثلاثين عامًا حتى كانت وفاته بها.. وكان رحمه الله سلفيًا أثريًا محاربًا للتعصب المذهبي، وهذا سر اختلاف المؤرخين في تحديد مذهبه؛ فمنهم من يقول: إنه تفقه على مذهب الشافعي، ومنهم من يقول: إنه تفقه على مذهب أحمد بن حنبل.

ومهما يكن من أمر فقد أجمع المحدِّثون على توثيقه، وشهد له غير واحد من أهل العلم بالفضل والسبق في خدمة الإسلام، قال العليمي بحقه: "كان من أكابر الأصحاب، سمع خلقًا كثيرًا، وكان ثقة فقيهًا عالمًا حجة، صدوقًا"، وقال الخطيب البغدادي: "كان الآجُرِّي ثقة صدوقًا ديناً، وله تصانيف كثيرة"، وعنه قال الإمام ابن الجوزي: "كان ثقة، ديِّنًا، عالمًا، منصفًا"، وقال الإمام الذهبي في السير ١٦/ ١٣٤: هو "الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف.. كان صدوقًا خيِّرًا عابدًا، صاحب سنة واتباع"، وقال في العلو: "كان الآجري أثريًا حسن التصانيف"، وقال الحافظ ابن كثير: "كان ثقة صدوقًا، له مصنفات كثيرة مفيدة "، وقال السيوطي: "كان عالمًا عاملًا صاحب سنة، ديِّنًا ثقة"، وقال ابن مفلح الحنبلي: "كان من الفقهاء والكبار"، وقال ياقوت الحموي: "كان ثقة، صنف تصانيف كثيرة، حدث ببغداد، ثم انتقل إلى مكة فسكنها إلى أن مات"، وقال النديم: "هو: الفقيه، أحد الصالحين العُباد".

وبالجملة فقد اتفق المؤرخون والمترجمون لسيرته على إمامته في الفقه والحديث مع صلاحه وورعه وزهده، وشهدوا بتصانيفه الكثيرة في الحديث والفقه، وذكروا له منها: كتاب (الشريعة في السنة) كبير، و(الرؤية) و(وأخلاق حملة القرآن) و(الغرباء) و(أخلاق العلماء) و(أدب النفوس) و(النصيحة) و(الأربعين) و(مسألة الطائفين) و(التهجد) وغير ذلك.

ويأتي كتابه (الشريعة) معبرًا عن مذهبه مذهب السلف الصالح، وقد عنى بها: (العقائد التي يعتقدها أهل السنة، وفرقوا من خلالها بين شريعتهم وشريعة غيرهم)، وهي مقابل ما أسماه غيرهم بـ: (العقليات) أو (علم الكلام)، أو يسميها الجميع: (أصول الدين)، ويسميها بعضهم: (الفقه الأكبر)، وآخرون: (السنة)، ليميزوا بين عقيدة أهل السنة وعقيدة أهل البدعة([1]).. وقد ودل على هذا قوله ص ٢١:

"علامة من أراد الله به خيرًا: سلوك هذا الطريق: كتاب الله وسنن رسول الله ﷺ وسنن أصحابه ﷺ ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء"، وقوله: "اسلكوا طريق من سلف من أئمتكم، يستقم لكم الأمر الرشيد، وتكونوا على المحجة الواضحة إن شاء الله تعالى".. وقد توفي رحمه الله سنة ٣٦٠ هـ.. رحم الله الآجري وأسكنه الفردوس الأعلى في الجنة بقدر ما قدم للإسلام والمسلمين.

الآجري يدعو إلى لزوم السنة والجماعة وينهى عن البدع والفُرقة والفِرَق

صدّر الآجري كتابه (الشريعة) بقوله عليه السلام: (يحمل هذا العِلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)([2])، ثم جعل يشير في أول باب عقده في (الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة) إلى أن "الذي حمل اليهود والنصارى على الفُرقة والميل إلى الباطل، إنما هو البغي والحسد، فحذرنا مولانا أن نكون مثلهم فنهلك كما هلكوا، وأمرنا بلزوم الجماعة ونهانا عن

([1]) وينظر كلام ابن رجب في هذا في كتابه (جامع العلوم والحكم) في شرح الحديث الثامن والعشرين

([2]) رواه ابن عدي في الكامل ١/ ١٥٣، وابن حبان في الثقات ٤/ ١٠، والبيهقي في الكبرى ١٠/ ٢٠٩ والدلائل ١/ ٤٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/ ٤٦٣

الفرقة، وكذلك حذرنا النبي من الفرقة وأمرنا بالجماعة، وحذرنا أئمتنا ممن سلف من علماء المسلمين، كلهم يأمرون بلزوم الجماعة وينهون عن الفرقة".

وذكر الآيات في ذلك، ثم ساق أثر ابن عباس في قوله تعالى: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا.. الأنعام/ ١٥٩) وقوله: (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.. الأنعام/ ١٥٣) وقوله: (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه.. الشورى/ ١٣)، قال ابن عباس: "أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله تعالى"

كما ساق في ذلك قوله عليه السلام: (من أراد بحبوحة الجنة فليزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد)([1])، وقوله: (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن) وذكر الحديث بطوله وقال عليه السلام: **(وأنا آمركم بخنس أمرني الله بهم: الجماعة، والسمع والطاعة يعني: للأمراء، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فمن فارق الجماعة شبرًا فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه إلا أن يرجع)**([2])، **وقوله: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية، ومن اعترض بَرها وفاجرها لا يحتشم من مؤمنها ولا يفي لذي عهدها، فليس من أمتي، ومن قُتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لعصبية له ووالى لعصبة مات ميتة جاهلية)**([3])، وقوله: (ضرب الله مثلًا: صراطًا مستقيمًا، وعلى جانبي الصراط سوران بينهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس: ادخلوا الصراط جميعًا ولا تعوَّجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد إنسان فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن فتحته تلجه، فالصراط: الإسلام، والستور: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم)([4]).

وساق من الآثار قول عبد الله بن مسعود: (إن هذا الصراط محتضر يحضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله هلم هذا الصراط، ليصدوا عن سبيل الله فاعتصموا بحبل الله، فإن حبل الله هو كتاب الله)، وقوله في خطبة له: (يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله لذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة).. ثم جعل رحمه الله يسوق في معرفة الفرقة الناجية قوله ﷺ من حديث ابن عمر: (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل: تفَرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين تزيد عليهم، كلها في النار إلا واحدة)، فقالوا: من هذه الملة الواحدة؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي)([5])، ثم إنه ﷺ في حديث آخر سئل: (مَن الناجية) فقال: (السواد الأعظم)، وفي ثالث قال: (واحدة في الجنة، وهي الجماعة)، قال الآجري معلقًا: "ومعانيها واحدة إن شاء الله"، وقال: "رحم الله عبدًا حذر هذه الفرق، وجانب البدع ولم يبتدع، ولزم الأثر فطلب الطريق المستقيم واستعان بمولاه الكريم".

وتحت عنوان: (الحث على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وسنة أصحابه، وترك البدع والنظر والجدال فيما يخالف الكتاب والسنة وقول الصحابة) عقد الآجري في كتابه الشريعة ص ٤٨ بابًا، ذكر فيه حديث جابر وفيه قوله: "كان رسول الله يقول في خطبته: (نحمد الله بما هو أهله)، ثم يقول ﷺ : (من يهد الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، أصدق الحدي كتاب الله وأحسن الهَدْي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)([6])، وحديث العرباض بن سارية، وفيه قوله عليه السلام: (أوصيكم بتقوى الله، والطاعة والسمع وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ،

([1]) رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٥٨) والصحيحة (١١١٦)

([2]) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٢٩٨)

([3]) رواه وبنحوه مسلم ١٨٤٨ والنسائي ٤١١٤ وأحمد ٢/ ٣٠٦، ٤٨٨

([4]) رواه الترمذي ٢٨٥٩، والحاكم ١/ ٧٣، وابن أبي عاصم في السنة ١٩ وأحمد ٤/ ١٨٢، ١٨٣ وابن بطة في الإبانة ١٣١، وصححه الألباني في ظلال الجنة ١٩

([5]) رواه الترمذي ٢٦٤١ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٣٤٣

([6]) رواه مسلم ٨٦٧ وأحمد ٣/ ٣٧١ والبيهقي ٣/ ٢١٤

وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)([1])، وفي رواية: (قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، ولا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم بعدي.. الحديث).

كما ساق فيه أثرًا لمعاذ بن جبل يقول فيه: "هلك المرتابون، إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال([2])، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه الرجل والمرأة، والحر والعبد والصغير والكبير، فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن في ذلك الزمان، فيقول: (ما بال الناس لا يتْبعوني وقد قرأت القرآن.. ما هم متبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتُدع، فإنما ابتدع ضلالة)، وزاد في غيرها: (اتقوا زيغة العالم، فإن الشيطان يُلقي على فيِّ الحكيم كلمة الضلالة، ويُلقي المنافق كلمة الحق)، قال: قلنا: وما يدرينا أن المنافق يلقي كلمة الحق؟، قال:

(اجتنبوا من كلمة الحكيم كل متشابه، الذي إذا سمعته قلتَ: ما هذه؟، ولا ينأَيَنّك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع ويُلقي الحق إذا سمعه، فإن على الحق نورًا)".. ثم أورد ما كان من مالك بن أنس رحمه الله، فقد كان إذا ذُكر عنده الزائغون في الدين يقول: قال عمر بن عبد العزيز: (سن رسول الله وولاة الأمور من بعده سننًا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله تعالى، واستكمال لطاعته، وقوة على دينه، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتدٍ، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع سبيل المؤمنين وولّاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا).

وفي مقام التحذير من البدعة وأهلها، يورد الآجري ص ٥٧ الكثير مما أثر عن أئمة السلف، ونذكر منه ما حدّث به سلام بن أبي مطيع من أن رجلًا من أهل الأهواء قال لأيوب السختياني: يا أبا بكر؛ أسألك عن كلمة، قال: فولى هاربًا وقال: (ولا نصف كلمة ولا نصف كلمة)، وعنه قوله: **(إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف)**، كما يورد الآجري ما حدث من أن رجلين من أهل الأهواء دخلا على محمد بن سيرين، فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟، قال: (لا)، قالا: فنقرأ عليك آية؟، قال: (لا، لتقومُنّ عني أو لأقومن).

كما نذكر منه ما جاء عن محمد بن واسع، قال: رأيت صفوان بن محرز، وأشار بيده إلى ناحية من المسجد، وشبة قريب منه يتجادلون؛ فرأيته ينفض ثوبه وقام وهو يقول: (إنما أنتم جرب، إنما أنتم جرب)، وما فاه به الأوزاعي من قوله: (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول)، ونصيحة ابن عباس: (لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب)، ومقولة يحيى بن أبي كثير، قال: (إذا لقيت صاحب بدعة في طريق، فخذ في غيره)، وما ورد عن أبي قلابة من قوله: (ما ابتدع الرجل بدعة إلا استحل السيف)، ومقولة الحسن وقد قال له رجل ألا تناظرني في الدين؟؛ فقال: (أما أنا فقد أبصرت ديني، فإن كنت أنت أضللت دينك فالتمسه)، يعني: لا تسلم له نفسه كما يقع لكثير من شبابنا الذين يغرر بهم وسرعان ما يقعوا في فخاخهم.

إنها إذًا دعوة لكل من أراد لنفسه النجاة كيما يلزم الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ويتمسك بالجماعة والسنة وما كان عليه السلف الصالح، إذ على ذلك مدار الصلاح والإصلاح، ورحم الله مالك حين قال: (إن آخر هذا الزمان لا يصلحه إلا ما صلح به أوله).. فهل من مجيب؟!.

إن الحال ينبئ ألا مجيب فالمفتون يعقدون المؤتمرات في إعمال العقل وتقديسه على حساب الثوابت، ويُدخلون كثيرًا من العبادات وسنن الفطرة في العادات حتى يهدرون شعائر الإسلام ويخلعون عنها صبغة الدين، وعقيدة المسلمين لا تجد من يصححها ويعدّل من مسارها لتتوافق مع ما كان عليه سلفنا الصالح، وأهل البدع والضلال يرتعون ويتلاعبون بدين كيف شاءوا وأنى شاءوا ويأخذون مكانهم عند ذي الحظوة والسلطان، وطلاب العلم وشباب وأطفال ونساء المسلمين في حيرة من أمرهم.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

([1]) رواه أبو داود ٤٦٠٧ والترمذي ٢٦٧٨ وأحمد ٤/ ١٢٦، ١٢٧

([2]) وكأني به ﷺ يتحدث عن الدولة الراعية للإرهاب قطر، التي سخرت كل مالها لدعم الخوارج في مشارق الأرض ومغاربها وأنفقت في سبيل ذلك المليارات، على حساب فقراء المسلمين في عالمينا العربي والإسلامي

ويبدأ ببدعة من يكفرون أهل القبلة ويخرجون على أئمة المسلمين ولا يرون لهم السمع والطاعة ويرونها لمرشديهم وحكوماتهم الخفية

وتحت عنوان: (ذم الخوارج وسوء مذهبهم وإباحة قتالهم وثواب من قتلهم أو قتلوه)، يقول الآجري في الشريعة ص ٢٧، ردًا على التكفيريين والخارجين على حكام المسلمين في كل عصر ومِصر: "لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا أنَّ الخوارج قوم سوء، عصاة لله تعالى ولرسوله، وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليس ذلك بنافع لهم، لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله –عز وجلَّ– منهم، وحذرنا النبي ﷺ ، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان".

يقول مستطردًا وفي عبارات نحن في أمس الحاجة لإعمالها وأخذها بعين الاعتبار: **"والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين**، وأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله هو رجل طعن على النبي ﷺ وهو يقسِّم الغنائم بالجعرانة، فقال: اعدل يا محمد، فما أراك تعدل؛ فقال ﷺ : ويلك، فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟، فأراد عمر قتله، فمنعه ﷺ من قتله، وأخبر عليه الصلاة والسلام: أن هذا وأصحابًا له يُحقّر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون في الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأمر ﷺ في غير حديث بقتالهم، وبيّن فضل من قتلهم أو قتلوه.. ثم إنهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان بن عفان ﷺ ، وقد اجتهد أصحاب رسول الله ممن كان في المدينة في أن لا يُقتل عثمان، فما أطاقوا على ذلك، ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولم يرضوا بحكمه، وأظهروا قولهم، وقالوا: (لا حُكم إلا لله)، فقال ﷺ : (كلمة حق أرادوا بها الباطل)، فقاتلهم علي فأكرمه الله بقتلهم، وأخبر عن النبي بفضل من قتلهم أو قتلوه، وقاتل معه الصحابة فصار سيف علي بن أبي طالب في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة"إ.هـ.

وفيه أن الصبر على ولاة الأمر وإن جاروا هو أمر الرسول ﷺ ، وأن جَوْر الحكام وخروج الخارجين عليهم أمر وارد وحاصل في مستقبل الزمان، وأن الواجب حيال ذلك، هو: ما أمر به النبي بالصبر، وعدم التأسي بهذا الذي أساء الأدب بحق النبي، وأن هذا هو منهج أئمة السنّة من بعده ﷺ ([1]).

ومعلوم بالبداهة مدى غيرته بأبي هو وأمي على محارم الله ومع ذلك يأمر بالصبر عليهم مهما بلغ فسادهم إلى أن يخرجوا من دائرة الإسلام خروجًا واضحًا بينًا لا شبهة فيه، فعن عوف بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم)، قال: قلنا يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟، قال: (لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله؛ فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدًا من طاعة)([2]).

ولم يكتف الآجري بذلك حتى أقام الأدلة عليه، وساق فيما ساق قوله ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري: (سيكون في أمتي اختلاف وفُرقة، ثم قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شر

([1]) فمن رأى من الصحابة –رضوان الله عليهم– انحراف الحجاج، من نحو: عبد الله بن عمر و جابر وأبو سعيد، وأنس بن مالك وأمثالهم، رأوا انحراف يزيد، فما كانوا يزيدون على أن يأمروا الأمّة بالصبر، وبعض الناس خالفوا الصحابة وثاروا، فأريقت الدّماء وانتهكت الأعراض وحصل من المفاسد ما لا يعلمه إلاّ الله، حتى القرَّاء خرجوا ولكنهم ندموا بعد ذلك.. وعليه فاحتجاج خوارج جماعة الإخوان وغيرهم بأن هذه الأحكام تنم عن عمالة وتحريض غير صحيح بالمرة، وإنّما هو امتثال لأوامر الله سيرًا على منهج الله والمنهج الذي شرعه رسولنا الأعظم وسار عليه أئمة الهدى في كل زمان و مكان، فهذا أحمد بن حنبل يعلن حاكم زمانه الدعوة إلى القول بخلق القرآن وهو كفر، فيأتيه العلماء يستشيرونه في الخروج فيأبى، يقول: هذا سيُهلك المسلمين، ويضرهم ويسفك دماءهم، وينتهك أعراضهم ويأبى الخروج، فهل كان أحمد بن حنبل عميلًا أو مدلسًا على دينه؟؛ لقد سُجن و ضُرب وإخوانه كما مر بنا، وامتُحنوا أشدّ الامتحان وقُتل بعضهم، وهم مع ذلك كلّه كانوا مضرب المثل في الصبر والجلَد، هذا هو المنهج الصحيح، حتى لو ظهر الكفر البواح وفي الخروج ضرر بالمسلمين لا يصح الخروج إذا كانت المفسدة أكبر من المصلحة، هذا ما أجمع عليه أئمة أهل السنة وليس الأمر كما يغالي دعاة الحاكمية فيما ورثوه عن إمامهم ذي الخويصرة ومن خرج من ضئضئه.. وسيأتي كيف أن هؤلاء جميعًا اتبعوا المتشابه من الآيات وأوّلوها حسب أهوائهم

([2]) رواه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٨٢

الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قتلهم كان أولى بالله منهم)([1])، ثم قال معقبًا: "هذه صفة الحرورية([2])، وهم الشراة الخوارج، الذين قال تعالى بحقهم: (فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.. آل عمران/ ٧)، وقد حذر النبي أمته ممن هذه صفته".

وعن استدلالاتهم الخاطئة بما يفعلونه ويقدمون عليه، يقول الآجري وكأنه يحكي مع واقعه ما هو حاصل بواقعنا:

"ومما يتبع الحرورية من المتشابه: قول الله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.. المائدة/ ٤٤)، ويقرءون معها (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.. الأنعام/ ١)، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: كفر، ومن كفر عدل بربه وأشرك، فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون ويفعلون ما رأيت، لأنهم يتلون هذه الآية.. **فلا ينبغي – لِمَن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام، عدلًا كان الإمام أو جائرًا، فخرج وجمع جماعة وسل سيفه واستحل قتال المسلمين– لا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم إذا كان مذهبه مذهب الخوارج.. وقد رُوي عن رسول الله فيما قلته أخبار لعله لا يختلف في العلم بها جميع أئمة المسلمين".**

يقصد ما أورده بعد في كتابه (الشريعة) من حديث أنس بن مالك، قال "ذُكر لرسول الله رجل ذو نكاية للعدو واجتهاد، فقال ﷺ : (ما أعرف هذا)، فقالوا: يا رسول الله؛ نعْته كذا وكذا.. فقال عليه السلام: (ما أعرفه)، فبينا هم كذلك إذا طلع الرجل، فقالوا: هذا يا رسول الله، فقال ﷺ : (ما كنت اعرف هذا، هذا أول قرن رأيته في أمتي([3])، إن به لسفعة من الشيطان)، قال: فلما دنا الرجل سلّم، فرد عليه القوم السلام، فقال له رسول الله: (ناشدتك بالله، هل حدثت نفسك حين طلعت علينا: أن ليس في القوم أفضل منك؟)، فقال: اللهم نعم، قال: فدخل المسجد يصلي، فقال رسول الله لأبي بكر: (قم فاقتله)، فدخل أبو بكر المسجد فوجده قائمًا يصلي، فقال أبو بكر في نفسه: إن للصلاة لحرمة وحقًا، فلو استأمرتُ رسول الله؟ فجاء إليه، فقال له ﷺ : (أقتلته؟)، فقال: لا، رأيته قائمًا يصلي ورأيت للصلاة حقًا وحرمة، وإن شئتَ أن أقتله قتلتُه، قال عليه السلام: (لست بصاحبه)، ثم قال: (اذهب يا عمر فاقتله)، فدخل عمر المسجد فإذا هو ساجد.. وفعل ما فعل أبو بكر، فقال عليه السلام: (لست بصاحبه، قم يا علي فاقتله)، فدخل عليٌّ فلم يجده ورجع إلى رسول الله فأخبره، فقال ﷺ :

(لو قُتل اليوم ما اختلف رجلان من أمتي حتى يخرج الدجال)، وفي رواية: (أما انك لو قتلته لكان أولهم وآخرهم، وما اختلف من أمتي اثنان([4]).

ثم ذكر الآجري –في غير ما رواية– قتال عليٍّ لهم وتحققه مما وصفهم به رسول الله من أنهم: يقولون الحق لا يجاوز هذا منهم –وأشار إلى حلقه– وأنهم أبغض خلق الله إلى الله، وأن فيهم أسودًا، إحدى يديه طبي شاة([5]) أو حلمة ثدي، وتحقُق عليٍّ بنفسه بما أخبر به بأبي هو وأمي وقد وجدوه في خربة فأتوا به ووضعوه بين يديه.

كما ذكر الآجري عقب ذلك([6]) شأن الخوارج وثواب من قتلهم أو قتلوه: حديث ابن أبي أوفى وفيه قوله عليه السلام: (الخوارج كلاب النار)([7])، وحديث عائشة وفيه قوله عليه السلام: (إنهم شرار أمتي، يقتلهم خيار أمتي)([8])، ورواية عبد الله بن مسعود وفيه قوله عليه السلام: (يخرج في آخر الزمان قوم أحداث

([1]) رواه أبو داود ٤٧٦٥ وابن ماجة ١٧٥ وأحمد ٣/ ٢٢ وصحح إسناده الألباني في ظلال الجنة ٩٤٠

([2]) ومثالهم في زماننا الدواعش ومن كان على شاكلتهم، وتراهم دائمًا يرفعون شعار (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وهم مع ذلك يقتلون أهل الإيمان ويعملون على تنفيذ مخططات أعداء الله من أهل الأوثان بعد أن سلِموا من أيديهم وألسنتهم، تمامًا كما أخبر بأبي هو وأمي.. وهذا أضحى واضحًا وضوح الشمس

([3]) في إشارة لما ورد عنه ﷺ من قوله في حديث آخر: (.. سيخرج أناس من أمتي من قِبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج منهم قرن قُطع – حتى عدّها زيادة على عشرة مرات – كلما خرج منهم قرن قطع، حتى يخرج الدجال في بقيتهم.. مسند أحمد: ١١/ ٨٨ وإسناده صحيح.

([4]) رواه أبو يعلى ٣٦٦٨ والدارقطني ٢/ ٥٤ والهيثمي في المجمع ٧/ ١٥٧، ١٥٨

([5]) الطُّبْيُ: حلمة الضرع أو الضرع نفسه لذات الخف والظُّلف، كالثدي للمرأة، والجمع: أطْباء، مثل قُفل وأقفال، ويطلق قليلًا لذات الحافر والسباع

([6]) وتحديدًا ص٣٨ من كتاب الشريعة.

([7]) رواه ابن أبي عاصم في السنة ٩٠٤ وصححه الألباني في ظلال الجنة

([8]) رواه أحمد في الزهد ٣٩

الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من قول من خير قول الناس، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فمن لقيهم فليقتلهم، فإنّ قتلهم أجر عند الله)([1])، وحديث أبي أمامة وفيه قوله:

"خَرَجَت خارجة بالشام فقُتلوا وألقوا في جبٍّ أو بئر، قال أبو غالب راوي القصة: فأقبل أبو أمامة وأنا معه، حتى وقف عليهم ثم بكى، ثم قال: سبحان الله، ما فعل الشيطان بهذه الأمة؟، كلاب النار – ثلاثًا – شر قتلى تحت ظل السماء، خير قتلى تحت ظل السماء من قتلوه، قال قلت: يا أبا أمامة، أشيء تقول برأيك؟، أم شيء سمعته من رسول الله؟، قال: إني إذًا لجرئ – ثلاثًا – بل سمعته من رسول الله غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثًا حتى عشرًا، سمعته يقول: (سيأتي قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، أو لا يعدو تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يعودون في الإسلام حتى يعود السهم على فوقه([2])، طوبى لمن قتلوه أو قتلهم)"([3])، وفي رواية لأبي غالب أيضًا، "فجاء أبو أمامة: فنظر إليهم فقال: (كلاب جهنم)، شر قتلى قُتلوا تحت ظل السماء، ومن قتلوه خير قتلى تحت ظل السماء)، وبكى فنظر إليَّ، فقال: (يا أبا غالب، إنك ببلد هؤلاء به كثير.. أعاذك الله تعالى منهم، ثم تلا: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأوله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به.. آل عمران.. /٧)، قال أبو غالب: يا أبا أمامة، إني رأيت تغرغرت لهم عيناك، قال: (نعم، إنهم كانوا من أهل الإسلام)، فقال رجل: يا أبا أمامة، أمِن رأيك تقول، أم شيء سمعته من النبي.. إلى آخر القصة).

يقول الآجري معقبًا على كل ما سبق، ومقيمًا الحجة على كل من كان امتدادًا لهم في زماننا: "قد ذكرت من التحذير من مذهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله تعالى، عن مذهب الخوارج ولم ير رأيهم، وصبر على جور الأئمة وحيف الأمراء، ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله كشف الظلم عنه وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح وحج معهم وجاهد معهم كل عدو للمسلمين، وصلى معهم الجمعة والعيدين، فإن أمروا بطاعة فأمكنه أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروا بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت الفتن بينهم لزم بيته وكف لسانه ويده، ولم يهو ما هم فيه، ولم يُعن على فتنة، فمن كان هذا وصفه كان على الطريق المستقيم إن شاء الله"إ.هـ.. ونَشهد ونُشهد الله أن الرجل قد أعذر وأنذر، وأنه لا عذر بعد قوله لمعتذر، وأني أقول بقوله، وكل امرئ حسيب نفسه.. كما أفرد الآجري عقب ما سلف، بابًا (في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين، والصبر عليهم وإن جاروا([4])، وترك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة)، وساق في ذلك حديث أم سلمة وفيه قوله عليه السلام:

(يكون عليكم أمراء، تعرفون وتنكرون، فمن عرف فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكم من رضي وتابع)، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نقاتلهم؟، قال: (لا، ما صلوا)([5])، وقوله فيما اتفق عليه الشيخان من

([1]) رواه البخاري ٦٩٣٠ ومسلم ١٠٦٦ والترمذي ٢١٨٩

([2]) ولعل هذا ما يفسر لنا سر مبايعة خوارج العصر –وعلى رأسهم جماعة الإخوان– لمن أمَّروه عليهم أو للمراقب أو للخليفة الباطني غير المعلوم أحيانًا، وولائهم المطلق للتنظيم الدولي الذي يجمع شتاتهم، وطلب الحلف على السمع والطاعة لكل من بايعهم، في المنشط والمكره واليسر والعسر، وما على الحالف إلا أن يتلقى التكليفات دون أن يبالي ما إذا كانت في طاعة أو معصية أو في قتل مسلم أو تفخيخ برج كهربائي أو خلاف ذلك من الموبقات، على الرغم من أن ذلك شرعًا مشروط للإمام الممكن المعلوم، وبألا تكون الطاعة في معصية، وما حديث من بعثه الرسول وأمر من معه أن يضرموا نارًا ويلقوا بأنفسهم فيها، وإنكار النبي ذلك، وقوله عليه السلام: (لو دخلوا فيها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف)، إلا شاهد صدق على عدم صحة كل ما يفعلونه.

([3]) رواه الترمذي ٣٠٠٠ وابن ماجة ١٧٦ وصححه الألباني في المشكاة ٣٥٥٤

([4]) يفرض أئمة أهل السنة الجور والظلم، ليلزِموا مخالفيهم بأهمية بل وفرضية الطاعة لولاة أمورنا من المسلمين في غير معصية، بطريق الأولى لمن لم يكونوا كذلك ممن لم يقع على أيديهم معشار ما وقع في بعض عصور بني أمية وبني العباس وآل عثمان حتى سقوط الخلافة، حيث إذلال هل السنة وقهرهم والبطش بهم والنيل منهم، وحيث فتنة خلق القرآن والحرص على الإمارة وسلوك سبل الشهوات والملذات.

ويشاء الله أن يكتب الهزيمة لأولئك الخارجين في أيامنا، على يد رئيس البلاد الحالي عبد الفتاح السيسي التي وقف لهم بالمرصاد، وأنقذ البلاد –بأمر من العباد وتفويض منه له– وصانها وخلصها من براثنهم ومن كيد من استعانوا بهم من أعداء الإسلام والمسلمين، والذي تعرض من قِبَلهم لأكثر من محاولة اغتيال، والذي ميزه الله بالصبر عليهم وبدماثة الخلق وطهارة اللسان ونظافة اليد، ناهيك عما تحلى به من الزهادة في الحكم ورفضه بشدة أن تزيد مدة ولايته على ثمان سنوات حسب ما يقضي دستور البلاد الحالي، أي: بما ينفي أن يكون حريصًا على كرسي الحكم كجماعة الأخوان مثلًا أو يكون حكمه حكمًا جبريًا، فضلًا عما قدمه لمصر من الإنجازات بما جعله مضرب المثل ومصدر الإعجاب بشهادة المختصين على مستوى دول ورؤساء العالم.. كل ذلك إنما أرد الله به أن يقيم به الحجة وأن يكون اختبارا وفضحًا لمن تبنوا فكر من يمرقون من الدين، حيث لا مبرر لهم في الخروج عليه ومنازعته الأمر سوى كونهم ممن يدينون بدين الخوارج ويحرصون على كراسي الإمارة والخلافة، بالمخالفة لما نهجه النبي وصحابته وتابعيهم بإحسان.. ولك أن تقول مثل هذا بحق سائر ديار الإسلام وجل حكام المسلمين

([5]) رواه مسلم ١٨٥٤ وأحمد ٦/ ٣٠٢، ٣٠٥

حديث أنس: (اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم حبشي كأن رأسه زبيبة)، وقول عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده: (بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)، وحديث أمامة الباهلي وفيه قوله ﷺ : (اسمعوا وأطيعوا في عسركم ويسركم ومنشطكم ومكرهكم وأثرة عليكم، ولا تنازعوا الأمر أهله، وإن كان لكم)، وحديث يزيد بن سلمة الجعفي – وقد سأل رسول الله ﷺ ، أرأيت إن قامت علينا أمراء فسألونا حقهم ومنعونا حقنا، فما تأمرنا؟، فاعرض عنه ثم سأله الثانية والثالثة، وقال: (اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حُملتم)([1])، وما أثر عن عمر في قوله لسويد بن غفلة: (لعلك أن تُخلف بعدي، فأطع الإمام وإن كان عبدًا حبشيًا، وإن ضربك فاصبر وإن حرمك فاصبر، وإن دعاك إلى أمر منقصة في دنياك فقل: سمعًا وطاعة، دمي دون ديني).

يقول الآجري في تفسير كلام عمر وما يحتمله من معنى: "من أُمِّر عليك من عربي أو غيره، أسود أو أبيض أو أعجمي، فأطعه فيما ليس لله فيه معصية، وإن حرمك حقًا لك أو ضربك ظلمًا لك أو انتهك عرضك أو أخذ مالك، فلا يحملنك ذلك على أن تخرج عليه بسيفك حتى تقاتله، ولا تخرج مع خارجي يقاتله، ولا تحرِّض غيرك على الخروج عليه، ولكن اصبر عليه.

وقد يدعوك إلى منقصة في دينك من غير هذه الجهة، كأن يأمرك بقتل من لا يستحق القتل، أو بقطع عضو من لا يستحق ذلك، أو بضرب من لا يحل ضربه، أو بأخذ مال من لا يستحق أن يؤخذ ماله، أو بظلم من لا يحل له ولا لك ظلمه، فلا يسعك أن تطيعه، فإن قال لك: لئن لم تفعل ما آمرك به وإلا قتلتك أو ضربتك، فقل: (دمي دون ديني)، لقول النبي ﷺ : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)([2])، وقوله كما في الصحيحين: (إنما الطاعة في المعروف)، وحديث عوف بن مالك الأشجعي وفيه قوله عليه السلام: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم)، قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم على ذلك؟، قال: (لا، ما أقاموا فيكم الصلاة؛ لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا إن من ولي عليكم منهم، فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فلينكر ما يأتي من معصية الله، ولا تنزعن يدًا من طاعة الله عز وجل).

ثم إن ما يترتب على ترك هذا النهج من قتال في الفتنة، عقد الآجري له أيضًا بابًا في الشريعة ص ٤٤ جعله بعنوان: (فضل القعود في الفتنة عن الخوض فيها، وتخوف العقلاء على قلوبهم أن تهوى ما يكرهه الله تعالى، ولزوم البيوت والعبادة لله تعالى)، ذكر رحمه الله فيه أحاديث الفتنة، ومنها: قوله ﷺ كما في الصحيحين: (تكون فتنة، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من يستشرف لها تستشرف له، ومن وجد منها ملجأ أو مَعَاذًا، فليَعُذْ به)، وفي رواية عبد الله بن خباب عن أبيه: (أنه ﷺ ذكر الفتنة، وقال: القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي)، قال: (فإن أدركتها فكن عبد الله المقتول)([3])، قال أيوب راوي الحديث: ولا أعلمه إلا أن قال: (ولا تكن عبد الله المقتول)، قالوا لعبد الله أنت سمعت هذا من أبيك يحدث به عن رسول الله؟، قال: نعم، فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه.. وبقروا أم ولده عما في بطنها.

كما روى الآجري في ذلك حديث أبي موسى وفيه قوله عليه السلام على المنبر: (إن بين أيديكم فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا([4])، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي)، قالوا: فما تأمرنا؟، قال: (كونوا أحلاس بيوتكم)([5])، وحديث أبي هريرة وفيه: (بادروا بالأعمال، ستكون فتن كقطع الليل المظلم،

([1]) رواه مسلم ١٨٤٦ وابن أبي عاصم في السنة ١٠٨٤

([2]) رواه أحمد ٥/ ٦٦ والطيالسي ٨٥٦ والطبراني في الكبير ٣١٥٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٥٢٠.. والسؤال: أين هذا مما يقع في زماننا من طاعة للخوارج في معاصي الله وسفك الدماء المعصومة وتدمير وتخريب وإفساد.. بل، وبإذن من جماعتهم

([3]) رواه احمد ٥/ ١١٠ والهيثمي في المجمع ٧/ ٣٠٣

([4]) في رواية عن القاسم بن أبي أمامة: إلا من أحياه الله بالعلم

([5]) رواه أبو داود ٤٢٦٢ وأحمد ٤/ ٢٠٨، والحاكم ٤/ ٤٤٠

يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرأ، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرأ، يبيع دينه بعرض من الدنيا)([1])، وحديث معقل بن يسار وفيه: (العبادة في الهرج كالهجرة إلي)([2]).

كما ساق فيه أثر سعيد بن جبير، وفيه قوله: "قال لي راهب: (يا سعيد، في الفتنة يتبين لك من يعبد الله ومن يعبد الطاغوت)([3])، وقد أعقب الآجري بعض هذا بقوله محذرًا ومنذرًا، كالناصح وكالمنظر لما يجري في عصرنا: "ذكرتُ هذا ليحتاط المؤمن العاقل لدينه، فإن الفتن على وجوه كثيرة، قد مضي منها فتن عظيمة، نجا منها أقوام، وهلك فيها أقوام باتباعهم الهوى وإيثارهم الدنيا، فمن أراد الله به خيرًا فتح له باب الدعاء، والتجأ إلى مولاه الكريم وخاف على دينه وحفظ لسانه وعرف زمانه، ولزم المحجة الواضحة والسواد الأعظم، ولم يتلون في دينه وعبد ربه، فترك الخوض في الفتنة، فإن الفتنة يفتضح عندها خلق كثير، ألم تسمع إلى قول النبي عليه السلام وهو يحذر أمته الفتن، ويقول: (ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا؟).. وهذا – والله – كلام من لزم السنة وخبر الحياة.. رحم الله الآجري بقدر ما نصح للأمة وبقدر ما أنذرها وحذرها.. لكن هل من مدّكر؟!.

ويُثَنِّي بالرد على المرجئة والقدرية والمعطلة والرافضة:

هذا ولم يفت الآجري أن يتوسع ص ١١٦ وما بعدها في بيان أن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ليردَّ به على من قَصَره على بعض ذلك([4])، منوهًا على مكانة الصلاة في الإسلام، وكاشفًا عن عوار المرجئة وسوء مذهبهم، وعوار القدرية وأنه لا يصح لعبد إيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وعوار المعطلة وأنه يجب التصديق بكل ما ورد عن الله وصح عن رسول الله من صفاتٍ لله خبرية كانت أو فعلية أو ذاتية، ومبينًا أن الشفاعة حق وتكون يوم القيامة لأهل الكبائر، ومتوسعًا في بيان فضل النبي ﷺ وصحابته الكرام، وقد ذكر منهم ضمن مَن ذكر:

أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وخديجة أم المؤمنين وسائر أهل بيت النبوة، وجعفر وحمزة والعباس وطلحة والزبير وباقي العشرة المبشرين بالجنة، وعمرو بن العاص وعمار بن ياسر، ومعاوية بن أبي سفيان، وذكر ضمن مناقب الأخير مصاهرة النبي له بأخته أم حبيبة، واستكتابه ﷺ له، ومشاورته إياه، وصحبته –بأبي هو وأمي– له ومنزلة معاوية عنده، وتواضع معاوية في خلافته، وتعظيمه ﷺ لآل البيت، وذكر الأحاديث والآثار في ذلك.

كما عقد الآجري في آخر كتابه (الشريعة) لأبواب في: (الكف عما شجر بين الصحابة)، و(اللعنة على من سبهم)، و(ذكر ما جاء في الرافضة وسوء مذهبهم)، وأوضح في هذا الأخير أن "أهل بيت رسول الله أعلى قدرًا وأصوب رأيًا، وأعرف بالله وبرسوله مما تنحله الرافضة إليه، من سبهم لأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة.. فكلهم عندنا على سرر متقابلين في الجنة قد نزع الله الكريم من قلوبهم الغل، كما قال عز وجل: (ونزعنا ما في قلوبهم من غل إخوانًا على سرر متقابلين.. الحجر/ ٤٧)".

واستطرد يقول: "قد تقدم ذكرنا لمذهب علي بن أبي طالب في أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة، وما روي عن النبي من فضائلهم.. وما ذُكر من عظم مصيبته بما جرى على عثمان من قتله، وكذا ولده وذريته الطيبة، ينكرون على الرافضة سوء مذهبهم، ويتبرؤون منهم ويأمرون بمحبة أبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة، لورود الأدلة الواضحة على ذلك ولأن الرافضة لا يشهدون جمعة ولا جماعة، ويطعنون على السلف، ولا نكاحهم نكاح المسلمين، ولا طلاقهم طلاق المسلمين".

إلى أن قال: "ينبغي لكل من تمسك بما رسمناه في كتابنا هذا: أن يهجر جميع أهل الأهواء من الخوارج والقدرية والمرجئة والجهمية، وكل من ينسب إلى المعتزلة، وجميع الروافض وجميع النواصب، وكل من نسبه أئمة المسلمين أنه مبتدع بدعة ضلالة، وصح عنه ذلك، فلا ينبغي أن يكَلَّم ولا يُسَلَم عليه، ولا

([1]) رواه مسلم ١١٨، وأحمد ٢/ ٣٠٤، ٥٢٣

([2]) رواه مسلم ٢٢٦٨ وابن ماجة ٣٩٨٥ وأحمد ٥/ ٢٥، ٢٧

([3]) وهو كل من يطاع من دون الله.. وصدق والله

([4]) فقال ما نصه: "الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، وأنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق، إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا، ولا تجزئ معرفة القلب ونطق اللسان، حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كمُلت هذه الثلاث الخصال كان مؤمنًا.. وضرب على ذلك الأمثلة وأقام على كلٍّ الأدلة.

يجالس ولا يصلى خلفه، ولا يزوج ولا يتزوج إليه من عرفه، ولا يشاركه ولا يعامله ولا يجادله، بل يُذله بالهوان له، وإذا لقيته في طريق أخذت في غيرها إن أمكنك".

وأقول أن ذلك يسري على كل من انتحل نحل هؤلاء وارتضى لنفسه أن يسير على هداهم، ودليله قصة هجرة النبي الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله في الخروج معه في غزاته بغير عذر، وورود الأخبار في كل هذا من نحو ما جاء في قول أبي إسحاق الهمداني: (من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام)، ومن نحو ما جاء في حديث: (أهل البدع هم شر الخلق والخليقة)([1]).. نسأل الله أن يعصمنا من الزلل وأن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه.. اللهم آمين.

ثانيًا: معتقد الحافظ (هبة الله اللالكائي) صاحب (شرح أصول اعتقاد أهل السنة)، يحذر من تكفير أهل القبلة والخروج على حكام المسلمين

واللالكائي هو الإمام الحافظ المجود المفتي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور، الطبري الرازي اللالكائي([2])، من فقهاء الشافعية، ذكر الخطيب وابن الجوزي أنه "طبري الأصل"، وذلك نسبة إلى طبرستان، وأما نسبته إلى الرازي فهي نسبة إلى مدينة الري وفيها سمع الحديث من جعفر بن عبد الله الفناكي وعلي بن محمد القصار.. وغيرهما، ثم قدم بغداد واستوطنها وفيها درس فقه الشافعي على أبي حامد الإسفراييني وسمع عيسى بن علي الوزير وغيره، وقد تتلمذ على يديه: أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي صاحب (تاريخ بغداد)، وأبو الحسن علي بن الحسين العكبري المعروف بـ (ابن جدا).

عُرف اللالكائي بالحفظ والفهم والإتقان، فعنه قال الحافظ ابن كثير: "كان يفهم ويحفظ، وعُني بالحديث فصنف فيه أشياء كثيرة"، وقال ابن الأثير: "سمع الحديث الكثير وتفقه على أبي حامد"، وقال الحافظ الذهبي في السير ١٧/ ٤١٩: "مفيدُ بغداد في وقته.. تفقه بالشيخ أبي حامد وبرع في المذهب الشافعي"، فهو رحمه الله قد جمع بين الحفظ والفهم وهذا قلما يجتمع لعالم من العلماء، كما جمع بين الفقه والحديث وهذه أيضًا ميزة أخرى.. لم يمكث اللالكائي في بغداد كثيرًا، وخرج منها في آخر أيامه إلى (الدينور) ومات بها سنة ٤١٨هـ.

اللالكائي يؤصل للعقيدة الصحيحة والمنهج القويم.. ويُصَدِّر كتابه (شرح أصول السنة) بالحديث عن التمسك بالسنة ولزوم أهلها

أما كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة مِن الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومَن بعدهم)، فيُعَدُّ من أهم مصادر كتب الاعتقاد لدى أهل السنة، حيث جمع اللالكائي من خلاله ما يقرب من ألفين وخمسمائة نصٍّ احتواها هذا السفر العظيم، ومن هنا كان لزامًا على كل طالب علم أن يقتنيه ويدرسه ليعرف من خلال العقيدة الصحيحة التي حواها هذا الكتاب: ما ينبغي أن يدين الله به.. وهذا عرض موجز لأهم ما تضمنه:

صدَّر اللالكائي كتابه بمقدمة نص فيها على "أن أوجب ما على المرء: معرفة اعتقاد الدين وما كَلّف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته، وتصديق رسله بالدلائل والحجج والبراهين، من كتاب الله ثم قول رسول الله وصحابته الأخيار المتقين، ثم من اقتدى بهم من الأئمة المهتدين واقتفى آثارهم من المتَّبعين، واجتهد في سلوك سبيل المتقين، وكان مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فمن أخذ في مثل هذه المحجة أمِن في دينه التبعة في العاجلة والآجلة وتمسك بالعروة الوثقى، ومن أعرض عنها وابتغى الحق في غيرها مما يهواه، أخطأ في اختيار بغيته وأغواه".

ثم جعل يدلل على ذلك بظهور أهل البدع جراء البعد عما ذُكر، وذلك بالنصوص الكاشفة عن أن أصحاب الحديث هم من تمسكوا بحبل الله فكانوا أولى الناس بالاتباع والالتفاف حولهم، مصداقًا لقوله

([1]) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان ٢/ ٩٠ والحلية ٨/ ٢٩١.

([2]) نسبة إلى (اللوالك) التي تلبس في الأرجل على خلاف القياس، كذا قال الزبيدي في التاج، وهذه النسبة تدل على أنه –رحمه الله– كان يأكل من كسب يده.

تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني.. يوسف/ ١٠٨).. وقوله ﷺ كما في الحديث الصحيح: (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ومن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضّوا عليها بالنواجذ، {وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة}، وفي رواية: {وعليكم بالطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا}.. وقوله بعد أن خط خطا مستقيمًا، ثم خط خطوطًا يمينًا وشمالًا: (هذه سبُلٌ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: {وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السب فتفرق بكم عن سبيله. الأنعام/ ١٥٣}).

كما أكثر اللالكائي في ذكر الأدلة على لزوم السنة وأهلها، بما يؤهله لأن يكون واحدًا من أئمة السنة، قائمًا بالقسط، ناصحًا لدينه، "يصرف همته في جمع (اعتقاد أهل الحديث) على سنن كتاب الله ورسوله وآثار صحابته"، وأن يخصص لذلك بابًا في (ذكر من رُسم –ووصف– بالإمامة في السنة والدعوة والهداية إلى طريق الاستقامة بعد رسول الله)، ويذكر من الصحابة والتابعين وتابعي تابعيهم في جميع الأمصار وعلى سبيل التعيين، الكثير والكثير.

ثم يتبع هذا بالحديث عـ (ما روي عن النبي والسلف في ثواب من حفظ السنة وأحياها ودعا إليها) وعن (الحث على الاتباع، والتمسك بالكتاب والسنة والآثار، واتباع الجماعة وعدم مفارقتها)، ويذكر فيما يذكر عبارة ابن عباس القائل فيها:

(النظر إلى الرجل من أهل السنة – يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة – عبادة)، وعبارة أيوب السختياني التي فيها يقول: (إني أُخْبَر بموت الرجل من أهل السنة فكأني أفقد بعض أعضائي)، ويقول: (إن الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون).

كما يروي عن الأوزاعي قوله: (خمس كان عليها أصحاب محمد والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله)، وإنما يعني بالجهاد – بالطبع – ما يكون منضبطًا بالشرع، من كونه: لإعلاء كلمة الله، وضد أعداء الإسلام، وخلف الإمام الممكن، وألا يكون تحت راية عُمّيّة، يعني: على خلاف ما يفعل خوارج عصرنا منفذين –عرفوا ذلك أم لم يعرفوا– ما يخطط له أعداء الإسلام من تحريش وإيقاع بين المسلمين، ومحققين لهم أهدافهم فيما يُعرف بحروب الجيل الرابع والخامس، ومشوهين ومنفرين الناس من هذا الدين العظيم.

ويواصل اللالكائي تأصيلَه للزوم السنة وأهلها؛ فيروي عن شاذ بن يحيى قوله: (ليس طريقٌ أقْصَدُ إلى الجنة من طريق من سلك الآثار)، وعن ابن المبارك قوله: (الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة)، وعن حذيفة قوله: (خذوا طريق مَن قبلكم، فوالله لئن سبقتم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، وإن تركتموه يمينًا وشمالًا، لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا)، وعن حسان بن عطية قوله: (ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها عليهم إلى يوم القيامة) يعني: عقوبة لهم، وعن ابن مسعود قوله: (ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلًا، إن آمَن آمن وإن كفر كفر، فإن كنتم لا بد مقتدين فبالميت، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة)، وعن عمر بن عبد العزيز قوله: (سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعته وقوة على دينه، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها مهتد، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولّاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا).

كما جعل اللالكائي –إبان حديثه عن لزوم جماعة المسلمين([1])– يذكّر بحديث مسلم من طريق أبي هريرة وفيه قوله عليه السلام: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فموته جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدها، فليس مني، ومن مات تحت

([1]) الذين هم كما ذكر الذهبي في العلو ص ١١٧، ١٢١: "جمهور الأمة وأهل العلم"، والسواد الأعظم من عامة المسلمين، كما ذكره الطبري ونقله عنه ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٠، لأثر: (عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة)، وأيضًا كونهم على دين الصبيان والعجائز وعلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها

راية عُمِّيّة يغضب لعصبة أو يقاتل لعصبة فموته جاهلية).. وبقوله ﷺ فيما رواه مسلم من حديث عرفجة: (إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرِّق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنًا من كان).. وبحديث أنس وعوف بن مالك وغيرهما وقد صححه الألباني بمجموع طرقه وفيه: (إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة – وفي رواية: (ثلاثًا وسبعين ملة يعني: الأهواء) – كلها في النار إلا واحدة، قيل وما هي يا رسول الله: قال: ما أنا عليه وأصحابي، وفي رواية: (فقبض يده وقال: الجماعة، فاعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا)، وفي رواية: (اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، قلنا: انعتهم لنا يا رسول الله، قال: السواد الأعظم).. وبحديث: (إن أمتي لا تجتمع على الضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف، فعليكم بالسواد الأعظم)، وهو من طريق ابن عمر بلفظ: (لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة أبدًا، ويد الله مع الجماعة، فاتبعوا السواد الأعظم، فإنه من شذّ شذ إلى النار).

وجعَل كذلك يذكِّر بحديث زر الذي فيه: (استوصوا بأصحابي خيرًا، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب.. فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد ومن الاثنين أبعد، فمن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن)، وقد صححه الألباني.. وبحديث الحارث الأشعري وهو صحيح: (إن الله أمرني بالجماعة، وأنه من خرج من الجماعة شبرًا، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه).. وبأثر ابن مسعود الذي فيه قوله: (يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما السبيل إلى حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون من الجماعة خير مما تحبون من الفرقة)، وقوله بشأن سمات هذه الجماعة: (إنما الجماعة: ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك).. وبحديث البخاري ومسلم من طريق المغيرة: (لا يزال أناس من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)، وفي رواية بلفظ: (ظاهرين على من ناوأهم حتى يأتي أمر الله وينزل عيسى ابن مريم).

وبعد تأصيله لملازمة السنة والجماعة.. يؤصل اللالكائي كذلك لتنقية منهج أهل السنة من أدران البدع ويحُثُّ على اعتزال أهلها

وقد أتبع اللالكائي ما سبق، بـ (ما روي في النهي عن مكالمة أهل البدع وجدالهم والاستماع إلى أقوالهم المحدثة وآرائهم الخبيثة) كذا قال، وساق في ذلك بسنده فيما ساق ما أخرجه البخاري من حديث عائشة: (إن أبغض الرجال الألد الخَصِم)([1]).. ومقولة عمر: (إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء السنة، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا).. ومقولة علي: (سيأتي قوم يجادلونكم، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله).. ومقوله عمر –وبنحوها عن سهل بن حنيف –: (اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتُني أرد أمر رسول الله برأيي اجتهادًا، ووالله ما آلو عن الحق، وذلك يوم أبي جندل والكفار بين يدي رسول الله وأهل مكة، فقال: اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: إنا قد صدقناك كما تقول، ولكن اكتب: باسمك اللهم)، قال: (فرضي رسول الله وأبيتُ عليهم، حتى قال: يا عمر، تراني قد رضيتُ وتأبى؟)، قال: (فرضيت).. ومقولة الشعبي: (إنما سُميت الأهواء، لأنها تهوي بصاحبها في النار).. ومقولة أبي الجوزاء: (لأن يجاورني في داري قردة وخنازير، أحب إلي من أن يجاورني أحد من أصحاب الأهواء).

كما ساق مقولة سفيان الثوري: (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، والمعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها).. ومقولة ثابت بن العجلان: (أدركتُ أنس بن مالك وابن المسيب والحسن البصري وسعيد بن

([1]) وهو –كما في صحيح البخاري وشرحه فتح الباري ١٣/ ١٩٢ –: "الدائم في الخصومة" ويحتمل أن يكون المراد: "الشديد الخصومة"، فإن (الخَصِم) من صيَغ المبالغة، فيحتمل الشدة ويحتمل الكثرة، و(الألد) مشتق من اللدد، وهو: الاعوجاج والانحراف عن الحق، وأصله من (اللديد)، وهو: جانب الوادي، ويطلق على: جانب الفم، ومنه (اللدود) وهو: صب الدواء منحرفًا عن وسط الفم إلى جانبه، فأراد أن يبين أن العوج يستعمل في المعاني كما يستعمل في الأعيان، فمن استعماله في المعاني (اللدود والإد)، وهو: قوله تعالى: (لقد جئتم شيئًا إدًا)، أي: شيئًا منحرفًا عن الصواب ومعوجا عن سمة الاعتدال.. وتفسير (الألد) بـ (الشديد الخصومة)؛ لأنه كلما أخذ عليه جانب من الحجة أخذ في آخر.. قال أبو عبيدة في (كتاب المجاز) في قوله تعالى (قومًا لدًا): واحدهم ألد، وهو: (الذي يدعي الباطل ولا يقبل الحق)، ومن هنا ورد الترغيب في ترك المخاصمة؛ ففي سنن أبي داود مرفوعًا: (أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو محقًا)، وله شاهد عند الطبراني من حديث معاذ، و(الرَّبض): الأسفل.. وخلاصة ما ذهب إليه أئمة العلم، أن لأصل في المجادلة أنها محمودة، ولكن قد تكون مذمومة في الحالات الآتية: إذا كانت: مجادلة في الآيات والأحاديث بقصد ردها، مجادلة في الأدلة القطعية، أو كانت لدحض الحق، أو كانت لتقرير الباطل والدفاع عنه، أو كانت بغير حجة ولا برهان.

جبير والشعبي والنخعي وعطاء وطاووس ومجاهد والزهري ومكحول والقاسم والخراساني وثابت البناني والرقاشي: كلهم يأمروني بالجماعة وينهوني عن أصحاب الأهواء).. ومقولة الحسن البصري: (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم).. ومقولة أبي قلابة البصري: (لا تجالسوهم ولا تخالطوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم كثيرًا مما تعرفون)، وكذا قوله: (ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف)، ومقوله السختياني: (ولا تمكن أصحاب الأهواء من سمعك فينبذوا فيه ما شاءوا).. ومقولة عمر بن عبد العزيز: (إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة).. ومقولة محمد بن النضر الحارثي قوله: (من أصغى سمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم أنه صاحب بدعة، نُزعت منه العصمة ووُكل إلى نفسه).. ومقولة يحيى ابن أبي كثير: (إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق أخرى).. كما نقل عن الخراساني قوله: (ما يكاد الله أن يأذن لصاحب بدعة بتوبة).. وعن عبد الله بن المبارك قوله: (صاحب البدعة على وجهه الظلمة وإن ادّهن كل يوم ثلاثين مرة).

والحق أن كل هذا يمثل ثوابت وأصول الفرقة الناجية ومرجعيتها، وهي أمور –وإن بدت في ظاهرها بدهية أو ليست لبساطتها بذات بال– إلا أنها في الحقيقة وأمام إعمالها من العوائق والأهواء ما الله به عليم، لما في لزوم السنة وأهلها من أهمية قصوى، ولما في خطورة البدعة وأهلها على دين المرء من خطورة عظمى، فقد يقضي المسلم –ولا أبلغ إذا قلت (العالِم) المحسوب على أهل السنة، بل من يظن في نفسه ويظن الناس فيه أنه أفقه أهل زمانه وأعلم من في الأرض– حياته حتى يُفضي إلى ربه فيموت عياذًا بالله على ضلالة، وما يكون مصيره في الآخرة إلا أن يكون كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ واحدًا من كلاب أهل النار، أو ممن لا يُؤذن له بورود حوضه ويبعد عنه ويُقال ساعتها والنبي يترجى له الشفاعة: (سحقًا سحقًا، فإنك لا تدري يا محمد ما أحدثوا بعدك)، وما أكثر من رضي أن يكون مصيره هكذا وهو لا يدري، نسأل الله العافية ونعوذ به من الخذلان.

اللالكائي يحذر ممن يكفرون أهل القبلة أو ينازعون الأمر أهله من الخوارج، وكذا ممن ينتقصون الصحابة حقهم من أهل التشيع.. ويسوق الأدلة على ذلك:

هذا، وقد عنون اللالكائي في المجلد الثاني ص٨٩٨ لـ (ما رُوي عن النبي ﷺ في أن المسلمين لا تضرهم الذنوب التي هي من الكبائر إذا ماتوا عن توبة من غير إصرار، ولا يوجب التكفير إن ماتوا عن غير توبة، كون أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم)، وسرد في ردِّ ذلك من الأدلة ما فيه الكفاية، فكان ضمن ما ذكر: أثر أبي سفيان، قال: "قلت لجابر: (كنتم تقولون لأهل القبلة: إنكم كفار)؟، قال: (لا)"، وأثر سليمان اليشكري وقد سئل: "أكنتم تعدون الذنب شركًا؟، قال: (لا)"، وما رُوي عن ابن عباس وابن عمر وابن مسعود من "أنهم كانوا يرجون لأهل الكبائر"، وما رُوي عن أبي الجوزاء من قوله: "ليس فيما طلبت من العلم ورحلت فيه إلى العلماء وسألت عنه أصحاب النبي أن يقول الله لذنب: (لا أغفره)"، وعن محمد بن سيرين من قوله: "لا نعلم أحدًا من أصحاب محمد ﷺ ولا من غيرهم من التابعين تركوا الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثمًا"، وعن النخعي من قوله: "لم يكونوا يحجبون الصلاة عن أحد من أهل القبلة"، وعن عطاء من قوله: "صلِّ على من صلى إلى قبلتك"، وعن الحسن من قوله: "إذا قال: لا إله إلا الله صلِّ عليه"، وعن إسحاق الفزاري من قوله: "سألت الأوزاعي وسفيان الثوري: هل تترك الصلاة على أحد من أهل القبلة وإن عمل أي عمل؟، قالا: (لا)"، وعن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور وأبي عبيد، قالوا: مثله.

وذكر اللالكائي في ذلك حديث البخاري ومسلم: (لما أسري به ﷺ فانتهى إلى سدرة المنتهى.. أعطي الصلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته المقحمات)، ولفظ ابن المغيرة: (غفر لأمته ما لم يشركوا بالله شيئًا).. وحديث مسلم، الذي فيه: (يقول الله –عز وجل– من عمل حسنة فله عشر أمثالها، ومن عمل سيئة فجزاءٌ مثلها أو أغفر، ومن عمل قُراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئًا جعلت له مثلها مغفرة.. الحديث).. وحديث البخاري ومسلم الذي فيه عن عبادة بن الصامت قال: "قال لنا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا

تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه وإن شاء غفر له)، قال: فبايعناه على ذلك".

وأيضًا حديث علي الذي فيه: "من أصاب في الدنيا ذنبًا فعوقب به فالله أعدل من أن يأتي عقوبته في الآخرة، ومن أذنب ذنبًا وعفا عنه فالله أعدل من أن يعود في شيء قد عفا عنه".. وحديث مسلم الذي فيه: (ليجيئن ناس من أمتي بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم، ويضعها على اليهود والنصارى).. وما أخرجاه من حديث أبي هريرة الذي فيه: "أن رجلًا أذنب ذنبًا فقال: ربِّ إني أذنبت ذنبًا – أو قال: عملت عملًا – فاغفر لي، فقال: عبدي عمل ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر – أو قال: أذنب ذنبًا آخر – فقال: رب إني عملت ذنبًا فاغفر لي، فقال: عبدي علم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، أشهدكم أني قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء".. وما أخرجاه من حديث الرجل الذي أوصى بإحراقه وذره في الرياح فلما سئل عن ذلك قال: (خشيتك)؛ فغفر الله له.. وأثر ابن عمر الذي فيه قوله: "ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا: (إن الله لا يغفر أن يشرك ب ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.. النساء/ ٤٨، ١١٦)، وإني ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة".. إلى آخر ما جاء في هذا.

فما يظن أولئك الذين يريدون من أمة محمد أن يكونوا أنبياء أو ملائكة معصومين؟؛ ونسألهم: هل أنتم كذلك؟؛ وأين هم من قول نبي الرحمة صلوات الله عليه: (كل ابن خطاء، وخير الخطائين التوابون)، بل ومن قول الله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله.. فاطر/ ٣٢)، فقسم سبحانه عباده من أمة محمد ﷺ إلى مُفْرُط في فعل بعض الواجبات مرتكب لبعض المحرمات، ومؤدٍ للواجبات تارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات وفعل بعض المحرمات، وفاعل للواجبات والمستحبات تارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات، "فظالمهم – على حد قول ابن عباس – يغفر له، ومقتصدهم يُحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب"، وهو تعالى في كل الحالات لم يُخرج أحدًا منهم من دائرة الاصطفاء والعبودية أو يؤيسهم من رحمته ومغفرته؟.

وما يظن أولئك الذين وضعوا مناهج على غير أساس من دين الله، بل وعلى خلاف كتاب الله وسنة رسوله، ثم جعلوا منها مصدرًا للتشريع يحاسبون الناس حتى من غير أتباعهم عليها، ويوالون ويعادون عليها، ويكفرون من تجاوزها أو خالفها، ويقسمون الخلق على أساسها إلى "مؤمن بها، أو متردد، أو نفعي، أو متحامل"، ونسألهم؛ هل أمنوا هم مكر الله؟؛ وهل ضمنوا لأنفسهم ولمن وثقوا بهم وأحسنوا الظن بهم – وربما كانوا ممن يوافقون مناهجهم ويخالفون منهج الله – الجنة، حتى يوجبوا لسواهم النار إن لم يكونوا معهم يحاربون على غير بصيرة في خندقهم؟، إن كل ذلك مخالف بالطبع لمعتقد أهل السنة ومنهج أهل الحق لو كانوا لا يعلمون.

ولم يفت اللالكائي –مع كل ما ذكّر به– أن يسوق الأخبار فيما عنون له بقوله: **(سياق ما رُوي عن النبي في طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخروج عليهم)، فذكر في ذلك فيما ذكر ما أخرجاه من حديث أبي هريرة: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني).. وما أورداه من حديث عبادة، قال: (بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول أو نقوم بالحق حيث ما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم).. ومن أثرٍ له، جاء فيه قوله لجنادة: (عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، ولا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمروك بمعصية الله بواحًا).. ومن حديث: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا**، فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، عضوا عليها بالنواجذ).

وأعقب –رحمه الله– ذلك: بالحديث عن الخوارج ممن دأبهم وأخص سماتهم: الخروج على حكام المسلمين، فذكر فيما ذكر قوله ﷺ بمسلم من حديث أبي ذر: (إن بعدي من أمتي –أو سيكون من بعدي–

قومٌ، يقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة).. وقوله عليه السلام كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد: (يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، تنظر في النصل فلا ترى شيئًا، ثم تنظر في القدح فلا ترى شيئًا وتتمارى في الفوق)، وحديث: (طوبى لمن قتلهم أو قتلوه) وقد حسن إسناده الألباني في ظلال الجنة ٢/ ٤٣٨، وأثر ابن عباس الذي فيه أنه ذُكر عنده الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن فقال: (ليسوا بأشد اجتهادًا من اليهود والنصارى، ثم هم يَضلون).

وكذا: بالحديث في ٢/ ١٠٦٥ عمن جعل دينه الانتقاص في حق الصحابة، حيث عقد اللالكائي فصلًا في (سياق ما روي عن النبي من الوعيد على من لعن الصحابة أو تنقصهم أو نال منهم وتتبع عوراتهم)، فذكر فيما ذكر: ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد وفيه قوله عليه السلام: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه).. وحديث عبد الله بن المغفل وفيه قوله عليه السلام: (اللهَ الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا من بعدي، من أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه)، وحديث عائشة وهو بمسلم: (أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسبُّوهم)، وأثر ابن عباس وفيه قوله: (لا تسبّوا أصحاب محمد فإن الله قد أمرنا بالاستغفار لهم وهو سبحانه يعلم أنه سيقتتلون)، وأثر سعد ابن أبي وقاص وفيه قوله: (الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا على التي بقيت، ثم تلا الآيات ٨: ١٠ سورة الحشر عن المهاجرين والأنصار ومن خلفهم بإحسان، وقال: (قد مضت هاتان، وبقيت هذه المنزلة فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي قد بقيت)، يقول: (أن تستغفروا لهم).

ولم يقتصر اللالكائي على ذلك حتى طفق يفرد للحديث عن فضائل الصحابة أبوابًا، ويذكر منهم العشرة المبشرين بالجنة، وأمهات المؤمنين، وذكر فيما ذكر: مناقب سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وما ورد بحقهما من أحاديث، منها دعاؤه ﷺ لمعاوية قائلًا: (اللهم اجعله هاديا مهتديًا، واهدِه واهدِ به)، ومنها ما رواه مسلم عن ابن عباس، وفيه قول أبي سفيان للنبي عليه السلام: ثلاث أعطينهن: عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة أزوجكها، قال عليه السلام: (نعم)، قال: عندي معاوية تجعله كاتبًا بين يديك، قال: (نعم)، قال: وتُمدُّني – أي تمهلني– حتى أقاتل الكفار كما قاتلت المسلمين، قال: (نعم)، فكان معاوية صاحبه وصهره وأمينه على وحي الله كتابًا وسنة، ومنها قوله عليه السلام: (دعوا لي أصحابي وأصهاري، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).. إلى آخر ذلك.

اللالكائي يرد على المشبهة وعلى من تأولوا الصفات ومن قالوا بخلق القرآن.. وعلى المرجئة الذين أخرجوا العمل من مسمى الإيمان

وكان اللالكائي في الجزء الأول قد حكا تحت عنوان: (سياق ما روي من المأثور عن السلف في جمل اعتقاد أهل السنة والتمسك بها والوصية بحفظها قرنًا بعد قرن) عقائد أئمة أهل السنة: الثوري والأوزاعي وسفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني وأبي ثور الكلبي والبخاري وأبي زرعة الرازي وأبي حاتم والتستري والطبري، وقد أجملنا ما نحن في حاجة إليه من عقائد بعض هؤلاء، والباقي لم يخالفوهم في إيٍّ مما ذكرناه لهم وما لم نذكره.

وكان فيما ساقه ونقلناه عنه قول البخاري في معتقده وما لقي وتوافر عليه أكثر من ألف رجل من أهل العلم بالحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر: "وأن لا ننازع الأمر أهله، ولا نرى السيف على أمة محمد، قال الفضيل: (لو كانت لي دعوة مستجابة، لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أمِنَ البلاد والعباد)"، وقول أحمد في معتقده: "ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ ، فإن مات الخارج مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه".

كما ساق اللالكائي بسنده عن الأوزاعي قوله في معتقده: "اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم، وقد كان أهل الشام في غفلة من هذه البدعة – يعني بها: بدعة خلق القرآن؛ هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ وهذا الكلام إنما نشأ في العراق – حتى قذفها إليهم بعض أهل العراق ممن دخل في تلك البدعة بعدما ردها عليهم فقهاؤهم وعلماؤهم، فأُشربها قلوب طوائف من أهل الشام، واستحلتها ألسنتهم، وأصابهم ما أصاب غيرهم من الاختلاف فيه، ولست بآيس أن يرفع الله شر هذه البدعة.. ولو كان هذا خيرًا ما خُصِصْتم به دون أسلافكم، فإنه لم يُدخر عنهم خيرًا خُبئ لكم دونهم لفضل عندكم، وهم أصحاب نبيه ﷺ الذين اختارهم وبعثه فيهم".

وكذلك ساق عن عبد الله التستري قوله –وقد قيل له: متى يَعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟– فقال: "إذا عرف من نفسه عشر خصال:

لا يترك الجماعة، ولا يسب أصحاب النبي ﷺ ، ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدَر، ولا يشك في الإيمان، ولا يُماري في الدين، ولا يترك الصلاة على مَن يموت من أهل القبْلة بالذنب، ولا يترك المسْح على الخُفَّين([1])، ولا يترك الجماعة خلف كل والٍ، جار أو عدل".

وقد أعقب اللالكائي ذلك بالحديث عن توحيد الله في صفاته وأسمائه، وعن وجوب معرفتها بالسمع لا بالعقل، وأولى هذا الأمر اهتمامًا بالغًا، وسطّر فيه ما يزيد عن المائتين والخمسين صفحة.. ثم أتبعه بالحديث عن القدرية.. ثم بالحديث عن المرجئة وهم من أخرجوا العمل من مسمى الإيمان، وأفاض – رحمه الله– وأجاد في تناول ما عليه هؤلاء جميعًا، وفي رد شبههم بالأدلة والحجج والبراهين وآثار الصحابة وتابعيهم بإحسان، بحيث لم يدع بعدها كلمة لمتكلم ولا شبهة لمغرض.. فرحم الله اللالكائي وأسكنه فسيح جناته بقدر ما بذل من وقت وجهد لإخراج هذا السفر الذي لا غنى لمسلم عنه.

المبحث الثالث: الصابوني والأصبهاني وابن قدامة..
على نهج السلف في: النهي عن تكفير المسلمين والخروج على حكامهم
أولًا: في خطوة حقيقية لتجديد الخطاب الديني.. (معتقد الصابوني) كـ (إبانة الأشعري)؛ من شأن تدريسه على أبناء الأزهر والمعاهد الدعوية أن يقيم صحيح الدين ويقضي على التطرف والإرهاب

لن نمل من القول بأن ما جاء في خطة وزارة الأوقاف المصرية من وضع تصور لتجديد الخطاب الديني لمواجهة ظاهرتي التطرف والإرهاب تكون مدتها – حسب في جريدة اليوم السابع ٤/ ٨/ ٢٠١٨ – أربع سنوات، أنفق عليها المليارات، وتتضمن أمور سبق الحديث عنها تفصيلًا.. لن تجدي نفعًا في

([1]) وتلك أيضًا مسألة فقهية أدى إلى جعلها قضية عقدية: تواتر الأدلة عليها ومخالفة الروافض والخوارج لهذه الأدلة، فقد روي في المسح على الخفين أربعون حديثًا رواها ثمانون صحابيًا منهم العشرة المبشرون بالجنة ومن هذه الأحاديث ما هو متفق عليه، ونذكر من تيك الأحاديث: ما رواه المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ (أنه خرج لحاجته فأتبعه المغيرة بإداوة فيها ماء، فصب عليه حين فرغ من حاجته فتوضأ ومسح على الخفين).. وحديث ابن عمر عن سعد بن أبي وقاص وهو في البخاري (أنه عليه السلام مسح على الخفين)، وأن ابن عمر سأل عمر عن ذلك فقال: (نعم).. وحديث همام ابن الحارث – وهو في الصحيحين – وفيه قوله: (رأيت جرير بن عبد الله بال ثم توضأ ومسح على خفيه ثم قام فصلى، فسئل فقال:(رأيت النبي ﷺ صنع مثل هذا).. وحديث أوس بن أبي أوس وهو في صحيح سنن أبي داود، وفيه: (أنه رأي النبي ﷺ توضأ ومسح على نعليه).

وفي سنن الدارمي عن علي أنه توضأ ومسح على ظاهر قدميه، وقال: (لولا أني رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت، لرأيت أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما).. قال ابن عبد البر في التمهيد ١١٠/ ١٣٧: "عمل بالمسح على الخفين: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر أهل بدر والحديبية، وغيرهم من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين أجمعين، وفقهاء المسلمين في جميع الأمصار، وجماعة أهل الفقه والأثر كلهم يجيز المسح على الخفين في الحضر والسفر للرجال والنساء"إ.هـ.. كذا بما يعني: أن الإجماع منعقد على مشروعيته، وبحقه قال النووي في شرح مسلم ٣/ ١٦٠: "أجمع من يُعتدُّ به في الإجماع على جواز المسح على الخفين في السفر والحضر، سواء كان لحاجة أو لغيرها، وإنما أنكرته الشيعة والخوارج ولا يعتدُّ بخلافهم"إ.هـ .

وفي شرحه لما جاء في متن الطحاوية – (ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر) – أفاض ابن أبي العز ص ٣٣١ في بيان ذلك وفي رد شبهاته، كما أشار بعض المحققين بهامش الطحاوية في جوابه عن سر إدراج هذه المسألة – وهي بعدُ مسألة فقهية – ضمن مسائل العقيدة، فقال: "لأن هذه المسألة أنكرها المبتدعة، وأثبتها أهل السنة.. وممن اشتهر عنهم إنكار المسح على الخفين: الرافضة، ويخالفون أهل السنة والجماعة في ذلك، ويخالفون الأحاديث الثابتة.. وهي رخصة وتسهيل لعباده".. وينظر في ذلك أيضًا من غير الطحاوية: المغني ١/ ٣٦٠ وفتح الباري ١/ ٣٠٦ ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ٤٧٠، ومجلة التوحيد في عددها (٥٦٨) ص٣٢.. والخلاصة أن أهل السنة تميزوا بأنهم يرون المسح على الخفين – خلافًا للطوائف المنحرفة – فصارت بالنسبة لهم (علمًا) يميز أهل العقيدة الصحيحة عن أهل البدع والأهواء وأصحاب العقائد الباطلة، و(ميزانًا منهجيًا) يفصل ويُفرِّق بين السني والرافضي والخارجي ونحوهما، وهذا هو وجه إيراد المسألة في مصنفات كتب العقيدة الإسلامية، وفيه الدليل على أن أهل السنة لا يعارضون الآثار الثابتة بالأقيسة والدلالات العقلية وغيرها.

تلبية وتحقيق هدفها، مع وجود عقيدة أشعرية: تحتاج إلى إعادة نظر، ولا تدعو إلى صحيح الإسلام ووسطيته بحق، ولا تحارب وتبدِّع الخروج على حكام المسلمين، ولا تحث على الدعاء لهم بالصلاح والسمع والطاعة لهم في غير معصية، وأننا بحاجة ماسة إلى عقيدة تتضمن كل ذلك لتنعقد عليها قلوب أبنائنا بالأزهر وغيره، وهو: ما نراه ماثلًا بوضوح فيما أشرنا إليه آنفًا من تقرير عقيدة (الإبانة في أصول الديانة) للأشعري، وماثلًا فيما نشير إليه الآن من تقرير: (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) للصابوني على أبنائنا.

ونورد – قبل التعرف على ابن الصابوني هذا ومعتقده – رؤيا رواها الحافظ الذهبي في كتابه (العلو) عن إمام الحرمين أبي المعالي ابن الإمام الجويني ت ٤٧٨، قال: "كنت بمكة أتردد في المذاهب –يعني: كحالنا الآن وحال أبنائنا– فرأيت النبي عليه السلام في المنام فقال: (عليك باعتقاد ابن الصابوني)".. ومع ما هو معلوم في الحديث الصحيح من أن رؤيا النبي حق، وأن الشيطان لا يتمثل في صورته.. يأتي السؤال المهم: من هو ابن الصابوني هذا حتى يكون معتقده بهذه الأهمية في الرجوع عن المذاهب الباطلة التي سادت طوال عدة قرون واستمرت حتى القرن الخامس الهجري بل ولا زال آثارها ليوم الناس هذا، وحتى يوصي الرسول باعتناقها؟!.

ابن الصابوني كما ترجم له الذهبي في العلو ص ١٨٠ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٠ وما بعدها وابن كثير في البداية والنهاية ١٢/ ٨٣ وحاجي خليفة في كشف الظنون ٥/ ٢١٠ وغيرهم، هو: شيخ الإسلام الحافظ الإمام العلامة القدوة أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري الصابوني.. كان فقيهًا محدِّثًا وصوفيًا واعظًا، وكان شيخ نيسابور في زمانه، له تصانيف حسنة، سمع من أصحاب ابن خزيمة وأبو العباس السراج، شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير، مُجمع على أنه عديم النظير وسيف السنة ودامغ البدعة، كان يحضُر مجلسه أبو إسحاق الإسفراييني وابن فورك وغيرهما ويعجبون من كمال ذكائه وحسن إيراده، وكان مشتغلًا بكثرة العبادات والطاعات حتى كان مضرب المثل في ذلك.

قال عنه البيهقي: "حدثنا إمام المسلمين حقًا وشيخ الإسلام صدقًا: أبو عثمان الصابوني"، وقال السمعاني: "كان إمامًا مفسرًا فقيهًا خطيبًا، أوحد وقته في طريقته"، وقد توفي رحمه الله سنة ٤٤٩ هـ.. وإنما يرجع السبب في وصية النبي باعتناق عقيدته كونها وببساطة شديدة: الموافِقة لما كان عليه ﷺ وصحابته والتابعين لهم بإحسان.. وتلك إذًا هي فحوى عقيدته التي جمعها، وقد بدأها رحمه الله بقوله:

"سألني إخواني أن أجمع لهم فصولًا في أصول الدين التي: استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين، وهَدوا ودعوا الناس إليها في كل حين، ونهوا عما يضادها وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين، ووالوا في اتِّباعها وعادوا فيها، وبدَّعوا من اعتقد غيرها، وأحرزوا لأنفسهم ولمن دعوهم إليها بركتها وخيرها، وأفضوا إلى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها، واستمساكهم بها، وإرشاد العباد إليها، وحملهم إياهم عليها، فاستخرت الله وأثبتُ في هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار.. فقلت وبالله التوفيق:

١-عقيدة الصابوني التي هي عقيدة أهل السنة.. تدحض (التكفيريين) وترد على شبهاتهم:

..يعتقد أهل السنة: أن المؤمن وإن أذنب ذنوبًا كثيرة صغائر وكبائر فإنه لا يكفر بها.. وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالمًا غانمًا، غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار، وكان شيخنا سهل بن محمد يقول: (المؤمن المذنب وإن عذب بالنار فإنه لا يُلقى فيها إلقاء الكفار، ولا يبقى فيها بقاء الكفار، ولا يشقى فيها شقاء الكفار).. ومعنى قوله (لا يبقى في النار بقاء الكفار): أن الكافر يخلد فيها ولا يخرج منها أبدًا، ولا يخلد الله من مذنبي المؤمنين في النار أحدًا، ومعنى قوله (لا يشقى بالنار شقاء الكفار): أن الكفار يُيَأسُون فيها من رحمة الله ولا يُرَجَّون راحة

بحال، وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعهم من رحمة الله في كل حال، وعاقبة المؤمنين كلهم الجنة، لأنهم خُلقوا لها وخُلقت لهم فضلًا من الله ومنة".

ومما قاله رحمه الله: "ويؤمن أهل الدين والسنة: بشفاعة الرسول لمذنبي التوحيد ومرتكبي الكبائر، كما في قوله عليه السلام: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)، وقوله: (خُيِّرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة، لأنها أعم وأكفى، أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين)، وقوله لمن سأله عن أسعد الناس بشفاعته يوم القيامة؟: (إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قِبَل نفسه).. واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمدًا، وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف إلى أنه لا يكفر ما دام معتقدًا لوجوبها، وإنما يستوجب القتل كما يستوجبه المرتد عن الإسلام، وتأولوا الخبر: (من ترك الصلاة فقد كفر)، بمن تركها جاحدًا)".

"ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد: أنها مخلوقة لله، لا يمترون فيه، ولا يَعُدُّون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه، ويَشهدون أن الله يهدي من يشاء لدينه ويضل من يشاء، لا حجة على الله لمن أضله ولا عذر له لديه، قال عز وجل: (قل فلله الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين.. الأنعام/ ١٤٩)، وقال: (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني.. السجدة/ ١٣) الآية، وقال: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس) الآية ١٧٩ من سورة الأعراف، سبحانه وتعالى خلق الخلق بلا حاجة إليهم، فجعلهم فريقين، فريقًا للنعيم فضلًا وفريقًا للجحيم عدلًا، وجعل منهم غويًا ورشيدًا، وشقيًا وسعيدًا، وقريبًا من رحمته وبعيدًا، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

ويشهد أهل السنة ويعتقدون: أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره، لا مرد لهما، ولا محيص ولا محيد عنهما، ولا يصيب المرء إلا ما كتبه له ربه، (ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له لم يَقْدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا) على ما ورد عنه ﷺ، وقال عز وجل: (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله.. يونس/ ١٠٧)، ومن مذهب أهل السنة وطريقهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه: لا يضاف إلى الله ما يتوهم منه نقص على الإنفراد.. وإن كان الجميع منه.

ومن مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله مريدٌ لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، لم يؤمن أحد ولم يكفر أحد إلا بمشيئته الكونية، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء أن لا يُعصى ما خلق إبليس، فكُفرُ الكافرين وإيمان المؤمنين بقضائه سبحانه وقدره وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك أزلًا وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية، قال عز وجل: (إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم.. الزمر/ ٧).

ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث: أن عواقب العباد مبهمة، لا يدري أحد بما يُختم له، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار، لأن ذلك مغيب عنهم، لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان، ويشهدون لمن مات على الإسلام أن عاقبته الجنة.. فإن الذين سبق القضاء عليهم من الله: يعذبون بالنار مدة لذنوبهم التي اكتسبوها ولم يتوبوا منها، ثم يُرَدُّون أخيرًا إلى الجنة ولا يبقى أحد في النار من المسلمين فضلًا من الله ومنّة، ومن مات على الكفر فمرده إلى النار لا ينجو منها ولا يكون لمُقامه فيها منتهى.

٢-عقيدة الصابوني تحصن أبناءنا من أدران التشيع تجاه الصحابة عليهم الرضوان:

فأما الذين شهد لهم الرسول من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة، فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك، تصديقا له ﷺ فيما ذكره ووعده لهم، فإنه لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك، والله أطلع رسوله على ما شاء من غيبه، وبيان ذلك في قوله: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول.. الجن/ ٢٦)، وقد بشر عشرة من أصحابه بالجنة وهم: (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة)، وكذلك قال لثابت بن قيس: (أنت من أهل الجنة)، قال أنس: فلقد كان يمشي بين أظهرنا ونحن نقول: (إنه من أهل الجنة).. ويعتقدون أن أفضل

أصحاب رسول الله: (أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي)، وأنهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر عليه السلام خلافتهم بقوله: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة)، وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوض على ما أخبر.

ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر بعد وفاته ﷺ ، باختيار الصحابة واتفاقهم عليه، وقولهم قاطبة: (رضيه رسول الله لديننا، فرضيناه لدنيانا)، وقولهم: (قد مات رسول الله فمن يؤخرك؟!)؛ وأرادوا: أنه عليه السلام قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه، فصلينا وراءك بأمره، فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إياك؟ وكان عليه السلام يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده، فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا، فانتفعوا بمكانه وارتفعوا به حتى قال أبو هريرة: (والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استُخلف لما عُبدَ الله)، ولما قيل له: مه يا أبا هريرة!؛ قام بحجة صحة قوله فصدقوه فيه وأقروا به.. ثم خلافة عمر باستخلاف أبي بكر إياه، واتفاق الصحابة عليه بعده، وإنجاز الله –بمكانه في إعلاء الإسلام– وعْدَه، ثم خلافة عثمان بإجماع أهل الشورى وإجماع الأصحاب كافة، ورضاهم به حتى جُعل الأمر إليه، ثم خلافة عليٍّ ببيعة الصحابة إياه، عرفه ورآه كل منهم ﷺ أحق الخلق، وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه.

فكان هؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدين الذين نصر الله بهم الدين، وقهر بمكانهم الملحدين، وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم.. النور/ ٥٥) وقوله: (أشداء على الكفار.. الفتح/ ٢٩).

فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم ورعى حقهم وعرف فضلهم، فاز في الفائزين، ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم إلى ما تنسبهم الروافض والخوارج –لعنهم الله– فقد هلك في الهالكين، قال عليه السلام: (لا تسبوا أصحابي، فمن سبهم فعليه لعنة الله)، وقال: (من أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن سبهم فعليه لعنة الله).. ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم، وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين.

٣-عقيدة الصابوني تجمع المسلمين على أئمتهم، وتُوجب لهم ما أوجبه الإسلام من الدعاء لهم والسمع والطاعة في غير معصية، ولا تجد ذلك في عقيدة الأشاعرة التي تدرس على أبناءنا بالأزهر:

ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برًا كان أو فاجرًا، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحَيْف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل.

ويعتقدون ويشهدون: أن أحدًا لا تجب له الجنة وإن كان عمله حسنًا وطريقه مرتضى إلا أن يتفضل الله عليه، فيوجبها له بمنِّه وفضله، إذ عمل الخير الذي عمله لم يتيسر له إلا بتيسير الله، فلو لم ييسره له لم يُهد له أبدًا، قال تعالى: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء.. النور/ ٢١).

ويعتقدون ويشهدون: أن الله أجَّل لكل مخلوق أجلًا، وأن نفسًا لن تموت إلا بإذنه كتابًا مؤجلًا، وإذا انقضى أجل المرء فليس إلا الموت وليس له عنه فوت، ويشهدون: أن من مات أو قتل فقد انقضى أجله، وذلك قوله: (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم).. ويتيقنون أن الله خلق الشياطين يوسوسون للآدميين، ويتعمدون استزلالهم ويترصدون لهم، قال عز وجل: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعمتموهم إنكم لمشركون.. الأنعام/ ١٢١)، وإن الله يسلطهم على من يشاء ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء، قال تعالى: (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون.. النحل/ ٩٩، ١٠٠).

٤-عقيدة الصابوني شأن جميع ما عليه أئمة الاعتقاد في: محاربة الدجل والسحر والسحرة والحث على الصلاة وجميع أوجه الخير

ويشهدون: أن في الدنيا سحرًا وسحرة إلا أنهم لا يضرون أحدًا إلا بإذن الله، قال الله: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) ومن سَحر منهم واستعمل السحر واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذن الله فقد كفر، وإذا وصف ما يُكْفَر به استتيب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وإن وصف ما ليس بكفر أو تكلم بما لا يفهم نُهى عنه، فإن عاد عُزِّر، وإن قال: السحر ليس بحرام وأنا أعتقد إباحته وجب قتله، لأنه استباح ما أجمع المسلمون على تحريمه.. ويُحرِّم أصحاب الحديث المسكر من الأشربة المتخذة من العنب أو الزبيب أو التمر أو العسل أو الذرة أو غير ذلك مما يُسكر، يحرّمون قليله وكثيرة، ويجتنبونه ويوجبون به الحد.

ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات، ويأمرون بإتمام الركوع والسجود حتمًا واجبًا، ويَعُدّون إتمام الركوع والسجود والارتفاع منهما بالطمأنينة، ويعدُّون الجلوس بين السجدتين مطمئنين فيه: من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها، ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام وإفشاء السلام وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين، والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع، ويتحابُّون في الدين ويتباغضون فيه، ويتقون الجدال في الله، والخصومات فيه.

٥-بل وتضبط ولاءات المسلمين وعداءاتهم.. كي تستقيم أمور الدين وتنصلح شئون البلاد والعباد

ويجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين، ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم؛ ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرّت بالآذان وقرّت في القلوب ضرّت وجرّت إليها الوساوس والخطرات الفاسدة، وفيه أنزل الله قوله: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره.. الأنعام/ ٦٨) –وينطبق ذلك بالطبع على سماع قنواتهم وتويتاتهم وجميع وسائل التواصل الخاصة بهم– يقول:

وعلامات البدع على أهلها، بادية ظاهرة؛ وأظهر علاماتهم: شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي واحتقارهم لهم، وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة، اعتقادا منهم في أخبار الرسول أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتاج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية من الخير، فعن أحمد بن سنان: (ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يَبغض أهلَ الحديث، فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه)، وعن أبي نصر بن سلام: (ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده)، وعن أبي حاتم الرازي: (علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية، وعلامة الجهمية تسميهم أهل السنة مُشَبِّهة، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر ناصبة)، قلت: وكل ذلك عصبية، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد، وهو: (أصحاب الحديث).. وإحدى علامات أهل السنة: حبُّهم لأئمة السنة، وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار ويَدُلّون أصحابهم على دار البوار، وقد زين الله قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلًا منه، ومما قرأه أبو رجاء قتيبة بن سعيد:

(إذا رأيت الرجل يحب الثوري ومالك والأوزاعي وشعبة وابن المبارك وأبا الأحوص وشُريكًا ووكيعًا ويحيى بن سعيد وابن مهدي، فاعلم أنه صاحب سنة)، قال أحمد بن سلمة: فألحقت بخطي تحته: (ويحيى بن يحيى وأحمد بن حنبل وابن راهويه)، فهؤلاء من أحبهم: فهو صاحب سنة من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون، وبهديهم يهتدون، ومن جملتهم ومتبعيهم يُعَدّون، وفي اتباعهم آثارهم يجدون جماعة آخرين، منهم: (الشافعي وسعيد بن جبير والزهري والشعبي والتيمي) ومن بعدهم، كـ(الليث والأوزاعي والثوري وابن عيينة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد، ويونس بن عبيد وأيوب وابن عوف) ونظرائهم، ومَن بعدهم مثل: (يزيد بن هارون وعبد الرزاق وجرير بن عبد الحميد)، ومِن بعدهم: (محمد بن يحيى الذهلي،

والبخاري ومسلم وأبي داود السجستاني وأبي زُرعة الرازي وأبي حاتم وابنه ومحمد بن مسلم ومحمد بن أسلم الطوسي وعثمان بن سعيد الدارمي، وابن خزيمة الذي كان يُدعى إمام الأئمة، والمقري كان إمام الأئمة في عصره ووقته والبستي)، وغيرهم من أئمة السنة المتمسكين بها، ناصرين لها داعين إليها موالين عليها.

وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم بعضًا، بل أجمعوا عليها كلها، واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله بمجانبتهم ومهاجرتهم، وأنا بفضل الله متبع لآثارهم مستضيء بأنوارهم، ناصح أصحابي أن لا يتبعوا غير أقوالهم، ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع التي اشتهرت فيما بين المسلمين، وظهرت وانتشرت، ولو جرت واحد منها على لسان واحد في عصر أولئك الأئمة لهجروه وبدّعوه، ولكذبوه وأصابوه بكل سوء ومكروه، ولا يغرن أصحابي كثرة أهل البدع، ووفور عددهم فإن ذلك من أمارات اقتراب الساعة، لقول المصطفى: (إن من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل).

والعلم هو: السنة، والجهل هو: البدعة، ومن تمسك بسنة رسول الله وعمل بها واستقام عليها، ودعا إليها كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة في أوائل الإسلام والملة، إذ الرسول قال له: (أجر خمسين؛ فقيل: خمسين منهم؟، قال: بل منكم).

وإنما قال ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته.. فعن ابن شهاب الزهري: (تعليم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة)، وكان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد فحدثه بحديث أبي هريرة (احتج آدم وموسى.. الحديث)، فقال عيسى بن جعفر: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟، قال فوثب به هارون وقال: يحدثك عن الرسول وتعارضه بكيف؟ قال: فما زال يقول حتى سكت عنه.. هكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق، وينكر أشد الإنكار على من لم يتلقه بالقبول".

٦-ومن قبل كل ذلك: تَجمع الأمة على تقرير أركان الإيمان وفي مقدمتها، توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وصفاته وأفعاله

وذلك قوله: "أصحاب الحديث يشهدون لله بالوحدانية، وللرسول بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله، ويُثبتون له جل جلاله ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيده، كما في قوله: (يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي.. ص/ ٧٥)، ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على: (النعمتين)، أو (القوتين) تحريف المعتزلة والجهمية، ولا يكيفونها بكيف أو يشبِّهونها بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف والتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الله: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.. الشورى/ ١١).. وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من: (السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة، والعزة والعظمة والإرادة، والمشيئة والقول والكلام، والرضا والسخط والحياة، والفرح والضحك) وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله ورسوله من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تغيير ولا إزالةٍ للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه، بتأويل منكر.. ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون: أن القرآن كلام الله وكتابه، ووحيه وتنزيله غير مخلوق، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه، هو: الذي نزل به جبريل على الرسول قرآنًا عربيًا فبلغه أمته.

ويعتقد أهل الحديث ويشهدون: أن الله فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به كتابه، يثبتون له من ذلك ما أثبته تعالى، ويُمِرُّونه على ظاهره ويكلون علم كيفيته إلى الله كما جاء عن أم سلمة وعن مالك، وكذا عن ابن المبارك في قوله: (نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى بائنًا منه خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه ها هنا) وأشار إلى الأرض.. وإمامنا الشافعي احتج في المبسوط في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفَّارة، بخبر معاوية بن الحكم فسأل رسول الله عن إعتاق السوداء الأعجمية

فامتحنها ليعرف أهي مؤمنة أم لا فقال لها أين ربك؟، فأشارت إلى السماء إذ كانت أعجمية، فقال: (أعتقها فإنها مؤمنة)، حكم بإيمانها لما أقرّت بأن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة (العلو والفوقية).

ويثبت أصحاب الحديث: نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما أثبته رسول الله وينتهون فيه إليه، ويُمِرُّون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله، وكذلك يثبتون ما أنزله الله في كتابه من ذكر (المجيء والإتيان)، ونؤمن بذلك على ما جاء بلا كيف، فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل، فانتهينا إلى ما أحكمه، وكففنا عن الذي يتشابه".. إلى أن قال بعد أن ساق جملة من كلام أئمة العلم: "فلما صح خبر النزول عن الرسول أقر به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله عليه السلام، ولم يعتقدوا تشبيهًا له بنزول خلقه، ولم يبحثوا عن كيفيته إذ لا سبيل إليها بحال، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله لا تشبه صفات الخلق، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق.

ويؤمن أهل الدين والسنة: بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبِكلِّ ما أخبر الله من أهوال ذلك اليوم الحق، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك في ذلك اليوم الهائل، من أخذ الكتب بالأيمان والشمائل، ومن الصراط والميزان، ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر، وغيرها.. ويؤمنون بالحوض والكوثر، وإدخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب، ومحاسبة فريق منهم حسابا يسيرًا، وإدخالهم الجنة بغير سوء يمسهم ولا عذاب يلحقهم، وإدخال فريق من مذنبيهم النار ثم إعتاقهم أو إخراجهم منها، وإلحاقهم بإخوانهم الذين سبقوهم إليها، ولا يُخلّدون في النار، فأما الكفار فإنهم يخلدون فيها ولا يخرجون منها أبدا، ولا يترك الله فيها من عصاة أهل الإيمان أحدا.

ويشهد أهل السنة: أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم، وينظرون إليه على ما ورد في الخبر: (إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر)، والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية، لا للمرئي.. ويشهد أهل السنة: أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا تفنيان أبدًا، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدًا، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها لا يخرجون أبدا، وأن المنادي ينادي يومئذ: (يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت) على ما ورد به الحديث الصحيح.

٧-وفيها الرد على ما يعتنقه الأشاعرة في الإرجاء من أن الإيمان إقرار وتصديق، وأن العمل مجرد شرط كمال:

ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال محمد بن شقيق: سألت أحمد بن حنبل عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان، فحدث عن عمر بن حبيب قال: (الإيمان يزيد وينقص) فقيل: وما زيادته وما نقصانه؟، قال: (إذا ذكرنا الله فحمدناه سبحانه فتلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه).. وعن الحميدي حدثنا يحيى بن سليم: سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان؟، فقالوا: (قول وعمل)، وسألت هشام بن حسان وابن جرير ومحمد بن مسلم الطائفي وسفيان الثوري والمثنى بن الصباح وفضيل وابن عيينة، فقالوا: (الإيمان قول وعمل).. وقال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعي ومالكًا وسعيد ابن عبد العزيز ينكرون على من يقول: (الإيمان إقرار بلا عمل)، وكانوا يقولون: (لا إيمان إلا بعمل، فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فإنه أكمل إيمانًا، ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والإضاعة فإيمانه ناقص).. وجاء عن ابن راهويه شيخ البخاري قوله: قدم ابن المبارك الرِّي فقام إليه رجل من العباد –الظن أنه يذهب مذهب الخوارج– فقال له: يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر؟، قال: (لا أخرجه من الإيمان)، فقال: يا أبا عبد الرحمن على كِبرِ السِنِّ صرتَ مرجئا؟؛ فقال: (لا تقبلني المرجئة، المرجئة تقول: حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة، ولو علمتُ أني قُبِلتْ مني حسنة لشهدتُ أني في الجنة) في إشارة إلى قوله تعالى: (إنما يتقبل الله من المتقين).

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويتمسكون في دنياهم مدة حياتهم بالكتاب والسنة، وجنبنا الأهواء المضلة والآراء المضمحلة، والأسواء المذلة، فضلا منه ومنة"إ.هـ.

ثانيًا: معتقد (قوَّام السنة): الحافظ أبي القاسم التيمي الأصبهاني صاحب (الحجة في بيان المحجة) يرد أقوال من ينازعون الأمر أهله بالحجج البالغة

وأما أبو القاسم التيمي: فهو إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر القرشي التيمي، ثم الطلحي الأصبهاني أو الأصفهاني الشافعي، كان أبوه أبو جعفر رجلًا صالحًا ورعا عفيفًا ديّنًا، قال عنه أبو زكريا يحيى بن مندة: "لم نَرَ مثله في الديانة والأمانة في وقتنا"، وأما والدته فقد كانت من ذرية طلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهذا سر نسبة أبي القاسم بـ (الطلحي)، كما كان يُشتهر بين أهل بلده ويلقب بـ (الجُوْزي) وهو: الطير الصغير بلسان أهل أصبهان، وبـ (قوّام السنة) نظرًا لفرط تمسكه بها ودعوته إليها، قال ابن كثير في (طبقات الفقهاء الشافعيين) ٢/ ٥٩١: إنه "الإمامُ الحافظ الفقيه الكبير، أبو القاسم التميمي الطلحي الأصبهاني الجُوْزي الملقب بقوام السنة، أحد أئمة الشافعية وجهابذة الحديث ونقادهم"، جاور بمكة سنة، وأملى، وصنّف التصانيف، وتكلم في الجرح والتعديل، قال تلميذه أبو سعد السمعاني في كتابه الأنساب ٢/ ١٢٠:

"كان إمامًا في فنون العلم في التفسير والحديث واللغة والأدب، حافظًا متقنًا، كبيرَ الشأن جليل القدر، عارفًا بالمتون والأسانيد، سمع الكثير بنفسه ونسخ، ووهب أكثر أصوله في آخر عمره، وأملى بجامع أصبهان قريبًا من ثلاثة آلاف مجلس، وكان يحضر مجلسه جماعة من الشيوخ والشبان ويكتبون.. وكان يملي عليّ في كل أسبوع يومًا مجلسًا خاصًا في داره، وأقرأ عليه في كل أسبوع يومين.. كتبتُ عنه الكثير واستفدت منه، وهو من شيوخ والدي رحمه الله"، قال: "كان والدي يقول: ما رأيت بالعراق من يعرف الحديث ويفهمه غير اثنين: إسماعيل الجُوزي بأصبهان، والمؤتمن بن أحمد ببغداد".

وقال أبو موسى المديني: "أبو القاسم الحافظ إمام أئمة وقته، وأستاذ علماء عصره، وقدوة أهل السنة في زمانه، حدثنا عنه غير واحدٍ من مشايخنا في حال حياته بمكة وبغداد وأصبهان.. ولا أعلم أحدًا عاب عليه قولًا ولا فعلًا، ولا عانده أحد إلا ونصره الله، وكان نزه النفس عن المطامع.. قد أخلى دارًا من ملكه لأهل العلم مع خفة ذات يده.. أملى ثلاثة آلاف وخمسمائة مجلس، وكان يُملي على البديهة" قال:

"أخبرنا أبو زكريا يحيى بن مندة أن أبا القاسم كان حسن الاعتقاد جميل الطريقة مقبول القول، قليل الكلام، ليس في وقته مثله"، وقال الدقاق: "كان عديم النظير لا مثل له في وقته، وكان ممن يُضرب به المثل في الصلاح والرشاد"، وقال أبو مسعود عبد الرحيم: "كنا نمضي مع أبي القاسم إلى بعض المشاهد، فإذا استيقظنا من الليل، رأيناه قائمًا يصلي".. توفي رحمه الله سحر عيد الأضحى سنة ٥٣٥هـ بأصبهان، قال أبو موسى المديني: "اجتمع في جنازته جمع لم أر مثلهم كثرة"، وقال ابن أخيه محمد بن الحسن: "حدثني أحمد الأسواري الذي تولّى غسل عمي وكان ثقة، أنه أراد أن ينحي عن سوءته الخرقة لأجل الغسل، قال: فجبذها إسماعيل بيده وغطى فرجه، فقال الغاسل: أحياة بعد موت؟!"، كذا في (تاريخ الإسلام) للذهبي ٣٦/ ٣٦٨ و(السير) له ٢٠/ ٨٠ وما بعدهما.. تغمد الله الأصبهاني بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته، وألحقنا وإياه بالصالحين.

أما كتابه (الحجة في بيان المحجة في شرح التوحيد ومذهب أهل السنة)، فقد ضمنه الأصبهاني الرد على ما أشيع في النصف الثاني من القرن الخامس والثلث الأول من القرن السادس الهجريين، من مقولات (الخوارج والشيعة والقدرية والمعتزلة والجهمية والجبرية والأشعرية)، والتي كانت هي السائدة في العالم الإسلامي آنذاك، وقت أن كان الأشاعرة يلقبون أنفسهم: (أهل السنة والجماعة)، وكاد يختفي المنهج السلفي منهج ابن حنبل ومن سبقه من أئمة الإسلام –يعني: قريبًا مما نحن عليه في زماننا؛ يقول الأصبهاني في سبب تأليفه الكتاب:

"وحين رأيت قوام الإسلام بالتمسك بالسنة، ورأيت البدعة قد كثرت والوقيعة بين أهل السنة قد فشت، ورأيت اتِّباع السنة عند قوم نقيصة، والخوض في الكلام درجة رفيعة، رأيت أن أملي كتابًا في السنة، يَعتمد عليه من قصد الاتباع وجانب الابتداع، وأبين فيه اعتقاد أئمة السلف وأهل السنة في الأمصار، والراسخين في العلم في الأقطار، ليلزم المرء اتباع الأئمة الماضين، ويجانب طريقة المبتدعين، ويكون من صالحي الخلف لصالح السلف"، ولأنا قد أصبنا بما أصيب به وقتها من داء، ولنفس الأسباب

والداوعي التي بسببها ألف الأصبهاني كتابه: (الحجة)، كان لزامًا أن نجمل ما كتبه أملًا في أن نعيد ما كان عليه سلفنا الصالح من معتقدات كادت تختفي مرة أخرى في زماننا، "أعاذنا الله من مخالفة السنة ولزوم الابتداع، وجعلنا ممن يلزم طريق الاتباع".. اللهم آمين.

الأصبهاني يرد على من ينازعون الأمر أهله ومَن يصمون عصاة المسلمين بالكفر وديار الإسلام بالجاهلية، ويرد أقوالهم بأدلة النقل والعقل ومدلول اللغة:

ففي خطوة للرد على نحو ما ابتلينا به منذ قرابة قرن من الزمان، من بدعة منازعة حكامنا من المسلمين ممن لم نر فيهم كفرًا بواحًا لنا فيه من الله برهان، وذلك بدعوى أنهم لا يحكمون بما أنزل الله وبأنهم طواغيت يجب أن نناصبهم وحكوماتهم وجنودهم ومن يواليهم العداء، باعتبار أنهم كفار أو مسلمون يقاتَلون قتال الطائفة الممتنعة وأنهم من ثم –دون أولئك المدّعين– من أهل النار مخلدون، وفيها يعذبون.. وفي فصل عقده في مسائل من اعتقاد أهل السنة والجماعة، يقول الأصبهاني في الحجة ٢/ ٢٨٢: "من مذهب أهل السنة: أنهم لا يشهدون على أحد من أهل القبلة بالنار، وإن مات على كبيرة من الكبائر، ولا يشهدون لأحد أنه في الجنة إلا لمن شهد له النبي ﷺ ، ونرجو لأهل القبلة الجنة، ونرغِّب في شهود جنازته وعيادته"، وقبلها: "ونشهد أن الله يعذب أقوامًا من الموحدين في جهنم، ثم يُخرجون ولا يخلدون في النار".. فيكشف رحمه الله عن اعتقاد السلف ورأيهم في مرتكب الكبيرة وردهم من خلال ذلك على ما جنح إليه الخوارج التكفيريين –من الدواعش والدواحس والسرورية والقاعدة والسلفية الجهادية وكل من نهج في زماننا نهجهم– من التكفير بالمعصية حكامًا ومحكومين والخلود بسببها في النار، ثم لا يكتفي بذلك حتى ينقل عن بعض العلماء قوله: "أصل الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، والإقرار بما جاءت به الرسل والأنبياء، وعقد القلب على ما ظهر من لسانه، ولا يشك في إيمانه ولا يُكفَّر أهل التوحيد بذنب، وإرجاء ما غاب من الأمور إلى الله.. ويُرجى للمحسن من أمة محمد بإحسان عمله، ويخشى عليه بذنب اكتسبه".

وهو بذلك إنما يرسخ للرد على من حمل من الخوارج أحاديث الزجر بالكفر وإبراء الذمة وقول (ليس منا) وما شابه، على ظاهرها.. ويرسخ في ذات الوقت للرد على من هون من شأن العمل من الأشاعرة فسار في ذلك على نهج المرجئة وأضحى منهم قاب قوسين أو أدنى وراح يقصر الإيمان على مجرد التصديق بالقلب هروبًا من الوقوع في خطيئة الخوارج من التكفير بالمعصية.. ويبين الأصبهاني أن أهل السنة في مذهبهم الوسطي على خلاف هؤلاء وأولئك، ويؤكد على أن جنس العمل داخل في مسمى الإيمان.

وفي ترسيخه –رحمه الله– لهذا، يعقد في الحجة ٢/ ٢٩٠ فصلًا (في بيان أن المسلمين لا يضرهم الذنوب إذا ماتوا عن توبة عنها من غير إصرار، وإن ماتوا عن غير توبة فأمْرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم)، وقد أفاض في ذكر الأدلة والآثار على ذلك، وذكر ضمن ما ذكر: قوله تعالى في الحديث القدسي فيما رواه مسلم من حديث أبي ذر: (يا ابن آدم إنك إن تأتيني بقُراب الأرض خطيئة بعد أن لا تشرك بي شيئًا جعلت قرابها مغفرة ولا أبالي)، وقوله عليه السلام فيما رواه البخاري: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله في الدنيا فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء غفر له)، وقوله تعالى: (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم.. الزمر/ ٥٣)، كما استشهد له بصلاةَ عليٍّ ابن أبي طالب على من خرج عليه وانضم لصفوف معاوية رضي الله عنهما.. إلى آخر ذلك.. ثم يتبع كل هذا[1] بباب في ذكر شفاعة النبي ﷺ ويذكر الأحاديث الواردة في ذلك.

وفي مقام التحذير من تكفير المسلم بالذنب وإن عظم –وهو ما خالف فيه الخوارجُ جماعةَ أهل السنة– جعل الأصبهاني في الحجة ٢/ ٤٥١ يسوق بسنده أدلة السنة على عدم جواز ذلك من نحو قوله عليه السلام من حديث أبي سعيد الخدري:

([1]) وتحديدًا في الحجة ٢/ ٤٢٠، وقبله ١/ ٤٩٧.

(ما يُكفِّر رجلٌ رجلًا إلا باء به أحدهما، فإن كان كافرًا إنه لكما قال، وإن كان مسلمًا فقد كفر بتكفيره إياه)[1]، وقوله من حديث معاذ: (إن أخوف ما أخاف عليكم رجل آتاه الله علمًا بالقرآن، حتى إذا عرف الإسلام ورأى بهجته اخترط سيفه فضرب به جاره، ورماه بالكفر)، قالوا: يا رسول الله أيهما أولى بالكفر، الرامي أم المرمي؟، قال: (بل الرامي)[2]، وقوله من حديث أبي ذر: (لا يرمي رجل رجلًا بفسق أو كفر إلا أتت على صاحبه إن لم يكن كذلك)، وقوله: (من قال لأخيه: يا كافر فقد باء به أحدهما)[3]، وقوله: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم له ذمة الله وذمة رسوله)[4].. إلى آخر ذلك.. ولم يكتف الأصبهاني بردِّ ما اعتنقه الخوارج حتى جعل يذكر في الحجة ٢/ ٥٣٣ سماتهم أيام عليٍّ والتي وردت في نحو قوله عليه السلام: إنهم (يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية..)، وأنه (طوبى لمن قتلهم)، والعبرة في ذلك ليست بخصوص السبب وإنما بعموم اللفظ.

هكذا تلفى الأصبهاني يردُّ شبه الخوارج في تكفيرهم أهل القبلة بالذنب، بما يتوافق مع ما عليه أهل السنة من إدخالهم جنس العمل في مسمى الإيمان دون الحكم على من أخلّ ببعضه بالكفر، وبما يردُّ شُبه الأشاعرة فيما قاربوا فيه المرجئة من إخراجهم العمل من مسمى الإيمان، وقد زاد الأمر وضوحًا بقوله فيما عنون له في الحجة ١/ ٤٣٨ بـ (باب مسائل الإيمان.. الإيمان في الشرع عبارة عن جميع الطاعات الباطنة والظاهرة)، فقال ما نصه:

"قالت الأشعرية: الإيمان هو: التصديق؛ والأفعال والأقوال من شرائعه لا من نفس الإيمان، وفائدة هذا الاختلاف أن من أخلَّ بالأفعال وارتكب المنهيات لا يتناوله اسم: (مؤمن على الإطلاق)، بل يقال: (هو ناقص الإيمان)، لأنه قد أخلّ ببعضه –كذا هو معتقد أهل السنة– وعند الأشعرية يتناوله الاسم على الإطلاق، لأنه عبارة عن التصديق وقد أتى به؛ ودليلنا –معاشر أهل السنة–: قوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفون. أولئك هم المؤمنون حقًا.. الأنفال/ ٢: ٤)، فوصفهم بالإيمان الحقيقي لوجود هذه الأفعال، وقال تعالى: (وما كان الله ليضيع إيمانكم.. البقرة/ ١٤٣) يعني: صلاتكم، فأطلق عليها اسم الإيمان وهي أفعال، ويدل عليه ما رُوي عن أبي هريرة من حديث: (الإيمان بضع وسبعون شعبة)، وفي رواية: (بضعة وستون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)(٥)، ولأن المُكره على الإيمان يصح دخوله فيه، لأن ذلك لا يمكن تحصيله بالإكراه، وإنما يحصل من جهة الأفعال الظاهرة والأقوال، ولأن الإيمان دين المؤمنين والدين عبارة عن الطاعات وكذلك الإيمان الذي هو صفته، ولأنه لا يطلق على من ترك الصيام والزكاة وارتكب الفواحش أنه كامل الإيمان.

وعليه فيجوز الزيادة والنقصان في الإيمان، وزيادته بفعل الطاعات ونقصانه بتركها وبفعل المعاصي، خلافًا لمن قال –يعني: من الأشعرية– (الإيمان معرفة القلب وتصديقه وهما عرضان والزيادة والنقصان لا تجوز على الأعراض، ودليلنا –نحن أهل السنة–: ما رُوي عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي الدرداء: (الإيمان يزيد وينقص)، وإذا كان الإيمان عبارة عن جميع الطاعات إذا أخل ببعضها وارتكب المنهيات فقد أخل ببعض أفعاله، فيجوز أن يوصف بالزيادة والنقصان".

ومما ذكره الأصبهاني في هذا، قوله في الحجة ٢/ ٤٣٤: "والمؤمنون كلهم يرون الله بغير حجاب ويكلمهم بلا ترجمان، ويؤمنون بملائكة الله وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره، وبسؤال القبر والشفاعة

([1]) روى نحوه أبو داود مختصرًا رقم (٤٥٢٢)، والترمذي ح ٤٧٧٤ وقال: "حسن صحيح"، وحديث المصنف فيه عمرو بن هاشم ضعفه مسلم في الكنى وغيره، ينظر تهذيب ٨/ ١١١ ونحوه عند مسلم كتاب الإيمان باب إيمان من قال لأخيه يا كافر.

([2]) فيه شهر بن حوشب وثقه بعض العلماء وقال ابن حجر: "صدوق كثير الخطأ"، وفيه أيضًا مطر الوراق صدوق كثير الخطأ وضعفه ابن سعد.. وبنحوه عن حذيفة.. وبنحوه روى البزار وابن عساكر في التبيين ص ٤٠٣ وقال الهيثمي: "إسناده حسن"، ينظر الزوائد ١/ ١٨٨.

([3]) روى نحوهما البخاري في كتاب الأدب باب ٤٤.

([4]) وفي البخاري نحوه عن أنس في كتاب الصلاة باب ٢٨.

([5]) أخرجه البخاري ومسلم.

والحوض والميزان والصراط على متن جهنم، ومرور الخلق كلهم عليه، وأن من عصى من المؤمنين يدخل النار ثم يخرج منها إذا كان موته على الإيمان"إ.هـ.

وكان الأصبهاني قوامُ السنة قد بوّب في (الحجة في بيان المحجة) ١/ ٢٥٢، ٢/ ١٤٤، ٢٨٢، ٢٨٥، ٤١٨، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٦٦، ٥١٣، ٥٣٣ لطاعة أولي الأمر من حكام المسلمين، وجعل ذلك تحت عناوين: (ما أجمع عليه السلف)، (ذكر المارقة والخوارج والرافضة)، **(منع الخروج على أولي الأمر)**، (النهي عن سب الأمراء والولاة وعصيانهم)، (توقير الأمراء)، (اعتقاد أهل السنة ومذهبهم)، وذكر الكثير من عبارات أئمة السلف في التحذير ممن يخرجون على حكام المسلمين، ووجوب الطاعة، والكثير من الأحاديث التي تحث على ذلك من نحو قوله ﷺ فيما صح عنه: **(الخوارج كلاب النار)**(١)، وقوله: (يخرج من ضئضئ هذا قوم يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)(٢)، وقوله: **(عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك ويسرك وعسرك وأثرة عليك)**(٣)، يعني: وإن لم يصلك حقك منهم.. ومن الآثار قول عبادة بن الصامت لجنادة: **(عليك بالسمع والطاعة في يسرك وعسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، ولا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمرك بمعصية الله بواحًا).**

وكان مما قاله الأصبهاني: **"من السنة: الانقياد للأمراء والسلطان، بأن لا يُخرج عليهم بالسيف وإن جاروا، وأن يَسمعوا له وأن يطيعوا وإن كان عبدًا حبشيًا أجدع، ومن السنة الحج والجهاد معهم، وصلاة الجمعة والعيدين خلف كل بر وفاجر"**.. ومما فاه به:

"قال علماء السلف: .. ونسمع ونطيع الولاة ما داموا يُصَلّون، ونجاهد معهم ولا نخرج عليهم، ولا نطيع أحدًا في معصية الله.. ولا يجوز القتال في الفتنة، ولا يُخرج على الأمراء بالسيف، ويستحب الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح.. والجهاد ماض منذ بعث الله نبيه إلى آخر عصابة تقاتل الدجال.. ومن السنة لزوم البيت في الفتنة.. ومن مذهب أهل السنة: أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وإن كان منهم بعض الجَوْر ما أقاموا الصلاة، لما ورد في ذلك من الخبر.. وقد كان جماعة من أصحاب رسول الله يُصَلّون الجمعة والأعياد خلف أئمة الجور، والصلاة معهم سنة قائمة، في تركها معهم هلكة، قال عليه السلام: (اسمع وأطع وإن كان عبدًا حبشيًا)(٤)، وقال: (اصبروا حتى تلقوني على الحوض)"(٥).. إلى أن ذكر في (فصل يتعلق باعتقاد أهل السنة ومذهبهم) ٢/ ٥١٣ أن "من مذهبهم.. طاعة أولي الأمر وهي واجبة ومن أوكد السنن، ورد بها الكتاب والسنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، خلافًا للرافضة الذين "يرون السيف على الأمة.. والخوارج الذين قالوا: نُكَفّر أهل الكبائر".

وقد استشهد في بيان منع الخروج على أولي الأمر والنهي عن سبهم وعصيانهم، بحديث أبي هريرة: (عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك ويسرك وعسرك وأثرة عليك)، وبأثر عبادة بن الصامت: (عليك بالسمع والطاعة في يسرك وعسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، ولا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمرك بمعصية الله بواحًا) أي: جهارًا، وبأثر أنس: (نهانا كبراءنا من أصحاب النبي ﷺ أن لا تسبوا أمراءكم ولا

---

(1) رواه أحمد من طريق سعيد بن جُمهان ومِن طريق سيّار بن عبد الله الأموي، ورواه الترمذي (٣٠٠٠) وقال: "حديث حسن"، وقال الألباني: "حسن صحيح"، كما قال عنه ذلك في سنن ابن ماجة (١٧٢) وفي ظلال الجنة ١/ ٣٨، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني وأحمد ورجال أحمد ثقات".. وقال الشيخ شعيب الأرنئوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن، وصححه الشيخ الألباني.. قيل: إن الخارجي مثل الكلب، لأنه لا يزال ينبح ويستهيج الناس حتى يدل العدو على قومه، وقيل: لأن الخوارج لا يزالون تقتيلًا في المسلمين وتكفيرًا، كمثل الكلب إذا جاع فإنه يرجع إلى ذنبه فيأكله، وقال العلامة القاري في المرقاة ٦/ ٢٣٢: "قوله: (كلاب النار)، أي أنهم كلاب أهلها أو على صورة كلاب فيها"إ.هـ

(2) ولفظه في البخاري (٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري: (إن من ضئضئ هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد).

(3) رواه مسلم (١٨٣٦) من حديث أبي هريرة لكن بلفظ: (عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك)، وقد علق النووي عليه بقوله: "قال العلماء: معناه تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة، كما صرح به في الأحاديث الباقية، فتحمل هذه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية.

و (الأثرة): بفتح الهمزة والثاء، ويقال: بضم الهمزة وإسكان الثاء، وبكسر الهمزة وإسكان الثاء ثلاث لغات حكاهن في المشارق وغيره، وهي: الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم، أي: اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا، ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم"، قال: "وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال، وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم"إ.هـ.

(4) روى نحوه البخاري عن أنس بلفظ: (اسمعوا وأطيعوا)، ومسلم بلفظ: (اسمع وأطع وإن كان عبدًا حبشيًا مجدّع الأطراف).

(5) رواه مسلم عن أنس عن أسيد بن حضير في كتاب الإمارة.

تعصوهم واصبروا، واتقوا الله فإن الأمر قريب)، وبحديث معاذ: (خمس من فعل واحدة منهن كان حقًا على الله أن يكرمه: من عاد مريضًا، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازيًا، أو دخل على إمامه يريد توقيره، أو قعد في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس)([1])، وبحديث أبي ذر: (يكون بعدي سلطان، فمن أراد ذله ثغر في الإسلام ثغرة ليس يسدها إلى يوم القيامة)([2]).

الأصبهاني يجعل السنة مصدر التلقي ويدعو إلى انتهاجها في كل ما يتعلق بأمور العقائد والعبادات

فينقل في الحجة ٢/ ١٩٥ قول أهل السنة: "نصِف الله بما وصف به نفسه، ونؤمن بذلك إذ كان طريق الشرع الاتباع لا الابتداع، مع تحقيقنا أن صفاته لا يشبهها صفات، وذاته لا يشبهها ذات، وقد نفى الله عن نفسه التشبيه بقوله: (ليس كمثله شيء..)، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، وأثبت لنفسه صفات فقال: (وهو السميع البصير.. الشورى/ ١١)، وليس في إثبات الصفات ما يفضي إلى التشبيه، وفي قوله: (ليس كمثله شيء) دليل على أنه ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات"، ويعد هذا خلاصة ما أكثر فيه الكلام في أماكن متفرقة في كتابه (الحجة) عن توحيد الله في ذاته تعالى وصفاته.

كما أنك تجده ينقل بنفس المصدر ٢/ ٢٧٩ عن علماء السلف قولهم:

إن "أول ما افترض الله على عباده: الإخلاص وهو معرفة الله والإقرار به وطاعته فيما أمر ونهى، بعد الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله[3].. والإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، زيادته البر والتقوى ونقصانه الفسوق والفجور، وعذاب القبر ومساءلة منكر ونكير حق، وحوضه عليه السلام حق، وخير الناس بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون المهديون، ويُترحم على جميع أصحاب النبي وعلى طلحة والزبير وعائشة وعمار بن ياسر وعمرو بن العاص وأصحاب الجمل وصفين –القاتلين والمقتولين– وجميع من قعد عن القتال مثل: أسامة بن زيد وابن عمر، وعلى جميع المهاجرين والأنصار، ونشهد أن معاوية من أهل الجنة.. والرجم حق، والمسح على الخفين سنة، والنكاح بلا ولي أو سلطان حرام، وكل شراب يُسكر كثيره فقليله حرام، ولبس الديباج والحرير والذهب حرام على ذكور أمه محمد ﷺ ، لا يحل شيء منه صغير ولا كبير، والمزامير والطنابير حرام، واللعب بالنرد حرام، والقمار والميسر حرام[4]، ولا يجوز مجالسة أهل المعاصي الذين ظهر فسقهم، ولا مجالسة أهل البدع الذين ظهرت بدعهم.. ومن الإيمان: الإمساك عما شجر بين الصحابة ويعرف حقهم ويُحدَّث بفضائلهم ويُترحم على صغيرهم وكبيرهم"إ.هـ.

([1]) روى نحوه أحمد ٥/ ٢٤١ والطبراني وصححه الألباني في الجامع برقم (٣٢٤٨).

([2]) روى نحو أحمد ٥/ ١٦٥ وابن أبي عاصم ١٠٧٩ وصححه الألباني.

([3]) وقد جاء ذلك ردًا على ما قاله أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم من أن أول ما يجب على الإنسان ليس المعرفة الفطرية، وإنما: النظر المؤدي إلى معرفة الله، وهو –على حد قول الأصبهاني في الحجة ٢/ ١٢١ وبنحوه ٢/ ٢٧٩– مخترَع لم يسبقهم إليه أحد من السلف وأئمة الدين.. وقد تواترت الأخبار أن النبي كان يدعو الكفار إلى الإسلام، وقال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله)، كما تواترت الأخبار انه عليه السلام كان يدعو الكفار إلى الإسلام والشهادتين، ولم يرو أنه دعاهم إلى النظر والاستدلال.. وبقول أهل الكلام ينبغي أن يقال للكافر: (عليك النظر والاستدلال لتعرف الصانع بهذا الطريق، ثم تعرف الصفات بدلائلها وطرقها، ثم مسائل كثيرة إلى أن يصل الأمر بالنبوات، ولا يجوز على طريقهم الإقدام على هذا الكافر بالقتل والسبي –في حال ما إذا خُير في الفتح بين أن يسلم أو يعطي الجزية أو يُقتل، وفي المرتد أن يسلم أو يقتل– إلا بعد أن يُذكر له هذا ويُمهل، وربما لا يتفق النظر والاستدلال في مدة يسيرة، فيحتاج إلى مدة طويلة تأتي على سنين ليتمكنوا من النظر على التمام والكمال، وهذا خلاف إجماع المسلمين"إ.هـ باختصار.

وقد أيد ابن تيمية هذا فقال: "أول ما يجب على العبد معرفة الله، لحديث معاذ، وقول عبد الله بن رواحة: (والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا)، وكان هذا بين يدي النبي فلم ينكره عليه، فدل على صحة قول علمائنا: أن الله يعرف بالله، والأشياء كلها تعرف بالله"، وقال: "ولو كان النظر أول واجب لكان يجب على الرسل أن يدعوا الناس أول ما يدعونهم إلى النظر، وهذا مما علم فساده"، وقال: "أول ما يؤمر به العباد: الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ"، وكذلك ابن حجر، حيث نقل أقوالًا كثيرة في الرد على المتكلمين، وبين أن لازم قولهم: تكفير الصدر الأول"، أعاذنا الله من ذلك.. ينظر الفتاوى ٢/ ٢، ٣ ودرء التعارض ٧/ ٣٥٢، ٨/ ١١، وشرح الأصول الخمسة ص ٣٩، ٦٦ وفتح الباري ١٣/ ٣٤٩، ونهاية الإقدام للشهرستاني.. وتجدر الإشارة إلى أن السلف لم يرفضوا النظر كوسيلة في زيادة الإيمان، وإنما رفضوا طريقة المتكلمين وقواعدهم التي أسسوها وبنوا عليها مسائلهم.

([4]) تم الكلام فيما مضى في سبب إدراج مسألتي المسح على الخفين والنكاح بلا ولي ضمن قضايا الاعتقاد.. وبقي أن نتكلم الآن عن سر إدراج إسكار قليل الخمر ولبس الحرير والذهب وأدوات اللهو ضمنها، وأنه يكمن في الرد على بعض رخصوا في كل ذلك، والرد كذلك على من رخص في بعض من مخمرات العقل من السادة الأحناف على الرغم من تواتر الأدلة على تحريمها، ونذكر من هذه الأدلة ما رواه أبو داود الترمذي وابن ماجة في كتَاب الأشربة من قوله ﷺ : (ما أسكر كثيره فقليله حرام)، وقوله فيما رواه البخاري من طريق أبي مالك الأشعري: (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف).. إلى آخر ذلك

وتحت فصل جعله في (في بيان الأمور التي يكون بها الرجل إمامًا في الدين)، يشير الأصبهاني في الحجة ١/ ٣٣٣ إلى أنه ليس كذلك من إذا قيل: فمن أي الناس هم؟، قالوا: (من أهل القول بالعقل) وتركوا من كانوا أئمة في الشريعة والفقه والحديث واللغة، إلى آخر ذلك ممن سمّاهم.. فمن نظر بعين الإنصاف علم أنه لا يكون أحد أسوأ مذهبًا ممن يَدَع قول الله وقول رسول الله وقول الصحابة وقول العلماء والفقهاء بعدهم ممن بنوا مذهبهم ودينهم على كتاب الله وسنة رسوله، ويتبع من ليس بعالم بكتاب الله وسنة رسوله وكيف لا يأمن هذا أن يكون متبعًا للشيطان؟).

ولم يفت الأصبهاني أن يفيد ممن سبقوه بإحسان من أئمة الهدى، فتحت عنوان (فصول مستخرجة من كتب السنة) نراه يذكر في الحجة ٢/ ٥٣٨ دررًا من جوامع كلمهم، فيقول فيما ينقله عن الإمام أحمد: "وعلى المرء محبة أهل السنة أي موضع كانوا، رجاء محبة الله له، كما قال ﷺ فيما رواه مالك بإسناد حسن: (وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيّ والمتلاقين في)، وعليه بغض أهل البدع أي موضع كانوا، حتى يكون ممن أحب في الله وأبغض في الله، ولمحبة أهل السنة علامة ولبغض أهل البدعة علامة، فإذا رأيت الرجل يذكر الأئمة المرضيين بخير فاعلم أنه من أهل السنة، وإذا رأيت الرجل يخاصم في دين الله ويجادل في كتاب الله، فإذا قيل له: (قال رسول الله)، قال: (حسبنا ما في كتاب الله)، فاعلم أنه صاحب بدعة، وإذا رأيت الرجل إذا قيل له: (لم لا تكتب الحديث؟)، يقول: (العقل أولى)، فاعلم أنه صاحب بدعة، وإذا رأيته يمدح الفلسفة ويمدح الذين ألفوا الكتب فيها فاعلم أنه ضال، وإذا رأيت الرجل يسمي أهل الحديث حشوية أو مشبهة أو ناصبة فاعلم أنه مبتدع، وإذا رأيت الرجل ينفي صفات الله أو يشبهها بصفات المخلوقين فاعلم أنه ضال.. ومن السنة.. أن الأوتار والمزامير كلها من فعل الشيطان، لا يحل لمسلم أن يسمعها أو يستعملها، فإذا فعل ذلك كان عاصيًا آثمًا".

ثم ينقل رحمه الله عن بعض أهل العلم قوله فيما يجب أن يكون مصدرًا للتلقي: "الدين لا يدرك بالعقل، فالإنسان بعد الأربعين يأخذ عقله في النقصان، أما العلم فيكون كل يوم في زيادة، وهذا يدل على أن العقل أضعف من العلم الشرعي، وأن الدين لا يدرك به لضعفه وقلته، ويدرك بالعلم لقوته وكثرته.

ومن الأدلة على ضعف العقل قوله تعالى: (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.. البقرة/ ٧٥)، أي: من بعد ما قالوا: (وقفنا على كلام الله بعقولنا)، وهم يعلمون بطلان ما أدركوه بعقولهم، فدل ذلك على أن معنى كلام الله لا يُدرك بالعقل وإنما يدرك بالعلم، ولأن العقل لا مجال له في إدراك الدين بكماله وبالعلم يُدرك بكماله، ولأن العلم يستحسن أشياء في الدين ولا يردها الشرع، ويستقبحها العقل ويردها طبعًا، فإن مجامعة الزوج امرأته يردها العقل ويُحسِّنها العلم والشرع، وأكل ميتة السمك والجراد وأكل دم الكبد والطحال وأكل الكرش الذي هو وعاء النجاسات وإن غُسل وطهُر بالماء، فإن الطبع ينفر عن تناوله والعلم يحله، وكذلك قتل الحيوان من الصيد والدواب، ينكره العقل لاسيما قتل الإنسان والشرع والعلم يحله إذا كان واجبًا، فبان أن العقل لا مجال له في درك الدين إذا كان منفردًا عن قرينه".

ومما هو مستخرج من كتب السنة، يواصل الأصبهاني فينقل عن أهلها قولهم: "بالكف عن مساوئ أصحاب محمد سنة، لأن تلك المساوئ لم تكن في الحقيقة مساوئ، فالصحابة كانوا أخبر الناس وهم أئمة لمن بعدهم، والإمام إذا لاح له الخير في شيء حتى فعله لا يجب أن يسمى ذلك الشيء إساءة، إذ المساوئ ما كان على اختيار في قصد الحق من غير إمام، فكيف وقد أمر الله بالاقتداء بهم.. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركنان وثيقان من أركان الدين يجب على المرء أن لا يهملهما.. وأصحاب الحديث لا يرون الصلاة خلف أهل البدع لئلا يراه العامة فيفسدون لذلك.. ولا نعارض سنة النبي بالمعقول، لأن الدين إنما هو الانقياد والتسليم دون الرد على ما يوجبه العقل، لأن العقل: ما يؤدي إلى قبول السنة، فأما ما يؤدي إلى إبطالها فهو جهل لا عقل، وترك مجالسة أهل البدعة ومعاشرتهم سنة لئلا تعلق بقلوب ضعفاء المسلمين بعض بدعتهم، وحتى يعلم الناس أنهم أهل بدعة، ولئلا يكون مجالستهم ذريعة إلى ظهور بدعتهم".

ويؤصل لمنهج النبوة ونبذ اتباع البدع والهوى وتقديم الرأي وإعمال العقل مع النص.. كما ينهى عن مجالسة من يفعل ذلك:

والحق أن الأصبهاني يعدُّ من أكثر الأئمة تحدثًا عن أهمية أن ينتهج المسلم نهج النبوة، وحُقّ لمن ترجموا له أن يطلقوا عليه لأجل هذا (قوَّامَ السنة)، ونذكر له من ذلك قوله في الحجة ١/ ٢١٠ نقلًا عن بعض أهل العلم: "لا هدى إلا في القرآن كلام ربنا.. وفيما سنه لنا رسوله، وما أجمع عليه الصحابة الهداة المهديون، وما مضى عليه بعدهم خيارهم التابعين ثم أئمة المحدثين وسلف العلماء من الفقهاء المرضيين.. فعليكم بالعتيق، ولزوم واضح الطريق، وإياكم ومحدثات الأمور فكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"، ويسترشد الأصبهاني لذلك بما جاء بمسلم من حديث جابر، قال:

"كان رسول الله يقوم في خطبته يحمد الله ويثني عليه بما هو أهل ويقول: (من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل ضلالة في النار)".

ثم يقول: "ومذهب أهل السنة: إثبات ما أثبت الله لنفسه من الوجه واليد وسائر ما أخبر به عن نفسه، وليس قولنا: إن لله وجهًا ويدًا موجبًا تشبيهه بخلقه أصلًا، بل كل ما أخبر به عن نفسه فهو حق، وقوله الحق، ونقول ما قال ولا نزيد شيئًا"، وطفق –رحمه الله– يتوسع في ذلك ويذكر الأدلة والآثار عليه، إلى أن عقد فصلًا في (التغليظ في معارضة الحديث بالرأي والمعقول)، وساق فيه قول عمر ﷺ : "إن أصحاب الرأي أعداء السنة، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم فلم يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: (لا علم لنا)، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم"، وفي رواية رواها سعيد بن المسيب عنه: "فعارضوا السنن برأيهم فضلوا وأضلوا كثيرًا، فوالذي نفس عمر بيده ما قَبض الله نبيه ولا رفع الوحي عنهم حتى أغناهم عن الرأي، ولو كان الدين يؤخذ بالرأي، لكان أسفل الخف أحق بالمسح من ظهره، فإياك وإياهم ثم إياك وإياهم".

ثم شرع ينقل بسنده عن العلاء بن المسيب عن أبيه قوله: "إنا نتبع ولا نبتدع، ونقتدي ولا نبتدي، ولن نضل ما تكلمنا بالآثار"، وعن ابن سيرين قوله: "كانوا يقولون: ما دام على الأثر فهو على الطريق"، وعن يحيى بن الفضل البخاري قوله: "رأيت فيما يرى النائم كأني في قريتي ببخارى جالس على طريق المدينة، ورأيت رسول الله يخرج من المدينة راجلًا ومحمد بن إسماعيل البخاري على إثره ينظر، كلما رفع النبي قدميه يضع قدمه في ذلك المكان"، وعن سفيان الثوري قوله: "إنما الدين الآثار"، وعن أحد أصحاب الحديث قوله منشدًا:

"ديـــن النبي محمـــد آثـــار * نعم المطيـــة للفتى الأخبـار
لا تُخدعن عن الحديث وأهله * فالرأي ليل والحديث نهـار
فلربما غلط الفتى سبل الهدى * والشمس بازغة لها أنوار"

إلى أن أوضح ص ٢٥٢ من نفس الجزء أن "من السنة: ترك الرأي، وترك الجدال والخصومات وترك مفاتحة القدرية وأصحاب الكلام وترك النظر في كتب الكلام وكتب النجوم، فهذه هي السنة التي اجتمعت عليها الأمة، وهي مأخوذة عن رسول الله ﷺ بأمر الله، قال عز وجل: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول.. محمد/ ٣٣)، وقال: (من يطع الرسول فقد أطاع الله.. النساء/ ٨٠)، وقال: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.. الحشر/ ٧)، وأمره بالبلاغ فقال: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك.. المائدة/ ٦٧)، فبلغ رسول الله الرسالة، ودعا إلى الله بالكتاب والسنة، وأمر الناس باتباع الصحابة العالمين بالله.. وأمر بالاقتداء بهم، وأخَذَ التابعون عن الصحابة، ثم أشار الصحابة إلى التابعين بعدهم مثل: ..".

وجعل الأصبهاني يسمى منهم ما يربو عن الخمس والأربعين من التابعين وتابعيهم بإحسان حتى زمانه، ثم قال: "كل هؤلاء سرج الدين وأئمة السنة، وأولوا الأمر من العلماء.. اجتمعوا على لزوم السنة وهجران أهل البدعة والضلالة، والإنكار على أصحاب الكلام والجدال، وأن السنة هي اتباع الأثر والحديث والسلامة والتسليم، والإيمان بصفات الله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل.. فهذا مذهب أهل السنة والجماعة والأثر، فمن فارق مذهبهم –كما يفعل الأشاعرة في زماننا– فارق السنة،

ومن وافق مذهبهم وافق السنة، ونحن بحمد الله من المقتدين بهم، والمنتحلين لمذهبهم، القائلين بفضلهم، جمع الله بيننا وبينهم في الدارين، فالسنة طريقنا، وأهل الأثر أئمتنا".

فأين هذا ممن اتخذوا من المبتدعة –من نحو جماعة السرورية والإخوان وغيرهم ممن نحا نحوهم– أئمة لهم، فضلوا وأضلوا بعد أن والَوا وعادوا على شيوخهم ومناهج أئمتهم وتربوا على كتبهم، فكانوا ممن فرقوا دينهم وكانوا شيعًا؟.. نسأل الله السلامة.

هذا، وفي فصل عقده (في فضائل الأثر ومتبعيه) أخبر الأصبهاني في الحجة ١/ ٢٦٠ بسنده "عن ابن سماك بن الفضل الشهابي، قال: حدثني ابن أبي ذئب([1]) بحديث عن رسول الله ﷺ فقلت له: يا أبا حارث أتأخذ بهذا؟، فضرب صدري وصاح عليّ صياحًا كثيرًا ونال مني، وقال: (أحدثك عن رسول الله وتقول تأخذ به؟، وذلك الفرض عليّ وعلى من سمعه، إن الله اختار محمدًا من الناس فهداهم به وعلى يديه، واختار لهم ما اختار له على لسانه، فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين، لا مخرج لمسلم من ذلك)، وقال: وما سَكَت حتى تمنيتُ أن يسكت".

وقد أتْبع الأصبهاني هذه الحكاية بقوله: "ومن الدليل على أن اتباع النبي علمٌ لمحبة الله تعالى، به يستوجبون محبة الله ومغفرته: قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله.. آل عمران/ ٣١)، وبقول الحسن عقب قراءتها: "فكان علامة حبه إياهم اتباع سنة رسول الله ﷺ ".. وبقول عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعًا.. آل عمران/ ١٠٣): (يا أيها الناس، اتقوا الله، وعليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به).. وبحديث مسلم من طريق جابر: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة)، وتعليق البخاري عليه بقوله: (يعني: أهل الحديث)، ويزيد بن هارون بقوله عن الفرقة الناجية: (إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم؟).

كما استدل على أن اتباع النبي عَلَم على محبة الله بقول يونس بن سليمان السقطي: (نظرت في الأمر، فإذا هو الحديث والرأي، فوجدت في الحديث ذكر الرب تبارك وتعالى، وجلالته وعظمته وربوبيته، وذكر العرش والصراط والميزان والجنة والنار، والنبيين والحلال والحرام، والحث على صلة الأرحام، والخير كله، ونظرت في الرأي فإذا فيه المكر والخديعة والحِيَل وقطيعة الأرحام، وجميع الشر فيه).. وبقول ابن أبي عاصم([2]):

(رأيت الحديث يحث على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والتأسي بالصالحين والاقتداء بالأولياء والأصفياء، ويندب إلى الورع وترك ما يريب المرء إلى ما لا يريبه، والرأي يحث المرء على ترك ما لا يريبه إلى ما يريبه إلا ما شاء الله)، كذلك قاله عبد الرحمن بن مهدي.. وقد ذكر الأصبهاني كلَّ ذلك تحت عناوين: (ذكر الاعتصام بالسنة وأنه النجاة)، (ذكر أهل الحديث وأنهم الفرقة الظاهرة على الحق إلى أن تقوم الساعة)، (ذكر النظر في الحديث والأثر وما فيه من الخير والبركة).

وتحت عنوان (فصل في ذكر الأهواء المذمومة) يورد الأصبهاني دعاء النبي عليه السلام: (اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء)([3])، وحديث أبي برزة الأسلمي: (إن مما أخشى عليكم بعدي بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء)([4])، وحديث عبد الله بن عمرو: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به)([5])، وحديث: إن إبليس قال: (أهلكتهم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بأهوائهم، يحسبون أنهم مهتدون ولا يستغفرون)، وحديث: (يا عائشة: إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، إنهم أصحاب البدع والأهواء، وأصحاب الضلالة من هذه الأمة)، وحديث: (ما تحت ظل

([1]) محمد بن عبد لرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي العامري أبو الحارث المدني، ثقة فقيه ت ١٥٨ وقيل ١٥٩.. ينظر تقريب التهذيب ٢/ ١٨٤.

([2]) الحافظ الثقة أبو بكر بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني صاحب كتاب (السنة)، جمع فيه أحاديث العقائد، وكان شيخ الظاهرية في أصبهان ت ٢٨٧.. كذا في العلو للذهبي ص ١٤٦.

([3]) قال الألباني في تخريجه: "إسناده صحيح وقد رواه أصحاب السنن وغيرهم.. ينظر كتاب السنة لابن أبي عاصم بتخريج الألباني ١/ ١٢.

([4]) أخرجه أحمد ٤/ ٤٢٠، ٤٢٣، وقال الألباني: إسناد صحيح.. ينظر: كتاب السنة بتخريج الألباني ١/ ١٢.

([5]) قال الألباني: "إسناده ضعيف.."، وقال النووي في الأربعين النووية: "حديث حسن صحيح".

السماء إله يُعبد من دون الله أعظم عند الله من هوىً متبع)([1])، وحديث: (إن أهل الكتاب قبلكم على سبعين فرقة في الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي: الجماعة، ألا وإنه يخرج في أمتي قوم يهوون هوىً يتجارى بهم ذلك الهوى كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، لا يدع منه عرقًا ولا مفصلًا إلا دخله)([2]).

كما يورد الأصبهاني بفصل جعله: (في ذم الأهواء وأهل البدع) ١/ ٣٢٩ حديث: (في آخر الزمان كذابون، يأتونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم)([3])، وقصة حذيفة بن اليمان، وفيها أنه لما حضرته الوفاة دخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال: يا أبا عبد الله اعهد إلينا، فقال حذيفة: (أو لم يأتك اليقين، اعلم أن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر وأن تنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في دين الله فإن دين الله واحد)، ومقولة عبسة بن سعيد([4]): (ما ابتدع رجل بدعة إلا غلَّ صدره على المسلمين)، ومقولة ابن عمر: (لا أعلم شيئًا في الإسلام أفضل عندي من أن قلبي لم يخالطه شيء من هذه الأهواء المختلفة)، ومقوله معاذ: (إياكم والبدع والتبدع والتنطع، وعليكم بالأمر العتيق).

وما أجمل أن نختم بما نقله الأصبهاني بنفس المصدر ٢/ ٢٣٧ عن واحد من أئمة أهل السنة هو أبو المظفر السمعاني ت ٤٨٩([5])، قال في كتابه (الانتصار لأصحاب الحديث) وفي رد من يزعمون أنهم أهل سنة وهم ليسوا من أهلها:

"زعم كل فريق من المبتدعة أنه هو المتمسك بشريعة الإسلام، وأن الحق الذي قام به رسول الله هو الذي يعتقده وينتحله، غير أن الله أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار، لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفًا عن سلف وقرنًا عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون من أصحاب رسول الله، وأخذه أصحاب رسول الله عن رسول الله ﷺ ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله الناس من الدين المستقيم والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث، وأما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه، لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطرهم وآرائهم، فطلبوا الدين من قِبله، فإذا سمعوا شيئًا من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردُّوه، فإن اضُّطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه ونبذوا الدين وراء ظهورهم وجعلوا السنة تحت أقدامهم".

إلى أن قال: "أهل الحق جعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قِبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقًا لهما قبلوه وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجدوه مخالفًا لهم تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يرى الباطل، وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني وهو واحد زمانه في المعرفة: (ما حدّثتني نفسي بشيء إلا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة، فإن أتت بهما وإلا رددته في نحرها).

ولا أدل على أن أهل الحديث هم مَن على الحق: من أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار وسكون كل واحد منهم قُطرًا من الأقطار، وجدتَهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد يجْرُون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم؛ وجدتَه كأنه جاء من قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟!.. وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتَهم متفرقين مختلفين أو شيعًا وأحزابًا، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع

([1]) هذه الثلاثة أحاديث رواها ابن أبي عاصم في السنة وقال الألباني عن كلٍّ: (إسناده موضوع)، وإن كانت صحيحة في معانيها.

([2]) الكلب: داء يعرض للإنسان من عض الكلب فيصيبه شبه الجنون وتعرض له أعراض رديئة ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشًا.. والحديث رواه ابن أبي عاصم وصححه الألباني بما قبله.

([3]) أخرجه مسلم في المقدمة باب النهي عن الرواية عن الضعفاء.

([4]) ابن أبان، أبو خالد القرشي الأموي الكوفي، قاضي الري ت٢٠٣ وقيل غير ذلك.. تاريخ بغداد ١٢/ ٢٤٨.

([5]) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار التيمي الفقيه الإمام المشهور، له تصانيف في الحديث والفقه وأصوله.

بعضهم بعضًا.. تراهم أبدًا في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم، (تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون.. الحشر/ ١٤).

وإنما كان السبب في اتفاق أهل الحديث: أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلما يختلف، وإن اختلف في لفظة أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه، وأما دلائل العقل فقلما تتفق، بل عقل كل واحد يرى صاحبه غير ما يرى الآخر، وهذا بيِّنٌ والحمد لله".

والحق أن جميع ما ذكرناه هنا للأصبهاني من أحاديث وآثار ووصايا يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار لفرط حاجتنا إليه في زماننا، وإلا فهل ضلت الأمة إلا بالتهاون في الأخذ بالسنة ولزوم أئمتها وجماعة المسلمين؟![1].. نسأل الله أن يبصرنا بعيوبنا كما نسأله العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة.

ثالثًا: ابن قدامة صاحب (المغني).. يرسِّخ لعقيدة الكف عمن قال (لا إله إلا الله) من أهل القبلة.. ويوجب طاعة من ولي أمر المسلمين، ويُحرِّم الخروج عليه

هذا، ويأتي ما دُبج في كتاب: (لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد) وهي رسالة مختصرة لصاحبها موفق الدين ابن قدامة ت ٦٢٠، ضمن ما أجمع علماء الأمة من أئمة أهل السنة والجماعة على تلقيه بالقبول، وقد بيّن فيها ابن قدامة معتقد أهل السنة في توحيد الصفات ومسمى الإيمان وأركانه، وما يجب تجاه الصحابة، والموقف من أهل البدع وعلى رأسهم أهل التكفير والخارجين على حكام المسلمين، وقد قامت بطباعته ما يقارب العشرين من دور نشر، كما قام بشرحه والتعليق عليه غير واحد من أهل التحقق قديمًا وحديثًا.. ويأتي هذا الكتاب ضمن أطروحتنا في تجديد الخطاب الديني كبديل لما تطرحه وزارة الأوقاف في خطتها التي أعلنتها مؤخرًا للقضاء على التطرف والإرهاب، إيمانًا منا بأن القضية إنما هي قضية فهم صحيح للإسلام، وسلامة الاعتقاد فيه هي الأساس الذي بنا ﷺ عليه دولته، فربى من كان معه حتى أثمرت هذه التربية وآتت أكلها حين رأينا دين الله ينتشر في الخافقين أيام الخلفاء الراشدين دون ما تحريف أو تبديل، و(لن يَصلُح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا) على ما قرر أوائلنا وسلفنا الصالح وعلى حد قول الإمام مالك رحمه الله، وفي لفظٍ له في الاعتصام للشاطبي: (لن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها).

وهو في معنى ما فاه به الصحابي الجليل حذيفة في قوله: (كلُّ عبادة لم يتعبَّد بها أصحاب رسول الله فلا تتعبَّدوا بها؛ فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا، فاتقوا الله يا معشر القُرَّاء وخذوا طريق من كان قبلكم)، والشافعي في قوله: (كلُّ مَن تكلَّم بكلام في الدين، أو في شيء من هذه الأهواء، ليس له فيه إمام متقدم من النبي وأصحابه فقد أحدث في الإسلام حدثًا).. الأمر الذي يعني بالضرورة أنه لا يمكن إصلاح خلل أمتنا وتنقية ما بفهمها للإسلام من شوائب التطرف والإرهاب، ولا جمعها على كلمة سواء، إلا على ما أصلح به وجمع عليه رسولنا وكذا الراشدون أصحابه ومن تبعهم، فاستحقوا أن يكونوا بحق خير القرون وأفضل الأمم.

وابن قدامة الذي سار على الدرب ونريد أن نسلط الضوء على معتقده، هو: الإمام الزاهد المجاهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الذي ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.. ولد ببلدة جماعيل من أعمال نابلس بفلسطين، وهاجر مع أهل بيته وأقاربه وله عشر سنين إلى دمشق، وحفظ القرآن وكان من بحور العلم وأذكياء العالم، رحل هو وابن خالته الحافظ المحدّث عبد الغني بن عبد الواحد –صاحب (عمدة الأحكام) ت ٦٠٠– في طلب العلم إلى بغداد، ثم حج والتقى بعلماء مكة المكرمة وفقهائها وأخذ عنهم، وأخيرًا استقر في دمشق وعكف على

([1]) ولك أن تطلع على المزيد من هذه الأقوال التي تنم على مدى تمسك الأصبهاني بالسنة، ودعوته الناس إليها وبيان أن نجاتهم متوقف على الأخذ بها والتأصيل لكل ذلك: صفحات ٣٠٤، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٥٤، ٣٩٣ من الجزء الأول، وصفحات ٦٧، ١١٩، ١٢٤، ٢٢٧: ٢٤٦، ٣١٥: ٣٣٠، ٤٠٥: ٤١٣، ٤٢٥: ٤٣١، ٤٥٩، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٨٧، ٥٠٢، ٥٠٨، ٥١٨، ٥٢٥، ٥٣٠ من الجزء الثاني.

التصنيف والتدريس حتى صار من كبار أئمة المسلمين في الحديث وأصول الدين وعلوم العربية والفرائض والحساب والمواقيت.

وقد تفقه على يديه خلق كثير، واشتغل بتصنيف كتبه فقام بالشرح الكبير (المغني على مختصر الخرقي) أكبر موسوعة في الفقه ويقع في عشرة مجلدات، كما ألف حوالي ثلاثين كتابًا ورسالة شملت مختلف العلوم، منها: (الكافي) في أربعة مجلدات و(ذم التأويل) و(صفة العلو) و(مختصر منهاج القاصدين)، وكان مجلسه عامرًا بالفقهاء والمحدثين وطلبة العلم وأهل الخير، ولما حشد صلاح الدين الأيوبي جيوش الإسلام سنة ٥٨٣ هـ لقمع الصليبيين وتطهير الأرض المقدسة منهم، كان الموفق وأخوه أبو عمر وشباب أسرتهما ونجباء تلاميذ هذا البيت من المجاهدين تحت هذه الرايات المظفرة.

وصفه محب الدين محمد بن النجار في (الذيل على تاريخ بغداد) فقال: "كان الشيخ موفق الدين إمام الحنابلة بالجامع، وكان ثقة حجة نبيلًا، غزير الفضل كامل العقل شديد التثبت، دائم السكوت حسن السَّمتِ، نزيهًا ورعًا عابدًا على قانون السلف، على وجهه النور، وعليه الوقار والهيبة، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه"، وقال الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي ابن أخت الموفق: "سمعت الإمام المفتي شيخنا محمد بن غنيمة يقول: (ما أعرف أحدًا في زماني أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق)، وسمعت عمر بن الصلاح يقول: (ما رأيت مثل الشيخ الموفق)"، وقال المؤرخ يوسف بن سبط الجوزي في كتابه (مرآة الزمان):

"كان الموفق إمامًا في الفنون، ولم يكن في زمانه –بعد أخويه أبي عمر والعماد– أزهد ولا أورع منه، وكان كثير الحياء، عزوفًا عن الدنيا وأهلها، هينًا لينًا متواضعًا محبًا للمساكين، حسن الأخلاق جوادًا سخيًا، من رآه كأنه رأى بعض الصحابة، وكأنما النور يخرج من وجهه، كثير العبادة، يقرأ في كل يوم وليلة سبعًا من القرآن، ولا يصلي ركعتي السنة في الغالب إلا في بيته إتباعا للسنة"، وقال مؤرخ الدولة الصلاحية ابن شامة المقدسي الدمشقي –وكان ممن حضر دروسه وسمع منه–: "كان شيخ الحنابلة موفق الدين إمامًا من أئمة المسلمين، وعلمًا من أعلام الدين في العلم والعمل.. جاءه مرةً الملك العزيز بن العادل يزوره، فصادفه يصلي، فجلس بالقرب منه إلى أن فرغ من صلاته ثم اجتمع به، ولم يتجوز في صلاته!"، وقال الكتبي في (فوات الوفيات):

"كان إمامًا حجة مصنِّفًا متفننًا محررًا متبحرًا في العلم كبير القدر"، وقال عمر بن الحاجب الحافظ في (معجمه): "هو إمام الأئمة ومفتي الأمة، خصّه الله بالفضل الوافر والخاطر العاطر والعلم الكامل، طنّت بذكره الأمصار وضنّت بمثله الأعصار، قد أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية، فأما الحديث فهو سابق فرسانه، وأما الفقه فهو فارس ميدانه، أعرف الناس بالفتيا وله المؤلفات الغزيرة، وما أظن الزمان يسمح بمثله، متواضع عند الخاصة والعامة، حسن الاعتقاد، ذو أناة وحلم ووقار.. صار في آخر عمره يقصده كل أحد، وكان كثير العبادة دائم التهجد، لم يُر مثله!".

وقال النووي في حقه: "هذا أجلُّ شيوخي"، وقال فيه ابن تيمية: "ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق"، وقال عنه الذهبي : "شيخ الحنابلة، بل شيخ الإسلام وفقيه الشام وقدوة العُبّاد وفريد وقته، من اجتمعت الألسن على مدحه والثناء عليه، حدَّث نحوًا من ستين سنة"، وقال عنه ابن رجب: "انتهت إليه رئاسة المذهب في عصره، بل رئاسة العلم في زمانه، وكان مُعَظّمًا عند الخاص والعام، عظيم الهيبة لدى الملوك وغيرهم، كثير الفضائل والمحاسن، متين الديانة والورع".

وجاء في (شذرات الذهب): "وكان مع تبحره في العلوم ويقينه، ورعًا زاهدًا تقيًا ربانيًا، عليه هيبة ووقار، وفيه حلم وتؤده، وأوقاته مستغرقة للعلم والعمل، وكان يُفحم الخصوم بالحجج والبراهين، ولا يتحرج ولا ينزعج، وخصمه يصيح ويحترق".. وكان الشيخ عبد الله اليونيني يقول عنه: "ما أعتقد أن شخصًا ممن رأيته حصل له من الكمال في العلوم والصفات الحميدة التي يحصل بها الكمال سواه، فإنه كان كاملًا في صورته ومعناه من الحسن والإحسان والحلم والسؤدد والعلوم المختلفة والأخلاق الجميلة والأمور التي ما رأيتها كملت في غيره"، كما حكا عنه قوله عن شناعة من قال بالتشبيه: "التشبيه

مستحيل، فقلت: لم؟، قال: لأن من شرط التشبيه أن نرى الشيء ثم نشبهه، فمن الذي رأى الله ثم شبهه لنا؟"، ومنه يتبين سلامة معتقده الذي يمكن إجماله في قوله:

أ-حديث ابن قدامة عما يجب على المسلم تجاه أسماء الله وصفاته وما أشكل من النصوص:

"الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من عمله مكان، ولا يشغله شأن عن شأن، جلّ عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد، لا تُمَثِّله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا، ووسع كل شيء رحمة وعلمًا، موصوف بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه، وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول وترك التعرض له بالردّ والتأويل والتشبيه والتمثيل.

قال الإمام أحمد بن حنبل في قول النبي ﷺ : (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا) و(إن الله يُرى في القيامة) وما أشبه هذه الأحاديث: (نؤمن بها ونصدق بها بلا كيف، ولا نردُّ شيئًا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نردّ على رسول الله، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.. الشورى/ ١١)، ونقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين.. نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول وتثبيت القرآن)، وقال الإمام الشافعي: (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله ﷺ وبما جاء رسول الله على مراد رسول الله.

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله، وقد أُمرنا باقتفاء آثارهم والاهتداء بمنارهم، وحُذِّرنا المحدثات وأُخبرنا أنها من الضلالات فقال ﷺ : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)، وقال عبد الله بن مسعود: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)، وقال الأوزاعي: (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجل وإن زخرفوه لك بالقول)، وقال محمد بن عبد الرحمن الآدري لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علِمها رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يَعْلموها؟ قال: (لم يعلموها)، قال: (فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلِمتَه أنت؟)، قال رجل: فإني أقول: (قد علِموها)، قال: (أفوسعهم أن لا يتكلموا به ولا يَدْعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟)؛ قال: (بلى وسعهم)، قال: (فشيء وسع رسول الله وخلفاؤه لا يسعك أنت؟)؛ فانقطع الرجل، فقال الخليفة –وكان حاضرًا–: (لا وسَّع الله على من لم يسعه ما وسعهم)، وهكذا من لم يسعه ما وَسِع رسولَ الله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت، فلا وسع الله عليه".

ب-إحسانه الظن بأمة محمد، ورده على التكفيريين وخوارج العصر ممن يستحلون الدماء ولا يوجبون طاعة أولي الأمر من المسلمين، والتأصيل لكل ذلك:

وذلك قوله: "الإيمان: قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال الله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة.. البينة/ ٥)، فجعل عبادة الله وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين، وقال ﷺ : (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها: أماطة الأذى عن الطريق)، فجعل القول والعمل من الإيمان وقال تعالى: (فزادتهم إيمانًا.. التوبة/ ١٢٤)، وقال: (ليزدادوا إيمانًا.. الفتح/ ٤)، وقال عليه السلام: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة أو خردلة أو ذرة من الإيمان)، فجعل الإيمان متفاضلًا".

وقوله: "ويشفع نبينا محمد فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر، فيخرجون بشفاعته بعد ما احترقوا وصاروا فحمًا وحممًا، فيدخلون الجنة بشفاعته، ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات قال تعالى

بحقها: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون.. الأنبياء/ ٢٨)، ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين".

وقوله رحمه الله: "ولا نُنزل أحدًا من أهل القبلة جنة ولا نارًا إلا من نَزّله رسول الله، لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، ولا نُكَفّر أحدًا من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل.. ونرى الحج والجهاد ماضيًا مع كل إمام برًا كان أو فاجرًا وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، قال أنس: قال ﷺ: (ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال: لا إله إلا الله ولا نكفر بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله تعالى وحتى يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار) رواه أبو داود.. **ومن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين بَرِّهم وفاجرِهم ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين".**

وفي هذا النص –وفيما شابهه مما سبق ومما هو آت–: الردُّ القاطع على أصحاب البيعات العامة على السمع والطاعة لمن نُصِّبوا في الخفاء ممن ليست لهم القوة والسلطان على سياسة الناس، ولم يوافقهم "أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة" –على حد عبارة ابن تيمية في منهاج السنة ١/ ١١٥، ٥٢٧، ٥٥٦، ٣/ ٣١٩– ليناطحوا حكام المسلمين الموجودين المعلومين ولينازعوا الأمر أهله، مخالفين بذلك ما جاء في حديث عبادة بن الصامت المتفق عليه، وفيه قوله: (بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن ننازع الأمر أهله)، ومستحقين به ما جاء في حديث: (من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنًا من كان)، وفي أخرى: (فاقتلوه).

كما فيه وفيما شابهه: النهي الحاسم عن عقد رايات الجهاد تحت من ذكرنا دون أئمة المسلمين المُمَكّنين، إذ تلك عينها التي أخبر عنها النبي في قوله فيما رواه مسلم في باب (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند الفتن): (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمِّيَة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة، فقُتل، فقِتلةٌ جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرها، ولا يَتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولستُ منه)، والتي عادة ما يروح ضحيتها قتلى من المسلمين وما يكون تنفيذًا لمخططات أعداء الدين، كما يشهد بذلك الواقع ويصدق فيه قول النبي الفائت: (يضرب برَّها وفاجرها، ولا يَتحاشى من مؤمنها)، وقوله: (يَجِيء المقتول بِقَاتِلِه يوم القيامة فَيقول: سل هذا فيم قتلني؟، فَيقول: قتلتُه على مُلْكِ فُلان)، قَال جُندَبٌ: (فَاتَّقِهَا)، قال السندي في شرح سنن النسائي: "قَوله: (فَاتَّقِهَا)، أَي: فاتَّقِ هذه السيئة القبِيحة المُؤَدّيَة إِلَى مثل هذا الجواب الفَاضح".

وفي معنى ما سبق يقول ابن قدامة نفسه في المغني ٨/ ٥٢٦: "ولو خرج رجل على الإمام فقهره، وغلب الناس بسيفه حتى أقروا له وأذعنوا بطاعته وبايعوه، صار إمامًا يحرم قتاله والخروج عليه، فإن ابن مروان خرج على ابن الزبير فقتله واستولى على البلاد وأهلها حتى بايعوه طوعًا وكرهًا، فصار إمامًا يَحرُم الخروج عليه، وذلك لما في الخروج عليه من شق عصا المسلمين وإراقة دمائهم وذهاب أموالهم"، ونص عبارته في الكافي ٤/ ١٤٦: "مَن ثبتت إمامتُه، حرم الخروجُ عليه وقتاله، سواء ثبتت بإجماع المسلمين عليه كإمامة أبي بكر، أو بعهد الإمام الذي قَبْله إليه كعهد أبي بكر إلى عمر، أو بقهره الناسَ حتى أذعنوا له ودعوْه إمامًا كعبد الملك بن مروان".. وفي (لُمعة الاعتقاد) له: "ومِن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين، بَرِّهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله.. ومن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به، أو غلبهم بالسيف حتى صار خليفة، وجبت طاعته وحرُمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين".

جـ-دحضه ترهات الشيعة بحق الصحابة وزوجات النبي الطاهرات عليهم وعليهن الرضوان:

ويقول ابن قدامة في اللمعة فيما يجب اعتقاده: "ومحمد رسول الله، خاتم النبيين وسيد المرسلين، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، ولا يُقضى بين الناس في يوم القيامة إلا بشفاعته، ولا

يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته، صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، أمته خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام، وأفضل أمته: أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى ﷺ .

لما روى ابن عمر قال: (كنا نقول –والنبيُّ حي–: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ ذلك النبي فلا ينكره)، وصحت الرواية عن عليٍّ أنه قال: (خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر ولو شئت لسميتُ الثالث)، وروى أبو الدرداء عنه ﷺ أنه قال: (ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر)، وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي لفضله وسابقته وتقديم النبي له في الصلاة على جميع الصحابة وإجماع الصحابة ﷺ على تقديمه ومبايعته ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة، ثم عمر لفضله وعهد أبي بكر إليه، ثم عثمان لتقديم أهل الشورى له، ثم عليٍّ لفضله وإجماع أهل عصره عليه، وهؤلاء الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون الذين قال ﷺ فيهم: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)، وقال: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة)، فكان آخرها خلافة علي ﷺ .

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم ﷺ فقال: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة)، وكل من شهد له النبي بالجنة شهدنا له بها، كقوله: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، وقوله لثابت بن قيس: (إنه من أهل الجنة).

ومن السنة: تولي أصحاب رسول الله ومحبتهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم، قال تعالى: (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا.. الحشر/ ١٠)، وقال: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم.. الفتح/ ٢٩)، وقال ﷺ : (لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)، ومن السنة: الترضي عن أزواج رسول الله أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن: (خديجة بنت خويلد) و(عائشة بنت الصديق) التي برأها الله في كتابه زوج النبي في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم، و(معاوية) خال المؤمنين وكاتب وحي الله أحد خلفاء المسلمين ﷺ ".

د-ويكشف عن المبتدعة سلفًا وخلفًا، فيفضحهم ويبين ما ينبغي على أهل السنة والجماعة تجاههم:

يقول: "ومن السنة: هجران أهل البدع، ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة بدعة، وكل متسم بغير الإسلام مبتدع كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية والسالمة ونظائرهم، فهذه فرق الضلال وطوائف البدع أعاذنا الله منها –كون الخلاف معهم في أصول الدين– وأما النسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع: فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم مثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعة"، إلى أن قال في ختام معتقده: "نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع الرسول في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله.. آمين، وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا"([1]).

وتالله.. ما أبسطها من عقيدة! وما أسهلها من عبارات!.. والسؤال: أليس هذا هو الأولى بالتدريس وعقد قلوب أولادنا عليه من عقائد لا ترسخ لهذه المبادئ التي نحن –وشبابنا على الأخص– في أمس الحاجة إليها؟، وآخَر: وهو، أليس هذا ما ينبغي أن ترصد لإجازته على معاهدنا الأزهرية أموال الأوقاف، وتبذل لأجل تدريسه الجهود والأوقات؟، سؤالان نطرحهما على كل من يهمه الأمر من علماء أزهرنا، وكل من كان في مواقع المسئولية ممن ينادون ليلًا ونهارًا –دون جدوى– بالإسلام الوسطي المعتدل وبالقضاء

([1]) وكما سبق أن ذكرنا، من أن جميع عقائد سلفنا الصالح لا خلاف فيما بينها البتة، وإلا فمن لن ننص على معتقداتهم لا يختلفون مثقال ذرة عمن نقلنا عنهم، ولينظر فيما نحن بصدده من مواجهة موجات التكفير ومنازعة حكام المسلمين، ما سنذكره لهم في مسألة إمامة المتغلب على سبيل المثال

على الإرهاب والتطرف، سائلين الله تعالى أن يبصرنا بعيوبنا وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنة وأن يجعلنا من الرجّاعين للحق غير المتمادين في الباطل.. اللهم آمين.

المبحث الرابع
عقيدة رجالات الأزهر السائرين على درب السلف فيما يخص قضايا: التكفير، والقتال فى الفتنة، ومنازعة حكام المسلمين والخروج عليهم
مذكرات شيوخ الأزهر بحق جماعة الإخوان المسلمين

تحت عنوان «موقف الأزهر الشريف وعلمائه الأجلاء من جماعة الإخوان» كان هذا الكتاب للباحث في تاريخ الحركات الإسلامية «حسين القاضي»، وهو الكتاب الذي أثار ردود أفعال مختلفة، ويعد أول تجميع ورصد لآراء مؤسسة الأزهر وعلمائها في جماعة الإخوان منذ نشأتها عام ١٩٢٨ وحتى الآن، والكتاب دراسة وثائقية في أربعة فصول:

الأول: عن رأي مشيخة الأزهر من الجماعة، والثاني: آراء مفتي الديار المصرية، والثالث: يستعرض حقائق على ألسنة كبار العلماء والمشايخ، والأخير: يتضمن آراء المفكرين غير الأزهريين من جماعة الإخوان.

وتناوَل الكتاب البيانات الصادرة من الأزهر عن الإخوان وعشرات العلماء عبر مراحل تاريخية بدأت بالشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ عبد الوهاب الحصافي، والشيخ أحمد حسن الباقوري، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ الشعراوي، والشيخ محمد المدني، والشيخ أحمد محمد شاكر، والشيخ جاد الحق، والشيخ عطية صقر، والشيخ عبد الله المشد، والشيخ معوض عوض إبراهيم، والشيخ علي جمعة، والشيخ أحمد عمر هاشم، والشيخ نصر فريد واصل، والشيخ شوقي علام، وصولا إلى الشيخ أسامة الأزهري، وذكر الباحث في مقدمته أن الكتاب مقصود به الشباب المتحير الذي يريد معرفة رأي مرجعيته الدينية في جماعة الإخوان، كما لفت الباحث النظر إلى التقصير الواقع من القائمين على مشيخة الأزهر الحاليين في مواجهة التطرف.

كبار العلماء: الجماعة سلكت غير ما رسم القرآن وتآمرت على قتل الأبرياء وترويع الآمنين واغتيال المجاهدين

وقد أصدرت جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف نداء للأمة بشأن جماعة الإخوان وذلك عام ١٩٥٤ قالت فيه: "هذا نداء من جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف، نتجه به إلى الشعب المصري الكريم وإلى سائر المسلمين...أيها المسلمون: إن الدين الإسلامي دين توحيد ووحدة وسلام وأمان، وهو لذلك رباط وثيق بين الناس وربهم، وبين المسلمين بعضهم وبعض، وبينهم وبين مواطنيهم ومن والاهم من أهل الكتاب، فليس منه تغرير ولا تضليل، وليس منه تفريق ولا إفساد، ولا تآمر على الشر ولا العدوان، وقد قام الإسلام من أول أمره على هذه المبادئ، فجمع بين عناصر متنافرة، وقرّب بين طوائف متباعدة، وأقام حياة المجتمع الإسلامي على أسس قوية كريمة، وقد ابتلى المسلمون في عصورهم المختلفة بمن أخذوا تلك المبادئ على غير وجهها الصحيح، أو لعبت بعقولهم الأهواء، فجعلوا منها باسم الدين وسائل يجتذبون بها ثقة الناس فيهم، ويستترون بها للوصول إلى غاياتهم ومطامعهم، والتاريخ الإسلامي حافل بأبناء تلك الطوائف التي شبت في ظلاله، وزعمت أنها جنود له، ثم كانت حربًا عليه أشد من خصومه وأعدائه.

وقد كان ظهور طائفة الإخوان المسلمين –أول الأمر– ما صرف الناس عن التشكيك فيهم، والحذر منهم، بل كانت موضع ارتياح فيما اتخذت من أساليب الدعوة، واجتذاب جمهرة من الناس ناحية الدين، ولكنه –والأسف يملأ نفس كل عارف بدينه ومخلص لأمته ووطنه– قد شذ من هذه الجماعة نفر انحرفوا عن الجادة، وسلكوا غير ما رسم القرآن، فكان منهم من تآمر على قتل الأبرياء، وترويع الآمنين، وترصد لاغتيال المجاهدين المخلصين، وإعداد العدة لفتنة طائشة، لا يعلم مداها في الأمة إلا الله.

وجماعة كبار العلماء تستنكر هذا الانحراف عن منهج القرآن في الدعوة، وتشكر الله العلي القدير أن أمكن لأولي الأمر في هذه الأمة أن وضعوا أيديهم على بذور الفتنة ووسائلها، قبل أن يشتد أمرها، ويستفحل خطرها، وتعلن أن الخروج عن الدعوة التي رسمها القرآن الكريم، وسلوك سبيل العنف بالإرهاب والعدوان، والتضليل والخداع مشاقة لله ورسوله ﷺ وافتيات على الإسلام بما ينكره الإسلام ويأباه، ويعتبر صاحبه في صفوف المتعدين حدود الله (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه.. البقرة/ ٢٣١)، (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون.. البقرة/ ٢٢٩)..

وجماعة كبار العلماء تنصح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يتجهوا إلى الدين، فيفهموا مبادئه وإرشاداته على وجهها الصحيح، ويلزموها في حياتهم الخاصة فتسلم الأسرة، وفي حياتهم العامة فتسلم الأمة، وأن يكونوا يدًا واحدة وقوة واحدة في حفظ كيان المجتمع والذود عن كرامته، والاعتصام بحبل الله.

الأزهر عن الإخوان: حارَبوا الإسلام واصطنعوا الأغرار من دهماء المسلمين ونفخوا في صغار الأحلام بغرور القول ومعسول الأمل:

وفي سنة ١٩٦٥ صدر بيان من الأزهر الشريف بعنوان: (رأي الإسلام في مؤامرات الإجرام) كتبه الإمام الأكبر شيخ الأزهر حسن مأمون، قال فيه:

"إن الأزهر عاش عمره الطويل لفقه الإسلام والتعريف به، ومدارسة القرآن، والاستمداد منه، وورود الحديث الشريف والصدور عنه، قد شرّفه الله بثقة المسلمين جميعا فيه، فائتمنوه على عقائدهم، وحكموه في كل ما يعن لهم من أقضية الحياة، ومحدثات العصور، ولقد كرم المسلمون شرف مهمته وإخلاص نيته فضموه إلى مقدسات الإسلام، ولم يبلغ الأزهر هذه المنزلة من التاريخ إلا لأنه تمشى مع طبيعة الإسلام، حقًا لا إكراه عليه، ووضوحًا لا خفاء فيه، وصراحة لا تبيُّت لها، وتخطيطًا لا ائتمار عليه، يجادل بالحسنى، ويدعو إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، لكن أعداء الإسلام حين عز عليهم الوقوف أمامه حاولوا حرب الإسلام باسم الإسلام، فاصطنعوا الأغرار من دهماء المسلمين، ونفخوا في صغار الأحلام بغرور القول، ومعسول الأمل، وألفوا لهم مسرحيات يخرجها الكفر لتمثيل الإيمان، وأمدوهم بإمكانيات الفتك، وأدوات التدمير، ولكن الله قد لطف بمصر، وغار على الإسلام أن يرتكب الإجرام باسمه، فأمكن منهم، وهتك سترهم، وكشف سرهم، ليظل الإسلام أكرم من أن يُتَّجر به، وأشفّ من أن يُستتر فيه، وأجمل من أن يشوه بخسة غيلة، ولؤم تبييت، ووحشية تربص، ودناءة ائتمار، وقد شاء الله أن يدل مصر وقيادتها على أوكار الخيانة وكهوف الغدر.

وإذا كان القائمون على أمر هذه المنظمات قد استطاعوا أن يشوهوا تعاليم الإسلام في أفهام الناشئة، واستطاعوا أن يحملوهم بالمغريات على تغيير حقائق الإسلام تغيرا ينقلها إلى الضد منه، وإلى النقيض من تعاليمه، فإن الأزهر لا يسعه إلا أن يصوب ضلالهم، ويردهم إلى الحق من مبادئ القرآن والسنة المشرفة، وحين يشترط المتآمرون على الإسلام أن يكون المسلم منضمًا لجماعة خاصة تستهدف البغي، وتدعو إلى التمرد فإنهم بذلك يُدخلون على الإسلام ما ليس منه، إن الاستعمار قد أن يعيش بينكم، فاصطنع منكم نفرا ليهدموا مكاسبكم، ويضعوا العراقيل في سبيل نهضتكم، وإياكم –أيها المسلمون– أن تُخدعوا بكلمة حق يراد بها باطل، فدينكم واضح لا إلغاز فيه، شريف لا همس فيه، فمن أسر به إليكم فقد خدعكم، ومن تخفى في إعلامكم فقد استحمقكم، وإن الأزهر الشريف يلقنكم عقائد الدين صافية من تعكير الضالين، مستقيمة عن التواء المبطلين تأخذ بيديكم إلى خير مجمع عليه، وتنجيكم من شر غير مختلف فيه".

كما أصدر الأزهر أيضا تقريرا عن كتاب(معالم في الطريق) لسيد قطب جاء عام ١٩٦٥ أعده الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي –عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر– بناءً على طلب الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ حسن مأمون الذي أسند إليه مراجعة وكتابة تقرير عن مضمون الكتاب جاء فيه:

"لأول نظرة في الكتاب يدرك القارئ أن موضوعه: الدعوة إلى الإسلام، ولكن أسلوبه أسلوب استفزازي، يفاجأ القارئ بما يهيّج مشاعره الدينية، وخاصة إذا كان من الشباب أو البسطاء، الذين يندفعون في غير رؤية إلى دعوة الداعي باسم الدين، ويتقبّلون ما يوحى إليهم من أحداث، ويحسبون أنها دعوة الحق الخالصة لوجه الله، وأن الأخذ بها سبيل إلى الجنة، وأحب أن أذكر بعض النصوص من عبارات المؤلف، لتكون أمامنا في تصور موقفه، إن المؤلِّف ينكر وجود أمة إسلامية منذ قرون كثيرة.. ومعنى هذا: أن عهود الإسلام الزاهرة، وأئمة الإسلام، وأعلام العلم في الدين، والتفسير، والحديث، والتفقه، وعموم الاجتهاد في آفاق العالم الإسلامي، معنى هذا: أنهم جميعًا كانوا في جاهلية، وليسوا من الإسلام في شيء، حتى يجيء إلى الدنيا سيد قطب!!.

إن كلمة (ولا حاكمية إلا لله) كلمة قالها الخوارج قديمًا، وهي وسيلتهم إلى ما كان منهم في عهد الإمام علي، من تشقيق الجماعة الإسلامية، وتفريق الصفوف، وهي الكلمة التي قال عنها الإمام علي: (إنها كلمة حق أريد بها باطل)، فالمؤلف يدعو مرّة إلى بعث جديد في الرقعة الإسلامية، ثم يتوسع فيجعلها دعوة في الدنيا كلها، وهو دعوة على يد الطليعة التي ينشدها، والتي وضع كتابه هذا ليرشد بمعالمه هذه الطليعة، وليس أغرب من هذه النزعة الخيالية، وهي نزعة تخريبية، يسميها: طريق الإسلام، والإسلام كما هو اسمه ومسمّاه يأبى الفتنة ولو في أبسط صورة، فكيف إذا كانت غاشمة، جبارة، كالتي يتخيّلها المؤلف؟!!.

وما معنى الحاكمية لله وحده؟! هل يسير الدين على قدمين بين الناس ليمتنع الناس جميعًا عن ولاية الحاكمية، أو يكون الممثل لله في الحكم هو شخصية هذا المؤلف الداعي، والذي ينكر وجود الحكام، ويضع المعالم في الطريق للخروج على كل حاكم في الدنيا، تلك نزعة المؤلف المتهوس، يناقض بها الإسلام، ويزعم أنه أغير الخلق على تعاليم الإسلام، أليست هذه الفتنة الجامحة من إنسان يفرض نفسه على الدين، وعلى المجتمع".

المراغي: الجماعة أحلت لنفسها الفتوى في الدين وسعت أن تكون جماعة بديلة لمشيخة الأزهر.. ولا بد من حلها

هذا وقد طالب الشيخ المراغي من رئيس الوزراء أحمد ماهر حل جماعة الإخوان، وقد كانت علاقة الشيخ المراغي بحسن البنا علاقة وطيدة، بالنظر إلى أن البنا أسس جماعة دعوية غرضها الوحيد الدعوة للفضائل والتربية، ولذلك حدث تجاوب بين المراغي والبنا في سنة ١٩٣٥ فعندما ذهب البنا ومعه عدد من الإخوان، وقابلوا الشيخ المراغي، وسلموه رسائل متعلقة بإصلاح التعليم الديني، كما بعث مرشد الإخوان برسالة إلى شيخ الأزهر مصطفى المراغي يدعوه لمقاومة بوائق الإلحاد الإباحية الجامحة وتقوية سلطان الدين في النفوس، لكن ظهر للشيخ المراغي الوجه الحقيقي لجماعة الإخوان، وتبين له أن الأمر لا يعدو عن كونه وسائل مختلفة غرضها تحويل الجماعة إلى مرجعية بديلة من غير أن تكون مؤهلة لهذا الأمر، فأباحت لنفسها الفتوى في الدين، ومن هنا طالب الإمام المراغي بحل الجماعة، وورد خبر مطالبة المراغي بحل الجماعة في مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، عدد الأحد ٨ جمادى الآخر ١٣٦٧هـ، ١٧ أبريل ١٩٤٨م، السنة السادسة، العدد ١٩٥، ص١٠.

الإمام جاد الحق: الإخوان ساروا على طريق الانحراف

يقول الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق في كتاب: (بيان للناس من الأزهر الشريف): "..أما الانحراف والتطرف على مستوى مصر الدولة المسلمة التي انطلقت منها دعوة الإسلام منذ فتحت في سنة ٢١ هجرية، فيحدثنا التاريخ أن الدولة الفاطمية التي قامت في مصر في منتصف القرن الرابع الهجري، كانت داعية إلى التشيع لمناوأة الخلافة العباسية السنية في بغداد، وكانت لها آثار حضارية أهمها الجامع الأزهر الذي شاء الله أن يتحول إلى منارة علم بعيدًا عن المذاهب والتيارات السياسية، وظل صامتًا طوال عشرة قرون يرقب الخلافات فيُقوِّم معوجَها وينير الطريق للراغبين في الإصلاح.

ثم ظهرت في العشرينات من مارس ١٩٢٨ (تاريخ نشأة جماعة الإخوان) حركةٌ تنادي بوجوب الاستغناء عن القوانين الوضعية والعودة إلى القوانين الإسلامية بحكم أننا دولة إسلامية، وأن تاريخنا الطويل منذ عهد الفراعنة ورسالة إدريس عليه السلام يقوم على الدين، وأن حضارتنا في جميع عصورها مصبوغة بصبغة دينية، إلى جانب أننا كبشر لا يصح أن نستغني عن هداية الله بهداية غير الله تمسكا بالمادة الأولى في دستور الحياة البشرية يوم أن أهبط الله آدم إلى الأرض.. كانت هذه الحركة قائمة على الدعوة، وتهيئة الأذهان لقبول هذه الفكرة، وتهيئة المجتمع ليكون مجتمعًا إسلاميًا ينتهي إلى أن تكوم مصر بحكمها وشعبها بلدًا إسلاميًا بالمعنى الصحيح، وحين اهتمت هذه الجماعة بإصلاح القاعدة ولم تتعجل الحكم، اهتم بعض أفرادها أو جماعة أخرى تستهدف هذه الغاية بالقمة، معتقدة أن الحكم الإسلامي قانونًا وتطبيقًا لا يعود إلا بالاستيلاء بسرعة على السلطة القائمة وقتل الحكام الذين تربوا في أحضان الاستعمار، لأنهم في نظرها كفار بطريق مباشر أو غير مباشر، صراحة أو ضمنًا، وكان من أثر هذا الاعتقاد انحراف في السلوك أدى إلى قتل واغتيال وتخريب وفتنة راح ضحيتها أبرياء، نسجل للتاريخ بعض هذه الأحداث أهمها اغتيال رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي في ١٩٤٨، واغتيال رئيس جماعة الإخوان حسن البنا في ١٩٤٩م كرد فعل الاغتيال النقراشي ومحاولة اغتيال جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٤.

علي جمعة: الإخوان خوارج العصر.. وهُم إلى زوال

كان للدكتور علي جمعة قدم السبق في أنه أول من بادر وحذر المجتمع من جماعة الإخوان وفكرها ومنهجها ونبذ تصرفاتها بكل وضوح، ثم أطلق كلمتين صارتا شعارًا وواقعًا، وذلك حين خرج في أكثر من موقف وقالها بوضوح: (الإخوان خوارج العصر).. لم يكن الدكتور علي جمعة أول من فطر وصف الإخوان (بالخوارج) فقد سبقه بالوصف أئمة كبار انتقلوا إلى رحاب ربهم كالشيخ محمد الغزالي، والشيخ أحمد محمد شاكر، والشيخ عبد الله المشد، ولحقه أئمة كبار كالمفتي الشيخ نصر فريد واصل والدكتور أحمد عمر هاشم، إلا أن الدكتور علي جمعة كان أول من أخرج العبارة مدوية، وركز عليها وشرحها وفسرها وكررها([1])، وأتى عليها بالأدلة والبراهين ودعمها بالنماذج والمواقف والأحداث فاستقرت وانتشرت بعد أن كانت عابرة لا يلتفت إليها.

ولأنهم (خوارج العصر) – والكلام لازال لجريدة الموجز التي أجملت مقالات علماء الأزهر في جماعة الإخوان– فقد ترتب على هذه المقولة النتيجة التي أعلنها وبشر بها وسبق بها الجميع، حين رأى الجماعة تطلق سفهائها بالسب والقذف والبذاءات فقال: (الجماعة إلى زوال)، كما قال: بدأت فكرة حسن البنا بالرفض من أساتذته الكبار، فقد خالف أستاذه الشيخ يوسف الدِّجْوي –وكان كفيفًا– حيث نصحه بالابتعاد عن هذا الطريق، كما أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الحصافي قال للبنا: (أنت تفعل فتنة)، بعد أن خالف البنا الحصافي حين رفض الحصافي تأسيس البنا لجماعة الإخوان، وكان البنا يكذب على الشيخ الدجوي، وإن جماعة الإخوان جماعة مارقة سرقت جماعة المسلمين ماكرة، وهم كما أخبر رسول الله ﷺ : (سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل ويقرأن القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرعية) لا يرجعون، لأن عندهم تعالي وكبر لأنهم معتقدين أنهم يحسنون صنعًا، ومعتقدين أنهم أحسن من البشر، وأن آرائهم هي الصحيحة، وأنهم هم وحدهم جماعة المسلمين التي يجب على المسلم أن ينضم إليها، وأنها صاحبة الطرح الإسلامي الوحيد حتى إن الشيخ محمد الغزالي كان مع الإخوان، وكان معجبًا بحسن البنا مؤسس الجماعة، ثم سألهم: (هل أنتم جماعة المسلمين أم جماعة من المسلمين؟)، فجاءت الإجابة: (نحن جماعة المسلمين)، والغريب أن بعض الإخوان وصفوا الشيخ محمد الغزالي بـ (الفاسق)([2])، ولذلك أقول دائمًا: (إن إنشاء جماعة دينية يعني إنشاء دين موازٍ).

([1]) وذلك في: يونيو ٢٠١٣، يوليو ٢٠١٣، نوفمبر ٢٠١٣، فبراير ٢٠١٤، يونيو ٢٠١٤، سبتمبر ٢٠١٧، ديسمبر ٢٠١٧.

([2]) أدرك الشيخ محمد الغزالي –ربما مؤخرًا– حقيقة ما عليه جماعة الإخوان، وذكر بحقهم كلامًا جيدًا عاب خلاله مذهبهم في السمع والطاعة المطلقة.. وقد سبق ذكره.

الدكتور نصر فريد واصل: ما تفعله جماعة الإخوان خارج عن حدود الشرعية والشريعة

ما يحدث الآن من ادعاءات الدفاع عن الشرعية بالخروج على الدولة بالعنف والمظاهرات والتعدي على الجيش والشرطة يخرج تمامًا عن حدود الشرعية والشريعة والدين والدستور.. هذا ما أكده الدكتور نصر فريد واصل في حديثه عن جماعة الإخوان، متابعا حديثه:

"لأن الإسلام يأمرنا بتحقيق الأمن، وشرعية الرئيس مدنية اكتسبها بانتخاب المواطنين له، وليست خلافة من الله، وعندما يخرج الشعب بسلمية ويطالب بتغيير الحاكم، فلابد أن يخضع الرئيس لهذه الإرادة التي أتت به حتى لا تحدث فتنة ويقتل الناس بعضهم، وما حدث في ٣٠ يونيو هو نفس ما حدث في ٢٥ يناير، وكان يجب أن يخضع الرئيس لهذه الإرادة، ويعود للشرعية المدنية بإجراء انتخابات مبكرة، أو الاستفتاء على بقائه، لكنه أصر على موقفه، فأسقطه الشعب، وما حدث مع مرسى هو ما حدث مع مبارك، وما يحدث في الجامعات يؤكد أن الطلاب مغيبون، والذين يخرجون الآن عن الوسائل السلمية من طلاب جامعة الأزهر التي تعبر عن وسطية الإسلام يشوهون الأزهر والعلم الأزهري أمام العالم، ويلصقون تهمة الإرهاب بالإسلام، وهؤلاء والطلاب خانوا أمانة الدين والعلم وخانوا الله ورسوله، ما يقوم به الإخوان وأنصارهم يجعلهم ممن ينطبق عليهم وصف الخوارج؟، ولم أكن أتوقع أن يقوم الشيخ القرضاوي باستدعاء القوى الخارجية وتحريضها على الجيش المصري، والتحريض على العنف والقتال وخروج الجنود على القيادات، وأرى أنه إما أنه لا يدرك ما يحدث في مصر لأنه لم يكن يعيش فيها، ولم ير الواقع والحقيقة، فهو مخدوع، وتم التدليس عليه، أو أنه حكم واجتهد اجتهادًا خاطئًا، أما الدكتور على جمعة فكان يرى الواقع ويدعو إلى السلام وعدم العنف".

الشيخ أحمد محمد شاكر: روعوا العالم العربي والإسلامي من أقصاه إلى أقصاه

كتب الشيخ المحدث أحمد محمد شاكر مقالا بعنوان: (الإيمان قيد الفتك) عن جماعة الإخوان، جاء فيه: "رُوِّع العالم الإسلامي والعالم العربي بل كثير من الأقطار غيرهما باغتيال الرجل.. الرجل بمعنى الكلمة: (النقراشي) الشهيد غفر الله له، وألحقه بالصديقين والشهداء والصالحين، وقد سبقت ذلك أحداث قُدّم بعضها للقضاء، وقال فيه كلمته، وما أنا الآن بصدد نقد الأحكام، ولكني كنت أقرأ كما يقرأ غيري الكلام في الجرائم السياسية، وأتساءل:

أنحن في بلد فيه مسلمون؟؛ وقد رأيت أن واجبًا عليَّ أن أبين هذا الأمر من الوجهة الإسلامية الصحيحة، حتى لا يكون هناك عذر لمعتذر، ولعلَّ الله يهدي بعض هؤلاء الخوارج المجرمين فيرجعوا إلى دينهم قبل أن لا يكون سبيل إلى الرجوع، وما ندري من ذا بعد النقراشي في قائمة هؤلاء الناس، وإن الله سبحانه توعد أشد الوعيد على قتل النفس الحرام في غير آية من كتابه، فقال: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجزاؤُه جهنَّمُ خالدًا فيها وغضب اللهُ عليْه ولعَنَه وَأَعدَّ لهُ عذَابًا عَظِيمًا.. النساء/ ٩٣}، وهذا من بديهيات الإسلام التي يعرفها الجاهل قبل العالم، وإنما هذا في القتل العمد الذي يكون بين الناس في الحوادث والسرقات وغيرها، القاتل يقتل وهو يعلم أنه يرتكب وزرا كبيرًا

أما القتل السياسي الذي قرأنا جدالًا طويلًا حوله، فذاك شأنه أعظم وذلك شيء آخر، القاتل السياسي يقتل مطمئن النفس، راضي القلب، يعتقد أنه يفعل خيرًا، فإنه يعتقد بما بُثَّ فيه مغالطات أنه يفعل عملًا حلالًا جائزًا، إن لم يعتقد أنه يقوم بواجب إسلامي قصَّر فيه غيره، **فهذا مرتد خارج عن الإسلام، يجب أن يعامل معاملة المرتدين**، وأن تطبق عليه أحكامهم في الشرائع، وفي القانون هم الخوارج، كالخوارج القدماء الذين كانوا يقتلون أصحاب رسول الله ﷺ ويَدَعون من اعترف على نفسه بالكفر، وكان ظاهرهم كظاهر هؤلاء الخوارج بل خيرًا منه، وقد وصفهم رسول الله بالوحي قبل أن يراهم، فقال لأصحابه: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية).

أما النقراشي فقد أكرمه الله بالشهادة، له فضل الشهداء عند الله وكرامتهم، وقد مات ميتة كان يتمناها كثير من أصحاب رسول الله، تمناها عمر بن الخطاب حتى نالها، فكان له عن الله المقام العظيم والدرجات العلى، وإنما الإثم والخزي على هؤلاء الخوارج القَتَلة مُستحلي الدماء، وعلى مَنْ يدافع عنهم،

ويريد أن تتردى بلادنا في الهوة التي تردت فيها أوربا بإباحة القتل السياسي، أو تخفيف عقوبته؛ فإنهم لا يعلمون ما يفعلون، ولا أريد أن أتهمهم بأنهم يعرفون ويريدون، والهدى هدى الله"([1]).

خالد محمد خالد: يد الإخوان ملوثة بالدماء

لقد تلوثت يد التنظيم السري للإخوان بالدم الحرام، والسمة المشتركة بين الإخوان –إلا قليلا منهم– كانت في تعجل الوصول إلى الحكم، ثم في التعصب للفكر الإخواني، ونبذ كل ما عداه، ثم في غياب الوعي السياسي الرشيد عن تفكيرهم، وفي مثل هذا المناخ يفرخ العنف ويبيض، ويصبح التطرف –إلى حد استباحة الدماء– شعيرة أو فريضة، هل كان الإخوان يريدون حكمًا تطاول استبطاؤه؟، كان إعجابي بالأستاذ البنا يتنامى دومًا، فكل ما فيه يدعو للإعجاب به وبالمودة له، علمه وخلقه، وسمته وزهده وتواضعه وجهاده ومثابرته وتفانيه وسحر حديثه، ورواء بيانه، وشخصيته كلها الآسرة المضيئة، ولكن مع هذا الإعجاب كان ينتابي الحذر.. أكان حذر منه؟؟ أم حذرًا عليه؟؟ لم أكن يومها أدري.. كل ما كنت أجده شعور غامض بالحذر..ولعل هذا الشعور هو الذي حدد علاقتي بالإخوان كمجرد زائر للدار ومستمع للأستاذ دون أن أرتبط بعضوية أو أي التزام.

كان البنا في الصدارة من الذين يألفون ويؤلفون، وكانت شمائله تفتح له القلوب الغلف ولا يقترب منه أحد إلا أحبه، فما الذي حمل رجلًا هذه صفاته وهذه نجاحاته على أن ينشئ أو يوافق على إنشاء جهاز النظام الخاص بكل احتمالاته المائلة، ومخاطره المقبلة؟؛ هذا هو اللغز الكبير في مسيرة الإخوان، من أين أُتى الإخوان؟ وما الذي أزل خطاهم عن الطريق وأطفأ النور الذي كان يسعى بين أيديهم وبأيمانهم؟.. من معاصرتي الأحداث في تلك الحقبة من الزمان أستطيع حصر عوامل التعرية التي أصابت الجماعة في اثنين لا ثالث لهما:

فأولهما: التنظيم السري بسوءاته وحماقاته وجرائمه.

وثانيهما: غياب الإيمان بالديمقراطية واحترامها وبث الولاء لها في ضمائر الإخوان، وفكر الجماعة وسلوك القادة.

لقد أسرف التنظيم في هذا السبيل إسرافًا كان السبب الأوحد في تدمير الإخوان من الداخل والخارج.. وكانت أولى جرائم النظام الخاص اغتيال أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء، ويقول بعض الإخوان إن الأستاذ المرشد لم يكن يعلم عن هذا النظام الخاص شيئًا، ونقول لهم: هذا كلام خبئ، معناه ليست لنا عقول.

الدكتور سعد الدين السيد صالح: شباب الإخوان (ممسوخ الشخصية):

شباب الإخوان هم خيرة شباب مصر عملًا وجهادًا ومثابرة، وهم يقومون بأعمالهم حسبة لله، وخدمة للإسلام، ولكن للأسف وكنتيجة لمنهج تربوي خاطئ تجد الواحد منهم ممسوخ الشخصية أمام ما يوجه له من أوامر القيادة، فالقادة في نظرهم رجال منزهون عن الخطأ، ومن هنا فهو لا يكلف نفسه عناء الفهم والتدبر للأحداث والأوامر التي توجه إليه، هو مجرد أداة للتنفيذ فقط، ليس من حقه أن يفكر أو يتدبر أو يتعقل، وقد يوجه إلى الأخ أمر بعدم التعامل مع صهره أو شقيقه –لخلافه معهم– فإذا بالجميع يلتزم بهذا الأمر دون اعتراض، ولا مجال للتراجع في تنفيذ الأمر حتى لو كان فيه قطعية رحم، وهكذا نجد أنفسنا أمام نوع غريب من البشر ليسوا على استعداد لإعمال عقولهم فيما يوجه إليهم من أوامر.

وإذا أقمت عليهم الحجة على أخطاء الإخوة الكبار فإنهم لا يسمعون، وإن سمعوا تحت الإلحاح فإنهم لا يعقلون، وإذا ما عقلوا فإنهم لا يتكلمون، وإن تكلموا فسوف يكون كلامهم نميمة، حيث سيخبرون قادتهم بأنك تتحدث عن الإخوة الكبار بما يمس هيبتهم وكرامتهم، والمؤسف أن هذه القواعد على مستوى عال من العلم والثقافة فمنهم المهندس النابغة، والطبيب البارع، ولكن حين يتعلق الأمر بما يمس قادة الجماعة

([1]) ومما ورد عنه وصرح بها ما جاء في كتابه "شؤون التعليم والقضاء ص ٤٨، قال: "حركة الشيخ حسن البنا وإخوانه المسلمين الذين قلبوا الدعوة الإسلامية إلى دعوة إجرامية هدامة، ينفق عليها الشيوعيون واليهود كما نعلم ذلك علم اليقين".

فشعارهم (لا أرى لا أسمع لا أتكلم)، فالوضع الطبيعي لهذا هو مسخ شخصية القواعد وإحساسهم بالتصاغر([1]).

حيث فهموا هذا المبدأ على أنه إلغاء للعقل، ومصادرة للفكر، وتسليم مطلق بكل ما يقال دون أدنى تفكير أو فهم، فالمهم عندهم هو المسارعة إلى تنفيذ الأمر ما دام الإخوة الكبار قد أصدروه، يقول الدكتور حسان حتحوت: (ولو سئلت عن رأيي في مسألة السمع والطاعة لأجبت بما صرحت به في الأربعينات من أن مفكرًا واحدًا هو للدعوة خير من ألف جندي، وإنما تجب السمع والطاعة في جيش يحتشد لحرب أو يخوض معركة عسكرية، أما في سياق الدعوة الطويل، فالمطلوب إعداد رأي عام مسلم لا قوة ضاربة)، وإن من خطورة سوء الفهم لمبدأ السمع والطاعة هو تحول التنظيم إلى دين، حيث حدث تداخل عجيب بين الدين وبين الدين كإدارة بشرية واجتهاد إنساني، بحيث أن الحد الفاصل بين الدين كأمر رباني والتنظيم كأمر بشري لم يعد واضحًا بالنسبة للقاعدة العريضة من الأتباع، وهذا الأمر حول التنظيم إلى غاية مع أنه مجرد وسيلة من وسائل الدعوة، فبدلًا من أن تكون الجماعة وسيلة للعمل للإسلام تحولت الجماعة (التنظيم) إلى غاية يوظف لها الإسلام.

عبد الوهاب الحصافي: البنا تلميذي ونصحته بعدم تأسيس الجماعة

ذكر حسن البنا في (مذكرات الدعوة والداعية) ما كان بينه وبين الطريقة الحصافية الصوفية التي انضم إليها، فقال: "توطدت العلاقة بيني وبين الحصافية، وواظبتُ على أوراد الوظيفة الرزوقية صباحا ومساء، وحين حضر السيد عبد الوهاب الحصافي – نفع الله به – إلى دمنهور كنت شديد الفرح بهذا النبأ، وبدا لنا أن نؤسس في المحمودية جمعية إصلاحية هي (جمعية الحصافية الخيرية)، مضى حسن البنا في هذا الطريق التزكوي التربوي الرباني، حتى أنشأ جمعية الإخوان المسلمين، وعرض الأمر على شيخه الشيخ عبد الوهاب الحصافي، الذي يصفه البنا بأنه: (امتاز في شخصيته وإرشاده ومسلكه بكثير من الخصال الطيبة: من العفة الكاملة عما في أيدي الناس، ومن الجد في الأمور، والتحرر من صرف الأوقات في غير العلم أو التعلم أو الطاعة أو التعبد، ومن حسن التوجيه، وصرف عمليا إخوانه إلى الإخوة والفقه وطاعة الله)".

فلما عرض البنا على الشيخ الحصافي فكرة تأسيس جمعية الإخوان، رفضها الشيخ، ونصحه ألا يمضي في هذا الطريق، لكن البنا أبى الأخذ بنصيحة شيخه مع إقراره بأن شيخه ذا حكمة ورأي سديد، يقول البنا: "واستمرت صلتنا على أحسن حال بشيخنا السيد عبد الوهاب حتى أنشئت جمعيات الإخوان المسلمين وانتشرت، وكان له فيها رأي، ولنا فيها رأي، وانحاز كل إلى رأيه، ولازلنا نحفظ للسيد – جزاه الله عنا خيرًا – أجمل ما يحفظ مريد محب مخلص لشيخ عالم عامل تقي، نصح فأخلص النصيحة، وأرشد فأحسن الإرشاد".

وعلى ذلك فإن الشيخ الأزهري الجليل السيد عبد الوهاب الحصافي شيخ الطريقة الحصافية – التي كان البنا واحدًا منها – هو أول من نصح البنا بعدم المضي فيما مضى فيه من إنشاء جماعة الإخوان، وأن البنا مع ثقته في علم الرجل وعقله وإخلاصه وورعه وتقواه إلا أنه رفض النصيحة، واستمر في تأسيس الجماعة، فكان منها ومن مؤسسها ما كان.

الشيخ محمد الغزالي: سياسة الخوارج تجددت على أيدي شباب الإخوان

كان الشيخ محمد الغزالي عضوا في الهيئة التأسيسية للجماعة وعضوًا في مكتب الإرشاد أيام الأستاذ حسن الهضيبي، وأثنى على حسن البنا مؤسس الإخوان ثناء كثيرًا، كما انتقد ما تعرضت له الجماعة من تعسف وظلم، وأما عن فكر الجماعة ومنهجها ودخولها في السياسة فقد رأى أنها انحرفت عن المنهج السليم، وأن سياسة الخوارج تجددت على أيدي شبابها.

([1]) يتكلم عن مجرد قطيعة الرحم، فماذا لو وقف على باقي أخطائهم الشرعية؟، وماذا لو رآهم في زماننا وهم يقتلون المئات من الجنود المصريين وغيرهم من الأبرياء؟، وماذا لو رأى تدميرهم أبراج الكهرباء؟، وماذا لو رأى ما فعلوه أثناء اعتصام رابعة المسلح وبعد فضه؟.. وماذا؟ وماذا؟ وماذا؟

ويعد الفصل الذي كتبه عن السمع والطاعة عند جماعة الإخوان في كتابه: (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث) من أهم ما كتبه، حيث تناول أثر الطاعة العمياء والانقياد التام من شباب جماعة الإخوان لقيادات مكتب الإرشاد ومسئولي التنظيم.

ننقل هنا بعض كلامه حيث يقول: (عز عليَّ أن تتجدد سياسة الخوارج مرة أخرى، وأن يُلعب بالإسلام وأبنائه بهذه الطريقة السمجة، فيلعن أهل الإيمان ويترك أهل الطغيان، وبم أن القائد وبطانته لهم حق السمع والطاعة، بيد أن تعليم هذا الجنون كان أسلوب تربية وتجميع عند بعض الناس!! أي إسلام هذا؟ ومَنْ من علماء الأولين والآخرين أفتى بهذا اللغو؟ وكيف تلبسون الدين هذا الزي المنكر؟ وهيهات.. فقد تغلغل هذا الضلال في نفوس الناشئة حتى سأل بعضهم: هل يظن المسلم نفسه مسلما بعدما خرج من صفوف الجماعة؟

إنه يؤسفني أن أقول: إنني كنت إذا صارحت بأن للإخوان أخطاء وجدت العيون تحمر، والوجوه تثبت، وكأني كفرت، إنها عصبية عمياء.. إنه لا حرج أبدأ من اختلاف وجهات النظر، لكن لا يجوز لصاحب رأي ما أن يحسب نفسه المتحدث الرسمي باسم الله ورسوله، وأن من عداه خارجون عن الإسلام، بعيدون عن الحق.. قد تستطيع عصابة من الناس أن تخطف (حكمًا) بالاغتيال والنسف أو بالاحتيال والعسف، بيد أن نسبة هذا الحكم لله حمق كبير.. من حق العقلاء أن يمقتوا الدين، وينبذوا تعاليمه يوم يكون الدين مرادفا لجمود الفكر، وقسوة الطبع، وبلادة العاطفة، ويوم يكون استيلاؤه على زمام الحياة عودة بها إلى الوراء وتغييرًا لفطرة الله.. إنه يومئذ لن يكون دينًا من عند الله، بل أهواء من عند الناس، ولن يكون السير عليه تقوى ومثوبة، بل معصية وعقوبة".

الشيخ الشعراوي: اكتشفت أن قضية الإخوان مطامع سياسية وليست دعوة

إمام الدعاة الشيخ الشعراوي: يصرح بأن جماعة الإخوان ليست جماعة دينية وإنما سياسية وأغلبية وأقلية وطموح إلى الحكم، ويقول: "انضممت إلى الإخوان وكان يعجبني في الشيخ حسن البنا أنه كان قمة في الدعوة إلى الله، وكان حافظا للسيرة النبوية عن ظهر قلب، وكتبت أول منشور للإخوان بخط يدي، وفي عام ١٩٣٨ أردنا الاحتفال بذكرى سعد باشا، حيث كنت اعتبر الاحتفال بذكراه هو احتفال بذكرى وطنية، وألقيتُ قصيدة امتدحت فيها زعماء الوفد، فغضب حسن البنا، وبعدها وفي جلسة مع مجموعة من الإخوان فيهم البنا، لاحظتُ أن الحاضرين يتحاملون على النحاس باشا، وفوجئت بأحد الحاضرين يقول: (إن النحاس باشا هو عدونا الحقيقي.. أعدى أعدائنا، لأنه زعيم الأغلبية، وهذه الأغلبية هي التي تضايقنا في شعبيتنا، أما غيره من الزعماء وبقية الأحزاب فنحن نبصق عليها جميعًا فتنطفئ وتنتهي)!؛ كان هذا الكلام جديدًا ومفاجئًا لي، ولم أكن أتوقعه، وعرفت أن المسألة ليست مسألة دعوة، وجماعة دينية، وإنما سياسية، وأغلبية وأقلية، وطموح إلى الحكم، وفي تلك الليلة اتخذت قراري وهو الابتعاد، وقلت: (سلام عليكم، ماليش دعوة بالكلام ده)، قلتها بكل أدب، ابتعدت عنهم، وكان ذلك في سنة ١٩٣٨ تقريبًا".

ويضيف الشعراوي: "ابني سامي كان في الإخوان، فقلت له بعد أن شاهدت التحول الذي طرأ على الجماعة: أنت أخذت خير الإخوان، فابتعد وحجِّم نفسك، لأن المسألة انتقلت إلى مراكز قوى وإلى طموح في الحكم، وفعلًا سمع كلامي وابتعد، ومازال الإخوان متمسكين بالحكم، وقلتُ كلمتي، وأعلنت رأيي بكل وضوح، وقلت: (أنا لا أريد أن أكون أنا الذي أحكم بالإسلام، إنما أريد أن يحكمني من يشاء بالإسلام)، وبعد أن أعلنت كلمتي وحددت موقفي لم يستطع أحد أن يهوّب ناحيتي، وأصبحت أقول كلمتي في الدعوة إلى الله دون أن يتعرض لي أحد، أو يقول إنني طامع في الحكم أو لي مآرب أخرى من وراء الدعوة، وإن خيبة أي داعية أن يستعجل ثمرة دعوته، وهذا ما لم يحدث مع النبي ﷺ فكيف تستعجل أنت ثمرة دعوتك؟!.

إننا لا نضمن أن تكون للإخوان روح حسن البنا، وعندما يراهم الناس يجدون أنهم قد أصبحوا غير ملتزمين ويشكلون نقطة ضعف للرجل، والأجيال مع الوقت أصبحت لها طموحات.. هل نشأت الجماعة

لتحكم هي أم أن هدفها أن تُحكم بالإسلام؟؛ المخلص للإسلام ماذا يريد؟، يريد الإسلام.. فمن غير الضروري أن أكون أنا الحاكم، إنما منطق (فيها أو أخفيها)، فهذا هو ما لا يُوَصّلُ إلى شيء.

لقد تحولت المسألة داخل الجماعة إلى مراكز قوى ضد الشيخ حسن البنا نفسه، وأنا رأيت بعيني عبد الرحمن السندي وهو (يزقُّ) الشيخ حسن البنا([1]) ويكاد يوقعه على الأرض، لولا تساند البنا على من كانوا يقفون خلفه، وكان ذلك في مقر الإخوان بالحلمية.

وحين وجهت المجلة سؤالًا للشيخ الشعراوي عن قوله: "إن أعدائي هم الشيوعيين والإخوان المسلمين"، أقر بأنه قال هذه العبارة، ولمزيد من الإيضاح حول سبب قوله هذه العبارة قال الشيخ الشعراوي: "لأن الإخوان المسلمين لا يسمعون الإسلام إلا من حناجرهم.. إن قام واحد ليقول في الإسلام وليس منهم فلا يسمعون حديثه"([2]).

الشيخ معوض إبراهيم: أكلوا الثمرة وهزوا الشجرة ولم يتركوا فيها شيئا مثمرًا فلم يعد في جماعة الإخوان خير

"عرفت حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان منذ زمن بعيد، حيث كان البنا إذا نزل بلدا سأل عن علماء الأزهر الشريف، فقابلته بالمنزلة محافظة الدقهلية عام ١٩٤٢ في دار أحد المدرسين، وفي عام ١٩٤٨ أرسل البنا لي سكرتيره عمر إبراهيم، وقال له:

(جاءكم واعظ اسمه معوض إبراهيم أرجو أن تنتفعوا به)، وهذه العبارة تدل على أني لم أكن منتسبًا قط لهذا المنظومة وذلك التنظيم بدليل قوله: (أرجو أن تنتفعوا به)، كانت هذه أخلاق حسن البنا، تلك الأخلاق التي اختفت تمامًا من جماعة الإخوان، بل إنني أقول إن الإخوان اليوم لا يمتون إلى الفضل أو العلم أو المنهجية المنضبطة بأي صلة، ولقد رأيت الجماعة اختلفت اختلافًا كبيرًا عما كان عليه البنا في بدايات نشأة الجماعة، فإذا بهم يقذعون المخالف لهم من علماء الأزهر وغيرهم بأشد الألفاظ، وكنت أقول دائمًا: (إنهم أكلوا الثمرة، وهزوا الشجرة، وأرادوا ألا يتركوا في الشجرة شيئًا مثمرًا، فلم يعد في جماعة الإخوان خير، وما بقي من الإخوان إلا طالب جاه أو شهرة أو سلطان أو متعالم أو قائل في دين الله مما لا يصح به دليل، ولا يقوم عليه برهان).

لقد تحول حسن البنا وجماعة الإخوان إلى العمل السياسي الحزبي المحدود، وكان الأجدى تفرغهم للدعوة والتربية، لقد أصبحوا يعشقون الفشل، ويعشقون الدفاع عنه، فالإخوان لا يريدون أبدًا أن يعترفوا بالواقع ولا بفشلهم، ثم حدث أن استنزف العمل السياسي الحزبي طاقات الجماعة وإمكانيات شبابها، وأصبح عبئًا عليها؛ خاصة من جهة التربية والدعوة.. إنني بعد عمر طويل استعرضت الحركة الإسلامية في مصر والبلاد العربية، وخبرت دعاتها، وعرفتهم وقابلت بعضهم، وقرأت عن الدعوة الإسلامية

([1]) على الرغم من أن الأخير هو الذي عينه رئيسًا للتنظيم أو الجهاز السري (الجناح المسلح لجماعة الإخوان) في العام ١٩٣٦، وكان عبد الرحمن على فراج السندي يلقب بـ (أمير الدم)، وهو من مواليد المنيا ت ١٩٦٢.. ومما قام هذا التنظيم الخاص تحت قيادة السندي: اغتيال النقراشي باشا والمستشار الخازندار في ٢٢/ ٢/ ١٩٤٨ .. ورغم المصائر القائمة التي أنهت على فكرة التنظيم السري والمنخرطين فيه، والقاضية بتكوين دولة وجيش داخل كل دولة توجد فيها جماعة الإخوان واستحلال الدماء المعصومة لكل من لا يسالمها، والمخالفة بكل تأكيد لدين الله تعالى.. إلا أنها ألهمت أجيالا وأجيالًا سواء جماعات أو تنظيمات دون ما بارقة أمل في الشعور بالندم أو الإحساس بالذنب أو مراجعة الذات، حتى إن المرشد السادس لجماعة الإخوان مأمون الهضيبي صرح قائلًا: (نحن نفخر ونتقرب إلى الله بجهازنا السري) وهو يعني: باستحلاله الدماء المعصومة لكل من يقف حجر عثرة من المسلمين في طريقهم، حكامًا كانوا أو محكومين.

والغريب أن ترتد إليهم يد الغدر والخيانة، فبعد أن وقف السندي موقف الندية من حسن الهضيبي خليفة البنا فصله وعين بدلًا منه يوسف طلعت بمباركة من بعض أعضاء النظام الخاص، ومن بينهم المهندس سيد فايز، الذي قُتل فيما بعد بعلبة حلوى مفخخة قيل: إن السندي هو الذي أرسلها إليه، كما قام السندي بتصفية إخوان آخرين من خصومه في النظام الخاص.. ولله في خلقه شئون!.

([2]) وضمن حوار كان للدكتور أسامة الأزهري مستشار رئيس الجمهورية للشئون الدينية في حلقة الجمعة ١٦/ ١١/ ٢٠١٨ من برنامجه (رؤى) المذاع على فضائية (دي. إم. سي) عن إمام الدعاة الشيخ الشعراوي جاء في كلام د.أسامة ما نصه: "من اللفتات النادرة من الشيخ الشعراوي أنه كان مرة جالسًا في ضيافة بعض الأعيان عام ١٩٩٥- كما حدثني أصحاب الجلسة الذين كانوا يستضيفونه– فقال أحدهم: (يا فضيلة الإمام لو الإخوان تولوا الحكم مش أفضل برده؟)، فتجاهل السؤال، وانشغل في الكلام مع بقية الحضور، ورجع السائل يلّح ويسأل فتجاهله الشيخ الشعراوي مرة أخرى، ولما أعاد السؤال انفعل الشعراوي وألقى بالشال من كتفه، وقال له: "لو تولوا الحكم لأفسدوا الدين والدنيا".. وبرأيي أن ما ذكرناه هنا للشيخ كافٍ في بيان موقفه وتراجعه عما يذاع من قوله عن دعوة الإخوان: "يا لها من شجرة ما أروع ظلالها وأورع نضالها!، رضي الله عن شهيد استنبتها وغفر الله لمن تعجل ثمرتها"، وعلى أي حال فلكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة، والرجل أفضى إلى ما قدم، وحسبه ما ذكرناه له في بيان: تراجعه عما بدر منه، وبُعده واستدراكه بما صدر عنه وصرح به تجاه البنا ومنهجه وجماعته.

عمرًا، وعشتُ لها، وألّفتُ فيها، واشتغلت بها، محاضرًا ومدرسًا وأستاذًا، وأستطيع بعد ذلك أن أقرر بوضوح لا لبس فيه، وجزم لا شك يعتريه أنني أرفض كل التيارات من سلفية وإخوان وغيرهم منهجاَ وسلوكاَ، ولا أرى إلا الأزهر الشريف منهجاَ وموجهًا.

الشيخ أسامة الأزهري: الإخوان فكرة عاطفية متحمسة دون فقه أو بصيرة

"كان حصيلة الثمانين عامًا الماضية أن تركتْ بين أيدينا اليوم أطروحات دينية، ابتغت خدمة الشرع، وتحمست له، فوضعوا لأنفسهم أصولًا، وصنعوا نظريات فكرية تنتسب إلى الشرع، وقُدِّمت تنظيرات، وكُتبت تأصيلات، وصَدرتْ صحفٌ ودوريات، وكم من قضية أو نازلة طرأت، كان لهم فيها رأي وأطروحة، مع أحداث تاريخية عاصفة، ووقائع ملتبسة، وموارد فكرية متداخلة، كل ذلك في جو نفسي مشحون وعاصف، سقطت فيه الخلافة، وتحير العقل المسلم في تلمس طريقٍ وانتماء.

ولقد حصلتْ في أثناء ذلك حركةٌ حافلة وحاشدة، دأبت على أن تتلمس لنفسها أصلًا ومدخلًا وسبيلًا واستمدادًا من القرآن والسنة، لكن لم يكن لهم صبر على عملية الاستنباط، بآلاتها، وفَنِّيَّاتِها، وإجراءاتها ومعاييرها، ودوائر علومها الخادمة، ومقاييس التثبت من دقة النتائج والأفهام التي تم استنباطها، حتى تصاعد الأمر في الأعوام الأخيرة على نحو فادح، وتسارعت حركة الاستدلال، بل بدأت الأطروحات الفكرية التي أثمرتها الثمانون عاما الماضية تزداد تعقيدًا وتداعيًا، وآل الأمر إلى الأجيال الناشئة المتحمسة، ممن أجرى قلمه بمقال أو خطبة، مما أنتج خطابًا دينيًا صارخًا وصادمًا وقبيحًا، وفاقدًا لمقاصد الشريعة، بل مدمرًا لها، كما أعيد اليوم بعث فكر التكفير الذي كان كامنًا في كتب التيارات المتطرفة، فتم تحويله إلى تنظيمات وجماعات وتطبيقات، بل تولدت منه الأجيال الثواني والثوالث من الأفكار والتطويرات والاستدلالات، مما أفضى بنا إلى تيارات تسفك الدماء، إننا أمام منهجين، منهج فكري مستقيم، في الأزهر الشريف، ويقابله: منهج فكري سقيم ومضطرب، مفعم بالتشنج، غاضب ومندفع وعدواني، عنده حماس للإسلام دون فقه ولا بصيرة ولا أدوات للفهم".

وأقول: إن المشكلة ليست فيمن تراجعوا بعد أن وقفوا على ما بهذه الجماعة من نزعة تكفيرية خارجية، وعشراتٍ غيرها من البدع والأخطاء الشرعية.. وإنما تكمن في:

عدم تحذيرهم الآخرين، وقصرهم الأمر على أنفسهم – بحيث لا يعرف أحد سواهم ما الذي أخذوه على هذه الجماعة التكفيرية، وكأن الأمر يخصهم وحدهم، في وقت يستشري خطر الجماعة في ربوع العالم وينطلي على جميع علماء الأمة أمثالهم في أنحاء المعمورة.. وما هو واقع الآن خير دليل على صدق ما نقول.. ولا يزال من يعرف من أهل العلم خطر هذه الجماعة على الإسلام والمسلمين وديار الإسلام، يقع فيما قلنا، فيبدأ الآخرون من غيرهم ومن طلاب العلم من حيث بدأ غيرهم لا من حيث ما انتهوا، وهذا ما يغري هذه الجماعة المارقة في البقاء بل هو سر طول أمدها، ولا يزال هذا الفكر الآسن وسيظل مرشحًا بالاستمرار إن لم نتدارك هذا الذي نبهنا عنه، لنعود بعدها إلى صفاء الدين ومنهج أئمة أهل السنة وسلف الأمة في التعامل مع ديار وحكام المسلمين بعيدًا عن فكرة الطاغوتية وما أسموه تدليسًا بتوحيد الحاكمية والاستعانة بأعداء الإسلام في تزكية وإمداد أصحاب هذه الأفكار المدمرة لمجتمعات المسلمين.. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

****

الباب الثاني
ولايات المسلمين المعاصرة.. في ضوء شريعة وعقيدة السلف ومن تبعهم من أئمة أهل السنة

الفصل الأول
انعقاد إمامة المتغلب ووجوب الدعاء له والسمع والطاعة في غير معصية

المبحث الأول: نصوص الفقهاء وأئمة السلف وأصحاب الحديث، وإجماعهم على انعقاد إمامة المتغلب واعتبارها إحدى طرق الولاية الشرعية

إنه ليحلو لكثير –ربما عن جهل– أن ينازَع الله حُكمه وحِكمته في إتيانه الملك من يشاء، ويؤديه ذلك لأن ينكأ في جراح الماضي ويطعن في ولاية من أراده الله أزلًا لمصرنا الحبيبة من عباده الموحدين، وقد أعطي هذا الأمر الفرصة للرويبضة والمتعصبة –ولا يزال– لأن يعبثوا بأمن البلاد والعباد تحت ذرائع شتى.. ونقول: إن من جملة عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بأن الله تعالى هو الذي بيده الملك يؤتيه من يشاء وينزعه عمن يشاء، وأنه سبحانه يهيئ لكل شيء أسبابه، وهو في كل ذلك لا يريد لعباده إلا الخير والابتلاء، عرفنا الحكمة من وراء ذلك أم لم نعرفها.

وما على المؤمن الحق حيال ذلك إلا الصبر والسمع والطاعة في غير معصية، ما دام ولي الأمر المعلوم صاحب الشوكة مُصلحًا ومحققًا لمقصود قول الله تعالى: (إني حفيظ عليم.. يوسف/ ٥٥) وقوله: (إنّ خير من استأجرتَ القويُ الأمين.. القصص/ ٢٦)، فتكون "له القدرة على عمل مقصود الولاية"، غير حريص على طلبها للحديث المتفق عليه: (إنا والله لا نُوَلي هذا العمل أحدًا سأله أو حرص عليه)([1])، مؤمنًا بما تقضي به شرعية بلاده الدستورية من تداولٍ للسلطة أو حفاظًا على ولاية العهد، ومن مراعاةٍ لمصالح بني وطنه، غير منحاز لفئة منهم دون أخرى، بارًا بما أقسم وعاهد عليه الله أمام شعبه فيما يعرف باليمين الدستورية، مؤتمنًا على مقدرات وسلامة وطنه، عليمًا بما يحاك ضده.. وما دام متجردًا في فهمه للإسلام، محافظًا على ثوابته غير مبتدع فيه ولا محرِّف لأحكامه ولا حاصرًا إياه على قناعاته الشخصية يوالي ويعادي عليها، ولا مرتكبًا كفرًا بواحًا أوضحَ معالمه وفصّل ضوابطه: أئمة أهل السنة من نحو ابن حجر في الفتح ١٣/ ١٠ وابن عثيمين في شرح (رياض الصالين) ٢/ ٤٢١.

ذلك أن تولية أي حاكم ليست شيكًا على بياض، وإنما هي علاقة بين الحاكم والمحكوم وعقد اجتماعي، ينظمهما دساتير البلاد بما لا يخالف شرع الله وبما يواكب مستجدات عصرنا ويكون بمقدورهم فعله كون الأمور التكليفية مبتناة على الاستطاعة، وكل كلام لنا عن حكام المسلمين ينصب على من تحققت فيه هذه الضوابط، وإلا فلكل بعد ذلك حكمه.

ومن جملة ما يجب على المؤمن الحق اعتقاده، أن يقر بما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من مشروعية الإمامة عن طريق الغلبة([2])، إذ الغلبة: واحدة من طرق استحقاق الإمامة في معتقد سلف الأمة، فهي؛ أو الاستخلاف؛ أو البيعة بطريق التراضي أيًا ما كانت الوسيلة المحققة لذلك والموصلة إليه، تمثل طرق ولايات المسلمين وتنصيب الحاكم الذي "لا يحل لمسلم أن يبيت ولا يراه إمامًا، أو يموت وليس في عنقه بيعة له برًا كان أو فاجرًا"، وتلك عبارة أحمد في (أصول السنة)، وهو معتقد سلف الأمة وعليه إجماع أئمتها، وهو مراد قوله ﷺ من حديث معاوية بمسند أحمد ٤/ ٩٦: (من مات بغير إمام مات

([1]) ويعلل ابن حجر لذلك فيقول في الفتح ١٣/ ١٣٥ نقلًا عن المهلب: "الحرص على الولاية، هو: السبب في اقتتال الناس عليها، حتى سفكت الدماء واستبيحت الأموال والفروج، وعظُم الفساد في الأرض بذلك، ووجه الندم –على طلبها يعني الوارد في قوله عليه السلام: (وتكون ندامة يوم القيامة)–: أنه قد يقتل أو يعزل أو يموت، فيندم على الدخول فيها، لأنه يُطالب بالتبعات التي ارتكبها وقد فاته ما حرص عليه بمفارقته"، وفي الحديث المتفق عليه: (لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أُعنت عليها، وإن أعطتها عن مسألة وُكلت إليها)؛ فهل ما يجري في واقعنا إلا مصداقًا لذلك؟، وهل ذاك إلا من علامات النبوة؟.

([2]) على التسليم وافتراض أن ما جرى بمصرنا الغالية كان انقلابًا، ولم يكن نتيجة رفض شعبي تمثل في تظاهرات (أكثر من ٣٠ مليونًا) عمت جميع البلاد، وجمع توقيعات من تمرد لـ(أكثر من ٢٢ مليونًا)، ولا عقب مهلة قُدرت بأسبوع ثم ٤٨ ساعة لإعطاء فرصة للاصطفاف الوطني وتلبية مطالب الشعب واحتواء الموقف المتأزم بعيدًا عن التدخل العسكري، ولا عقب اجتماع تشاوري ضم رموز الدولة وممثلين عن جميع طوائف الشعب، ولا تم عقبه تسليم السلطة لأعلى منصب في المؤسسة القضائية، ولا جرت على إثر ذلك وبعد عام بأكمله انتخابات تلو أخرى.. ولا.. ولا.

ميتة جاهلية).. مسند أحمد ٤/ ٩٦ ط. الحلبي، وعليه فالطعن في أيٍّ منها: طعن في السنة وخروج على الإجماع وقدح في ثالث مصادر التشريع في الإسلام.

وما ذكرنا هنا يستوي فيه الإمامة العظمى والصغرى كون كليهما محققًا لمقاصد تنظيم شمل المسلمين وحقن دمائهم وتسكين دهمائهم وعقد رايات الجهاد لحماية بيضتهم ومحاربة عدوهم، يقول ابن حجر في الفتح ١٣/ ١٣٤ إبان شرحه لحديث: (إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة): "قوله: (على الإمارة)، يدخل فيها الإمارة العظمى وهي الخلافة، والصغرى وهي الولاية على بعض البلاد"إ.هـ.

وقد سبق أن ذكرنا أن الإمامة الكبرى وهي: (الخلافة) لا تكون إلا (في قريش) على ما ورد في النصوص وانعقد عليه إجماع أهل السنة([1])، وأنها لن تعود إلا على يد مهدي أهل السنة كما أخبر ﷺ.. وعليه فليس الأمر على غير ما أخبر به بأبي هو وأمي كما "قالت الخوارج وطائفة من المعتزلة" وكما يظن البعض في زماننا ويسعى بفهمه السقيم الساذج في محاولة لاستعادة الخلافة بعد سقوطها في العقد الثالث من القرن الماضي، وذلك أيضًا لحديث: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون مُلكًا عاضًّا، فتكون ما شاء الله لها أن تكون، ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون ملكًا جبرية، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة) ثم سكت.. وواجبُ الوقت وواجب توحيد الصف وجمع كلمة الأمة يفرض علينا: التذكير بأن أمر الخلافة واستعادتها إنما يكون على ما نطقت به الأحاديث ونصوص أئمة أهل السنة، والتفرغ – وهذا هو الأهم– لدعوة الناس وجمعهم على صحيح الدين والاعتقاد، وحثهم على إصلاح القلوب وعلى مكارم الأخلاق ونبذ مساوئها.

١-إجماع فقهاء المذاهب على شرعية إمامة المتغلب:

وفي شأن انعقاد الإمامة للمتغلب يقول السعد التفتازاني الحنفي ت ٧٩٢ في شرحه لمقاصد الطالبين ٢/ ٢٧٢ عند تعداده لطرق انعقاد الإمامة: "والثالث: **القهر والاستيلاء**، فإذا مات الإمام وتصدّى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف، **وقهر الناس بشوكته**، انعقدت الخلافة له، وكذا لو كان فاسقًا أو جاهلًا على الأظهر"، ويقول ابن عابدين إمام الحنفية في عصره ت ١٨٣٦ في حاشيته (رد المحتار على الدر المختار) ٤/ ٢٦٣ ما نصه: "**يصير إمامًا: بالتغلب، ونفاذ الحكم والقهر بدون مبايعة أو استخلاف**".

وقد نسب هذا القول إلى مذهب مالك كما نُقل عن تلميذه يحيى بن يحيى في الاعتصام للشاطبي ٢/ ٣٦٣، وقال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المعروف بـ (مالك الصغير) ت ٣٨٦ في رسالته (مقدمة ابن أبي زيد القيرواني): "والسمع والطاعة لأئمة المسلمين وكل من ولي أمر المسلمين عن رضًا أو **عن غلبة** واشتدت وطأته من بر أو فاجر، فلا يُخرج عليه، جار أو عدل".

ويقول الإمام **الشافعي** كما في (آداب الشافعي) لابن أبي حاتم و(مناقب الشافعي) للبيهقي ١/ ٤٤٩: "كل من غلب على الخلافة بالسيف حتى يسمى خليفة ويُجمع الناس عليه، فهو خليفة"، وقال أبو حامد الإسفراييني الشافعي في (كتاب الجنايات) نقلًا عن (شرح إحقاق الحق) للمرعشي ٢/ ٣١٧: "وتنعقد الإمامة.. بالقهر والاستيلاء، ولو كان فاسقًا أو جاهلًا"، ونصَّ الإمام النووي في روضة الطالبين ٧/ ٢٦٧ على: أنه "إذا.. تصدى للإمامة مَن جمع شرائطها من غير استخلاف ولا بيعة، وقهر الناس بشوكته

([1]) وقد علق النووي في شرح مسلم ١٢/ ١٥٨ مجلد ٦ بعد ذكره جملة من الأحاديث المخبرة أنها في قريش، فقال –وبنحوه ابن حجر في باب (الأمراء في قريش) ١٣/ ١٢٧ وما بعدها–: "هذه الأحاديث وأشباهها، دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرَّض بخلافٍ من غيرهم فهو محجوج عليه بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم وبالأحاديث الصحيحة، قال القاضي عياض: (اشتراط كونه قرشيًا: هو مذهب العلماء كافة)، قال: (وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم يُنقل عن أحد من السلف فيها قول يخالف ما ذكرنا، وكذلك مَن بعدهم في جميع الأعصار)، قال: (ولا اعتداد بقول النَّظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قريش)".. وعن استعادتها مرة أخرى وأنها تكون في مهدي أهل السنة يقول عليه السلام كما في صحيح مسلم: (يكون في آخر الزمان خليفة يُقسِّم المال –وفي رواية: يكون في آخر أمتي خليفة يَحثي المال حثيًا– ولا يَعدُّه)، ويقول: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلًا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا).

وجنوده، انعقدت خلافته لينتظم شمل المسلمين، فإن لم يكن جامعًا للشرائط بأن كان فاسقًا أو جاهلًا، فوجهان: أصحهما انعقادها، لما ذكرناه"إ.هـ

ويقول الإمام أحمد في (أصول السنة) ص ٦٤– وكما في (الأحكام السلطانية) لأبي يعلى الفراء ص ٢٣ و(طبقات الحنابلة) لابن أبي يعلى ١/ ٢٤١ و(شرح السنة) للبربهاري ص ١٢، ١٣–: "والسمع والطاعة للأئمة.. **ومن غلبهم بالسيف** حتى صار خليفة وسُمِّي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا برًا كان أو فاجرًا"، وفي رواية أبي الحرث عنه بنفس المصدر بحق من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم: "تكون الجمعة **مع من غلب**"، واحتجّ بأن ابن عمر صلّى بأهل المدينة في زمن الحرّة وقد اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان، وقال: (**نحن مع من غلب**) وكان قد امتنع عن مبايعة ابن الزبير رغم ما عرف عنه من تقواه وورعه، وفي رواية عبدروس العطار – كما في شرح أصول السنة للالكائي ١/ ١٥٢، ١٥٣ –:

"**والسمع والطاعة للأئمة.. ولمن غلبهم بالسيف** حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر، لا يُترك.. ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان **بالرضا أو بالغلبة**، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ ، فإن مات الخارج عليه، مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق".. وفي لُمعة الاعتقاد لإمام الحنابلة في عصره ابن قدامة المقدسي صاحب المغني ت ٦٢٠ ما نصه:

"ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين، بَرهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله.. ومن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به، أو **غلبهم بالسيف** حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرُمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين"، وفي المغني له ٨/ ٥٢٦: "ولو خرج رجل على الإمام فقهره، **وغلب الناس بسيفه** حتى أقروا له وأذعنوا بطاعته وبايعوه، صار إمامًا يحرم قتاله والخروج عليه، فإن عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير فقتله واستولى على البلاد وأهلها حتى بايعوه طوعًا وكرهًا، فصار إمامًا يحرم الخروج عليه، وذلك لما في الخروج عليه من شق عصا المسلمين وإراقة دمائهم وذهاب أموالهم"، وعبارته في الكافي ٤/ ١٤٦ نصها: "من ثبتت إمامتُه، حرم الخروجُ عليه وقتاله، سواء ثبتت بإجماع المسلمين عليه، كإمامة أبي بكر الصديق أو بعهد الإمام الذي قَبْله إليه، كعهد أبي بكر إلى عمر **أو بقهره الناسَ حتى أذعنوا له** ودعوْه إمامًا، كعبد الملك بن مروان".. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ١/ ٥٢٨: "والقدرة على سياسة الناس: إما بطاعتهم له، **وإما بقهره لهم، فمتى صار قادرًا على سياستهم إما بطاعتهم أو بقهره، فهو ذو سلطان مطاع إذا أمر بطاعة الله**".

٢-و(شرعية إمامة المتغلب) هو معتقد أهل السنة قاطبة:

وما أجمع عليه فقهاء المذاهب، قال به أصحاب الحديث وكتب الاعتقاد، فجميعهم على شرعية ومشروعية إمامة المتغلب والسير معه مسيرة من بويع له أو استُخلف، وعلى عدٍّ من خالف ذلك من الخوارج والبغاة([1])، ففي معتقد علي **بن المديني** ت ٢٣٤ أحد كبار شيوخ البخاري: "والغزو مع الأمراء ماض إلى يوم القيامة البر والفاجر، لا يُترك.. ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد اجتمع عليه الناس فأقروا له بالخلافة.. **برضا كانت أو بغلبة**، فهو شاق عليه العصا، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن عمل ذلك فهو مبتدع على غير السنة" إ.هـ من شرح اعتقاد أهل السنة ١/ ١٥٨.. **وللبخاري** ت ٢٥٦ في صحيحه ٧٢٠٣ – وبنحوه ٧٢٠٥ – من طريق عبد الله بن دينار قال: شهدت ابن عمر حيث اجتمع

([1]) وسيأتي الرد على بعض شبهات من خرج على هذا الإجماع واتبع غير سبيل المؤمنين.. وينظر فيما هو على رأس هذه الشبهات وهي شبهة الحاكمية: كتاب (الحاكمية والسياسة الشرعية عند شيوخ جماعة أنصار السنة المحمدية) لعادل السيد مدير إدارة الدعوة والإعلام بجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، فإنه من الأهمية بمكان.

الناس على عبد الملك، قال: "كَتَبَ: إني أقرُّ بالسمع، والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين علَى سنةِ الله وسنةِ رسوله ما استطَعْتُ، وإن بَنِيَّ قد أَقَرُّوا بِمثلِ ذلك"، وللنووي في شرح أثر مماثل لابن عمر بمسلم ١٢/ ٢٣٤، قوله: "**فيه دليل لوجوب طاعة المتولين للإمامة بالقهر** من غير إجماع ولا عهد"، وله في شرح مسلم أيضًا ٢/ ٤٤٥: "وأما **من قهر الناس لشوكته وقوة بأسه وأعوانه، واستولى عليهم وانتصَب إمامًا، فإن أحكامه تنفذ وتجب طاعته وتحرُم مخالفته في غير معصية**، عبدًا كان أو حرًا أو فاسقًا بشرط أن يكون مسلمًا".

وفي معتقد **أبي زُرعة** ت ٢٦٤ **وأبي حاتم** ت ٢٧٧ وجماعة السلف فيما حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: "سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركنا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذاهبهم: (ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم، ونكل أسرارهم إلى الله عز وجل، ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان، **ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ولا ننزع يدًا من طاعة**، ونتبع السنة والجماعة ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة)"إ.هـ من شرح أصول السنة للالكائي ١/ ١٦٦.

وللإمام **الطحاوي** ت ٣٢١ في عقيدته التي تلقتها الأمة بالقبول ص ٣٢٣، قوله: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة"، إلى أن قال: "فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا، ونحن براءٌ إلى الله من كل مَن خالف، ونسأل الله أن يعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الرديّة".. وتعليقًا على ذلك يقول بعض شارحي الطحاوية ص ٣٢٢ في معنى وعلة قوله (ولا ندعو عليهم) – على نحو ما يجري كثيرًا من المبتدعة الآن دون ما مبالاة –:

"إن هذا، خروج معنوي مثل الخروج عليهم بالسلاح، وكونه دعا عليهم لأنه لا يرى ولايتهم، فالواجب الدعاء لهم بالهدى والصلاح لا الدعاء عليهم، فهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة، فإذا رأيت أحدًا يدعو على ولاة الأمور فاعلم أنه ضال في عقيدته وليس على منهج السلف، وبعض الناس قد يتخذ هذا من باب الغيرة والغضب لله عز وجل، لكنها غيرة وغضب في غير محلهما لأنهم إذا زالوا حصلت المفاسد، قال الفضيل ويحكى ذلك عن الإمام أحمد أيضًا: (لو أني أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان).

والإمام أحمد صبر على المحنة ولم يثبت عنه أنه دعا عليهم أو تكلم فيهم، بل صبر وكانت العاقبة له – وقد حكا عنه ابن كثير في البداية والنهاية ١٠/ ٣٣٧ قوله مخاطبًا الحاكم العباسي: (وإني لأرى طاعة أمير المؤمنين: في السر والعلانية، وفى العسر واليسر، ومنشطي ومكرهي، وأوثره عليَّ وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار) – هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وعليه فالذين يدعون على ولاة أمور المسلمين ليسوا على مذهب أهل السنة والجماعة، وكذلك الذين لا يدعون لهم، وهذا علامة أن عندهم انحرافًا عن عقيدة أهل السنة والجماعة.. ذلك أن صلاحهم صلاح للمسلمين، وهدايتهم هداية للمسلمين، ونفعهم يتعدى لغيرهم، فأنت إن دعوت لهم دعوت للمسلمين"إ.هـ من كلام الفوزان والألباني.

ومما قاله أبو الحسن **الأشعري** ت ٣٢٤ وهو يحكي جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة في مقالات الإسلاميين ص ٢٩٥: "ويرون العيد والجمعة خلف كل بر وفاجر.. ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف، وأن لا يقاتلوا في الفتنة".

ومما ذكره **البربهاري** ت ٣٢٩ في كتابه (شرح السنة) ص٣٩: "والخلافة في قريش إلى أن ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي، قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار، وميتته ميتة جاهلية"، قال: "ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه وإن جار، وذلك لقوله ﷺ كما في البخاري ومسلم: (اصبر، وإن كان عبدًا حبشيًا)، وقوله للأنصار: (اصبروا حتى تَلْقَوني على الحوض)، وليس في السنة قتال السلطان، فإن فيه فساد الدنيا والدين"، قال: "ويحل قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين في أموالهم وأنفسهم".. ومما قاله معتقدًا إياه: "واعلم أن جور السلطان لا

ينقض فريضة من فرائض الله التي افترضها على لسان نبيه ﷺ ، جوره على نفسه وتطوعك وبرك معه تام إن شاء الله، يعني: الجماعة والجمعة والجهاد معهم، وكل شيء من الطاعات فشاركهم فيه فلك نيتك، وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو له بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة، يقول الفضيل: (لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في سلطان)، قيل له: يا أبا علي فسِّر لنا هذه، قال: (إذا جعلتها في نفسي لم تَعْدُني وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد)، فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا، لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين".

ثم قال ص٨٠ عن أحد الأهواء الأربعة التي تشعبت منها الاثنان والسبعون فرقة النارية: "ومن قال: الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا له بالصلاح: فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره".

وفي كتاب (الشريعة) ص ٤٠ وتحت عنوان (باب في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين والصبر عليهم وإن جاروا وترك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة)، يسوق **الآجري** ت ٣٦٠ في ذلك جملة من الأحاديث، وقبلها مباشرة يتكلم عن الخوارج ويختم كلامه فيهم بقوله: "قد ذكرتُ من التحذير من مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله تعالى عن مذهب الخوارج ولم ير رأيهم، وصبر على جور الأئمة وحَيْف الأمراء ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله كشف الظلم عنهم وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح وحج معهم وجاهد معهم كل عدو للمسلمين، وصلى معهم الجمعة والعيدين، فإن أمروا بطاعة فأمكنه أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروا بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت الفتنة بينهم لزم بيته وكف لسانه ويده ولم يهوَ ما هم فيهم ولم يُعن على فتنة، فمن كان هذا وصفه: كان على الطريق المستقيم إن شاء الله"إ.هـ.

وكذلك فعل **اللالكائي** (ت ٤١٨) في شرحه لـ (أصول اعتقاد أهل السنة) ٢/ ١٠٤٣ غير أنه عكس فبدأ بالحديث عن طاعة الأئمة وثنّى بـ (ما روي عن النبي ﷺ في الخوارج)، وكان قد ذكر بنفس المصدر ١/ ١٦٤ حكاية عن معتقد الإمام البخاري ت ٢٥٨ فيما لقي وتوافر عليه أكثر من ألف رجل من أهل العلم بالحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر: "وأن لا ننازع الأمر أهله، ولا نرى السيف على أمة محمد ﷺ ، قال الفضيل: (لو كانت لي دعوة مستجابة، لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد)".

ومما قرره الحافظ أبو بكر **الإسماعيلي** ت ٣٧١ في كتابه (اعتقاد أئمة أهل الحديث) ص ٧٥ قوله: "ويرون الصلاة خلف كل مسلم برًا كان أو فاجرًا، فإن الله فرض الجمعة وأمر بإتيانها فرضًا مطلقًا مع علمه تعالى بأن القائمين يكون منهم الفاجر والفاسق، ولم يستثن وقتًا دون وقت، ولا أمرًا بالنداء للجمعة دون أمر".. ومما جاء في (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) ص ١٠٠ لأبي عثمان إسماعيل **الصابوني** ت ٤٤٩: "ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برًا كان أو فاجرًا، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جوَرة فَجَرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعية، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحَيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل".

كما ذكر **ابن تيمية** في الواسطية ص ٤٧٩ عن منهج أهل السنة أنهم "يرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء، أبرارًا كانوا أو فجارًا.. ويأمرون بالصبر على البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمرِّ القضاء.. وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره، فإنما هم متبِعون للكتاب والسنة".

ومن قبله بوب أبو القاسم إسماعيل **الأصبهاني** قوّام السنة ت ٥٣٥ في كتاب (الحجة في بيان المحجة) ٢/ ٢٨٢، ٤١٨، ٤٣٥، ٤٣٨، ٥١٣ لطاعة أولي الأمر من حكام المسلمين، وجعل ذلك تحت عناوين: (ما أجمع عليه السلف)، و(منع الخروج على أولي الأمر)، و(النهي عن سب الأمراء والولاة وعصيانهم)، و(توقير الأمراء)، و(اعتقاد أهل السنة ومذهبهم)، وذكر الكثير من عبارات أئمة السلف في

وجوب الطاعة والكثير من الأحاديث التي تحث على ذلك من نحو قوله عليه السلام: (عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك ويسرك وعسرك وأثرة عليك) يعني: وإن لم يصلك حقك منهم، ومن الآثار قول عبادة بن الصامت لجنادة: (عليك بالسمع والطاعة في يسرك وعسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، ولا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمرك بمعصية الله بواحًا)، كما نقل ٢/ ٢٨٢ عن علماء السلف قولهم: "ونشهد أن معاوية ﷺ من أهل الجنة، ونسمع ونطيع للولاة ما داموا يصلون، ونجاهد معهم ولا نخرج عليهم ولا نطيع أحدًا في معصية الله"، وأوضح أن ذلك كله من السنة، فقال بنفس المصدر ١/ ٢٥٢: إن "من السنة الانقياد للأمراء والسلطان بأن لا نخرج عليهم بالسيف وإن جاروا، وان يسمعوا له وان يطيعوا وإن كان عبدًا حبشيًا أجدع، ومن السنة الحج معهم والجهاد معهم، وصلاة الجمعة والعيدين خلف كل بر وفاجر"إ.هـ.

وكان **ابن أبي العز** ت ٧٩٢ قد ساق في شرح ما سبق أن ذكرناه للطحاوي، قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.. النساء/ ٥٩)، وحديث البخاري (٢٩٥٧) ومسلم (١٨٣٥): (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني).. كما ساق حديث أبي ذر، الذي يقول فيه: (إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدًا حبشيًا مجدَّع الأطراف) كذا بمسلم (١٨٣٧) وهي عند البخاري (٦٩٣) بلفظ: (ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة).. وفي الصحيحين أيضًا – البخاري (٧١٤٤) ومسلم (١٨٣٩) – يقول ﷺ : (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة).

ومما استدل به ابن أبي العز قوله ﷺ لحذيفة كما في الصحيحين بعد أن ذكر فرق الزيغ والضلال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، وقوله في الصحيحين من حديث ابن عباس: (من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات فميتته ميتة جاهلية)، وهي كما في صحيح سنن أبي داود (٤٧٥٨)، بلفظ: (فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه).. إلى آخر ما ذكره من أدلة، أعقبها – رحمه الله – بقوله ص ٣٢٤، ٣٢٥: "فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية.. وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل".

ومما نظمه العلامة السفاريني ت ١١٨٨ في معتقده: (ونصبه بالنص والإجماع * **وقهره** فحُلْ عن الخداع)، مشيرًا إلى طرق ولايات المسلمين وأن منها القهر، وهذا "يعني: **لو خرج رجل {مسلم غير مبتدع بدعة مكفرة} واستولى على الحكم، وجب على الناس أن يدينوا له حتى إن كان قهرًا بلا رضًا منهم، لأنه استولى على السلطة**، ووجه ذلك – والكلام هنا للشيخ ابن عثيمين في شرحه على السفارينية ص ٤٩٩ – أنه لو نوزع هذا الذي وصل إلى سدَّة الحكم، لحصُل بذلك شر كثير.. وإذا قلنا: إن الخلافة تثبت بواحد من هذه الطرق الثلاث، فيعني – والكلام لا يزال للشيخ ابن عثيمين – أنه لا يجوز الخروج على من كان إمامًا بواحد منها أبدًا، وقوله: (فحُل عن الخداع): يعني: لا تخادع ولا تخُن، فإنه **إذا ثبتت الإمامة بواحدة من هذه الطرق فالإمامة ثابتة**"إ.هـ

٣-حكاية الإجماع على (شرعية) ووجوب طاعة إمامة المتغلب:

بل إن هناك من العلماء من نقل الإجماع على وجوب انعقاد الإمامة للمتغلب.. وفي شأن ذلك يقول **ابن بطال** ت ٤٤٩ في شرحه لصحح البخاري ١/ ١١٦: "**وأهل السنة مجمعون على أن المتغلب يقوم مقام الإمام العدل** في إقامة الحدود وجهاد العدو وإقامة الجمعات والأعياد"، وقال بنفس المصدر ١٩/ ٧: "**والفقهاء مجمعون على أن الإمام المتغلب، طاعته لازمة** ما أقام الجمعات والجهاد، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، ألا ترى قوله ﷺ : (سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها)، فوصف أنهم سيكون عليهم أمراء يأخذون منهم الحقوق ويستأثرون بها ويؤثرون بها

من لا تجب له الأثرة ولا يعدلون فيها، وأمرهم بالصبر عليهم والتزام طاعتهم على ما فيهم من الجور"، ولفظ **ابن حجر** في فتح الباري ١٣/ ٩: "**قد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه**، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء".

كما ساقه من قبلُ ونصُّ عليه صراحة: إمام المذهب **أبو الحسن الأشعري** ت ٣٢٤ في (رسالته إلى أهل الثغر) ص ٢٩٦، قائلًا في الإجماع الخامس والأربعين: "وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئًا من أمورهم عن رضًا **أو غلبة** وامتدت طاعته من بر وفاجر، لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جارَ أو عدَل، وعلى أن يغزوا معهم العدو ويحج معهم البيت، وتُدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها، ويصلى خلفهم الجمع والأعياد"، وقد جاء سوقه إجماع أهل السنة والجماعة هنا ردًا على ما جنحت إليه فرق المعتزلة والخوارج، فهم من قالوا بالخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وقد تبعتهما في زماننا جماعة الإخوان وجماعات التكفير، ذلك أن من أصول المعتزلة الخمسة: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ومن أقوالهم وأفعالهم يظهر أنهم إنما أرادوا بذلك الخروج على الأئمة وقتالهم، فكان رد الأشعري على النحو الذي ذكرنا، كما كان النص منه على كلامهم والرد عليهم في مقالات الإسلاميين ص ٢٧٨، ٢٩٥ ، وفيها عن جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة:

"ويرون العيد والجمعة خلف كل بر وفاجر.. ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف، وأن لا يقاتلوا في الفتنة".. وكذا ص ٤٥١ وفيها عنهم: "إن الإمام قد يكون عادلًا ويكون غير عادل، وليس لنا إزالته وإن كان فاسقًا، وأنكروا الخروج على السلطان ولم يروه"، وكان مما قاله الأشعري في كتاب الإبانة ص ٥٣: "ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وفاجر، كما روي أن عبد الله بن عمر كان يصلي خلف الحجاج.. ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف، وندين بترك القتال في الفتنة".

ونذكر من أقوال المعاصرين في وجوب طاعة الإمام المتغلب بالإجماع، قول د. وهبة **الزحيلي** في (الفقه الإسلامي وأدلته) ٨/ ٢٩٠ ط. دار الفكر: "**ذهب الفقهاء الأربعة وغيرهم أن الإمامة تنعقد بالتغلب والقهر، إذ يصير المتغلب إمامًا دون مبايعة واستخلاف من الإمام السابق**".

فأهل السنة والجماعة أوجبوا السمع والطاعة لولاة الأمور ولم يفرقوا بين من جاء منهم بطريق المغالبة ومن جاء بغيره، كما أنهم **لم يشترطوا للحاكم المتغلب سوى القهر والقدرة على سياسة الناس وكونه معلومًا لديهم** وموافقة أهل الشوكة الذي يمثله في أيامنا (المؤسسات العسكرية والأمنية والمخابراتية) كونها الأدرى بما يحيق بالبلاد من أخطار والأقدر على فهم سياسات أعداء الإسلام، بينا إخواننا – أملًا في أن تدول إليهم الدولة مرة أخرى، مع مخالفتهم في حرصهم وتكالبهم وانكبابهم على السلطة، لنصوص السنة الصريحة كما في قوله عليه السلام لابن سمرة: (لا تسأل الإمارة، فإنك إن.. أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها)، وقوله في المتفق عليه أيضًا: (إنا والله لا نُوَلي هذا العمل أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه) – يتعسفون ويشترطون شروطًا عجيبة

فتارة يشترطون خلو المنصب بالموت على ما توهموه من بعض عبارات أهل العلم على الرغم من أن هذا الشرط لا أثر ولا وزن له في مناط الحكم، وتارة يشترطون لذلك عدم وجود بديل منتخب، وتارة ثالثة يشترطون إجماع (أهل الحل والعقد) الذين لا وجود لهم أصلًا اللهم إلا ممن وافقوهم من معتنقي فكر الخوارج، ورابعةً ألا يكون ذلك عن طريق الإكراه واغتصاب السلطة على ما يزعمون، وهذه – لمن وقف على حقيقة الأمر – دعوى كاذبة، وخامسة اجتماع شروط إمامة غير المتغلب لجعلها للمتغلب، وسادسة يشترطون السلمية والزعم بأن ما وقع مع صاحبهم بمصر لم يراع فيه تطور الفقه السياسي.. إلخ.. وهم في كل هذا يأملون ولا يزالون في رجوع الأمر إلى مما كان عليه، ويتجاهلون تمامًا الوضع الحالي المُعاش وأنه لا ولاية لمتهم بالخيانة العظمى ولا لمسجون لا يملك من أمر نفسه شيئًا.

وفي بيان الصواب فيما سبق والوجه فيه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ١/ ١١٥: "النبي ﷺ أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين الذين لهم سلطان يقدرون به على سياسة الناس، لا

بطاعة معدوم ولا مجهول، ولا من ليس له سلطان ولا قدرة على شيء أصلًا"، وفيه ١/ ٥٢٧: "بل الإمامة عندهم – يعني: أهل السنة – **تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها، ولا يصير الرجل إمامًا حتى يوافقه أهل الشوكة عليها الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة**، فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان، فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إمامًا، ولهذا قال أئمة السلف: من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الولاية، فهو من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله، فالإمامة مُلك وسلطان"، يقول بعدها: "فكون الرجل أميرًا وقاضيًا ووالِيًا وغير ذلك: من الأمور التي مبناها على القدرة والسلطان، متى حصّل ما يحصُل به من القدرة والسلطان حصلت وإلا فلا؛ إذ المقصود بها عمل أعمال لا تحصل إلا بقدرة، فمتى حصلت القدرة التي بها يمكن تلك الأعمال، كانت حاصلة وإلا فلا، وهذا مثل كون الرجل راعيا للماشية، متى سلمت إليه بحيث يقدر أن يرعاها، كان راعيا لها وإلا فلا، فلا عمل إلا بقدرة عليه، فمن لم يحصل له القدرة على العمل لم يكن عاملًا، والقدرة على سياسة الناس إما بطاعتهم له، وإما بقهره لهم، فمتى صار قادرًا على سياستهم بطاعتهم أو بقهره، فهو ذو سلطان مطاع، إذا أمر بطاعة الله".

ومن كلامه في منهاج السنة أيضًا ٣/ ٣٩١: "فإن الحكم إذا ولاه ذو الشوكة، لا يمكن عزله إلا بفتنة، ومتى كان السعي في عزله مفسدة أعظم من مفسدة بقائه، لم يجز الإتيان بأعظم الفسادين لدفع أدناهما.. ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة، لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا تدفع أعظم المفسدتين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد تُعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته".

وقال بنفس المصدر ١/ ٥٥٦: "والإمام والخليفة: ذو السلطان الموجود الذي له القدرة على عمل مقصود الولاية، كما أن إمام الصلاة هو الذي يصلي بالناس وهم يأتمون به، ليس إمام الصلاة من يستحق أن يكون إمامًا وهو لا يصلي بأحد وينبغي أن يكون إمامًا.. والفرق بين الإمام وبين من ينبغي أن يكون هو الإمام، لا يخفى إلا على الطغام"، ثم قال بعدها:

"وهو ﷺ قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، وبقيام رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان الإنس، وأمر مع هذا بالسمع والطاعة للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فتبين أن الإمام الذي يطاع هو من كان له سلطان، سواء كان عادلًا أو ظالمًا"، قال: "وأمر ﷺ بالصبر على ما يكره من الأمير، لم يخص بذلك سلطانًا معينًا ولا أميرًا معينًا ولا جماعة معينة".

وإنما ندفع بكل هذه النصوص في وجه من لا يكفُّون ليل نهار في أبواقهم وقنواتهم العميلة المأجورة، وعلى ألسنتهم وألسنة شيوخهم الحداد، عن الطعن على من أراده الله أزلًا ليكون وليًا لأمرنا، وذلك بدل أن يكونوا عونًا له في خدمة بلادهم وأهليهم وبدل أن يدعوا له بالصلاح والهداية على ما تقضي عقيدة أهل السنة والجماعة، لنقيم عليهم حجة الله البالغة.. فاللهم هل بلغنا؟، اللهم فاشهد.

المبحث الثاني: إسقاط حكم المتغلب على واقعنا المعاصر وبمصرنا الحبيبة

ولقد ظهر من هذه النُّقول التي أفضنا فيها – وهي قليل من كثير – تعريف أهل السنة والجماعة لـ (الأئمة المتغلبين)، وأنهم من لهم سلطة وشوكة في بلد ما، فمن كان مسلمًا حرًا مكلفًا ومؤتمنًا وغير خائن لأسرار وطنه وذا دراية بالسياسة ومعرفة الأحوال وذا خبرة ببواطن الأمور ومحافظًا على ما جاء بصيغة العقد الاجتماعي الذي أقسم وتعهد به لشعبه، وجب على من تحت ولايته أن يطيعه في المعروف.. وأما اعتقاد (الإخوان) ومن سلك سبيلهم من مدعي السلفية أن الإمام المعتبر الذي يطاع ويعتدُّ به هو فقط: من جاء بطريق الصندوق والانتخاب السلمي وإن زُوِّرا، دون غيره مما أطلقوا عليه حكم (العسكر) و(الانقلابيين) الذين – شهادة لله ثم للتاريخ – ما عهدنا عليهم خيانة الوطن ولا إفشاء سره للعدو ولا الحرص على السلطة خلافًا لهم، وكذا ما اشترطوه من شروط ليست في كتاب ولا سنة ولا إجماع، فهذا يضمر تحته هوى متبعًا وشغفًا بالسلطة يحول دون إتمامها وصحة انعقادها لهم إلى الأبد،

كما أنه يشتمل على شق عصا الطاعة والفتنة المفضية –على نحو ما نرى– إلى سفك الدماء والتخريب والعثو في الأرض فسادًا والتي خشي منها سلف الأمة وأوضحوا خلالها أنه ليس من دين الله لا من قريب ولا من بعيد.

ونُذَكِّر –بمناسبة إصرار جماعة الإخوان على الخروج على الحاكم المتغلب، ومخالفة ما يفعلونه لمعتقد أهل السنة لما يحدثه من فتن عظيمة– بمقولة أحمد: "والسمع والطاعة: للأئمة.. ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة **بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة**، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق"، وبمقولة شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ٢/ ٢٤١: "وقَلَّ من خرج على إمام ذي سلطان، إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير"، ولعل في الواقع ما يشهد بهذا.

على أن ما سبق أن ذكرناه في الصبر على ظلم وبطش وجور ولاة أمور المسلمين سواء وُلُّوا عن طريق الغلبة أو غيرها، وما يترتب على الخروج عليهم من مفاسد كشف عنها بوضوح أئمة أهل العلم من نحو: الإمام أحمد إمام السنة وشيخ الإسلام ابن تيمية والبخاري وشيخه علي بن المديني وغيرهم ممن سبق أن ذكرنا طرفًا من كلامهم.. يدعو للأسى والحزن عندما نعلم يقينا إن من يُعرفون بـ (جماعات الإسلام السياسي)، هم: من يناصبون ولاة أمور المسلمين العداء ابتداءً وبحجج واهية، وهم من يستفزونهم ويقع منهم الظلم والحيف والأثرة والجور بل والدعاء عليهم في كثير من الأحيان، وهم بما يصنعونه من المفاسد والمنازعة والتخريب والتقتيل وإحداث الشغب والفتن والقلاقل، يخالفون ما أمر الله به ورسوله والصحابة وتابعوهم على نحو ما رأينا، ثم هم في النهاية من يقلبون الطاولة على الجميع، وكان الأصل لو كانوا يحكمون بما أنزل الله؛ أن يفيدوا منهم ويطيعوهم في المعروف ويناصحوهم ويدعوا لهم على المنابر بالهداية والصلاح كما فعل سلفنا الصالح عليهم الرضوان، وأن ينشغلوا من قبلُ بالدعوة إلى دين الله عز وجل.. ولكن هيهات.

والأدهى: أن من يقع منه ذلك، يفعله بغير حق وباسم الإسلام الذي يجهله وعن غير رضًا عما قدَّره الله صاحب الملك الذي يؤتيه من يشاء وينزعه عمن يشاء، والأمَرّ من ذلك: أنه يقع من فصيل لا تراه إلا لاهثًا وراء كراسي الحكم، حريصًا عليه حرص اليهود على الحياة وبالمخالفة لما روي عن النبي ﷺ القائل في حديثه المتفق عليه من طريق أبي موسى الأشعري: (إنا والله لا نولي هذا العمل أحدًا سأله أو حرص عليه)([1])؛ بل لا تراه في أمر إلا وهو يقدِّم فيه بين يدي الله ورسوله، فلا آية عنده ولا حديث ولا إجماع، بل الخيانة والعمالة وخدمة أعداء الإسلام والمسلمين، ثم إحداث المظلومية من بعد كل ذلك إن هم عوقبوا على ما اقترفته أيديهم.

ونذكر من مظاهر خيانتهم للإسلام والمسلمين ما جرى عقب عاصفة الحزم التي يقوم بها التحالف العربي ضد الحوثيين الشيعة المردة المعتدين، من زيارة سرية من قِبل وفد إخواني يترأسه (محمود حسين) الأمين العام السابق لإخوان مصر و(إبراهيم منير) أمين التنظيم الدولي، لـ (إيران) دعمًا لها في مخططاتها ضد السعودية وباقي دول الخليج، وأيضًا ما كان من عبد الفتاح مورو نائب رئيس حزب النهضة التونسي أثناء لقائه مع الإبراشي ببرنامجه (العاشرة مساء) من سعيٍ جماعة الإخوان بتونس لرفع عبارة: (أن تكون الشريعة هي المصدر الرئيسي للتشريع) من الدستور التونسي مبررًا ذلك وضاربًا المثل بـ (الربا) الذي لا يمكن برأيه التعامل دوليًا بغيره، ولا ندري أين كل ذلك من قول الله تعالى: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.. النور/ ٦٣)؟!.

وهنا يُسَاءل كل مسلم منا نفسه؛ ماذا لو كان هذا المنازع واحدًا ممن يقول – مع كل هذه المخالفات – بقول الخوارج في اعتبار نفسه جماعة المسلمين على ما ألمح إليه البنا في قوله بـ (مجموعة الرسائل) ص ١٨١: "وإن أبيتم إلا التذبذب والاضطراب، والتردد بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة، فإن

([1]) وهو حديث ذكره فيمن ذكره: الإمام النووي في (رياض الصالحين) ص ١٥٨ تحت عنوان: (باب النهي عن تولية الإمارة.. لمن سألها أو حرص عليها فعرّض بها)، وقد جاء ضمن أحاديث أخرى وأبواب مشابهة.

كتيبة الله ستسير غير عابئة بقلة ولا كثرة، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم"، وصرح به مِن بعده سعيد حوى أحد منظري جماعته، حيث يقول في كتابه (دروس في العمل الإسلامي) ص ١٩: "ولا زالت دعوة الإخوان وحدها، هي الجسم الذي على أساسه يمكن أن يتم التجمع الإسلامي في العالم"، ويقول في (آفاق التعاليم) ص ١٣: "لئن كان البنا بمجموع ما حباه الله هو المرشح الوحيد؛ لأن يطرح نظريات العمل الإسلامي، فالدعوة التي أقامها تركيب ذو نِسب معينة، فمتى اختلفت هذه النسب حدث الفساد"، ويقول عن جماعته: إنها "الجماعة التي ظهرت بها الآن صيغة الحق الوحيدة المتعارف عليها خلال التاريخ، والمتمثلة بأهل السنة والجماعة"؟([1]).. والجواب – بالطبع – أنه لا يصلح أصلًا أن يكون صاحب ولاية، فضلًا عن أن تقع منه منازعة.

لقد أدى كل ما نوهنا إليه هنا لأن تُصبغ الجماعة نفسها بصبغة القيِّم على الإسلام المعبِّر عنه والممثل له، كما أداها لأن تتعسف في نصب الأدلة على ذلك، فترى سعيد حوى (في آفاق التعاليم) ص ١٥ يقرر ومعه كتيبة الإخوان، بأنهم المعنيون بقوله "عليه السلام في الحديث المتفق عليه: (أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)"، ويردف مؤكدًا هذا المعنى فيقول: "إن الأصل الذي لا يجوز أن يغيب عن المسلم، هو أنه لا بد للمسلمين من جماعة وإمام، وأن الواجب الكبير على المسلم، أن يكون ملتزمًا بجماعة المسلمين وإمامهم، وهذا هو المفتاح الأول لفهم قضية الإخوان".

وكانت نتيجة ذلك بالضرورة– على ما صدر مؤخرًا عن علماء الخوارج وأئمة الضلال –: الوقوع في هوة تكفير الغير وأن الخارج على جماعة المسلمين التي هي جماعة الإخوان، خارج عن الإسلام حلال الدم لحديث: (من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)، يقول حوى في كتابه (من أجل خطوة إلى الأمام) ص ٤٠ بعد أن ساق الحديث، ساحبًا إياه على من خالف جماعته وإمامها: "وعلى كل مسلم ألا ينتسب لتنظيم أو جهة ليست من الجماعة، لأن الطاعة لا تجوز إلا لولي الأمر من المسلمين، وتحرم على غيرهم اختيارًا".. وسيأتي أن مثل هذه الادعاءات أكبر دليل على بدعية من يتبناها ويقول بها، وأنها مدعاة لبطلان بيعات الإخوان وبيان أنها غير ملزمة ولا هي على صحيح الدين.

وتجدر الإشارة إلى أننا قد تعمدنا فيما مضى أن نحشد كلام السلف وأصحاب الحديث وأئمة العلم في مسألة (إمامة المتغلب) لنقيم الحجة على من يطعنون في هذه الإمامة وما أكثرهم، كما أن ذلك إنما جاء جريًا على دعاوى الخصم بأن ما جرى بمصر كان انقلابًا على ما تروجه قنوات الفتنة وعلماء الزيغ والضلال ومن تأثر بهما وقال بقولهما من المتعصبة والدهماء، وأنه لم يكن نتيجة حنث من د.مرسي في يمين الولاء لوطنه وشعبه، ولا خيانة منه لهما.. ولا كان نتيجة خروج الملايين في تظاهرات شعبية رآها العالم كله، وكنا نراها تستغيث من بطش الإخوان وتذهب أحياناً إلى مقر وزارة الدفاع تطالب بإسقاط حكم المرشد وإقالة د. مرسي. ولا كان جراء إخفاق برنامجه في المائة يوم وتفاقم الأزمات الحياتية بعهده.. ولا كان نتيجة إحكام قبضة جماعته على مفاصل الدولة بالمخالفة للدستور الذي كفل للشعب حق تداول السلطة وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين دون تمييز.. ولا نتيجة سعي حثيث من قِبَله لتفكيك الجيش المصري وتسريب أسرارِ له "تتسم بدرجة من السرية العالية، وتتضمن تقارير فائقة الأهمية عن القوات المسلحة وأعدادها وتسليحها وأماكن تمركزها وخططها لحماية أمن البلاد، وهي الوثائق التي كان يفترض برئيس الجمهورية أن يكون هو المطلع الوحيد على محتوياتها داخل مؤسسة الرئاسة، وذلك نظير مبلغ مليون دولار" حسب ما جاء في قرار النيابة في قضية التخابر مع دويلة قطر العميلة التي سعى وجماعته لتأجيرها قناة السويس مقابل ١٠٠ مليار دولار والانتفاع بها لمدة ٩٩ عامًا.

ولا كان إزاء وعد بإعطاء حلايب وشلاتين للسودان و ١٦٠٠ كم من سيناء لصالح إسرائيل وتعهده شخصيًا بالحفاظ على أمنها بل وبتصفية القضية الفلسطينية، وذلك قول (بيني جانتز) رئيس أركان

([1]) وبقدر ما خرّب هذا الرجل في عقول الشباب، وبقدر دعواه ودعواهم أنه رائد فكرة إحياء البعث الإسلامي في سوريا والعالمين العربي والإسلامي، وبقدر ما كان منه من شغف بما كان عليه البنا وقطب على حساب صحيح الدين والاعتقاد.. بقدر ما كان حجم الدمار والخراب الذي ***لحق سوريا بلدَه على جهة*** الخصوص والعالم العربي والإسلامي على جهة العموم.. وأتذكر أن أول ما دُعيتُ إلى قراءته كتب هذا الرجل.. لكن ألهمني الله بفضله ومنِّه إدراك ما فيها من خبثٍ ودَخَن، إذ فيها – وعلى نحو ما نرى – منهما من مصائب ومخالفاتٍ لمنهج رسولنا الأعظم ﷺ ما الله به عليه، وصدق الله: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.. النور/ ٦٣) وكل امرئ حسيب نفسه

الجيش الإسرائيلي في تصريحات لإذاعة الجيش الإسرائيلي: "إن التعاون الأمني بين مصر وإسرائيل أصبح أفضل بكثير في عهد جماعة الإخوان المسلمين، وهو ما شكل مفاجأة لم يتوقعها أحد، والرئيس مرسي فاجأني بموقفه الإيجابي من إسرائيل".. ولا كان بسبب ارتكابه أعمال تُعرّض الأمن الوطني المصري لأخطار ما وقعت فيه دول الجوار وتعرضه هو شخصيًا لتهمة الخيانة العظمى وتؤكد أنه ناقض لما أقسم عليه وناكث للعقد الذي أبرمه مع شعبه باحترام الدستور والقانون والحفاظ على استقلال الوطن وسلامة أراضيه.

ولا كان نتيجة اعترافات من قِبل جماعته تؤكد أنه ما كان للحكم بأهل، حتى يُنهى عن منازعته أو يُجعل الثائرون عليه في حكم الخوارج، ويكفي ما صرح به وزير العدل الإخواني أحمد مكي في قوله: "لا أتمنى عودة جماعة الإخوان للحكم مرة أخرى لأنهم ليسوا على دراية بشئون الحكم.. وإحنا حجة للكفرة لأننا فاشلون".. ولا كان لأجل مواد دستورية وضعها، تُحصِّنُ قراراته وتجعله فوق الدولة والدستور والقانون.. ولا كان جراء عدم إنفاذ وعدٍ منه بنزوله على رأي الشعب في حال مطالبته بعزله، وقد خرج بالملايين في تظاهرات شعبية رآها العالم كله بميدان التحرير تستغيث من بطش الإخوان وتطالبه بذلك.

ولا نتيجة حشود كانت تخرج بالملايين لذات الغرض في جل ميادين مصر، ومثلها كانت متحمسة لفكرة تمرد لإجباره – بعيدًا عن إراقة الدماء – على التخلي عن منصبه([1])، بعد أن جمعت لذلك ما يقدر بـ ٢٢ مليون عريضة.. ولا كان عقب إعطاء مهلة يومين وقبلها أسبوع من قبل القيادة العامة للقوات المسلحة – باعتبارها المؤسسة العسكرية المنوط بها الحفاظ على أمن البلاد – تطالبه بالتوافق مع جميع القوى السياسية لحل الأزمة وتلبية نداءات الشعب ولكن دون جدوى.. ولا كان بسبب رفضه المطلق بعمل انتخابات مبكرة يكون هو طرفًا فيها لمعرفة ما إذا كان غالبية الشعب ترغب – بعد كل ما ذكرنا – في عودته أم لا؟.. وأنه قد تبع كل ذلك تولي أعلى جهة قضائية وهو رئيس المحكمة الدستورية لمدة عام، ووضع دستور جديد، ثم إجراء انتخابات حصل الرئيس الحالي (عبد الفتاح السيسي) بموجبها على:

١٠٤ ، ٧٨٠ ، ٢٣ صوت وقد شهد بنزاهتها عشرات المنظمات الأجنبية والحقوقية على الرغم من الحملات المضادة ودعوات المقاطعة من قِبَل الإخوان وأشياعهم، في نسبة مشاركة([2]) تقدر بـ ٤٧ %، فيما حصل د. مرسي في انتخابات (الإعادة) في ٢٠١٢ على:

١٣١ ، ٢٣٠ ، ١٣ صوت، في نسبة مشاركة تقدر بأقل من ٥٢ % منها نسبة لا يستهان بها لم تصوت قناعة به ولكن رفضًا لمنافسه (أحمد شفيق) الذي لا يزال حتى الآن يشكك في نزاهة هذه الانتخابات.

الأمر الذي يكذب بشدة ما روجته جماعة الإخوان ولا زالت من أن ما جرى كان انقلابًا، وبخاصة مع اعتراف شعوب ورؤساء العالم وحكماء أفريقيا على جهة الخصوص بأنه بالفعل لم يكن انقلابًا، وأن ما تروجه قنوات وعلماء الفتنة وأبواق ما أطلقوا عليه (الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين) ومن تأثر بهم ممن لا زالوا مغيبين عن الواقع وعن صحيح المعتقد، كذب وافتراء.. وعلى افتراض كان انقلابًا؛ فعقيدة المسلمين وإجماع أهل السنة والجماعة – كما رأينا – على شرعية ومشروعية إمامة المتغلب صاحب الشوكة والسلطان كما نص على ذلك شيخ الإسلام وسائر أئمة الهدى على مدار القرون المتطاولة، ومن ثم فالطعن في كلامهم ومعتقدهم: طعن في (إجماع الأمة) أحد مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن والسنة.

ولا يملك أي منصف تجاه هذه الصورة المتكاملة للمشهد المصري، وتجاه جرائم الإخوان في ١٤، ١٥/ ٥/ ٢٠١٥ فقط على سبيل المثال – وفيها: (٨٠ إخوانيًا أحرقوا المبنى الإداري لنيابة مدينة السادات بالمنوفية)، (٦ ملثمين اغتالوا أمين شرطة كرداسة أحمد عبد الله أثناء عودته إلى منزله)، (انفجار محدث

([1]) ولو أنه فعل لدرء فتنًا عظيمة ولحقن دماء غزيرة؛ ولنا في (عثمان بن عفان) و(الحسن بن علي) المثل.. لكن أنّى وجماعته من أحرص الناس على الإمساك بكراسي الحكم وأستاذية العالم، بل لا نبالغ إذا قلنا: إنها ما تأسست إلا على هذا؟.

([2]) شابها التزوير والتعجيل بإظهار نتيجة غير معبِّرة عن الواقع، وقد حكا بعضهم أن أمرًا صدر من فضيلة المرشد لبعض القضاة المتعاطفين معهم أن (زوِّروها لله)، وآخر قد زاد في النتيجة ٥٠ ألف صوتًا أيضًا حسبة لوجه الله.. وما خفي كان أعظم

صوت بالقرب من مركز شرطة الدلنجات بالبحيرة)، (تفكيك ٧ عبوات ناسفة قبل انفجارها أسفل برجي كهرباء بالفيوم)، (وفاة الطالب أنس المهدي بجامعة القاهرة متأثرًا بإصابته باشتباكات الإخوان والأمن الإداري)، (إبطال مفعول قنبلة صوتية قرب الصالة المغطاة في مركز طيبة شمال الأقصر)، (سماع دوي إطلاق رصاص قرب محور ٢٦ يوليو بالجيزة)، (دوي انفجار بجسر السويس)، (مصرع ٢ وإصابة آخر بانفجار اسطوانة أكسجين أثناء قيام العمال بإجراء الصيانة الدورية داخل محطة كهرباء الكريمات بدائرة مركز أطفيح)، (ضبط الإخواني شريك قاتل ميادة أشرف.. يرشد عن مخزن أسلحة وذخيرة بعين شمس)، (العثور على قنبلة بمحيط مسجد الرست بوادي النطرون بالبحيرة)، (بالفيديو: اندلاع حريق هائل في مدرسة بجوار قصر الأمير طوسون في روض الفرج)، (مصدر مسئول بوزارة الكهرباء والطاقة المتجددة: ٧٠٠ ألف جنيه خسائر استهداف ٤ أبراج كهرباء)، (انتشار مكثف لقوات الشرطة بمدينة الفيوم إثر وقوع انفجارين)، (كسر ماسورة مياه رئيسية تغرق شوارع المعادي)، (وزارة الكهرباء تعلن العثور على قنابل بـ ٣ خطوط بالشرقية)، (حزب النور: الإخوان تتاجر بوفاة فريد إسماعيل)، (بالصور: جنازة عسكرية لأمين شرطة بالوراق بعد اغتياله وصديقه على يد مسلحين)، (جنازة عسكرية لشهيد سيناء في الدقهلية.. وهتافات ضد الإخوان والإرهاب)، (مجهولون يفجرون برج كهرباء في مركز القوصية بأسيوط)، (حريق هائل بأحد المحلات في العمرانية)، (انفجار عبوة بدائية الصنع وإبطال ٣ أخرى أسفل برج كهرباء بقرية العصلوجي مركز الزقازيق بالشرقية)، (اندلاع حريق في مدرسة الصنايع بديرب نجم وفزع الطلاب بلجان الامتحانات)، (قطع التيار عن مدينة نجع حمادي بسبب تفجير برجي كهرباء)، (الإخوان استهدفوا برجي كهرباء نجع حمادي بـ ٨ عبوات ناسفة)، (مصدر أمني: الإرهابيون يفجرون برجي كهرباء في قرية أبو عموري بقنا)، (إرهابيون يفجرون برجي ضغط عالي بقنابل في البحيرة ما أدى لتحطيم البرجين وسقوطهما، وإحباط تفجير قنبلتين أخريين)، (مجهولون يقطعون طريق طنطا – كفر الشيخ ويشعلون النيران في إطارات السيارات)، (بالصور: حريق يلتهم ١٠ أفدنة قرب كارتة الإسماعيلية)، (انفجار عبوة ناسفة بجوار نقطة شرطة الحامولي بالفيوم).. وهي مجرد نماذج لأحداث ٤٨ ساعة فقط، ناهيك عما وقع قبل ويقع بعد ودومًا، وعما تفعله أجنحة الإخوان العسكرية وعلى رأسها حماس وبيت المقدس بسيناء([1]).

أقول: لا يملك أي منصف تجاه كل ما ذكرنا إلا أن يصف الإخوان بـ: "١-الخروج عن طاعة الحاكم القوي الذي ارتضاه وائتمنه وشهد له د. مرسي بقوله في ٣/ ٥/ ٢٠١٣: (لديه عقلية هندسية متميزة بالإضافة إلى تكوينه العسكري المتميز)، والتي أوجبها الله على المسلمين لأولياء أمورهم، ٢-وأن خروجهم، من جماعة قوية لها شوكة وقوة، بحيث يحتاج الحاكم في ردهم إلى الطاعة، إلى إعداد رجال ومال وقتال، ٣-وأن لهم تأويلًا سائغًا يدعوهم للخروج على حكم الإمام، ٤-ولهم رئيس مطاع يمثل مصدر قوتهم، لأنه لا قوة لجماعة لا قيادة لها"إ.هـ.

وأساءل هنا والآن ضمائر كل قيادات العمل الإسلامي على مستوى الكرة الأرضية، وكل الجماعات والمنظمات والاتحادات والجماعات الإسلامية، واتحاد علماء المسلمين، وتحالف دعم الشرعية، ألا تنطبق هذه السمات – التي ذكرها الشيخ سيد سابق في كتابه (فقه السنة) ٣/ ٧١ بحق البغاة – على أولئك الذين إزاء وضع صورة عكسية لمنازعة الأمر أهله، والذين لا يزالون يسَوِّقون الأمر على أنه كذلك ويرون قتال الولاة من غيرهم والخروج عليهم بما يحسبونه ظلمًا، بل ولا يزالون يُخططون لأعمال التدمير والتخريب والإفساد في المنشآت العامة والخاصة، ولأعمال التفجير والتقتيل في قضاة وقادة وضباط وجنود المجتمع المصري بخاصة والعربي عامة؟.

كما لا يملك أي منصف تجاه ما ذكرنا أن يعطي للإخوان الحق في مصادرة ما يشهد به الشرع والعقل والواقع، ولا مصادرة قناعات سواد المسلمين الأعظم في عدم أحقية الإخوان فيما يرتكبونه من فساد طال مداه وبلغ حدًا لم يعد يطاق بسبب أفهام مغلوطة، ولا مصادرة حِكمة الله وإرادته في قانوني الاستبدال والاستخلاف.

([1]) تلك هي بعض التكليفات والإفرازات الناتجة عن البيعات الباطلة على الطاعة المطلقة والمنفلتة.

المبحث الثالث
سفهاء التنظيم الدولي..
يجتمعون على تدمير مصر (كنانة الله في أرضه)
لأجل كرسي الحكم، وبالمخالفة لما عليه شرع الله وعقيدة السلف.. والأزهر يرد أباطيلهم

ونقرأ في هذا: ١٥٠ عالما من ٢٠ دولة يصدرون «نداء الكنانة» ويفتون بوجوب التصدي لانتهاكات (السيسي)

27-05-2015الساعة ١٨:٢٢ | أسماء العتيبي

وتقول تفاصيل الخبر: أصدر أكثر من ١٥٠ عالم من ٢٠ دولة علي مستوي العالم، اليوم الأربعاء، بيانا يندد بانتهاكات الانقلاب العسكري في مصر، ويفتي بوجوب التصدي لهذه الانتهاكات تحت عنوان (نداء الكنانة).

وتشمل قائمة الموقعين على البيان علماء من المملكة العربية السعودية ومصر وتركيا وسوريا واليمن وفلسطين والهند وباكستان وماليزيا وغيرها.

ولفت البيان -الذي وصل للخليج الجديد نسخة منه- أن «المنظومة الحاكمة في مصر منظومة مجرمة قاتلة، انقلبت على إرادة الأمة واختيارها، وخطفت رئيسها الشرعي المنتخب، واغتصب قائد الانقلاب كرسي الرئاسة بانتخابات صورية مزورة»

وشدد البيان على أنه "يجب شرعًا على الأمة حكامًا وشعوبًا، مقاومة هذه المنظومة، والعمل على كسرها والإجهاز عليها بالوسائل المشروعة كافة؛ حفاظًا على ثوابت الأمة، وحرصًا على المقاصد العليا للإسلام»، مؤكدا أن «موالاة الصهاينة المعتدين ودعمهم وحمايتهم، ومعاداة المقاومة الفلسطينية، والتآمر عليها، وحصارها من خلال تدمير سيناء وتهجير أهلها، يعدُّ خيانة للدين والوطن، وتفريط في مسرى رسول الله».

وعن القصاص من قتلة الثوار قال البيان «الحكام والقضاة والضباط والجنود والمفتين والإعلاميين والسياسيين، وكل من يَثْبُتُ يقينًا اشتراكُهم، ولو بالتحريض، في انتهاك الأعراض وسفك الدماء البريئة وإزهاق الأرواح بغير حق .. حكمهم في الشرع أنهم قتَلةٌ، تسري عليهم أحكام القاتل، ويجب القصاص منهم بضوابطه الشرعية»، لافتا إلى أن «الدفاع بأية وسيلة مشروعة عن النفس والعرض والمال حق مشروع، بل واجب شرعي».

وأكد العلماء الموقعون على هذا البيان أن الرئيس «محمد مرسي» هو الرئيس الشرعي للبلاد، وأن الإجراءات اللاحقة التي اتُّخذت معه، والأحكام التي صدرت بحقه وحق الرافضين للانقلاب باطلة شرعا، ومنعدمة قانونًا، ويجب على الأمة شرعًا السعي في فكاك حاكمها المنتخب وتحريره من أسره.

وقال البيان أن «حضور شيخ الأزهر مشهد الانقلاب، وصمته عن جرائمهم، جريمة شرعية تُسقط شرعيته، وتهدر مكانته، وتجعله شريكا للمجرمين في كل ما اقترفوه، وتشوه تاريخ الأزهر المجيد، وتفسد حاضره، وتدمر مستقبله»، محملا مفتي مصر المسؤولية الشرعية والجنائية عن الأرواح البريئة التي وافق على إعدامها.

وطالب البيان «الحكام والملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية وأهل العلم والمثقفين والأحرار كافة في العالم، بسرعة السعي لحماية مصر من إجرام تلك المنظومة الطاغية، وردعهم عن القتل والسفك والسلب والإفساد والتدمير، والانتصار لإرادة الشعب وخياراته».

واختتم العلماء بيانهم بمطالبة «القوى التي تعارض الانقلاب والأحرار في مصر وخارجها أن يتوحدوا صفًّا واحدا في مقاومة هذه المنظومة المجرمة، مستخدمين الوسائل المناسبة كالعصيان المدني وغيره، لتطهير البلاد من طغيان الانقلابيين، وجرائمهم، والانتصار لدماء الشهداء».

ومن أبرز الموقعين علي البيان كل من الهيئات كل من «رابطة علماء أهل السنة»، و«جبهة علماء ضد الانقلاب»، و«هيئة علماء فلسطين في الخارج»، و«هيئة علماء المسلمين في لبنان»، و«مركز تكوين العلماء في موريتانيا»، و«رابطة علماء المغرب العربي»، و«الاتحاد العالمي لعلماء الأزهر»، و«نقابة الدعاة المصرية».

ومن الشخصيات البارزة ضمن الموقعين علي البيان: د.«أحمد الريسوني» نائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ود.«عبد المجيد الزنداني» رئيس هيئة علماء اليمن، والشيخ «محمد الحسن الددو» رئيس مركز تكوين العلماء في موريتانيا، ود.«عبد الوهاب الديلمي» وزير العدل اليمني سابقا، والشيخ «سلمان الحسيني الندوي» رئيس جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بالهند، ود.«جمال عبد الستار» أستاذ الدعوة بجامعة الأزهر والأمين العام لرابطة علماء أهل السنة، والشيخ «محمد عبد المقصود» الداعية الإسلامي، والشيخ «عبد الخالق الشريف» من علماء الأزهر الشريف.

وفيما يلي نص البيان

بسم الله الرحمن الرحيم: بيان من علماء الأمة بشأن جرائم الانقلاب في مصر والواجب نحوه/ في ٦ شعبان ١٤٣٦هـ ٢٤ مايو ٢٠١٥م.

الحمد لله والصلاة، والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد،،

نظرًا لما يحدث في مصر الكنانة – منذ قرابة عامين - من سفك للدماء المحرمة، وهتك للأعراض المصونة، وإزهاق للأرواح البريئة، ونهب الأموال، وتكسير الممتلكات الخاصة، وتدمير للبلاد، وتهجير للآمنين، ومعاداة فجة للإسلام والمسلمين، بمحاربة لمنهجه، وقتل لعلمائه، وتطاولٍ على قيمه وثوابته ومقدساته، وموالاة لأعدائه، ومعاداة لأوليائه؛ فإننا - صدعًا بالحق، ودفعًا للباطل، وبيانًا للناس، كما أمرنا الله تعالى - نعلن للأمة الموقف الشرعي من هذا النظام، والواجب نحوه، والمتمثل في النقاط الآتية:

١. أن المنظومة الحاكمة في مصر منظومة مجرمة قاتلة، انقلبت على إرادة الأمة واختيارها، وخطفت رئيسها الشرعي المنتخب، واغتصب قائد الانقلاب كرسي الرئاسة بانتخابات صورية مزورة، وجمع في يده السلطات جميعا، بما فيها سلطة التشريع، وسن قوانين جائرة، تكمم الأفواه، وتجفف منابع الحياة بشكل شامل .. هذه المنظومة قتلت الآلاف بغير حق، واعتقلت عشرات الآلاف بلا مسوِّغ، وحكمت بالإعدام والسجن على الآلاف من خيرة رجال مصر ونسائها في قضايا ملفقة، وطاردت الآلاف داخل مصر وخارجها، وشردت آلاف الأسر، وظاهرت أعداء الأمة عليها، وفصلت تعسفيًّا مئات القضاة وأساتذة الجامعات والمدرسين والأئمة والخطباء وغيرهم؛ فارتكبت -بذلك وغيره - المنكرات كلها، وانتهكت الحرمات جميعها.

٢. يجب شرعًا على الأمة: حكامًا وشعوبًا، مقاومة هذه المنظومة، والعمل على كسرها والإجهاز عليها بالوسائل المشروعة كافة؛ حفاظًا على ثوابت الأمة، وحرصًا على المقاصد العليا للإسلام.

٣. أن موالاة الصهاينة المعتدين ودعمهم وحمايتهم، ومعاداة المقاومة الفلسطينية، والتآمر عليها، وحصارها من خلال تدمير سيناء وتهجير أهلها، يعدُّ خيانة للدين والوطن، وتفريط في مسرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، لا تصدر إلا عن عدو لله ورسوله والمؤمنين، والله تعالى يقول: "..وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّه مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" [سورة المائدة: ٥١].

٤. أن الحكام والقضاة والضباط والجنود والمفتين والإعلاميين والسياسيين، وكل من يَثْبُتُ يقينًا اشتراكُهم، ولو بالتحريض، في انتهاك الأعراض وسفك الدماء البريئة وإزهاق الأرواح بغير حق .. حكمهم في الشرع أنهم قتَلةٌ، تسري عليهم أحكام القاتل، ويجب القصاص منهم بضوابطه الشرعية،

والله تعالى يقول: "من قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاس جمِيعًا". [سورة المائدة: ٣٢].

٥. يؤكد العلماء الموقعون على هذا البيان أن الأستاذ الدكتور محمد مرسي هو الرئيس الشرعي للبلاد، وأن الإجراءات اللاحقة التي اتُّخذت معه، والأحكام التي صدرت بحقه وحق الرافضين للانقلاب باطلة شرعا، ومنعدمة قانونًا، ويجب على الأمة شرعًا السعي في فكاك حاكمها المنتخب وتحريره من أسره.

٦. أن كل من تم اعتقاله من قِبَل هذه المنظومة الإجرامية بسبب رفضه للانقلاب ومطالبته باحترام إرادة الأمة وحريتها، وبخاصة النساء، يجب على الأمة السعي في بذل كلّ غالٍ وثمين، في سبيل تحريرهم، وفكاك حبسهم، بالوسائل المشروعة في دين الله.

٧. أن معاونة هذه المنظومة الإجرامية ومساعدتها على الاستمرار بأية صورة من الصور هو من المحرمات شرعًا، والمجرمات قانونًا، ومشاركة صريحة في الجرائم التي ترتكبها، ومرتكب للنهي في قول الله تعالى: "وَلا تَرْكَنُوا إِلى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمسَّكمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ". [سورة هود: ١٣].

٨. أن حضور شيخ الأزهر مشهد الانقلاب، وصمته عن جرائمهم، جريمة شرعية تُسقط شرعيته، وتهدر مكانته، وتجعله شريكا للمجرمين في كل ما اقترفوه، وتشوه تاريخ الأزهر المجيد، وتفسد حاضره، وتدمر مستقبله.

٩. نحمِّل مفتي مصر المسئولية الشرعية والجنائية عن الأرواح البريئة التي وافق على إعدامها، ونحذره من مغبة التمادي في التوقيع بالموافقة على المزيد من أحكام القتل الجائرة الطاغية، وما قد ينتج عن هذه الأحكام من مفاسد عظيمة على المستويات جميعا، وقد لا يخفى عليه – وهو من الموقعين عن رب العالمين! - أنه ليس في القتل ولا في الزنا إكراه، فلا حجة له في الدنيا ولا في الآخرة إن صدّق على قتل الأبرياء.

١٠. أن الدفاع بأية وسيلة مشروعة عن النفس والعرض والمال حق مشروع، بل واجب شرعي، لا يملك أحد أن يمنعه أو يمنحه، فللمعتدَى عليه صدُّ المعتدِي بذاته دون غيره، وبالقدر الواقع عليه دون تعدٍّ أو تفريط، قال تعالى: "وَلَمَنِ انتَصر بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" [سورة الشورى: ٤١-٤٢].

١١. نطالب الحكام والملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية وأهل العلم والمثقفين والأحرار كافة في العالم، بسرعة السعي لحماية مصر من إجرام تلك المنظومة الطاغية، وردعهم عن القتل والسفك والسلب والإفساد والتدمير، والانتصار لإرادة الشعب وخياراته.

١٢. يستهجن العلماء الموقعون على هذا البيان موقف الدول الداعمة لانقلاب، والموقف الدولي المدعي احترام حقوق الإنسان وخيارات الشعوب، ويناقض ذلك كله بدعمه للأنظمة الانقلابية وتعامله معها، ويحملونهم المسئولية القانونية عن الدماء التي سالت، والأرواح التي أزهقت، ظلما وعدوانا .. ويثمّنُون – في الوقت نفسه - مواقف الدول والمنظمات الحقوقية والعلماء والإعلاميين والسياسيين وغيرهم ممن وقفوا ضد قمع الشعب المصري وأحكام القتل بالجملة، وسوف يسجل التاريخ لهؤلاء وأولئك مواقفهم وأعمالهم.

١٣. نطالب القوى التي تعارض الانقلاب والأحرار في مصر وخارجها أن يتوحدوا صفًّا واحدا في مقاومة هذه المنظومة المجرمة، مستخدمين الوسائل المناسبة كالعصيان المدني وغيره، لتطهير البلاد

من طغيان الانقلابيين، وجرائمهم، والانتصار لدماء الشهداء، وَسيَعْلم الَّذين ظَلموا أيَّ مُنقلَبٍ يَنقَلِبُونَ..
المصدر / الخليج الجديد

الرد على بيان (نداء الكنانة):
حول ادعاء الشرعية للرئيس الأسبق عقب اتهامه بالخيانة وأن كسر الانقلاب واجب على كل مسلم

وقد جاء ردنا بعنوان: نداء إلى (دعاة الفتنة.. أعداء الكنانة): الذين يكفرون أهلها ويستحلون دماء جندها المدافعين عنها.. لا يصلح أن يكونوا أئمة للمسلمين ولا حكامًا عليهم، وجاء فيه:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه إلى يوم الدين.. وبعد:

فواضح أن هذا البيان المشئوم المسمى بـ (نداء الكنانة) الذي فُتن به علماء وأناس كثيرون، لا يعدو أن يكون مجرد مظلومية تفوق مظلومية الروافض، وسعيٍ حثيثٍ لتدمير مصر وتفكيك جيشها وتشريد أهلها باسم الدين، وهو بعدُ بمثابة إقرار ورضا ومتابعة وتأييد مطلق لمنكرات وظلم وبغي الإخوان الذين يدمرون ويفجرون ويخربون ويفسدون ثم يُظهرون أن الدولة هي وراء ذلك، والذين فشلوا في إدارة شئون البلاد ومن قبل في الدعوة إلى صحيح الدين ويُحمِّلون الشعوب نتيجة فشلهم، والذين يبدؤون بالبغي وسفك دماء الموحدين التي حرم الله عمدًا دون ما مبالاة وفي الأشهر الحرم أحيانًا وإذا ما نفذ شرع الله فيهم يعترضون بشدة ويَشْكُون حُكم الله للعالم أجمع.. كما لا يعدو البيان أن يكون مجرد سلسلة من قول الزور والبهتان ومن الأغاليط والأضاليل والأراجيف والتلفيقات والأكاذيب التي اعتدناها من جماعة الإخوان لتغيير الحقائق التي بدأت تتكشف للعالم كله يومًا بعد يوم.

والنداء – فضلًا عن كل ذلك – صادر ضد إرادة السواد الأعظم لشعب الكنانة، وعمن يعيشون الوهم ويتجاهلون واقع مصر والمصريين، وعمن يقدسون الهوى ولا يعظمون الآية والحديث والإجماع، ولا يعتدُّون بمعتقد أهل السنة والجماعة في إمامة المتغلب على افتراض أن الأمر كان كذلك، ونقول لهم: إن ما يصدر عنكم في البيان كان أولى أن يكون حول فتاواكم ومصائبكم وجرائمكم في ليبيا وسوريا والعراق واليمن التي تسيل دماء المسلمين فيها أنهارًا إنفاذًا لمخططات أعداء الإسلام، كما أنه يعد دليلًا دامغًا على حرصكم ومن ينفذون أمركم من جماعة الإخوان على السلطة؛ ومن ثم عدم أحقيتكم وإياهم لها.. فشغبكم وتحريضكم على سفك دماء المصريين هو من جنس شغب وتحريض الإخوان وحلفائهم، فهو مُنْصبٌّ على الخروج بغير حق على الإمام المتغلب وعلى أحكام ومعتقد أهل السنة في هذه المسألة، وأيضًا على إرجاع من خان وطنه وشعبه وأطاع فيهما جميع أعداء الإسلام من غرب ويهود وشيعة[1]،

([1]) وبشكل فج، ومعلوم بنص القرآن أن اليهود هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وأنهم وأقرانهم من نصارى الغرب لا يكفون عن الكيد للإسلام وأهله، وأن الشيعة هم من يكفِّرون الصحابة وعلى رأسهم خليفتا رسول الله أبو بكر وعمر، ويتقربون إلى الله بلعنهم ولعنهما بخاصة وابنتيهما من زوجات الرسول ﷺ، ويعتقدون في أئمتهم العصمة وعلم الغيب وتدبير الكون وأن منزلتهم فوق منزلة الرسل، ويشككون في قرآننا وأنه محرف وأن صحيحه غاب بغيبة الإمام (عج)، ويختلفون معنا في المصدر الثاني للتشريع وكتبهم مليئة بالأحاديث المكذوبة، ويطعنون في زوجات وعرض رسول الله ﷺ، ويكفرون كل من خالفهم من أهل السنة في ذلك أو في أيٍّ منه، ويستحلون مما حرم الله: الشرك باسم التقرب بعليٍّ والحسين والزهراء إلى الله زلفى، وترك ما صح عن النبي باسم الأخذ مباشرة عن أهل البيت، والكذب باسم التقية، والزنا باسم المتعة، والنياحة باسم الثأر للحسين، والسرقة باسم الخمس، إلخ.. وبسوئه أو التماسه في أفكار الأصاغر والحمقى رأينا من مخلصي جماعة الإخوان من يقول كما في كتاب (وقفات مع الدعاة فقط) ص ٥٣: "إذا فعل الإخوان وأيدوا الثورة الخمينية أو الشيعة، فهم على حق"، ومن يقول من منظريهم:

"إن الفرق بيننا وبينهم كالفرق بين مذاهب أهل السنة الفقهية (الحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية)"، بل رأينا إمامهم البنا يسعى بشغف للتقريب معهم ويوثق صلاته بكثير من رجالاتهم كـ (آية الله الكاشاني ونواب صفوي وكاشف الغطاء) وغيرهم، على ما جاء في بيان إخوان الأردن عقب ثورة الخوميني، كما رأينا منهم من يتحالف معهم ضد أهل السنة كأشاوسة حركة (حماس)، ومن يوجب مناصرتهم وتأييدهم على ما جاء في بيان إسماعيل الشطي أحد رموزهم وهو يرد على السلفيين الذين يخالفونهم الرأي وذلك في عدد (٤٥٥) من مجلة المجتمع اللسان الناطق لإخوان الكويت، ورأينا كذلك فيما بعد من ابتليت به مصر حاكمًا مندوبًا عنهم وهو د. مرسي، يسمح – إثر اتفاق تم بمقر حزب التحالف الناصري – باستجلاب أكثر من ١٠ مليون سائح شيعي لمصر سنويًا تحت ما أسماه الأمين العام للمجلس الأعلى لآل البيت بـ (المشروع النهضوي للعتبات المقدسة)، وبتشييد ٥ حسينيات في القاهرة و١٠ مراقد في أسوان وتحويل ٦ آلاف مرقد لحسينيات، وبتدشين أكبر دار نشر شيعية بشارع مجلس الأمة بحي السيدة زينب بالقاهرة لطباعة وتوزيع ضلالاتهم، وذلك بعد أن سمح لنفسه أن يصافح تلك الأيدي الآثمة التي تلطخت بدماء مئات الآلاف من المسلمين السوريين واللبنانيين والأحوازيين والعراقيين، وأن يبسط لهم يده بالمحبة والولاء والسلام والوئام، الأمر الذي أثار حفيظة سلفيي مصر المحروسة فكانت مليونيتهم التي جعلوها ساعتها بعنوان: (هم العدو فاحذرهم) في مسجد عمرو بن العاص، والحمد لله فقد رأينا من يوقف هذا البلاء عند حدِّه ومَنَّ على مصرنا بولي أمرٍ – حفظه الله على طاعته – يساهم مع إخوانه في التصدي للحوثيين الآن باليمن على حدود البلد الحرام، وكان شيعة كسرى قد وعدوا باحتلالها واستردادها من أيدي آل سعود؟!.

وأذكر أن ثمة رسالة وجهت للدكتور مرسي وقد قربهم إليه واتخذ منهم واحدًا في مجلس شوراه، وكانت الرسالة بعنوان:

فخامة الرئيس..(هم العدو فاحذرهم.. قاتلهم الله أنى يؤفكون):

وجاء فيها ما نصه: فخامة الرئيس د. محمد مرسي رئيس ج. م. ع.. سلام عليكم من الله، ورحمة منه وبركة.. وبعد: فلما كانت النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم من لوازم هذا الدين وواجباته، وكنت أنتَ يا فخامة الرئيس الذي بيده زمام أمورهم في بلد الأزهر والإسلام، والذي قال (أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم).. وجب النصح، والقول بكل صراحة:

إنه وبلا مقدمات، وبخصوص توالي الأنباء يومًا بعد يوم عن تعاون مزمع مع دولة إيران الصفوية، ومع ما نسمعه ونقرأه ونشاهده من إصرار من حكومتكم على إيجاد علاقة حميمة تربطنا بشيعتها وكذا شيعة العراق.. فمن زيارة من وزير السياحة تهدف إلى تنظيم رحلات بين البلدين وبحث سبل التعاون فيما بينهما والعمل على استجلاب أكثر من ١٠مليون سائح شيعي لمصر سنويًا تحت ما أسماه الأمين العام للمجلس الأعلى لآل البيت بالمشروع النهضوي للعتبات المقدسة.. ومن استغلال لهذا الوضع المتأزم بمصرنا نتج عنه ظهور جيل من المتشيعين المصريين على رأسهم ٥٠ معممًا كانوا قد سافروا إلى إيران سرًا عبر سوريا والعراق وحصلوا على دراسات عليا بالحوزات العلمية الإيرانية بمدينة (قم)، بعدما تعلموا العلوم الشرعية علي المذهب الشيعي الاثني عشري ليصبحوا وكلاء لهذا المذهب في مصر.. ومن أنباء عن تشييد ٥ حسينيات في القاهرة و١٠ مراقد في أسوان وتحويل ٦ آلاف مرقد لحسينيات وأموال تتدفق من هنا وهناك لتحقيق هدف التغلغل الشيعي بمصر بشتى الطرق.. ومن تدشين لأكبر وأخطر دار نشر شيعية بمصر وتحديدًا بشارع مجلس الأمة بحي السيدة زينب لطباعة وتوزيع ضلالاتهم.. ومن اتفاقيات مشبوهة بين البلدين تقضي بتوريد القمح ودعم مشروع الضبعة وتنفيذ مشروع قناة طابا العريش والسياحة الشيعية مقابل التطبيع وتصدير اليورانيوم لإيران.. ومن استغلال لأوضاعنا السيئة وقروض سمعنا عنها مؤخرًا تُعطى من قِبلهم بسخاء لبلادنا وشعبنا نظير ما سبق ذكره.. ومن أمل لديهم في تحقيق أطماعهم وأهدافهم التوسعية في بلادنا بدأ بزيارتكم لإيران للمشاركة في أعمال مؤتمر دول عدم الانحياز لتسليم إيران رئاسة الدورة القادمة.. إلخ.

فإن ثمة تساؤلات تطرح نفسها تجاه هذا التعاون المشبوه.. إذ كيف لنا أن نعمل على مغازلة الشيعة وعلى التقريب فيما بيننا وبينهم، ونحن على يقين بأن هذا من الأمور التي يأباها الشرع الحنيف، لما هو معروف من أن هذه الدولة تقوم على أساس عقدي لن تتخلى عنه بحال، ولما يحدثه ذلك من خلل في عقيدة الولاء والبراء حيث إن من مبادئهم: (ألاّ ولاء إلا براء) يعني: لا يُتولى أهل البيت حتى يُتبرأ من أبي بكر وعمر، كما أنهم يوالون في المسلمين أعداءهم، وفي شأنهم يقول الحافظ ابن كثير في تفسير (والسابقون الأولون.. الآية) بعد أن تكلم عن قبيح فعالهم تجاه الصحابة ومعاداتهم: إنهم "يسبون مَن رضي الله عنهم، وأما أهل السنة: فإنهم يترضون عمن ﷺ ، ويسبون من سبه الله ورسوله ويوالون من يوالي الله ويعادون من يعادي الله".. بل ولما يحدثه التقارب من فتنة في بلادنا للسذج وعوام المسلمين وما أكثرهم، ولما بدا كذلك من أفواه وصدور أولئك الشيعة تجاه أهل السنة في كل مكان في العالم مذ أن ابتلوا بهم وحتى يوم الناس هذا؟!.. ثم كيف يتم التعاون بهذا الشكل المزري مع دولة ما قامت إلا على البغي والعدوان واحتلال أراضي الغير بالقوة على ما هو حاصل الآن من احتلال إيران للأهواز العربية ولجزر الإمارات؟!.. وكيف تتربع إيران على قمة الحركة وتُخَوَّل لها رئاستها وهي بلا أدنى مبالغة منحازة ضد أهل السنة وأشد الناس عداوة للذين آمنوا، وأشد قسوة ودموية عليهم من اليهود والذين أشركوا وما يجري في الشقيقة سوريا أكبر شاهد على هذا؟.

ما كنا نحب لك يا فخامة الرئيس أن يجري على يديك ما نحن على يقين من أنه يضر بحاضر ومستقبل بلادنا ولا ينفع، ولا أن تخاطر بأمر يضر شعبك ولا يُحمد عقباه، ولا أن تصافح هؤلاء الأوغاد الملطخة أيديهم بدماء إخوتنا في سوريا والأهواز والعراق ولبنان، ولا أن تذهب إلى بيتهم فيحسب عليك أنك توَدّهم وتبسط لهم يدك بالمحبة والوئام وإن لم تكن هذه رغبتك.. ألم يأتك فخامة الرئيس نبأ المذابح الجماعية التي تجري الآن في سوريا الحبيبة على يد بشار الشيعي وقد راح ضحيتها وعلى مدار أكثر من عام ونصف ما يربو من المائة ألف قتيل حسب مصادر موثوق بها، من بينهم نساء وأطفال ومُسِنُّون ورضَّع وعجزة، وكان ضمن ذلك ما جري يوم السبت ٢٥/ ٨/ ٢٠١٢ الذي راح ضحيته أكثر من ٤٤٠ شخص، ويوم الاثنين ٢٧/ ٨ وقد راح ضحيته – حسب الهيئة العامة للثورة السورية فيما عرف بمذبحة داريا – ما يربو عن ٤٠٠، قتلوا جميعًا بمُدى وسكاكين ودانات ورشاشات وخناجر وإعدامات وطائرات عصابة الأسد المسنودة والمدعومة بشكل واضح وفاضح من إيران وعلى مرأى ومسمع من العالم كله؟.. ألم يأتك نبأ عشرات الآلاف من المشردين والمعذبين والضحايا والثكالى واليتامى والمقطعي الرءوس والأطراف، والبيوت المدمرة والمهدمة على ساكنيها على يد بشار ونظامه، وقد سقط في الأسر وعلى يد الجيش الحر ضمن من سقط، ما يقرب من ٤٨ من الحرس الثوري الإيراني وهم متلبسون بفعل كل ذلك وبقتل أخوتنا ومسلمينا في سوريا وقنصهم، بعد أن لم يكفهم دعم هذا النظام الدموي بالعدة والعتاد، وكان جواب (رياض الأسعد) قائد الجيش الحر حين سؤل عن ذلك بأهرام ١٣/ ٨/ ٢٠١٢ ص٧ وبالحرف الواحد: "إيران متورطة في دعم نظام بشار الأسد، ولولا هذا الدعم ما بقي النظام متماسكًا حتى الآن، فهي تقدم له الدعم المالي وتمده بالرجال وبالعتاد، وهي حليف استراتيجي للنظام في سوريا، وقد احتجزنا هؤلاء لتورطهم في أعمال قتل لأبناء الشعب السوري"؟.

ألم تسمع يا فخامة الرئيس تصريحات قادة إيران قبيل المؤتمر بساعات، ومنها قول بعضهم: إن (إيران تواصل مساندتها لسوريا وتدعمها حكومة وشعبًا)، وأنها (تؤكد على أن أمن سوريا من أمن إيران) وأنها (لن تسمح بسقوط النظام الأسدي) كذا دون ما حياء ولا خجل أن سيعقد على أرضها وبعد أيام قلائل اجتماع حركة عدم الانحياز، بعد أن تُحشد لها قادة الدول غير الراضين عما يجري والذين سيوضعون في مواقف حرجة مع شعوبهم وسيبدون وكأنهم يباركون هذه الأعمال الوحشية ويؤيدون تصريحات مَن وراءها؟، ألم يأتك خبر ما جرى من كبار سفرائهم منذ أشهر – وعقب قيام ثورتنا المباركة – وقد تم طردهم على إثر اتهامهم بالتجسس ودعم شيعة مصر في أعمال شغب وبلطجة وتخريب؟، ألم تسمع عن فتوى الشيخ المراغي وموقف الأزهر قديمًا وحديثًا وتحذيراته المتعددة من استغلال أي موقف ولو سياسي لتصدير المذهب الشيعي ومدى خطورته على مصرنا الغالية وعلى أمنها القومي؟، ألم تسمع مؤخرًا وتحديدًا في ٣/ ٤/ ٢٠١٣ عن ضبط مركب الصيد الإيرانية (سويت) أثناء إبحارها في البحر الأحمر على بعد ١٢ ميلًا بحريًا من سواحل رأس محمد وهي في طريقها إلى الأراضي المصرية، والتي كانت محملة بما يزيد عن ٩٢ ألف قطعة سلاح متعددة ما بين رشاشات قنص وكلاشينكوف وأربيجهات؟.

ألم تسمع عن خبر تسريبهم أسلحة فتاكة لقتل أخوتنا السوريين عند ميناء طرسوس، بل وعبر قناة السويس منذ فترة ليست بالبعيدة؟، ألم تخبرك أجهزة الأمن والمخابرات عما يفعله الإيرانيون من الشغب والتخريب وإحداث القلاقل في بلاد المسلمين وعلى رأسها مصر والسعودية والكويت والبحرين وسائر دول الخليج؟، ومن له يا فخامة الرئيس مصلحة في صنع لعب أطفال تطلق عبارات مسيئة لزوج النبي وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد وقع ذلك منهم مرات ومرات، وكان آخر ذلك، ما تم ضبطه بمحافظة الشرقية حيث تم ضبط ٦ منها وحرر بشأنه المحضر رقم ١٠٥٠٠/ ٢٠١٢ جنح مركز الزقازيق؟!.

إن أمر أولئك يا فخامة الرئيس جد خطير، وحسبهم ما يتحلون به من كذب وما يعتقدونه من تقيِّة يعطيك أحدهم خلالها من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب؟، وحسبهم تكفير الصحابة واتهام أمنا عائشة بالفاحشة واستحلالهم دمنا وأعراضنا وأموالنا، وتعبُّدهم إلى الله بكل ذلك؟.

كان أجدر بك يا فخامة الرئيس أن تستنكر ما تفعله هذه الدولة المارقة بطريقة تعريها وتكشف عوارها وجرائمها أمام المجتمع الدولي بصورة أوضح وأكثر صراحة، أو تبعث مكانك من يقوم بمهمة المثول أمام مؤتمر عدم الانحياز حتى يشعروا ويحسوا بالذنب وما نظنهم فاعلين.. كان أجدر بك أن تستدعي سفيرها وسفير سوريا والعراق لتحتج عليهم بما يناسب فداحة الخطب في سوريا والعراق ولتنتصر لإخوانك من أهل السنة هنا وهناك بصور عملية.. وأن تُفعِّل جامعة الدول العربية لتقوم بدورها الإيجابي والإنساني لا الهزلي والمسرحي.. وألا تسمح ولا تسمع لمن يهادنهم من مستشاريك

تمهيدًا لتحقيق حلم الخلافة التي لا يمكن بموجب الشرع أن تؤول إليكما نظرًا: لحرصكما على الإمارة وتكالبكما على السلطة، وكونها كما أخبر النبي ﷺ (في قريش) و(على منهاج النبوة) التي بينهما وبينكما بُعد المشرقين، ومن ثم فهي ليست لكما ولا أنتما لها بأهل، على أن الحديث عن تغلب الإمام الموجب للسمع والطاعة وفق ما جاء في الكتاب والسنة والإجماع، لابد أن ينصبَّ حول أمرين مهمين:

أولهما: أن الإمامة عن طريق الغلبة هي واحدة من طرق استحقاق الإمامة (الشرعية) في معتقد أهل السنة والجماعة، إذ هي أو الاستخلاف أو البيعة بطريق التراضي أيًا ما كانت الوسيلة المحققة لذلك والموصلة إليه، تمثل طرق ولايات المسلمين وتنصيب الحاكم الذي لا يجوز لمسلم أن يبيت ولا يراه إمامًا أو يموت وليس في عنقه بيعة له.

يقول الإمام النووي في روضة الطالبين ٧/ ٢٦٧: "إذا.. تصدى للإمامة مَن جمع شرائطها من غير استخلاف ولا بيعة، **وقهر الناس بشوكته وجنوده، انعقدت خلافته لينتظم شمل المسلمين،** فإن لم يكن جامعًا للشرائط بأن كان فاسقًا أو جاهلًا، فوجهان: أصحهما انعقادها، لما ذكرناه وإن كان عاصيًا بفعله"إ.هـ، وبنحو ذلك جاء في (شرح مقاصد الطالبين)٢/ ٢٧٢ للتفتازاني لكن بلفظ: "انعقدت له، وكذا لو كان فاسقًا أو جاهلًا على الأظهر".

ثانيهما: ما سبق أن أشرنا إليه من أنه لا فرق في ذلك بين الإمامة الصغرى والإمامة الكبرى كون كليهما محققًا للمقاصد السابق ذكرها من أمر تنظيم شمل المسلمين وحقن دمائهم وتسكين دهمائهم وعقد رايات الجهاد لحماية بيضتهم ومحاربة عدوهم، يقول ابن حجر في الفتح ١٣/ ١٣٤ إبان شرحه لحديث أبي هريرة: (إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة):

والمقربين إليك وإليهم وما أكثرهم، وأن تذكروا جميعًا ما أسفرت عنه مثل هذه المهادنات واستغلال المواقف السياسية والسياحية في البحرين والقطيف والكويت وغيرها، من إحداث القلاقل وسفك الدماء وتخريب البلاد، بعد أن اكتشف قادة هذه الدول مؤخرًا أنها كانت لصالح نشر هذا المذهب الخبيث، وأنهم بإعطائهم الضوء الأخضر لهؤلاء الخبثاء قد ارتكبوا الضرر الأكبر ووقعوا في أعظم المفسدتين.

كان عليك يا فخامة الرئيس أن تغلق قناة السويس دونهم ولك في ذلك مندوحة، لكون ما تحمله سفنهم أسلحة يصوبونها لإخوتنا وبشكل يهدد الأمن والسلم الدوليين.. وأن تشارك المجتمع الدولي في عزلهم لكونهم لا يريدون الحياة لسواهم، ولكون مذهبهم العقدي الذي يجري في عروقهم، قائم على العِرقية والعنصرية والإبادة التي فاقت كل حد.. لا أن تذهب إليهم في عقر دارهم، ويساء فهم ذهابك أو يُقرأ بطريقة تصب في صالحهم، ويُحسَب عليك أنك تبارك أفعالهم وإن لم يكن الأمر كذلك.

إننا يا فخامة الرئيس يمكن أن نربط الأحزمة على بطوننا ونستغني عن كل ما يفيدوننا به أو يأتنا من ورائهم، وذلك لمصلحة بلدنا وفي سبيل الحفاظ على ديننا وأجيالنا، فلن نفرح ولا يسرنا إن فرطنا في كل ذلك وكسبنا ودهم.

على أن هذه الزيارة ومبدأ الملاينة والملاطفة مع هؤلاء يا فخامة الرئيس، يُطمِّعهم في مصرنا التي كان للشيعة فيها سابق عهد، وهذا سر حرص الإيرانيين بشتى الطرق وبأي شكل على إقامة علاقات معها، ناهيك عن وزنها ومكانتها، وهم جميعًا يتربصون بمصرنا ويستغلون أي موقف لصالحهم.. وحسبك أن تعلم أن رئيس التيار الشيعي في مصر راح يطالب قبيل زيارتك لمؤتمر عدم الانحياز مباشرة، بفتح وإقامة الحسينيات في بلدنا – حفظها الله من كيد الكائدين وعبث العابثين – وطفق يشدد على ضرورة تمثيل شيعة مصر في مجلسي الشعب والشورى.. وأن تعلم أن الأمين العام للمجلس الأعلى لآل البيت وهو أحد أقطابهم قد كشف يوم الاثنين التالي لقدومك مباشرة، عن بدء تشكيل مجلس إدارة يهدف إلى جذب أكثر من ١٠مليون سائح شيعي لمصر سنويًا تحت ما أسماه بالمشروع النهضوي للعتبات المقدسة وكان ذلك في اجتماع بمقر حزب التحالف الناصري.. وها هي مقترحاتهم تنفذ بالحرف الواحد.

إنك يا فخامة الرئيس – بل والجميع والعالم كله – تعرف أن المذهب الشيعي قائم على الثأر منا للحسين، وعلى سب خير القرون وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة الكرام، وعلى الطعن في عرض النبي ﷺ ، يعني قائم دائمًا وأبدًا على ازدراء الأديان التي يعاقب عليها القانون، وينسحب عليه قول الإمام البغدادي ت ٤٢٩ هـ في كتابه (الفرق بين الفرق) ص ٣٠٨ وتحت عنوان: (الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة): "وأما أهل الأهواء من الجارودية والهشَامية والنجّارية والجهمية والإمامية الذين أكفروا خيار الصحابة.. فإنا نكفرهم، كما يكفرون أهل السنة، ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا ولا الصلاة خلفهم"، ومن ثم فمن وقفنا على كلامهما وأشياعهم مدانون بموجب القانون وبموجب ديننا الحنيف في الأزل وإلى أبد الآبدين.

إن قليلًا من إرجاع الذاكرة للوراء يذَكِّر – يا فخامة الرئيس – بما للشيعة من مآس واجتياحات يعجز اللسان عن سردها والقلم عن كتابتها وتهون أمامها اجتياحات هولاكو وهتلر ونيرون الذي أحرق روما، وكانوا فيها مجتمعين أشبه على المسلمين بيأجوج ومأجوج، وفي معتقدهم وفي بعض كتبهم المقدسة وتحديدًا (الكافي) ١/ ٣٣٧، ٣٨٩ و(معاني الأخبار) ص ٤٠٤ وبحر الأنوار ٦٠/ ٢٠٨، ٢١١ وتفسير القمي ص ٥٩٦ وتفسير العياشي ١/ ٢٠٥ يذمون ويلعنون على مدار تاريخهم الأسود مصر وعموم العرب وأمة الإسلام ويعتبرونهم خنازير وهمجا وذبابًا وأنهم إلى النار.. والمؤمن يا فخامة الرئيس – كما علمنا نبينا ﷺ – لا يلدغ من حجر مرتين، وكم هي المرات ولا متعظ ولا معتبر بخطورة هؤلاء وجناية ما يفعلونه؟!.

إن مثلث أمريكا والغرب وإسرائيل – يا فخامة الرئيس – ما انتصر لإيران ولا سمح لأن يجعل من شيعتها دولة، إلا لأنه يعلم يقينا أنها ستقوم بما لم يستطع أن يقوم هو به من النَّيل من الإسلام والمسلمين وأنها ستحارب عنه بالوكالة، ولا صحة على الإطلاق بأن إيران ستكف عن سوريا وغيرها بقولك ولا بقول غيرك، كما لا صحة للقول بأن بين إيران وبين أمريكا وإسرائيل عداء، وإنما هي أدوار تُؤدَّى ومآلها في النهاية: إيقاع كل ألوان الأذى بالعرب وبمسلمي أهل السنة والكل يعلم ذلك، وما جرى ولا يزال في العراق والبحرين والقطيف وسوريا ولبنان ليس عنا ببعيد وهو أكبر دليل على ذلك، وقد تنبه لكل هذا شيخ الإسلام ابن تيمية حين أفتى بعدم الثقة فيهم والتعاون معهم، بل ومجاهدة غلاتهم لكون "ضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين"، ولكون جهادهم "حفظ لما فتح من بلاد المسلمين" كذا في مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٤٩، وينظر ٢٨/ ٦٣٦ وما بعدهما.. وصدق الله القائل في أمثالهم: (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون).. نسأل الله لك يا فخامة الرئيس ولنا، السلامة والعفو والعافية، وأبعدك الله عن بطانة السوء التي تلازمك ورزقك بدلًا عنها البطانة الصالحة التي تعينك على الحق وتبَصِّرك به، وسدد على طريق الحق والخير خطاك، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

"قوله: (على الإمارة)، يدخل فيها الإمارة العظمى وهي الخلافة، والصغرى وهي الولاية على بعض البلاد"إ.هـ

و(شرعية إمامة المتغلب) هو معتقد أهل السنة والجماعة قاطبة، فقد ذهب فقهاء المذاهب وأصحاب الحديث وجميع كتب الاعتقاد إلى أن الإمامة تصح أن تُعقد لمن غلب الناس واستولى عليها، بل إن هناك من العلماء من نقل الإجماع على وجوب انعقاد الإمامة له، ولعل من حكا ذلك لم يعتبر خلاف الخوارج والمعتزلة – الذين يرون عدم صحة انعقادها – خارقًا للإجماع، واعتبر فقط إجماع أهل السنة.. إلى آخر ما سبق أن ذكرناه آنفًا من إجماعات فقهاء المذاهب وأئمة الحديث والاعتقاد على صحة انعقاد إمامة المتغلب وحقوقه على الرعية.

كما جاء ***رد أخينا عادل*** السيد مشكورًا على بيان مماثل في كتاب له حمل عنوان: (اجتماع المعقول والمنقول على إهدار بيان التنظيم الدولي للإخوان باسطنبول)، طباعة دار الاستقامة بمصر العامرة

رد الأزهر الشريف على (نداء الكنانة) الصادر عن علماء وتنظيم الإخوان بتركيا:

وكان علماء الأزهر قد أصدروا في ٨/ ٢٠١٥ بيانًا بعنوان (مصر المحروسة) يردُّون فيه على ما تضمنه هذا النداء، فكان ضمن ما جاء في البيان: "لقد وصفوا القيادات المصرية والرموز الوطنية بأنهم مجرمون قتلة؛ انقلبوا على إرادة الأمة وخطفوا رئيسها المنتخب، وقتلوا الآلاف بغير حق، واعتقلوا عشرات الآلاف بلا مسوغ، وحكمت على بعضهم بالإعدام... إلخ هذه المفتريات"، وأردف البيان: "والحقيقة التي تتهرب منها هذه الجماعة دائمًا – ولا تريد أن تواجهها – هي أن حكام مصر لم ينقلبوا على نظام الحكم كما يرجف المرجفون، بل الشعب هو الذي ثار وخرج بجميع فئاته، وشاهده العالم يوم ٣٠/ ٦ ليطالب بعزل حُكم فشَل في إدارة مصر، وفي الحفاظ على مقدراتها، وعجز عن حماية جنودها وحدودها، وفشل رئيسها في أن يكون رئيسًا لكل المصريين، ومكَّن لفئة قليلة من النفوذ إلى كل مؤسسات الدولة مما هدَّد بتفتت كيانات الدولة، واندلاع حرب أهلية بين المصريين".

وجاء أيضًا في بيان الأزهر: "ومن أكاذيبهم أن حكام مصر قتلوا الناس بغير حق، واعتقلوا عشرات الآلاف بلا مسوغ... إلخ إدعاءاتهم.. والواقع أن حكام مصر الحاليين لم يقتلوا أحدًا، وإنما القتلة هم الذين غرروا بالمتظاهرين والمعتصمين من أتباعهم وأفتوهم وحللوا لهم الخروج المسلح على الجيش والشرطة والشعب من أجل حكم الناس رغم أنوفهم، ودفعوا بأبناء الفقراء والبسطاء إلى التهلكة والموت، بينما كثير من كبرائهم يتمتعون برغد العيش في ظل حماية حكومات حاقدة على مصر وشعبها".

وجاء فيه: "أن مُصدِّري هذا البيان لا يزالون يتوهمون أن الرئيس المعزول هو الرئيس الشرعي، ولسنا ندري كيف تجاهل هؤلاء الذين يصفون أنفسهم بالعلم والعقل، إرادة عشرات الملايين التي خرجت في ٣٠ يونيو وليس لها من مطلب غير تغيير نظام الحكم ورحيل الحاكم، فكيف يتصور عاقلٌ تجاهلَ إرادة الملايين، وقهرهم على استبقاء حكم مرفوض من جماهير الشعب الثائر، سقطت شرعيته وتزعزعت أركانه واستنفد كل أغراضه؟."!

وفي معرض رده على بيان الإخوان الذي حرضوا فيه –عام ٢٠١٦- على التصعيد في ذكرى ثورة ٢٥ يناير داعين أنصارهم باستخدام كافة الوسائل المتاحة، كشف مرصد الفتاوى التكفيرية والآراء المتشددة التابع لـ (دار الإفتاء المصرية) أن هذه الدعوة جريمة متكاملة الأركان تُسقِط عن وجه الجماعة قناع السلمية التي توارت خلفه خلال السنوات الماضية، وتُثبت أن عنف الجماعة وصدامها مع المجتمع جزء لا يتجزأ من عقيدتها التي تؤمن بها، وأوضح المرصد أن الجماعة ساقت الآيات والأحاديث التي تدعم موقفها على خلاف الواقع، وتناست أن استخدام الفتاوى الدينية وتسخيرها في تعميق الخلاف والشقاق بين المسلمين وأبناء الوطن الواحد وإلصاق التهم بالناس من غير وجه حق والقدح في دينهم لمجرد خلاف سياسي، أمر ممقوت ومحرم شرعًا، وشدد المرصد على أن مثل هذه الدعوات تحض على العنف والإرهاب المحرم تحريمًا قاطعًا، محذرًا المصريين عامة والشباب خاصة من التورط في

اقتتال واحتراب لا شرعية دينية له ولا مصلحة فيها إلا لأعداء الوطن في الداخل والخارج، ويجب على جميع المصريين الحفاظ على مؤسسات الدولة المصرية ضد أي اعتداء يقع عليها بأية وسيلة كانت؛ لأن هذا الفعل جريمة يعاقب عليها الشرع والقانون.. تلك هي كلمة الأزهر الذي يكن العالم كله له كل تقدير واحترام والذي يجب أن يُحترم ويُستمع له لاسيما في مثل هذه القضايا المصيرية.

لكن مما تجدر الإشارة إليه هنا: أن وقائع ثورة يناير التي يتظلم منها الإخوان وما أعقبها من تحقيقات، أثبتت بما لا يدع مجالًا لشك أن الإخوان هم من قتلوا متظاهري ثورة يناير إما مباشرة أو عن طريقهم؛ للضغط على المجلس العسكري كي يُخلي لهم الساحة، وأستأنسُ هنا باعتراف الإخواني (أسامة ياسين) وزير الشباب الذي أوضح فيه خلال التحقيقات التي أجريت معه بسجن طرة تحت إشراف المستشار (مصطفى خاطر) المحامي العام الأول لنيابات شرق القاهرة في ٨/ ٢٠١٣ واستمرت ٨ ساعات، "أن اتهامه في موقعة الجمل اتهام لا يستطيع أن يبرئ نفسه منه، وأن الحزب الوطني هو الذي خطط لارتكاب الواقعة والإخوان كانوا هم المنفذون لها، في مقابل: إفراج المجلس العسكري عن بعض قياداتهم بالمعتقلات، وتعهده بإجراء انتخابات برلمانية تكون للإخوان الأغلبية فيها من أجل القضاء على ثورة ٢٥ يناير"([1]).

كما أستأنسُ بما أدلى به رئيس المجلس العسكري آنذاك المشير (طنطاوي) أثناء محاكمة مبارك عن قتل متظاهري ثورة يناير فيما عرف بـ (قضية القرن)، حيث ذكر في شهادته بأن العناصر الإخوانية والمنتمين لهم من الفصائل، هم من كانوا يقومون بالقنص من فوق أسطح المنازل، قال: "واللى بيحصل دلوقتى – يقصد أحداث رابعة وما بعدها – يوضح من الذي كان يقوم بالتخريب وإحداث الاضطرابات والمظاهرات، والهجوم على عناصر الجيش برابعة باستخدام السلاح، والفرق في ذلك الوقت أنه كان فيه ناس كتير من الشعب ماكانوش فاهمين، وممكن يكونوا منضمين".. وبما أدلى به في نفس القضية: الفريق (سامي عنان) رئيس أركان القوات المسلحة الأسبق، حيث قال: "انسحاب الشرطة كان نتيجة الضغط النفسي عليها".

وهذا دليل على أن الشرطة لم يكن لها تواجد أصلًا وأنها – في حمايتها للمتظاهرين على أي الأحوال – لم تكن تحمل سلاحًا ناريًا، بل هي من سُرقت أسلحتها لتُضرب هي وغيرها بها، يقول عنان: "ورئيس الجمهورية لا يعطى أوامر للضرب واستخدام العنف، ولم يَصدُر أيُّ قرار ناتج عن الرئيس مبارك باستخدام العنف والضرب مع المتظاهرين".

وبما صرح به اللواء حمدي بدين قائد الشرطة العسكرية الأسبق، حيث قال: "لم يتم ملاحظة أحدٍ من الضباط يمسك أسلحة ويطلق أعيرة نارية ضد المتظاهرين، لكنه شاهد بعض الناس تجلس فوق أسطح المنازل بعضهم ينتمي إلى الإخوان"، وأضاف: "أنه هو وضباطه لم يشاهدوا أي شيء تابع للقناصة التابعة للداخلية فوق أسطح المنازل بـ (محمد محمود)".. وبما كشفه الشاهد العقيد (أيمن فهيم) قائد الحرس الجمهوري بفترة حكم مبارك، حيث قال في شهادته بالحرف الواحد:

"من رؤيتي: أن ما حدث مؤامرة استخدمت فيها أمريكا الإخوان، وهم مصريون في البطاقة فقط وكل ميولهم تخدم جماعتهم فقط، وأهدافهم تلاقت مع هدف الولايات المتحدة وكانوا مجرد أداة"، وردًا على سؤال حول الإصابات التي حدثت في ميدان التحرير، أجاب:

"الإصابات كانت مثل ما حدث في أوكرانيا وإحنا درسنا أزمة (مصدق) في إيران، وتبين أن ضربات الشرطة كانت طلقات فشنك في نفس الوقت الذي كان هناك مسلح متخفٍ، وده أسلوب متبع من سنة ٥٣، لإفشال النظام وإحداث أزمة في وزارة الداخلية وحرق الأقسام".

وبما كشف عنه عصام البطاوي محامي مدير أمن القاهرة الأسبق بنفس القضية في ٩/ ٦/ ٢٠١٤: من أن "الإخوان هم من تبين أنهم الطرف الثالث الذي كنا نبحث عنه، لقيامهم بقتل المتظاهرين ورجال

([1]) وقد وافقت شهادة واعتراف أسامة ياسين؛ ما أدلى به اللواء حسن الرويني قائد المنطقة المركزية الذي نزل ميدان التحرير في اليوم التالي لموقعة الجمل والتقى بالمتظاهرين ودار حوار بينهم جرى إذاعته على مواقع الإنترنت.. وقد ظهر ذلك جليًا في (السى دى) التي تتهم بشكل مباشر الإخوان المسلمين وعددًا من قياداتها منهم محمد البلتاجى بأنهم وراءها، وتكشف عن المحرض على الوقيعة بين الجيش والشعب، على ما سيأتي بيانه.

الشرطة في آن واحد، وهو ما فضحته ثورة ٣٠ يونيو التي كشفت مدى ما أجرمه الإخوان بحق مصر وشعبها بدءً من الاستيلاء على ثورة يناير.

لقد كشفت الأحداث وشهود الإثبات أن الإخوان متهمون في قضايا اقتحام السجون والتخابر مع جهات أجنبية.. وقتل المتظاهرين أمام مكتب الإرشاد وتعذيب بعضهم أمام قصر الاتحادية، من خلال نفس الأسلحة التي استخدمت في ثورة ٢٥ يناير"إ.هـ كلامه.

ولا ننسى أن القضاء برأ مبارك من تهمة قتل المتظاهرين، ولا دلالة لذلك سوى أن المتهم في ذلك: هم جماعة الإخوان وفق شهادات من ذكرنا، وبخاصة أن ثمة "وقائع قتل وإحراز أسلحة بمحاضر تم تحريرها في أكثر من قسم بالقاهرة وبورسعيد، تأسيسًا – يقول البطاوي – على أن جماعة الإخوان قامت بارتكاب عدة جرائم وإلصاقها لقوات الشرطة"، وما ذكرناه في إثبات ذلك قليل من كثير يضيق به المقام.

وأختم بما تم تسجيله – على سي دي لمدة ٧٠ دقيقة – للواء (حسن الروينى) قائد المنطقة المركزية الذي نزل ميدان التحرير في اليوم التالي لموقعة الجمل والتقى بالمتظاهرين ودار حوار بينهم جرى إذاعته على مواقع الإنترنت، السى دى تتهم بشكل مباشر الإخوان وعددًا من قياداتها منهم: (محمد البلتاجي) بأنهم وراء موقعة الجمل، فالروينى قال: إنه تحدث مع محمد البلتاجي وقال له: "نزلوا اللي فوق الأسطح، لو مانَزِّلتش إللي فوق السطح أنا سوف أبعث بالقوات تجيبهم وتنزلهم علشان إحنا القوات المسلحة".

وقد اتهمت هيئة الدفاع عن المتهمين من واقع السى دى المقدمة، أن المحرض والمدبر والذي لعب دورًا رئيسيا في أحداث موقعة الجمل هم جماعة الإخوان الذين يُعتبرون الطرف الخفي في كل ما حدث في مصر من أول موقعة الجمل وصولًا إلى أحداث العباسية، علمًا بأن تدبير موقعة الجمل جرى في شقة تطل على ميدان طلعت حرب جمعت بين كل من قيادي بجماعة الإخوان وعضوين من الجمعية الوطنية للتغيير وهما من قاما بالتخطيط لأحداث الفوضى وموقعة الجمل، ووفقا للسي دي فإن الإخوان هم من جهزوا البلطجية وقاموا بتحميلهم في السيارات من أماكن بعيدة ووصلوا واشتبكوا في الميدان، وأن عددًا كبيرًا منهم اعتلى ظهر العمارات الكبرى المطلة على ميدان التحرير وقاموا بإلقاء المولوتوف والحجارة على المتظاهرين والرصاص الحي حتى سقط قتلى على الأرض، خاصة أنهم لا يريدون الاستقرار بل الفوضى وفقًا للمخطط الصهيوني الأمريكي وبتمويل وسائل الإعلام التي تخضع له.

كما قامت هيئة الدفاع عن مبارك ومساعديه بتقديم فيديو آخر داخل السى دى يَظهر فيه سيارات محشودة بالبلطجية وأنهم تابعون للجمعية الوطنية للتغير (البرادعي) وأيضا لجماعة الإخوان، وعندما يقتحمون الميدان يتم الإمساك والفتك بهم من قبل المتظاهرين، ويَظهر بعد ذلك البعض منهم يعتلى قمم عمارات داخل الميدان يلقون المولوتوف والحجارة على المتظاهرين وبعض القناصة الذين يطلقون النيران([1]).

ومشهد آخر داخل سي دي يَظهر فيه اللواء (حسن الروينى) وهو يدخل ميدان التحرير من مدخل عبد المنعم رياض ومعه عدد قليل من قوات الأمن وفى نفس التوقيت رفض التصوير مع وسائل الإعلام الأجنبية، وقال الروينى لأحد مشايخ السلفيين وبعض شباب الإخوان معهم: "إن رسول الله قال: (اتق شر من أحسنت إليه، وقالوا كيف يا رسول الله؟، قال: بمزيد من الإحسان)، أنتم عاوزين إيه، عايزين تتكلموا اطلعوا هاتوا العيال إلى انتم حطينهم فوق الأسطح وعمالين يرموا على الناس مولوتوف وقنابل مسيلة، كل حاجة متصورة عندى، وعندى سى دى بيها، والطائرة إلى فوق دي مصورة كل حاجة، واللي فوق شوية إرهابيين، فرد الشباب الإخواني قائلًا: احنا مش إرهابيين، قال الروينى: خلاص

([1]) والعجيب أن بعضًا من جماعة الإخوان كان وقتها بالميدان ينصبون خيامهم وينصرون جماعتهم، وقد قتل من هذا البعض من قتل من النيران الصديقة، وأصيب من أصيب.. لكن لا تسأل عن أفعال الإخوان فكلها تنم عن خسة ونذالة وخيانة؛ حتى بأتباعهم!.

اطلعوا فوق هاتوهم وأنا هحميكوم واقبض عليهم لو ما كانوش منكم، فلم يتحرك أحد منهم، علشان تعرفوا إن إلى فوق أسطح العمارات هم الإخوان والإرهابيين" وقد كانوا فعلًا من حماس.

والحق أن لدى جماعة الإخوان خبرة منقطعة النظير في (صناعة المظلوميات)، وهي تمثل بالنسبة لهم أهم الإستراتيجيات التي تعتمد عليها الجماعة منذ تأسيسها عام ١٩٢٨، لجذب المزيد من المؤيدين لها، وإثارة تعاطف الناس تجاهها، ولهم في ذلك سلف فقد سبق أن أجاز الشيخ البنا لجماعته المتاجَرة بالأرواح والدماء من أجل المصلحة السياسية، وتستخدم جماعة الإخوان هذا السلاح الآن وبشراسة في خطوة لإعلان الحرب على مصر، وتعد مظلوميتا (الحرائر)، و(ضحايا رابعة) الأبرز بعد عزل مرسي في ٣/ ٧/ ٢٠١٣ من أجل الحصول على تعاطف شعبي ودولي يساعد الجماعة على إعادة رئيسها إلى سدة الحكم مرة أخرى.

وتعني صناعة المظلومية وفقا لمفهوم الإخوان وحسب بعض المحققين الصحفيين: دفع أعضاء الجماعة إلى التهلكة ومن ثم التجارة بدمائهم وأرواحهم، لتحقيق مصالح سياسية ناجمة عن التعاطف المصاحب لصنع المظلومية، أي جعل الجماعة تظهر وكأنها مظلومة، وقد كان حسن البنا أول من دفع ثمن تلك الإستراتيجية عندما تسبب الإخوان في قتله بعد اغتيالهم للنقراشي باشا؛ ليتاجروا بدمائه بعد ذلك ويحولونه من مجرد شخص عادي إلى رسول ونبي ورمز للجماعة وأعضاءها، بل وسبيلًا لحشد المزيد من الأنصار والمؤيدين، وهذا ما تم بالفعل، وقيل عن حسن البنا ولا يزال: (الإمام) (الشهيد)، و(الرجل القرآني)، و(رسول آخر الزمان)، وغيرها من الألقاب التي أسهمت في شهرته وشهرة جماعته، ووصولها إلى عدد كبير من دول العالم.

ويعتبر اعتصامي الإخوان في ميداني (رابعة والنهضة) هما أبرز الدلائل على إستراتيجية صناعة المظلومية الإخوانية، فعلى الرغم من علم الجماعة باقتراب فض الاعتصامين، وعلى الرغم من التحذيرات التي وجهت لأنصار الإخوان في الميدانين قبل الفض، رفضت قيادات جماعة الإخوان السماح لأبنائهم بفض اعتصامهم والنجاة بأنفسهم، بل اختار القيادات الخروج من الميدان، وترك أعضاء الجماعة؛ ليُسجنوا تارة؛ وليُقتلوا تارة أخرى، من أجل المتاجرة بدمائهم وحرياتهم، بل وصل الحال إلى قتل الجماعة لبعض عناصرها أثناء الفض، لصناعة مظلومية ضد النظام المصري الجديد ما بعد عزل مرسي، وبالفعل سقط عدد كبير من أنصار جماعة الإخوان وأصيب آخرون أثناء فض الاعتصام، وتاجرت الجماعة بأرواحهم بشكل يسيء لحرمة الموتى، حيث قامت الجماعة بنشر صور ضحاياها وهم أموات، لحث الشباب الداعم لمرسي على إعلان الحرب على الدولة المصرية، وإشعال فتيل الحرب الأهلية.

ومن جانب آخر قامت الجماعة برفع أكثر من دعوى قضائية ضد النظام المصري الحالي بسبب هذين الاعتصامين، متناسية دعاوى الخروج من الاعتصامين التي أطلقتها قوات الفض يوم الفض دون أن يتحرك أحد بسبب أوامر الإخوان.. وقد ذكر د. (محمد حبيب) – نائب المرشد العام السابق لجماعة الإخوان – في حوار مع جريدة البوابة: أنه حاول مرارا وتكرارا تقديم النصيحة لـ (محمد بديع) مرشد الإخوان كي يفض اعتصامه ويحفظ دماء أبنائها، إلا أنه رفض هذا خوفا من اللوم الكبير الذي سيُلقى على عاتقه من فروع الجماعة بمختلف أنحاء العالم بعد فشل إخوان مصر في الحفاظ على حكمها تارة، وتارة أخرى كي يصنع من دماء المعتصمين مظلومية جديدة يستطيع خلالها جذب المزيد من المتعاطفين محليا ودوليا، بجانب رفع دعاوى قضائية عديدة ضد مصر.

وفي نفس السياق قامت جماعة الإخوان في سبيل استغلالها لأبنائها من الطلاب بإشعال الوضع في الجامعات المصرية، والدفع بالطلاب نحو التصادم المباشر مع قوات الأمن كي يسقط منهم ضحايا تستطيع الجماعة من خلالهم صنع مظلومية لها داخل الجامعات، مما يسهِّل عليها تحريض الطلبة نحو العنف، ونجحت الجماعة في هذا الأمر وبالأخص في جامعة الأزهر التي يشعلها طلاب الإخوان بين

الحين والآخر، واعتدوا فيها على بعض الأساتذة، بجانب تعديهم على المنشآت وتسببهم في تدمير بعضها باسم الدفاع عن الإخوان والرئيس المعزول محمد مرسي.. وكان آخر هذا النوع من صناعة المظلومية، هو: (إسلام عطيتو) طالب كلية الهندسة التي روجت الجماعة أنه شاب معتدل وخُطف من الجامعة على يد وزارة الداخلية، لإشعال الفوضى في الجامعات بالكذب وفقا لمخططها لنشر الفوضى في مصر.

ومن الجامعات التي أشعلتها الإخوان إلى أحد أهم عناصر صناعة المظلومية، وهي من أطلقت عليهم الجماعة: (الحرائر) وتقصد بهذا اللفظ فتيات ونساء الإخوان، فقد استغلتهن الجماعة أسوء استغلال، حيث دفعت الجماعة بهن في مقدمة التظاهرات، وتم إعطاؤهن أوامر بالاعتداء على رجال الأمن من أجل إجبارهم على الاعتداء عليهن أو القبض عليهن فقط من أجل المتاجرة بشرفهن وأعراضهن.. وتعتبر مظلومية (الحرائر) من أكثر المظلوميات انتشارا، حيث إنه وبسبب تلك المظلومية تم اقتحام أقسام شرطة وإشعالها، واستهداف عدد من رجال الشرطة بالقتل، بتحريض من الإخوان وبأكذوبة متعلقة باغتصاب الحرائر أو تعذيبهن في السجون.. وقد نجحت (البوابة نيوز) في الكشف عن أكذوبة تلك المظلومية من خلال حوار صحفي أجرته مع (فاطمة يوسف) الإخوانية المنشقة التي كانت في الجماعة وأكدت على قناة الشرق الإخوانية مع (هيثم أبو خليل) تعرضها للاغتصاب داخل أحد الأقسام، إلا أنها اعترفت لـ (البوابة) بعدم صدق ما رَوتْ، وعدم تعرضها للاغتصاب داخل أي قسم أو سجن، بل أنها قالت ذلك بعد تهديد لها مما يعرف باسم (التحالف الوطني لدعم الشرعية)، لتنتهي بهذا الاعتراف مظلومية الحرائر الإخوانية.

وقد سبق (فاطمة يوسف) الكثير من نساء الإخوان، ولعل أبرزهن على مر التاريخ (زينب الغزالي) التي كانت تدَّعي اغتصابها في سجون الرئيس الراحل عبد الناصر، وتعرضها لألوان من العذاب لا يستطيع أن يتحملها بشر([1])، ثم جاءت بعدها عزة الجرف (أم أيمن) التي ادَّعت اغتصابها هي الأخرى

([1]) وقد نسب إليها كتاب (أيام من حياتي)، تحكي فيه ما وقع عليها من تعذيب، وأنا على المستوى الشخصي تأثرت به كثيرًا.. لكن اتضح أن هذا الكتاب من نسج خيال يوسف ندا، وجاء بصدده في اليوم السابع ما نصه: "سعيد الشحات يكتب: ذات يوم ٢٠ أغسطس ١٩٦٥.. زينب الغزالي تدَّعى بدء مأساتها في السجن وتنسج قصصا خيالية عن تعذيبها.. ويوسف ندا يكشف أكاذيبها".. الاثنين، ٢٠ أغسطس ٢٠١٨ ١٠:٠٠ ص

وجاء في تفاصيل الخبر: احترفت جماعة الإخوان صناعة الأكاذيب لتشويه معارضيها، وتُعد مذكرات السيدة زينب الغزالي «أيام من حياتي» نموذجًا في ذلك.. ولدت «الغزالي» في ٢ يناير ١٩١٧ وكانت من قيادات «الجماعة»، وممن ساهموا بقوة في التنظيم الذي قاده سيد قطب وتم الكشف عنه عام ١٩٦٥، وكشفت التحقيقات مع قادته، أنها كانت توزع رسائل «قطب» من السجن على الإخوان، بعد أن تتسلمها من شقيقتيه حميدة وأمينة، وقضت المحكمة بالأشغال الشاقة المؤبدة ضدها، وأفرج عنها الرئيس السادات أواخر عام ١٩٧١ في صفقة مع الجماعة، حسبما يشير الدكتور محمود جامع في كتابه «عرفت السادات».. صدر كتاب «أيام من حياتي» عام ١٩٧٨ وكانت حملات الهجوم ضد «عبد الناصر» في عنفوانها، وتزعم «الغزالي» فيه تعرضَها لتعذيب أثناء القبض عليها «يكفى نصف نساء مصر ويزيد» بوصف اللواء فؤاد علام في كتابه «أنا والإخوان»، ومن بين ما تذكره: «جلدها ٥٠٠ جلدة ٦ مرات و ٢٥٠ جلدة مرة واحدة، وتعليقها على أعمدة حديد وقطع خشب ١١ مرة، وضربها بالسياط مرات متفرقة ٤٦ مرة، ووضعها في غرف الكلاب المسعورة ٩ مرات، وتركها بلا طعام أو ماء ٦ أيام متتالية، وإدخالها زنازين الماء ٥ مرات وغرف النار ٣ مرات، وإحضار وحوش بشرية حاولوا أن يفعلوا بها الفحشاء ٣ مرات»، ويعلق علام: «مشكلتها الحقيقية هي: خيالها – ربما عنى: مشكلة مؤلف قصتها– الواسع، وتقمصها شخصية رابعة العدوية.. أسرفت في التزييف، وخلطت بين الوقائع والأحلام والحقائق والأكاذيب، ولو تعرضت لواحد في المليون من صور التعذيب التي تخيلتها للفظت أنفاسها الأخيرة فورًا».

يضيف علام: «نسبت لنفسها بطولات زائفة، وكأنها شهيدة الإسلام الأولى والأخيرة، وظلت تنضح في رماد التكفير، وتعبئ الحقد الأعمى بين نفوس الشباب، وقسمت المجتمع إلى كفرة وإخوان مسلمين، وكأن جمال عبد الناصر لم يقم بثورته إلا لتعذيبها ومطاردتها.. ادعت أنها تعرضت لتعذيب كان يكفى لقتل مائة رجل وليس امرأة واحدة، وأن مأساتها بدأت في ٢٠ أغسطس «مثل هذا اليوم» عام ١٩٦٥، عندما كانت في السجن الحربي ورأت شابا مصلوبًا، فهتفت أمام السجان: «صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة».. وبخيالها الواسع في نسج القصص الخرافية، تذكر أيضا «أنهم أدخلوها غرفة مليئة بالكلاب المسعورة لمدة ثلاث ساعات، وظلت تنهش في جسدها ولم تترك أنيابها أي موضع، فروة الرأس، الكتف، الظهر، ثم أخرجوها فإذا الثياب بيضاء لم تتسخ».

ظل كتاب «أيام من حياتي» ضمن برامج الجماعة لتزييف العقول، غير أنه وعملا بالمثل «الكذب مالوش رجلين» افتضح الأمر في مقال «الكذب والسياسة.. الإخوان نموذجًا» للدكتور محمد السعيد إدريس بجريدة الأهرام «١ إبريل ٢٠١٤»، وينقل فيها شهادة قالها له المهندس أبو العلا ماضي المنشق عن الإخوان في منتصف تسعينيات القرن الماضي، ومؤسس ورئيس حزب الوسط، وتبدأ الشهادة من مقالة مهمة لماضي بجريدة «العربي» لسان حال الحزب الناصري، بعنوان مثير هو «بيننا وبينكم الجنائز»، وحسب إدريس، فإن «ماضي» حرص على أن يشرح في مقدمة مقاله قصده بهذا العنوان الغريب والمثير، وهو من مقولة مؤكدة للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وردت على لسانه في منازلته الفكرية مع خصومه وهى: «جنازة المرء شاهد عليه»، يضيف إدريس:

«استخدم أبو العلا هذا العنوان ليتحدث عن الزعيم جمال عبد الناصر الذي بدأ يراه على عكس الإخوان زعيما وطنيا محترمًا، وقال: «إذا أخذنا بمقولة ابن حنبل، فإن جنازة عبد الناصر التي لم ير التاريخ مثيلا لها تشهد للرجل، وأنها معيار مؤكد على مدى اقترابه من الله، ورضوان الله عليه».

يؤكد «إدريس» أن أبو العلا أخبره في لقاء بينهما بمكتبه قبل ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ بأقل من عام، أن «يوسف ندا» أحد أكبر قادة وممولي الإخوان، وحامل الجنسية الإيطالية ومؤسس بنك التقوى والمتهم في قضية اغتيال جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤، والهارب من مصر لسنوات طويلة،

في قصر الاتحادية بعد عزل مرسي دون أن تذكر سبب وجودها في قصر الاتحادية في هذا التوقيت وبالتحديد الساعة ١٢ بعد منتصف الليل.

ومن المظلوميات الكاذبة والمفبركة التي استغلتها الجماعة أيضا:

الأطفال الموتى، حيث تداولت اللجان الإلكترونية للإخوان عدد كبير من صور الأطفال الذين قتلوا بطريقة بشعة، إلا أنه فُضِح أمر الجماعة بعد إثبات أن هؤلاء الأطفال ليسوا أطفالا مصريين، بل أطفال من سوريا قتلوا أثناء المعارك الدائرة هناك بين الجماعات التكفيرية والجيش الحر، والجيش النظامي المؤيد للرئيس السوري بشار الأسد.. كما تاجرت الجماعة أيضا بأرواح عدد من أبنائها الذين ماتوا في السجون نتيجة بعض الأمراض الخطيرة التي كانت فيهم قبل دخولهم السجن، ولعل أبرز هؤلاء: (عصام دربالة) القيادي بالجماعة الإسلامية و(د. فريد إسماعيل) القيادي الإخواني الذي مات في سجن العقرب متأثرا بمرضه بفيروس سي في الكبد، وقد قامت الجماعة بنشر صورته وهو ميت، داعية أنصارها بالقصاص لروحه وفقا لبيان (محمد منتصر) المتحدث باسم الجماعة والذي حرض بطريقة مباشرة للعنف والعمل المسلح، في نفس السياق قامت الجماعة برفع دعوى قضائية ضد مصر أمام الأمم المتحدة تتهم النظام المصري باغتيال القيادي بها (فريد إسماعيل)، رغم تأكيد أسرته على وفاته نتيجة مرضه الكبدي، وتكرر نفس الأمر تقريبا مع (د. طارق الغندور) أستاذ الأمراض الجلدية الذي توفى في السجن أيضا نتيجة مرضه وليس نتيجة تعرضه لأي لون من ألوان التعذيب.

وتتعدد الطرق التي تصنع بها الجماعة مظلومياتها من أجل الوصول إلى أهدافها ولو على جثث أعضاءها، مكررين ما حدث مع (حسن البنا) المرشد الأول للجماعة، وبعده (سيد قطب) مؤسس الفكر التكفيري في مصر الذي أصبح بعد إعدامه: الإمام الأول للإخوان ورائد المدرسة القطبية في الجماعة، وذلك بعد أن استغلته الجماعة في صناعة مظلومية خاصة بها من خلال جثته، وعن هذه الإستراتيجية الإخوانية، قال (تامر عزت) الباحث في شئون الحركات والجماعات الإسلامية وكاتب هذا التقرير: "ليس أهم عند الجماعة الآن من لبس ثوب المظلومية، فالشعب المصري عاطفي، وهم يعلمون ذلك، لذلك يلعبون على وتر العاطفة، والحل باختصار هو تفويت الدولة لظهور تلك المظلوميات"، وأضاف في تصريحاته الخاصة لـ (البوابة): "صناعة المظلومية هو نفس السيناريو الذي حدث مع الرئيس (جمال عبد الناصر)، فهو لم يتبَن الخيار الصدامي كأول خيار، لكنهم كانوا يستفزونه ليصل إلى الصدام بعد رفض إعطاء (سيد قطب) وزارة المعارف التي كان يحلم بها، ولذلك أؤكد أن الإخوان تعتمد في أساس هذه الإستراتيجية على مبدأ أصيل ألا وهو: (إن ظهرت الدماء طاشت العقول).. وأظن أن في هذا بلاغ للناس ولينذروا به، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

****

زاره في مكتبه، وكانت هذه المقالة محور مناقشة حادة بينهما، حيث وجه عتابا لأبو العلا لدفاعه عن عبد الناصر، لكن أبو العلا رد عليه قائلا: هل مقولة ابن حنبل صحيحة أم لا؟ فأجابه:صحيحة، فقال أبو العلا: ولماذا ننكر الأمر على جمال عبد الناصر، فجنازته وفقا لمعيار ابن حنبل خير شاهد للرجل عند الله سبحانه تعالى؟

غضب «ندا»، وتحدث عن مسؤولية عبد الناصر عن تعذيب الإخوان في السجون، فسأله أبو العلا: «بالنسبة لروايات الإخوان تستطيع أن تقول إنها كانت صادقة بأي نسبة؟ وياريت تخصص الحديث عن الروايات الواردة في كتاب «أيام من حياتي»، فانفجر «ندا» ضاحكا وقال: «أنا مؤلف هذا الكتاب».. يؤكد «إدريس»: «كانت صدمة أبو العلا هائلة.. حسب ما روى لي، ورد عليه: كيف تؤلف وأنت مقيم في سويسرا كتابا يحتوى على كل هذه التلفيقات عن الرجل، وأنت بعيد عن تفاصيل أحداث ١٩٦٥ التي تحدث عنها الكتاب؟ أليس هذا محرما دينيا؟ وجاءت الصدمة الثانية عندما رد يوسف ندا: «اللى تغلب به العب به».. ولله في خلقه شئون.

الفصل الثاني
بطلان بيعات التكفيريين المحدثة والغير منضبطة بضوابط الشرع

المبحث الأول: بطلان بيعات التكفيريين – وعلى رأسهم البنّائية والقطبية – وبيان أنها غير ملزمة ولا هي على صحيح الدين

لا أحد يعقل عن الله ورسوله، يشك في وعد الله ورسوله بأن المستقبل للإسلام، وأنه تعالى (أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.. التوبة/ ٣٣، الفتح/ ٢٨، الصف/ ٩)، وأن ما جاء به النبي الخاتم سيبلغ ما بلغ الخافقين على ما أفاده قوله عليه السلام: (إن الله زوا لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيَبلُغُ مُلكها ما زُوي لي منها..)([1].. كما لا يشك مسلم في وعد الله بالتمكين لأهل الإيمان مصداقًا لقوله: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض.. الآية ٥٥ من سورة النور)، ولا بعودة الخلافة الراشدة، وأن ذلك يكون في نهاية الزمان وبعد مرور الأمة بمراحل عدة وفترات اختبار تمثلت بعد فترة النبوة في: خلافة على نهجها، ثم في ملكٍ عضوضٍ، ثم في حكمٍ جبريٍّ، ثم عودةً للخلافة التي قيدها الرسول بكونها على (منهاج النبوة)، وأنها في قريش.

وفي إجمال كل ذلك يقول ﷺ فيما رواه أحمد من طريق حذيفة وصححه الألباني: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون ملكًا عاضًّا، فتكون ما شاء الله لها أن تكون، ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون ملكًا جبرية، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة) ثم سكت.. ويقول فيما رواه مسلم (٢٩١٣): (يكون في آخر الزمان خليفة يُقسِّم المال – وفي رواية: يكون في آخر أمتي خليفة يَحثي المال حثيًا – ولا يَعدُّه).

وعن تلك الأخيرة وأنها في مهدي أهل السنة المنتظر، جاء عنه ﷺ قوله من حديث ابن مسعود وقد رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وصححه ابن تيمية في منهاج السنة، وحسن إسناده الألباني في تخريج أحاديث المشكاة ٣/ ٢٤: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلًا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا).. وقوله من طريق أبي سعيد الخدري: (يخرج في آخر أمتي المهدي، يَسقيه الله الغيث، وتُخرج الأرض نباتها، ويُعطى المال صحَاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعًا أو ثمانيًا) يعني: حججًا، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال عنه الألباني في الصحيحة (٧١١): "سند صحيح، رجاله ثقات".. إلى آخر ما ورد في الأحاديث التي صرحت باسمه وغيرها مما ألمحت إليه، وقد جمع د. المقدم طرقها في كتابه (المهدي) ص ٣٧: ٦٣ وأوصلها إلى تسعة عشر حديثًا، ونص غير واحد من أئمة العلم بأنها بلغت حد التواتر([2]).

وقد أنكر البنا منشئ جماعة الإخوان جميعها قائلًا في (حديث الثلاثاء) ص ١٠٨: "فمن حسن الحظ لم نر في السنة الصحيحة ما يثبت دعوى المهدي، وإنما أحاديثه تدور بين الضعف والوضع"، كما أنكرها القرضاوي شيخها ومنظرها الذي ادعى في الجزء الأخير من مذكراته أنه لا أصل لها في القرآن والسنة، كل ذلك ليتسنى لهما أن يجعلاها بآخر الزمان في جماعتهما على الرغم من تواتر أحاديثها تواترًا معنويًا

([1]) وتكملته: (وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض؛ وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضًا).. أخرجه من طريق ثوبان مسلم رقم (٢٨٨٩) ٤/ ٢٢١٥، وأبو داود رقم (٤٢٥٢) ٤/ ٩٧، والترمذي رقم (٢١٧٦) ٤/ ٤٧٢، وأحمد رقم (٢٢٤٤٨) ٥/ ٢٧٨، ورقم (٢٢٥٠٥) ٥/ ٢٨٤، وابن حبان رقم (٦٧١٤) ١٥/ ١٠٩، وابن حبان رقم (٧٢٣٨) ١٦/ ٢٢٠، وابن أبي شيبة رقم (٣١٦٩٤) ٣١١/٦، والحاكم في المستدرك رقم (٨٣٩٠) ٤/ ٤٩٦، والبيهقي في السنن الكبرى رقم (١٨٣٩٨) ٩/ ١٨١، والطبراني في مسند الشهاب رقم (١١١٣) ٢/ ١٦٦، وأخرجه أحمد أيضًا من حديث شداد بن أوس رقم (١٧١٥٦) ٤/ ١٢٣.

([2]) وذكر أن رواتها من الصحابة بلغوا ٣١، وأن عدد من خرجها ٣٨، وعدد من احتجوا بها ٦٧، وعدد من أفردوها بالتصنيف ٣٠ من علماء وأئمة أهل السنة

كما خلص إلى ذلك د. إسماعيل المقدم في كتابه (المهدي حقيقة لا خرافة)، فانحصر خلاف أهل السنة في زماننا مع (جماعة الإخوان)، فيما قبل (خلافة المهدي).

ولا أحد يشك في أن ما قبل مرحلة (ثم تكون خلافة على منهاج النبوة)، قد وقع تمامًا كما حدَّث ﷺ وذلك من علامات نبوته.

وأما عن تفصيل ذلك، فمتضح فيما أخرجه البغوي في (شرح السنة) عن سفينة – مولى رسول الله – قال: سمعت النبي يقول: (الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا) وفي رواية: (خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء)، ثم قال سفينة لعلي بن الجعد أحد رواة الحديث: (أمسك، خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشرة، وعثمان اثنتي عشر، وعليٌّ ستة)، رواه أحمد وأبو داود وابن حبان والترمذي وقال: حديث حسن.. وإنما سميت هذه الفترة – التي وعد النبي بعودتها مرتين – بـ (خلافة النبوة)، لأن الخلفاء صدَّقوا هذا الاسم بأعمالهم، وتمسكوا بسنة نبيهم من بعده، والتزموا الشرع في أحكامهم، كما قاله حميد بن زنجويه فيما نقله عنه البغوي في شرح السنة.

الأمر الذي يؤكد عدم تحققها بحال في جماعة الإخوان لعدم تمسكها بالسنة وعدم التزامها الشرع بشهادة علماء الأمة الثقات.. قال أحمد بن حنبل في كتابه إلى مسدد – كما في (السنة) لعبد الله بن أحمد –: "(لا عينٌ نظرت إلى ما بعد النبي من أبي بكر الصديق، ولا عين نظرت بعد أبي بكر من عمر، ولا عين نظرت بعد عمر من عثمان، ولا عين نظرت بعد عثمان من علي، هم والله الخلفاء الراشدون المهديون)، وفي رواية له: (قال سعيد بن جهمان: فقلت لسفينة: إن بني مروان يزعمون أنهم خلفاء، قال سفينة: كذبوا).. هذا فيما يخص ثانية مراحل الحكم في الأمة، وقد تمت على النحو الذي أخبر به النبي بأبي هو وأمي.

وجاءت ثالثة هذه المراحل المخبر عنها في الحديث، متمثلة في الملك العضوض، وهو "ما كان بالفعل في أيام مُلك بني أمية – الذي بدأ بـ (يزيد بن معاوية).. ذلك أن قيام معاوية عن عليٍّ بصفين حتى وقع التحكيم، هو مبدأ مشاركة بني أمية" كما في الفتح ١٣/ ٢٢٦، ٢٢٨، وباستثناء حكم عمر بن عبد العزيز العادل – ثم تلاه مُلك بني العباس([1])، ولقد كانا فعلًا مُلكًا عاضًا كما سماه الرسول وكما بينه سفينة رضي الله عنه وإن سماه الناس خلافة"، وقد استمر هذا – على ما ذهب إليه بعض المحققين وعلى ما هو بيِّنٌ للمتتبع لتاريخ الخلفاء – حتى زوال الدولة العباسية بالكلية سنة ٦٥٩ هـ الموافق لسنة ١٢٦١م.

وقد مهد للمرحلة الرابعة والتي تمثلت في (الحكم الجبري): سيطرة الترك على دولة الخلافة في عهد الخليفة المعتصم الذي أحاط نفسه بالحرس التركي والذي كان قوامه أربعة آلاف رجل، واستقدام ابنه الواثق للمزيد من القبائل التركية وجعلَهم قوام الجيش فعليًّا، **ومن يومها انفرط عقد الخلافة ولم يستطع العباسيون الحفاظ على وحدة الدولة كما فعل أسلافهم الأمويون**، فقد استقل عبد الرحمن الداخل بالأندلس، وفي خلافة الهادي استطاع إدريس بن عبد الله بن الحسن الفرار إلى المغرب وأسس هنالك الدولة الإدريسية، كذلك ظهرت الدولة البويهية في بلاد فارس وخراسان، كما استقلت تونس والجزائر وليبيا نهائياً مع ظهور الدولة الفاطمية، وفي خلافة المعتز بالله قامت الدولة الطولونية في مصر وبعدها الدولة الإخشيدية، وبهذا التشعيب لدول الإسلام انحسرت قوة الخلافة العباسية وأضحت بغداد حاضرة

([1]) إلى أن انتهى الحكم العباسي في بغداد سنة٦٥٦هـ الموافق لسنة ١٢٥٨م عندما أقدم هولاكوخان التتري على نهب وحرق المدينة وقتل أغلب سكانها بما فيهم الخليفة وأبنائه؛ وانتقل من بقي على قيد الحياة من بني العباس إلى القاهرة بعد تدمير بغداد، حيث أقاموا الخلافة مجددًا في سنة ١٢٦١، وبحلول هذا الوقت كان الخليفة قد أصبح مجرد رمز لوحدة الدولة الإسلامية دينيًا، أما في الواقع فإن سلاطين المماليك المصريين كانوا هم الحكّام الفعليين للدولة؛ وكان محيي الخلافة العباسية في القاهرة هو السلطان الظاهر بيبرس الذي رغب بأن يكون الحاكم المُسلم الذي يُعيد الحياة إلى هذه الخلافة على أن يكون مقرَّها القاهرة، ليجعل منها سندًا لِلسلطنة المملوكيَّة التي كانت بحاجةٍ ماسَّة إلى دعمٍ روحيٍّ يجعلها مهيبة الجانب بِالرُغم من الانتصارات التي حققتها ضدَّ المغول، ولِيُحيط عرشه بِسياجٍ من الحماية الروحيَّة يقيه خطر الطامعين في ملكِ مصر والشَّام، ويُبعد عنه كيد مُنافسيه من أُمراء المماليك في مصر الذين اعتادوا الوُصُول إلى الحُكم عن طريق تدبير المُؤامرات، وكي يظهر بِمظهر حامي الخِلافة الإسلاميَّة لذلك استدعى إلى القاهرة أمير عباسي هو أبو القاسم أحمد وبايعه وعلماء الديار المصرية بالخلافة، فقلد الخليفة بيبرس البلاد الإسلاميَّة وما ينضاف إليها، وما سيفتحهُ من بلادٍ في دار الحرب، وألبسهُ خُلعة السلطنة ومُنذ ذلك الوقت عُرف كل سلطان مملوكي بـ«قسيم أمير المؤمنين»..

استمرت الخلافة العباسية قائمة بهذا المعنى حتى سنة 1519م، عندما اجتاحت الجيوش العثمانية بلاد الشام ومصر وفتحت مدنها وقلاعها، فتنازل آخر الخلفاء عن لقبه لسلطان آل عثمان، سليم الأول، فأصبح العثمانيون خلفاء المسلمين، ونقلوا مركز العاصمة من القاهرة إلى القسطنطينية، ولهذا صح لمن اعتبر الخلافة العثمانية فيما تلا الملك العضوض: داخلة في الحكم الجبري وإن سماه الناس خلافة

الخلافة على بعد خطوات من الإبادة، وبانتهاء الحكم العباسي ظل الحكم الجبري القائم على تشتيت دولة الإسلام وسيظل هكذا حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا وحتى يأذن الله بمرحلة عودة (الخلافة التي هي على منهاج النبوة) على يد مهدي أهل السنة، وهي من دون شك قادمة على الوجه الذي سبق أن بينه ﷺ .

والذي يبدو من خلال تبني جماعة الإخوان لفكرة الخلافة وعودتها: أن هذا الأمر لا يمكن بحال أن يكون فيهم أو يتحقق لهم، لأسباب:

أولها – ومن غير ما سبق ذكره –: ما انتاب منهجهم من أعمال تتنافى تمامًا مع منهج النبوة، فمن شركيات ظهرت جلية في كتابات وتصريحات قادتهم، وحسبك منها:

ما كان يدين به البنا من نزعة صوفية مغالًا فيها، وما كتبه التلمساني في (شهيد المحراب عمر بن الخطاب)([1])، ومن ولاءات كانت على غير منهج الإسلام، وصل بعضها لأن تكون لليهود والشيعة من دون المسلمين.. ومن خلل في توحيد الله في صفاته **تمثَّل في تأويلها وتعطيلها وتحريفها بحملها على خلاف ما كان عليه النبي وصحابته وتابعيهم بإحسان([2])**.. ومن عمل للوصول إلى غاية الخلافة بمبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) الذي تحللت الجماعة من خلاله من كل القيم والمبادئ الإسلامية، وهو ما كانت سيرة الرسول شاهدة على رفضه البتة.. ومن تكفير للمجتمعات المسلمة أوصلهم في أكثر الأحايين لاستحلال دماء جيوشها وشرطتها، وفي بعضها لاستحلال دماء مخالفيهم في الفكر والرأي بعد رميهم بالكفر، على غرار ما صرح به شيوخهم: وجدي غنيم والصغير وعبد المقصود وسلامة عبد القوي

([1]) فقد ذكر في هذا الكتاب ص٢٢٦ ضمن ما ذكر، أنه "لا داعي إذن للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد"، وقال ص ٢٣١: "فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم"، والكتاب كله – على حد ما ذكر ابن سيف العجمي صاحب كتاب (وقفات مع كتاب للدعاة فقط) ص ١٦ – مليء "بالدعوة إلى الشرك وعبادة القبور وجواز الاستغاثة بها والتبرك بها ودعاء الله عندها وعدم جواز تشديد النكير على زوارها الذين يقومون بكل الأعمال السابقة".. فكلامٌ مثل هذا مع توجه من (البنا) مؤسس جماعتهم إلى النزعة الصوفية المغالية، وبقائه متمسكًا بأوراد بعض طرقها "إلى آخر عهده وفي زحمة أعماله" كما جاء في (التفسير السياسي للإسلام) لأبي الحسن الندوي ص ١٣٩، وإقرار من منظريهم على مستوى العالم بما هو وهم عليه.. هذا وحده كفيل بصرف قلوب الموحدين عنهم، والكف عن سياسة الترقيع والتلفيق أو الكلام عن مراجعات أو العودة لقديم ما كانت عليه الجماعة، وموجب – بالتالي – للبحث عن بديل يعود بنا إلى ما كان عليه سلف الأمة ويعتقد معتقدهم جملة وتفصيلًا ويصون الدين ويحفظ له قدسيته ويحقن دماء المسلمين ويحفظ لهم بيضتهم وكرامتهم، ذلك أن ما ذكرنا يعد من خلاف التضاد الذي لا يجوز الاجتماع مع القائل به أو التحالف معه، وأيضًا فإن قبول العمل عند الله متوقف على إخلاص العبادة له جل وعلا، والمتابعة لرسوله القائل كما في الصحيحين: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، وذلك قوله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا).

ومعلوم بالضرورة أن مغبة الشرك وعاقبته وخيمة، وحسبنا أنه من نواقض الإيمان، وحسبنا منه كذلك قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به)، وقوله في عدم المجاملة فيه: (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين).. كما أن (توحيد الألوهية) الذي يقضي بإفراد صاحب الخلق والأمر بالتقديس والعبادة، هو الذي من أجله أنزل الله الكتب وبعث الأنبياء والرسل، فهم ما دعوا إلى شيء قبله، وذلك قوله تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.. النحل/ ٣٦)، وقوله: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون.. الأنبياء/ ٢٥)، وقوله: (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون.. الزخرف/ ٤٥)، وقوله عليه سلام الله: (نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد).. أما تفصيل ذلك فشرحه يطول وينظر في شأنه – على سبيل المثال – معارج القبول ١/ ٣٢٠ وما بعدها إبان شرح مؤلفها لما جاء في منظومته المسماة بـ (سلم الوصول إلى علم الأصول)، وفيها قوله عن توحيد الألوهية:

وهو الذي به الإله أرسلا * رسله يدعون إليه أولا .. وأنزل الكتاب والتبيانا * من أجله وفرق الفرقانا

على أن التأصيل لما الخلاف فيه وسيلة للشرك، قد سبق أن رسخ له البنا، واعتبر الخلاف في التوسل المقرون بالدعاء الذي هو مخ العبادة، خلافًا فرعيًا، وفي رد ذلك يقول الألباني في كتابه التوسل أنواعه وأحكامه ص ١٣٣ بعد أن صال وجال في الاستدلال على ما يشرع من التوسل وما لا يشرع: "ومن هنا يتبين أن قول بعض الدعاة الإسلاميين – يقصد: البنا – في الأصل الخامس عشر من أصوله العشرين: (والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة) ليس صحيحًا على إطلاقه، لما علمت أن في الواقع ما يشهد بأنه خلاف جوهري، إذ فيه شرك صريح كما سبق".

وقد ساق صاحب (وقفات) بعض الفتاوى التي ترد عادية البنا وتؤيد بصريح العبارة ما قاله الألباني، ومما ساقه ص ٣١، ٣٢ عن الشيخ صالح بن فوزان عضو هيئة كبار علماء السعودية قوله: "إن التوسل في الدعاء بذوات المخلوقين أو حقهم أو جاههم يعتبر أمرًا مبتدعًا ووسيلة من وسائل الشرك، والخلاف فيه يعتبر خلافًا في مسائل العقيدة لا في مسائل الفروع"، ومما ساقه ص ٢٧ وما بعدها عن الشيخ التويجري قوله: إن التوسل بالمخلوقين مردود بموجب نصوص الوحي "وما كان مردودًا بالنص الثابت عن النبي، فالقول بجوازه قول باطل يمس العقيدة وليس من الخلاف في الفروع".

وليراجع بقية كلامهما فإنه من الأهمية بمكان.. ولقد وصل الأمر حدًا جعل أوائل من عنوا بشرح أصول البنا، يعيب عليه تهاونه في أمر التوسل هذا، ونذكر من هؤلاء عبد الله البنا الذي على الرغم من تعصبه علق يقول: "والصواب في منع هذا الدعاء، لأنه لم يرد دعاء عن النبي ﷺ توسل فيه بأحد من خلقه، وكذلك لم يرد عن الصحابة مثل هذا الدعاء، والخير دائمًا في الاتباع لا في الابتداع"أ.هـ من شرح الأصول العشرين ص ٥٤.. وبالطبع فقد أدى تهاون مرشدي جماعة الإخوان إلى أن صار سواد جماعتهم الأعظم يغضون الطرف ولا يتبرءون مما ذكره قادتهم من شركيات، ولا دلالة لسكوتهم عن هذا سوى رضاهم في المجمل عنه.

([2]) ويقرأ في ذلك على سبيل المثال: كتاب (تحفة الإخوان في صفات الرحمن.. إطلالة على رسالة العقائد ومنهج البنا وجماعة الإخوان في توحيد الصفات).

وغيرهم كثير، وعلى غرار ما جرى في رابعة ومسجد بلال بالمقطم وما كان أمام قصر الاتحادية، وشهدت له وبه ولا زالت محاكم مصر في مختلف محافظاتها.

ثانيها: يؤكد ما سبق ذكره: ادعاءات فرقة الإخوان – على ما بها – بأنها جماعة المسلمين، كذا دون ما تمكين ولا إمام فعلي، فقد جاء في (مجموعة الرسائل) للبنا ص ١٨١: "وإن أبيتم إلا التذبذب والاضطراب، والتردد بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة، فإن كتيبة الله ستسير غير عابئة بقلة ولا كثرة، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم"، ويؤكد البنا هذا المفهوم عندما قسم المسلمين في (الرسائل الثلاث) إلى أربعة أقسام: "مؤمن، متردد، نفعي، متحامل".

وانطلاقًا من هذا تكون جماعة الإخوان بزعمها هي ملتقى المؤمنين وجماعة المسلمين، وفي ذلك يقول سعيد حوى في (دروس في العمل الإسلامي) ص ١٩: "ولا زالت دعوة الإخوان وحدها، هي الجسم الذي على أساسه يمكن أن يتم التجمع الإسلامي في العالم"، ويقول في (آفاق التعاليم) ص ١٣: "لئن كان البنا بمجموع ما حباه الله هو المرشح الوحيد؛ لأن يطرح نظريات العمل الإسلامي، فالدعوة التي أقامها تركيب ذو نِسب معينة، فمتى اختلفت هذه النسب حدث الفساد"، ويقول عن جماعته: إنها "الجماعة التي ظهرت بها الآن صيغة الحق الوحيدة المتعارف عليها خلال التاريخ، والمتمثلة بأهل السنة والجماعة".

وقد أدى كل هذا بالطبع لأن تُصبِغ الجماعة هذا التصور بصبغة الدين وتتعسف في إسقاط الأدلة عليه، فيقول مؤسسها حسن البنا – كما في كتاب (التاريخ السري للإخوان المسلمين) لعلي عشماوي ص١٨٦ ما نصه: "من لحق بنا فهو مسلم؛ ومن وقف ضدنا فقد حكم على نفسه بالكفر"، كذا؛ يقول ذلك – واصفًا أتباعه على الدوام بأنهم أشبه ما يكونون بالصحابة – يقوله وكأنه الرسول المعصوم بأبي هو وأمي ..

ويقرر حوى (في آفاق التعاليم) ص ١٥ ومعه كتيبة الإخوان، بأنهم المعنيون "بقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: (أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)"، ويردف مؤكدًا هذا المعنى فيقول: "إن الأصل الذي لا يجوز أن يغيب عن المسلم، هو أنه لا بد للمسلمين من جماعة وإمام، وأن الواجب الكبير على المسلم، أن يكون ملتزمًا بجماعة المسلمين وإمامهم، وهذا هو المفتاح الأول لفهم قضية الإخوان".

وكانت نتيجة ذلك بالضرورة: الوقوع في هوة تكفير الغير وأن الخارج على جماعة المسلمين التي هي جماعة الإخوان، خارج عن الإسلام حلال الدم، لحديث: (من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)، يقول حوى في كتابه (من أجل خطوة إلى الأمام) ص٤٠ بعد أن ساق الحديث، ساحبًا إياه على من خالف جماعته وإمامها: "وعلى كل مسلم ألا ينتسب لتنظيم أو جهة ليست من الجماعة، لأن الطاعة لا تجوز إلا لولي الأمر من المسلمين، وتحرم على غيرهم اختيارًا"، ومعلوم بالضرورة أن مثل هذه الادعاءات، أكبر دليل على بدعية من يقول بها، وأن جماعة الإخوان جماعة خارجية تكفيرية بامتياز.

وثمة أسئلةٌ تطرح نفسها، أهمها: ما مدى صحة ما ندَّعيه هنا على جماعة الإخوان تنظيرًا وتطبيقًا؟، وما هو حال مجتمعاتنا في هذه الآونة التي ضاعت فيها الخلافة على يد أتاتورك العلماني وشغر الزمان منها؟، وماذا عن موقف الجماعة فيما تدعيه لنفسها من أنها جماعة المسلمين حيال أولياء الأمور من الحكام المتغلبين أو المنتخبين في عامة ديار ومجتمعات المسلمين الجاهلية –على حدِّ ما تمخضت عنه أفكار جماعة الإخوان التكفيرية– وبخاصة من وضعوا في دساتيرهم أن (الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع)؟، وما الفرق بين بيعات ولاة الأمور والبيعات الخاصة على الطاعة سعيًا لتحقيق مقاصد الإسلام وواجباته التي لا تتم إلا من خلال العمل الجماعي، وعملًا بقاعدة (أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)؟.. ونوجز الجواب في أمور:

الأول: "أن وضع الإخوان أنفسهم فوق مستوى النقد بوصفهم جماعة المسلمين، ادعاء لا يستقيم أمره لأسباب علمية وأخرى عملية، فأما العلمية فمن أفواههم وأقوالهم السابقة ندينهم، ناهيك عن استدلال العلماء على مستحقي لقب أهل السنة بحبهم أصحاب الحديث، فقد قالوا: (إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل: يحيى بن قطان وعبد الرحمن بن مهدي وابن حنبل وابن راهويه، فاعلم أنه على السنة،

ومن خالف فاعلم أنه مبتدع)، وذلك أن أصحاب الحديث لم ينحرفوا عن البيضاء النقية، وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، بينا جماعة الإخوان – التي جددت فكر الخوارج ووسمت بصفات أهل البدع – لا تقيم للسنة ولا لأهلها وزنًا، والوقائع والتاريخ بل وكتاباتهم تشهد أنها تضرب بأقوال علماء أهل السنة وأصحاب الحديث على مر العصور عرض الحائط، وفي تأكيد ذلك يقول حوى في (المدخل) ص ٢٧: (أما ما ذهب إليه بعضهم من أن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث، فليس فيه نص، وإنما هو فهم لبعض المحَدِّثين)" ا.هـ بتصرف من كلام د. سليم الهلالي ١٥٩ تحت عنوان: (العقيدة أولًا لو كانوا يعلمون) وينظر باقي كلامه فإنه من الأهمية بمكان، لتعرضه لبعض ما ضلت فيه جماعة الإخوان فيما يتعلق بأمور الاعتقاد ومظاهر الانحراف عن منهج جماعة المسلمين وأهل السنة.

الثاني: أن أمر ضياع الخلافة تحدَّث عنه النبي ولم يتركه للأهواء، وبين واجب المسلم حيال ضياعها، وذلك في حديث حذيفة المتفق عليه، وفيه: "كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر، قال: (نعم)، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير، قال: (نعم وفيه دخن)، قلت: وما دخنه، قال: (قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر)، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر، قال: (نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا)، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تَعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)".. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة ١/ ٥٦٠ وهو يتحدث عما يقتضيه حديث حذيفة من وجوب طاعة الإمام ذو السلطان الموجود بالفعل والذي له القدرة على عمل مقصود الوِلاية، وإن كان فيه ما فيه: "وهو ﷺ قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، وبقيام رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان الإنس، وأمر مع هذا بالسمع والطاعة للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فتبين أن الإمام الذي يطاع هو من كان له سلطان، سواء كان عادلًا أو ظالمًا".

ووجه الدلالة: أن آخر الحديث بتعليق ابن تيمية الفائت، يتنبأ بشغور الزمان من الخليفة، ويُلزم من حضر تلك الآونة أن ينأى بنفسه عن الدعاة على أبواب جهنم وعلى رأسهم الخارجين على السلاطين، كما يُحتم اعتزال جميع الفرق إذ لا يجوز بحال أن تَشق فِرقة – مهما أوتيت من علم أو تقوى – صف جماعة المسلمين وتدَّعي أنها جماعتهم فيتسنى لها حينها أن تكفر كل من لا ينضوي تحت لوائها، أو تجعل من نفسها دولة داخل كل دولة وبخاصة لو كانت هذه الدولة دار إسلام كما يفعل كل ذلك جماعة الإخوان وتدين لله به، إذ في ذلك من الفتنة ما الله به عليم، وما يجري في أرض الواقع وبخاصة في العراق واليمن وليبيا، شاهد عيان على خلل ما تقوم به فرقة الإخوان، وأنه لا بديل عن اعتزالها وملازمة جماعة المسلمين وأئمتهم من أهل السنة في بلدان المسلمين وإن ظلموا وإن جاروا، وحرمة الخروج على أحدهم بحال وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، ومتابعة الرسول ﷺ في كل ذلك([1]).

الثالث: تعارض ما تقوم به فرقة الإخوان لما رواه الشيخان من قوله ﷺ : (ستكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟، قال: فُوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم)، وفي شرحه للحديث يقول ابن حجر في الفتح ٦/ ٥٧٤: "قوله: (فوا) فعل أمر بالوفاء، والمعنى: أنه إذا بويع الخليفة بعد خليفة –وكذا هو الحال في الإمامة الصغرى بالقياس– فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة، قال النووي سواء عقدوا للثاني عالِمين بعقد الأول أم لا، سواء كانوا في بلد واحد أم

([1]) وفي هذا وما سبق وما سيأتي: رد قاطع ومفحم على مدعي السلفية في سحبهم أمر الشغور على الإمامة الصغرى، وعدَّهم مِن ثَمَّ مَن وليها في ديار المسلمين مجرد موظفين عموميين؛ وليسوا ولاة أمور شرعيين لهم حقوقهم وتجب لهم السمع والطاعة في غير معصية.. فضلًا عن أن تفكيرهم بهذه الطريقة من ضيق العطن، ولازمه فتح الطريق وتسهيل الخروج لا محالة على حكام المسلمين وإن عدلوا، والقول به مفض إلى إثارة الدهماء مع ما هو معلوم من أن تسكينهم من مقاصد الشريعة، ومفض كذلك إلى الشذوذ عن جماعات المسلمين في بلدانهم منذ وقت سقوط الخلافة إلى قرب قيام الساعة حين ظهور المهدي – وقد انتظموا خلالها تحت ولاة أمور شرعيين يجمعون صفوفهم ويحفظون حقوقهم ويجاهدون معهم عدوهم – وهذا يُكذبه الواقع ولا يقول به عاقل، كما أن دعاة السلفية في هذا الذي زعموه؛ لم يُسبقوا إليه ولم يقل به أحد يعتد بعلمه، ناهيك عن كونه في نفسه خروجا معنويًا حذر من أمثاله الشيخ الفوزان في شرح الطحاوية ص٣٢٢ ط. دار الهيثم، فليراجع.

أكثر، هذا هو الصواب الذي عليه الجمهور.. وقال القرطبي: في هذا الحديث: حُكم بيعة الأول وأنه يجب الوفاء بها، وسكت عن بيعة الثاني وقد نُص عليه في حديث مسلم: (فاضربوا عنق الآخر)"، وفي رواية له من طريق عرفجة: (من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنًا من كان)، وفي أخرى: (فاقتلوه)، وفي أخرى عن طريق أبي سعيد: (إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما).

كما يقول ابن كثير في تفسيره لآية (إني جاعل في الأرض خليفة.. البقرة/ ٣٠): "فأما نصب إمامين في الأرض أو أكثر، فلا يجوز، لقوله عليه السلام كما في حديث مسلم: (مَن جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم، فاقتلوه كائنًا من كان)، وهذا قول الجمهور، وقد حكا الإجماع على ذلك غير واحد، منهم إمام الحرمين"إ.هـ.. ونحن بدورنا لو طبقنا هذه الأحاديث وما أجمع عليه علماء الأمة، في ضوء ما خطته جماعة الإخوان لنفسها وللأمة، فليس أمامنا إلا واحدٌ من خيارين:

= أن تفي جماعة الإخوان ببيعة إمامهم المرشد، وتقتل جماهير الشعب المصري مثلًا وهم ما يربو عن المائة مليونًا، لكونه – أعني: الشعب – خارجًا عن جماعة المسلمين (الإخوان)، ولبيعته رئيسًا آخر غير مرشدهم، على الرغم من كونه منتخبًا رئيسًا للبلاد وحائزًا على أغلبية شعب مسلم.

= أو تُدَق عنق المرشد في ميدان عام، وتُحارَبُ جماعته التي تُقَدّر على أقصى تقدير بنصف مليون، باعتبارهم بغاة يشقُّون عصا الطاعة ويصنعون من أنفسهم دولة داخل الدولة، وبخاصة إذا بويع له بعد تنصيب رئيس البلاد([1])، وعلى هذا فقس في سائر بلاد المسلمين.. وإنما أحدث هذه الإشكالية: الخلل الفكري في بيعات الإخوان التي لا حكم لها في الإسلام سوى: (البطلان)، إن كانوا يعقلون ويعملون بصحيح هذا الدين.

الرابع: أن ما خلُصنا إليه هنا، يتفق مع ما قرره علماء الأمة، من: أن أمر العمل الجماعي وما ينتج عنه من تأمير واحدٍ ينظم الأمر ويحسم الخلاف إن وجد، ويكون له حق السمع والطاعة في المعروف، وذلك فيما يعرف بـ (البيعة الخاصة) أو (بيعات العمل)، لا ينبغي أن يتخطى حدود مجالات الدعوة إلى الالتزام والتحاكم بما أنزل الله والعمل على وحدة الصف، إلى غير ذلك مما يدخل فيما يجب على المسلم القيام به ويقع تحت بند التعاون على البر والتقوى، فالشرط في ذلك بعد التزامه هو وجماعته أولًا بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة: ألا يدعي لنفسه ولا لجماعته إمامة صغرى أو عظمى، وألا يطغى بدوره ليصل إلى حد الافتئات على اختصاصات الحاكم الفعلي للبلاد صاحب (البيعة العامة) حال تقصيره، وذلك تحقيقًا للمصلحة ودفعًا للمفسدة، وهذا ما كان يرمي إليه كلام ابن تيمية حين ذكر في مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٩٠ ما نصه:

"يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ : (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)، وقال: (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمَّروا عليهم أحدهم)، فأوجب عليه السلام تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع"، فهو هنا يتناول نوعي البيعة، مستدلًا عليهما بالنقل والعقل وقياس الأولى، وفيه ما يُرَد به على: مَن تجاوز البيعات الخاصة وجعلها حسب هواه عامة، ومَن حرّم العمل الجماعي والاجتماعات والجمعيات الإسلامية على إطلاقها وإن تلافت جميع ما تم التنبيه عليه، وتجنبت مفاسد التحزب والتفرق والافتئات على حقوق أئمة المسلمين ومنازعتهم الأمر، وكانت منضبطة بالشرع كأن خلت من التعصب والولاء على الجماعة واعتبارها جماعة المسلمين، وسخرت نفسها وجهدها لخدمة الدعوة وقضايا الإسلام وصحيح الدين والمعتقد.. إذ قد تتوقف عليها تحقيق المصلحة ودفع المفسدة، وقد تمثل أحسن الوجوه في إتمام الأمور وإنفاذ شرع الله وتربية الأفراد والمجتمعات والحفاظ عليها من الضياع والشُّبه والفتن، لاسيما في ظل قصور وتقصير الجهات الرسمية في تحقيق هذه الأهداف.

([1]) بل ولو كان قبلها، باعتبار بيعاتهم باطلة على نحو ما بينا.

يقول شيخ الإسلام في مجموع فتاويه ٣٤/ ١٧٥ فيما يمثل قاعدة ذهبية في حسم هذا الأمر: "الأصل في الواجبات – يعني: من نحو إقامة الحدود وإنفاذ شرع الله وعقد ألوية الجهاد ونحو ذلك من فروض الكفايات المخاطب بها الأمة – أن تقام على أحسن الوجوه، فمتى أمكن إقامتها من أمير، لم يحتج إلى اثنين، ومتى لم تقم إلا بعدد ومن غير سلطان، أقيمت إذا لم يكن في إقامتها فساد يزيد على إضاعتها، فإنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – يعني: المتوقف أمره على الاستطاعة وتقدير الأمور وانضباطها – فإذا كان في ذلك من فساد من ولاة الأمر أو الرعية ما يزيد على إضاعتها، لم يدفع فساد بأفسد منه"إ.هـ.. فأين هذا من الفساد عينه الذي تشيعه الآن فرقة الإخوان ومن على شاكلتها، ومن نظرة تشاؤمية للمجتمع وولاة أموره قد تنتهي بازدرائهما وإخراجهما من الملة، ناهيك عما يتمخض عن ذلك من إفساد وتكفير وتقتيل وتذبيح وتحريق وتدمير.

وبناء على ما سبق، فإن ما يقال من شُبهة شغور الزمان وخلوه عن السلطان ذي النجدة والكفاية والدراية الذي يسعى لوحدة الأمة وإعلاء راية الجهاد بضوابطه والتمكين للدين، وأن ذلك موجب لتنصيب جماعة ما أميرًا لتحقيق هذه المقاصد: هو أمر مبالغ فيه، ولا يعدو أن تكون وقائعه – في نحو ما جرى بـ (غزوة مؤتة) قديمًا، و(أفغانستان) و(البوسنة) حديثًا – وقائع عين، ومخالف لعموم واقع المسلمين وأئمتهم ولما هو الأصل فيهم، ومن ثم فالتوسع في هذا وتحميله لجماعات المسلمين المتناحرة والتي عجزت في الأساس وإلى الآن عن أن تجمع شتات أمرها على كلمة التوحيد والالتزام بنصوص الوحي، تعسف وتلبيس.. كما أن الاتكاء في تمريره على فتاوى أهل العلم قديمًا وحديثًا – على نحو ما جاء في كتاب (تنبيه الغافلين) وغيره – هو وضع لفتاواهم في غير موضعها، بل هو ضرب من الهذيان، يدل على هذيانه:

ما جاء من صريح ذلك في عدم جواز تعدد البيعات: من نحو فتوى الشيخ صالح الفوزان، يقول في جواب وبيان ذلك: "البيعة لا تكون إلا لولي أمر المسلمين، وهذه البيعات المتعددة مبتدَعة، وهي من إفرازات الاختلاف، والواجب على المسلمين الذين هم في بلد واحد وفي مملكة واحدة، أن تكون بيعتهم واحدة لإمام واحد، ولا يجوز المبايعات المتعددة" إ.هـ من المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان ٣٦٧/١ .. كما يدل على هذيانه: حديث حذيفة في سؤاله عن الخير والشر.

ويدل على هذيانه أيضًا: أحاديث السمع والطاعة للإمام المسلم المُمكّن والصبر عليه وما أكثرها، ونذكر منها حديث مسلم: (ألا من وُلِّي عليه وال، فرآه يأتي شيئا من معصية الله، فليكره الذي يأتي من معصية الله، ولا ينزع يدًا من طاعة)، وحديثه (اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم)، وحديث الشيخين: (أدوا إليهم الذي لهم، فإن الله سائلهم عن الذي لكم)، وفي رواية: (أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم)، وفي أخرى: (أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم) وحقهم: طاعتهم في غير معصية، وما رويناه من حديث ابن عباس وفيه: (من رأى من أميره شيئًا يكرهه، فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، فميتته جاهليه)، وفي رواية لمسلم عنه: (من كره من أميره شيئًا فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرًا فمات عليه، إلا مات ميتة جاهلية)، إذ بهذا يُجمع بين النصوص كما يجمع بين أقوال أئمة العلم فلا يتضارب بعضها مع بعض ولا يتعارض.

ثم هو قبلُ وبعدُ: قصور منا نحن الدعاة في الدعوة لصحيح الدين والمعتقد، وفي عموم ما يُرضِي الله عنّا، وفي أثرٍ لقتادة نقله الذهبي في العلو ص ٩٦: (قالت بنو إسرائيل: يا رب أنت في السماء، ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرف رضاك من غضبك؟!، قال: إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم، وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم)، وفي الجواب الكافي لابن القيم فيما نقله عن مالك بن دينار قال: قرأت في الحكمة يقول الله عز وجل: (أنا الله مالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، ولكن توبوا إليَّ أعطِّفهم عليكم)، وفي مراسيل الحسن: (إذا أراد الله بقوم خيرًا جعل أمرهم إلى حلمائهم، وفيئهم عند سمحائهم، وإذا أراد بقوم شرًا جعل أمرهم إلى سفهائهم وفيئهم عند بخلائهم)".

ولقد أثبتت الأدلة عدم جواز طلب الإمارة وإلا وُكل إليها ولم يُعن عليها، وأن المسلم مطالب بأن يسعى لأن يُحْكَم بما أنزل الله لا أن يَحكم هو، كما أثبتت التجارب أنه أجدى من الخروج على السلطان المسلم الذي لا يحكم بما أنزل الله تأولًا أو مكرها أو جاهلًا، وتكفيره: دعوته إلى تطبيق الشرع بكل طريق مشروع، وإعانته على ذلك بشكل أو بآخر، وإحسان الظن به وإخلاص الدعاء له.. وجميع كتب الاعتقاد على إقرار ذلك والتأكيد عليه، ونذكر على سبيل المثال قولة أحمد في أصول السنة ص ٦٤:

"والسمع والطاعة: للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر.. ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق"، وتعليقًا على قول ابن أبي العز (وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا: فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير للسيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل)، يقول الألباني: "وفي هذا بيان لطريق الخلاص من ظلم الحكام الذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، وهو أن يتوب المسلمون إلى ربهم ويصححوا عقيدتهم ويربُّوا أنفسهم وأهليهم على الإسلام الصحيح تحقيقًا لقوله تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.. الرعد/ ١١)".

وجواب من يحتج علينا من (فرقة الإخوان) بما جرى لهم بمصر: أنهم كانوا ولا يزالون يطلبون حقًا ليس لهم، ولا هم له بأهل – وذلك بدعوتهم للبيعات العامة والإمامة العظمى في بلدان المسلمين الذين هم فيها غير ممكنين، وادعائهم أنهم جماعة المسلمين وما يستتبع ذلك من سمع وطاعة عمياء بل وفي المعاصي أحيانا كثيرة، ومن تكفيرهم من ليس منهم – بل ويحتجُّون في طلبه بما هو دليل عليهم لا لهم، فضلًا عن أن صاحبهم بمصر، قد حنث في قسمه فأقام دولته على الإقصاء والتمييز والمحاباة وأعطى نفسه سلطات ليست له، وخان فيما ائتُمن عليه وأفشى أسرار وطنه لأعداء الوطن، كل ذلك وأكثر منه بالمخالفة لدستور البلاد التي أقسم أمام شعبه على احترامه أكثر من مرة، فأفقد شرعيته بنفسه، وثار عليه شعبه بعد أن منحه ثقته.

الخامس: فإذا ما أضفنا إلى ذلك: أن بيعات جماعة الإخوان لم تكن يومًا ما على الإسلام، ولا على صحيح الدين والعمل به، لازددنا يقينًا ببطلان هذه البيعات، ولك كي تتأكد من صدق ذلك، أن تتأمل صيغها التي فيها – كما في كتاب (قانون النظام الأساسي لهيئة الإخوان وشُعَبِها) ص ٧ – : (أُعاهد الله العلي العظيم، على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين، والجهاد في سبيلها، والقيام بشرائط عضويتها، والثقة التامة بقيادتها، والسمع والطاعة في المنشط والمكره، وأقسم بالله العظيم على ذلك، وأبايع عليه، والله على ما أقول وكيل)، وقد تختلف الصيغة من بلد لآخر في كلمة أو ما شابه، لكنها في مجملها لا تخرج عن هذا المضمون، على أن ما سبق هو نص بيعة حركة حماس الذي يمثل الجناح العسكري الجهادي لفرقة الإخوان، وبالطبع هو عينه نص بيعة ما خفي من باقي أذرعها العسكرية، وفي كتابه (التنظيم الخاص) ص ١٣٨ عن توثيقها وأخذها بمأخذ الجد، يقول محمود الصباغ:

"إن أي خيانة أو إفشاء سر، بحسن قصد أو سوء قصد، يعرِّض صاحبه للإعدام وإخلاء سبيل الجماعة منه، مهما كانت منزلته، ومهما تحصن بالوسائل واعتصم بالأسباب التي يراها كفيلة له بالحياة"، وتنسحب كل ما ذكرنا من أحكام على كل الجماعات التي سلكت مسلك جماعة الإخوان كونها هي الأخرى باطلة.

فها أنت أخي الكريم ترى مدى ما عليه القوم من ضلال، تمثل في صيغ لم تُقل حتى لرسول الله المعصوم، ولم تقم على الولاء على الإسلام ولا الجهاد في سبيله ولا العمل بصحيحه.. كما تمَثل فيما استلزمته صيغ هذه البيعات من (سمع وطاعة) غير منضبطين بضوابط الشرع الحنيف ولا مقيدين بعدم ارتكاب الموبقات التي شملت بالفعل فيما شملت: التقتيل والتدمير والتحريق في مجتمعات المسلمين، وبسببهما فُصل الشيخ محمد الغزالي من مكتب الإرشاد وعضوية الجماعة، كونه سعى في تصحيح

مسارهما وقال عنهما في كتابه (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث) بما مفاده: "لا سمع ولا طاعة إلا لله وللرسول ولمن ولاه الله على المسلمين".

وتمثَّل كذلك في شروط ليست في كتاب ولا في سنة، بل هي كما في الحديث المتفق عليه، في واقعة مشابهة: (ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط، كتاب الله أحق وشرط الله أوثق).. وأن أقل ما يقال عنها: إنها بدعية، وينسحب على أصحابها ما ذكره ابن القيم في مختصر الصواعق ص ٦٢٦ ضمن العلامات التي يُميَّز بها أهل السنة عن أهل البدع، من "أن أهل السنة إنما يوالون ويعادون على سنة نبيهم وأهل البدعة يوالون ويعادون على أقوال ابتدعوها.. ومنها: أن أهل السنة لم يؤصلوا أصولًا حكموها وحاكموا خصومهم إليها وحكموا على من خالفها بالفسق والتكفير، بل عندهم الأصول: كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه الصحابة".

ومن قبلُ، شيخه ابن تيمية الذي طالما ردد في غير ما موضع، من أنه "لا يجوز لأحد أن يجعل الأصل في الدين لشخص إلا لرسول الله، ولا لقول إلا لكتاب الله، ومن نصَّب شخصًا كائنًا من كان، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل، فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين مثل اتِّباع الأئمة والمشايخ، فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم العيار، فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم"إ.هـ من مجموع الفتاوى ٢٠/ ٨، ٩.. ومرة أخرى لنا في ذلك كلام يحدد ملامح البدعة، ويثبت ابتداع جماعة الإخوان سيأتي بمشيئة الله تعالى.

السادس: وأضفنا إليه أن الخلافة وبيعتها، الأصل فيهما ألا يكونا إلا في قريش على ما تم تقريره، ازداد يقيننا أكثر ببطلان بيعات فرقة الإخوان، ذلك أن الأدلة واضحة في خلافة قريش وألا ينازعها في هذا الأمر أحد كائنًا من كان، وأئمة العلم على ذلك، ففيما رواه أحمد وصححه الألباني يقول عليه السلام: (الأئمة من قريش)، وعليه يعلق الماوردي في الأحكام السلطانية ص ٣ وما بعدها بقوله: وبه "احتج – أبو بكر الصديق – يوم السقيفة على الأنصار في دفعهم عن الخلافة، لمَّا بايعوا سعد بن عبادة، فأقلعوا عن التفرد بها ورجعوا عن المشاركة فيها حين قالوا: (منا أمير ومنكم أمير)، تسليمًا لروايته وتصديقًا لخبره.

ويقول صلوات ربي وسلامه عليه – فيما صححه الألباني – (قدِّموا قريشًا ولا تَقَدَّموها)، وليس مع النص المسلم به شبهةٌ لمنازع فيه، ولا قولٌ مخالفٌ له"إ.هـ.. ويقول الإمام أحمد في كتاب السنة: "والخلافة في قريش ما بقي اثنان، ليس لأحد أن ينازعهم فيها، ولا يَخرج عليهم، ولا نُقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة"، ويصدقه ما رواه البخاري: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان)، (إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد، إلا كبّه الله على وجهه، ما أقاموا الدين)، وما رواه مسلم: (الناس تبع لقريش في الخير والشر)، يعني: في الإسلام والجاهلية، كما في رواية: (الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم، وكافرهم لكافرهم)، وقد علق النووي في شرح مسلم بعد ذكره جملة من الأحاديث في ذلك، فقال – وبنحوه ابن حجر في باب (الأمراء في قريش) ١٣/ ١٢٦ وما بعدها –:

"هذه الأحاديث وأشباهها، دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرَّض بخلافٍ من غيرهم فهو محجوج عليه بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم وبالأحاديث الصحيحة، قال القاضي عياض: (اشتراط كونه قرشيًا: هو مذهب العلماء كافة)، قال: (وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم يُنقل عن أحد من السلف فيها قول يخالف ما ذكرنا، وكذلك مَن بعدهم في جميع الأعصار)، قال: (ولا اعتداد بقول النَّظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قريش)"، ويردف النووي ت ٦٧٦ قائلًا: "وبيّن النبي أن هذا الحكم مستمر إلى آخر الدنيا، ما بقي في الناس اثنان، وقد ظهر ما قاله ﷺ .. فمن زمنه إلى الآن: الخلافة في قريش من غير مزاحمة لهم فيها، وتبقى كذلك ما بقي اثنان كما قاله"إ.هـ.

ولئن أساغ البعض لنفسه إهمال هذه النصوص لهوى في نفسه، فإنه أولى للمتجرد أن يُعملها، وبخاصة أن معه إلى جانب هذه النصوص: اتفاق الصحابة وإجماع الأمة.. وما علينا هنا درءً للفتنة، إلا اتِّباع

هؤلاء العلماء العاملين من ورثة الأنبياء، دون اتِّباع ذوي الرأي والهوى واستجلاب البلاء والخراب على البلاد والعباد، فكلهم كما قال عنهم رسول الهدى: رويبضة، جنبنا الله مكرهم وشرهم.

المبحث الثاني: أيدلوجية جماعة الإخوان بجعلها المشروع من البيعات غير مشروع والعكس

على أن المتأمل لحديثٍ أبي هريرة الذي صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وفيه قوله ﷺ: (سيأتي على الناس سنوات خَدَّاعات، يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويُخوَّن فيها الأمين، ويَنطق فيها الرُّوَيْبضة.. قيل: وما الرويبضة؟، قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة).. يلحظ أن هذا الحديث يمثل عنوان هذه المرحلة فيما يعرف بحروب الجيل الخامس، ويؤكد ما خلُصنا إليه قبلُ من أن المنهج أو الأيدلوجية التي اختَطّتها (جماعة الإخوان) لنفسها للعمل لدين الله، يكتنفها الخطأ من كل جانب، ويشوبها عيوب قاتلة لأمة الإسلام ذاتها التي مجتمعاتها كما هي لديهم (جاهلية)، ويعتورها مخالفات منهجية ومصطدمة مع نصوص الوحي وأحكام الشرع الحنيف وما استقر عليه إجماع الأمة، وقد ذكرنا من ذلك:

قيامها على بيعات عامة الأصل فيها ألا تعطى إلا لممكنين.. تُعقد من الباطن في كل دولة من دول المسلمين لمن ينازع فيها الأمر أهله ويطلق عليه (مراقب عام)، بما يعني جعلها لأكثر من واحد في كل دور الإسلام، بالمخالفة لحديث: (من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنًا من كان).. ويُقْسَمُ فيها بالولاء التام للجماعة لا لمنهج الإسلام الحق ولا لولي الأمر الشرعي، وبما نصه: (أُعاهد الله العلي العظيم، على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين، والجهاد في سبيلها، والقيام بشرائط عضويتها، والثقة التامة بقيادتها، والسمع والطاعة في المنشط والمكره، وأقسم بالله العظيم على ذلك، وأبايع عليه، والله على ما أقول وكيل).. بحيث تشكل كيانات تكون الطاعة المطلقة فيها لأناس ليسوا بأصحاب شوكة أو سلطان.

وهو ما بحقه يقول شيخ الإسلام في منهاج السنة ١/ ١١٥: "النبي أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين، الذين لهم سلطان يَقدرُون به على سياسة الناس، لا بطاعة معدوم ولا مجهول، ولا من ليس له سلطان ولا قدرة على شيء أصلًا".. بهدف أن يتكوَّن من هذه الكيانات: خلافة وهمية ليست كما أخبر النبي في (مهدي أهل السنة)، ولا هي على (منهاج النبوة) كما جاء في الحديث، ولا هي حاصلة لقريش على ما صرحت بذلك نصوص الشرع وإجماع الأمة على ما ذكرناه منذ قليل.. وبما محصله في النهاية جعل (الإخوان المسلمين) في مصاف الخوارج، كونهم – وقد اعتبروا أنفسهم جماعة المسلمين لهم على الأمة حق السمع والطاعة وأخذوا البيعات لأنفسهم على ذلك ونازعوا الأمر أهله – قد عدَّوا غيرهم بطبيعة الحال خارجين عن جماعة المسلمين.. وبما محصله أيضًا جعل رايتها الجهادية (عُمِّيَّة)، يبطل بل يحرم الجهاد تحتها لحديث: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهليه، ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة، فقُتل، فقِتلةٌ جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرها، ولا يَتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه).

ونذكر من جهاد الإخوان المعاصر تحت رايتهم العُمِّية تلك، بعد أن أزال الله ملكهم في مصر، وبعد أن جعلوا أهلها شيعًا يخاصم لأجلهم الأخ أخاه ويخاصم الولد أباه، والزوج زوجته، والعكس:

١- غزوات خلية (أجناد مصر): وهي مجموعة جرائم وقعت وتم التحقيق فيها في ٤/ ٢٠١٦، يتزعم الخلية طالب بكلية التجارة بالفرقة الرابعة جامعة عين شمس ٢٣ سنة، يُدعى: (إسلام شعبان شحاتة).. وهو: واحد من ٢٢ متهمًا قاموا بتنفيذ العديد من العمليات التي استهدفت قوات الأمن في محافظتي القاهرة والجيزة، منها: استهداف دار القضاء العالي التي راح ضحيتها اثنين من المدنيين.. وتفجير عبوة ناسفة أمام قسم شرطة الطالبية التي راح ضحيتها الرائد (ضياء فتوح) أثناء محاولة إبطال مفعولها.. ومحاولة استهداف تمركز أمني أمام سينما رادوبيس بعبوة تم إبطالها، وتمركز آخر قرب جامعة عين شمس أمام محطة أتوبيس بعبوة انفجرت ولم يصب فيها أحد، وثالث أمام سيتي مول ناحية المريوطية

وكان فيه ٣ ضباط وعربية أمن مركزي ومدرعة تم القبض على منفذَيها، ورابع أمام مستشفى الهرم بعبوة تم كشفها وإبطالها، وخامس ناحية أمام مجلس الشعب ومجلس الوزراء في أول شارع القصر العيني، أمسك قهوجي بمنفذها.

٢- الجهاد في سبيل اغتيال النائب العام للشعب المصري متلبسًا بصيام نهار رمضان: وهي جريمة شنعاء متكاملة الأركان وقعت في ٢٩/ ٦/ ٢٠١٥، وأسفرت عن اغتيال النائب العام المستشار هشام بركات، وقد اعترف الأربعة الذين قاموا بالتنفيذ – وكانوا ضمن ١٤ عنصرًا اتفقوا على ارتكاب الحادث وتم إجهاض مخططاتهم في تنفيذ بعض العمليات الكبرى الأخرى التي تم الإعداد الفعلي لتنفيذها، وأبرزها: محاولة اغتيال شخصيات هامة وعامة والتعدي على بعض السفارات، بمباركة من قيادات التنظيم الدولي للإخوان وقيادات حركة حماس وبعض المهرَّبين في صحراء السودان الجنوبية – والأربعة هم:

أ- (محمود الأحمدي عبد الرحمن) طالب بكلية لغات وترجمة جامعة الأزهر الفرقة الثالثة، اعترف بأنه شارك بعد ٣٠/ ٦ في كل الفعاليات الثورية داخل الحرم الجامعي وخارجه، ثم اشترك في العمل النوعي والمسيرات الإخوانية لقطع الطرق وإلقاء الشماريخ على القوات الأمنية وتفجير أبراج الكهرباء.. كما اعترف بتنفيذ عملية اغتيال المستشار بركات مستخدما الريموت كنترول لتفجير السيارة الملغومة التي استهدفته، وبأنه كان يقف على بعد ٣٠ مترا فقط من موقع الانفجار، وبأنه تلقى تكليفًا عن طريق برنامج (لاين) من الإخواني الهارب بتركيا الذي كان يعمل متحدثًا باسم وزارة الصحة إبان حكم د. مرسي، د.يحيى موسى، الذي كلف الأحمدي بالذهاب إلى غزة لتلقى دورة تدريبية في معسكرات حماس، وأنه توجه إلى غزة عن طريق مهربين من الأنفاق واستمر في الدورة شهرًا ونصف، وهناك التقى بأبي عمر وهو ضابط مخابرات تابع لحركة حماس، وتلقى دورة تدريبية في التكتيكات العسكرية وحرب العصابات وصناعة المتفجرات من المواد ثنائية الاستخدام، وتركيب الدوائر الكهربائية وتفخيخ السيارات، ولم يتمكن من العودة إلى مصر إلا بعد ٣ أشهر بسبب وجود صعوبة في التسلل عبر الأنفاق، ثم كلفه د.يحيى بإعداد عبوة متفجرة زنة ٦٠ كيلو جرامًا لتفجير موكب النائب العام.. واعترف بأنه تسلم المواد وقام بنقلها إلى مزرعة بمركز ههيا بالشرقية، وقام بخلطها وإعدادها ووضعها داخل حقائب ثم نقلها إلى شقة بالشيخ زايد التي وضع فيها المواد المتفجرة داخل البرميل، ثم حدد يحيى له ٢٨/ ٦ موعدًا لتنفيذ العملية، وبعد فجر ذلك اليوم، أحضر أبو القاسم منصور سيارة ماركة (سبرانزا)، وقاما بإنزال البرميل في حقيبة السيارة، وتوجه أبو القاسم بها إلى مسكن النائب العام بمنطقة مصر الجديدة.

كما اعترف المحمدي بأنه ظل منتظرا حتى مرور الموكب، إلا أنه لم يمر، وأبلغتهم مجموعات الرصد بأن الموكب غيّر خط سيره، وتركوا السيارة في موضعها وغادروا، قال: "تلقينا تكليفا من د.يحيى بأن نقوم بالتنفيذ في اليوم التالي، وبالفعل توجهنا إلى موقع الحادث، وعندما أبلغتنا مجموعات الرصد بتحرك الموكب نحونا واقترب الموكب من السيارة المفخخة، قمتُ بالضغط على الريموت وانفجرت في الحال، واندفعتُ من الموجة الانفجارية وكذلك اندفع معي أبو القاسم قليلًا، وأصيب إصابات طفيفة بيده، لكنه تمكن من تصوير الانفجار"، وأكد المحمدي أنه تواصل على برنامج (لاين) مع د.يحيى أثناء هروبه في السيارة وقال له: "لقد تم التنفيذ".. واعترف أيضًا بأنه بعدها بأسبوع تلقى اتصالًا هاتفيًا من أبي عمر ضابط المخابرات التابع لحماس، وقال له: "مبروك لقد نجحتم ومازال أمامكم المشوار طويلاً".

ب- و(أحمد جمال أحمد محمود) بمعهد تحليل جامعة الأزهر، مقيم بمركز ديرب نجم محافظة الشرقية، اعترف بأنه تم تسكينه في أسرة إخوانية، وشارك في العمل النوعي، وكوَّن مجموعات قامت برصد الكمائن والقوات الشرطية داخل وخارج الجامعة، كما شارك في معسكرات (الوفاء والأمل) وتحركات رئيس الجامعة، واعترف بأنه تلقى تكليفًا من يحيى موسى برصد موكب النائب العام، وقال: إنه أرسل له خريطة (جوجل إيرث) بمكان ومحيط مسكن النائب العام، وبعدها قام ومجموعة برصد المداخل والمخارج والمناطق المحيطة والخدمات بالمنطقة لمدة ١٥ يوما، وأبلغهم بذلك وبأن الموكب يتكون من٣ سيارات ودراجة نارية.

جـ- و(محمد أحمد سيد إبراهيم)، طالب بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر مقيم بمركز أبو كبير الشرقية، اعترف بأنه شارك في العمل النوعي وفي عمليات قطع الطرق وتفجير أبراج الكهرباء وحرق سيارات الشرطة.. واعترف بأنه تلقى تكليفًا من يحيى موسى، بأن يتوجه إلى غزة لتلقى تدريبات عسكرية في حرب العصابات وتقنيات تصنيع العبوات المتفجرة، وقال: "إنه خلال هذه الفترة، كان يتلقى الدورة التدريبية بمعسكر حماس، وإن ضابط المخابرات الحمساوي أبا عمر أبلغه بأن زملاءه نجحوا في المهمة وتمكنوا من اغتيال النائب العام، وقال له: "شفت العملية سهلة إزاي، وهي فقط تحتاج شوية تدريب".

د- و(أبو القاسم أحمد علي منصور)، طالب بكلية الدعوة جامعة الأزهر، مقيم بمركز كوم أمبو محافظة أسوان، اعترف بأنه شارك في أحداث الحرس الجمهوري وأحداث المنصة، ثم شارك في مجموعات الحراك الثوري داخل جامعة الأزهر ونظموا إضراب الطلاب عن الامتحانات لشل العملية التعليمية داخل الجامعة.. واعترف بأنه تلقى تكليفا من يحيى موسى بشراء سيارات لتنفيذ بعض العمليات بها، وبالفعل قام بشراء عدد من السيارات وبينها سيارة (سبرانزا)، اشتراها من سوق السيارات ببطاقة لسيدة أخذها من مكتب بريد كانت فقدتها فيه.. وقال إنه التقى بالمحمدي في شقة الشيخ زايد، وقاما في فجر يوم ٢٨ يونيو وفقا للموعد المحدد، بإنزال البرميل إلى السيارة وقاد السيارة إلى الموقع المحدد من مجموعات الرصد، وطلب من المحمدي أن يأتي خلفه بالمواصلات.. وأضاف: "عندما وصلنا إلى المكان تركنا السيارة، وقام أحد الأفراد بمجموعات الرصد بقيادتها وإيقافها في ملف يتجه منه الموكب، وعندما حضر المحمدي طلبتُ منه تفعيل العبوة".. كما اعترف أبو القاسم بأنه "بعد الانفجار جرينا وسط الأهالي وهربنا في سيارة (هيوندای هاتشباك) انتظرَتنا في آخر الشارع".

٣- جهاد سد بلاعات ومصارف الإسكندرية: وهذه أُعلن عنها في ١١/ ٢٠١٥، حيث تم ضبط ١٧ إخوانيًا من (اللجان النوعية) التابعين لجماعة الإخوان المسلمين، شاركوا إثر إصدار تكليفات من قيادات التنظيم بالمحافظة في ارتكاب بعض العمليات العدائية، أبرزها سد المصارف ومواسير الصرف الصحي بإلقاء خلطة أسمنتية بداخلها لعدم تصريف المياه، وحرق وإتلاف محولات الكهرباء وصناديق القمامة لإحداث أزمات بالمحافظة وإيجاد حالة من السخط الجماهيري ضد النظام القائم، كما قام بعضهم بتفجير عبوة ناسفة بمنطقة مناورة القطارات بمحطة مصر دائرة قسم شرطة العطارين بالإسكندرية، ثم إبطال مفعول أخرى بذات المنطقة، وكذلك تفجير عبوة خلف المستشفى الإيطالي بمنطقة لومبروزو دائرة باب شرق.. وفي اعترافه يقول إبراهيم محروس حامد، أحد المُتهمين في القضية، إنه "عضو في التنظيم الإخواني منذ أن كان في الصف الثاني الإعدادي، وبعد ٣٠ يونيو انضم لمجموعة (الإرباك) وكان هدفنا إرباك النظام وتبيين أنه فاشل".

وأضاف: "كنا بنسد المجاري وبنحرق الزبالة، كنا بنشيل أغطية البلاعات ونحط شيكارة أو شيكارتين أسمنت مع زلط".. وفي نفس السياق تم مداهمة أوكار إعداد وتخزين العبوات التفجيرية وعثر على ٣ عبوات متفجرة جاهزة للتفجير، و٣ تحت التجهيز، و٢ سلاح ناري عبارة عن فرد خرطوش و١٢ طلقة من ذات العيار، وطبنجة صوت وخزينة خاصة بها، وكمية كبيرة من المواد الكيميائية والتي تستخدم في تصنيع العبوات المتفجرة.. ونشرت وزارة الداخلية وقتها مقطعَ فيديو يتضمن اعترافات الخلية مصحوبًا بترجمةٍ أسفل الشاشة باللغة الإنجليزية.

٤- اعترافات مجاهدي خلية استهداف معبد الكرنك: وقد نُشرت إزاء هذه الجريمة النكراء في ١١/ ٢٠١٥، تحقيقات نيابة أمن الدولة العليا، واعترافات المتهمين في خلية تنظيم داعش التي كانت تستهدف معبد الكرنك بمحافظة الأقصر، ثم أحالتها النيابة العامة للقضاء العسكري، وكشفت المستندات وأوراق التحقيقات تلقيهم تكليفات من قيادات التنظيم.. وجاء في اعتراف المتهم الثاني (شعبان رجب رمضان رزق) ٣٤ سنة دبلوم صنايع ويعمل مزارعًا، بأن مسئول التنظيم المتهم الأول الهارب: (طارق عبد الستار)، كان موظفَ كهرباء واستقال، وقال شعبان: "أنا عضو في تنظيم جماعة جهادية.. تقوم على فكر تكفير الحاكم وبضرورة الخروج عليه لعدم تطبيقه شرع الله المتمثل في تطبيق الحدود الشرعية وإقامة

نظام خلافة إسلامية، مع وجوب الجهاد ضد قوات الجيش والشرطة، علشان هما دول اللي بيحموا الحاكم الكافر، وأنا عايز أقول إن الجماعة اللي أنا عضو فيها دى نفذت عمليتين ضد الشرطة، وهما: إلقاء عبوة مفرقعة يدوية على قسم شرطة الغمراوي، ووضع عبوة مفرقعة على طريق بني سويف الإبراهيمية علشان تنفجر في دورية سير تبع الشرطة عبارة عن بوكس ولورى أثناء سيرهما، وتقتل وتصيب أكبر عدد من الضباط وأفراد الشرطة، لكن العبوتين دول منفجروش علشان فتيل الاشتعال الخاص بالعبوة الأولى انطفأ، والعبوة الثانية كان موصل بها تليفون محمول علشان تنفجر وإحنا بعيد، لكن بطارية التليفون بتاع القنبلة فصلت شحن وعلشان كده منفجرتش، وعايز أقول:

إن طارق هو المسئول على المجموعة اللي نفذت عملية تفجير معبد الكرنك بالأقصر، واللي نفذها علي جمال وحسين بركات والاثنين دول من المجموعات الجهادية اللي أنا عضو فيها، وكان معاهم اثنين أجانب أحدهما سوداني والثاني من تونس.. بدأتُ أتبع منهج الطرق السلفية مع طارق وبعد ٢٥ يناير أنا انتخبت محمد مرسى كرئيس للجمهورية تنفيذا لدعوة طارق علشان هو قالي: (إن هو ده طريق الدولة الإسلامية والخلافة)، لكن بعد اللي حصل في ٣٠ يونيو لقيت طارق بيقولي: إن إحنا ننزل القاهرة علشان نشارك في اعتصام رابعة ضمن مجموعة كبيرة كانت نازلة معانا لكن أنا منزلتش، وبعد فض الاعتصام بدأ يدعوني أنا وناس تانية علشان نعمل مجموعة جهادية (نجاهد في سبيل الله من خلال تكفير الحاكم وجهاده علشان هو مطبقش شرع الله وبيحكم بغير ما أنزل الله ومطبقش الحدود الشرعية ومش بيحكم بنظام الخلافة الإسلامية) – يقصد: الرئيس السيسي وليس مرسي الذي فعل نفس الشيء – يقول:

ومن فترة واحنا مجتمعين في بيت طارق لقيناه جايب معاه واحد اسمه حسين سمير وعرِفنا إنه من الفيوم، وساعتها بدأ حسين يعلّم المجموعة كلها طريقة تصنيع القنابل والعبوات الناسفة.. وفى مرة جه طارق وطلب مننا نحط مسامير وصواميل داخل العبوات علشان تزود عدد الناس اللي هتموت أو هتتصاب من الانفجار.. وكلفنا أنا وباقي المجموعة إننا ننفذ عملية تفجير قسم شرطة الغمراوي.. وبعد الموضوع ده بحوالي شهر قال لنا: إننا هنفذ عملية تفجير تانية في دورية سير بتعدي علي طريق الإبراهيمية.. وأنا شايف إن (الالتزام الديني من خلال جماعة أحسن علشان ده هيخلينا منظّمين في موضوع الجهاد ونقدر من خلاله نجاهد)".

= وأستحلفُ كلَّ مسلم، بالله أن يجيبني؛ أهذا هو جهاد محمد ﷺ وصحابته وتابعيهم؟؛ أم ما كان الإخوان يرفعون لأجله وإلى الآن شعار (وأعدوا) ويرددون لتحقيقه مقولتهم الشهيرة (والجهاد في سبيل الله أسمى أمانينا)؟؛ أم أنه يا ترى الامتداد الطبيعي لجهاد سابقيهم من البنا ومن تلاه في اغتيالهم رئيس وزراء مصر المسلم (أحمد ماهر) في ٢/ ٤٥، والقاضي المسلم (أحمد الخازندار) في ٣/ ٤٨، ورئيس الحكومة المسلم (محمود فهمي النقراشي) في ١٢/ ٤٨، وتفجيرهم (محلات عدس وبنزايون) في ٨/ ٤٨، و(شركة الإعلانات الشرقية) ١١/ ٤٨.. إلخ، والقائمة طويلة؟.. وليس لأحد أن يقول أن الاعترافات السالفة الذكر تمت تحت تعذيب.. وكذا وكذا، لأن صفعة واحدة تقع على وجه أحد هؤلاء أو أمثالهم من الجماعة، كفيلة بأن تُحرك (أوباما) بصولجانه، وأن تقض مضاجع (أمريكا وألمانيا) بجلالة قدرهما، بل ودول الغرب بأكمله، وبأن يتحرك لها جميع المنظمات الدولية ومنظمات (حقوق الإخوان)، أقصد (الإنسان) المحلية والعالمية، وبخاصة أن الكلَّ يتربص بمصر وشعبها ويعدُّونهما غصة في حلوقهم، كونهما وقفا وصمدا ضد مخططاتهم، وقد وجدوا في جماعة الإخوان التي تمثل (لوبي) في دولهم، ضالتهم.. والجميع يتلكك ويأبى إلا أن تكون سجون الإخوان بمصر، على فداحة وفظاعة جرائمهم بحقها وبحق شعبها وجندها: (فنادق ٥ نجوم).. ولا تعليق.

على أن اعترافات مثل هذه، قيلت على لسان عشرات من خلايا مشابهة، شاركت في عشرات من عمليات كلها كانت ولا زالت تستهدف تفجير وتخريب منشآت واقتصاد كنانة الله في أرضه، على نحو ما تستهدف بالأساس وبحجة عدم تطبيق الشريعة: حاكمها ورجال جيشها وشرطتها.. وكذا يُخطط لجميع الدول العربية والإسلامية إذا ما أتيحت الفرصة وإن أظهروا لحكامها خلاف ذلك، لسبب بسيط هو: وجود واعتناق نفس المنهج والمنطلق الفكري الذي تربوا عليه ولمَّا ينفكوا عنه.. وقد سبق أن سقنا في رد كل

ذلك وفي تشخيص حال هؤلاء وأولئك، أئمة أهل السنة وقول ابن تيمية في (منهاج السنة) ١/ ٥٥٦: "وهو عليه السلام قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته.. وأمر مع هذا بالسمع والطاعة للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فتبين أن الإمام الذي يطاع: هو من كان له سلطان، سواء كان عادلًا أو ظالمًا".

وفي غير ميادين الجهاد بالمنظور الإخواني، نقرأ في حرب الشائعات وتكسير العظام التي تشنها جماعة الإخوان على مصر الكنانة في عام ٢٠١٦ فقط، عناوين: "الأمن الوطني يكشف مخطط الإخوان لتكوين تحالف: (السلمية الرادعة) لمواجهة الدولة بعد ثورة ٣٠ يونيو ..التحريات: استهدفوا إثارة الفوضى الأمنية والإرهاب وإفشال الحكومة وإضعاف النظام السياسي" * "ضبط خلية إرهابية تتواصل مع (بيت المقدس) تستهدف ضرب الاقتصاد المصري بجمع الدولارات" * "ننشر صور سقوط خلية إرهابية ترتدي زى حماس بحوزتهم أسلحة بالبحيرة" * "الإخوان يفشلون في تعكير صفو احتفالات المواطنين بتحرير سيناء، ويلجئون لإصدار بيانات تحريضية، ويزعمون وجود مظاهرات حاشدة ضد الدولة.. وأبو الفتوح يصف تحرير أرض الفيروز بالجزئي، ويتطاول على السعودية ويصفها بـ (الصهاينة العرب)" * "أيمن نور رئيس قناة الشرق الإخوانية التي تُبث من تركيا، يحرِّض روما ضد مصر، مستغلًا في ذلك مقتل الباحث الإيطالي جوليو ريجيني، ويقول في أحد المواقع الموالية للإخوان: (ثِقَل إيطاليا في الاتحاد الأوروبي، والتي تشغل أكثر من ٧٠ مقعدًا من مقاعده، تمكّنُها من ممارسة ضغوط كبيرة لإحداث نتائج ملموسة تتعلق بمقتل ريجيني).. كما حرض نور الاتحاد الأوروبي ضد مصر وطالبه أن يتحرك ضد الحكومة المصرية، وناشد مَن أسماهم بالمعارضة للاصطفاف من أجل إسقاط النظام القائم، ومن أجل التظاهر في ٢٧/ ٤/ ٢٠١٦"، يعني: في مناسبة تحرير سيناء من أيدي الصهاينة ليعكروا على المصريين – كما هي العادة – فرحتهم بانتصاراتهم على اليهود * "خبراء يحذِّرون من الفتنة الطائفية في ليبيا التي يحركها الإخوان والغرب، لتوريط الجيش المصري في صراع طويل لإنهاكه تمهيدًا لتقسيم المنطقة".

كما نقرأ: "كوادر الإخوان بأوروبا تتواصل مع إعلام إيطاليا وأجهزة الأمن والاستخبارات بها وتقدم صورًا ومعلومات مغلوطة عن مقتل ريجيني.. الجماعة تدير ملف تشويه علاقات القاهرة مع الاتحاد الأوروبي من لندن، وتواصلت مع الأمن الإيطالي لتوريط مصر" * "التسجيل الذي تم تصويره مطلع الأسبوع الجاري مع والدة (خالد سعيد): جماعة الإخوان الإرهابية هي المسئولة عنه، وقامت بترجمته إلى عدة لغات كما تم رفعه على موقع يوتيوب، بالإضافة إلى نشره عبر وسائل التواصل الاجتماعي، من خلال لجانها الإليكترونية في إطار حملة ممنهجة، لاستغلال قضية ريجيني في تشويه صورة مصر أمام الرأي العام العالمي والإدعاء بأن الشرطة المصرية هي من قتلته وأنها تمارس قهرًا وتعذيبًا ضد الأجانب الوافدين إليها، والربط بين مقتل الطالب الإيطالي ريجيني وحادثة خالد سعيد الذي تورطت الشرطة في قتله قبل ثورة ٢٥/ ١/ ٢٠١٠ إبان حكم مبارك" * "شباب الجماعة يتواصلون مع مراكز حقوقية ومنظمات دولية وتُسلمُها كشوفًا وصورًا وفيديوهات بوقائع تدّعى أن الشرطة المصرية مارست عنفًا غير مبرر ضد مواطنين أبرياء، بهدف قطع العلاقات السياسية والدبلوماسية بين مصر ودول الاتحاد الأوروبي الذي يُعد الشريك الاقتصادي الأكبر لمصر، بالإضافة إلى ضرب السياحة" * "تقرير للخارجية الأمريكية يتهم الأمن بقمع الحريات واستخدام القوة المفرطة.. والداخلية ترد: التقرير اعتمد على شائعات الإخوان ولا يوجد تعذيب بالسجون ولا اختفاء قصري.. وأشار المصدر إلى أن التقرير تجاهل ما قدمته وزارة الداخلية خلال الشهور الماضية للمسجونين المعاقين والأمهات والغارمات وغير ذلك من الندوات الثقافية والخدمات الطبية والعلاجية وإجراء العمليات الجراحية والمساهمة في محو الأمية للمسجونين" * "الإخوان تُحَوِّل الجامعات الأمريكية لمنابر تحريضية ضد مصر.. الجماعة تستغل (هارفارد) و(كاليفورنيا) و(جورج تاون) لتحقيق أغراضها.. ومصادر: التنظيم يخترق الجامعات عن طريق مراكز الأبحاث" * "عاصم عبد الماجد – بعد أن ورط جماعته –: الإخوان تحالفوا مع الأمريكان والشيعة بدلا من مجاهدة المحتل، وتركوا اليمن للحوثي، بل رأينا تحالفاتهم مع مبارك ضدنا في القرن

الماضي حين قال الأستاذ عمر التلمساني: (أعطونا الشرعية نقضى لكم على التطرف)، وكانت بعدها مبايعتهم لمبارك رئيسًا ووصْمُهم الجماعة الإسلامية بالإرهاب" * "بالفيديو.. مستشار رئيس الوزراء التركي عمر قورقماز للإخوان: أفشلتم الديمقراطية ببلادكم فلا تفشلوها في بلادنا" وشهد شاهدان من أهلها * "قيام التنظيم الإخواني بدفع مبالغ طائلة لبعض المسئولين في جهاز الاستخبارات والحكومة البريطانية، كإحدى الطرق في مسلسل ضرب السياحة والاقتصاد المصري".

كما نقرأ أيضًا: "أصدرت جماعة الإخوان – التي فرطت في الوطن بأكمله وجُندِه قتْلًا وحرقًا وتدميرًا – بيانًا شديد اللهجة استنكرت فيه اتفاقية إعادة ترسيم الحدود بين مصر والسعودية، مشيرة في خبث إلى أنَّ الاتفاقية تنص على تنازل مصر عن جزيرتين للسعودية.. والترويج لأكذوبة البيع: يستهدف زيارة الملك السعودي" * "تأكيد الجبير اعتبار السعودية الإخوان إرهابية، يدحض شائعات التنظيم بتشكيل محور سني يتضمن الجماعة" * "د.كمال حبيب، الخبير في شئون الحركات الإسلامية يصرح: ما كان يتم تصديره من إشاعات حول علاقة السعودية بالإخوان، حاولتِ الجماعة توظيفه في صالحهم، لضرب العلاقات المصرية السعودية" * "الإخوان تستغل علاقتها بحزب المؤتمر السوداني وتحرض الخرطوم على التصعيد الدولي للتفاوض حول حلايب وشلاتين.. وقيادات الجماعة تتزعم الدعوات لإحراج مصر.. ومواقعها تضلل الرأي العام حول تاريخ المثلث" * "خالد الزعفراني: هناك اعترافات إخوانية قديمة تؤكد دعم الإخوان للسودان للحصول على حلايب وشلاتين، موضحًا أن الجماعة تقدم مصلحة تنظيمها الدولي على مصلحة الوطن، وهو ما جعلها تنحاز للسودان على حساب مصر" * "مع اقتراب زيارة كيري.. بيان للإخوان يحرض واشنطن على وقف دعمها لمصر" * "الإعلامي ممتاز القط: جماعة الإخوان ليست متطرفة من الناحية الدينية فقط، ولكنها تقود مؤامرة من الخارج ضد مصر من خلال شراء الدولارات وبيعها في السوق السوداء" * "انكشاف المؤامرة.. خاطف الطائرة المصرية سيف الدين مصطفى يرتدى تي شيرت بشعار رابعة" * "كتب كامل علي: فشل مؤامرات الإخوان لتعجيز مصر.. التنظيم بث شائعات عن: أن قناة السويس مجرد تفريعة.. وأنه مشروع إخواني ١٠٠% .. وعن انقلاب الرياض ضد القاهرة بعد وفاة الملك عبد الله.. وسحب الثقة من الحكومة.. ورفض الإمارات مشروع قناة السويس بزعم أنها ستؤثر عليهم سلبًا، وعندما رحبت الإمارات بحفر قناة السويس شككوا في إمكانية جمع أموال المشروع، وبعد إنجازه نشروا شائعات من عينة فقدان ٢٥٠ عاملًا إثر انهيار جزئي بالقناة وإلغاء فوائد شهادات الاستثمار.. والأيام تثبت أنهم يكذبون كما يتنفسون، وأنهم يروجون الأكاذيب مع شروق كل شمس، ويخلقون كذبة جديدة مع غروبها".

ونقرأ كذلك: "خالد علي وجميلة إسماعيل –طليقة أيمن نور– يدعوان رئيس فرنسا لوقف تسليح القاهرة.. بهي الدين حسن واصلَ التحريض بلقائه (بان كي مون) ومساعدي الرئيس الفرنسي (هولاند)، ويدعو أن تقوم هيئة دولية بزيارة لمصر لتقصى حقيقة وضعية حقوق الإنسان وأنه ليس هناك أكثر جدارة من الأمم المتحدة للقيام بهذه المهمة.. وجمال عيد يتجاهل شهداء الإرهاب ويعتبر مواجهة الإرهابيين في سيناء عنيفة.. وأيمن نور يخصص قناته لنشر الشائعات من تركيا" * "متحدث الداخلية اللواء أبو بكر عبد الكريم: السقا وبدر ينسقان مع الإخوان.. ولم نقتحم نقابة الصحفيين" * "د.سعيد اللاوندي الخبير في الشئون الدولية: الشائعات التي ركزت عليها جماعة الإخوان خلال الفترة الماضية: تضمنت محاولة إفساد العلاقة بين مصر ودول الخليج، واعتمدت على تسريبات مفبركة بثتها عبر قنواتها الإعلامية في الخارج، ولكن دول الخليج كانت على وعى بتلك المؤامرات وردت عليها بمزيد من سبل الدعم والتعاون والزيارات المتبادلة، وأوضح الخبير أن التنظيم استغل معظم المشروعات التي أعلن عنها الرئيس السيسي، مثل: مشروع العاصمة الإدارية الجديد والمشروعات الاقتصادية إلى جانب مشروع قناة السويس، لبث شائعات حول فشل هذه المشروعات، وعدم تنفيذها ولكن الشعب المصري الذي كشف كذب الإخوان خلال حكمهم لم يصدقهم، بل دعم القيادة السياسية وسيظل يدعمها لتنفيذ كافة المشروعات التنموية" * "فضت هيئة محكمة جنايات القاهرة أحراز قضية (فض اعتصام رابعة العدوية)،المتهم فيها محمد بديع مرشد جماعة الإخوان، و٧٣٨ متهمًا من أنصار الجماعة، وهي عبارة

عن جوال بلاستيكي بداخله ٦ أسلحة آلية، وجوال أخر داخله بندقية خرطوش، و٧ خزن أسلحة فارغة، و١٥ طلقة آلية، و١٣٠ نبلة، ٣١ بلية خرطوش، وحرز آخر عبارة عن شيكارة بلاستيكية تحوى أيضا ٦ بنادق آلية، وآخر به ٢١ فرد خرطوش محلى الصنع، وفارغ طلقة من ذات العيار.. وكانت النيابة أسندت إلى المتهمين عدة اتهامات، منها القتل العمد مع سبق الإصرار للمواطنين وقوات الشرطة المكلفة بفض تجمهرهم، والشروع في القتل العمد" * "أعلنت حركة المقاومة الشعبية المرتبطة بجماعة الإخوان، مسئوليتها عن حادث حلوان الذي راح ضحيته ٨ من رجال الشرطة" * "صاحب محل بالرويعى: الحريق بفعل فاعل وأشخاص ألقوا بودرة سريعة الاشتعال على المحالات لتزيد النار اشتعالًا".

وأخيرًا وليس آخرًا: "لواء أركان حرب متقاعد/ حسام سويلم: جرائم الجماعة ضد الشعب المصري فاقت ما ارتكبته إسرائيل" وأدعو كل منصف لقراءة هذا المقال ليرى حجم وهول الكارثة.. والخلاصة: أنه ما من مصيبة أو بلية أو كارثة تحل على مصر وأهلها منذ نشأت الجماعة إلا وهي وراءها، وما من باب من أبواب الشر يعجز عنه إبليس وجنده في الإضرار بمصر إلا سلكه (الإخوان)، كذا دون أن يرقبوا في وطنهم ولا شعبهم ولا أهليهم إلا ولا ذمة!.. ولله في خلقه شئون.

على أن كل هذه الحروب والاستهدافات وسيل الأكاذيب والإشاعات واستعداءات الخارج مع ظهور مخالفة كل ذلك للشرع، إنما هو ناتج عن جهل مركب وأفكار مغلوطة لدى جماعة الإخوان وكل من خرج من عباءتها، وأساسها:

١- اعتبار (الإخوان) أنفسهم – دون سائر أهل السنة وفي كل دول العالم – الأحق بالإمامتين الصغرى (حكم كل دولة بمفردها) والكبرى (السيادة على العالم باسم الخلافة).. ٢- منابذة ومنازعة من ليسوا منهم ولم يؤمن بفكرتهم من حكام المسلمين، وتكفيرهم بحجة عدم تطبيق الشريعة الإسلامية أو أنهم طواغيت ولا يمثلون جماعة المسلمين.. ٣- مقاتلة والسعي لتفكيك الجيوش والشرطة كونها تحمي أنظمتهم ومن الطوائف الممتنعة، وتكفير آحادهم أحيانًا أو الحكم عليهم بالردة كونهم جند الطاغوت.. ٤- السعي من وراء كل ذلك لإقامة خلافة يزعمون كذبًا – كونها على غير منهاج النبوة وما هم بقرشيين – أنها ستكون فيهم أو ستؤول إليهم.. ٥- التضحية بالأوطان والشعوب المسلمة في حال تعارضت مصالحها مع ما ينادون به.. ٦- النظر إلى الدعوة على أنها ليست هدفًا في حد ذاته وإنما مجرد وسيلة لتربية وتهيئة كوادر للعمل الجهادي إذا ما أتيحت الفرصة.

تلك هي مجمل وأساس وأصل الأفكار التي تحملها جماعة الإخوان وكل جماعات العنف أو الإسلام السياسي.. وهذه أفكار في الحقيقة وَجَد أعداء الإسلام فيها وفيمن يحملها – عمليًا – ضالتهم، سعيًا منهم هم الآخرين على الانقضاض على العالمَين العربي والإسلامي بأساليب حديثة تحفظ على الأعداء جيوشهم وتروِّج لمصانع أسلحتهم وتدفع باقتصادهم إلى الأمام، وفي المقدمة من هذه الأساليب الدفع بنظراء هؤلاء من الشيعة لمثل هذا، كونهم يحملون فكرة الإمامية التي تماثل فكرة الإخوان عن الخلافة.. كما أنها أفكار تستوجب – شرعًا – مناقشتها كونها غير مسلَّمٍ بها ويجب الرجوع عنها لأسباب:

أولها: أن دعوى أحقيتهم بالإمامتين الصغرى والكبرى.. سبق أن ذكرنا أنها ناشئة عن اعتبار أنفسهم جماعة المسلمين المستحقين للبيعات العامة والسمع والطاعة المطلقة، ومن ثم وجب الجهاد تحت رايتهم.. وهي أمور تم الرد عليها مجملًا في مقدمة هذا المقال، وتفصيلًا في المبحث الفائت وغيره.

ثانيها: أن منابذتهم من ليسوا منهم أو من لم يؤمن بفكرتهم من حكام المسلمين، فيها مخالفة شرعية صريحة، لورود النهي عن منازعة الأمر أهله من أهل الخبرة والحنكة والسياسة، من نحو: ما جاء في حديث عبادة بن الصامت المتفق عليه، وفيه قوله: (بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان، وعلى أن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم)، وكثيرة هي تلك الأحاديث التي جاءت في هذا المعنى.. ومعنى بواحًا كما في رياض الصالحين للنووي: "ظاهرًا لا يحتمل تأويلًا"، قال ابن حجر في الفتح ١٠/١٣: "قال الخطابي: (معنى قوله بواحًا، يريد: ظاهرًا باديًا من قولهم باح بالشيء يبوح به بواحًا إذا أذاعه وأظهره).. قوله: (عندكم من الله فيه برهان)، أي نص آية أو خبر

صحيح لا يحتمل التأويل، ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل، قال النووي: (المراد بالكفر هنا: المعصية، ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم، إلا أن تروا منهم منكرًا محققًا تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم)"إ.هـ، ومراده بالمعصية ما جاء في نحو قوله تعالى: (فعصى فرعونُ الرسولَ.. المزمل/ ١٦)، وهو بذلك في معنى ما قاله ابن حجر.. وقال ابن عثيمين في شرحه رياض الصالحين ٢/ ٤٢١: ٤٢٣ – وبنحوه في الشرح الممتع على زاد المستقنع ١١/ ٣٢٤ –: "قوله: (ألا ننازع الأمر أهله)، أي: لا نحاول أن نجعل لنا سلطة ننازعهم فيها، ونجعل لنا من سلطتهم نصيبًا لأن السلطة لهم، فلا ننازعهم"، فأين نحن من هذا كله؟.

ويُكمل –رحمه الله– قائلًا: "وقوله: (إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان)، ففي هذه الحالة ننازعهم، لكن هذا يكون بشروط، الأول: (أن تروا) أي: أنتم بأنفسكم لا بمجرد السماع، لأننا ربما نسمع عن ولاة الأمور أشياء، فإذا تحققنا لم نجدها صحيحة، فلا بد أن نرى نحن بأنفسنا مباشرة، سواء كانت هذه الرؤية رؤية علم أو رؤية بصر، المهم أن نعلم.. الثاني: (كفرًا) أي: لا فسوقًا، فإننا لو رأينا فيهم أكبر الفسوق فليس لنا أن ننازعهم الأمر إلا أن نرى كفرًا.. الثالث: (بواحًا) أي: صريحًا ليس فيه تأويل، فإن كان فيه تأويل ونحن نراه كفرًا ولكن هم لا يرونه كفرًا، سواء كانوا لا يرونه باجتهاد منهم أو بتقليد من يرونه مجتهدًا، فإنا لا ننازعهم ولو كان كفرًا، ولهذا كان الإمام أحمد يقول: (إن من قال القرآن مخلوق، فهو كافر)، والمأمون كان يقول: (القرآن مخلوق، ويدعو الناس إليه ويَحبس عليه)، ومع ذلك كان يدعوه بأمير المؤمنين؛ لأنه يرى بأن القول بخلق القرآن بالنسبة له ليس بواحًا وليس صريحًا، فلا بد أن يكون هذا الكفر صريحًا لا يحتمل التأويل، فإن كان يحتمل التأويل فإنه لا يحل لنا أن ننازع الأمر أهله.. الرابع: (عندنا فيه من الله برهان) أي: دليل قاطع بأنه كفر، لا مجرد أن نرى أنه كفر، ولا مجرد أن يكون الدليل محتملًا لكونه كفرًا أو غير كفر، بل لابد أن يكون الدليل صريحًا قاطعًا بأنه كفر.. فإذا تمت هذه الشروط الأربعة فحينئذ ننازعه، لأنه لا عذر.

على أن هذه المنازعة الناشئة عن التكفير لها أيضًا ضوابطها، إذ لا يعني ثبوت كفر الحاكم: التعجل إلى الخروج عليه، بل إن الأمر في هذا يتوقف على المصلحة الشرعية في ذلك من عدمها.. إضافة إلى أنه لا يجوز لآحاد الناس إصدار الأحكام في هذا الأمر الخطير الذي قد يجر على الأمة من البلايا ما لا يحصى، بل يُسند ذلك إلى العلماء وأهل الحِل والعَقد في هذه الأمة، والواقع خير شاهد على خطورة التساهل في هذا الباب"إ.هـ.

والقول بأن هذا هو ما جرى بمصر أيام مرسي، يرِدُ عليه أن من سَمَّاهم (خيرت الشاطر) بـ (أهل الحِل والعقد)، انساقوا وراء عواطفهم وخلف أهل البدع، وارتضوا لأنفسهم بأن يَخرجوا من دائرة أهل السنة ليسيروا وبالأمة مسيرة الخوارج، وقد أعلمناهم بهذا لكن لا حياة لمن تنادي، ثم إن د.مرسي نفسه الذي طبَّلوا له وزمَّروا قال عنه د.عبد الله بدر: (إنه لم يطبق لا شريعة ولا مريعة) وقال أحمد فريد السلفي: (مرسي خان العهد والأمة، وأن الشيعة خط احمر وعلى جثته، فالأحمر بقا اخضر! وفين: الإسلام هو الحل.. ولو اعرف كده لانتخبت أحمد شفيق)، وعندما سئل مرسي نفسه عن تطبيق الشريعة قال: (إنها مطبقة أوردي، وأن الحدود مجرد أحكام فقهية)، كما خرجت بعَهده مليونية تطالبه بتطبيق الشريعة ولم يستجب، فعلام كل هذه النعرات وأعمال القتل والتفجيرات؟، لكنه التعصب الأعمى والجهل المركب وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ويأتي على رأس ضوابط تكفير الحاكم أيضًا، مراعاة أحكام التكفير الشرعية: أي اعتبار التكفير حكمًا شرعيًا، وأن القول فيه خالص حق الله لا حق فيه لأحد من عباده، ومن أحكامه الشرعية: أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر بالعبد، أن يصير كافرًا الكفر المطلَق الناقل من الملة، حتى يقوم به أصل الكفر، بناقض من نواقض الإسلام الاعتقادية أو القولية أو العملية، من نحو: "عدم الإيمان بالله ورسوله سواء كان معه تكذيب أو شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حسدًا أو كبرًا أو اتباعًا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة" كذا بمجموع الفتاوى ١٢/ ٣٣٥، ومن نحو: الإتيان بما يناقض التوحيد: كأن

يسجد لصنم أو يهين المصحف.. أما الحكم بغير ما أنزل الله بحق الحاكم فقد يكون كفرًا أصغر أو كفرًا دون كفر أو كفر عمل، إذا كان معتقدًا أن حكم الله ورسوله هو الحق ولم يحكم به، وهو المشار إليه بقول ابن عباس: (كفر دون كفر)، وإنما يتأتى الكفر البواح الظاهر المحقَّق غير المحتمل التأويل: إذا استخف بحكم الله أو استحقره أو اعتقد أن غيره أفضل، وهي كما ترى أمور قلبية لا يتسنى لأحد أن يطلع عليها أو يجزم بها، ولسنا مكلفين بذلك ولنا الظاهر، وعقيدة أهل السنة في هذا كما في الطحاوية:

"ونرى الصلاة خلف بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم.. ولا نشهد عليهم بكفر ولا شرك ولا نفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى.. ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة".

ومن أحكامه: ألا يصدر الحكم بالتكفير من آحاد الناس أو جماعتهم، وإنما مرد ذلك إلى العلماء الراسخين في العلم الشرعي والمشهود لهم بالخيرية والفضل من غير مَن ذكرنا.. ومن أحكامه: ألا يصدر إلا بعد قيام الحجة الرسالية التي لابد فيها من تحقق شروط وانتفاء موانع وذلك باب يطول شرحه.. كما أن خلع الحاكم وحْده عند كفره والقدرة عليه، لا يكفي حتى تُؤمن الفتنة فلا يقع القتل ويكثر الهرج ويموج الناس كما يجري في سوريا الآن.. وإلا بوجود البديل المسلم الصالح وليس الخارجي أمثال الرئيس الأسبق أو الشيعي أمثال بشار وحسن روحاني وحسن نصر الله وعلى خامينئ ومقتدى الصدر.. فأين كل هذا مما يقع ولا يزال من أئمة الخوارج المتزين بزي أهل السنة، ومما أحدثوه من فتن في سوريا وليبيا والعراق لبنان واليمن ومصر وغيرها من ديار المسلمين.

ثالثها: أن مقاتلة أو السعي لتفكيك جيوش وشرطة الأنظمة الحاكمة، بتكفير مجموعهم أو الحكم عليهم بالردة أحيانًا كونهم جند الطاغوت أو من تحمي أنظمته، أو قتالهم على أنهم طوائف الممتنعة لو أحسنا الظن بها.. فذلك افتراء ما بعده افتراء، وهل يحتاج منا العدو الظاهر والكافر الأصلي سوى هذا وقد قدمناه له طواعية وعلى طبق من ذهب؟.

ومعلوم بالضرورة أن دخول (الاستعمار الغربمركي الحديث) دولة العراق الشقيق واحتلالها لها، إنما جاء نتيجة تفكيك كهذا، قام به المرجع الشيعي بالعراق (علي السيستاني) مقابل ٢٠٠ مليون دولار دُفعت له سنة ٢٠٠٣ لإصدار فتوى تُحرِّم على الشيعة قتال الأمريكان حسب ما كشفت عنه مذكرات (دونالد رامسفيلد) وزير الدفاع الأمريكي السابق، فكان أن سقطت العراق في أيدي الاحتلال الذي قادته أمريكا التي تسعى حاليًا – حسب مجلة (التايم) الأمريكية في ٥/ ٢٠١٥ – لاستكمال مخططها في تقسيمه إلى ثلاث دول: الأولى في الشمال (كوردستان)، والثانية لـ (الطائفة السنية) بمحاذاة سوريا، أما الثالثة فهي لـ (الشيعة) ومكانها في جنوبي العراق وتضم مساحات واسعة منه.. وهي – ومن ورائها الغرب – تريد لمصر وليبيا والسعودية حسب تصريحاتهم –دون أن نعي ذلك أو نأخذ لأنفسنا الحذر للأسف–: مثل ما أرادته للعراق، إعمالًا لما وافق عليه الكونجرس الأمريكي عام ١٩٨٣ في جلسته السرية من مشروع (برنارد لويس)، والقاضي بالتفاهم مع بريطانيا لإعادة تقسيم المقسم بمنطقة الهلال الخصيب وتفكيك البنية الداخلية لكل الدول العربية والإسلامية على أسس دينية ومذهبية، لتتحول بعدها إلى مجموعة من الدويلات تتناحر فيما بينها حتى تصل إلى التدمير الشامل، دون تدخل عسكري من الدول الكبرى فيما يعرف بحروب الجيل الرابع، والإخوان للأسف هم من يسعون بأنفسهم جاهدين لإنفاذ هذا المخطط اللعين علموا بهذا أو لم يعلموا، وما تهليلهم وسجودهم شكرًا لله عند اقتراب البوارج الأمريكية أثناء تظاهرات رابعة حيث لا يرضى بذلك مجنون فضلًا عن أن يرضى به عاقل.

وما اتخاذهم من بلاد الغرب ملاذات آمنة لهم: إلا دليل على ذلك، ثم نعيب على الشعب المصري أنه سعى ويسعى لاقتلاع جذورهم؟!.. وهل يعني تضافر الإخوان على ما ذكرنا، سوى أن هذا هو: الجهاد الذي أراده لهم البنا بقوله في أحد أركان بيعته: "ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد، وبقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد في سبيلها وضخامة الثمن الذي يُتطلب لتأييدها، وبهذا تَعرِف معنى هتافك الدائم

(الجهاد سبيلنا)"، والذي أراده قبلُ بقوله في بند العمل: "ومراتب العمل المطلوبة من الأخ الصدق.. تحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبي – غير إسلامي – سياسي أو اقتصادي أو روحي"؟!.

وبعد أن بدا ضعف حُجج ما يدين به من يتخذون من جند وشرطة المسلمين أعداءً لهم، سهل علينا أن نقول: إن قول سافكي دماء جند المسلمين، بتكفيرهم تمهيدًا لاستحلال دمهم، جرمٌ عظيم حسبهم منه: قول الله تعالى (ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا).. واستنكار النبي الشديد على أسامة وقد قتل مشركًا نطق بالشهادتين متعوذًا، وقوله له: (أقتلته بعد أن قالها؟!، فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم)، وفي رواية: (فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟)، فجعل لا يزيد على أن يقول: (كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟).. واستنكاره الشديد أيضًا على المقداد بن الأسود حين قال: أرأيتَ يا رسول الله إن لقيتُ رجلًا من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدى يديَّ بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمتُ لله، أأقتله بعد أن قالها؟، فقال: (لا تقتلْه، فإنك إن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله – يعني: مسلم – وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال) يعني: تصير كافرًا باستحلالك لدمه.. وهذا كافر كفرًا أصليًا فما يكون الحال والقاتل من الإخوان أو الجماعة الإسلامية على يقين بأن من سيقتله مؤمن موحد بالله.. يا لفداحة الخطب!.

وفي عقيدة الإسلام كما في الطحاوية: "ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد إلا من وجب عليه السيف" يعني من نحو: من أخبر عنه النبي بقوله: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة).

أما القول بأن الجند أشبه بالطوائف الممتنعة الذين أفتى ابن تيمية بقتالهم: فجوابه كما في (نقض الفريضة الغائبة) لفضيلة شيخ الأزهر جاد الحق: "كيف نقارن بين جيش له في كل معسكر مسجد وإمام يقيم بهم شعائر الإسلام، ويصومون رمضان ويتلون القرآن، ويقدمون أنفسهم فداءً لاسترداد الأرض وتطهير العرض، هاتفين في كل موطن وموقع: الله أكبر، وبين التتار الذين وصفهم ابن تيمية بقوله: (قد شاهدنا عسكرهم، فرأينا جمهورهم لا يصلون ولم نر في عسكرهم مؤذنًا ولا إمامًا، وقد أخذوا من أموال المسلمين وذراريهم وخرَّبوا من ديارهم ما لا يعلمه إلا الله.. إلخ"إ.هـ.

على أن هؤلاء الجند في النهاية هم أبناؤنا وإخوتنا، فهل رأيتم عاقلًا في الدنيا يكفِّر أو يقاتل أولاده وإخوته، أم يجتهد عليهم بالدعوة والالتزام بصحيح الدين ولا يكون عونًا للشيطان عليهم؟!.. ثم إن سعي الإخوان من وراء كل ذلك لإقامة خلافة يزعمون كذبًا – كونهم على غير منهاج النبوة وما هم بقرشيين – أنها ستكون فيهم، فقد تكلمنا عنه بما فيه الكفاية.

رابعها: أن التضحية بالأوطان والشعوب المسلمة في حال تعارضت مصالحها مع ما ينادُون به، فهذا من ضيق العطن ولا يقول به أعمى البصر والبصيرة وإلا فاقد لما فَطَر الله الناس بل وسائر المخلوقات عليه من حب الأوطان، وحسبك فعل النبي وقوله عن وطنه الذي غادره مضطرًا: (والله لولا أن قومَكِ أخرجوني منك ما خرجتُ)، وقوله وقد أخبره (ورقة بن نوفل) أن قومه مخرجوه لا محالة: (أو مخرجيَّ هم؟!).. وحسبك أن تعلم أن من موجبات القتال وحِكمة مشروعيته: الطرد من الديار بغير حق، وما أكثر الآيات في ذلك!.

خامسها: أما نظرتهم الضيقة إلى الدعوة وأنها لمجرد التهيئة للعمل الجهادي، فجوابه: هذه البلاد التي فتحت عن طريق الدعوة دون ما غزو أو فتح وما أكثرها، وجوابه كذلك: أن الجهاد ما شرع إلا للدعوة وإزالة من يقف أمامها حجر عثرة من الكفار، أقول الكفار.. إذ هو شرعًا – كما في كتاب (أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية) ص ١١٦ د. علي بن نفيع العلياني –: "قتال الكفار لإعلاء كلمة الله والمعاونة على ذلك، كما فسره رسول الله فيما رواه عنه أحمد عن عمرو بن عبسة قال: قال رجل يا رسول الله ما الإسلام؟، قال: (أن يَسلم قلبُك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك).. إلى أن سأله: وما الجهاد؟، فقال بأبي هو وأمي: (أن تقاتل الكفار إذا لقيتَهم).. وبمثل هذا التفسير للجهاد الوارد عن رسول الله، فسره علماء الإسلام وأئمة المسلمين، فقال ابن حجر في الفتح ٦/ ٥: (هو: بذل الجهد في قتال الكفار)، وقال القسطلاني في إرشاد الساري ٥/ ٣١: (هو: قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله)، وقال الكاساني في بدائع الصنائع ٧/ ٩٧: (وفي عُرْف الشرع: يستعمل في

بذل الجهد والطاقة بالقتل في سبيل الله بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك)، وقال صاحب الدر المختار في حاشيته على رد المختار ٤/ ١٢١: (هو: الدعوة إلى الدين الحق، وقتال من لم يقبله)"إ.هـ ..

فهل هذا ما يرمي إليه الإخوان وعلى رأسهم مؤسسو ومرشدو جماعتهم ومنظريها ومن تبعهم ممن دأبوا على (قتل أهل الإيمان وترك أهل الأوثان)؟؛ اللهم إنا نُشهدك أن ما دأبوا عليه من القتل وترك صحيح الدين، هو ما يُجْرمونه في حق أنفسهم ودينهم وهذه الأمة، ونحن نبرأ إلى الله من كل ذلك.. نسأل الله لنا ولهم الهداية.

الفصل الثالث
الخلافة في قريش وإن رغمت أنوف.. قراءة في نصوص السنة

المبحث الأول:
مصطلحات: (جماعة المسلمين – الدولة الإسلامية – الخلافة).. حقائق وشبهات وردود

سبق أن كشفنا إبان حديثنا عن (انعقاد إمامة المتغلب) و(بطلان البيعات غير المنضبطة بالشرع الحنيف) – عن شبهتين عظيمتين أحدثتا – ولا يزال – فتنًا عظيمة، وفنَّدنا من خلالهما كذبتين كبيرتين من كذباتهم:

أولاهما: اعتقادهم بصحة بيعاتهم الباطلة وببطلان ما أجمع أهل السنة على صحته من بيعة الإمام المتغلب: وقد أوضحنا هنالك أن عكس ذلك هو ما أقره دين الله وأجمع عليه أئمة أهل السنة، وأن الذي أدى إلى معتقداتهم هذه الباطلة، كذبهم الذي أطبق الخافقين ومحاولاتهم تشويه وتزوير الحقيقة وإقناع الآخرين بأن ما جرى في مصر من عزل شعبها مندوبهم د. مرسي كان انقلابًا عسكريًا واغتصابًا للسلطة، ولم يكن نتيجة حنث من د. مرسي في يمين الولاء لوطنه وشعبه، ولا خيانة منه لهما.. ولا كان بسبب فشله في إدارة البلاد وإخفاق برنامج المائة يوم وتفاقم الأزمات الحياتية.. ولا كان نتيجة إحكام قبضة جماعته على مفاصل الدولة بالمخالفة للدستور الذي أقسم على احترامه وما فعل، والذي كفل للشعب حق تداول السلطة وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين دون تمييز.

والحقيقة أن المرء يحار ولا يدري أي انقلاب هذا الذي يُجلب له قاضي القضاة (رئيس المحكمة الدستورية) ليلىَ زمام الأمور بمصر الكنانة لمدة عام، ثم يُجبر بعده الرئيس الحالي من قِبَل جماهير القوى الشعبية والثورية، تساندها المؤسسة العسكرية على ترشيح نفسه، ويحصد من الأصوات ما ذكرنا من خلال انتخابات شهد لها القاصي والداني، ثم يُعطى السلطة من قِبل رئيس المحكمة بموجب وثيقة تسليم وتسلم وبحضور لفيف من أمراء ورؤساء العالم في مظهر حضاري غير مسبوق في تاريخ الإنسانية؟.. ومما يُقضى منه العجب أن هذا السيناريو كان اقتراحًا للدكتور يوسف القرضاوي قبيل تخلي مبارك عن السلطة، وليصدّق كل ذلك من يصدق وليكذب من يكذب، فقد أضحى هذا تاريخًا غير مملوك لأحد وغير قابل للتغيير ولا التبديل.

وقد ذكرنا ساعتها أنه على افتراض كان انقلابًا؛ فعقيدة المسلمين وإجماع أهل السنة والجماعة على شرعية ومشروعية إمامة المتغلب صاحب الشوكة والسلطان كما نص على ذلك شيخ الإسلام وسائر أئمة الهدى على مدار القرون المتطاولة، ومن ثم فالطعن في كلامهم ومعتقدهم: طعن في (إجماع الأمة) أحد مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن والسنة، وأنه كان من الأولى أن تسير جماعة الإخوان ومندوبها مسيرة عثمان والحسن حقنا لدماء المسلمين وجمعًا لكلمتهم، بدل هذه فتنة التي لا زالت تطل برأسها بين الحين والآخر، وقد صدق فيها قول المهلب بن أبي صفرة ت ٨٢: "الحرص على الولاية، هو: السبب في اقتتال الناس عليها، حتى سفكت الدماء واستبيحت الأموال والفروج، وعظُم الفساد في الأرض بذلك".

ثانيهما: ادعاؤهم بأنهم (جماعة المسلمين) من دون غيرهم، وإفهام أتباعهم أنهم مَن يمثلون الإسلام وهم المسلمون، ومن ثم فهم المعنيون بما وعد به الله ورسوله من تمكين.. والحق أن أفعالهم ومخالفاتهم لا تنبئ بأنهم أهلٌ لأيٍّ مما ادعوه ولا هم لما وعد الله من تمكين بأهل، كون وعد الله حاصلًا في آخر الزمان، وسيكون لأهل السنة الذين هم على منهاج النبوة، وبين هؤلاء وأولئك – بصراحة وبشهادة أهل العلم الثقات من المعاصرين – بُعد المشرقين.. وأسباب ذلك واضحة بنصوص الشرع، فلا أحد ينكر أنهم

الحريصون على الإمارة المستميتون في طلبها المتشبثون بتلابيبها، السافكون لأجل كراسي الحكم دماء الموحدين، وقد نهينا شرعًا عن تولية من كان هذا حاله، وإلا فدونك قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: (إنا والله لا نولي هذا العمل أحدًا سأله أو أحدًا حرِص عليه)، وقوله من حديث ابن عمر وهو أيضًا متفق عليه: (من حمل السلاح فليس منا)، وقوله عمن كان دأبهم الخروج على حكام المسلمين: (يقتلون أهل الإيمان ويدَعون أهل الأوثان)، فأنى يكون لهم ولا لأمثالهم ما ادعوه لأنفسهم؟.

الأمر الذي يجعلنا – وبكل أسف – نؤكد على أنه إن كان من أناس لهم حظ وافر من حديث: (سيأتي على الناس سنوات خدّاعات يصدّق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين) وهو في الصحيحة للألباني ٤/ ٥٠٨، فهم جماعة الإخوان ومن شايعهم أو سلك طريقهم من الدواعش والقواعد وغيرهم، فكم من صادق في حديثه وحبه لدينه ووطنه وشعبه كذبوه وهم مَن عُرف عنهم الكذب حتى أصبح صناعتهم، وكم من رجل شهد العالم كله بأمانته وحسن أخلاقه كان من وجهة نظرهم خائن عميل، وهم في واقع الأمر الخائنون والمفشون لأسرار أوطانهم وغير المؤتمنين على مقدرات شعوبهم بل والمدمرون لها، وشواهد ذلك كالشمس لا تحتاج إلى دليل، وحسبك أن تنظر إلى لدادة خصومتهم لمن يناصبونه وقنواتهم العداء بغير حق، وحالهم مع رئيس مصر الحالي وكذا السعودية وتضييقهم الخناق على شعبيهما بافتعال الأزمات لا يخفى على أحد.

وقد كان من نتيجة هاتين الفتنتين العظيمتين المتولدتين عن سيل من شبهات انطلت ولا زالت على كثير من الشباب المغرر به وأنصاف المتدينين: إعلانُ الحرب على كل أنظمة الحكم المسلمة، والكيد والتهديد لمن يكشف أكاذيبهم وشبهاتهم، وسفكُ الدماء وإعمَالُ القتلِ في جنود موحدين كنا ندخرهم لمواجهة أعداء الإسلام بالخارج من شيعة ويهود أعلنوا ولاءهم المطلق لهم، وتخريبٌ طال كل شيء حتى جامعة الأزهر كعبة العلم ومقصد طلابه من أنحاء المعمورة، بل وقضي على الأخضر واليابس في كثير من بلدان المسلمين إنفاذًا لمخططات أعداء الإسلام عن طريق الحرب بالوكالة، وأضرَّ – قبلُ وبعدُ – بالإسلام وبالدعوة إليه في أرجاء العالم.. كما كان من نتيجتهما: سلسلة لا حصر لها من الاغتيالات، كان منها وليس آخرها: اغتيال النائب العام المصري (المستشار هشام بركات) بإشارة من مرسي([1]) وبتدريب من حماس وبتكليف من المتحدث الرسمي لوزير الصحة أيام مرسي الطبيب (يحيى السيد إبراهيم موسى) وباعتراف من (حدثاء أسنان) ممن ربوهم من أبناء الأزهر.. وكان من نتيجتهما كذلك: إهمال النصوص الحاثّة على عدم السعي لطلب الإمارة، والطعن في إجماع ومعتقد أهل السنة في إمامة المتغلب، وإنكار الأحاديث الواردة بشأن الخلافة وأنها في قريش وبحق مهدي أهل السنة، وأنها كانت وستكون لمن كانوا على منهاج النبوة ولمن كانوا من أهل السنة والجماعة لا من أهل البدعة والضلالة.

([1]) ويُعد د.مرسي بهذه الإشارة – التي لاحظها كل من شاهدها أثناء إحدى جلسات محاكمته عن بعض القضايا المنسوبة إليه، وصرح بها ولي الأمر أثناء تعزيته لأسرة هشام بركات رحمه الله – مشاركًا في جريمة قتل النائب العام شرعًا وقانونًا، إن لم يحاسب عليها في الدنيا فسيحاسب عنها يوم يقوم الناس لرب العالمين، ذلك أن التحريض على القتل ولو بالإشارة والرضا به هو نوع مشاركة، قال القرطبي في قوله تعالى: (فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) [هود/ ٦٥]، قوله تعالى: (فعقروها) إنما عقرها بعضهم، وأضيف إلى الكل: لأنه كان برضا الباقين"إ.هـ، وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها - وقال مرة: أنكرها- كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها). رواه أبو داود،وحسنه الألباني.

وعند المالكية والشافعية والحنابلة: "يجب القصاص من الآمر لتسببه ومن المأمور لمباشرته"، فإن قتل النفس المعصومة كبيرة من كبائر الذنوب، وجريمة من أعظم الجرائم، فكيف إذا كانت النفس المقتولة مع عصمتها مؤمنة؟؛ فذلك أعظم جرمًا، وقد قال الله تعالى: (ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا .. النساء/ ٩٣]، وكذلك الإعانة على قتل النفس المعصومة جريمة ومنكر عظيم سواء كان بالتحريض أو الدلالة أو المشاركة بالمال أو الفعل، ذلك أنه لما كان النشاط التحريضي ينطوي على مثل هذه الخطورة، كون المحرض هو العقل المدبر والشرارة الأولى التي تؤدي إلى خلق الجريمة.

فإن دوره والحالة هذه لا يقل خطورة عن دور الفاعل المادي لها، لاسيما إذا كان يتمتع بمقدرة عالية في التأثير على الآخرين، مستغلًا بذلك نفوذه المادي أو المعنوي لحملهم على اختيار طريق الجريمة، ذلك الطريق الذي عمل جاهدًا على أن يسلكه شخص سواه، فهو بذلك يؤدي دورا مزدوجًا كونه يعمل جاهدًا على خلق الجريمة من ناحية، ويقوم بإعداد المجرم من ناحية أخرى، فيكون بذلك قد برهن على دوره العدائي في تجسيد الفكر الإجرامي، لما يتسم به نشاطه من خطورة قد تفوق خطورة سائر من أسهم في الجريمة.. ومن هنا كان نصُّ المشرع في الباب الرابع عشر (الجرائم التي تقع بواسطة الصحف وغيرها) من قانون العقوبات في المادة ١٧١ المعدلة بالقانون رقم ١٤٧ لسنة ٢٠٠٦: "أن كل من حرض واحدا أو أكثر بارتكاب جناية أو جنحة بقول أو صياح أو جهر به علنا أو بفعل أو إيماءٍ صدَرَ منه علنا أو بكتابة أو رسوم أو صور أو صور شمسية أو رموز، أو أية طريقة أخري من طرق التمثيل جعلها علنية أو بأية وسيلة أخري من وسائل العلانية، يعد شريكًا في فعلها، ويعاقب بالعقاب المقرر لها إذا ترتب علي هذا التحريض وقوع تلك الجناية أو الجنحة بالفعل"، وهي كما ترى مواد تطابق شرع الله ولا تخالفه.

على أن اعتقاد من ذكرنا بأنهم المعنيون بالتمكين وأنهم (جماعة المسلمين)، مفض في النهاية – حتمًا وعلى نحو ما رأينا – إلى تكفير من سواهم.. لذا كان لزامًا على جميع أهل الحق بيان عوار هذا الفهم الخاطئ للإسلام.. ونقول بحول الله وقوته: إن اعتبار (جماعة الإخوان) أو غيرها (جماعة المسلمين) التي يجب السمع لها والطاعة المطلقة مهما ارتكبت من خطايا وروجت من أكاذيب وأعلنت عن معتقدها الخارجي التكفيري، باب خطير ومؤد في النهاية كما قلنا: إلى تكفير الغير فضلًا عن كونه مناقض لما جاء به إسلامنا وقول نبينا –فيما عنون له النووي في رياض الصالحين بـ (باب تحريم قول الإنسان لمسلم: يا كافر)–: (إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أخدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه)، (من دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدوّ الله، وليس كذلك إلا حار – أي رجع – عليه) وهما متفق عليهما.. ولكم حثت نصوص الوحي على التمسك بـ (جماعة المسلمين وإمامهم) المحقَين، ونهت عن مفارقتهما أو التحزب ضدهما أو الخروج عليهما، وذلك:

بلزوم جماعتهم بحق، وبالنهي عن منازعة الأمر أهله إعمالًا للنصوص وسعيًا لوحدة الكلمة ورأب الصدع، وبالأخذ بعين الاعتبار ما حذر منه ربنا في قوله: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء.. الأنعام/ ١٥٩)، وقوله: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه.. الشورى/ ١٣)، وحذر منه الرسول من نحو ما جاء في الصحيحين من حديث حذيفة الذي يقول فيه ﷺ : "كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنّا كنا في جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟، قال: (نعم)، فقلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟، قال: (نعم، وفيه دخن)، قلت: وما دخنه؟، قال: (قوم يهتدون بغير هديي يعرف منهم ويُنكر)، قلت: (وهل بعد هذا الخير من شر؟، قال: (نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليه قذفوه فيها)، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا)، قلت: فما تأمرني إن أدركتُ ذلك؟، قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامَهم)، قلت: فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة؟، قال: (فاعتزل تلك الفرق ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)".

فهذا الحديث الذي رواه البخاري في باب المناقب ٣٤١١ ومسلم في باب الإمارة ١٨٤٧، ونظيره ما رواه مسلم من حديث حذيفة أيضًا، وفي جوابه عليه السلام إياه عما سأل عنه من الخير الذي فيه دخن، قال: (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جُثمان إنس قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركتُ ذلك، قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك)، إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار التي حثت المسلمين على التزام الجماعة وإمامها وما أكثرها، أقول: إن هذه الأحاديث لا يمكن بحال أن تتنزل على مدعي أنهم المسلمون دون سواهم وأن الإمامة فيهم دون سواهم، كونهم مخالفين لها تمامًا.

وحسبك من بيان مخالفتهم إياها، كلام الإمام النووي في شرحه لحديث: (عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ونشطك ومكرهك وأثَرة عليك)، حيث قال في الجزء ١٢ صفحة ١٧٧ بالمجلد السادس: "وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال، وسببها اجتماع كلمة المسلمين فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم".. وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الصدد، فقد قال في (منهاج السنة) ١/ ٥٥٦: "وهو ﷺ قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، وبقيام رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جُثمان الإنس، وأمر مع هذا بالسمع والطاعة للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فتبين أن الإمام الذي يطاع هو من كان له سلطان، سواء كان عادلًا أو ظالمًا".. وكلام ابن أبي العز، قال في شرح الطحاوية ص ٣٢٥:

"دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية.. وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا: فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل"، وقال بعدها: "ونتبع السنة: طريقة

الرسول ﷺ ، وجماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين"([1]).. وكلام ابن حجر، قال في الفتح ١٣/ ٤٠: "الذي يظهر أن المراد بـ (الدعاة على أبواب جهنم) من قام في طلب المُلك من الخوارج وغيرهم، وإلى ذلك الإشارة بقوله: **(الزم جماعة المسلمين وإمامهم)**، يعني: ولو جار، ويوضح ذلك رواية أبي الأسود: (ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك)، وكان مثل ذلك كثيرًا في إمارة الحجاج ونحوه"، وقال بنفس المصدر ١٣/ ١٣١ في شرحه لما عنون له البخاري في باب: (السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية)، وتحديدًا لحديث: (اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه زبيبة): "قال الخطابي: (قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود)، يعني: وهذا من ذاك، أطلق العبد الحبشي مبالغة في الطاعة وإن كان لا يتصور شرعًا أن يلي ذلك".

وكان البخاري قد ذكر تحت نفس العنوان حديث ابن عباس وفيه قوله ﷺ : (من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت، إلا مات ميتة جاهلية)، وعليه علق ابن حجر في الفتح ١٣/ 9 بقوله نقلًا عن ابن بطال: "قد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء".. وكلام الإمام الشوكاني في كتابه نيل الأوطار، قال في (كتاب الحدود.. باب الصبر على جور الأئمة): "قوله ﷺ : (في جُثمان إنس) أي: لهم قلوب كقلوب الشياطين، وأجسام كأجسام الإنس، قوله: (وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع)، فيه دليل على وجوب طاعة الأمراء وإن فعلوا في العسْف والجور إلى ضرب الرعية وأخذ أموالهم، فيكون هذا مخصصًا لعموم قوله تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)، وقوله: (وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلُها)".

وكلامًا كثيرًا كهذا ذكرناه في المقدمة والباب الأول فليراجعا، فإنه صريح ومجمع عليه من قِبَل أئمة الفقه والاعتقاد في لزوم جماعة المسلمين ووجوب طاعة الإمام المسلم ذي السلطان الموجود بالفعل، والذي له القدرة على تحقيق مقصود الوِلاية وحفظ بيضة المسلمين وأوطانهم وثغورهم ومقدراتهم، وإن كان ظالمًا أو فاجرًا طالما كان مسلمًا.

ومن غير أقوال من ذكرنا هنا ومن لم نذكر تفاديًا للتكرار، ثمة جملة من الأحاديث التي استشهدوا بها، كلها ناطقة ببطلان البيعات العامة من غير ذوي الشوكة والسلطان، وموجبة لاتباع جماعة المسلمين وأئمتهم، وقاضية باعتزال فرق الضلالة لاسيما المكفِّرة منها والتي أخبر النبي عنها بأنها: (الداعية على أبواب جهنم من أجابوه فيها قذفوه فيها)، والممتدة كما في قوله: (كلما خَرج قرن قُطع)، ويأتي على رأسها بالطبع في زماننا (داعش الدولة الإسلامية) و(جماعة الإخوان) و(القاعدة) وأذرعها العسكرية وكتائبها ولجانها النوعية وما شابه.

وهذا أهم ما يجب أن ينصبّ حوله كلام أهل العلم المخلصين – بل ومما يتعين على من رزق الشهرة والأتباع من نحو: حسان ويعقوب والحويني وشاكر ونظرائهم في بلدان العالم الإسلامي والعربي، باعتبارهم منارات الهدى ومَن فُرض عليهم: (لتبيننه للناس ولا تكتمونه.. آل عمران/ ١٨٧) – كونه يتناول حال المسلمين في زماننا ويحلّ من ثم إشكالياتهم ويزيل ما بهم من فتن وشُبَه ومؤامرات تكاد تعصف بالجميع وتقضي على الأخضر واليابس فيما تبقى من عالمَيْنا العربي والإسلامي.. ذلك أن مصطلح (جماعة المسلمين) يتنازعه في واقعنا المعاصر طائفتان:

إحداهما محقة وينطبق عليها المفهوم الشرعي لمصطلح (جماعة المسلمين):

وهي التي أمر النبي باللحاق بها وملازمتها "وحاصلها: أنهم **الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع؛** فيجب لزوم هذه الجماعة ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها.. **أو من كانوا على مذهب أهل السنة من الاتِّباع** وترك الابتداع، وهو مذهب الحق الواجب اتباعه والسير على منهاجه، وهذا معنى تفسير الجماعة: بالصحابة، أو أهل العلم والحديث، أو الإجماع، أو السواد الأعظم، فهي كلها ترجع إلى

([1]) وقد سبق أن ذكرنا من أقوالهم الكثير مما يفيد أن طاعة الأئمة من أصول أهل السنة، ولم ينقل عن أحد من السلف المعتبرين لا من الصحابة فمن بعدهم مخالفة لهذا الأصل.. ولا غرو فطاعة الأئمة من أعظم ما يميز أهل السنة والجماعة، فهو شعار لهم، والمؤمن الحق يتعبد الله بطاعته للإمام رجاء ثوابه وخشية من عقابه، وإنما شرع الله هذا لعباده لما يترتب عليه من المصالح والفوائد العامة والخاصة

معنى واحد، هو: ما كان عليه رسول الله وأصحابه، فيجب الاتباع حينئذ ولو كان المتمسك بهذا قليلًا"، هذا ما خلص إليه د. عبد الرحمن بن صالح المحمود في كتابه (موقف ابن تيمية من الأشاعرة) ص ٣١([1])، ويدخل في تفسير المعنى الثاني – إضافة لما سبق – مسمى (العامة)، أي: (عامة أهل العلم وجمهور الأمة ومعظمها) ممن هم على فطرة الإسلام السليمة والتي لم تلوث بالمعاصي والبدع، وقد عناهم أبو المعالي ابن الإمام الجويني بقوله حين ندم على ما كان منه من تأويل: (اشهدوا أني رجعتُ عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف، وأني أموت على ما تموت عليه عجائز نيسابور) وهم من يطلقون عليهم في زماننا (حزب الكنبة).

ومن النصوص التي تحث على لزوم **الجماعة بمعناها الأوّل** وتُرَغب فيه، وتبين أجر من لزمها ولم يفارقها وتؤكد أن العصمة في وقت الفتن في التمسك بها، قوله ﷺ : (من أراد بحبوحة الجنة – وسطها وخيارها – فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد)، وقوله: (إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات..)، ثم قال ﷺ : (وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع)، وقوله([2]): (ثلاث لا يغل([3]) عليهن صدر مسلم – أي: لا يدخله حقد يزيله عن الحق –: إخلاص العمل لله عز وجل، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط مِن ورائهم)، والمعنى كما في النهاية في (غريب الحديث والأثر) لابن الأثير ٣/ ٣٤١: "أن هذه الخِلال الثلاث تُستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهُر قلبه من الخيانة والدغل والشر"([4])، ولقد عنون النووي لهذا الحديث وغيره في شرحه لمسلم ١٢/ ٢٣٧ مجلد٦ تحت: (باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة)، وقال ابن بطال فيما نقله عنه ابن حجر في الفتح ١٣/ ٣٧: "فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور".

على أن حصْر الجماعة شرعًا في هذين المعنيين اللذين أشار إليهما د.المحمود، مستنبط من كلام أئمة العلم وقد سبقوه إليه، ونذكر منهم: القاضي أبو بكر بن العربي، قال في: (عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي) ٩/ ١٠: "قوله: (عليكم بالجماعة) يحتمل معنيين.

الأول يعني: أن الأمة إذا أجمعت على قول فلا يجوز لمن بعدهم أن يُحدث قولًا آخر.

الثاني: إذا اجتمعوا على إمام فلا تحل منازعته ولا خلعه".

والمتأمل في حقيقة مصطلح (جماعة المسلمين) يجد أن كل ما سبق من معانيه يصب في النهاية في معنى واحد وأن بعضها يفسر البعض الآخر، فهم الجماعة، وهم أهل السنة، وهم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية، وهم أيضًا أهل الحديث، وهم أهل العلم، وهم السواد الأعظم، وهم الذين اجتمعوا على حاكم على مقتضى الشرع، فيجب من ثم لزوم هذه الجماعة بكل مواصفاتها وفي كل حال، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها.

أما كونهم الذين اجتمعوا على حاكم على مقتضى الشرع، فلما ذكرنا من كلام النووي وابن بطال وغيرهما مما سخرنا هذا الكتاب لسرد أقوالهم.. وتسمية جماعتهم بـ بالفرقة الناجية، مأخوذ من وصف النبي لها بهذا، وذلك فيما أخرجه الترمذي (٢٦/٥) (٢٦٤١) من قوله ﷺ عنها: (ما أنا عليه وأصحابي).. وتسميتها بـ (الطائفة المنصورة) مأخوذ من أحاديث عدة، منها: ما أخرجه مسلم (١٠٣٧) من حديث: (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون

([1]) وهو أطروحة لرسالة دكتوراه حصل عليها بامتياز من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود

([2]) فيما رواه الترمذي ٢٦٥٨ وأحمد ٢١٦٣ وهو حديث صحيح

([3]) هي بضم الياء من الإغلال وهي الخيانة، وفي رواية بفتحها: من الغل وهو الحقد والضغينة

([4]) كما ينظر في معنى الحديث: مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٩٠، والحديث دعوة إلى مناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم، وفيه بيان أن هذه الدعوة تحيط مِن ورائهم، حيث شبّه دعوة المسلمين بالسور والسياج المانعة من دخول العدو عليهم، فمن لزم جماعة المسلمين من أهل السنة، أحاطت به تلك الدعوة التي من شأنها أن تجمع تشمل الأمة وتلم شعثها، كما أن فيه: الحرص على الإجماع والاجتماع، وتعلّم شرائع الإسلام ونقلها إلى الغير وتناقل الأحاديث ونشرها في كل مكان، فجماعة المسلمين واحدة، يصدق فيها قول الشاعر: وحيثما ذكر اسم الله في بلد *** عددت أرجاءه من لب أوطاني

على الناس)، وما أخرجه ابن ماجة (٤/١) وأحمد (٤٣٦/٣) وابن حبان (٢٦١/١) من رواية: (لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة).. وأما إطلاقها على أصحاب الحديث، فـ "لأن الله جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين"، وهذا رأى الإمام البخاري قال: "باب (وكَذَلِكَ جعلْنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا.. البقرة/ ١٤٣) وما أمر النبي بلزوم الجماعة.. وهم أهل العلم"([1])، وهو رأى الإمام أحمد، فإنه قال عن الجماعة: " إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟"([2])، وهو رأي الترمذي الذي قال في سننه ٤/ ٤٦٥: "وتفسير الجماعة عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث"، وهو رأي ابن المبارك وعلي بن المديني، وأحمد بن سنان الذي قال: "هم أهل العلم وأصحاب الآثار"([3]).

وهم كذلك: (السواد الأعظم) كما أخبر ﷺ في بعض روايات الافتراق، قال: (الفرقة الناجية، هم السواد الأعظم)([4])، وفي النهاية ٦/ ٤١٩: "(عليكم بالسواد الأعظم)([5]): أي جملة الناس ومعظمهم، الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك النهج القويم"، قال ابن مسعود ﷺ : "يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما السبيل في الأصل إلى جبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة"([6])، ويقول أبو غالب – رحمه الله –: "إن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية سواء خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم فهو مخالف! للحق" كذا في الاعتصام للشاطبي ٢٦٠/٢، ويقول أبو مسعود الأنصاري ﷺ حين خرج ونزل في طريق القادسية وقال له أصحابه: اعهد إلينا، فإن الناس قد وقعوا في الفتنة فلا ندري أنلقاك بعد اليوم أم لا؛ فقال: "اتقوا الله واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، وعليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمته على الضلالة "([7])، يقول الشاطبي معقبًا:

فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلماؤها، وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم، فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا وهم نهبة الشيطان، ويدخل في هؤلاء الخارجين: جميع أهل البدع؛ لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة، ومن ثم لم يدخلوا في سوادهم بحال"([8])، ويقول الآجري في الشريعة ص٤٤: "فمن أراد الله به خيرًا فتح له باب الدعاء، والتجأ إلى مولاه الكريم وخاف على دينه، وحفظ لسانه، وعرف زمانه، ولزم الحجة الواضحة السواد الأعظم".

وهم كذلك جماعة المسلمين الذين أطاعوا أمراءهم، وهذا رأي الطبري الذي ذكر الأقوال السابقة، ثم قال: "والصواب أن المراد من الخبر، لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة"([9])، ولذا أمر النبي ﷺ بلزومه، ونهى عن الخروج عليه، وفراق الأمة فيما أجمعوا عليه من تأميره وتقديمه عليهم على ما أفاده الكرماني في شرحه على البخاري ٧٥/٢٥.. الأمر الذي يؤكد أن جميع ما قيل في معنى (جماعة المسلمين) واحد وتلكم هي أوصافهم.. فأين هؤلاء من أولئك المدعين أنهم أصحاب هذا اللقب والزاعمين أنهم أهلٌ له؟.

نقول ذلك ردًا على من يزعمون أنهم (جماعة المسلمين) وليس فيهم شيء مما ذكرنا، وردًا كذلك على من يبحثون عن: (الطريق إلى جماعة المسلمين)، وما أكثر منظري هؤلاء وأولئك!؛ وقد ذهب جميعهم

([1]) فتح الباري ١٣/ ٤١، ٣٢٨

([2]) شرف أصحاب الحديث ص ٢٥

([3]) شرف أصحاب الحديث ص ٢٦، فعلى هذا القول فالجماعة هم أهل السنة العالمون المجتهدون، فيخرج منهم المبتدعة، كما يخرج العامة المقلدة لأن الغالب فيهم أنهم تبعٌ للعلماء.

([4]) رواه الطبراني في الكبير (٨٠٣٥، ٥٣٥١، ٨٠٨٠، ٨٠٥٤)، قال في مجمع الزوائد ٦/ ٢٣٤: "رواه الطبراني ورجاله ثقات"، كما رواه اللالكائي في شرح أصول السنة (١٥١، ١٥٢)، وابن أبي زمنين في شرح أصول السنة

([5]) رواه ابن ماجه- مرفوعا- في الفتن، رقمه (٣٩٥٠)، وإسناده ضعيف، وروى موقوفا عن أبي أمامة في مسند أحمد (٤/ ٢٧٨)، وعن عبد الله بن أبي أوفى كما في المسند أيضا (٣٨٣/٤).

([6]) واه اللالكائي، رقم (١٥٨-١٥٩)، والآجري في الشريعة (ص: ١٣)

([7]) رواه اللالكائي ، ورقمه (١٦٢ - ١٦٣)

([8]) الاعتصام ٢/ ٢٦١

([9]) فتح الباري ١٣/ ٤١

بعيدًا عن الحق والحقيقة، وتفرقت بهم السبل وتشعبت بهم الأهواء، وشغلهم البحث عن كراسي الحكم أملًا في أن يصلوا من خلاله إلى خلافة من صنعهم وبإرادتهم هم، لا من صنع الله وإرادته ووفق شرعته، على الرغم من أن أمر عودة الخلافة التي تستحقها (جماعة المسلمين) كونها صاحبتها وأهلًا لها، منوط – كما ذكرنا وسنذكر – بأحاديث أوضحت معالمها، وكشفت عن علاماتها وعلامات أهلها الذين هم على منهاج النبوة، وحسبنا منها قوله ﷺ فيما رواه مسلم: (يكون في آخر الزمان خليفة يُقسِّم المال – وفي رواية: يكون في آخر أمتي خليفة يَحثي المال حثيًا – ولا يَعدُّه)، فهي إذًا إنما تكون في آخر الزمان، وعلى يد مهدي أهل السنة المنتظر كما نَصّ عليه ﷺ في قوله: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلًا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا)، وهو ما تسنى لحسن البنا منشئ جماعة الإخوان والقرضاوي من بعده لأن ينكراه حتى يستقيم لهما: أ- الزعم بأنهما وجماعتهما: (جماعة المسلمين).. ب - والزعم بأنهما وجماعتهما أيضًا: أصحاب تيك الخلافة الموهومة والمدعاة والمسماة بتعبيرهم: "أستاذية العالم"، وهذا كما ترى وبكل المقاييس وطبق النصوص الشرعية مما لا شك في بطلانه.

ولا يحتج علينا محتج، فيقول: (أن سلاطين الزمان الذين تنادي بلزومهم ولزوم جماعاتهم في بلاد المسلمين، لا يحكمون بما أنزل الله فهم من ثمّ كذا وكذا وكذا، ثم إن أحاديث السمع والطاعة قيدت ذلك بالتزام كتاب الله).. فإن جوابه: أن هذا كلام مبالغ فيه ودساتير بلاد المسلمين في معظمها تنص على أن الشريعة مصدر التشريع، ثم إن الرسول ﷺ تنبأ بهذا في نحو قوله من حديث ابن مسعود المتفق عليه: (إنكم سترون بعدي أثرة وأمور تنكرونها) يقول ابن حجر في الفتح ١٣/ ٨: "يعني من أمور الدين"، ومع ذلك يقول عليه سلام الله – وقد سؤل؛ كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ –: (تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم).

وسبق أن سقنا حديث حذيفة وفيه قوله عليه السلام عن دخنهم يخالط الحق الذي هم عليه: (قوم يهتدون بغير هديي ويستنون بغير سنتي، يُعرف منهم وينكر)، وقوله والحال كذلك: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، وسقنا معه قول ابن تيمية: "وهو ﷺ قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، وبقيام رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جُثمان الإنس، وأمر مع هذا بالسمع والطاعة للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك.. سواء كان عادلًا أو ظالمًا"، وقول ابن أبي العز: "دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية.. وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا: فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم".. ثم إن الأحاديث جاءت مقيدة للسمع والطاعة في غير معصية، وعلماء الأمة على أن أمر منابذتهم قاصر – كما سبق أن ذكرنا كلامهم – على الكفر البواح وهو – على حد قول ابن حجر في الفتح ١٣/ ١٠، ١١ وبنحوه النووي في شرحه لمسلم وفي كتابه (رياض الصالحين) باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر–: "الظاهر"، الذي "لا يحتمل التأويل، ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل"، كما ذكرنا شروطًا وكلامًا جيدًا لابن عثيمين رحمه الله حري أن يوضع في الاعتبار.. فضلًا عن أن أمر (الحكم بما أنزل الله) فيه كلام كثير وأقوال غير التي اعتدنا سماعها، قد عرض لها الشيخ (عادل السيد) في كتابه (الحاكمية) فليراجع فإنه من الأهمية بمكان.. على أن الحكم بغير ما انزل الله هو كذلك أمر عام يشمل – بموجب كلمة (ومَن)–: الراعي والرعية، فمن لم يرض بأحكام أهل العلم المجمع عليها، والتي عليها نصوصها – في هذا الذي نحن بصدده وغيره – هو حاكم بغير ما أنزل الله ومتبع للهوى، نسأل الله لنا وله العافية.

والمقصود: أن الجماعة المحقة واضحة المعالم بحيث لا تشتبه على منصف أو باحث عنها، وهي الموعودة بالنصر والتمكين.. وأئمتها في الإمامة الصغرى ببلدان عالمينا العربي والإسلامي قد أوضحنا ما يجب حيالهم.. وخليفتها في الإمامة العظمى محدد المعالم هو الآخر، وبيانه كما في رواية لمسلم: (لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا.. كلهم من قريش)، وفيه وكذا في حديث: (تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين.. الحديث)، وحديث حذيفة عن آخر الزمان وبعد انقضاء الكلام عن الخلافة:

(تلزم جماعة المسلمين وإمامهم): "إشارة إلى انتقاض مدة الخلافة" يعني: دون الإمارة أو الإمامة، كما يعتقد بعض مدعي السلفية في زماننا تحت دعوى شغور الزمان من الإمام.

هذا، و"لا يشترط – في الاثني عشر – أن يكونوا متتابعين.. وقد وجد منهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.. ومنهم المهدي الذي اسمه يطابق اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته كنيته يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا"إ.هـ بتصرف من تفسير ابن كثير للآية ٥٥ من سورة النور، وينظر فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٢٢٤ وما بعدها، و(المهدي) لإسماعيل المقدم ص١٨٤ وما بعدها.

وعمن ولي الخلفاء الراشدين أفاد ابن حجر في الفتح ١٣/ ٢٧٧ أن الخلافة الوارد ذكرها في أحاديث الرسول والتي لا تكون إلا في قريش والتي اجتمع عليها من يقوم بها كما ورد في حديث جابر، انحصرت بعدهم في: (معاوية)([1])، ثم ولده (يزيد)، ثم (عبد الملك بن مروان)([2])، ثم أولاده الأربع: (الوليد وسليمان ويزيد وهشام)، وتخلل بين سليمان ويزيد: (عمر بن عبد العزيز)، ثم وليها بعد هشام: (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) **ثم (يزيد بن الوليد)**.. وبعدهم "انتشرت – على حد قول ابن حجر – الفتن وتغيرت الأحوال ولم يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك".. ولا يرد على ذلك أن حديث الاثني عشر يعارض حديث سفينة (الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكًا) كون الثلاثين لم يكن فيها إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن بن علي، وأن من ولي الخلافة أكثر من هذا العدد.. لأن الجواب عن الأول: أنه إنما أراد في حديث سفينة: (خلافة النبوة) ولم يقيده بحديث جابر بن سمرة: (لا يزال هذا الدين قائمًا حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة).. وجواب الثاني: أنه يحتمل أن يكون الاثنا عشر: في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة كما في حديث جابر.

([1]) هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأحد كتّاب الوحي وخامس الخلفاء الراشدين في الإسلام، ومؤسس الدولة الأموية في الشام وأول خلفاءها، ولد بمكة وتعلم الكتابة والحساب، وأسلم قبل فتح مكة، ولما استُخلف أبو بكر الصديق ولاه قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان، فكان على مقدمته في فتح مدينة صيداء وعرقة وجبيل وبيروت، ولمَّا استُخلف عمر بن الخطاب جعله واليا على الأردن ثم ولاه دمشق بعد موت أميرها يزيد (أخيه) ثم ولّاه عثمان بن عفان الديار الشامية كلها وجعل ولاة أمصارها تابعين له، وبعد حادثة مقتل عثمان أصبح علي بن أبي طالب الخليفة فنشب خلاف بينه وبين معاوية حول التصرف الواجب عمله بعد مقتل الخليفة عثمان إلى أن اغتال ابن ملجم الخارجي عليًا فتولى ابنه الحسن بن علي الخلافة ثم تنازل عنها لمعاوية عام ٤١هـ وفق عهد بينهما، فأسس معاوية الدولة الأموية واتخذ دمشق عاصمةً له.

([2]) هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي (٢٦- ٨٦ هـ/ ٦٤٦- ٧٠٥ م) الخليفة السابع، ولد في المدينة وتفقه فيها علوم الدين، وكان قبل توليه الخلافة ممن اشتهر بالعلم والفقه والعبادة، وكان أحد فقهاء المدينة الأربعة، قال الأعمش عن أبي الزناد: "كان فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان"، استلم الحكم بعد أبيه مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ الموافق ٦٨٤م، وحكم دولة الخلافة الإسلامية واحدًا وعشرين عامًا.. تسلم عبد الملك بن مروان حكم الدولة الأموية في وقت كادت الفتن والاضطرابات والانقسامات تعصف بها، ففي الكوفة كان أنصار الحسين يشعرون بالتقصير والذنب بعد معركة كربلاء، وعندما عم الاضطراب أنحاء بلاد العالم الإسلامي بعد موت يزيد بن معاوية، خرجت من الكوفة ثورة التوابين في ٥ ربيع الثاني ٦٥هـ، وفي منطقة عين الواردة استطاع عبد الملك بن مروان القضاء على ثورتهم، وما أن أُخمدت ثورة التوابين حتى خرج المختار الثقفي بشعار يا لثارات الحسين، واصطدم مع الأمويين في أكثر من وقعة انتصر فيها، لكن مصعب بن الزبير كفى عبد الملك مواصلة قتاله واستطاع قتله وإخضاع الكوفة تحت سلطة ابن الزبير، وكان الحجاز وبقية بلاد المسلمين إلا دمشق وجزء من الأردن تدين لعبد الله بن الزبير، وأدى زوال خطر المختار الثقفي إلى انحصار المنافسة على زعامة العالم الإسلامي بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير، فخرج عبد الملك إلى العراق، وانتصر على مصعب في معركة دير الجاثليق عام ٧٢هـ، ثم سارع بإرسال جيش إلى الحجاز بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي لمواجهة عبد الله بن الزبير، فحاصر الحجاج مكة، وانتهى الحصار بمقتل عبد الله بن الزبير ودخول مكة تحت سيادة بني أمية على الحجاز عام ٧٣هـ، وبهذا انتهت خلافة ابن الزبير وتوحد العالم الإسلامي تحت ولاية عبد الملك بن مروان وأصبح الخليفة الشرعي الوحيد للمسلمين.

وبعد أن استشرى خطر الخوارج عيَّن عبد الملك (المهلب بن أبي صفرة) قائدًا لمحاربتهم، وبعد سلسلة طويلة من المعارك دامت ثلاث سنوات تمكن من التغلب على الخوارج الأزارقة عام ٧٨هـ، ثم أمر عبد الملك الحجاج بن يوسف ببدء عمليات التصدي للخوارج الصفرية، وتمكن بعد عدة معارك من التغلب عليهم، وما إن استتب الأمر لابن مروان حتى قامت ثورة عبد الرحمن بن الأشعث عام ٨١هـ واستمرت حتى عام ٨٣هـ، وانتهت بوقعة دير الجماجم التي تصدى لها الحجاج وانتهت الثورة بانتحار ابن الأشعث بعد هروبه من المعركة في سيجستان.. لم يكن لعبد الملك نشاط كبير في الفتوحات الإسلامية: ففي جبهة المشرق الإسلامي ظلت فتوحات المسلمين على ما كانت قبل توليه الخلافة، أما على الجبهة البيزنطية، فقد عانى المسلمون من هجمات النصارى المردة، وبسببهم عقد عبد الملك مع الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني معاهدة ٧٩هـ الموافق ٦٨٩م لمدة عشر أعوام؛ في حين كانت الجبهة الأفريقية المحور الجدِّي لفتوحات عبد الملك بن مروان، إذ خاض المسلمون عدة معارك لتصفية القواعد البيزنطية على الساحل الشمالي لإفريقية، وإخضاع البربر لسلطة الدولة، واستطاع القائد حسان بن النعمان الغساني الاستيلاء على قرطاجنة البيزنطيين،والقضاء على جيش البربر بقيادة الكاهنة الكاهنة ديهيا، ما يؤكد أن خلافة عبد الملك بن مروان كانت بالفعل مليئة بالصراعات والثورات والحروب التي أخذت جُلَّ وقته وجهده، وعلى الرغم من ذلك تذكر كتب التاريخ عددًا من إنجازاته أهمها: سك أول دينار ذهبي إسلامي خالص عام ٧٧هـ، والاستغناء عن كافة الصور والرموز الملكية والمأثورات الدينية المسيحية التي يحتملها الدينار البيزنطي، وتعريب الدواوين من الفارسية إلى العربية، إذ يُعد أول من بدأ تعريب الدواوين في التاريخ الإسلامي، بالإضافة لقيامه بجهود كبيرة في العمارة والبناء: فقد قام ببناء الكعبة على بناء قريش وبناء مسجد قبة الصخرة، بالإضافة لبناء مدينتي واسط في العراق وتونس في الشمال الإفريقي

ثم إنا لو استثنينا **(معاوية) لكونه صحابيًا** و(يزيد بن الوليد) الذي قام على ابن عمه الوليد بن يزيد، والذي لم تطل مدته وثار عليه ابن عم أبيه: مروان بن محمد بن مروان، واستثنينا معه (الوليد بن يزيد) الذي قاموا عليه بعد أربع سنين فقتلوه، وأن عقد الخلافة قد انفرط طوال مدة بني العباس وما بعده، ولم يبق من الخلافة سوى الاسم في بعض البلاد بعد أن لم يكن أحد يتولى الإمارة في بلاد المسلمين إلا بأمر الخليفة، لاستقام العدد وصار (مهدي أهل السنة المنظر) هو الخليفة الثاني عشر، ويؤيد هذا: حديث (سيكون من بعدي خلفاء ثم من بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك ومن بعد الملوك جبابرة، ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا.. الحديث).

ثانيهما مبطِلة ومُدّعاة ولا ينسحب عليها المدلول الشرعي لمصطلح جماعة المسلمين وإن ادعت لنفسها ذلك:

وتلك يمثلها تحديدًا في زماننا جماعة (الإخوان) ومن سلك طريقها وسار على نهجها ممن يعرفون بـ (جماعات العنف) أو (الجهاد المسلح) أو (الإسلام السياسي)، فقد ارتضوا جميعًا لأنفسهم ألا يَلْزموا (جماعة المسلمين) بمواصفاتها السالفة الذكر، وألا يطيعوا أئمتها في مختلف ديار الإسلام([1])، وقد أداهم ذلك لأن يحكموا على الأئمة بالكفر وعلى الديار بالجاهلية، ولأن يرفعوا السلاح على المسلمين بعد أطلقوا لأنفسهم العنان في تكفيرهم وتكفير حكامهم.. ففي ادعائها ذلك لنفسها يقرر سعيد حوى (في آفاق التعاليم) ص ١٥ ومعه كتيبة الإخوان، بأنهم المعنيون بقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: (**أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**)"، وقد أردف حوى مؤكدًا هذا المعنى قائلًا: "إن الأصل الذي لا يجوز أن يغيب عن المسلم، هو أنه لا بد للمسلمين من جماعة وإمام، وأن الواجب الكبير على المسلم، أن يكون **ملتزمًا بـ (جماعة المسلمين وإمامهم)، وهذا هو المفتاح الأول لفهم قضية الإخوان**"، وقال في كتابه (المدخل) ص ١٦ ما نصه: "إننا في هذا المدخل استقرأنا النصوص لنصل إلى مواصفات (جماعة المسلمين) وبرهنا على أنها موجودة في دعوة الأستاذ البنا"، وص ٢٩٤ ما نصه: "إن الجماعة بعد سيرها الطويل وتحملها الكثير، أصبحت تاريخيًا هي وحدها صاحبة الحق في الإمامة، قال تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)".

وكانت نتيجة ذلك بالضرورة: وجود إمام غير ممكن يدَّعي لنفسه حق السمع والطاعة المطلقة على جماعة غير ممكنة، مفتئتًا ومغتصبًا هذا الحق من جماعة المسلمين المحقة وإمامها، ومنازعًا الأمر أهله في جميع بلدان المسلمين، ومعطيًا لنفسه حق إعلان الجهاد تحت رايته العُمِّيَّة ضد أنظمة تلك البلدان التي نازعها الأمر([2])، ومعطيًا لنفسه حق الخلافة على العالم الإسلامي، والحق كذلك في الطاعة العمياء له ولمن أنابه عنه من مراقبين على مستوى دول العالم، ولو في التحريق والتخريب والتدمير والتقتيل والإفساد إلى غير ذلك من المعاصي التي يستلزمها ذلك التنازع بطبيعة الحال، واستحقاق الولاء والبراء على الجماعة ومنهجها وجعلهما المعيار في معرفة الحق والباطل والوقوع من ثم في هوة تكفير الغير وأن الخارج على جماعة المسلمين التي هي جماعة الإخوان، خارج عن الإسلام حلال الدم، لحديث: (**من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**).

الأمر الذي يدني من تصنيفها في منظور الشرع الحنيف ليجعلها – شاءت أم أبت – ضمن الفرق النارية وفي عداد فرق البدع والضلال وتحديدًا (الخوارج)، كونهم يستحلون الدماء الموحدة و(يقتلون أهل الإيمان ويدَعون أهل الأوثان) مع صريح النصوص المحرمة والمجرمة لذلك من نحو قوله تعالى: (ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا.. النساء/ ٩٣)، وقوله عليه السلام كما في صحيح الترمذي للألباني: (لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار)، وقوله كما في السلسلة الصحيحة (٢٦٩٧): (يأتي المقتول متعلقًا رأسه بإحدى يديه، متلبِّبًا قاتله بيده الأخرى، تشجب أوداجه دمًا حتى يأتي العرش، فيقول المقتول لرب العالمين: هذا قتلني!، فيقول الله للقاتل: تعسْت، ويُذهب به إلى النار)، ورضوا من ثم لأنفسهم أن يكونوا

([1]) وسيأتي ذكر المزيد من علامات ذلك في الباب الثالث بمشيئة الله تعالى.

([2]) وسيأتي كيف فشلت حتى في تلك البلاد التي يحكمها من وجب الخروج عليه، وأقصد بذلك سوريا الشقيقة

من (الخوارج كلاب أهل النار) الذين أخبر عنهم الصادق المصدوق ﷺ، والمعنيون بقوله كما في صحيح مسلم باب (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند الفتن): (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة – أي: المحقة والتي إمامها: الممكن صاحب الشوكة والسلطان – فمات، مات ميتة جاهليه، ومن قاتل تحت راية عُميَّة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة، فقُتل، فقِتلةٌ جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرها، ولا يَتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه)، إذ المقصود بالعُمَيّة كما أفاده النووي: "الأمر الأعمى لا يستبين وجهه، كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور، أو التقاتل للعصبية كما قاله إسحاق بن راهويه"، ويدخل فيما قاله بالطبع: العصبية للجماعة التي والاها على غير الحق.. وفي تأكيد هذا الواقع المؤلم الذي يمثله بحق جماعة الإخوان، يقول حوى في كتابه (من أجل خطوة إلى الأمام) ص ٤٠ بعد أن ساق الحديث السالف الذكر، ساحبًا إياه على من خالف جماعته وإمامها: "وعلى كل مسلم ألا ينتسب لتنظيم أو جهة ليست من الجماعة، لأن **الطاعة لا تجوز إلا لولي الأمر من المسلمين**، وتحرم على غيرهم اختيارًا".

وسيأتي بيان أن مثل هذه الادعاءات، أعظم دليل على بدعية من يقول بها، ومقولة فضيلة الشيخ محمد الغزالي إثر تمرده على جماعة الإخوان وانشقاقه عنها بسبب هذا الخبل.. وكل هذا يكشف مدى الخلل الذي لازم فكر جماعة الإخوان طيلة أكثر من ثمانية عقود، ويؤكد على عدة أمور:

أولها: أنه لا يجوز لأحد بعد ما سبق كائنًا من كان، أن يحتج علينا بما وقع للرئيس الأسبق د. مرسي وقد مكن الله له ولجماعته، فقد انكشف وتأكد أن هذا التمكين إنما تولد من منطلق فكري خاطئ وهو الظن بأنهم (جماعة المسلمين)، وهذا – على ما اتضح – فكر خارجي تكفيري يحول – أيضًا وبضميمة ما سبق ذكره – دون إتمام الأمر له ولجماعته وذلك أبد الدهر وفي سائر بلدان المسلمين، وينسحب ذلك بالطبع على كل من كان محسوبًا على المسلمين وناصبهم العداء وحمل عليهم السلاح وادعى أنه مع ذلك (خليفة المسلمين) أو من يمثل (جماعة المسلمين) كـ (داعش الدولة الإسلامية) وغيرها.

ومعلوم بالضرورة أن جماعة الإخوان هم من خرجوا بالسيف والسلاح على الرئيس الأسبق (مبارك) وهم من حرّقوا أقسام الشرطة وأعملوا القتل بمن فيها، وعليه فادعاءات الإخوان أنهم أهل التمكين ومن يمثلون (جماعة المسلمين) ادعاء باطل، إذ كيف يتسنى لهم أن يحكموا (جماعة غير المسلمين) من وجهة نظرهم، ومعاملة هؤلاء تختلف عن معاملة أولئك؟! وكيف يتسنى لغير المسلمين من غير جماعتهم أن يولّوهم حكمَهم ويرتضوا بهم وهم من يكفرونهم ولا يكفون عن طعنهم في دينهم؟!، تناقض عجيب نتج عنه تقسيم جماعة الإخوان المصريين وغيرهم في سائر بلاد المسلمين إلى: مسالمين وهم أفراد الجماعة، ومحاربين وهم عامة الشعب.. وأسفر عنه في ذات الوقت دعوة أصحاب الفطر السليمة لأن يتنادوا بفك هذا اللغز، ليس بإسقاط من انتدبته الجماعة لمهام الرئاسة وإنما بإسقاط المنهج متمثلًا في المطالبة بإسقاط المرشد وجماعته، لوضوح أنهم من كانوا يحكمونهم بالفعل وأنهم لا يوالونهم ولا يحبون لهم الخير في حقيقة الأمر، بل ومن يسعون بكل سبيل لإيقاف عجلة حياتهم والإيقاع وإلحاق الضرر بهم وجلب الأذى لهم طالما أن غيرهم هو من يحكم، فهم كما قيل: (إما أن يحكمونا وإما أن يقتلونا)، وادعاءاتهم في الماضي بجلب الخير ورفعهم شعار (النهضة) و(الإسلام هو الحل) لا تعدو أن تكون للضحك على الناس والمتاجرة بشريعة الله، وآية ذلك عدم تطبيق أحكامها إبان حكمهم بل وخروج مليونية في ٩/ ١١/ ٢٠١٢ تطالبهم بتطبيقها.

فهذا – بالإضافة إلى إظهار أن ما جرى بمصر كان انقلابًا عسكريًا، ولم يكن احتجاجًا شعبيًا لم يجد الجيش بدًا من مساندته وإلا وقعت المقتلة التي توعدوا بها شعب مصر في (مجلس الحرب) الذي عقدوه في رابعة بمباركة مشايخهم وتنظيمهم.. وبالإضافة لما واكب هذا الشحن المعنوي من إعدادهم العدة لإعلان الحرب على الدولة إبان اعتصامي رابعة والنهضة، ووضعهم المتاريس واستخدامهم السلاح ضد مخالفيهم – هو بكل تأكيد: خروج على ما أقرته شريعة الإسلام ومعتقد أهل السنة والجماعة، يوجب: الاعتراف بالخطأ، والكف عما هم فيه من سفه وضلال ومطالبة بعودة نظامهم القديم، بل ويفرض عليهم تعلم عقيدة أهل السنة، والنزول على ما أجمع عليه سلف الأمة من مشروعية وشرعية إمامة المتغلب

على افتراض صحة ادعاءاتهم بذلك، ولاسيما مع حصول هذا المتغلب على رضا الأغلبية، وذلك لوضع حد لما عليه حال المسلمين الآن ودرءً للفتنة.

ثانيها: عدم صحة ما أجمع عليه من أسموا أنفسهم بـ (الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين) من بيانات حُشيت بالأكاذيب والأضاليل، وخُرِمَ بها ما هو معلوم بالضرورة من أن أمة الرسول لا تجتمع على ضلالة، وذلك قوله ﷺ : كما في صحيح الجامع ١٨٤٨: (إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله على الجماعة)، وفي رواية الحاكم في المستدرك ٣٦٥ وصححها الألباني في (نهاية السول) برقم ٧٠ وصحيح الترمذي (٢١٦٧): (لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة أبدًا)، وهي في رواية لابن ماجة بزيادة: (فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم)، وفي غيرها للترمذي: (ويد الله مع الجماعة ومن شذّ شذ إلى النار)، وفي أخرى لأبي داود: (وألا يظهر أهل الباطل على أهل الحق)، وفي مسند أحمد: (وعليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمتي إلا على هدى)، وفي أخرى: (ولا تستباح بيضة المسلمين)، وهي وإن كان في بعضها ضعف إلا أن معناها صحيح كما أن ورودها من غير ما طريق يقوي سندها ويعضد بعضها بعضًا، قال الغزالي في المستصفى ١/ ١١١: "تضافرت الرواية عن رسول الله مع اتفاق المعنى، في: عصمة هذه الأمة من الخطأ".

ثالثها: أن ما جاء في بعض بيانات من ذكرنا من (الاتحاد العالمي) يستوجب الاعتذار والتراجع عنها، فقد اتضح الآن أنها حجة عليهم لا لهم، وبخاصة بعد معرفة منهج سلف الأمة في عدم صحة ادعاءاتهم بأنهم جماعة المسلمين، وبعد معرفتهم منهج السلف أيضًا بشأن إمامة المتغلب على التنزل، وبعد وقوفهم على إجماع أئمة المسلمين ومعتقدهم على شرعيته ومشروعيته([1])، وإلا فلو استمروا وأصروا على ما فعلوه فليس لاتحادهم وظيفة سوى: تضليل الأمة، والتلاعب بالدين واستغلاله لتحقيق مآرب بعيدة عن

([1]) وآية ذلك: أن بوسعهم أن ينقضوا ما جاء في سابق بياناتهم، ليأتي على لسانهم مثلًا ما نصه: "استنادًا على أدلة الكتاب والسنة والإجماع فيما سبق أن أخطأناه: ندعو جميع المصريين – بمن فيهم جيشهم العظيم – إلى الاعتراف بشرعية من أجمع أهل السنة طوال القرون الماضية على شرعيته من الأئمة المتغلبين وعدم تكفيرهم، والحفاظ على درء الفتنة، ونطالب المصريين جميعًا بالحفاظ على أمن مصر والمواطن، ونندد بالعنف والقتل والاعتداء، ونتابع عن كثب وبقلق بالغ تطورات الأحداث في مصر وما يتزامن معها من زيادة التوتر والاحتكاك بين الخارجين من حملة السلاح وبين رجال الأمن، حيث يسقط قتلى وجرحى وكلهم من أبناء هذا الشعب المصري الأصيل، وخربت منشآت هي من مرافقه ومنجزاته، وتم التعدي على حرمات أفراده والتعرض لحياتهم وحقوقهم المكفولة بالشرع والقانون، وإزاء هذا الوضع الخطير:

فإننا نحن – جميع العلماء المخلصين العاملين – نؤكد على حرمة الخروج والانقلاب على الرئيس الشرعي (عبد الفتاح السيسي)، ونستنكر بشدة ما يفعله بعض المحسوبين عليكم من أئمة الخوارج من أمثال: وجدي غنيم وعبد المقصود وسلامة عبد القوي ومن على شاكلتهم، ونحملهم مسئولية فتاواهم الضالة المضلة ومؤامرات التي يحيكونها ضد مصر وشعبها ورئيسها، باسم الإسلام الذي هو برئ من كل هذا وسعيًا وراء خلافة ليست لنا ولا نحن لها بأهل.. كما ندعو إلى نبذ العنف ومنع الاعتداء والتحريش بين المسلمين، ونناشد الجميع أن يتقوا الله في الأنفس المعصومة وبخاصة جنود مصر وشرطتها الأوفياء، التي يقوم البعض – بلجانه النوعية ومسميات تنظيماته المتعددة – بإزهاقها بين الحين والآخر، فهي أنفس حرمها الله وجعل حرمتها كحرمة البلد والشهر والبيت الحرام.

ونذُكّر في هذا الصدد بقول الله تعالى: (ومن يقتل مؤمنا متعمدًا فجزاؤه جهنمُ خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا.. النساء/ ٩٣)، وقوله: (أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا.. المائدة/ ٣٢)، وبالأحاديث المحرمة لسفك الدماء المسلمة الموحِّدة من نحو قوله ﷺ فيما رواه البخاري في صحيحه: (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حرامًا).

ونطالب بمنع والأخذ على يد المفسدين والمندسين من جماعات التكفير ومن يشترونهم ويستغلونهم في أية تجمعات لإحداث فوضى في البلاد، كما نندد بما تقوم به قناة الجزيرة من دور مشبوه لا يخدم في النهاية إلا مصالح الدول المعادية للإسلام والمسلمين، وندعو الشعب المصري العظيم أن يقدر الدور الذي يقوم به الرئيس السيسي في خدمة قضايا مصر والدول العربية والأمة الإسلامية، وأن يثمِّن الدور الذي يقوم به سيادته في محاربة المعتدين من شيعة اليمن ولبنان والمارقين الخوارج في ليبيا وعلى حدود مصر ومن داخلها، كما ندعو الشعب وبخاصة الثوار الذين اتحدوا على أهداف ثورة يناير إلى الالتفاف حول هذه الأهداف وحماية ثورتهم التي عجز البعض عن اختطافها، وذلك فاء لدماء الشهداء وتضحيات الشرفاء من أبناء مصر الذين بذلوا من أجل الحرية والكرامة والعدالة والاستقرار الكثير والكثير، لاسيما من كانت نهايتهم على أيدي جماعات الإسلام السياسي، ونطالب – نحن العلماء المخلصين العاملين – بحماية شرعية الإمام الحالي المنتخب وحماية مصر العظيمة من الفتن ما ظهر منها وما بطن، كما نطالب كل أحرار العالم والمدافعين عن قيم الحرية والحياة الدستورية بمنع جماعات العنف والإسلام السياسي من التدبير في العلن أو في الخفاء للإضرار بمصالح البلاد والعباد، ونُثمّن مواقف الدول التي وقفت بالدعم والتأييد ضد جبروت هذه الجماعات المحسوبة ظلمًا على الإسلام لاسيما في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ أمتنا، ونتمنى من جميع الدول المحبة للسلام أن تتعامل مع الوضع في مصر الآن بمنطق الشفافية والوفاء والصدق بعيدًا عن الازدواجية والانتقاء، كما نحذر دول المنطقة وشعوبها من خطورة ما تقوم به جماعات العنف المسلح والإسلام السياسي من انتهاك الشرعية الدستورية في جميع بلدان العالم والانقلاب عليها من قِبل هذه الجماعات، فإن الخروج المسلح عليها يشكل سابقة خطرة يمكن أن يهدد أمن واستقرار المنطقة بل والعالم أجمع.. ونهيب بجميع طوائف شعب مصر أن يحافظ على مكتسبات بلاده وبأن يقدر ما يبذل من جهد وعرق وأن يصبر فإنما النصر مع الصبر، كما نهيب به لمنع المندسين أيًا ما كانوا لإحداث الفتن وسفك الدماء، فلا خلاف أن إراقة الدماء المسلمة والاعتداء على أموال المسلمين من المحرمات التي لا يختلف عليها ولا يرضى بها سوى أعداء الإسلام ومدعيه بالداخل والخارج، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون"، ويكونون بهذا البيان محقين غير مخطئين ولا متجاوزين الحقيقة قيد أنملة.

مقاصده الصحيحة السامية، وهذا جرم يستلزم فض هذا الاتحاد، لأنه – والحال كذلك – لا يمثل المسلمين ولا صلة له بصحيح دينهم وعقيدتهم.

رابعها: وحتى لا يُظن أنا نفتري على الإخوان احترافهم الكذب، نكشف عن بعض المواقف الموثقة ونذكر منها على سبيل المثال: ما جرى في ٨/ ٢٠١٥، فتحت عنوان: (القيادي الإخواني د. حمزة زوبع المتحدث الإعلامي لحزب الحرية والعدالة المنحل على إحدى القنوات الإخوانية، يكشف تقرُّب الإخوان إلى الله بالكذب) يقصد: بشأن تصريحاتهم في رابعة بعودة مرسي، ونقرأ في تفاصيل الخبر: "شن نشطاء سلفيون هجومًا عنيفًا ضد جماعة الإخوان على خلفية التصريحات التي أدلى بها زوبع، وكشف فيها أن الجماعة كانت تعلم أن اعتصام رابعة لن يعيد مرسى إلى السلطة، لكنهم طلبوا من أنصارهم التصعيد بهدف الوصول إلى نقطة التفاوض بحسب تعبيره.. وقال (سامح عبد الحميد)، القيادي السلفي عبر حسابه على موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك): (إن ما قاله زوبع يؤكد تضليل الإخوان لأنصارهم وهذا جزاء من يُسلِّم عقله للإخوان، لافتًا إلى أن الإخوان يكذبون؛ بل يتقربون إلى الله بالكذب وهذا من ضلالهم، والإخوان لا عهد لهم ولا وعد، يتملصون من كل شيء ويتراجعون عن كل شيء إذا كان في ذلك مصلحتهم، ويعطون الوعود بسخاء ولا ينفذونها، ويُوهمونك بأنها حرب على الإسلام وأن السلفيين خونة وعملاء، وفى الوقت نفسه يتزاحمون على خيمة الدعوة السلفية ليكسبوهم في الانتخابات).. وفى السياق ذاته قال (عبد الفتاح سعيد) القيادي السلفي، عبر حسابه على (فيسبوك) تعليقًا على نفس الخبر: (أظن كده حمزة زوبع جاب من الآخر، وأظن بعد كده كل واحد محترم يسكت ومايدافعش عن الإخوان، الراجل يقول: (كنا عارفين إن اعتصام رابعة مش هايرجّع مرسى)، طيب لماذا كنا عاملين اعتصام وتقولوا: مرسي راجع غداً أو بعد غد؟، (كنا نريد أن نزيد من مساحة التفاوض السياسي)، وتابع يقول: والله العظيم أنتم خونة ومجرمين، ربنا ينتقم منكم، على فكرة كل ما يحدث الآن أيضا لزيادة مساحة التفاوض السياسي).

ومن جانبه شن (راضي شرارة) القيادي السلفي وأحد حلفاء الإخوان هجومًا على الجماعة، وقال: (إن كلام زوبع كلام سياسي يتعلق بالتفاوض لكنه يحمل في داخله أكثر من مفهوم سيئ، مثل: أنه يُفهم من هذا الكلام أن هناك عملية خداع كبيرة قام بها هؤلاء للمعتصمين، لأنهم كانوا كل يوم يقولون لهم إن مرسى خارج والاعتصام لن ينفض)، وأضاف: (إن هذا الكلام يدل على أن الإخوان باعوا قضية مرسى ومن زمن بعيد، فلماذا المتاجرة به حتى الآن؟!)، قال: (حين تدرك أن آخر هدفك هو تفاوض سياسي، فلم التفريط في كل هذا وقد كان مسموحا لك بالتفاوض السياسي من قبل ومن بعد، وقد تدخل كثير من العقلاء من مصر وخارجها؟.. وإذا كان الأمر تفاوض سياسي فلمَ تحويل القضية إلى كفر وإيمان وتحويل الصراع إلى حرب على الإسلام؟!).. كما انتقد (زين العابدين كامل)، عضو الجمعية العمومية للدعوة السلفية، ما صرح به زوبع بشأن اعتصام رابعة، وكيفية متاجرة الإخوان بالمحبين والمتعاطفين من أنصار الجماعة، وأضاف كامل في بيان على الموقع الرسمي للدعوة السلفية: (ماذا ستقولون لله يوم القيامة، ضحيتم بأرواح الأبرياء وتسببتم في قتلهم، وأقسمتم بالله على عودة د. مرسى ثم تعترفون الآن بأنكم كنتم على يقين بأن اعتصامات رابعة لم تكن لتؤدي في نهاية الأمر إلى عودته، إذن فلماذا خدعتم الشباب المتحمس وغررتم به؟).

وتابع: إن (من مقاصد الشريعة: حفظ النفس، وقد أوجد الله في الكون ما يحفظ النفس ويضمن لها الحياة مِن ماء وغذاء وإيواء وكساء ونحو ذلك، ثم أباح لها المحظورات عند الضرورة)"إ.هـ.. وأنا أضيف هنا عتابًا لأولئك السلفيين وأقول: كيف تسنى لكم منذ البداية أن تنخرطوا في عداد أهل البدع والضلال؟!، ألم يفتوكم مشايخكم سلفا وخلفًا بحرمة مجالستهم والحديث معهم والانخراط في صفوفهم؟!، وإذ قد علمتم ما كان منهم في رابعة والنهضة ومن بل ذلك أثناء ثورة يناير من حمل السلاح وسفك الدماء فكيف تسنى لكم مشاركتهم منذ تلك اللحظة؟!، أليس الإخوان هم من وراء كل الدماء التي سالت هنالك وهم مَن لا يزالون يكذبون على الناس ويتاجرون بها ويزايدون بأعداد من قتلوا؟!، فليس أمامكم إذن إلا الندم والنصح والبيان والإفصاح وإلا فالموعد الله.

وتحت عنوان: (إخوانية منشقة: الإخوان أحرقوا مسجد رابعة العدوية لكسب تعاطف الشارع)، صرحت ناشطة إخوانية قريبة من مطبخ الأحداث تدعى (فاطمة يوسف) في إحدى الصحف المصرية: بأن اعتصام (رابعة) شمل غرفة للتعذيب، وأن (الإخوان) هم من حملوا السلاح في (الحرس الجمهوري)، وقدمت اعتذارًا للدولة وللداخلية وللشعب المصري عما قامت به من ادعاء وتضليل ضد الشرطة، معلنة رغبتها في العودة إلى حضن الوطن بعيدًا عن التنظيم الذي احترف الكذب، وكشفت عن تهديدات القتل التي تتعرض لها كل يوم من قبل أعضاء التنظيم الذين وصَفُوا انشقاقها عنه بـ (العار)، وأوضحت فاطمة أن "الرسول الكريم ﷺ لم يستخدم في غزواته وحروبه ضد الكفار الكذب والسب والشتم للوصول لهدفه كما تفعل الجماعة الآن، بل كان يستخدم العقل والتفكير، فلو كانت الجماعة على حق لما استخدمت ذلك الأسلوب المخالف للعقيدة، وعندما كنت صغيرة في المدرسة كنا نتعلم حب الوطن وفداءه، ولسنا وسائل لتخريبه".

تقول حفظها الله: إن قصتها بدأت بعد خروجها من قسم المرج، وأنها تحدثتْ مع الإعلامي الإخواني (محمد عبد الله) الموجود في لندن منذ فض اعتصام رابعة، وقال لها: "لازم نشتغل على الوقت الطويل اللي إنتي قعدتيه في القسم، وتقولي: إن الضابط فلان ورجال الأمن قاموا باغتصابي في القسم، ويجب أن يحدث اعتصام في المطرية.. وإنتي أكتر واحدة تقدر تُسبكي الواقعة ومش بتخافي من التهديدات".

تقول: "فقلتُ: نجرَّب، ولم أفكر في التراجع إلا بعد إحساسي بتدمير مستقبل الضابط بسببي، خاصة بعد قرار النائب العام بضبطه وإحضاره، وبعد إلحاح منه، قلت له: (مش قادرة حرام عليكم، أنا خلاص اتخنقت)، فرد علىَّ بقوله: (اصبري بس ولما نرجع هنفهمك)، لكنى لم أستطع الصمود، وذهبت إلى والدي وقلت له: إن موضوع اغتصابي في قسم المرج غير صحيح.. وتراجعت واعتذرت عبر وسائل الإعلام"، وعن سؤالها عن كيف تم التخطيط لاتهام الداخلية باغتصابك؟، قالت فاطمة: "أعتذر لوزارة الداخلية، لأني فعلًا أخطأتُ في حقهم، واتبلَّيت عليهم، ولهم حق في القبض علىَّ، فلم أكن ملاكًا بل كنت أقوم بأشياء خاطئة.. وكوني أهتف أو غيري بشعار (يسقط حكم العسكر) ده كان أكبر غلط، لأننا لسنا في حكم عسكر، فالرئيس خلع البدلة العسكرية وأصبح مدنيًا، والجيش يضم ابن عمى وابن خالتي وأقاربي فلماذا أسقطه؟!، ده من غير الجيش البلد مش هتنفع".

وجوابًا عن رد فعل الإخوان بعد اعتذارها للداخلية وكشفها لفضائحهم؟، قالت فاطمة: "الجماعة اتهمتني بالكفر وأنى لم أكن عضوًا بها، وأنه لم يتم حبسي من الأساس رغم أن وزارة الداخلية لديها توثيق بموعد الحبس وكذلك خروجي، واتهموني بالخيانة، وأنى تابعة للمخابرات العامة، واتصل بي عدد كبير من القيادات الإخوانية، وقالوا لي: (منك لله حسبي الله ونعم الوكيل، إحنا اللي كبرناكي وإحنا اللي هنغرَّقك)، وكل جيراني الإخوان يعتبرونني كافرة، فأي حد ينتقد الجماعة يتم تخوينه وتكفيره، وحدث ذلك من قبل مع (محمد حبيب ومختار نوح وكمال الهلباوي وثروت الخرباوي وعبد الجليل الشرنوبي)، وعندما انسحب هؤلاء من التنظيم اتهموهم بالكفر والخيانة وأنهم باعوا الجماعة وحصلوا على أموال، وكذلك يقولون عنى، لكنى لست بخائنة أو كافرة لمجرد أن قلت الحقيقة وكشفت أسرارهم، فهناك شروط لتكفير المسلم، وليس من حق أحد أيًّا كان أن يكفر الآخر، وأنا أصوم الاثنين والخميس، وأقوم بأداء الصلاة في أوقاتها وقريبًا سأختم القرآن الكريم، وأصلى القيام والفجر حاضرًا، وفى المقابل أعتقد أن (وجدي غنيم) لا يصلى فرض الصلاة حاضرًا، أما لفظ (خائنة): فلا ينطبق علىَّ، إنما عليهم، فهم يخونون البلاد ويتعاملون مع إسرائيل واليهود، وهذا ينطبق على قيادات الجماعة بالكامل".

وفي حوارها مع صحيفة أخرى قالت فاطمة: "بدأت تجربتي داخل جماعة الإخوان منذ اعتصامَي رابعة والنهضة، وكان عمري وقتها ١٥ عامًا ونصف العام عندما بدأتُ أشارك مع والدي في التظاهرات المؤيدة للجماعة، وفى تلك الفترة طالبني والدي بأن أكون مثل شباب الإخوان، ألبس مثلهم، أفكر مثلهم، أنضم إليهم، وأصبحت أعشق الجماعة وفكرها، وخاصة بعد اقترابي من شباب الجماعة الذين يَظهرون لك وكأنهم ملائكة من السماء بعثهم الله على الأرض إلا أن الحقيقة مختلفة تمامًا عندما تختلط بهم وتعرفهم جيدًا".. وفي سؤال عن نشاطها وحجم الأموال التي تأتيهم من قطر وتركيا وتُصْرف للخوارج

التكفيريين على تقتيل المسلمين وتخريب ديارهم؟، قالت: "أسستُ ٣ حركات إخوانية لقيادات التظاهرات في الشارع وهي (كفاح شعب)، (حق الشهيد راجع)، و(ثائرون من أجل مصر)([1])، وحصلت مقابل ذلك على مبالغ مالية من (تحالف دعم الشرعية).. وأي عضو بالإخوان يُلقى القبض عليه يحصل على ١٥ ألف جنيه شهريًا للصرف على أسرته لو كانت قضيته كبرى مثل قضية (عرب شركس) وقضية (رابعة والنهضة)، أما القضايا العادية فهي فارغة بالنسبة للإخوان، ولا يعطون عليها أي تمويل، وللعلم فإن الجماعة لا تصرف ولا تعطى أموالًا إلا لأعضائها، أما المتعاطفون في حال القبض عليهم فالجماعة لا تزورهم حتى في السجن ولا تعطيهم ولو وجبة".

كما صرحت فاطمة بأن "المولوتوف كان سلاحنا القديم، أما الآن فهناك رصاص حي وخرطوش، للتعامل مع قوات الشرطة، وإرهاب الجماعة وتطرفها وصل إلى وضع مكافأة على كل (رأس) من الضباط والجنود الذين يصابون أو يقتلون في تظاهراتنا، وأن هناك برنامج صوتي شهير يستخدمه الإخوان في تزوير صوت الرئيس في التسريبات وهو مشهور جدا ولكنني لا أستطيع أن أتحدث عنه، وأن كل القرارات التي تأتينا تطالبنا بالعنف وتدعونا إلى القصاص، وتقول: (اعتدوا عليهم مثل ما اعتدوا عليكم)".

والحوارات طويلة ونكتفي منها بما ذكرنا وبأن نعلم أن النظام (القطرامريكاخواني) أنفق على مدار ثمانية أشهر فقط أموالا تقدر بنحو ٧٢٠ مليون دولار، على أكثر من ٧ محطات فضائية، و٣ صحف مطبوعة، وإذاعتين، وعشرات المواقع الإلكترونية، فضلا عن صفحات التواصل الاجتماعي على فيس بوك وتويتر، وأنها – حسب (باتريك بول) الخبير في الأمن القومي والباحث في شئون مكافحة الإرهاب، أمضت صفقة أقرها (أوباما) تقدر بـ ٦٠ مليار دولار لدعم الإرهاب وبهدف إثارة الفوضى داخل مصر وتشويه نظام الرئيس السيسي أمام الرأي العام العربي والدولي، وتأجيج الرأي العام المصري ضد حكومته ودفعهِ إلى الاعتراض على قراراتها وسياساتها المختلفة، فضلا عن تشويه كل النماذج والمشروعات التنموية الناجحة التي تسعى الحكومة لتنفيذها في الوقت الراهن.. ليتضح لنا حجم أموال المسلمين التي تذهب لحرب المسلمين، وحجم المؤامرة والكذب والخيانة والخداع التي تحاك لشعب مصر، وحجم المتاجرة بدين الله عز وجل من قِبل هذه الجماعة المارقة التي تدّعي لنفسها أنها (جماعة المسلمين)، والإسلام وعقلاء المسلمين منها براء.. ولا تعليق.

<u>خامسها:</u> أنه لا ينبغي أن يكون ما نكشفه هنا في وجهة النظر الشرعية عن جماعة المسلمين، أن يكون بمعزل عن قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين.. التوبة/ ١١٩)، وإنما أعني بهم هنا بطبيعة الحال: جماعة المسلمين المحقة، ذلك أن من يكذب على الله لا يؤتمن على دين ولا دنيا، ولا أدري كيف يستحل الكذبَ على الله وعلى الناس مسلم يعي قول الله تعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عنيد.. ق/ ١٨) وقول الصادق المصدوق في الحديث المتفق عليه بأبي هو وأمي: (.. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)، وقوله: (أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)، وقوله كما في الحديث المرسل، عند جوابه لمن سأل، أيكون المسلم جبانًا قال: (نعم)، أيكون المسلم بخيلًا؟، قال: (نعم)، أيكون المسلم كذابًا؟، قال: (لا).. ذلك أن الصدق على عمومه – لاسيما ما كان منه مع الله – هي بضاعة الداعية وبغيرها يفقد مصداقيته لدى من يدعوهم، فهو منجاة.. وهو قبل ذلك سمت الصالحين المخلصين حتى في أحلك الظروف والأوقات، ولقد حكي أن الحجاج بن يوسف خطب يومًا، فأطال الخطبة، فقال أحد الحاضرين: (الصلاة!، فإن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرك)، فأمر بحبسه، فأتاه قومه وزعموا أن الرجل مجنون، فقال الحجاج: (إن أقر بالجنون خّلصته من سجنه)، فقال الرجل: (لا يسوغ لي أن

([1]) لاحظ كيف تشكل الخلايا النوعية والتنظيمية حتى إذا أمسك بها أو بواحدة منها لجريمة ما، ثبتت التهمة عليها دون أن تمس جماعة الإخوان أدنى مسئولية، والناس حينها حيارى يقفون معهم ويقولون: (لا ذنب للإخوان فيما حدث) وقد غابت عنهم حقائق الأمور.. ناهيك عن المظلوميات وبيان أنهم أكرهوا على الإدلاء بأقوالهم، فينقلب الناس على أنظمة الحكم، وهم من ارتكبوا من الجرائم ما الله به عليم.. ولكن و(يوم تبلى السرائر) وقبل ذلك في الدنيا: (إن ربك لبالمرصاد).

أجحد نعمة الله التي أنعم بها عليّ، وأثبتُ لنفسي صفة الجنون التي نزهني الله عنها)، فلما رأى الحجاج صدقه خلى سبيله.. وهل يخفى على أحد قول الحسن البصري: "إن أردت أن تكون مع الصادقين، فعليك بالزهد في الدنيا والكف عن أهل الملة"، أو أمر البخاري ورفضه أخذ الحديث والعلم وأمور الدين والاعتقاد ممن رآه يكذب على فرسه ويمد يده ليوهمه أن بها طعام، وقوله رحمه الله: (لا آخذ الحديث – حتى – ممن يكذب على البهائم).. وهكذا ينبغي أن يكون عليه حال أهل الإيمان وبخاصة دعاتهم.

المبحث الثاني: خلافة الإخوان مبتناة على: التكالب على السلطة وسفك الدماء المعصومة وخراب الديار المسلمة؛ مصر وسوريا نموذجًا

أولًا: جرائم الجماعة قبل وأثناء وبعد توليهم حكم مصر

وما شاهده ويشاهده العالم كله من إفسادهم في بلاد المسلمين باسم الإسلام، خير شاهد على ما أقول إذ ليس بعد العين أين.. ونستشهد هنا بما أوقعوه بمصر من أحداث، ونكتفي منه:

١- بما نشرته (دوت مصر) في ١/ ٧/ ٢٠١٧، يعني في الذكرى الرابعة لثورة ٣٠/ ٦/ من تقريرٍ، رصَد أبرز الجرائم التي ارتكبتها جماعة الإخوان بالإسكندرية.. وقد ذكر التقرير:

أحداث سيدي جابر، التي وقعت يوم الجمعة ٥/ ٧/ ٢٠١٣، واشتملت على اشتباكات وأحداث عنف استخدمت خلالها الأسلحة النارية والبيضاء، وعبوات المولوتوف للاعتداء بها على المواطنين السلميين، مما أدى إلى سقوط نحو ١٢ قتيلا، و١٨٠ مصابًا، إضافة إلى ٨٠٠ مصاب آخرين بإصابات بسيطة، ومن ضمن الاعتداءات إلقاء أطفال من على أسطح المنازل بسيدي جابر.. وهناك بعض التقارير التي رفعت أعداد القتلى في ذلك اليوم ليصل إلى ٢٢ قتيلا، فيما كشفت تحقيقات النيابة ثبوت تورط قيادات الإخوان في هذه الأحداث سيدي جابر بعد أن تسلمت تحريات الأمن الوطني في القضية، يذكر أن التحريات كشفت عن عقد عدة لقاءات مع أعضاء مكتب الإرشاد في أعقاب تراجع شعبية الرئيس المعزول محمد مرسى، وذلك لتنفيذ مخطط يعتمد على استخدام العنف والأسلحة النارية والبيضاء لإحداث حالة من الانفلات الأمني وتكدير الأمن والسلم العام بالبلد في مواجهة المظاهرات التي أعلنت القوى السياسية المعارضة اعتزامها القيام بها، وأكد العديد من المصابين في الأحداث، علي قيام جماعة الإخوان بالاعتداء عليهم بالضرب، حيث أكد عمرو صلاح أحد المصابين في الاشتباكات، أنه عندما كانوا واقفين في لجنة شعبية لحماية المنطقة من البلطجية تم إطلاق خرطوش عليهم من قبل مؤيدي الرئيس مرسي، ثم لحقوا بهم إلى المنازل وأسطح البيوت واعتدوا عليهم بالضرب بالأسلحة البيضاء والخرطوش.. وقد أعلن الدكتور محمد سلطان، رئيس هيئة الإسعاف، حينها عن حصيلة الاشتباكات التي حدثت هذا اليوم، في كل محافظات مصر بأنها كانت وفاة ٣٦ مواطنًا وإصابة ١١٣٨ آخرين.

كما شهدت الإسكندرية عقب أحداث فض اعتصامي رابعة والنهضة مباشرة تجمع عناصر الجماعة الإرهابية بمحيط مسجد القائد إبراهيم، وقطع طريق الكورنيش بصناديق القمامة وحرق إطارات السيارات، وأشعلوا النيران في سيارة لأحد المواطنين وسيارة أخرى تابعة لقوات الشرطة.. ومن ناحية أخرى نظمت الجماعة الإرهابية مسيرات في شارع فؤاد والكورنيش وقناة السويس، لقطع الطرق الرئيسية، وقامت قوات الأمن بفض الاشتباكات التي وقعت بين عناصر الجماعة الإرهابية والمواطنين الرافضين لأعمال الشغب، وأدت الاشتباكات التي استخدم فيها عناصر الإخوان السلاح الناري إلى استشهاد ضابط ومقتل ٩ أشخاص، فضلًا إصابة ١٥٠ شخصًا بطلقات نارية حية.

ولم تكتف جماعة الإخوان بذلك حتى قامت باقتحام المجلس الشعبي المحلي الذي كان المقر المؤقت لمحافظة الإسكندرية في تلك الفترة بعد حرق المقر الرئيس في أحداث ثورة ٢٥ يناير، وقامت بحرق ٤ أدوار من المجلس المحلي وتحطيم محتويات المبنى وإلقاء أثاثه.. كما قامت أعداد أخرى بتحطيم أكشاك الحراسة الخاصة بالقنصليات بشارع فؤاد بمحطة الرمل، والاشتباك مع أهالي كوم الدكة الذين خرجوا لرفض أعمال الشغب، وإيقافهم منعًا لإيذاء المنازل من الحرائق.

هذا وقد حاول عناصر الجماعة اقتحام نقطة شرطة الإبراهيمية وسرقة محتوياتها، كما حاولوا اقتحام قسم شرطة باب شرق، ولكن قوات الأمن تصدت لهم، وأطلق مجموعة من المسلحين الإخوان طلقات نارية على قسم شرطة العامرية في محاولة لإسقاط ضحايا من رجال الشرطة، ولكن العملية الإرهابية فشلت.. كما نظم الإخوان مسيرة انطلقت من أمام نقطة شرطة الإبراهيمية بعد اقتحامها وإتلاف محتوياتها، إلى مسجد "علي ابن أبي طالب" الكائن بمنطقة سموحة بالإسكندرية، متجهة إلى مديرية أمن الإسكندرية.

٢- كما نشير إلى **الملخص التنفيذي للتقرير النهائي الذي أعدته اللجنة المستقلة لتقصي الحقائق في أحداث ما بعد ٣٠ يونيو**، برئاسة د.فؤاد عبد المنعم رياض، ويحتوي هذا التقرير الذي صدر في ٢٣/ ١١/ ٢٠١٤، على ١١ ملفًا، واشتمل فيما اشتمل على ما خلفته عملية فض (اعتصام رابعة) – الذي بدأ في ٢١/ ٦/ ٢٠١٣ استباقًا لليوم الذي دعت إليه القوى الشعبية والسياسية بالتظاهر في ٣٠/ ٦/ ٢٠١٣ ضد حكم الرئيس الأسبق/ محمد مرسي – من مقتل ٨ وإصابة ٥٦ في جانب الشرطة، ومقتل ٦٠٧ بعضهم من المواطنين غير المتجمعين الذين قتلوا برصاص مسلحي التجمع، كما هو مسجل بالمحضر رقم ٢٠١٣/١٥٨٩٩، إداري قسم أول مدينة نصر بتاريخ ١٤/ ٨ /٢٠١٣ وحالة أخرى مسجلة بالمحضر رقم ٥٧ لسنة ٢٠١٣ أحوال قسم أول مدينة نصر، وكشفت مصلحة الطب الشرعي عن نقل عدد من الجثث من أماكن وفاتها (المرج، السلام، النهضة، الدقي، النزهة) إلى منطقة رابعة فتكرر تسجيلها، وتم التصحيح بقصر تسجيلها على مكان وفاتها فقط، ورصدت أيضًا مصلحة الطب الشرعي تكرار في بعض الأسماء للمتوفين في منطقة رابعة وجرى حذف المتكرر، وهذا يفسر سبب انخفاض أعداد القتلى عما ذكر من قبل، أما عدد المصابين فبلغ ١٤٩٢ مصابًا، وذلك بخلاف الذين آثروا العلاج خارج المستشفيات الحكومية، هذا، وقد كان اتجاه الطلقات التي أصابت الحالات التي جرى تشريحها وهي ٣٦٣ حالة كالتالي: (٢٩ حالة من أعلى إلى أسفل) و(٨٧ حالة من الأمام إلى الخلف)، و(٨٩ حالة من الخلف إلى الأمام)، و(١٤٥ حالة من اليمين لليسار)، و(٩٥ حالة من اليسار لليمين)، وكان من بين الحالات السالفة ٨٢ حالة بها أكثر من إصابة من اتجاهات مختلفة، وقد لوحظ أن حالات القتل السالفة الذكر كانت على بعد مسافات قريبة وبأسلحة ليست في حوزة الداخلية مما لا يبرئ ساحة مسلحي رابعة من قتلهم.

يؤيد هذا: ضبط ٥١ سلاح ناري مختلف العيارات، وعدد من الطلقات التي تستخدم عليها بالإضافة إلى نبال وكريات حديدية وغيرها من الأدوات والمواد التي استخدمت في الاشتباكات، ناهيك عما جاء في تقرير المعمل الجنائي من أن الحرائق اشتعلت في مختلف الأماكن و الخيام داخل التجمع في وقت متزامن، ولم تمتد من واحدة إلى أخرى مما يشير إلى تعدد الفاعلين.

أما عن تجمع ميدان النهضة، فقد بدًا بالتزامن مع تجمع ميدان رابعة العدوية، و بدأت فاعلياته في ١/ ٧/ ٢٠١٣، وتسجل يوميات هذا التجمع أحداث عنف كثيرة بين أعضائه و بين أهالي المناطق المحيطة به و الشرطة، ونتج عنها قتلى و جرحى مسجلة في محاضر رسمية، و قد تسرب خبر الفض إلى المتجمعين، فتحركت مجموعات إلى داخل كلية الهندسة بجامعة القاهرة قامت بفك لمبات الكهرباء، وجمع بعض الأخشاب، وكميات من الرمال، وعلقوا تعليمات بالإجراءات اللازم اتباعها في حالة الفض.. وبدأ الفض يوم ١٤/ ٨/ ٢٠١٣ تنفيذا لقرار النيابة العامة الذي لبته الحكومة، وحينها وصلت القوات إلى الميدان قبيل الساعة السادسة صباحا، وأعلنت عن الدعوة للإخلاء، وحددت الممر الآمن من شارع الجامعة باتجاه ميدان الجيزة، فوقف عدد من المتجمعين أمام سيارات الشرطة رفضا لدعوتها، وأطلقت إحدى السيارات طنينًا، واستجاب عدد من المتجمعين للدعوة، وخرجوا من الممر الآمن، ثم بدأ المسلحون في إطلاق النار على الشرطة، وإشعال النار في الخيام لوقف تقدمهم، وتمركز عدد من المتجمعين المسلحين بمبنى كلية الهندسة، وأطلقوا النار على الشرطة، فبادلتهم إطلاق النار، وفر عدد من المتجمعين إلى الشوارع والأماكن المحيطة، وطلب المتجمعون بداخل كلية الهندسة وساطة السيد/ محافظ الجيزة

لإخراجهم، وتم قبول ذلك من جانب الشرطة، وفي نحو السابعة والنصف مساء خرجوا إلى الممر الآمن، وعقب ذلك شبت النيران بالطابق الثاني من كلية الهندسة.

وقد ترتب على عملية الفض بالميدان ومحيطه: ٨٨ قتيلا و٣٦٦ مصابًا، كما تم ضبط ٤١ سلاحًا ناريًا مختلف العيار وآلاف من الذخائر التي تستخدم عليها، وأثبت تقرير المعمل الجنائي أن اشتعال النار في كلية الهندسة تم بفعل فاعلين قاموا باشعال النار في أماكن متفرقة في وقت متزامن.

وجاء في استخلاصات اللجنة: أن التجمع وإن بدأ في مظهر سلمي إلا أنه لم يكن سلميا قبل أو أثناء الفض.. وأن المسوغات القانونية قد توافرت للشرطة لفض التجمع بالقوة بعد أن فشلت مساعي إخلائه إراديًا.. وأنه قد تم الإعلان عن عزم الحكومة فض التجمع من خلال البيانات التي كانت تلقى على المتجمعين وفي وسائل الإعلام قبل تحديد.. كما تم تسريب موعد الفض بعد ذلك لوسائل الإعلام التي أرسلت مراسليها لتغطيته، بالإضافة إلى الإنذار الصادر قبيل الفض، وتحديد الممر الآمن، ودعوة المتجمعين للخروج الآمن منه، ولكن كثيرًا منهم رفضوا الخروج أو أجبروا على ذلك.

كما أثبت التقرير أن هدف قوات الشرطة منذ البداية تمثل في إخلاء الميدان وليس قتل المتجمعين، غير أنها اضطرت إلى الرد على مصادر النيران التي أطلقها عليها المسلحون من بين المتجمعين، وأن مما يدل على ذلك: أن الشرطة أخطرت وسائل الإعلام بموعد الفض، وناشدت المتجمعين الخروج قبل وأثناء الفض.. وأن الشرطة تدرجت في استخدام القوة، ولم تستدع المجموعات القتالية إلا بعد وقوع قتلى وإصابات في صفوفها.. وأنه عند ضبط المتهمين بإطلاق النار على الشرطة من (عمارة المنايفة) لم تتم تصفيتهم بل جرى القبض عليهم وتسليمهم إلى المختصين.. وأن خطة الفض كانت واحدة في تجمعي رابعة والنهضة، وعندما أعلن المتجمعون في كلية الهندسة جامعة القاهرة رغبتهم في الخروج الآمن، وطلبوا وساطة السيد/ محافظ الجيزة، وقد وافقت الشرطة على ذلك، ولو كانت الشرطة تنفذ خطة للقتل لاستمرت في حصارهم وقتالهم داخل الكلية.

وأقول: إنه وبناء على ما ذكر، فإن ما يقضي به الشرع وما يقتضيه العدل والإنصاف: تحميل جماعة الإخوان المسئولية كاملة عن كل ما تسببوا فيه، وتحميلها كذلك ديات جميع من قُتلوا([1]) ونفقات جميع ما لحق بأماكن الاعتصام من تلفيات([2]).. كونهم مَن تسببوا بطريق مباشر في كل هذه الأضرار، ومَن أحدثوا ما أحدثوه من قتل وتخريب.. وبالتالي بطلان فتوى الشيخ محمد حسان في مناشدته بتحميل الجيش أو الشرطة ما تسبب فيه غيرهم، وأنه كان يجب عليه أن يصرح بهذا، وبخاصة أنه كان واحدًا ممن توسطوا للصلح وممن ألمحوا ببغي جماعة الإخوان([3]).. فبعد غياب زاد عن ثلاث سنوات من فض الاعتصام خرج هو ود.جمال المراكبي ود. عبد الله شاكر رئيس جمعية أنصار السنة المحمدية، وكشفوا لأول مرة من خلال قناة الرحمة تفاصيل الوساطة بين جماعة الإخوان والقوات المسلحة المصرية قبل فض الاعتصامات، وكان مما صرح به د.المراكبي أن "الإخوان اندهشوا من ردود الجيش وأنهم تقالُّوها،

([1]) بما فيهم من قتلوهم من أفراد الجيش والشرطة

([2]) بما في ذلك ما أحدثوه أو تسببوا في إتلافه من عُددٍ وعتاد لقوات لجيش أو الشرطة، كونها ملكا للشعب ولحمايته من البغاة والمحاربين وليست ملكًا لأحد سواه.

([3]) وكان أخوه (محمود حسان) قد صرح في مداخلة هاتفية مع برنامج (ممكن) على قناة (سي بي سي)، بأن "عددًا من القيادات الإسلامية بينهم د.عبد الله شاكر والشيخ محمد حسان، وكنت بصحبتهم، توسطوا لدى التحالف الوطني لدعم الشرعية لوقف الاشتباك السياسي وحقن دماء المسلمين في اعتصام رابعة العدوية وميدان النهضة، وحضر الشيخ حسان يوم ٢٣ رمضان من السعودية واجتمع بقيادات التحالف من الساعة الثانية ظهرًا حتى السادسة مساء".

وأوضح (محمود حسان) أن الاجتماع أسفر عن ٣ مطالب رئيسية وهي عدم فض الاعتصامات بالقوة، ووقف الهجوم الإعلامي بين الطرفين تمهيدًا للمصالحة، ووقف جميع القضايا والتهم الموجهة ضد قيادات التحالف وأعضائه.. وأشار إلى أنه بعد يومين التقينا قيادات الجيش في حضور المشير عبد الفتاح السيسي واللواء محمد العصار، وبعض أعضاء المجلس العسكري، ووافقوا على المطالب، على أن: تبدأ التهدئة في قنوات الإعلام مقابل وقف الهجوم على الجيش في منصة رابعة العدوية، وفتح الطريق لعدم تعطيل مصالح المواطنين.. وأضاف أنه في اليوم التالي صرح وزير الداخلية اللواء محمد إبراهيم، بأنه لن يتم فض الاعتصام بالقوة كنوع من بث الاطمئنان وبث روح جديدة في المفاوضات، وأكد محمود حسان، أنه تم لقاء الستة شخصيات من التحالف الوطني الذين شاركوا في الجولة الأولى للمفاوضات، ولكن فوجئنا بهم يتنصلون من الاتفاقات معنا ونقضوا عهودهم، وأخبرونا أنهم يجهزون ١٠٠ ألف شهيد لاستعادة السلطة.

وأضاف، أنه في تلك الفترة كانت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ينشطون في ملف المصالحة والضغط على السلطة الجديدة في الدولة.. وأوضح أنه بعد انتهاء اللقاء اتصل اللواء العصار بالشيخ محمد حسان حسب الاتفاق الذي تم، وقال له: "ماذا فعلتم يا شيخ حسان"؟!، فكان رده كلمة واحدة فقط: "إنا لله وإنا إليه راجعون".

قائلين: (شكرًا يا مشايخ على جهدكم بالرغم من ضياع العشر الأواخر من رمضان)"، مضيفًا أن هذا الرد أصاب الشيوخ بالصدمة، لأنهم ادعوا التدين حسب قوله: «ومن صدمتنا أننا لم نرد على أحد وكأنها غصة ابتلعناها".. كما أكد (شاكر)، أن قيادات المجلس العسكري رحبت بجلسات الصلح ووافقت على الحلول التي تقدمت بها هيئة كبار العلماء، في حين أن الإخوان أنكرت ذلك، وتنصلت من جلسات الصلح، وأن ما يحدث للأمة الآن هو نتيجة لذلك".

وعن أحداث الحرس الجمهوري: يُذكر أن التجمع بدأ يوم ٥/ ٧/ ٢٠١٣ وحتى فجر ٨ / ٧، حيث توجه حشد من المتجمعين برابعة إلى منشأة عسكرية تضم معسكرات وقيادة ودار الحرس الجمهوري لاقتحامها، و إخراج الرئيس الأسبق محمد مرسي منها، وكانت قوات تأمين المنشأة العسكرية قد حذرت هؤلاء المتجمعين بعدم الاقتراب من السلك الشائك المحيط بهذه المنشأة، وأخبرتهم أن الرئيس الأسبق غير موجود بداخلها، ولكنهم رفضوا التحذير، وتوجه عدد منهم إلى السلك الشائك لمحاولة الاقتحام، فتعاملت معهم القوات، و سقط ٥ قتلى وأصيب عدد آخر، وقد افترش المتجمعون شارع صلاح سالم أمام المنشأة العسكرية، وقطعوا الطريق وأغلقوا المباني الحكومية، ومنعوا الموظفين من الدخول، واعترضوا أهالي المنطقة المقيمين والعاملين فيها.

وفي فجر يوم ٨/ ٧/ ٢٠١٣ وعقب فراغ المتجمعين من الصلاة في الشارع، بدأ الطرق على أعمدة الكهرباء – وهي إشارة للحشد – فتجمع عدد كبير منهم، وعاودوا التوجه إلى المنشأة العسكرية في محاولة أخرى لاقتحامها، وأطلقوا النار على قوات التأمين كما ألقوها بالزجاجات الحارقة من أعلى أسطح بعض المباني المجاورة، فردت عليهم القوات بإطلاق النار، وأسفرت الاشتباكات عن وفاة ٢ من قوات الأمن وإصابة ٤٢ آخرين، وتوفي من المتجمعين ٥٩ فردًا وأصيب ٤٣٥ شخصًا، كما تم ضبط عدد من الأسلحة النارية مختلفة العيار، منها: طبنجة مبلغ بسرقتها من مديرية أمن السويس، وكذلك أعداد من الذخيرة و الأدوات الأخرى التي تستخدم في الاشتباكات، ومن المعلوم للكافة أنه لا يجوز الاقتراب من المنشآت العسكرية، ومن ثم كانت محاولة اقتحام إحدى هذه المنشآت الهامة، وتكرار ذلك باستخدام الأسلحة خلال أيام قليلة، يشكل اعتداء خطيرًا، يوفر لقوات التأمين المسوغ القانوني للدفاع عنها، أخذًا في الاعتبار أن الاعتداء وقع على منشأة عسكرية داخل العاصمة.

وعن مسيرة المنصة: ذكر التقرير أنها بدأت في الساعة العاشرة من مساء يوم ٢٦/ ٧/ ٢٠١٣، حيث توجه حشد من المتجمعين في رابعة بمسيرة نحو مطلع كوبري ٦ أكتوبر باتجاه المنصة (النصب التذكاري) لتوسعة تجمع رابعة، وعند اقتراب المسيرة من مساكن امتداد رمسيس، حدثت اشتباكات بين المسلحين من أفراد المسيرة وبين أهالي المنطقة الذين أنضم لها عدد من أهالي منشأة ناصر للحيلولة من التوسعة، حتى لا تتكرر التجاوزات التي وقعت في منطقة رابعة، وتدخلت قوات الأمن للفصل بين الطرفين، وتطورت الأحداث بعد الاعتداء على قوات الشرطة وقتل أحد الضباط وإصابة غيره، فردت الشرطة بإطلاق النار وانتهت الاشتباكات في السابعة تقريبا من صباح اليوم التالي ٢٧/ ٧/ ٢٠١٣.

وقد نتج عن هذه الاشتباكات وفاة ضابط شرطة وإصابة ٣ من رجال الشرطة، وأيضًا وفاة ٩٥ من المدنيين وإصابة ١٢٠ شخصًا، وتفيد المعلومات أن الاشتباكات بدأت بين مسلحي التجمع وأهالي منطقة امتداد رمسيس، ثم وقع الاعتداء المسلح على رجال الشرطة فردوا بإطلاق النار حسب إفادات الشهود، غير أن هذه المعلومات لا تسمح بتحديد المسئول عن كافة الوفيات والإصابات نظرًا لوجود ثلاثة أطراف.

كما اشتمل التقرير في القسم الثاني على: الاعتداء على الأفراد والمنشآت، فتناول واحدة من أسوأ الأحداث التي شهدتها البلاد، وهي تلك الهجمات التي شنتها جماعة الإخوان المسلمين و مؤازريها على المواطنين المسيحيين من أهل الذمة وكنائسهم وممتلكاتهم، وامتدت إلى إحدى وعشرين محافظة وذلك في ضوء الخطاب التحريضي ضد الأقباط، وقد طالت تلك الاعتداءات الكنائس الثلاثة الأرثوذكسية و الكاثوليكية والإنجيلية.. وكان من نتائج هذه الاعتداءات:

حرق ٥٢ كنيسة و منشأة كنسية كليا و جزئيا، والاعتداء على ١٢ كنيسة ومنشأة أخرى وسلب و نهب محتوياتها، بالإضافة إلى وقوع حالات من الخطف والاختفاء القسري معظمها بغرض الحصول على فدية، وقد بلغت حالات الاعتداء على ممتلكات المسيحيين (٤٠٢) حالة موزعة على المحافظات المختلفة، وأشدها يقع في محافظة المنيا (٢٨١ حالة)، ووثقت اللجنة (٢٩) حالة قتل في سياق العنف الطائفي، وتكمن خطورة هذه الجرائم في مستهدفاتها وهي إشعال الفتنة الطائفية، وتقويض الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي، كما تكمن في نمط ارتكاب هذه الجرائم الذي بلغ حد التمثيل بالجثث، ومن ثم كانت هناك ضرورة ملحة لنبذ خطاب التحريض والكراهية والتأكيد على المواطنة ومنع التمييز.

وعلى صعيد العنف في الجامعات: فقد شهدت كل الجامعات الحكومية – تقريبا – صورا من العنف فور بدء العام الدراسي في سبتمبر ٢٠١٣ اعتراضا على خارطة الطريق وفض تجمعي رابعة والنهضة ، ولم تتعلق هذه المظاهرات من قريب أو بعيد بالسياسة التعليمية أو بالدراسة ولكن ترتبط جذريًا بالأحداث السياسية الجارية، ونكتفي في هذا الأمر بعرض الأحداث في ثلاث جامعات كبرى هي: القاهرة وعين شمس والأزهر، وقد أثرت هذه الأحداث بشكل خطير على سير العملية التعليمية وتحصيل الطلبة للعلم، وجاء نمط العنف واحدا تقريبا من تحديد موعد للتظاهر من خلال شبكة المعلومات، وغالبا ما يكون بعد صلاة الظهر ثم التجول داخل الجامعة، وإطلاق الشعارات والسباب والألعاب النارية، وتعطيل الدراسة بمحاولة إخراج الطلبة من القاعات أو الشوشرة عليهم أثناء الشرح والامتحانات، والاعتداء على عدد من أعضاء هيئة التدريس، والخروج لقطع الطرق و التحرش بالشرطة وجرها إلى الاشتباك، واستعانة منظِّمو التظاهرات بغير الطلبة، وتلقى العديد منهم مبالغ من المال في إصرار على تنفيذ مخططهم، وأسفرت الأحداث في جامعة القاهرة عن: وفاة ٧ طلاب، بخلاف المصابين ومعظمهم لا يذهب للمستشفيات الحكومية تجنبا من الملاحقة الأمنية، وإصابة بعض أفراد الأمن الإداري والعاملين بالجامعة، وإلقاء القبض على ١٧٨ طالبًا، وفصل ٩٢ طالبًا، وضبط أسلحة نارية وطلقات و بارود و مسامير داخل كلية الهندسة، إتلاف عدد من منشآت الجامعة.

كما أسفرت الأحداث في جامعة عين شمس عن: وفاة طالبين، بخلاف المصابين، وضبط ٥٩ طالبًا، أثاروا شغبا بالمدينة الجامعية، وتمت إحالتهم لجهات التحقيق، فضلا عن ٣٤ طالبا ارتكبوا عنفا في الحرم الجامعي وجرى فصل بعضهم نهائيًا، والبعض الآخر مؤقتًا، وضبط ٤ من أعضاء هيئة التدريس وموظف في ارتكاب أعمال عنف، وتمت إحالتهم لجهات التحقيق، إتلاف عدد من منشآت الجامعة، ضبط ٣ سيارات بها مواد و أدوات تستخدم في العنف.. كما أسفرت الأحداث في جامعة الأزهر عن: الاعتداء على بعض أعضاء هيئة التدريس، ووفاة ٦ طلاب بخلاف المصابين، وفصل ١٣١ طالبا لارتكابهم أعمال عنف، وإتلاف عدد من منشآت الجامعة، وتوقيع عقوبات تأديبية على ٢٩ عضو هيئة تدريس.. وفي ظل هذه الأحداث كان الضحايا في جانب الشرطة عبارة عن قتل ٤ (ضابط وثلاثة جنود) وإصابة ١١٨ من رجالها وذلك حتى نهاية مايو ٢٠١٤.

٣- هذا، وقد تضمن تقرير **تقرير لجنة تقصى الحقائق** بخصوص اقتحام السجون، إلى ما وقع أثناء ثورة ٢٥ يناير، وتحديدًا سجن وادي النطرون الذي احتجز فيه وقت الأحداث المعزول محمد مرسي، وذكر التقرير أن أحداث شغب وقعت يوم السبت ٢٩ يناير، في سجون مصر التي كانت تضم مجموعة من المحتجزين السياسيين، وأن هجومًا جرى على تلك السجون من قبل مجموعة من الملثمين يرتدون جلابيب، هدموا بوابات السجن، مستخدمين أسلحة آلية ومدافع جرينوف محملة على سيارات نصف نقل، وأثبت التقرير أن سجن أبو زعبل، كان به عدد من السجناء المنتمين إلى حركة حماس، وخلية حزب الله، وتم تهريبهم عقب الهجوم المسلح الذي تعرضت له أغلب السجون بطريقة مشابهة، ورصد التقرير أن ملثمين داهموا الأسوار الخارجية لمنطقة السجون بوادي النطرون، وتمكنوا من هدم البوابة الرئيسية باستخدام "لودر".

وتبين أن تلك المجموعة اتجهت إلى سجن ملحق ليمان وادي النطرون، المحتجز بداخله مساجين سياسيون من ذوى التوجه الإخواني حيث تبادلوا إطلاق النار مع الأبراج المحيطة بذلك السجن،

مستخدمين أسلحة آلية ومدافع جرينوف محملة على سيارات نصف نقل، وتمكنوا من السيطرة على ذلك السجن وإخراج من به، بعد نشر السياج الحديدي والأبواب المصفحة بالمناشير الكهربائية، ونتج أيضًا من أحداث اقتحام السجون وفاة قيادة أمنية في سجن "القطا" بالقليوبية، وهو اللواء محمد البطران رئيس مباحث السجون، الذي شهد زملاؤه وممثلان عن السجناء أنه توفى أثناء محاولة هروب سجين، حيث أُطلق النيران نحوه أثناء منعه، ليستشهد البطران في الحال، وأكد زملاء "البطران" في السجن أن اللواء الشهيد ذكر لهم عدم صدور أمر له بإخراج السجناء، وهو ما يدحض الروايات الإخوانية الكاذبة.

وعقب إحالة الواقعة للتحقيق وبعد ١٩ جلسة استغرقت ١٢٠ ساعة أسدلت المحكمة الستار علي القضية حيث قضت المحكمة في ٢٣ يونيو ٢٠١٣ - في ظل حكم الجماعة- بإحالة أوراق الدعوي وما حوته من تحقيقات إلى النيابة العامة لاتخاذ ما يلزم حيال الوقائع التي كشفتها الجلسات التي تبين من خلالها اتهام ٣٤ قيادة إخوانية، علي رأسهم محمد مرسي بارتكاب جرائم التخابر مع عناصر أجنبية متمثلة في تنظيم حزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية وتنظيم الجهاد بسيناء، وارتكابهم جميعًا جريمة الإرهاب، كما أشارت المحكمة إلى أنه نتج من تلك الأحداث هروب جميع المساجين بمنطقة سجون وادي النطرون وعددهم ١١١٦١ مسجونًا ووفاة ١٣ نزيلًا بليمان ١٣٠ الصحراوي، ونزيل واحد بسجن ٢ الصحراوي، وتحرر عن تلك الواقعة العديد من المحاضر بأرقام ٦٤٧ و٦٤٨ و٦٤٩ و ٧٩٥ لسنة ٢٠١١ إداري السادات، كما تزامن إطلاق الحكم مع انتهاء التحريات التي أجراها جهاز الأمن الوطني بوزارة الداخلية وجهاز المخابرات العامة وكشف أن "مشروعًا إجراميًا" خططت له الإخوان في عام ٢٠١٠ بالتنسيق مع دول أجنبية ومنظمات خارج البلاد لإسقاط الدولة المصرية عبر استهداف أكثر من ١٦٠ سجنًا وقسمًا ومركزًا شرطيًا في عموم البلاد والاستيلاء على أسلحتها وذخيرتها.

كما أوضحت التحريات أن جماعة الإخوان تلقفت مشروع إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط سياسيًا وقامت بتبنيه وتسويق نفسها لتنفيذه لزعزعة استقرار دول العالم العربي؛ مما دعا تلك الجماعة إلى المبادرة باتخاذ خطوات ضد أجهزة الدولة، خاصة الأمنية لإسقاطها والقفز فوق السلطة.

وأكدت تلك التحريات أن أحداث اقتحام السجون ومهاجمة المنشآت الشرطية جرت باستخدام أسلحة ثقيلة بطريقة متزامنة ومتماثلة وبصورة ممنهجة بمعرفة عناصر من جماعة الإخوان، وحركة حماس وذارعها العسكرية، وميليشيا حزب الله اللبناني، والحرس الثوري الإيراني، وعناصر من الجماعات التكفيرية والجهادية وعدد من العناصر البدوية الموالية لهم، وأشارت التحريات إلى أن القاسم المشترك في كافة لقاءات مكتب إرشاد جماعة الإخوان واتصالاته بالخارج والتي رصدها الأمن الوطني والمخابرات العامة كان الخيانة والإعداد لإسقاط الدولة المصرية عبر ضرب مؤسساتها، متخذين من الدين ستارًا لأعمالهم الخبيثة، كما تضمنت التحريات أن المتهمين تحينوا الفرصة في يناير ٢٠١١ واستغلوا الحراك الثوري الذي تموج به البلاد وخروج جموع المصريين في ثورة يناير وانشغالهم بأزمات البلاد وشرعوا لتنفيذ مؤامرتهم الغادرة فأدركت السلطات الأمنية بداية المخطط وقامت باعتقالهم وإيداعهم السجون في ٢٩ يناير ٢٠١١؛ فأعطى مرشد الجماعة الضوء الأخضر لتنفيذ المؤامرة، وشددت التحريات على أن أحد أبرز الأدلة على الاتفاق المسبق إصدار المتهم محمد مرسي أثناء توليه الرئاسة قرارات بالعفو الرئاسي عن عدد من كبار الجهاديين والتكفيريين المحكوم عليهم بعقوبات بالسجن والإعدام تاركًا لهم التحرك في سيناء والتوطن بها، مكافأة لهم ولحين الاحتياج إليهم.

وبناء على كل ما تقدم جاء التحرك الشعبي الذي سطر ثورة (٣٠ يونيو)، مطالبًا بعزل محمد مرسي والجماعة الإرهابية ليكون التحرك الجديد امتدادًا لثورة يناير التي جاءت أوراقها بداية انطلاقه للإطاحة بحكم الإخوان وتصحيح مسار الوطن المصري في ٣٠ يونيو.

٤- وتحت عنوان: **"تعذيب.. قتل.. ننفرد بتوثيق جرائم الإخوان بعد عزل (مرسي)": أصدر مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية في ١/ ١/ ٢٠١٤ بيانًا** حصلت (البوابة نيوز) على نسخة منه، وثق فيه المركز جرائم جماعة الإخوان أثناء اعتصام رابعة والنهضة، تمهيدًا لتقديمها للاتحاد الأوربي، لإدراج الجماعة ضمن المنظمات الإرهابية، وجاء في هذا البيان ما نصه: "ليس من قبيل الصدفة أن يتزامن

حدوث موجة من العنف مع سقوط نظام الإخوان، وأيضًا موجة من حالات التعذيب الممنهج أثناء الاعتصام بميداني رابعة العدوية ونهضة مصر، وقامت جماعة الإخوان باستغلال النساء والأطفال في التظاهرات، وتصديرهم المشهد للاحتماء بهم، بجانب التعذيب النفسي لأطفال لم تتجاوز أعمارهم عشر سنوات من خلال ما أطلقوا عليه "مشروع شهيد"، حيث تم تزويد الأطفال باليافطات وجعلهم يجوبون حول المنصة الرئيسية برابعة العدوية مرددين هتافات مثل "كلنا مشروع شهيد" و"زي ماترسي ترسي، واحنا معاك يا مرسي"

وأشار المركز، إلى أن استخدام جماعة الإخوان، للنساء والأطفال في التظاهرات، نابع من إرادة إخوانية في تصوير مصر بمشهد سوريا، وطلب تدخل أجنبي عسكري في مصر، لحمايتهم من الاضطهاد، وإرجاع حقهم المغتصب، وحماية الشرعية كما يتوهمون، كما قام عناصر جماعة الإخوان الإرهابية بحملة من الاعتداءات وإحراق العديد من المنشآت العامة وأقسام الشرطة ومديريات الأمن والكنائس في أعقاب فض اعتصامي رابعة والنهضة، وحاول طلاب جماعة الإخوان منذ بدء العام الدراسي الجديد إرباك العملية التعليمية وإيقاف الدراسة في الجامعات والمدارس وترهيب الطلاب والاعتداء علي أساتذة الجامعة، حيث شهدت أغلب الجامعات المصرية أحداث شغب وتعدي علي المنشآت الجامعية راح ضحيتها العديد من المصابين والقتلى، كما نظم أعضاء جماعة الإخوان الإرهابية مظاهرات في أيام الجمعة من كل أسبوع في أماكن متفرقة تهدف إلى الاشتباك مع الأهالي وحدوث إصابات وقتلى، ونظمت الجماعة عددًا من الاعتداءات الفردية الموجهة لأشخاص بهدف الانتقام مثل ما حدث مع "خالد داود" عضو جبهة الإنقاذ وعدد من المراسلين الصحفيين.

ولم يقتصر الأمر على هذا، بل مارست جماعة الإخوان تعذيب أعضائها المنشقين عنها والنابذين للعنف، حيث أوضحت حركة "إخوان بلا عنف" المنشقة عن جماعة الإخوان، في بيان لها يوم الثلاثاء ٢٣ يوليو، إن الجماعة احتجزت ٦٧٠ شابًا من شباب الحركة بميدان رابعة العدوية، وتم منعهم من الخروج، لتمردهم ورفضهم المشاركة في أحداث العنف الأخيرة، وتم معاملة المحتجزين معاملة غير آدمية، كما تم جلد بعض الشباب مائة جلدة، لعدم تلبية الأوامر.. ونعرض فيما يلي إجمالا ثم تفصيلا، للانتهاكات التي قام بها أعضاء جماعة الإخوان، أو انتهاكات يشتبه في تورط أنصار الإخوان فيها، بالفترة من ٣٠ يونيو إلى ٢٥ ديسمبر ٢٠١٣، وذلك عبر ثلاث مراحل أساسية هي:

١- مرحلة ما بين ثورة ٣٠ يونيو واعتصام رابعة والنهضة .. ٢-مرحلة فض الاعتصام ..٣- مرحلة ما بعد فض الاعتصامات وما قبل إعلان الجماعة كتنظيم إرهابي.

أولًا: مرحلة ما قبل فض الاعتصام: وقد بدأت هذه المرحلة من ٣٠ يونيو إلي ما قبل فض الاعتصام، واتسمت بانتشار بعض التصريحات التي تحض على ممارسة العنف، كانت بدايتها تصريحات مستشار الرئيس السابق، لصحيفة الوطن بتاريخ ٢ يوليو ٢٠١٣، والتي قال فيها "مرسي لن يستقيل وسنحمي شرعيته برقابنا"، ثم أعقبها العديد من التصريحات لقيادات جماعة الإخوان الإرهابية والتي تحض علي ممارسة العنف بالتزامن مع أحداث عنف وقعت بالفعل في بعض محافظات مصر، وكان من نتيجة ذلك إعمال القتل والتعذيب على أيدي أعضاء جماعة الإخوان الإرهابية فيما قبل فض الاعتصام والتي شملت ٨٢ قتيلا أثناء الاشتباكات و٣ قتلى عمد و٢٢ حالة تعذيب حتى الموت و٤٤ حالة تعذيب واعتداء.

ثانيًا: مرحلة فض الاعتصام: وهذه بدأت منذ الساعات الأولى لفض الاعتصامين في ١٤ أغسطس ٢٠١٣ وحتى الـ٧ أيام التي تلت الفض (٢٠ أغسطس ٢٠١٣)، واستهدف أعضاء جماعة الإخوان الإرهابية في هذه المرحلة المنشآت العامة والشرطية والكنائس كنوع من أنواع رد الفعل علي فض الاعتصامين.

ثالثًا: مرحلة ما بعد فض الاعتصام: وقد بدأت هذه المرحلة من ٢٠ أغسطس ٢٠١٣ بعد فض الاعتصامين والأحداث التي تلتهما إلى ٢٥ ديسمبر ٢٠١٣ يوم أُعلنت فيه رسميًا جماعة الإخوان جماعة إرهابية، واتسمت هذه المرحلة بالمظاهرات والاحتجاجات التي كانت في أغلبها تنتهي باشتباكات، كما

تسببت هذه المظاهرات في تعطيل سير الحياة عن طريق محاولات تعطيل الدراسة في الجامعات، وكذلك محاولة شل القاهرة الكبرى بتعطيل خطوط المترو، أما على التفصيل.

فقد شملت **مرحلة ما قبل فض الاعتصام**.. أحداث مكتب الإرشاد بالمقطم ٣٠ يونيو ٢٠١٣، ففي هذا اليوم تظاهر العديد من المواطنين، أمام مكتب الإرشاد بالمقطم، مطالبين برحيل نظام الإخوان، ومرددين هتافات مثل "يسقط يسقط حكم المرشد"، "يسقط يسقط الإخوان"، و"عبد الناصر قالها زمان، الإخوان ملهمش أمان"، مما أثار غضب أعضاء جماعة الإخوان وقاموا بإطلاق الخرطوش والرصاص الحي من فوق سطح مكتب الإرشاد، وأسفرت النتائج عن مقتل ١٢ شخصًا، وإصابة ٤٨ آخرين بينهم ١٠ حالات في حالة خطيرة([1]).. كما وقع في ٢/ ٧/ ٢٠١٣ اعتداء من قبل المتظاهرين المتواجدين بميدان رابعة العدوية، على الملازم أول كريم عماد عبد الحميد – ضابط شرطة – بالضرب بالشوم والأسلحة البيضاء، مما أصابه بجروح قطعية بالبطن، وتم نقله إلى مستشفى الشرطة، مصابًا بشبه ارتجاج في المخ، وجرحين في الجانب الأيسر من البطن، وجروح وخدوش بباقي الجسم، وكان سبب الاعتداء أنه أثناء سير كريم بشارع يوسف عباس بالقرب من منطقة رابعة العدوية، فوجئ بقيام أحد أفراد اللجان الشعبية التابعين لجماعة الإخوان باعتراض سيارته، ذلك لوجود شعار الدفاع الجوي عليها، وحطم الزجاج ولم يستطع كريم الهرب، ثم تبعه عدد من المعتصمين وأخرجوا كريم من السيارة وانهالوا عليه بالضرب بالشوم والأسلحة البيضاء، وكان صفوت حجازي قد صرح يوم الثلاثاء ١٨ يونيو، في برنامج "الحدث المصري" على قناة العربية، أن "اللي عاوز ينزل يوم ٣٠ لابد أن يتحمل المسئولية الكاملة في نزوله إذا كانت سلمية أو غير سلمية" وأضاف "الرئيس مرسى خط أحمر" بمعنى أن "اللى هيرشه بالميه هنرشه بالدم"، كما صرح المهندس عاصم عبد الماجد في خطابه يوم الثلاثاء ٢٥ يونيو، في مؤتمر الشريعة خط أحمر بأسيوط، "أقول لمن يظنون أننا سننزل يوم ٣٠ باستراتيجية دفاعية، إننا سنأتي باستراتيجية هجومية، إننا سنأتي في يوم ٣٠ يونيو بمائة ألف شخص كل شخص فيهم يعادل ألف شخص، تأييدًا للرئيس مرسي"، وقال وجدي غنيم يوم الأربعاء ٢٦ يونيو مهاجمًا الداخلية ومتهما إياها

([1]) وقد أصدرت المحكمة حكمها في هذه القصية غداة ٤/ ١٢/ ٢٠١٨ بالمؤبد على ستة متهمين وقبل النطق بالحكم استهل المستشار محمد شيرين فهمي، رئيس محكمة الجنايات، كلمته بالآية الكريمة :"والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرًا وتفريقًا بن المؤمنين وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون.. التوبة/ ١٠٧) صدق الله العظيم.. وتابع رئيس المحكمة المستشار محمد شيرين فهمي: "هم يعلمون بداخل أنفسهم أن نفوسهم الحاقدة وضمائرهم الميتة واستعدادهم الفطري للخيانة هي السند الحقيقي في المصير الذي وصلوا إليه، هم دائما في خصومة مع وطنهم، يجيدون التطاول على الحكام والعلماء، مبدعون في تأجيج الأفراد على وطنهم، يزيفون الحقائق ويضللون الوعي العام، لا يميزون بين الحق في التعبير وركوب موكب التضليل وتشويه صورة الإسلام، يزعزعون ترابط المجتمع، لا يحملون أي رسالة، بل يؤدون دورا كلفوا به".. كما تابع يقول: "خدعهم الحلم على طيشهم فتمادوا في باطلهم، ضللوا الأمة بكثير من الآراء والفتن، انخدع بها الكثيرون أغروهم بها وقتلوهم حتى ظنوا أنها الحقائق، أماني كاذبة ووعدوا غير صادقة هذه الفتن انصبت للتضليل ولم تأت لإقامة حق وتعديل وضع وإصلاح خطأ وإنما جاءت لتفرق الأمة وتدمر شأنها وتنشر الفتنة والفوضى وغاية أمانيهم الاستيلاء على الحكم، وقد شهدت أفكارهم وتاريخهم، أن الاقتتال الداخلي اشد من القتل وأكثر خطر، فهو فتنة هوجاء وضلالة عمياء يشيعوا الفوضى في المجتمع وتفرق الأمة وتدمر البلاد وتسمح للأعداء بالتدخل في شئون الأمة، فتن ومصائب انخدع بها ن انخدع واختر بها من اختر، ففي بداية عام ٢٠١٣.

ونتيجة لفشل الرئيس الأسبق في إدارة شئون البلاد ظهرت تظاهرات للمطالبة بعزله ورحيله عن الحكم، وتحدد يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣ لخروج الشعب في جميع أنحاء البلاد، مما دعا مرشد الجماعة ونوابه، في النظر في الأمر الذي يشكل خطورة بالغه عليهم وعلى جماعته".

واستكمل رئيس المحكمة: "وضعوا خطة لفض التظاهرات، وأعدوا أنصارهم على وأد الثورة وبيتوا النية على ضرب أي متظاهر يحضر أمام المقر العام للجماعة، في إطار إجهاض ثورة ٣٠ يونيو، والإبقاء على رئيس الجمهورية التابع لهم، واحضروا أشخاص ما يزيد عن ٢٠٠ شخص مدججين بالأسلحة، وما أن بدأ المتظاهرين، فأحدثوا في ٧ أشخاص إصابات أدت إلى موتهم، كما أحدثوا بـ ٤ أشخاص عاهات مستديمة، و٣٦ شخصا إصابات، بواسطة أسلحة نارية وخرطوش".. وأكد فهمي، على أن المحكمة قامت بدورها في البحث عن الحقيقة، وقامت باستدعاء من دعت الضرورة لسماع شهادته، للإحاطة بالدعوى عن بصر بصيرة، واستمعت لـ ٢٤ شاهدا، لتنطق بالقول الفصل في القضية، واستمعت للدفاع ليطمئن وجدانها، وبعد ٤٦ جلسة حققت المحكمة خلالها كل قواعد وكافة الضمانات في إطار الشرعية الإجرائية التي تعتمد على أن الأصل في محاكمة المهم البراءة، وبلغ عدد صفحات محضر الجلسات ما يزيد عن ٤٠٠ ورقة".

وجاء في الكلمة: "لقد استقر في يقين المحكمة عن كسب ويقين لا يخالفه شك أن الواقعة في نطاق ما استخلصته ثابتة قبل بعض المتهمين، على نحو ورد في الوصف القانوني الصحيح، إذا اطمأنت إلى شهادة شهود الإثبات وإلى ما أقر به المتهم الأول بأمر الإحالة، والأدلة الفنية، وارتاح وجدانها على الأخذ بها سندا للإدانة، ولا تعول على إنكار المتهمين وإثبات أن تلك هي وسيلتهم في الدفاع لدرء الاتهام بغية الهروب من العقاب، بين أن أوراق الدعوى وما حملته من أدلة جاءت عاجزة عن إثبات الاتهام اليقيني عن بعض المتهمين، وهى وان كانت تصلح أساس الاتهام إلا إنها لا تصلح وحدها أساسا للحكم بالإدانة، إذ لا يجوز الاستناد إلى الدلائل في إثبات التهمة ذلك أن الأحكام القضائية يجب أن تبنى على الدلائل واليقين، وكل حكم يبنى على الدلائل وحدها هو حكم باطل".. وأسندت النيابة لقيادات الجماعة الاشتراك بطريقي الاتفاق والمساعدة في إمداد مجهولين بالأسلحة النارية والذخائر، والمواد الحارقة والمفرقعات والمعدات اللازمة لذلك، والتخطيط لارتكاب الجريمة، وأن الموجودين بالمقر قاموا بإطلاق الأعيرة النارية والخرطوش صوب المجني عليهم، قاصدين إزهاق أرواحهم.

بصناعة البلطجة ووضع حدود للحريات علي الإسلاميين وحفظة القرآن: "الداخلية همّا اللي عاملين البلطجة، الداخلية هي اللي بتحمي البلطجية وبتدافع عنهم لماذا لا تُفعّل حد الحرابة وفقا لسورة المائدة، ليه وهذا الحد موجود وأنت حافظ القرآن، لماذا لا نفعّل هذا وهو حد الحرابة؟".

وفي مساء الثلاثاء ٢/ ٧/ ٢٠١٣ وقعت أحداث بين السرايات، وكانت أحداث مؤسفة اشتبك فيها المئات من أنصار مرسى المعتصمين أمام جامعة القاهرة مع أهالي المنطقة، وقد استخدم فيها مؤيدو مرسي أنواعًا مختلفة من الأسلحة النارية والآلية، فعندما شاهد عدد من مؤيدي مرسي سيارتين عليهما ملصقات "ارحل" واقفتين أمام بوابة كلية التجارة المواجهة للمنطقة، قاموا بإشعال النيران فيهما بعد التعدي على أصحابها فيما قام أحدهم بإطلاق النار من فرد خرطوش في الهواء لتهريب الأهالي، الأمر الذي أثار حفيظة عدد من الأهالي ووقعت اشتباكات عنيفة بين الطرفين وتطور الأمر بحضور أكثر من ثلاثة آلاف من أنصار الرئيس المعتصمين أمام الجامعة مدججين بالأسلحة الآلية والخرطوش وأطلقوا سيلا من الأعيرة النارية تجاه سكان بين السرايات، وأسفرت الاشتباكات عن سقوط ٢٣ قتيلا، وإصابة ٢٢٠ آخرين، تضاف إلى قائمة ضحايا نظام الإخوان الإرهابي منذ اندلاع الشرارة الأولى للثورة الثانية ٣٠ يونيو، وتمثلت أغلب الإصابات وفقًا لمعاينة النيابة في طلقات نارية بالرأس والصدر، علاوة على طلقات الخرطوش.

ويعتبر البعض أن الرئيس المعزول محمد مرسي، هو من قام بالتحريض على قتل المواطنين بميدان النهضة، وذلك عن طريق خطاباته التي احتوت على ألفاظ تحريضية قبل عزله من منصبه، وهو ما أدى إلى نزول أنصاره إلى الميادين، والشوارع لإحداث الفوضى في البلاد، وتكدير السلم العام، ما ترتب عليه قيام ملثمين، والجماعات الإرهابية بقتل مواطنين، وإلقاء جثثهم بحديقة الأورمان، واعتلاء أسطح العمارات والمباني المجاورة لجامعة القاهرة، بغرض تصويب الرصاصات النارية من الأسلحة الآلية على المتواجدين بمكان الواقعة، كما وجهت بعض قيادات جماعة الإخوان ورموز التيار الإسلامي، رسائل تحريضية لأنصار الرئيس المعزول مثل ما نشره وجدي غنيم على صفحته على تويتر يوم الاثنين الأول من يوليو قائلا: "لن ينعم المصريون بالأمن ساعة واحدة ولا الجيش إذا سقطت الشرعية والرئيس المنتخب بإرادتهم، هذه المرة الأمر أكثر خطورة وضراوة، وبيننا الأيام"، ولم يقتصر ضحايا الإخوان على أهالي منطقة بين السرايات بل امتدت لتشمل مصورا صحفيًا بموقع حقوق هو "تامر فايز" الذي شهد على واقعة اعتداء الإخوان عليه بالضرب مما أدى لتعرضه لكسر في الضلوع وتجلطات دموية، كما تم إصابة ضابط شرطة بطلق ناري في الرأس أثناء الاشتباكات، وأطلق الإخوان النار على مدرعة شرطة أمام جامعة القاهرة وفروا هاربين دون وقوع إصابات.

أحداث سيدي جابر ٥/ ٧/ ٢٠١٣: وقد سبق الكلام عنها.. أحداث المنيل ٥ يوليو ٢٠١٣: وفيها وقعت اعتداءات من قبل عدد من أنصار الرئيس المعزول تجاه أهالي المنطقة على خلفية محاولة اعتداء جماعة الإخوان على المتظاهرين المعتصمين بميدان التحرير حيث قام عدد كبير من أنصار الرئيس السابق محمد مرسى بالتوجه في مسيرة من كوبري الجامعة إلى منطقة المنيل.. وعقب علم أهالي المنطقة بقدوم هذه المسيرة، شكلوا لجانًا شعبية للتصدي لأي أعمال تخريبية من قِبل أنصار المعزول ولكنهم فوجئوا بإطلاق الإخوان الرصاص الحي، وبحسب قول "نبيل حسن" أحد مصابي المنيل "بيضربوا برصاص حي زي اللي جتلي في دراعي، وأسفرت أحداث المنيل عن مصرع ٦ أشخاص وإصابة ٣٠ آخرين، والقتلى هم كرم محمد سيد، وعبد الله سيد عبد العظيم، ومحمود أحمد على عبد العال، ورامي محمد المهدي، وهؤلاء من أهالي المنيل، والذين كانوا يشكلون لجنة شعبية، ومجدي مطاوع شحاتة من أنصار مرسى، والسادس مجهول الهوية، والإصابات معظمها في الرأس بطلقات رصاص حي وآلي وشخص واحد فقط إصابته جاءت في الظهر، وهو كرم محمد وإصابة ضابط نجدة بطلق ناري بالبطن.. وجاء ذلك كله كنتيجة للعديد من الرسائل التحريضية على العنف من قبل قادة جماعة الإخوان، ومن أمثال ذلك تصريح وجدي غنيم على صفحته على تويتر يوم الخميس الرابع من يوليو قائلا: "سحل ضابط جيش وعسكري على كوبري الجامعة على يد مؤيدي الرئيس، لن ينتهي الأمر سهلا، والقادم لا يتخيلوه".

الاعتداء على عضو بالتيار الشعبي: وذلك يوم ١٢/ ٧/ ٢٠١٣ ويسمى: مستور الجبالي، كان يحتفل بسقوط الرئيس مرسي، فاعترضه عدد من مؤيدي الرئيس مرسي، وتم اختطافه واصطحابه لمقر الاعتصام برابعة العدوية وضربة وتعذيبه حتى الإغماء عليه.

تعذيب أحد المواطنين ومعه بعض أفراد الشرطة، وموت أحمد زليفة وآخرَين: وفي يوم ١٣/ ٧/ ٢٠١٣، يتعرض الحاج "فتحي" للتعذيب على أيدي المعتصمين برابعة تعذيبا مبرحًا، وبشهادة الحاج (فتحي) وشخص آخر من الضحايا، أن هناك في مسجد رابعة العدوية العديد من أدوات التعذيب وبعض أفراد الشرطة الذين يتم تعذيبهم، كذلك فقد (أحمد زليفة) حياته نتيجة التعذيب على أيدي معتصمي رابعة.. وفي يوم ١٥-٧-٢٠١٣، قام أعضاء من الإخوان المعتصمين برابعة العدوية، بالاعتداء على مواطن، وطلبوا منه أن يقول أنه تابع للشرطة، وذلك بعد ضربه وتعذيبه، ثم رميه في الشارع.. وفي يوم ٢٢-٧-٢٠١٣، عثر على جثة عمرو مجدي كمال على سمك ٣٣ سنة، عامل نسيج ومقيم في مساكن أطلس السلام أول، وتبين أن المجني عليه مصاب بكدمات متفرقة بجميع أنحاء الجسم وضرب بالعصي على الصدر والبطن – وخلع بالأظافر – وآثار تعذيب شديد.

اختطاف ضابط وأمين شرطة وتعذيبهما بمسجد رابعة العدوية: في يوم ٢٢/ ٧/ ٢٠١٣، وإثناء تأمينهما لمظاهرة مسيرة لجماعة الإخوان المحظورة، انطلقت من منطقة رابعة العدوية، واتجهت إلى مطار القاهرة، في العاشرة من يوم الاثنين ٢٢/ ٧، تم الاعتداء على الضابط محمد وأمين الشرطة هاني واقتيادهما إلى مسجد رابعة وتعذيبهم بالضرب والسب، حتى تم تخليصهما من قبل عدد من أفراد الشرطة الذين تخفوا لإنقاذهما سرًا، كان ذلك بسبب أن الضابط وأمين الشرطة كانا يؤمنان المسيرة بملابس مدنية ودراجة بخارية بأرقام مدنية، وعندما اعترضهما أعضاء من جماعة الإخوان وتعرفوا على شخصياتهما انهالا عليهما ضربًا واقتادوهم إلى مسجد رابعة لإكمال تعذيبهما هناك

العثور على جثتين وثلاثة مصابين بميدان النهضة: في يوم ٢٤/ ٧/ ٢٠١٣، تم العثور على جثتين وثلاثة مصابين بالقرب من معتصمي ميدان النهضة عليهما آثار للتعذيب، وتبين من التحريات أن الضحيتين الجديدتين تعرضا للاعتداء داخل حديقة الأورمان من قبل المعتصمين، ثم تم إلقاؤهما ومصابين آخرين، بالقرب من سيارات الإسعاف، المتواجدة في محيط ميدان نهضة مصر.

الاعتداء على أحد المارة بسبب حمله صورة "السيسي": في يوم ٢٥/ ٧/ ٢٠١٣، تعرض عرفة احمد جودة لاعتداء وتعذيب من قبل الإخوان المعتصمين بميدان النهضة، وذلك بسبب حمل الأول لصورة الفريق أول عبد الفتاح السيسي، وبعد الإعياء الشديد الذي ظهر على المجني عليه، تم وضعه في كرتونة كبيرة ورميه بجوار كوبري فيصل.

اعتداء الأخوات المسلمات على سيدة من المارة شككن أنها تتخابر عليهن: وعندما كانت عائدة من منزلها سيرًا على الأقدام في يوم ٢٦-٧-٢٠١٣، تم الاعتداء على (م.س) من قِبَل مسيرة الأخوات المسلمات، وذلك عندما شككن أنها من المخابرات، وتم اقتيادها إلى مسجد رابعة والاعتداء عليها بالضرب بآلات حادة والسب والقذف، ظلت (م.س) في الميدان، فترة زمنية تصل لمدة ١٥ ساعة حتى تمكنت من الفرار والهروب من الميدان، بعد أن وجدت نقابا تركته إحدى الأخوات في الخيمة.

اشتباكات مسجد القائد إبراهيم ٢٦/ ٧/ ٢٠١٣: هذا، وقد تزامنت الاشتباكات المحيطة بمسجد القائد إبراهيم مع تصريحات بالعنف لبعض قادة التيار الإسلامي، فقد صرح وجدي غنيم في ٢٤/ ٧/ ٢٠١٣ على حسابه في تويتر قائلا: "حذفت قناة الحوار من على النايل سات الآن، الخسيس الخائن يدبر لمجزرة في يوم الجمعة العصيب، استعدوا للنزول من اليوم، كتب عليكم القتال وهو كره لكم".

وفي يوم ٢٦ يوليو وقعت اشتباكات القائد إبراهيم، حيث حدثت مناوشات واحتكاكات ما بين المئات من المشاركين بإحدى المسيرات المتجهة إلى ميدان سيدي جابر أثناء مرورها في طريقها بميدان القائد إبراهيم الذي احتشد فيه المئات من أعضاء الجماعة المؤيدين للرئيس المعزول، وأثناء مرور المسيرة المؤيدة لثورة ٣٠ يونيو قام أعضاء الجماعة بترديد هتافات قالوا فيها: "يسقط عبدة البيادات الخونة"، حيث رد عليهم المشاركون بالمسيرة مرددين هتافات قالوا فيها: "الشعب يريد إعدام مرسي"، "والشعب

يريد القبض على العصابة"، وسرعان ما تحولت الاشتباكات الكلامية إلى اشتباكات بالأيدي والأسلحة النارية واحتمى عدد من جماعة الإخوان بداخل المسجد واعتلى بعضهم مأذنته وأطلقوا النيران التي أصابت عددًا من أهالي المنطقة، وأسفرت الأحداث عن وقوع خمسة قتلى و٧٢ مصابًا.

ولم تنته أحداث مسجد القائد إبراهيم بانتهاء الاشتباكات أو بانتهاء اليوم، بل ظلت المناوشات بين أعضاء جماعة الإخوان – المحتمين داخل مسجد القائد إبراهيم – والقوات الأمنية مستمرة، وأكد عدد من الأهالي وجود عشرات الأشخاص الذين احتجزهم أعضاء الجماعة داخل المسجد وقاموا بتعذيبهم ومنهم الناشط السياسي أحمد ثابت أحد مؤسسي حركة ٦ أبريل بالإسكندرية.

وفي سياق متصل، أمرت نيابة شرق الإسكندرية الكلية بحبس ٦٢ من المنتمين لجماعة الإخوان – كان قد ألقي القبض عليهم عصر السبت ٢٧-٧-٢٠١٣ من داخل مسجد القائد إبراهيم، حيث كانوا متحصنين داخله – ٤ أيام على ذمة التحقيق، وكانت تحقيقات النيابة كشفت عن حيازة المتهمين أدوات تستخدم في التعذيب وأسلحة نارية تم العثور عليها معهم داخل المسجد وهي عبارة عن: ١٨ شومة وثلاث قطع أسلحة بيضاء ودنك وفارغ خرطوش وكرباج وكمية من القيود البلاستيكية (الكلابشات)، ووجهت النيابة لهم تهم استخدام هذه الأدوات والأسلحة في تعذيب ١٦ شخصًا من مؤيدي دعوة الفريق أول عبد الفتاح السيسي لنبذ الإرهاب قاموا باحتجازهم داخل المسجد.

الاعتداء على شخص وقطع أصابعه: وفي يوم ٢٧/ ٧/ ٢٠١٣ قام خمسة من أنصار الإخوان الذين كانوا يعتصمون في منطقة رابعة العدوية باحتجاز المجني عليه وتعذيبه وضربه بالأيدي والأقدام والأسلحة البيضاء وربطه بالحبال داخل إحدى الغرف بمنطقة رابعة العدوية، ووضع رأسه في المياه وتعذيبه بالكهرباء، ثم قاموا بقطع إصبع "السبابة" بيده اليسرى، وحاولوا التخلص منه بإلقائه بمنطقة نائية بالقاهرة الجديدة، لمجرد اشتباههم في ارتكابه لواقعة سرقة.

العثور على جثة لشخص مجهول: وذلك في يوم ٢٨/ ٧/ ٢٠١٣، حيث عثر أهالي بمنطقة رابعة العدوية على جثة لمجهول، خلف مسجد رابعة بشارع أنور المفتي، وتبين أن الجثة بها آثار تعذيب وكسور وكدمات في مختلف أنحاء الجسم، وجرح غائر في الرأس بآلة حادة، وتبين عدم وجود أي متعلقات أو إثبات شخصية بملابس المجني عليه تدل على هويته، وتم نقل الجثة إلى مشرحة زينهم، وتحرر محضر بالواقعة، اتهم فيه عدد من الأهالي قيادات جماعة الإخوان المحظورة بالتحريض على القتل، وأنهم وراء ارتكاب وقائع التعذيب والقتل التي حدث بالمنطقة ٣٤.

العثور على جثتين بهما آثار تعذيب بمحيط مسجد رابعة العدوية: وفي يوم ٢٨/ ٧/ ٢٠١٣، تم العثور على جثتين مجهولتي الهوية بهما آثار للتعذيب بمحيط مسجد رابعة العدوية بمدينة نصر، وكشفت التحريات المبدئية لإدارة البحث الجنائي أن الجثتين اللتين عُثر عليهما قد تبين وجود آثار تعذيب شديد بهما، وأن وقائع التعذيب قد جرت بحقهما داخل اعتصام "رابعة العدوية"، ثم تم التخلص منهما بإلقائهما في مكانين مختلفين بمدينة نصر، وفي نفس اليوم، عثرت أجهزة الأمن في القاهرة على جثة على طريق "إن إيه" في مدينة نصر في مكان قريب من رابعة العدوية، وتبين أنها لذكر في العقد الرابع من العمر ملفوفة في "كوفرتة" داخل ٢ كيس قمامة، وبمناظرتها تبين وجود إصابات في الظهر والذراع.

أحداث سيناء والعريش: وهي عبارة عن مجموعة من الأحداث التي تمثلت في هجوم على أقسام الشرطة وبعض النقاط العسكرية، راح ضحيتها العديد من أفراد الشرطة وجنود القوات المسلحة، بدأت هذه الأحداث متزامنة مع بيان القوات المسلحة وإمهاله جميع القوى بما فيها مؤسسة الرئاسة ثمانية وأربعين ساعة للتوافق، وقد تزامنت هذه الأحداث أيضًا مع تصريحات بالعنف من بعض قادة التيار الإسلامي، وفي اعتراف ضمني من "د.محمد البلتاجي القيادي في جماعة الإخوان" بمسئولية جماعته عن أحداث العنف التي تجري في شبه جزيرة سيناء، حيث قال البلتاجي "إن ما يحدث في سيناء سيتوقف في اللحظة التي سيتراجع فيها الجيش عما وصفه بالانقلاب وعودة مرسي إلى مهامه"، وسنعرض فيما يلي أمثلة لبعض حالات العنف في سيناء والعريش التي أمكن توثيقها:

في ٢٩ يونيو ٢٠١٣، تم اغتيال العميد (محمد هاني)، مفتش الداخلية، بعد أن استهدفه مسلحون عندما وصل إلى مقر استراحته في حي الخلفاء الراشدين بساحل العريش، حيث كانت تنتظره سيارة رباعية الدفع وقام المسلحون بإطلاق الرصاص بكثافة على سيارة العميد مما أدى إلى مصرعه في الحال وإصابة سائقة بالرصاص، وفي ٤ يوليو، حدث هجوم مسلح على كمين الجورة جنوب الشيخ زويد بشمال سيناء أسفر عن مقتل المجند يحيى محمد أبو المجد ٢٢ سنة إثر إصابة بطلق ناري بالرأس وإصابة النقيب عمر عبد الرحمن ٢٩ سنة بطلق ناري، والمجند أسامة السعيد فتح الله ٢٢ بطلق في الرأس، وفي ٥ يوليو، أطلق مسلحون مجهولون النار على ٥ نقاط أمنية وهى "كمين بجوار مطار العريش، وميدان قرية الجورة، ومدخل مدينة رفح، وكمينى أبو طويلة والشيخ زويد على الطريق الدولي العريش رفح"، وعلى مطار العريش الدولي وتبادلت الشرطة والجيش معهم إطلاق النار حتى فرووا هاربين، ولم تسفر الأحداث عن وقوع إصابات، وفي ١٣ يوليو، وقع هجوم بقذائف "آر بي جي" على مطار العريش الدولي، وكذلك استهداف كمين للجيش القريب من مجلس مدينة رفح، وأيضا في اليوم السابق، وبنفس الطريقة، تم استهداف مدرعة للشرطة بالعريش، مما أسفر عن مقتل العميد محمد أبو العينين، وإصابة جندي آخر.. هذا إلى جانب العديد من حالات تفجير خطوط الغاز بالعريش، وأيضًا حالات أخرى من الهجوم المسلح على أقسام الشرطة وأماكن عسكرية.

التعذيب النفسي: وفي سابقة هي الأولى من نوعها في المجتمع المصري، وكعادته يخالف التيار الإسلامي كل الأعراف والتقاليد، وينتهك الحقوق والحريات، حيث مارس جماعة الإخوان التعذيب النفسي لأطفال لم تتجاوز أعمارهم العشر سنوات، وجعل قادة الإخوان عشرات من الأطفال ينطلقون في مسيرات تجوب حول منصة رابعة العدوية ويحملون المصاحف والورود والأكفان فيما أطلقوا عليه مشروع شهيد، ويحملون يافطات مكتوب عليها (زي ما ترسي ترسي واحنا معاك يا مرسي)، (واشهد يا زمان قتلو اخواتنا في الصيام)، (بدل الشكولاتة والبونبوني إداني رصاصة في عيوني)، وردد الأطفال هتاف: (كتموتو يا سيسي، مرسي هو رئيسي)، و(كلنا مشروع شهيد)، وقد وصفت المنظمات الحقوقية المحلية والدولية هذا المشهد بغير المقبول وجوده وأنه يخالف كل قوانين الطفل والاتجار بالبشر، وأن ذلك قد يعرض مصر لعقوبات دولية، وقالت، إن استغلال الأطفال في مثل هذه الأحداث يعرضهم لضغوط نفسية مخالفة لكل اتفاقيات حمايته والتي تنص حتى على عدم تواجده في مكان يمكن أن يتعرض فيه لمشاهدة عنف، فما بالك بتواجده في مكان يمكن تعرضه للإصابة أو القتل فيه.. فضلا على أن استغلال الأطفال بهذا الشكل مخالف للقانون المصري رقم ١٢ لسنة ١٩٩٦ والمعدل بالقانون ١٢٦ لسنة ٢٠٠٨ والذي ينص على أن:

"تكفل الدولة حماية الطفولة والأمومة، وترعى الأطفال، وتعمل على تهيئة الظروف المناسبة لتنشئتهم التنشئة الصحيحة من كافة النواحي في إطار من الحرية والكرامة الإنسانية كما تكفل الدولة، كحد أدنى، حقوق الطفل الواردة باتفاقية حقوق الطفل وغيرها من المواثيق الدولية ذات الصلة النافذة في مصر"، وكذلك القانون رقم ٦٤ لسنة ٢٠١٠، والذي يكافح استغلال البشر أو الاتجار بهم أو استغلال الأطفال عن طريق التسول أو أي صور الاسترقاق أو بواسطة استعمال القوة أو العنف أو التهديد بهما، أو بواسطة الاختطاف أو الاحتيال أو الخداع، أو استغلال السلطة، أو استغلال حالة الضعف أو الحاجة، أو الوعد بإعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو مزايا مقابل الحصول على موافقة شخص على الاتجار بشخص آخر له سيطرة عليه.

إعلان الإخوان انضمام عناصر من تنظيم القاعدة، وتشكيل مجلس حرب: وفي يوم ٢٩ يوليو ٢٠١٣، أعلنت المنصة الرئيسية لاعتصام أنصار مرسي، في ميدان نهضة مصر، عن انضمام عناصر من السلفية الجهادية وتنظيم القاعدة وحزب النور السلفي، رافعين أعلام القاعدة، وقد يشير ذلك إلى نية الإخوان استخدام العنف على نطاقات واسعة لاسيما في وجود مثل هذه العناصر الإرهابية، وقد زاد من تصعيد العنف من قبل الإخوان: التصريح بذلك علنًا من على منصة رابعة العدوية، ففي يوم الثلاثاء ٣١ يوليو ٢٠١٣، أعلن من على المنصة الرئيسية برابعة العدوية تشكيل مجلس حرب، وترديد هتافات (لا

سلمية بعد اليوم)، كما هددت المنصة بعصيان مدني في شمال سيناء بالكامل، وهددت كذلك الجيش والشرطة بسحب قواتها من شمال سيناء بترديد كلمات: (أقول لقوات الجيش والشرطة، ارحلوا من سيناء).

11جثة و١٠ مصابين آثار التعذيب في رابعة العدوية والنهضة: وكان ذلك في يوم ٢٩/ ٧/ ٢٠١٣، حيث أعلن مصدر أمني مسئول بوزارة الداخلية إن إجمالي عدد الجثث المنقولة من منطقتي رابعة العدوية بمدينة نصر وميدان النهضة وبها آثار تعذيب أدت إلى الوفاة بلغ ١١ جثة، (٦ بميدان النهضة، و٥ برابعة العدوية)، كما بلغ عدد المواطنين الذين تقدموا ببلاغات للأجهزة الأمنية بتعرضهم للتعذيب داخل ميداني "النهضة"، و(رابعة العدوية) إلى١٠ مصابين: (٣ بميدان النهضة، و٧ برابعة العدوية)، اتهموا فيها عناصر الجماعة بالتعدي عليهم.

الاعتداء على شاب في المنصورة شك الإخوان أنه من المعارضين لنظامهم ٢٩/ ٧/ ٢٠١٣: ويسمى هذا الشاب: (إسلام رشاد رمضان)، مقيم بشارع الجلاء بالمنصورة، وقد مصرعه علي يد أنصار جماعة الإخوان المتظاهرين أمام القرية الأوليمبية بحي الجامعة، وذلك حال اعتلاء إسلام سور القرية الأوليمبية، وشك الإخوان به مما دفعهم إلي محاولة إنزاله وأوسعوه ضربا بالرخام علي رأسه وطعنا بسلاح أبيض "مطواة"، إلى أن فارق الحياة.

تعذيب بائع شاي حتى الموت: وفي يوم ٣٠/ ٧/ ٢٠١٣، تم العثور على جثة (عمر محمد سالم إبراهيم) نجل حارس أحد العقارات بمنطقة عزبة الهجانة، وذلك بعد اختفائه بيومين، وتبين أن الجثة بها آثار تعذيب شديد، جدير بالذكر أن عمر كان يعمل بائعًا للشاي لمعتصمي رابعة، وتعرف والد المجني عليه على الجثة، واتهم قيادات جماعة الإخوان بالتسبب في وفاة نجله.

الاعتداء على شاب حتى فقدان الذاكرة والكلام: وفي ٣٠/ ٧/ ٢٠١٣ تعرض شاب في العقد الثاني من عمره يدعى "هاني موسى عبد العزيز" من قرية شطانوف مركز أشمون محافظة المنوفية لأبشع أنواع التعذيب باعتصام رابعة العدوية عندما قَبض عليه الإخوان متهمينه بالبلطجة لأنه يعمل في أحد فنادق القوات المسلحة ليفقد على أثر التعذيب القدرة على النطق والوعي والذاكرة، والمجني عليه مصاب بـ ٦ جروح نافذة في الجمجمة وشرخ بالجمجمة نتيجة الطعن بالة حادة وجرح نافذ بالرقبة وجرح نافذ بالبطن أدى إلى نزيف داخلي نتج عنه امتزاج البول بالدماء، بالإضافة إلى أكثر من ٤٥ غرزة بالرأس حتى فقد النطق والوعي ولم يعد يتذكر حتى أقرب الناس له من قسوة وشدة التعذيب".

تعذيب أحد الأطفال على أيدي المعتصمين في رابعة العدوية: حدث هذا في يوم الخميس الموافق ١/ ٨/ ٢٠١٣، حيث تقدم صبى ببلاغ إلى مأمور قسم شرطة أول مدينة نصر ضد (محمد البلتاجي) و(صفوت حجازي) يتهمهما فيه باحتجازه وتعذيبه ونزع ظفر أحد أصابعه من قبل معتصمي رابعة العدوية، بدأت أحداث الواقعة حال سير المجني عليه بشارع الطيران بدائرة القسم، حيث تقابل معه مجموعة من أعضاء جماعة الإخوان، وطلبوا منه الحضور لميدان رابعة العدوية للإفطار بصحبتهم، وعقب تناوله لطعام الإفطار وقيامه بمحاولة الانصراف، رفضوا وتعدوا عليه بالضرب وأحدثوا إصابته المنوه عنها واحتجازه داخل إحدى الخيام بالميدان وتعذيبه، ثم قاموا بالاتصال بوالده فحضر وقام باصطحابه.

واقعة الاعتداء على مصور بالمصري اليوم: وحدث هذا في نفس اليوم حيث قام الناشط الإخواني أحمد المغير وآخرون من المعتصمين بـ"رابعة العدوية" بالاعتداء على (طارق وجيه) المصور بالمصري اليوم، وضربه بالشوم والعصي، وسرقوا منه الكاميرا الخاصة به، واحتجزوه في الميدان لمدة ساعة.. وفي نفس اليوم حدث اعتداء على شاب في العشرين من عمره وتقييده في شجرة، كما قام أنصار الرئيس المعزول المعتصمين بميدان النهضة بالإمساك بشاب في العشرين من عمره وقادوه إلى المستشفى الميداني لمدة ربع ساعة، وبعدها خرج الشاب معصوم العينين ومقيد الأيدي بصحبة عدد من أنصار المعزول المرتدين الخوذ والحاملين الشوم إلى حديقة الأورمان وقيدوه في إحدى الأشجار مانعين أي شخص الاقتراب من محيط المنطقة المحتجز بها.. وفي نفس اليوم أيضًا جرى مقتل صبي على يد

الإخوان، كما تحركت جماعات من الإخوان المحظورة يحملون السلاح ويجوبون الشوارع، فيما أعلنت منصة الإخوان – بعد إعلانها تشكيل مجلس حرب – أن غدًا هو فتح مكة.

ثانيًا: مرحلة فض الاعتصام:

بدأت الأعمال الانتقامية لجماعة الإخوان وأنصارهم مباشرةً بعد نجاح قوات الأمن في فض اعتصام النهضة في حوالي الساعة التاسعة صباح يوم الأربعاء الموافق ١٤ أغسطس ٢٠١٣، وحتى قبل الانتهاء من فض اعتصام رابعة في نفس اليوم، واستهدفت الهجمات الانتقامية، التي بدَت منظمةً ومتفقًا عليها مسبقًا: تدمير المنشآت المهمة، خصوصًا التابعة للأقباط والمكاتب والأقسام التابعة لجهاز الشرطة، فضلا عن حالات إطلاق أعيرة نارية بشكل عشوائي وترويع في كل المحافظات، وليس في القاهرة أو الجيزة فقط حيث كان الاعتصامان.. وفيما يلي عرض تفصيلي للإجراءات الانتقامية التي قامت بها جماعة الإخوان وأنصارها في كل محافظات مصر منذ اللحظة الأولى لعملية فض الاعتصام بهدف إشاعة الفوضى في البلاد:

اليوم الأول: الأربعاء ١٤ أغسطس ٢٠١٣ (وهو يوم فض الاعتصام): شهد هذا اليوم الأول العديد من أحداث الشغب والإجراءات الانتقامية من قِبَل المعتصمين ومؤيديهم، حيث بدأت عمليات الحرق والتدمير من قبل أنصار الجماعة منذ لحظة انتهاء قوات الأمن من فض اعتصام النهضة واستمرت حتى نهاية اليوم بما في ذلك أثناء فض اعتصام رابعة العدوية أيضًا، وكانت الكنائس وأقسام الشرطة هي صاحبة النصيب الأكبر من عمليات الحرق والتدمير في أغلب محافظات مصر، هذا بالإضافة إلى بعض المنشآت الحكومية والممتلكات الخاصة، بجانب حالات الترويع للمواطنين.. وهي كالتالي:

حرق كلية الهندسة بعد الانتهاء من فض الاعتصام، فقد قامت جماعات من المعتصمين بالتسلل داخل الكلية ووقعت اشتباكات بداخلها.. حرق حديقة الأورمان بعد تسلل مسلحين بداخلها وإطلاق النيران علي قوات الأمن أثناء فض الاعتصام.. سرقة وحرق متحف ملوي بالكامل التابع لمحافظة المنيا فتم سرقه (١٠٤٥) قطعة أثرية.. إشعال النيران في عدد من السيارات بعد إلقاء زجاجات المولوتوف عليها في الشوارع الجانبية المتفرعة من شارع النصر، المؤدى إلى ميدان رابعة العدوية، وذلك أثناء المسيرة القادمة من مسجد النور بميدان العباسية والتي حاولت الدخول إلي رابعة العدوية أثناء فض الاعتصام.. إشعال النيران في مبنى وزارة المالية بعد رشقه بزجاجات المولوتوف والتعدي على عدد من العاملين.. الاستيلاء على سيارة نقل أموال أعلى كوبري ٦ أكتوبر وقاموا بدفعها إلى أسفل الكوبري تجاه رجال الأمن، أثناء محاولة الأمن فض الاعتصام.. إشعال النار في فيلا الكاتب محمد حسنين هيكل بمنطقة برقاش بمحافظة الجيزة.. تم إشعال النيران في سيارة أمن مركزي بشارع البطل أحمد عبد العزيز وامتدت النيران إلى عدد من الأشجار وتحطيم ممتلكات خاصة وانتشر الذعر والرعب في السكان وأصحاب المحال والمترددين علي شارع البطل أحمد عبد العزيز وجامعة الدول العربية.. محاولة حرق مجمع محاكم الجنايات والاستئناف بالإسماعيلية.. حرق مقر الأمن الوطني بالشرقية.. حرق جراج محافظة بني سويف.. تحطيم مبنى مديرية القوى العاملة في بني سويف.. اقتحام مبنى نيابة ومحكمة بني سويف.. تحطيم واجهة مبنى المجلس المحلى بمحافظة بني سويف.. حرق قسم شرطة الوراق.. حرق قسم شرطة كرداسة والتمثيل بجثث الضباط.. اقتحام قسم حلوان بالرصاص والخرطوش.. اقتحم مقر مركز شرطة مغاغة بالمنيا.. محاولة اقتحام قسم شرطة بندر بني سويف.. محاولة اقتحام قسم شرطة الواسطى بني سويف.. محاولة اقتحام قسم مدينة نصر أول أثناء ساعات حظر التجول.. حرق والتعدي علي ٢٠ كنيسة ومبان تابعة لها وهي:

في محافظة المنيا: تم حرق ٥ كنائس وهم كنيسة المعمدانية والكنيسة الإنجيلية وكنيسة الأمير تادرس وكنيسة الآباء اليسوعيين وكنيسة جمعية خلاص النفوس، والاعتداء علي ٣ كنائس وهي دير العذراء والأنبا ابرام والكنيسة الإنجيلية والكنيسة الرسولية الثالثة، بجانب الاعتداء علي ٥ منشآت تابعة للأقباط وهي مدرسة الراهبات بمدينة المنيا والمركز الطبي وسكن الراعي بالكنيسة الرسولية الثالثة، وحرق

قاعة العزاء علي طريق مصر أسوان الزراعي مملوكة لمطرانية ديرمواس، وحرق مدرسة الأقباط بوسط مدينة المنيا، بجانب الاعتداء على عدد من المحال التجارية.

في محافظة أسيوط: تم حرق كنيستين وهما كنيسة الملاك وكنيسة نهضة القداسة التابعة للطائفة السبتية.

في محافظة سوهاج: تم اقتحام وحرق مطرانية مار جرجس، بالإضافة إلى عملية سلب ونهب لمحتويات المطرانية والاعتداء على عدد من القساوسة.

في محافظة الفيوم: تم إضرام النيران في ثلاث كنائس واستراحة.

في محافظة شمال سيناء: تم إشعال النار في كنيسة "مار جرجس" بالعريش.

في محافظة الغربية: كانت هناك محاولة اقتحام مطرانية سان بول بشارع حسان بن ثابت بطنطا.

اليوم الثاني: الخميس ١٥ أغسطس: تركزت الاشتباكات في هذا اليوم لفض الاعتصام في محيط ديوان عام محافظة الجيزة، حيث قام أنصار الرئيس المعزول بإلقاء زجاجات المولوتوف الحارقة على مبنى ديوان عام المحافظة، والاشتباكات في منطقة نصر الدين.. وتم حرق ٣ كنائس بمدينة ملوي بمحافظة المنيا وهي الكنيسة الإنجيلية وكنيسة الكاثوليك وكنيسة العذراء، بالإضافة إلى مدرسة الراعي الصالح.

اليوم الثالث الجمعة ١٦ أغسطس: وفيه دعت جماعة الإخوان لمظاهرات تخرج من عدة مساجد عقب صلاة الجمعة، لكن تحولت المظاهرات إلى اشتباكات عنيفة بين أنصار الإخوان الذين كان كثير منهم يحملون الأسلحة الآلية في وضح النهار، وبين قوات الشرطة والأهالي خصوصًا في منطقة رمسيس والمناطق المجاورة لها مثل شبرا، وأدى ذلك لوقوع العديد من القتلى والمصابين.. أما عن الخسائر في المنشآت، فقد أشعل الإخوان وأنصارهم الحرائق في مبنى شركة المقاولين العرب بشارع رمسيس وامتدت الحرائق إلي أحد بنوك الدم؛ كما كانت هناك محاولة لاقتحام قسم شرطة الأزبكية.

اليوم الرابع: السبت ١٧ أغسطس: استمر العنف في محيط مسجد الفتح بمنطقة رمسيس بعد اعتصام عدد من أنصار الإخوان بداخل المسجد، واعتلى عدد من المعتصمين بمسجد الفتح مأذنة المسجد، وأطلقوا الأعيرة النارية على قوات الجيش والشرطة التي أحاطت بالمسجد للتفاوض مع المعتصمين وحماية من يريد الخروج بسلام منهم وحمايتهم أيضًا من غضب الأهالي.. كما قامت جماعة من أنصار الرئيس المعزول بإرهاب وترويع المواطنين وبث الفوضى وتعطيل حركة المواصلات العامة وإتلاف الممتلكات العامة والخاصة أعلى كوبري ١٥ مايو بالقرب من رمسيس.. وتم تصوير الكثير منهم بواسطة طائرات هليكوبتر تابعة للجيش، وحسب فيديوهات صورها الأهالي في محيط الكوبري رؤي أشخاص بين المعتصمين ملثمين ويحملون بنادق آلية ويطلقون النار بشكل عشوائي على المواطنين الآمنين، حتى أن بعض الضحايا تم قتلهم من قبل هؤلاء الملثمين أثناء وقوفهم في شرفات بيوتهم لمشاهدة الأحداث.

اليوم الخامس: الأحد ١٨ أغسطس: لم تقع أحداث شغب في هذا اليوم وبدأت الحياة تعود إلى طبيعتها وبدأ المواطنون في العودة إلى أشغالهم على الرغم من فرض حظر التجوال من السابعة مساءً وحتى السادسة صباحًا.

اليوم السادس: الاثنين ١٩ أغسطس: قامت عناصر تنتمي لجماعات إرهابية ممن يحاربهم الجيش في سيناء منذ أكثر من عام، بتقييد وإعدام ٢٥ جندي أمن مركزي في رفح أثناء انتقالهم في سيارات خاصة إلى القاهرة لإنهاء أوراق انتهاء مدة خدمتهم في جهاز الشرطة، وتجد الإشارة إلى أن القيادي الإخواني "محمد البلتاجي" قد صرح من قبل بأن العمليات الإرهابية في سيناء ستتوقف في حالة عودة مرسي للحكم وتراجع السيسي عن موقفه، بما يمثل اعترافًا ضمنيًا بمسئولية الإخوان عن كل أعمال الإرهاب والعنف التي تجري في سيناء ومنها هذا الحادث.

اليوم السابع: الثلاثاء ٢٠ أغسطس: وفي هذا اليوم قام أنصار الإخوان في أسوان بالتعدي بالتعذيب والضرب والسحل لعدد من ضباط الشرطة من بينهم نائب مدير الأمن.

ثالثا مرحلة ما بعد فض الاعتصام:

أ- أحداث أيام الجمعة: عقب فض قوات الأمن اعتصام ميداني رابعة والنهضة يوم الأربعاء ١٤ أغسطس، شرعت جماعة الإخوان، في تنظيم تظاهرات واحدة تلو الأخرى، وبالرغم من وجود تضييق

أمني للتظاهر أو الاعتصام في الميادين الكبرى، وصدور قانون ينظم حق التظاهر في ٢٤ نوفمبر، إلا أن المظاهرات لم تتوقف خاصة يوم الجمعة من كل أسبوع، وغالبًا ما كانت تصاحب تلك المظاهرات اشتباكات أو إصابات أو قتلى أو إتلاف لمنشآت.. وفيما يلي عرض لأبرز التظاهرات والأحداث التي تسببت في إحداث خسائر بشرية أو تلفيات للمنشآت:

أحداث الجمعة، ٢٣ أغسطس ٢٠١٣: في محافظة البحيرة: اندلعت اشتباكات بين أنصار من جماعة الإخوان وأهالي مدينة الدلنجات، استخدم فيها الرشق بالحجارة والشوم، وأسفرت عن إصابة ٣ أشخاص، وكانت مسيرة أنصار الإخوان قد انطلقت من مسجد شعراوي بمدينة الدلنجات لتتحرك على حدود المدينة، وعندما تواجدت بالقرب من نادي المعلمين تصدى الأهالي لها ليتم فضها، وتندلع اشتباكات وحالة من الكر والفر بين الجانبين.

وفى الشرقية: أصيب ١٥ من أعضاء جماعة الإخوان و٣ من أفراد (عائلة زيد) بمدينة القرين بالشرقية، بجروح وكدمات وتم نقلهم لمستشفى القرين العام، وذلك على خلفية قيام أعضاء جماعة الإخوان بمسيرة للتنديد بسياسية الجيش والشرطة، بالمدينة فاشتبك معهم أفراد من عائلة زيد وحدثت بينهم مناوشات أسفرت عن إصابة ١٥ من أعضاء جماعة الإخوان و٣ من أفراد عائلة زيد، وذلك في ظل عدم وجود أيٍّ من رجال الشرطة لحرق قسم الشرطة ساعتها.

وفى الغربية: حدثت اشتباكات بمدينة طنطا عقب صلاة الجمعة بين أنصار جماعة الإخوان المحظورة وبين الأهالي بعد قيام الإخوان بالخروج في مسيرة للتنديد بالقبض على قيادات الجماعة، وراح ضحية الاشتباكات قتيل وأصيب ٢٦ فيما تم القبض على ٢٤ من أنصار جماعة الإخوان وتسليمهم لمديرية أمن الغربية للتحقيق.. كما قام عدد كبير من المتظاهرين المتواجدين بساحة الشهداء أمام ديوان عام المحافظة بتكسير واجهة مطعم مؤمن الكائن بجوار بنك بلوم بشارع البحر بطنطا مما دفع قوات الشرطة لإطلاق القنابل المسيلة للدموع عليهم لتفريقهم خشية هجوم المتظاهرين على البنك المجاور للمطعم.

أحداث طنطا الجمعة ٦ سبتمبر ٢٠١٣: شهدت مدينة طنطا في هذا اليوم حالة من حرب الشوارع بين المتظاهرين والأمن والأهالي مما أسفر عن إصابة العشرات وتحطيم عدد من واجهات المنشآت، وتم القبض على ٢٥ منهم، وتحويلهم للنيابة، وفي ظهر الأحد ٨ سبتمبر ٢٠١٣ قرر المستشار تامر الدمرداش رئيس نيابة غرب طنطا، حبس ٢٥ من أعضاء الإخوان الذين تم القبض عليهم مساء يوم الجمعة ٦ سبتمبر، ١٥ يومًا على ذمة التحقيقات.

أحداث الجمعة، ١٣ سبتمبر ٢٠١٣: في هذا اليوم قام الإخوان المشاركين في مسيرة الزيتون، بتشويه جدران فرع (موبينيل)، بمنطقة جسر السويس، بكتابة عبارة (حنعدمك يا ساويرس)، وكان التحالف الداعم لجماعة الإخوان، قد دعا إلى التظاهر في كل الميادين، للمطالبة بعودة الرئيس المعزول محمد مرسى لمنصبه.. واعتدى العشرات من أعضاء جماعة الإخوان على مصور شبكة يقين عمر السيد، خلال تغطيته للمسيرة التي نظمها الإخوان، من مسجد الرحمن بشارع يوسف عباس بمدينة نصر محافظة القاهرة، والتي كانت متجهة إلى ميدان رابعة العدوية.. وأفادت بوابة "اليوم السابع" حينها – حسب التقرير – أن يحيى خلف مؤسس شبكة يقين قال في اتصال هاتفي: إن شباب جماعة الإخوان، اعتدوا على زميلهم بالضرب، وقاموا بتكسير الكاميرا الخاصة به، حين قام بتصوير مشهد اعتراض شباب الإخوان لسيارة تابعة للجيش ماركة "لادا" بشارع يوسف عباس، لافتًا إلى أن شباب الجماعة حاولوا اعتراض سيارة الجيش، وحين قاموا بتصويرها رد الإخوان بتكسير الكاميرا وضرب المصور التابع لهم.

وفي مدينة أبو كبير: وقعت اشتباكات بين أنصار المعزول، وعدد من أهالي المدينة، خاصة عندما اعترض الأهالي مسيرة نظمها مؤيدو مرسي، في المسافة الواقعة بين مسجد الشيخ السباعي، ومسجد الحاجة زبيدة سالم بشارع سعد زغلول (أكبر شوارع المدينة)، ووقعت اشتباكات بين الطرفين استخدمت فيها الحجارة وطلقات الخرطوش والأسلحة البيضاء، وخلفت عددًا من المصابين بحسب تصريحات الدكتور محمد سرحان، القائم بأعمال وكيل وزارة الصحة بالشرقية، الذي أكد أن المصابين هم: إسلام

السيد ذكي ١٩ سنة، ومحمد الباز الدسوقي ٢٠ سنة، مقيمان بمحافظة دمياط، وأحمد محمد إبراهيم ١٧ سنة، مقيم بقرية أولاد فضل بمركز أبو كبير، ومحمد أحمد السيد ١٨ سنة، مقيم بحي المنشية بأبو كبير، ومحمد محمد عبد اللطيف ٢٧ سنة، ومحمد إسماعيل عبد الخالق ٢١ سنة، مقيمان بمدينة أبو كبير، وأن جميع المصابين الذين بطلقات خرطوش تم إسعافهم داخل مستشفى أبو كبير المركزي.

أحداث الجمعة ٢٧ سبتمبر ٢٠١٣: قام أعضاء جماعة الإخوان المحظورة في هذا اليوم باستفزاز قوات الجيش والشرطة في عدة مناطق بالقاهرة والجيزة، كما قاموا بقطع عدة طرق واشتبكوا مع الأهالي في المعادى وطريق كورنيش النيل، وقاموا بتشويه سيارات شرطة وممتلكات عامة أثناء تظاهراتهم.

الاعتداء على خالد داوود الجمعة ٤ أكتوبر ٢٠١٣: وذلك أثناء مروره بسيارته من شارع قصر العيني، حيث تصادف مرور مسيرة مؤيدة للرئيس السابق محمد مرسى واعتدى أشخاص من المسيرة عليه وحطموا سيارته ووجهوا له عدة طعنات بالصدر بآلة حادة، وقال الأمين العام لحزب "الدستور" حسام عبد الغفار: إن المسيرة التي ضمت العشرات من أنصار الإخوان، عندما تعرفوا على خالد داود، هاجموا سيارته وحطموها وقاموا بالاعتداء عليه بالضرب بأسلحة بيضاء، ما أدى إلى إصابته بطعنتين بالوجه وحدوث قطع بأحد أوتار يده.

أحداث الجمعة ١١ أكتوبر ٢٠١٣: في هذا اليوم وفي محافظة الجيزة: قام بعض عناصر جماعة الإخوان المشاركين في مسيرة بشارع الهرم بالتعدي على شرطيين من قوة مديرية أمن الجيزة أثناء متابعتهما الحالة الأمنية بشارع الهرم، وأدى ذلك إلى إصابتهما بجروح وكدمات متفرقة بالجسم، وتم نقلهما للمستشفى للعلاج.. كما قام بعض المشاركين في مسيرة بمنطقة الطالبية بالتعدي على أحد المواطنين الذي كان يستقل سيارته الملاكي، مما اضطره إلى تركها والاحتماء بنقطة شرطة الحماية المدنية بالطالبية، حيث تعقبه المتظاهرون وقاموا برشق مبنى النقطة بالحجارة في محاولة منهم للنيل من المواطن، إلا أن قوات نقطة الإطفاء تصدت لهم وتمكنت من السيطرة على الموقف، كما تلقت مديرية أمن الجيزة ثلاثة بلاغات من مواطنين تفيد تعدى بعض المتظاهرين من أنصار جماعة الإخوان عليهم، أثناء قيادتهم لسياراتهم، مما أدى إلى حدوث تلفيات بسياراتهم وتم اتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة حيال تلك البلاغات.

وفى محافظة القاهرة: أحبطت قوات الأمن محاولة الاعتداء على سيارة ترحيلات تابعة لمديرية أمن القاهرة، حال سيرها بشارع عباس العقاد بمدينة نصر من قبل عناصر جماعة الإخوان والذين حاولوا تهريب المتهمين من داخل السيارة، إلا أن القوات المكلفة بالتأمين تعاملت على الفور مع الموقف وأحبطت تلك المحاولة، وتمكنت من إلقاء القبض على عدد ٦ من تلك العناصر.

وفي الشرقية: وقعت اشتباكات بين الأهالي ومتظاهري المحظورة، حيث لقي عبد العزيز السيد وشهرته الباز ٥٤ سنة موظف، أحد أهالي قرية الديدمون بمركز فاقوس بالشرقية مصرعه عقب مشادة كلامية مع جماعة الإخوان المحظورة أمام مسجد القطري بالقرية خلال الشد والجذب لرفض المواطن الهتافات المناهضة للجيش، فنشبت مشادة كلامية بين المواطن والإخوان فسقط علي الأرض لمعاناته من مرض السكر وتوفي في الحال وتجمع الأهالي عقب الحادث واندلعت اشتباكات مع الإخوان.

أحداث الجمعة، ١٨ أكتوبر ٢٠١٣: في هذا اليوم صرح مصدر أمنى مسئول بوزارة الداخلية، بأن بعض محافظات الجمهورية شهدت مسيرات محدودة نظمها أنصار جماعة الإخوان المحظورة، شهد بعضها مناوشات مع المواطنين تدخلت على إثرها قوات الشرطة، وحالت دون وقوع أي تداعيات أمنية، وتمكنت من ضبط ١١ من مثيري الشغب.. وأوضح المصدر في بيان رسمي أن مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية، ومنطقة سيدي بشر بمحافظة الإسكندرية، وحى المناخ بمحافظة بورسعيد، ومنطقة الفوال بمدينة الفيوم شهدت اشتباكات بين أنصار جماعة الإخوان وأهالي تلك المناطق، وقد أسفر ذلك عن إصابة أحد المواطنين ويدعى "فتحي عبد العزيز محمد" بطلق ناري بالرقبة، إثر اشتباكه وأهالي منطقة الفوال بالفيوم مع أنصار جماعة الإخوان المحظورة، حيث اتهم أنصار الجماعة بالتسبب في إصابته، وتم نقل المصاب للمستشفى لتلقى العلاج.

أحداث الجمعة، ٢٥ أكتوبر ٢٠١٣: في هذا اليوم شهدت العديد من المدن المصرية تظاهرات لأنصار جماعة الإخوان عقب صلاة الجمعة للمطالبة بعودة الرئيس المصري المعزول محمد مرسي، تلبية لدعوة التحالف الوطني لدعم الشرعية.. واستخدمت الشرطة الغاز المسيل للدموع لتفريق مظاهرات لمؤيدي الرئيس المعزول في الإسكندرية ثاني كبرى المدن المصرية وفي السويس، بعد أن شهدت المسيرات اشتباكات بين الأهالي وأنصار الإخوان المشاركين في التظاهرات.

وفي الجيزة: قالت المصادر، إن سكانا ألقوا الحجارة على مجموعة من المتظاهرين من جماعة الإخوان كانوا يرددون الهتافات ضد الجيش، وأصيب سبعة أشخاص بجروح، بحسب ما ورد في وكالة (رويترز).. كما أعلن الدكتور (أحمد الأنصاري)، رئيس هيئة الإسعاف المصرية، عن وقوع ٤ مصابين في تظاهرات متفرقة على مستوى الجمهورية، ولم توجد وفيات.. ويومها أصدرت وزارة الداخلية بيانًا جاء فيه أنه تم رصد "عدد من التجمعات والمسيرات الإخوانية المحدودة عقب صلاة الجمعة ببعض المناطق بعدد من المحافظات، تجاوز بعضها نطاق السلمية وحرية التعبير عن الرأي، حيث قام عدد من المتظاهرين بقطع الطرق والاعتداء على الأهالي وحدوث مناوشات بينهم، إلا أن التواجد الأمني والتحرك السريع لقوات الشرطة، حال دون استمرار الاشتباكات وتمكنت الشرطة من السيطرة الأمنية في محيط المناطق التي شهدت تلك الاشتباكات".. وأضاف البيان:

"رصدت أجهزة البحث الجنائي قيام بعض العناصر المشاركة في تلك التظاهرات بإطلاق أعيرة خرطوش أثناء التجمعات والمسيرات، وتقوم فرق البحث حاليًا بتحديدهم تمهيدًا لاتخاذ الإجراءات القانونية في حقهم"، مشيرًا إلى أن الوزارة تتخذ كافة الإجراءات القانونية في مواجهة مختلف صور الخروج عن الشرعية".

أحداث المحلة الجمعة، ١ نوفمبر ٢٠١٣: شهدت قرية شبرابيل التابعة لمركز المحلة الكبرى بالغربية في هذا اليوم اعتداء (السيد ا) أحد عناصر جماعة الإخوان، بالضرب بسلاح ناري كان بحوزته، على فلاح يدعى (فرج ا) بعد هتاف الثاني تأييدًا للجيش، وقد جاء ذلك بعد مشادة كلامية بينهما اعتدى على أثرها (الإخواني) على الأخير بالضرب بسلاح ناري كان بحوزته، وتدخل الأهالي، وتمت السيطرة على الموقف، وتحرر المحضر ١٩٤٨٧ إداري مركز المحلة.

أحداث الجمعة ٨ نوفمبر ٢٠١٣: في منطقة العمرانية بالجيزة تحركت مسيرة لعناصر جماعة الإخوان في هذا اليوم من أمام مسجد خاتم المرسلين، لتجوب شوارع منطقة العمرانية والهرم، وسط هتافات مناهضة للقوات المسلحة والشرطة، الأمر الذي أدى إلى نشوب اشتباكات وحرب شوارع بين الإخوان وأهالي المنطقة.. كما أصيب شخص بطلق ناري في الصدر نتيجة إطلاق مجهولين الأعيرة النارية خلال الاشتباكات التي دارت بين أعضاء جماعة الإخوان خلال مسيرتهم بمنطقة العمرانية وبين الأهالي، وتم نقله على الفور إلى مستشفى الهرم، فيما حضرت سيارات الإسعاف لنقل المصابين الآخرين بمناطق عدة بطلقات الخرطوش وزجاجات المولوتوف في خلال غياب تام للأمن.. كما أكد مصدر أمني أن الاشتباكات التي دارت بين أنصار جماعة الإخوان، وبين الأهالي بشارع الزهراء بمنطقة العمرانية، أسفرت عن اشتعال النار بجراج سيارات بالإضافة إلى تحطيم ٣ محال وإحداث تلفيات بـ ٢٥ سيارة مركونة بالشارع.

وفي الدقهلية: نشبت اشتباكات عنيفة بين الإخوان وأهالي مدينة المطرية بالدقهلية، أسفرت عن إصابة ٤ أشخاص بطلقات خرطوش، بعد اعتراض الأهالي لمسيرة للمحظورة أمام الساحة بمنطقة الغصنة، لرفضهم الهتافات المعادية للقوات المسلحة والشرطة، ونشبت على إثر ذلك مشادّات بين الطرفين، حيث أطلق أحد أعضاء الجماعة المحظورة طلقات خرطوش على الأهالي، وحدثت حالة من الكر والفر بالمنطقة، وتم نقل المصابين إلى مستشفى المطرية العام.

أحداث الإسكندرية الجمعة ١٥ نوفمبر ٢٠١٣: شهدت منطقة السيوف ومنطقة أبو سليمان شرق الإسكندرية في هذا اليوم مناوشات واشتباكات بين مسيرة لأنصار جماعة الإخوان المسلمين وبين عدد من الأهالي بعد ترديد أنصار الإخوان هتافات مناهضة لقوات الجيش والشرطة، وكانت مسيرة قد

تحركت من مسجد عصفور طافت عدد من شوارع منطقة السيوف ومسيرة أخرى طافت منطقة أبو سليمان، ما أدى إلى نشوب اشتباكات بين أنصار جماعة الإخوان والأهالي مما أدى إلى تدخل وقوات الأمن للسيطرة علي الموقف.. وقال مسئول المركز الإعلامي الأمني بوزارة الداخلية: إنه في إطار متابعة دعوات جماعة الإخوان المسلمين للتظاهر هذه الجمعة، شهدت إحدى المسيرات بمنطقة العوايد بدائرة قسم شرطة ثان الرمل بمحافظة الإسكندرية حدوث اشتباكات بين أهالي المنطقة، والمشاركين في المسيرة، أطلقوا خلالها عدة أعيرة خرطوش، أصاب أحدها الطالب "إيهاب أحمد سليم" ١٦ عامًا، ولقي مصرعه عقب نقله للمستشفى لتلقي العلاج، متأثرا بإصابته بطلق خرطوش في الصدر.

أحداث الجمعة ٢٢ نوفمبر ٢٠١٣: في السويس: شهد محيط ميدان الترعة بحي الأربعين في هذا اليوم اشتباكات عنيفة بين عناصر جماعة الإخوان وأهالي المنطقة، بالأسلحة النارية والخرطوش والألعاب النارية، وذلك بعد اشتباكات عناصر الجماعة بمحيط مسجد حمزة وحى فيصل، فيما أوقفت الاشتباكات الطريق، وسط نداءات من الأهالي بتدخل قوات الأمن والجيش لوقف الاشتباكات، وبالفعل تدخلت قوات الجيش والشرطة لفض اشتباكات الإخوان بمشاركة حشد كبير من الأهالي، حيث فر الإخوان هاربين إلى الشوارع الفرعية.. وقد أسفرت الاشتباكات عن مقتل طفل وإصابة ٤ بأعيرة نارية وجروح قطعية، حيث أعلن الدكتور رضا زغلول، مدير إدارة الطوارئ بمديرية الصحة، أن المستشفى العام استقبل طفلا من الأهالي يدعى "سمير أحمد محمد مصطفى" ١٠ سنوات، مصاب بطلق ناري، علي خلفية الاشتباكات التي وقعت بحي الأربعين، ولقي الطفل مصرعه بعد دقائق من وصوله للمستشفى.

وأوضح زغلول، أن المستشفى استقبل مصابًا آخر بطلق ناري في اليد، وتلقى العلاج اللازم وخرج من المستشفى، كما أصيب ٤ آخرين بأعيرة نارية وجروح قطعية، وهم: "سعيد منير أبو بكر" (٦٠ سنة)، و(مصطفى فتحي عطا الله)، و(السيد زكى عطية) ٥٤ سنة، و(محمود محمد عبد العزيز).. ومن جانبه قال والد الطفل سمير أحمد محمد مصطفى الجمل، الذي لقي مصرعه: إن عناصر "الإخوان" هي من قامت بقتل نجله، مطالبًا الفريق أول عبد الفتاح السيسي، النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة وزير الدفاع، والجيش المصري بالقصاص لنجله من المتهمين بقتله.

وقي مدينة كفر الدوار بالبحيرة: وقعت اشتباكات عنيفة بين عناصر من جماعة الإخوان وبعض أهالي المدينة، والتي أسفرت عن إصابة ٩ أشخاص بكدمات وجروح متفرقة بالجسم، إضافة إلى تحطيم عدد من السيارات والمحال التجارية، فيما كثفت قوات الأمن من تواجدها بمحيط الاشتباكات، لمنع تجددها مرة أخرى.

وفي حي النزهة بمحافظة القاهرة: قطع عناصر جماعة الإخوان، كوبري النزهة أمام مبنى هيئة الرقابة الإدارية، وقاموا بإشعال النيران في مداخل الطرق بمنطقة النزهة، وحطموا اللوحات الإعلانية الموجودة في شارع النزهة وأضرموا النيران بها، وحطموا الأسوار الحديدية للحدائق، لقطع الطريق، وفى الوقت نفسه حمل عناصر جماعة الإخوان شابا مصابًا بطلق ناري بالصدر في أعلى كوبري النزهة.

وفي الإسكندرية: أصيب ٣ من المواطنين المؤيدين للفريق أول عبد الفتاح السيسي بطلقات خرطوش في مختلف أنحاء الجسم، وتم نقلهم إلى مستشفى رأس التين، لإسعافهم، وكان ذلك بعد أن قامت سيارة مجهولة ماركة نيسان يستقلها عدد من الأشخاص بفتح نيرانها على المتظاهرين المؤيدين للجيش، والمتواجدين أمام مسجد القائد إبراهيم، وفروا هاربين.

أحداث الجمعة، ٦ ديسمبر ٢٠١٣: في محافظة الفيوم: وقعت اشتباكات بين أعضاء جماعة الإخوان وقوات الشرطة بمدينة الفيوم عقب خروج مسيرة لأعضاء جماعة الإخوان وأصيب ضابط في الاشتباكات وهو الملازم "كريم إبراهيم" من القوات الخاصة بمديرية الأمن، وتم نقله لمستشفى الفيوم العام لتلقى العلاج اللازم.

وفي منطقة ألف مسكن بمحافظة القاهرة: وقعت اشتباكات بين الأهالي وأعضاء جماعة الإخوان، حيث بدأت الاشتباكات بتبادل الطرفين لإلقاء الحجارة، فيما استخدم بعض شباب الإخوان زجاجات المولوتوف.. وأدى إطلاق أعضاء جماعة الإخوان للشماريخ والمولوتوف لهروب الأهالي، مما استدعى

تدخل قوات الأمن بإلقاء قنابل الغاز المسيلة للدموع للضغط على متظاهري الإخوان وإجبارهم على التراجع إلى الشوارع الجانبية، حيث انحصر تواجد الإخوان في شارع "السد العالي" المتفرع من شارع جسر السويس، وقد استخدموا وقتها الأبواب الخشبية للمحلات التجارية والأشجار لإشعال النيران داخل الشارع بجانب إحراق عدد من إطارات السيارات.. ثم عاد الإخوان مرة أخرى للاشتباك مع الأهالي وتبادل الطرفين الحجارة والشماريخ، فيما استخدم الإخوان أعيرة الخرطوش وأصابوا ثلاثة من الأهالي، ورد الأهالي بالحجارة بكثافة ليتراجع الإخوان مرة أخرى إلى الشوارع الجانبية، وأثناء الاشتباك مع الأهالي استخدم الإخوان أعيرة نارية حية، أصيب ٢ بإصابات بمنطقة الساق والقدم، وتم نقل المصابين إلى مستشفى هليوبوليس.

أحداث السويس الجمعة ١٣ ديسمبر ٢٠١٣: حدثت في هذا اليوم اشتباكات بين الإخوان والأهالي في السويس، وأسفرت الاشتباكات عن مقتل شخص وإصابة ١٠ آخرين، منهم ٤ بطلق ناري، وقد قررت نيابة السويس صباح يوم السبت إرسال جثمان الشاب القتيل باشتباكات الإخوان عصر الجمعة، والذي يدعى (خالد صالح موسى) ٢٣ سنة إلى مصلحة الطب الشرعي، لتحديد سبب الوفاة.. كما أصيب ١٠ آخرون وهم (رمضان أسعد)، و(كرم عبد الضافي) مجندين، وأصيبوا باختناقات، و(أحمد سكر محمد)، أصيب بقطع في الرأس، و(أحمد خليفة) أصيب بطلق ناري في الركبة، وأشار مسئولو المستشفى إلى أنه تم علاجه، وهرب من المستشفى عقب ذلك، و(خالد صالح موسى) ٢٣ سنة بطلق ناري بالرأس وتوفى، و(محمد صبري) ١٤ سنة، وأصيب بطلق خرطوش في الرقبة، بالإضافة إلى ٤ مصابين مجهولي الهوية، تم نقلهم للمستشفى العام.

أحداث الفيوم الجمعة ٢٠ ديسمبر ٢٠١٣: في هذا اليوم تطورت الاشتباكات التي وقعت بين الإخوان والشرطة بالفيوم، وأسفرت عن إصابة الشاب عبد الرحمن محمد السيد ١٥ سنة بطلق ناري وآخر ويدعى: محمود أسامة فكري ٢٠ سنة بطلقات خرطوش في الوجه، وتم نقلهما للمستشفى، وهما من أبناء حي البارودية، وقد أصيبا في المناوشات التي وقعت عند مسجد الشبان المسلمين بين الشرطة وأعضاء جماعة الإخوان.

ب- أحداث الجامعات:

بدأت مظاهرات طلاب الإخوان في كل الجامعات المصرية مع بدء العام الدراسي الجديد، والذي شهد منذ بدايته توترات عديدة في أغلب الجامعات، فكانت هناك محاولات من طلاب الإخوان لتعطيل العام الدراسي، فنظم الطلاب العديد من التظاهرات والوقفات الاحتجاجية، التي غالبًا ما كانت تنتهي باشتباكات بين طلاب الإخوان من جانب ومن الجانب الآخر الطلاب المستقلين أو الأمن الإداري بالجامعات أو قوات الشرطة خارج أسوار الجامعات، وفي أغلب الأوقات كانت تسفر هذه الاشتباكات عن إتلاف في المنشآت وإصابات وأحيانا تمتد إلي وقوع حالات قتلى، وفيما يلي عرض لأبرز ما قاموا به طلاب الإخوان من مظاهرات وما أسفرت عنه من أحداث تخريب ومصابين وقتلى.

أحداث جامعة القاهرة الأحد، ٢٧ أكتوبر ٢٠١٣: بدأت اشتباكات بالأيدي بين طلاب الإخوان المتظاهرين بجامعة القاهرة، وأحد الطلاب المستقلين، عند اختراقه لمسيرة طلاب الإخوان، ورفع علامات مؤيدة لثورة ٣٠ يونيو، فقام طلاب الإخوان بالاعتداء على الطالب المستقل بالضرب.. وانضم طلاب الإخوان المتظاهرون أمام المكتبة المركزية والمبنى الرئيسي للجامعة عند ساحة كلية التجارة، مرددين هتافات مناهضة للجيش والشرطة، وتجددت الاشتباكات بين طلاب الإخوان المتظاهرين أمام قبة جامعة القاهرة، وفردين كانا وسط المظاهرة، واتهمهما طلاب الإخوان بأنهما تابعان لجهاز أمن الدولة، وقاموا بالاعتداء عليهما بالضرب المبرح، وأنقذ أفراد الأمن الإداري أحدهما بعد إصابته، ووضعوه في إحدى غرف العلاقات العامة، في حين تعرض الفرد الآخر للضرب بالأيدي والأحزمة حتى سقط فاقدًا للوعي.. ومن جانبهم قام أفراد الأمن الإداري بمحاولة لاحتواء الاشتباكات بين الطلاب، ولكن تحولت الاشتباكات معهم، حيث اعتدى عليهم طلاب الإخوان بالضرب بكل شيء أمامهم بما فيها

(قصاري) الزرع المتواجدة على سلالم القبة، وبادلهم أفراد الأمن الإداري بنفس التصرف، ويصر طلاب الإخوان على تسليمهم الشخص الذي يؤمنه الأمن الإداري بغرفة العلاقات العامة.

وخلال الاشتباكات أصيب ٥ من أفراد الأمن الإداري بجامعة القاهرة، بجروح في الرأس جراء الاشتباكات التي حدثت بين طلاب جماعة الإخوان المتظاهرين بالجامعة والطلاب المستقلين، وعلى إثرها تدخل أفراد الأمن الإداري لاحتواء الاشتباكات فكانت إصابتهم، وحاولت مجموعة من طلاب الإخوان اقتحام مبنى قبة الجامعة إلا أن أفراد الأمن تصدوا لهم وأحبطوا محاولة الاقتحام.

أحداث جامعة الأزهر الاثنين، ٢٨ أكتوبر ٢٠١٣: نظم العشرات من طلاب الإخوان المحظورة، بجامعة الأزهر في هذا اليوم مظاهرة حاشدة أمام مبنى إدارة الكلية، وانضم طلاب الإخوان بجامعة الأزهر من مسيرتي البنات والبنين جنبًا إلى جنب، في مسيرة واحدة، التقت بين مبنى كلية الطب والهندسة بجوار مبنى رئاسة جامعة الأزهر، بعد أن طافت أرجاء الحرم الجامعي لحشد الطلاب، وتعطيل الدراسة، حيث توجهت المسيرات إلى كلية الهندسة، وبدأ عدد من الطلاب الذين لم يتمكنوا من السكن بالمدن الجامعية من الحاصلين على تقدير جيد، في تجهيز مكبرات الصوت، ووضعها أمام مبنى رئاسة جامعة الأزهر، لإقامة فعاليات احتجاجية، للضغط على رئيس الجامعة لإسكانهم.

كما قطع طلاب الإخوان طريق المخيم الدائم بجامعة الأزهر، وصعدوا على أتوبيس هيئة نقل عام، وذلك وسط تجمهر من سائقي السيارات، مما تسبب في حالة من الشلل المروري من الجانبين.. وحاول عدد من الإخوان المتظاهرين بجامعة الأزهر، اقتحام المبنى الإداري بالجامعة من خلال محاولة اقتحام العيادة الشاملة بالجامعة، عن طريق بعض الطلاب الملثمين، فيما أشعل طلاب آخرون الشماريخ والألعاب النارية في الهواء.

كما انضمت مسيرة قادمة من كلية البنات جامعة الأزهر، ومجموعة من طلاب المدارس، وأفراد من خارج الجامعة إلى تظاهرات طلاب الإخوان أمام الجامعة، فيما شارك معهم بعض الطلاب الملثمين لإخفاء وجوههم خلال المسيرة، بينما أرغم سائقوا السيارات بشارع المخيم الدائم، الطلاب على التراجع مرة أخرى داخل الجامعة، وقد ارتدى طلاب الإخوان بجامعة الأزهر أثناء تظاهراتهم، الأكفان أمام البوابة الرئيسية للمبنى الإداري بالجامعة، فيما وصلت مسيرة طلاب الإخوان التي تجوب إرجاء جامعة الأزهر إلى مقر كلية العلوم للبنين، حيث أطلقوا الألعاب النارية والشماريخ وسط هتافات وشعارات لرابعة العدوية، وهتافات ضد وزارة الداخلية، وخرج على إثر ذلك العشرات من طلاب الإخوان وقطعوا طريق النصر مرة أخرى، وسحبوا الحواجز الحديدية التي وضعها الجيش بطريق النصر أمام المنصة، مما جعل قوات الجيش المتواجدة تطلق أعيرة تحذيرية في الهواء لإبعاد الطلاب عن طريق النصر.

أحداث جامعة الزقازيق الاثنين، ٢٨ أكتوبر ٢٠١٣: حاصر طلاب الإخوان بكلية الهندسة جامعة الزقازيق، عميد الكلية (حمدي شهاب) في مكتبه، وتم احتجازه ومُنع من الخروج من قِبل طلاب جماعة الإخوان المحظورة، وتجمع المئات منهم أمام باب مكتبه اعتراضًا على قرار مجلس تأديب فصل طالبين من أعضاء التنظيم هما: (عمر موسى) أمين اتحاد طلاب هندسة الزقازيق السابق لمدة شهر، والطالب (عبد الله العقدة) أمين أسرة النور بهندسة الزقازيق لمدة فصل دراسي بأكمله، وذلك لارتكابها أعمال عنف وشغب بالجامعة.. كما تجمع طلاب المحظورة في الطرقات وقاموا بالهتاف بصوت عال بالهتافات المناهضة للجامعة والجيش والدولة، وقاموا كذلك بتعليق الملصقات وكتابة العبارات المسيئة.. ثم خرج د.حمدي شهاب بعد احتجازه بمكتبه لمدة ٣ ساعات اعتراضًا على فصل الطالبين السابق ذكرهما.. وقال الدكتور حامد القنواتى المفوض مؤقتا بمهام نائب رئيس الجامعة لشئون الطلاب، إنه تم حل الأزمة وفك حصار العميد، وسيتم إجراء مجلس تأديب للطالبين وأخذ أقوال الطالبين مرة أخرى، وأشار إلى أن قرار مجلس التأديب جاء بناء على أدلة مدعمة بالفيديو والصور للطالبين، وسيتم العرض على المجلس لتأخذ القرار.

أحداث جامعة القاهرة الثلاثاء ٢٩ أكتوبر ٢٠١٣: شهدت جامعة القاهرة يوما داميًا، بسبب الاشتباكات التي دارت بين مسيرة عناصر طلاب جماعة الإخوان وقوات الأمن التي كانت متمركزة في ميدان

النهضة، مما جعل قوات الشرطة تطلق قنابل الغاز وطلقات الخرطوش في الهواء لتفريق المتظاهرين، وحاولت عناصر طلاب الإخوان تنظيم مسيرة إلى ميدان الجيزة إلا أن قوات الأمن نجحت في منعهم وإعادتهم مرة أخرى إلى داخل الجامعة، مما دفعهم إلى إنهاء تظاهراتهم وأعادت قوات الأمن فتح طريق الجامعة أمام السيارات مرة أخرى.. بعدها اعتدى عناصر طلاب الإخوان على طالبتين من الطلاب المستقلين بجامعة القاهرة، مما نتج عنه إصابتهما بكدمات في الوجه وجروح سطحية، وأنقذ الأمن الإداري بالجامعة الطالبتين.

وأغلقت قوات الأمن المتواجدة ميدان النهضة من كل الاتجاهات، في وجه عناصر طلاب الإخوان المحظورة الذين نقلوا تظاهرهم من خارج الجامعة للميدان، حيث اقتربت قوات الأمن المركزي من الباب الرئيسي للجامعة، لإجبار الطلاب على دخول الجامعة مرة أخرى.. وكانت العناصر الإخوانية قد استفزت قوات الأمن المركزي برفع الإشارات المسيئة للداخلية، مما نتج عنه تقدم الشرطة أكثر، وأطلقت القوات طلقات الخرطوش في الهواء وقنابل الغاز لإجبار عناصر الإخوان على دخول الجامعة وبالفعل دخلوا الجامعة مرة أخرى، ورفعت العناصر الإخوانية أمام الباب الرئيسي لجامعة القاهرة الأحذية في وجه قوات الأمن التي عززت من تواجدها في ميدان النهضة والشارع الرئيسي المؤدى لميدان الجيزة.

استمر طلاب الإخوان في استفزاز قوات الأمن المركزي برفعهم إشارات رابعة والإشارات المسيئة للداخلية، مرددين هتافات مناهضة للجيش والشرطة، وتقدمت العناصر إلى الصفوف الأولى أمام قوات الأمن في حين تراجع الطالبات إلى الصفوف الأخيرة أمام الباب الرئيسي مباشرة، لتسهيل دخولهم للجامعة في حالة حدوث أي اشتباكات، وما كان من قوات الأمن المركزي الموجودة في ميدان النهضة إلا أن قامت بإطلاق قنابل الغاز المسيل للدموع، وطلقات الخرطوش في الهواء لتفريق عناصر طلاب جماعة الإخوان المحظورة الذين تحركوا بمسيرة إلى ميدان الجيزة، وأجبرت الداخلية العناصر إلى الدخول للجامعة مرة أخرى، وفى النهاية انسحب طلاب جماعة الإخوان إلى داخل جامعة القاهرة، بعد أن فشلوا في خرق الكردون الأمني حول ميدان النهضة.

هذا، وقد شهدت جامعة القاهرة حالة من الارتباك والكر والفر بين عناصر طلاب الإخوان المتظاهرين والطلاب المستقلين، فيما حاول الأمن الإداري السيطرة على الوضع ومنع أي اشتباكات بين الطلاب، ونجحت قوات الأمن في فرض حالة من الهدوء أمام الباب الرئيس بجامعة القاهرة وفى ميدان النهضة عقب الاشتباكات التي شهدها الميدان يومها بين قوات الأمن المتواجدة بالميدان وعناصر طلاب جماعة الإخوان المحظورة.

أحداث جامعة المنصورة الأربعاء ٣٠ أكتوبر ٢٠١٣: وقعت اشتباكات بالحجارة بين عدد من الطلاب من أنصار جماعة الإخوان، وآخرين مؤيدين للفريق أول عبد الفتاح السيسي وزير الدفاع، وعدد من الطلاب المستقلين، الأربعاء، داخل مقر الجامعة، وكان عدد من طلاب جماعة الإخوان بجامعة المنصورة قد احتجزوا ١٥ فرد أمن داخل مبنى حرس الجامعة بعد قيامهم بغلق البوابات بالجنازير والأقفال، فيما أصيب ١٨ شخصا بينهم ٦ من أفراد أمن جامعة المنصورة في اشتباكات بين طلاب (الإخوان)، وطلاب مستقلين وآخرين مؤيدين لـ (السيسي) داخل الحرم الجامعي.

أحداث جامعة الإسكندرية الأربعاء، ٣٠ أكتوبر ٢٠١٣: نشبت اشتباكات بجامعة الإسكندرية بين طلاب الإخوان ومؤيدي السيسي، في هذا اليوم، كما شهدت ساحة المجمع النظري استخدام الخرطوش والأسلحة البيضاء والعصي، ونقل شهود عيان سماعهم دوي كثيف لطلقات الخرطوش، وأسفرت الاشتباكات عن وقوع عشرات الإصابات بكدمات وكسور وجروح قطعية، كما حدثت بعض التلفيات بالسيارات الموجودة داخل ساحة المجمع النظري، وتم نقل المصابين إلى مستشفى الجامعة.

كانت الاشتباكات قد بدأت على هامش مظاهرة نظمها طلاب الإخوان، انطلقت من كلية التجارة للمطالبة بعودة الرئيس السابق محمد مرسى والإفراج عن المعتقلين، وجابت المظاهرة أنحاء المجمع النظري، قبل أن يوقفها طلاب مؤيدين للسيسي، ويشتبكون مع طلاب الإخوان، وقال مصدر بمديرية

الصحة بالإسكندرية، إنه تم استقبال ٢٨ طالبًا، داخل مستشفيات الجامعة، إثر وقوع اشتباكات بين طلاب الإخوان المحظورة، وبين طلاب مستقلين داخل ساحة المجمع النظري.

أحداث جامعة المنصورة الأحد، ٨ ديسمبر ٢٠١٣: قام عدد من الطلاب التابعين لجماعة الإخوان بجامعة المنصورة بالاشتباك مع قوات الأمن، وأشعلوا النار في سيارة شرطة (بوكس) ومدرعة تابعة للأمن المركزي أمام بوابة البارو، بعد خروج مسيرتهم خارج أسوار الجامعة، وحدثت حالة من الكر والفر وسط قيام طلاب الإخوان بالاعتداء على قوات الأمن المتواجدة، وسط ترديد هتافات معادية للشرطة والقوات المسلح، وأسفرت الاشتباكات عن إصابة النقيب (أحمد سمير حميدة) ٢٨ سنة من قوات الأمن المركزي بحروق من الدرجة الثانية بالوجه والكفين والرقبة، نتيجة إلقاء طلبة الإخوان زجاجات المولوتوف وأكياس البنزين على القوات أمام نادى الشرطة المجاور لبوابة الجامعة بشارع الجمهورية، كما أصيب ٣ مجندين بإصابات مختلفة بينهم المجند أسامة زاهر بإصابات جسيمة بالرأس.

أحداث جامعة الأزهر الأحد، ٨ ديسمبر ٢٠١٣: بدأت طالبات الإخوان احتجاجاتهن، بإغلاقهن أبواب الجامعة بالكامل، ورفعهن لافتات كتبن عليها "عشان مطالبنا اللي مبتتحققش"، كما منعن الأساتذة والموظفين من دخول الجامعة، لأداء أعمالهم، مما أدى إلى انصراف بعض الموظفين من أمام الجامعة، فيما حاول بعض الطلاب والموظفين الدخول عبر تسلق سور الجامعة، ونشبت اشتباكات بين أفراد أمن الجامعة وبعض المتظاهرات، واعتدى أحد أفراد الأمن، المتواجد أمام البوابة الرئيسية، على عدد منهن أمام البوابة الرئيسية، وذلك بعد التعدي على كشك الأمن بالرشق بالحجارة، وبعدها وصلت سيارات الأمن المركزي ومدرعة لمنطقة شارع النصر بجوار البوابة الرئيسية للجامعة، وسيطر أفراد الأمن بفرع البنات بالقاهرة، على الأبواب وفتحوها أمام الطالبات للدخول إلى الحرم الجامعي.

وبعد ساعات من احتجاجات "الأخوات"، استكمل شباب الجماعة مسلسل الفوضى، وقطع طلاب الإخوان الطريق أمام المدينة الجامعية لتتدخل قوات الأمن، في محاولة لعودة حركة المرور لطبيعتها، الأمر الذي رد عليه الطلاب بالتعدي على أفراد الأمن، وسادت حالة من الكر والفر بين طلاب الإخوان وجنود الأمن المركزي، أطلقت القوات على إثرها عددًا من قنابل الغاز المسيل للدموع، فيما رد الطلاب بإشعال النيران في عدد من الأشجار المحيطة بالمدينة الجامعية في الوقت الذي حاولت فيه سيارات الإسعاف والإطفاء الوصول إلى موقع الاشتباكات دون جدوى.

أحداث جامعة القاهرة الثلاثاء، ١٧ ديسمبر ٢٠١٣: نشبت اشتباكات عنيفة بالشوم والحجارة، بين طلاب حركة (طلاب ضد الانقلاب) وأفراد الأمن الإداري بجامعة القاهرة، أدت لسقوط عشرات الإصابات من الطلاب وموظفين الأمن بالجامعة، وكان طلاب ضد الانقلاب بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة قد نظموا مظاهرة تنديدا باستمرار اعتقال زملائهم الطلاب، وتسبب استخدام الطلاب لـ(طبلة) أثناء ترديد الهتافات غضب أفراد الأمن مما أدى لنشوب الاشتباكات بين الطلاب وأفراد الأمن استخدم فيها أفراد الأمن الشوم ورد عليهم الطلاب بإلقاء الحجارة، وبعد دخول الطلاب لمباني كلية دار العلوم هدأت الاشتباكات، ليتجمع الطلاب من جديد بمسيرة في اتجاه بوابة الجامعة الرئيسية، وقاموا بالاشتباك مع أفراد الأمن الإداري الذين احتموا بأحد أكشاك الأمن أمام البوابة الرئيسية، قام بعدها عدد من الطلاب بإشعال النيران في غرفة الأمن أمام البوابة الرئيسية والتعدي غلى أفراد الأمن بعد خروجهم منها، وقالت مصادر بجامعة القاهرة، إن هناك ٣٥ حالة إصابة بين أفراد الأمن الإداري، وتتراوح الإصابات بين جروح وكسور سطحية.

أحداث جامعة الزقازيق الاثنين ٢٣ ديسمبر ٢٠١٣: قام عدد من طلاب الإخوان خلال تظاهرات، باقتحام كلية الصيدلة والكتابة على جدرانها عبارات مسيئة للدولة وإدارة الجامعة، واعتدوا على عميد الكلية د.(عبد الله الشنواني) لمحاولة إفساد مبادرة أعضاء هيئة التدريس بالكلية لعمل محاضرات إضافية كمراجعة للمناهج قبل ختام الموسم الدراسي، واقتحم الطلاب الدور الثاني للكلية واعتدوا على العقيد (إيهاب الأحمدي) ضابط الأمن بالكلية، ووقفا لرواية الموظفين قام طلاب الإخوان بالاعتداء على السكرتيرة الخاصة بالعميد (حنان السيد) وأحد العمال ويدعى أحمد وموظف آخر، ثم اقتحموا حجرة

العميد والتفوا حول المكتب وقاموا بالاعتداء عليه مما أدى لارتفاع ضغط الدم لديه وتعرضه لحالة إغماء وكدمات بالصدر والرأس نتيجة الاعتداء عليه، وتم نقله إلى المستشفى بعد إصابته بأزمة قلبية.

ج- أحداث المترو: يعد مترو أنفاق القاهرة أحد أهم وسائل المواصلات بالقاهرة الكبرى وشريان حياة للعاصمة حيث ينقل يوميًا ما يزيد على ٢ مليون راكب، والتظاهر أو الاعتصام به يؤدي بالضرورة إلى شل حركه المرور، لكن هذا لم يثني الجماعة من أعمال عنف وتخريب.. وفيما يلي عرض لأبرز التظاهرات والتلفيات في مرفق مترو الأنفاق.

في ٢٩ أغسطس ٢٠١٣ أكد مصدر أمنى مسئول بوزارة الداخلية أنه في قرابة الساعة ٧:٣٠ م قام حوالي ٣٠٠ شخص من المنتمين لتنظيم الإخوان بالتظاهر داخل محطة مترو الأنفاق بمحطة العتبة، لمحاولة تعطيل حركة المترو، وقاموا بترديد عبارات مسيئة تخدش حياء جمهور الركاب مستخدمين (إسبراي) في كتابات مسيئة وعبارات مخلة، وتمكنت قوات شرطة النقل والمواصلات والعاملين بالمترو وجمهور الركاب من ضبط ١٢ منهم، وضبطوا بحوزتهم سلاح أبيض، وبعض اللافتات مُدون عليها عبارات مُسيئة للشرطة والقوات المسلحة، وتم اتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة حيال الواقعة.

في ٣٠ أغسطس ٢٠١٣، الإخوان يقتحمون عربة السيدات بالمترو لترويج مظاهراتهم والأمن يطردهم:

في ٣١ أغسطس ٢٠١٣، قام حوالي ٣٠٠ شخص من المنتمين لتنظيم الإخوان بالتظاهر داخل محطة مترو الأنفاق بمحطة العتبة، لمحاولة تعطيل حركة المترو، وقاموا بترديد عبارات مسيئة تخدش حياء جمهور الركاب مستخدمين (إسبراي) في كتابات مسيئة وعبارات مخلة، وتمكنت قوات شرطة النقل والمواصلات والعاملون بالمترو وجمهور الركاب من ضبط ١٢ منهم، بعدها أمر (على داود) رئيس نيابة وسط القاهرة الكلية، بحبس ١٠ من أنصار جماعة الإخوان المحظورة ٤ أيام على ذمة التحقيقات، وتسليم حدث لأهله، وإخلاء سبيل آخر بضمان محل إقامته، ووجهت النيابة لهم تهم الاعتداء على المنشآت الحكومية ومحاولة التخريب واعتلاء قضبان مترو الأنفاق لمحاولة تعطيله في منطقة العتبة.

وفي ١٨ سبتمبر ٢٠١٣ أمرت نيابة الساحل برئاسة المستشار خالد الإتربي رئيس النيابة حبس ٥ متهمين من الإخوان، ٤ أيام على ذمة التحقيق على خلفية ضبطهم مساء يوم الأحد الماضي، في محطة سانت تريزا بالساحل، أثناء محاولتهم تعطيل المترو بناء على دعوات لجماعة الإخوان المحظورة لقطع طريق المترو، وأسندت النيابة إلى المتهمين تهم البلطجة، وتعطيل المرور والمواصلات وتكدير الأمن والسلم العام، والانضمام إلى عصابة مسلحة بهدف إرهاب المواطنين.

وفي ٦ أكتوبر ٢٠١٣، قام أنصار المعزول بالاشتباك مع المواطنين بمحطة مترو حدائق القبة وإتلاف وتحطيم أثاث وقطارات المترو، وتمكنت الأجهزة الأمنية من ضبط ١٢ متهما، وتحرر عن الواقعة المحضر ١٥٣٢٩ لسنة ٢٠١٣ وأخطرت النيابة التي تباشر التحقيق، وانتقلت نيابة حدائق القبة برئاسة المستشار ياسر أبو غنيمة لمعاينة محطة مترو حدائق القبة، وأمرت النيابة بسرعة إجراء تحريات المباحث والأمن الوطني حول الواقعة، وكشفت المعاينة الأولية عن تحطيم المحطة ومقاعد الركاب وزجاج بعض القطارات ووجود حجارة وفوارغ طلقات خرطوش.

وفي ٧ أكتوبر: تم نشر أسماء المتورطين في أحداث الاعتداء على محطة حدائق القبة والبالغ عددهم ١٢ متهما، هم حاتم جمال محمد صابر وأحمد صابر أحمد وأحمد سيد محمد ومحمد محمود أحمد ومحمود رمضان نجم وعبد الله زكريا مصطفي وأحمد محمد السيد عبد العال ومصطفي محمد احمد علي وعبد الله أحمد محمد حسين، وأحمد محمد أحمد عباس وفؤاد فؤاد حسين ومرسي سيد محمد إبراهيم. وواجهت النيابة المتهمين بتهمة افتعال الشغب والبلطجة وإتلاف الممتلكات العامة وترويع المواطنين.

د- أحداث عامة.. اشتباكات مؤيدى الإخوان والأهالي أثناء مسيرة الزقازيق الأربعاء، ٢١ أغسطس ٢٠١٣: هذا وقد وقعت اشتباكات بين الأهالي والإخوان الذين كانوا يمرون بمسيرتهم في منطقة القومية بالزقازيق، وتبادل الطرفان الرشق بالطوب والحجارة. وتم تحطيم العديد من واجهات المحال التجارية،

فأغلقت المحال التجارية والعيادات الطبية، وتوقفت الاشتباكات بعد انسحاب الإخوان فور وصول مدرعات الجيش والشرطة للسيطرة على الموقف.

الاعتداء على كمين شرطة بسيدي جابر الأربعاء، ٢١ أغسطس ٢٠١٣: في هذا اليوم أصيب أمين شرطة (محمد صبحي عبد الفتاح)، بطلق ناري بالبطن كما أصيب أحد الأهالي بطلق ناري في ساقه، وذلك إثر إطلاق مسلحين النار على سيارة تابعة للشرطة بمنطقة سيدي جابر، وقال اللواء أمين عز الدين مدير أمن الإسكندرية: إنه أثناء تواجد سيارة شرطة النجدة بسيدي جابر لتأمين الطرق، وتمشيط المنطقة في موعد حظر التجوال، فوجئ أفرادها بموتوسيكل يستقله رجلان وسيدة منتقبة، أحدهم يحمل على رأسه شارة "وراك يا مرسى"، وأضاف عز الدين في تصريحاته أنه تم التعامل مع المسلحين وتم إلقاء القبض عليهم بعد مطاردة من باقي أفراد شرطة الكمين، وتم القبض على كل من زياد بسيوني وإسلام مرسى وعطيات عبد المحسن منتقبة، وبحوزتهم عدد ٢ بندقية خرطوش وطلقات آلية، وكشفت التحريات الأولية لمباحث الإسكندرية أن المتهمين قاموا بهذه العملية بقصد الانتقام من عنف الداخلية، بعد مصرع المئات في فض اعتصام ميداني رابعة العدوية والنهضة ومنعهم من تنظيم تظاهراتهم لنصرة الشريعة والإسلام على حد قولهم.

حادث محاولة اغتيال وزير الداخلية الخميس، ٥ سبتمبر ٢٠١٣: في محاولةٍ لاغتيال اللواء محمد إبراهيم – وزير الداخلية – في شارع مصطفى النحاس بمدينة نصر بالقرب من منزل الوزير في أثناء انتقال الوزير إلى مقر عمله في وزارة الداخلية بوسط القاهرة. انفجرت سيارة المفخخة خلال موكبه، وقد أسفر هذا الانفجار عن تدمير أربع سيارات للحراسة وإتلاف محال تجارية، بالإضافة إلى عربات بعض الأهالي، كما أسفر عن عدد من الإصابات في صفوف الحراسة الخاصة.

وأعلن الدكتور خالد الخطيب، رئيس الإدارة المركزية للرعاية الحرجة، أن الانفجارين اللذين استهدفا موكب وزير الداخلية، بالقرب من منزله بشارع مصطفى النحاس بمدينة نصر، أسفرا عن إصابة ٢٢ مصابًا بينهم مواطنة بريطانية، وأخرى صومالية، وطفل، وأكد "الخطيب" أن المصابين من الداخلية ١٢ من بينهم مقدم ورائد ونقيب وأمناء شرطة، ومن المدنيين ١٠ من بينهم طفل، وتم نقل ١١ حالة إلى مستشفى التأمين الصحي، و١١ إلى مستشفى الشرطة، من بينهم الطفل فارس حجازي شوقي، المصاب ببتر في مشط قدمه اليسرى، وجروح متعددة في الجسم، وأضاف رئيس الإدارة المركزية للرعاية الحرجة أن السائحة البريطانية تدعى (ديكا) كانت في موقع الحادث وقت وقوع الانفجار، وتم عمل بتر فوق الركبة اليسرى لها، وحالتها مستقرة، وأصيبت أمينة علي محمد، صومالية الجنسية، بكسور مضاعفة.. وأشار (الخطيب) إلى أن الإصابات تنوعت ما بين جروح وحروق وكدمات وكسور وبتر، مؤكدًا أن أسماء المصابين الذين تم نقلهم لمستشفى التأمين الصحي من بينهم ٢ مجندين، هم: (علي سيد عبد العظيم، خالد مشهور عاشور، البرنس أبو ضيف، نبيلة محمد أحمد، علاء فوزي محمود، حمدي محمد عبد المطلب، سامح صلاح، أحمد عصام إبراهيم، أحمد عادل فؤاد الدسوقي، والسائحتان البريطانية ديكا، والصومالية أمينة محمد علي، والطفل فارس حجازي شوقي).

يُذكر أن جماعة (أنصار بيت المقدس) أعلنت مسئوليتها عن محاولة اغتيال وزير الداخلية قبل ذلك، كما نشرت صورا تظهر لحظة تفجير الموكب، ونشرت جماعة (أنصار بيت المقدس)، مقطع فيديو علي موقع التواصل الاجتماعي YouTube كشفت خلاله عن تفاصيل محاولة اغتيال وزير الداخلية اللواء محمد إبراهيم في سبتمبر الماضي، وزعمت جماعة "أنصار بيت المقدس" أن منفذ العملية رائد سابق بالجيش المصري ويدعى وليد بدر وتم إقالته، وأنه نفذ غزوة الثأر لمسلمي مصر ضد "سفاح" الداخلية وأكدت الجماعة مقتله في تلك المحاولة.

حرق منزل مواطن بدمياط الأربعاء، ١١ سبتمبر ٢٠١٣: هذا، وكان عشرات المنتمين إلى جماعة الإخوان في مركز كفر البطيخ بدمياط، قد أشعلوا النيران في منزل حمدي الحفناوي، أحد أبناء كفر البطيخ، وذلك بعد الانتهاء من تشييع جنازة إبراهيم سليم الذي توفى إثر إصابته بطلق ناري في الرأس في تظاهرات الجمعة ٦ سبتمبر، وبعد الانتهاء من إجراءات الدفن قام عدد من المشيعين بإلقاء خطبة

مناهضة للقوات المسلحة، والفريق أول عبد الفتاح السيسى، واللواء محمد إبراهيم، ما ألهب مشاعر المشاركين فقاموا باقتحام منزل حمدي الحفناوي، الذي سبق أن اتهمه الإخوان بقتل سليم أثناء المظاهرات وأشعلوا النيران في طوابقه الثلاثة بعد سرقة محتوياته.

ضبط صانع قنابل يدوية بدمياط الثلاثاء، ١٧ سبتمبر ٢٠١٣: كما تمكن ضباط مباحث دمياط صباح يوم الثلاثاء ١٧ سبتمبر ٢٠١٣، من ضبط الإخواني (أيمن. ق. ش) (٢٤ سنة) من مدينة ميت أبو غالب مركز كفر سعد مصاب ببتر في أصابع اليد اليسرى وكسور في عظام الجمجمة وحروق سطحية في الوجه والجسم، وذلك على أثر قيامه بتصنيع قنابل يدوية داخل مسكنه، وبتفتيش المنزل عثر بداخله على جراكن من كربونات البوتاسيوم وحمض الكبريتيك ومواد شديدة الاشتعال وكميات من الأسلاك الكهربائية، ومواتير صغيرة تستخدم في عمل دوائر كهربية وكميات من الملابس العسكرية تخص القوات المسلحة والشرطة.

ضبط المتهم بحرق واقتحام قسم شرطة الوراق الخميس: وفي ١٩ سبتمبر ٢٠١٣ تمكن ضباط الإدارة العامة لمباحث الجيزة، ورئيس وضباط وحدة مباحث قسم الوراق، بالاشتراك مع الإدارة العامة للأمن المركزي والإدارة العامة للأمن الوطني بالجيزة، من ضبط القيادي الإخواني فارس إبراهيم عثمان القهوجي، (٥٦ سنة) تاجر قطع غيار دراجات بخارية، ومقيم بدائرة القسم، والمطلوب ضبطه وإحضاره في القضية رقم ٢٠١٣/٤٤٨١ إداري قسم شرطة الوراق، بشأن واقعة حرق واقتحام قسم الوراق وفرع شرطة النجدة وسرقة محتوياتهما.

أحداث الذكرى الأربعين لنصر أكتوبر على معشر يهود:

وفي يوم الأحد ٦ أكتوبر ٢٠١٣، أعلنت وزارة الداخلية عن ضبط متهم من أعضاء الجماعة المحظورة، خلال أحداث العنف التي شهدتها بعض المناطق بمحافظتي القاهرة والجيزة، إثر الاشتباكات التي وقعت بين الجماعة وبين قوات الأمن بالتزامن مع الاحتفالات الرسمية والشعبية التي تشهدها كل المحافظات بالذكرى الأربعين لنصر أكتوبر. وأكدت الوزارة في بيان لها أنه وفي إطار محاولات جماعة الإخوان حشد أنصارها في مسيرات لإفساد الاحتفالات والاحتكاك بالجماهير التي تشارك فيها ومحاولة الوصول إلى ميدان التحرير، قام عدد من أنصارها بإثارة الشغب بمناطق الدقي وبين السرايات بمحافظة الجيزة والتعدي على عدد من سيارات المواطنين وإضرام النيران بمكتب مرور الدقي وتحطيم واجهات مركز البحوث الزراعية وهيئة النظافة والتجميل وعدد من المحال التجارية، والاشتباك مع المواطنين قاطني تلك المناطق وإطلاق الأعيرة النارية والخرطوش بكثافة، وتمكنت قوات الشرطة من إحكام السيطرة على الاشتباكات وضبط ١٨٠ من العناصر المتورطة في تلك الأحداث.

كما قامت مجموعات أخرى بإثارة الشغب بشارعي رمسيس والجلاء، وشارع الكورنيش ومنطقة فم الخليج بمحافظة القاهرة، والتعدي على المواطنين ما نتج عنه حدوث اشتباكات استخدمت فيها الأسلحة النارية والخرطوش، حيث تدخلت على أثرها قوات الشرطة مستخدمةً الغاز المسيل للدموع، ما حال دون تفاقم التداعيات، وأسفرت جهود الأجهزة الأمنية عن ضبط ٢٤٣ من المشاركين في تلك الأحداث.

أحداث قرية بساط كريم الدين الدقهلية: وفي يوم الأحد، ٢٧ أكتوبر ٢٠١٣، أصيب ٤ من أهالي قرية بساط كريم الدين التابعة لمركز شربين بمحافظة الدقهلية، في اشتباكات بين عناصر جماعة الإخوان وأهالي القرية.. وكانت عناصر جماعة الإخوان بالقرية نظمت مسيرة للمطالبة بعودة الرئيس المعزول محمد مرسي للحكم مرة أخرى وردد المشاركون في المسيرة هتافات ضد القوات المسلحة وقائدها العام الفريق أول عبد الفتاح السيسي، ما تسبب في وقوع اشتباكات بين أهالي القرية وعناصر الإخوان، استخدمت فيها الأسلحة البيضاء والحجارة.. وأصيب في الاشتباكات كل من: (الدسوقي إبراهيم الدين) مصاب بجرح قطعي في الرقبة والرأس، (باسم محمد الباز) مصاب بجرح قطعي في اليد اليسرى، (أدهم صبري حجازي) مصاب بجرح قطعي في اليد اليمنى، و(محمد صلاح محمد) مصاب بجرح قطعي في الرأس.. ونقل المصابين إلى مستشفى الطوارئ بجامعة المنصورة لتلقي العلاج اللازم، وحرر أهالي المصابين محاضر بالواقعة.

واقعة صفع سيدة "مسنة" على وجهها بالقلم أثناء محاكمة د. مرسي: حدث ذلك يوم الاثنين، ٤ نوفمبر ٢٠١٣، حيث قام أحد أنصار جماعة الإخوان، بالاعتداء على سيدة مسنة بالصفع على وجهها، أثناء محاكمة الرئيس المعزول محمد مرسى، بأكاديمية الشرطة ظهر اليوم، على وقع أولى جلسات محاكمة الرئيس المعزول، بأحداث الاتحادية التي راح ضحيتها العشرات ما بين قتيل وجريح([1]).. وكانت السيدة تقوم برفع صورة لوزير الدفاع الفريق عبد الفتاح السيسى، أثناء محاكمة الرئيس المعزول. وكان العشرات من المواطنين المطالبين بالإعدام للرئيس المعزول، قد تجمعوا أمام مقر أكاديمية الشرطة، رافعين صورا للفريق السيسى، وصورا لشهداء الاتحادية وأعلام مصر.

إصابة ٣ من الشرطة و١٠ أهالي أمام محكمة الإسكندرية الاثنين ٤ نوفمبر ٢٠١٣: وقد ذكر اللواء أمين عز الدين، مساعد الوزير لقطاع أمن الإسكندرية، أنه صباح ذلك اليوم تحركت بعض المسيرات لأشخاص ينتمون لجماعة الإخوان، مرددين هتافات ضد الجيش والشرطة والنظام الحالي، معطلين المواصلات العامة والخاصة، وحدثت مناوشات واشتباكات وتراشق بالحجارة وزجاجات المولوتوف بين المشاركين في المسيرة وبعض الأهالي، وقام الإخوان بإطلاق الألعاب النارية والأعيرة الخرطوش تجاه القوات والأهالي أمام المحكمة البحرية دائرة قسم شرطة المنشية، وتدخلت القوات ونتج عن ذلك إصابة ٣ من القوات وهم كل من عريف عادل إبراهيم السيد، أصيب برش خرطوش بالقدمين، وعريف سعداوي عبد السلام عوض أصيب برش خرطوش بالقدم اليمنى، وعريف حسن محمد موسى أصيب بكدمة بالوجه وجميعهم من قوة وحدة مباحث القسم، وإصابة ١٠ من الأهالي بإصابات مختلفة، واتهم المصابون الإخوان بإحداث إصابتهم وإحداث تلفيات بأتوبيس نقل عام وتمكنت القوات من ضبط ٢٧ متهمًا بحوزتهم ١٧ زجاجة مولوتوف، وزجاجة ماء نار، وقناع واقٍ من الغاز وحقيبة بداخلها كمية من الحجارة.

أحداث قرية عرب الرمل محافظة المنوفية الأربعاء: وفي ٦ نوفمبر ٢٠١٣، تمكنت مباحث المنوفية من السيطرة على اشتباكات نشبت بين أعضاء جماعة الإخوان وأهالي قرية عرب الرمل بمدينة قويسنا، عقب تنظيم الإخوان لمسيرة مساء الثلاثاء، بالقرية وترديدهم هتافات مناهضة للقوات المسلحة والشرطة، ما أثار غضب الأهالي ونشبت اشتباكات بالحجارة نتجت عنها إصابة ٤ من أهالي القرية، وتمكن الأهالي من تفريق المسيرة، وطاردوا أعضاء المحظورة في الشوارع الجانبية، وأسفرت الاشتباكات عن إصابة كل من: محمود السيد وعبد المنعم احمد وعبد الله السيد وعبد الرحمن السيد بإصابات طفيفة ما بين كدمات وجروح، وتم نقلهم إلى مستشفى قويسنا المركزي.

حادث اغتيال المقدم محمد مبروك الضابط بقطاع الأمن الوطني: وكان ذلك في يوم الأحد، ١٧ نوفمبر ٢٠١٣، حيث استهدف مجهولون المقدم محمد مبروك الضابط بقطاع الأمن الوطني والمسئول عن متابعة نشاط جماعة الإخوان، أثناء خروجه من مسكنه بجوار مول السراج بمدينة نصر، وأطلقوا عليه وابلا من الأعيرة النارية، ليصاب بـ٧ طلقات، أدت إلى مقتله وسط حالة من الرعب انتابت المتواجدين بالمنطقة.. يُذكر أن المقدم محمد مبروك هو أحد الشهود الرئيسيين في قضية هروب السجناء من سجن وادي النطرون والمتهم فيها الرئيس السابق محمد مرسي، وكان من المنتظر أن يدلي بشهادته في الجلسة القادمة لمحاكمته، وقد أعلنت جماعة (أنصار بيت المقدس) مسؤوليتها عن اغتيال المقدم محمد مبروك

([1]) وتجدر الإشارة أن هناك ممن يمثلون تيار الإخوان، من شهد بأن مرسي هو المسئول عن أحداث الاتحادية، ونذكر منهم: د. سيف عبد الفتاح أستاذ العلوم السياسية: فقد نشرت أخبار ٢٢/ 9/ ٢٠١٥ قول د.سيف عبد الفتاح مستشار الرئيس الأسبق محمد مرسى: (إن مرسى كان يمتلك القرار أيام أحداث الاتحادية)، لافتًا إلى أن (المعزول هو المسئول عن أحداث الاتحادية)، وأضاف سيف عبد الفتاح خلال تصريحات تليفزيونية، (أن الرئيس المعزول مرسى حينما خاطب وتحدث أيام وقائع الاتحادية، خاطب أنصاره فقط)، وتابع أستاذ العلوم السياسية:

(إن استقالته من المجلس المعاون لمرسى كانت مبررة، خاصة بعد سقوط دماء أمام قصر الاتحادية).. وقد أيد ذلك ساعتها: طارق الزمر رئيس حزب البناء والتنمية والهارب إلى قطر، مدافعًا عن سيف عبد الفتاح بعد هجوم نجل الرئيس الأسبق محمد مرسى عليه، وقال الزمر في مقال على أحد المواقع الإخوانية:

(إن استقالة سيف الدين عبد الفتاح من منصب مستشار مرسى.. هي فعلًا هروب من مسار كان واضحًا أن مرسي قد وقع أسيرا له ولم يعد بقدرة أحد أن ينصحه بالتراجع)، وأضاف رئيس حزب البناء والتنمية، (أن محمد مرسى هو المسئول عن أحداث الاتحادية والدماء التي سالت فيها، وأن هذا يعد مسألة بديهية).

الضابط بالأمن الوطني ومسئول ملف جماعة الإخوان، والذي لقي مصرعه الأحد، أمام منزله بمدينة نصر.. وقالت جماعة أنصار بيت المقدس، في بيان لها نشر على شبكة الانترنت، إنها "قامت باغتيال المقدم محمد مبروك رئيس ما يسمى بنشاط التطرف الديني، وهو أحد أكابر طغاة أمن الدولة، وذلك ردًا على ما قام به هذا الجهاز الخبيث من اعتقال للنساء الحرائر العفيفات واقتيادهن للتحقيق في أقسام الشرطة ومقرات أمن الدولة، وتأتي هذه العملية المباركة ضمن سلسلة عمليات (فك الأسيرات من أيدي الطغاة)"، بحسب البيان.

وقالت الجماعة في بيانها، "إنه تم تكليف سرية (المعتصم بالله) بتحرير الأسيرات وتعقب كل من ساهم وشارك في أسرهن من ضباط وأفراد وزارة الداخلية، فبدأت بفضل الله وحده بقتل أخطر هؤلاء المجرمين المطلوبين وأشدهم عدوانًا على المسلمين في عقر داره وأمام بيته جزاءً وفاقًا وإنا لأمثاله لبالمرصاد"، على حد تعبيرها، وقالت (أنصار بيت المقدس): "إلى الأحرار الشرفاء في مصر وربوعها، ماذا تنتظرون بعد اعتقال نسائكم وانتهاك أعراضكم، هبوا للدفاع عن أعراضكم ولو ذهبت في ذلك أرواحكم، فمن قتل دون عرضه فهو شهيد كما أخبر بذلك رسولنا ﷺ الذي أخرج يهود بني قينقاع وأجلاهم عن ديارهم بسبب الاعتداء على امرأة واحدة، فكيف بنا وقد اعتقلت مئات النساء واعتديَ عليهن"، بحسب ما جاء في بيان جماعة أنصار بيت المقدس.

حادثة ذبح سائق تاكسي بالمنصورة: وكان ذلك يوم الاثنين، ١٦ ديسمبر ٢٠١٣، حيث قام العشرات من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بالاعتداء على سائق تاكسي يدعى (محمد جمال الدين بدير عثمان) ٣٤ سنة – يعمل موظفًا بشركة (بتروجت)، ولديه طفلان، ٥ سنوات، و٣ سنوات – بالضرب المبرح، ولم يكتفِ أحدهم بذلك حتى طعنه وسط الزحام بآلة حادة في رقبته، فقتله على الفور، وذلك بعد أن تم تحطيم سيارته وإحراقها، وأعلنت مديرية أمن الدقهلية وقتها أن الواقعة حدثت بعد مشادة نشبت بين المشاركين في المسيرة وسائق التاكسي بسبب أولوية المرور من قبل السائق، الذي أطلق آلة التنبيه ليتم إفساح الطريق له، فقام أعضاء الجماعة بإخراج السائق من السيارة وانهالوا عليه ضربًا بالأسلحة البيضاء حتى سقط غارقًا في دمائه وقاموا بإشعال النار في السيارة، وأكدت التحريات الأولية أن السائق مقيم بمنطقة سندوب، وأشار التقرير الطبي الأولي إلى أن سبب الوفاة جرح غائر بعمق ٥ سم في الرقبة، ومن روايات الأهالي حول حقيقة الواقعة، قال شاهد عيان يدعى (محمد عبد المنعم):

إن "المئات من أنصار جماعة الإخوان خرجوا في تظاهرة من مسجد الشناوي بشارع الجيش عقب الانتهاء من صلاة المغرب، وتحركوا بتظاهراتهم المنددة بالقوات المسلحة وسط ترديد هتافات معادية للجيش والشرطة، وهو ما استفز مشاعر كثيرين من أبناء المنصورة المحبين للقوات المسلحة، في حين وصلت المظاهرة إلى منطقة المعهد الديني، جاء الضحية وحاول المرور من الشارع، إلا أنه فشل بسبب إغلاق المظاهرة للشارع، فقام السائق بإعطاء نفير أكثر من مرة وبدأ في محاولة المرور من المسيرة وقام برفع شارة النصر في وجه الإخوان في أثناء مروره وهو يهتف (سيسى سيسى)، فما كان من شباب الإخوان إلا أن هاجموا سيارته وإنزاله منها وحرقها وسحله، لنفاجأ بعد ذلك بأنه لقي مصرعه بعد أن طعنه أحدهم وسط الزحام بآلة حادة في رقبته"، لكن شاهدًا آخر يدعى مصطفى إبراهيم، أفاد بأن "سائق التاكسي لم يتحمل الانتظار فتحرك وراء المسيرة وأعطى (كلاكس) أكثر من مرة لإفساح الطريق، ولما لم يستجب له الإخوان اقتحم المسيرة من الخلف ودهس عدة سيدات قبل أن يستوقفه الشباب ويحرقوا سيارته ويعتدوا عليه حتى الموت، وتم نقل سيدة من المشاركات في التظاهرة إلى مستشفى طوارئ المنصورة في حالة خطيرة".

حادثة تفجير مدرية أمن الدقهلية الثلاثاء: وكان ذلك في صباح ٢٤ ديسمبر ٢٠١٣، حيث وقع تفجير أمام المدرية، فيما كشفت السلطات المصرية عن بعض من التفاصيل التي لفت حادثة تفجير مركز أمن الدقهلية بمنطقة المنصورة، صباح الثلاثاء، بحسب ماً نشره موقع التليفزيون المصري الرسمي، وبين التقرير أن "النائب العام أمر بإجراء معاينة لموقع حادث التفجيرات بمبنى مديرية أمن الدقهلية بالمنصورة، وأن المعاينة المبدئية قد كشفت عن أن الانفجار أدى لوجود حفرة عميقة بجوار مدخل

مديرية الأمن، من المرجح أن تكون هي نقطة بداية الانفجار، وأن تلك الحفرة تبعد عن مدخل الشارع المؤدي إلى باب المديرية بنحو ستة أمتار"، وأشار التقرير إلى "وجود حطام أسفل الركام الذي خلفه الحادث بجوار تلك الحفرة بما قد يشير إلى أنها كانت تحمل العبوة الناسفة وأن قائدها قد تمكن من اجتياز الحاجز الأمني المانع لعبور السيارات بخلاف سيارات الشرطة"، وبين التقرير أن "الانفجار خلف آثارًا تدميرية هائلة بالمبنى من جهة شارع العباسي بالجهة الغربية من مديرية الأمن امتدت إلى المحلات والعقارات ومساكن المواطنين المجاورة للمبنى على امتداد نحو كيلومتر، كما امتدت من شدة الانفجار إلى المباني الكائنة بمدينة طلخا بالضفة الأخرى للنيل الذي يبلغ عرضه ما يزيد عن مائة متر مما أحدث بمبانيها تلفيات بالغة"، وقد أعلنت جماعة أنصار (بيت المقدس) مسئوليتها على عملية التفجير الذي استهدف مديرية أمن الدقهلية في الساعات الأولي من صباح (الثلاثاء)، وأسفر الحادث عن استشهاد ١٣ شخصا وإصابة نحو ١٣٤ آخرين، حسبما أعلنت وزارة الصحة والسكان.

خاتمة: هذا، وقد قال المركز: إن التقرير رصد انتهاكات جماعة الإخوان القابلة للتوثيق، مع العلم أن هناك العديد من الوقائع الأخرى لجرائم قتل وتعذيب واعتداء وإتلاف منشآت ارتكبها أنصار جماعة الإخوان في بعض المدن، لم نستطع ذكرها بسب عدم توفر أدلة التوثيق الكافية، وقال المركز، في ختام التقرير، "سوف نستمر في رصد جرائم وانتهاكات أنصار جماعة الإخوان، خاصة بعد إعلان الحكومة رسميًا في ٢٥ ديسمبر ٢٠١٣ أن جماعة الإخوان جماعة إرهابية، في محاولة للتعرف علي الاستراتيجيات القادمة لتلك لجماعة في حال توقف أو استمرار مسلسل العنف".

ثانيًا: استئثار واعتقاد جماعة الإخوان أنهم جماعة المسلمين وأصحاب الخلافة.. أفشل الجهاد في سوريا ومكن لـ (طاغية سوريا)، وكاد أن يعصف بـ (ليبيا واليمن) وغيرهما لولا أن الله سلّم

هذا، ولا ينبغي أن ينسينا ما يذكره إخوان (سوريا وليبيا واليمن) من: دعاوى للجهاد هي في حقيقتها سلسلة من الهزائم المنكرة، ما يجرمونه بحق (مصر) في الآونة ذاتها من: استشهاد ٦ وإصابة ٣ من رجال شرطتها في انفجار بجوار مسجد السلام بالهرم، على إثر عبوتين شديدتي الانفجار تزن ٥ كيلوجرامات قامت خلية (حسم) الإخوانية بتفجيرها قبل صلاة جمعة ٩/ ١٢/ ٢٠١٦، ومن تفجير سيارة شرطة في كفر الشيخ قبلها بيوم واحد، أسفر عن مقتل أحد المارين وإصابة اثنين ونجاة ٦ من أفراد الشرطة من موت محقق، ومن تفجير انتحاري نفسه بعدها مباشرة وتحديدًا الأحد ١١/ ١٢، بحزام ناسف شديد الانفجار داخل قاعة الصلاة بالكنيسة البطرسية الملاصقة للكاتدرائية المرقسية بحي العباسية، وقد أسفر ذلك الانفجار عن مقتل ٢٥ وإصابة ٤٩ بينهم أطفال وسيدات، كما أحدثت القوة التدميرية آثارًا كبيرة أدت إلى انهيار معظم أبواب وحوائط مكان صلاة القدَّاس، وقد حاول الإخوان كعادتهم التملص من مسئوليتهم عن وقوع الحادث، إلا أن سرعة التعرف على جثة الجاني ويدعى (محمود شفيق محمد) والعثور على هاتفه المحمول وبه أرقام آخِر من تواصلوا معه، واعتراف بعضهم، وكشْف (النائب عبد الرحيم علي) عما أصدره (المجلس الثوري الإخواني) ضد الكنسية قبل التفجير بخمسة أيام، حال دون ترويج أكاذيبهم في إلصاق التهمة بأذرعهم.. الأمر الذي أحدث ردود فعل غاضبة على المستوى المحلي والعربي والدولي بهذا الخصوص وبخصوص الفتاوى الصادرة من قبل القرضاوي والتي سبق أن أفتى فيها بمشروعية العمليات الانتحارية، وتفعيلها من قِبل (المجلس) على الواقع المصري.

على أن تلك الأحداث تجعلنا نؤكد أن ما يروجه الإخوان من دعاوى الجهاد في الدول السالفة الذكر وغيرها، لا يعدو أن يكون صراعًا على السلطة وكراسي الحكم وسعيًا لخلافة موهومة ونُصرة لعَصَبة، ولا يمكن أن يكون بحال في سبيل الله، والواقع يشهد بهذا، وبأن الذي يدَّعي الجهاد هو عينه الذي يستحل الدماء المعصومة، ومن ثم فالقتال تحت رايتهم العُمّيّة باطل، ذلك أن سنة الله قاضية بأنه سبحانه لا يصلح عمل المفسدين.. وقد كنت في يوم ما من أشد المتحمسين للجهاد في (سوريا) لما وقع على شعبها من ظلم بيِّن، وذلك إبان ظهور بوادر انقلاب عسكري على الجيش النظامي، وبوادر تمردٍ مما عرف وقتها بـ (الجيش السوري الحر)، إلا أن تدخل الإخوان السافر في سوريا وركوبهم الموجة كما فعلوا في مصر

ومن قبل في أفغانستان أفشل كل شيء، وأدى إلى استعانة طواغيتها بروسيا وإلى ما نراه في سوريا الآن من إهلاكٍ للحرث والنسل.

ويبقى قوله ﷺ فيما رواه مسلم في باب (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند الفتن): (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة – أي: المتبعة لهدي النبي ﷺ وصحابته وهي ليست بالطبع جماعة الإخوان – فمات، مات ميتة جاهليه، ومن قاتل تحت راية عُمِّية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة، فقُتل، فقِتلةٌ جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرها، ولا يَتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه).. ويبقى كذلك تأصيل الإخوان لمخالفة الهدي النبوي في هذا، مما سنذكره للقرضاوي بعد قليل، ومن قبله أ.سعيد حوى السوري في كتابه (من أجل خطوة إلى الأمام) ص٤٠، قائلًا بعد أن ساق الحديث السالف الذكر، وساحبًا إياه على من خالف جماعته التي عدها دون سواها (جماعة المسلمين)، وإمامها الذي عده دون سواه (ولي أمر للمسلمين): "وعلى كل مسلم ألا ينتسب لتنظيم أو جهة ليست من الجماعة، لأن الطاعة لا تجوز إلا لولي الأمر من المسلمين، وتحرم على غيرهم اختيارًا".

أضيف: ويبقى حديث الرسول وتحريفهم إياه عن مواضعه شاهدي صدق على فشل وبطلان وعدم مشروعية ما يكون على هذا الحال من الجهاد الإخواني، فما كان جهادهم يوما ما ومنذ أن نشأت جماعتهم وعلى مدار تاريخهم الطويل، إلا: لأجل سلطة أو منازعةٍ للأمر أهله ولو تعلق الأمر بدولة تطبق الشريعة كالسعودية كما هو حاصل الآن، وإلا: لأجل الجماعة وفي سبيل ما ادعته من خلافة ليست كما أخبر النبي في قريش ولا هي على منهاج النبوة، وإنما على منهاج إبليس وفرق الخوارج.

أ- انقلاب (الجيش السوري الحر) الذي أفشلته جماعة الإخوان، استئثارًا بالحكم وقفزًا على الثورة وصراعًا على السلطة:

وتحت عناوين: "قيادي بالجيش الحر: الإخوان أضروا بالثورة السورية.. (العواك: خيرت الشاطر التقى أشخاصًا تابعين لنا في تركيا، وسعى لهدم الجيش الحر".. كان نص حوار أجرته جريدة (الوطن) المصرية بتاريخ ٩/ ١٠/ ٢٠١٤ مع العميد (حسام العواك) نائب قائد تجمع الضباط الأحرار بـ (الجيش السوري الحر) وهو ذات الاسم الذي سرقه الإخوان منهم فيما بعد وأطلقوه على أتباعهم، وقد جاء فيه ما ملخصه: "في الطابق الثاني من العقار الكائن في أحد الشوارع الفرعية بمدينة نصر، وبعد دخولنا عبر بوابة مؤمَّنة جيدًا واتصال هاتفي من الحارس بالعميد حسام العواك، أصدر أوامره بالسماح لنا بالدخول.. شقة واسعة أشبه بغرفة عمليات حربية بها سرير يتسع لفرد واحد وخريطة لسوريا معلّقة على الحائط ومنضدة عليها كاميرا وجهاز كمبيوتر ولاب توب وأوراق كثيرة لم نطَّلع منها إلا على القليل، قابلَنا (العواك) وهو رجل ضخم ذو شعر أبيض وجهه أحمر اللون، بدلته العسكرية بالإضافة إلى ملامحه تضفيان عليه هيبة القادة، وكشف (العواك) لـ (الوطن) عن العديد من الأسرار بشأن علاقة (إخوان سوريا) بالاستخبارات التركية وكيفية دخول الأسلحة القطرية إلى التنظيمات الإرهابية المسلحة، وأكاذيب إخوان مصر بشأن دعم الثورة السورية، وعلاقة الاستخبارات الإيرانية بتنظيم (داعش).. وفجَّر (العواك) مفاجأة حول: حقيقة (أبي بكر البغدادي)، وكيفية التواصل بين قيادات الجيش السوري الحر في الداخل والخارج، وكشْفٍ بأسماء قيادات المعارضة التي قابلت سياسيين إسرائيليين في ألمانيا، وبأسماء المصريين الذين يحاربون في صفوف الجيش النظامي".

وعندما سئل (العواك) عن وضع (الجيش السوري الحر) على الأرض؟، كان جوابه: "الجيش السوري الحر بغض النظر عن الكتائب والمسميات على الأرض، لا يزال متماسكًا، وتَجَمُّعُ الضباط الأحرار يقود المرحلة الحالية فيما يتعلَّق بالكتائب المقاتلة، لاسيما وأن جميع الضباط المنشقين داخل سوريا، باستثناء عدد منهم، مكلَّفون بمهام معينة يقومون بها خارج سوريا، وخاصة فيما يتعلَّق بالتنسيق مع الدول الصديقة وأجهزة استخبارات مختلفة".. وعن مدى تأثير تركيا على الثورة السورية، أجاب بقوله: "قامت المخابرات التركية برئاسة (هاجان فيدان)، بالتنسيق مع جمعية (مرمرة) التي تعمل تحت إمرة الإخوان المسلمين في تركيا، وجمعية أخرى اسمها (هاخاء) وهناك تداخلات مع (المافيا التركية)، وقاموا بإدخال

عدد هائل من المقاتلين القادمين من أفغانستان والعراق وليبيا ولواء كامل بمدرعاته ودباباته بحرًا إلى سوريا ليقاتل إلى جانب (داعش سوريا)، ويُدعى (لواء الأمة)، والآن تم سحب هذا اللواء من سوريا ليقاتل في معركة طرابلس برئاسة (مهدي الحاراتي)، فيما يسمى بعملية (فجر ليبيا)".

وعن دور المخابرات التركية والإيرانية في إفشال (حركة تمرد الجيش السوري الحر) الشرعية، يقول (العواك): "لقد خرقت تركيا جميع المعاهدات التي وقَّعت عليها من خلال تسهيلها دخول الجماعات المتطرفة والمطلوبين دوليًا إلى الأراضي السورية، ومن بين هؤلاء: الهاربون من سجن (بوكا وأبو غِريب) بالتنسيق مع المخابرات الإيرانية([1])، وهناك أيضًا تنسيق قطري كطرف ثالث معْنيّ بشأن الملف السوري، كما استغلَّت إيران التحول التركي بشأن إسرائيل وقامت بعمليات غسيل أموال في مشاريع مقامة في تركيا بسبب الحصار الاقتصادي على إيران لأجل الملف النووي، وكان المسئول عن هذه العمليات هو أيضًا (هاجان فيدان).. ومن هربوا من سجن أبو غريب قامت المخابرات الإيرانية باستلامهم والتحقيق معهم ودخلوا لسوريا عن طريق تركيا.. وكانت قواتنا تتمركز حينها من (مدينة تعزاز) وحتى (مدينة الباب)، وعرضوا مساعدتهم علينا، وبعد التحقق من هوياتهم اكتشفنا أنهم ضباط سابقون في المخابرات العراقية أثناء حكم صدام حسين، وفجأة انسحبوا من المعسكر بدون علمنا وشكَّلوا فيما بعد تنظيم (داعش) بعدما أقنعوا مائة مقاتل من (قوات الجيش السوري الحر) بأن يرحلوا معهم، بالإضافة إلى إقناع مقاتلين من (كتائب الحق ونور الدين زنكي وعاصفة الشمال) براتب ٦٠٠ دولار، ومن هو متزوج يزيد راتبه ١٠٠ دولارًا وعلى كل طفل ٥٠ دولارًا، وكان هذا نوعًا من الإغراء حدث على إثره انشقاق في (الجيش الحر)، حيث إننا كنا حينها نعاني من نقص الأموال والسلاح والإمداد".

وعن دور إيران وتمويل قطر وتركيا لتنظيم داعش وأثر ذلك بالسلب على (حركة تمرد الجيش الحر) الشرعية، يقول (العواك): "داهمنا بؤرة لـ (داعش) ووجدنا جوازات سفر إيرانية واعتقلنا عناصر من مصر وتونس وليبيا، وحررنا رهائن كانوا معتقلين من (الجيش الحر) وتمت عملية المبادلة، كما رصدنا فيما بعد لقاءات بين مؤسسي داعش مع ضباط قطريين وأتراك في مدينة (جازي عنتاب)، ما أدى إلى مسارعتنا بتأسيس غرفة عمليات لمتابعة التنظيمات الإسلامية المقاتلة بسوريا، واكتشفنا أن تمويل تلك التنظيمات من قطر، وتمر من معبر (بارصايا)، وفيما بعد وصلنا لمرحلة الصدام حيث قاموا بالهجوم على مقراتنا، وهذا كان نتيجة الخطأ الفادح الذي كنا قد ارتكبناه، فقد تعرفوا جيدًا على مقاتلينا وطبيعة الأرض وخُططِنا الحربية أثناء وجودهم معنا بالمعسكر منذ شهر أبريل ٢٠١٢ وحتى شهر أغسطس ٢٠١٢".

وعن خداع وكذب إخوان مصر وعن ادعاءاتهم دعم الثورة السورية، يكشف (العميد حسام العواك) عن أن "جميع تصريحات (صفوت حجازي ومحمد بديع) بشأن دعم الثورة – وبالطبع: بيانات الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح برعاية خيرت الشاطر – كانت كاذبة، حيث إن الاتصال الوحيد بين الجيش السوري الحر وجماعة الإخوان المسلمين في مصر لم يكن مع (قيادات الجيش السوري الحر)، ولكن كان مع أشخاص يعملون لصالحنا وليسوا ضبّاطا في الجيش الحر، وكان ذلك في فندق (أورانتوس) في تركيا، حيث كان خيرت الشاطر ممثل الجماعة يهدف في هذا الاجتماع إلى إنهاء فكرة (الجيش السوري الحر) وظهور تنظيمات إسلامية" جُمعت فيما بعد تحت نفس المسمى.

يقول (العواك) بالحرف الواحد: "إخوان مصر لعبوا دورا حقيرًا في الثورة السورية، حيث أظهروا أنفسهم على أنهم داعمون لنا، ولكنهم لم يرسلوا قطعة سلاح واحدة للجيش السوري الحر كما زعموا، وأثناء حكم الرئيس المعزول (محمد مرسي) استغلَّت نقابة الأطباء المصرية السوريين في بعض الفعاليات، وأثناء اعتصام رابعة شارك سوريون تم إغراؤهم بمبالغ تتراوح ما بين ٣٠٠ إلى ٥٠٠ جنيه للفرد الواحد، وكان هناك سوريون حملوا السلاح في أحداث الحرس الجمهوري بمبلغ ١٠٠٠ جنيه،

([1]) لاحظ تلاعب إيران بـ (تركيا والإخوان)، ولاحظ إيقاعها في نفس الوقت بأهل السنة في (اليمن والسعودية والعراق وسوريا) في فخاخ حروب لا معنى لها سوى: بسط سيطرتها وتنفيذ مشروعها الفارسي، وتدمير الشعوب المسلمة السنية وتدمير مقدراتها، وتنفيذ ما تخطط له أجهزة المخابرات اليهودية والصليبية

وكان التنسيق يتم عن طريق طبيب سوري مقيم بالقاهرة، كما أن الأموال التي جُمعت للثورة السورية في مصر تم تحويلها إلى قطاع غزة الفلسطيني".

وعن دور إخوان مصر في استقطاب أقرانهم السوريين لاتساع الهوة وإفشال الثورة السورية يقول العواك: "قبل انشقاق عدد كبير من الضباط من (الجيش السوري الحر) كانت لدينا خلايا داخل النظام السوري قبل الثورة، وكان معظمنا شارك في محاولة الانقلاب عام ٢٠٠٨، ثم ظهر (رياض الأسعد) وكان من أوائل الضباط المنشقين وأطلق على الكيانات العسكرية المنشقة (الجيش السوري الحر)، ونتيجة لشخصيته الضعيفة هرول عليه الإخوان مع جهات أخرى لتأمين لقاءات له مع أجهزة الاستخبارات البريطانية والأمريكية، وحصل على شقة في إسطنبول وراتب شهري، وألقى خطبة على سكايب في حفلة نظمها إخوان الكويت وحصل على ٣ ملايين دولار، ومن ثم أسس شركة مواد غذائية، ولم يهتم فيما بعد بالجيش السوري الحر وخانه لصالح الإخوان من أجل تحقيق هدفهم، وهو: تهميش دور الضباط المنشقين في الجيش السوري الحر".

ونكتفي بهذا القدر لنعرف كيف رَكِب إخوان سوريا الثورة على غرار ما فعله إخوان مصر وتونس، وكيف استعانوا بكل شياطين الأرض، لينصبوا رايتهم العُمِّية ويدخلوا بها في صراع جديد مع السلطة الحاكمة الآن بعد أن فشلوا وأفشلوا كل شيء، دون أن يأخذوا العبرة مما أحدثوه من قبل مع (حافظ الأسد) حين دمر (حماه) بالكامل وكان منهما ما كان، بل وبعد أن خلقوا – في واحدة من تناقضاتهم العجيبة – صراعًا طائفيًا وعِرقيًا ومذهبيًا بين السنة والشيعة دمر سوريا بأكملها وراح ضحيته – ولا زال – الملايين ما بين قتيل وجريح ومشرد، ليصنعوا من كلِّ مظلوميات أجادوها باقتدار، يستروا من ورائها سوآتهم وما تسببوا هم فيه من خراب ودمار وسفك للدماء، ويضحكوا بها على السذج من أهل السنة وما أكثرهم في زماننا، ولا أحد يعلم إلا الله إلام يصل الحال وعلام ينتهي، وإلى الله وحده المشتكى.

ب- الإخوان بادعائهم أنهم أوصياء على أمه محمد ﷺ وأنهم دون سواهم (جماعة المسلمين)، هم: من يحاربون لعصبية؛ وإلا فأين نصر الله لهم؟

ومما يجب أن يُتنبه له، أنه: حتى في ظل معاناة بعض الدول أو الأقليات الإسلامية ممن لا تجد اهتماما ولا جهودًا تذكر في رفع مِحَنِها من المجتمع الدولي ولا حتى من نظيراتها المسلمة، من نحو ما يجري على سبيل المثال في (الأحواز) و(بورما) الآن ولهما نظائر فيما مضى، وفي سبيل محاولة التخفيف أو قل التعاون على صد العدوان أو الدفاع عن هذه الفئات المظلومة التي ترزح تحت نير ما لا يطاق من ألوان الظلم والجبروت والعدوان والإبادة والقتل والتعذيب، أقول:

في ظل هذه الأجواء قد تجدُ فتاوى مرجوحة تجيز الجهاد بـ (غير إذن الوالدين)، أو بـ (دون إمرة) أو (وراء إمام غير ممكن).. لكن لا تجد لا في السابق ولا في اللاحق من يجيزه بحال (تحت راية عُمِّية) تغضب لعَصبة أو لجماعة ذات نظرة ضيقة، وهذا ما يغيب عن كثير من شبابنا وعلمائنا للأسف، وقد دفعني لسوق هذا الكلام ما رأيته مؤخرًا من فتوى للقرضاوي – وهو بعدُ إمام جماعة خارجية غير ممكنة – تقول بجواز القيام بأعمال انتحارية وضد مَن؟، ضد أناس معصومةٍ دماؤهم وضد أهدافِ وأنظمةِ دول محسوبة على الإسلام، ولا يشترط الشيخ لذلك سوى استئذان الجماعة ويقصد بها جماعته (جماعة الإخوان).. يقول ردا على سؤال أحد المذيعين حول تفجير شخص ما نفسه ليستهدف تجمعا تابعًا لنظام جائر برأيه ولو نتج عنه خسائر في صفوف المدنيين: "إن الأصل في هذه الأمور أنها لا تجوز إلا بتدبير جماعي"، وما كان من أتباعه المضحوك عليهم إلا أن أسقطوا فتواه هذه الضالة المضلة على الواقع المصري، وقد قابل وجماعته الأمر ونتائجه بصدور رحبة، وكان من ثمرة ذلك ما نسمعه كل حين، وآخر ذلك وليس آخرًا ما عنونا به هذا المبحث.

وإن تعجب فعجب أن تقرأ لهذا القرضاوي، قوله في تأصيل ما شرعه من الدين مما لم يأذن به الله: "لازم الجماعة ترى أنها في حاجة إلى هذا الأمر، وإذا رأت الجماعة أنها بحاجة إلى أنه يفجر نفسه في الآخرين ويكون أمرًا مطلوبًا، وتُدَبِّرُ الجماعة كيف يفعل هذا وبأقل الخسائر الممكنة، ولكن لا يمكن أن يُترك هذا لأفرادٍ لوحدهم، ولا يُترك الفرد يتصرف لوحده في هذا الأمر، أنت تتصرف في حدود ما تراه

الجماعة وتسلم نفسك للجماعة، والجماعة هي التي تصرِّف الأفراد حسب حاجاتها وحسب المطالب، وإنما لا يتصرف الأفراد لوحدهم، وهذا هو المطلوب في هذه القضية".

ولا أدري من أين استقى هذا الشيخ الخرف فتواه هذه في أمري الانتحار والتفخيخ أو التفجير في المنشآت المحترمة والدماء المعصومة؟، كما لا ندري كيف يجعل من جماعته طاغوتًا يطاع في القتل بغير حق وفيما لم يأذن به الله؟، بل ومصدرًا تشريعيًا يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل؟، وما سمعنا بهذا في شيوخنا ولا في أسلافنا الأولين، إنما الذي سمعناه عن نبي الإسلام وعمن نقلوا العلم والدين عنه، هو العكس من ذلك تمامًا، فهذا حديث النبي الواضح يقول فيه لمن أطاع أميره في معصية أو شبهة: (لو دخلوها – أي النار التي طلب أميرهم أن يلجوها – ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف)، يقول ذلك – بأبي هو وأمي – بحق أميره الذي بعث به على رأس كوكبة من الصحابة، فما بالك بمن ليس بممكن ولا بأمير ولا له حق السمع والطاعة اللتين للإمام الممكن؟، وما بالك بمن يأمر مع هذه المخالفات بسفك الدماء المعصومة؟، وما بالك بمن يفتي فيما النهي فيه لا يخفى على طالب علم مبتدئ؟، وما ذكرناه آنفًا مجرد نموذج لما لا يُعدّ ولا يحصى من نظائره.

لقد كان الشيخ محمد الغزالي – وهو بعدُ شاهد من أهلها على هذا العبث – محقًا في انشقاقه عن هذه الجماعة الخارجة المارقة، ومحقًا كذلك في قوله الذي لا زلنا نذكره له ليفهم أدعياء العلم لدى جماعة الإخوان قبل جهَلتِهم كيف تدار الأمور لدى جماعتهم بالمقارنة لما هي عليه في صحيح الدين، يقول رحمه الله في كتابه (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث) ما نصه: "إن الذين يحسبون أنفسهم (جماعة المسلمين)، يرون مخالفة قائدهم ضربًا من مخالفة الله ورسوله، وطريقًا ممهدة إلى النار وبئس القرار"، واستطرد – رحمه الله – يقول: "إلا أنني عزَّ عليَّ أن يلعب بالإسلام وأبنائه بهذه الطريقة السمجة، وأن تتجدد سياسة الخوارج مرة أخرى، فيُلعن – أقول: بل ويسفك دماء – أهل الإيمان ويُترك أهل الطغيان، وبم؟، باسم أن القائد وبطانته هم وحدهم (أولو الأمر)، وأن لهم حق السمع والطاعة، وأن الخارج عليهم يصدق فيه قول رسول الله: (من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه ليس بفارق الجماعة شبرًا فيموت، إلا مات ميتة جاهلية)، وقوله: (من خلع يدًا من طاعة، لقي الله لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)، وهذه الأحاديث وأمثالها وردت في منع الفتوق الجسيمة التي يحدثها الشاغبون على الدولة، الخارجون على الحكام"، يقول:

"بيدَ أن تعليم هذا الجنون، كان أسلوبَ تربيةٍ وتجميعٍ عند بعض الناس، أن يقال: إن الولاء للقيادة يُكفِّر السيئات وأن الخروج على الجماعة يَمحق الفضائل، أيّ إسلام هذا؟!، ومَن مِن علماء الأولين والآخرين أفتى بهذا اللغو؟، وكيف تُلْبِسون الدِّين هذا الزي المنكر؟!، وهيهات! فقد تغلغل هذا الضلال في نفوس الناشئة حتى سأل بعضهم: هل يَظن المسلم نفسه مسلمًا بعدما خرج من صفوف الجماعة؟، ولنفرض أن رئيس الجماعة هو (أمير المؤمنين) وأن له حقوق (الخليفة الأعظم)، فهل هذا يؤتيه على أتباعه حق الطاعة العمياء؟!؛ لقد كان الراسخون في العلم يَدعون إلى الله ويتجردون للدعوة، فكان الناس يرون طاعتهم من طاعة الله لأنهم تلقوا دروس معرفته عنهم، ثم جاء الراسخون في الجهل يطلبون حقوق القيادة، ويتحدثون عن قانون (السمع والطاعة)، ولست أعنِّف دعِيّا من هؤلاء على مزاعمه ومطالبه، فالأمر كما قيل: (بعض الناس طغاة لأننا نركع لهم)".

لقد رفض الشيخ الغزالي الركوع لطغيان الجماعة، فعاش عزيزًا أبيًا، وأكرم الله مرقده الأخير بأن جعل مثواه في البقيع بمدينة رسول الله، بجوار أشرف الخلق وأكرمهم على المولى سبحانه، وهذا كلام رجل كان منهم في الصفوف الأولى ثم تبرأ من أفعالهم براءة المسلم من أفعال الكفار إ.هـ من تعليق مجلة الأزهر – ص ٦٤٤ من عددها الصادر في ربيع الأول/ ١٤٣٦ الموافق يناير/ ٢٠١٥ – على كلام الغزالي.

جـ الإخوان هم من ينقضون الإسلام ويهدمون كل ما بناه النبي في التعامل مع أهل الذمة، بل ومع الموحدين:

إن الذين فجَّرت (خليةُ حسم الإخوانية) كنيستَهم بمصر في أحد ١١/ ١٢/ ٢٠١٦، بحزام ناسف تم تفجيره داخل الكنيسة البطرسية، وأودى بحياة ٢٥ وإصابة ٤٩ بينهم أطفال وسيدات.. هم من قد أوصى نبينا الكريم بهم، وهو – بأبي هو وأمي – يعلم ما هم عليه من دين.. وهم من أخبر نبي الرحمة عنهم بقوله فيما أخرجه الحاكم وصححه الألباني: (إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا)، وفي رواية: (فإن لهم صهرًا ورحمًا)، وهو إنما قصد بالرحم (هاجر أم إسماعيل) فإنها كانت قبطية، وأما الصهر فلكون (مارية المصرية أم إبراهيم بن النبي محمد ﷺ)، منهم.. هم – دون من باعوا مصر من الإخوان الخونة – أصحاب المواقف الوطنية، وهل أحد ينسى قول إمامهم بعد ٣٠ يونيو ويوم أن دمر الإخوان ما يقرب من مائةٍ من كنائسهم وأحرقوها، ونهبوا محلاتهم وصيدلياتهم بدون وجه حق: "إن وطنًا بلا كنائس أفضل من كنائس بلا وطن"، وقوله في حوار له لأهرام السبت ٢٧/ ١٢/ ٢٠١٤ معليًا من شأن القيم الوطنية: "الأهم مستقبل الوطن وليس الأقباط، نحن في يد الله القادر على كل شيء ولا نخشى التفجيرات الإرهابية"؟!.

وهل يمكن لأحد أن ينسى تصريحه بنفس الحوار وقوله في تطبيب جراحاتنا مع أثيوبيا – خلافًا لغيره([1])–: "علاقتنا بالكنيسة الإثيوبية طيبة، ونتحدث بصفة عامة بما يصب في مصلحة البلدين، وأن مصلحة مصر هي مصلحة إثيوبيا كشعوبٍ متحابَّة وصديقة ولها تاريخ طويل"؟!، أو ينسى وقفته ضد قوى الغرب في تدخلاته في شئون مصر وهم بعدُ على ملته أو قريبًا منها، أو ينسى عدم استقوائه بهم كما فعل غيره ممن هم محسوبون للأسف على الإسلام،؟!، أو ينسى لقاءاته مع وزراء الخارجية والمسئولين الأجانب وزياراته القصيرة لبعض دولهم وقدرته على أن يحشد من خلالها تأييدًا كاملًا لمصر؟!، أو ينسى أن الإخوان أنفسهم يوم أن تشابكت مصالحهم مع أقباط مصر كانوا معهم قلبًا وقالبًا، بيد أن الآخرين قد استجابوا لنداء وطنهم واستطاعوا بوطنيتهم وسياساتهم أن ينالوا كل ما تصبو إليه نفوسهم، بل لا أبالغ إن قلت: إنهم حازوا إعجاب الشعب المصري وغيره دون مَن سواهم مِن جماعة الإخوان؟.

والذي ينبغي أن يُتفطن له، هو: أن هؤلاء الذي فجروا الكنسية البطرسية وسفكوا دماء أهل ذمتنا ووصية رسولنا وسوغوا لأنفسهم انتهاك هذه الحرمات، لا ولن يكونوا بحال أفهم من عمر الفاروق الذي بعث إلى عمرو بن العاص ﷺ عامله على مصر يقول له: (إن معك أهل ذمةٍ وعهد، وقد أوصى رسول الله ﷺ بهم، وأوصى بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحمًا)، والذي أقر أسلافهم – يوم أن فتحت مصر على يد قائده عمرو بن العاص – على كنائسهم؛ وهل كنا في يوم من الأيام إلا بعضًا منهم بيد أن هدانا الله إلى الإسلام؟!.

وليعلم مسيحو الشرق والغرب أن الإخوان أخطئوا فهْم الإسلام وضلوا طريقه، وأن الشريعة الإسلامية تقضي بأن حقوق أهل الذمة ليست جباية من أحد، وإنما هي حقوق ثابتة بموجب ما شرعه الله لعباده المسلمين الموحدين، لا يجوز تعديها ولا تخطيها بحال من الأحوال، فإن لهم في ديار المسلمين ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وهم على نحو ما يمنعون من الظلم الواقع عليهم من الداخل، تُبذلُ لهم الحماية من الاعتداء الخارجي إن شاءوا أو يشاركونا في ذلك، ولهم على ذلك ذمة الله ورسوله، "ليكونوا – كما قال الإمام الماوردي رحمه الله – بالكف آمنين ، وبالحماية محروسين"، وجميع أهل العلم على أن لهم "في المجتمع الإسلامي حق الحماية من الاعتداء الخارجي بما تُحمي به دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم وسائر مقدساتهم، وعلى الأمة أن تبذل دماءها وأموالها في سبيل الدفاع عنهم ومنعهم من أي اعتداء خارجي، تمامًا كما تبذلها في حماية دماء أبنائها وأعراضهم وأموالهم، ولهم على ذلك الذمة والميثاق، والنصوص الشرعية وكلمات الفقهاء والأئمة: قاطعة في تقرير هذه الحقوق لهم، ووقائع التاريخ الإسلامي شاهد عدل على وفاء الأمة والأئمة بهذه الحقوق، وعلى نحو ما حماهم الإسلام من الاعتداء الخارجي حماهم كذلك من الظلم الداخلي، فمن أرادهم بظلم داخل المجتمع الإسلامي تصدت له الدولة الإسلامية بسلطانها وشوكتها، للضرب على يده ومنعه من ذلك مهما كانت سطوة المعتدي وأيا

([1]) ممن تسرب اجتماعه الغبي وجماعته، وقد أسفر عن ضرورة إشعال حرب لا هوادة فيها مع إثيوبيا، لا يعلم أحد سوى الله لو تمت على ما أرادوا.. ماذا كانت تسفر عن نتائج كارثية.. وتلك هي سياسة من ليس له معرفة بالسياسة

كان موقعه في الدولة الإسلامية، وقد انتصف عمر بن الخطاب لقبطِيٍّ مصري استطال عليه ابن عمرو بن العاص والي مصر من قِبَل عمر، ومكنه من القصاص منه، بل مكنه من عمرو بن العاص نفسه لأن ابنه لم يستطل على هذا القبطي إلا بسلطانه([1])، ثم أرسل كلمته المشهورة التي ما زالت تقصها دواوين التاريخ: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟).

وحسبنا في التغليظ على ذلك وتأكيد حرمته ما صح من قوله ﷺ : (ألا من ظلم معاهَدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة)"إ.هـ من كتاب (حقوق الذميين في الشريعة الإسلامية) للدكتور حسين حامد حسان أستاذ الشريعة بكلية حقوق القاهرة.

والحق أن الكلام في ذلك كثير لكن نكتفي بما نقلناه من هذا الكتاب وهو – لمن أراد المزيد – واحد من سلسلة أبحاث مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا.. هذا عن قبط مصر.. أما عن جندها خير أجناد الأرض فالمقام لا يتسع([2])، أترانا نتكلم عن تاريخهم الطويل في تحرير البلاد وإنقاذ العباد من كيد المعتدين الغاصبين؟؛ أم نتكلم عن تحريم الإسلام لترويع المؤمنين – وهم من دون شك بعضٌ منهم – وإدخال الفزع في قلوبهم؟، أم عن نهيه عليه السلام عن الإشارة ولو بحديدة في وجوههم؟ أم نهيه عن حمل السلاح ضدهم وعن قتل الأنفس المعصومة؟، أم نهيه عن قتل المنتحر والمفجر نفسه فيهم؟.

فليتحمل وزر كل ذلك من يأمر بهذا وبغيره من ألوان الخراب والدمار مما ذكرنا ومما لم نذكر، أو يشير به أو يأنس له أو يرضى به، تاركين الدعوة إلى صحيح الدين وساعين في الأرض فسادًا وضاربين

([1]) وهذه القصة إن صحت، ففيها دلالة على مدى ما وصل إليه قبط مصر من مكانة ما كانوا ليحلموا بها في ظل سيطرة نصارى الرومان.

([2]) وإن كان ذلك لا يمنع من التذكير بما جاء عن عمرو بن العاص قال: حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفًا، فذلك الجند خير أجناد الأرض)، فقال له أبو بكر: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: (لأنهم في رباط إلى يوم القيامة)، رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦/ ١٦٣)، والدارقطني في المؤتلف والمختلف (٢/ ١٠٠٤)، وابن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري.

والحديث وإن ضعفه البعض – لأن في سنده ابن لهيعة وهو ضعيف – إلا أن ضعفه هذه لم يوصله لدرجة البطلان، ولم يقل أحد من المسلمين بأن الحديث الضعيف باطل لأن الباطل يعني المردود من أصله، والحديث الضعيف لا يجوز رده بالجملة مثلما لا يجوز الأخذ به في أمور أصول الاعتقاد.. وسبب عدم اعتماده ليس بطلانه أو جحوده ولكنه الاحتياط.. وعلة ذلك أن الضعيف سبب ضعفه هو عدم كفاية سنده من حيث القوة، وربما كانت له أسانيد أقوى لم تبلغنا، وربما كان في أصله صحيحًا.. وأيًا ما كان الأمر فإننا لا نجرؤ على الجزم بشدة ضعف الحديث، وكل ما يلزمنا هو القول بأن وصفه بالضعيف جاء احتياطًا وتحرزًا للدين فقط وليس ردًا له كما هو الحال مع الحديث الموضوع.. ومما يزيدنا تمسكًا بفضل جند مصر، ورود السنة بأحاديث أخرى هي في مجملها تصب في بيان هذا الفضل وتؤكده، ونذكر من ذلك:

١- ما ورد في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص قال، قال رسول الله ﷺ : (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على من ناوأهم حتى تقوم الساعة) رواه مسلم في صحيحه، فقوله: (ظاهرين على من ناوأهم) أي من عاداهم، وهو مأخوذ من نأى إليهم ونأوا إليه أي نهضوا للقتال.. فقد قيل إنهم أهل الشام ومِن وراء ذلك: الجند المصري، فهؤلاء جميعًا هم خير أجناد الأمة والعالم.. وقال شراح آخرون: إن المراد بأهل الغرب، هم: أهل الغرب من الأرض، وليس في أهل الغرب إلا جند مصر، على أساس أن الذي يفصل المشرق عن المغرب هو خط الإسراء الواصل من بيت الله الحرام بمكة وبيت الله المقدس بالقدس، فالكعبة مركز الأرض ووسطها، والصخرة سرة الأرض، لقوله تعالى في مكة بالحجاز: (وكذلك أوحينا إليك قرآنًا عربيًا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير..الشورى/ ٧)، وقوله بحق القدس بالشام (وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها.. الأعراف/ ١٣٧)، فعن فرات القزاز قال: سمعت الحسن يقول: (مشارق الشام ومغاربها) رواه عن قتادة ابن أبى حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٥١)، وابن جرير الطبري في تفسيره، وعبد الرزاق الصنعاني في تفسيره ٢/ ٨٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ١٤١.

وفى تفسير قوله عز وجل (واستمع يوم ينادي المنادِ من مكان قريب.. ق/ ٤١) قال سعيد قال قتادة: (كنا نتحدث أنه ينادي من صخرة بيت المقدس)، قال: (وهي وسط الأرض) رواه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (٢/ ٩٠١)، قال مقاتل: "ينادي بالحشر يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، (مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) من صخرة بيت المقدس، وهي وسط الأرض".

٢-وما ورد عن عميرة بن عبد الله المعافري، قال: حدثني أبي، أنه سمع ابن الحَمِق يقول: قال رسول الله ﷺ : "تكون فتنة أسلم الناس فيها - أو قال : خير الناس فيها - الجند الغربي". قال ابن الحَمِق: (فلذلك قدمت عليكم مصر) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٣١٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٣١٣)، والبزار في مسنده (٦/ ٢٨٧) ، وأبو الحسين ابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٢٠٢)، وأبو زرعة الدمشقي في الفوائد المعللة (ص : ٢٧) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٥/ ٤٩٢) ، وابن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ١٣٧) ، ويحيى بن معين في تاريخه (٢/ ١٧٤) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٩٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح، كما أخرجه محمد بن الربيع الجيزي في مسند الصحابة الذين دخلوا مصر وزاد فيه: (وأنتم الجند الغربي)، فهذه منقبة لمصر في صدر الملة، واستمرت قليلة الفتن معافاة طول الملة لم يعترها ما اعترى غيرها من الأقطار، وما زالت معدن العلم والدين، ثم صارت في آخر الأمر دار الخلافة ومحط الرحال، ولا بلد الآن في سائر الأقطار بعد مكة والمدينة يظهر فيها من شعائر الدين ما هو ظاهر في مصر [الديباج على مسلم (٤/ ٥١٤)].

فالجند الغربي أو أهل المغرب يعني الجند في مصر الواقعة في غرب خط الإسراء، وهذه النبوءة قد تحققت في عصرنا، بعد تدمير الجيش العراقي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق واستبداله بالتشكيل الطائفي الرافضي، ومن قبله التشكيل الطائفي النصيري للجيش السوري بعد تسريح أكثر الضباط السنة الذي بدأ منذ الانقلاب البعثي عام ١٩٦٣، وانحيازه الطائفي ضد الشعب السوري ذي الأغلبية السنية في ثورته في عام ٢٠١١.

٣- وما جاء في صحيح مسلم قوله ﷺ : (إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما فإذا رأيت رجلين يقتتلان في موضع لبنة فاخرج منها).. والحديث في شرحه يطول، والمهم أنه لا يمكن لأحد كائنًا من كان أن يستثني جند مصر من الحديث إذ هم من أهلها، بل من خيرة أهلها.. فكيف بعد كل هذا يتسنى للبعض أن يعمل على إضعاف وتفكيك من قال النبي عليه السلام كل ذلك، وأن يمكن لأعداء الأمة أن تنقض عليه وتجعله لأولئك الأعداء لقمة سائغة.. نسأل الله أن يحفظ بلادنا من كل مكروه وسوء، وأن ينجها وإيانا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.. اللهم آمين.

بصريح الآي والحديث عرض الحائط، وحسبهم قول الله تعالى: (ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا.. النساء/ ٩٣)، وقوله: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم.. المائدة/ ٣٣).. ولنستفد نحن معاشر أهل السنة إذن من أخطاء الآخرين ولنصحح إذن مسارنا، فالسعيد من وعظ بغيره، وليكن سبيلنا في كل هذا: الدعوة إلى الإسلام وصحيح الدين بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

المبحث الثالث: الخلافة في قريش وإن رغمت أنوف
الواجب المنوط بمن جعل الله الخلافة فيهم من (أئمة قريش؟)

هذا، وفي ندائه لأئمة المملكة السعودية بخاصة، يقول الصحابي الجليل معاوية ﷺ : (والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ ، لَغيرُكم من الناس أحرى أن لا يقوم به)، وقد جاء لفظه عقب سرده لحديث: (إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة – يعني: الأهواء – كلها في النار إلا واحدة: وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم الأهواء كما يتَجارَى الكلَب بصاحبه فلا يَبقى منه عرْقٌ ولا مفْصِلٌ إلا دخله)، قال معاوية:،، وذَكَره([1]).. والكلب بفتح اللام: داء يعرض للإنسان فيصيبه بشبه جنون ويمنعه عن شرب الماء حتى يموت.. والحديث كما في تحفة الأحوذي في شرحه لرواية أبي هريرة: "من معجزاته ﷺ ، لأنه أخبر عن غيب وقع".. وفي مجيء خبر معاوية بعيد حديث الافتراق: دلالة على أن جعل الخلافة في قريش تحديدًا أصل من أصول الدين، لا يسوغ الخلاف فيه، ولعل هذا علة تنصيص أصحاب العقائد على أن الخلافة في قريش، وعلى هذا الإجماع عند أهل الحق خلافًا لأهل الأهواء كالخوارج والشيعة وقد تبعهم في ذلك بعض الأشاعرة.

وفي بيان وخطورة ما تضمنه الحديث برواياته يقول القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٣٠): "هذا بيِّنٌ أن الافتراق المُحَذَّر منه، إنما هو في أصول الدين وقواعده، لأنه قد أطلق عليها: (مِلَلًا)، وأخبر أن التمسك بشيء من تلك الملل موجبٌ لدخول النار، ومثل هذا لا يقال في الفروع، فإنه لا يوجب تعديل الملل ولا عذاب النار"، ويقول الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي في كتاب ألفه في شرح حديث افتراق الأمة: "قد عَلِم أصحاب المقالات أنه عليه السلام لم يُرِد بالفرق المذمومة: المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام، وإنما قصد بالذم: من خالف أهل الحق في أصول التوحيد وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة وفي موالاة الصحابة، وما جرى مجرى هذه الأبواب، لأن المختلفين فيها قد كفَّر بعضهم بعضًا، بخلاف النوع الأول – المعروف بخلاف التنوع – فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف، فيَرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف" وهو المسمى بـ (اختلاف التضاد).

ولا أظن أن أحدًا يخالف في أن ما يجري في واقعنا من خلل في بعض أصول الدين وقواعده، يتمثل في: ادعاء البعض – وأخص بالذكر منهم (جماعة الإخوان) – (أنهم دون سواهم: جماعة المسلمين)، وما يترتب على ذلك من:

أ- تكفير الغير، نتيجة: جعل الخارج عليهم مفارق للجماعة التي هي جماعتهم، وغير مؤمن، يعني: بدعوتهم التي هي بزعمهم: الإسلام.. ومُعَرّض بالتالي إن هو عارضهم للقتل.

([1]) أخرجه أحمد في مسنده حديث: (١٦٩٣٧) وأبو داود (٤٥٩٧) من طريق معاوية، وصححه الحاكم في المستدرك ١/ ١٢٨ ووافقه الذهبي، وجوّده الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٣/ ٢٣٠، وحسنه ابن حجر في تخريج الكشاف ٦٣ والأرناءوط في تعليقه على المسند، وصححه ابن تيمية في الاقتضاء ١/ ١١٨، وله شواهد من حديث أبي هريرة وحديث أنس وحديث عبد الله بن عمر وحديث عوف بن مالك وحديث أبي أمامة ﷺ .

ب- وجعل بيعتهم للمرشد بمثابة البيعة للإمام العام الممكن، ومن ثم فالخارج عليه مستوجب بزعمهم لقوله عليه السلام: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) على حد ما نطق بذلك بعض منظريهم، كما سبق ذكره.

جـ- وأن طاعته ملزمة وواجبة في المنشط والمكره والعسر واليسر، وإلا فهو ممن أخبر عنهم النبي بقوله: (من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له).

د- وخروجهم على حكام المسلمين الفعليين ومنازعتهم الأمر أهله، جراء هذه التصورات الخاطئة.

هـ- واستحلالهم الدماء المعصومة جراء نفس التصورات.

و- ووضوح كل هذا بشكل بات معلنًا ومشاهدًا للعيان وعلى نحوٍ لا يحتمل اللبس.

ز-وظهورُ آثاره على أرض الواقع وفي سائر بلدان المسلمين في شكل تظاهرات وأعمال قتل وبلطجة وعنف وتفجير وتخريب وتدمير، أو دعوة إلى ذلك عند عجزهم.. أقول: لا أظن أن أحدًا يخالفني في أن هذا كله مندرج تحت بند الإخلال بأصول الدين وقواعده، لاسيما وقد جاء ضمن قواسم أخرى مشتركة مع من أخبر النبي عنهم بأنهم: (يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية)، (يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم)، (كلاب أهل النار) إلخ، ومن ثم وجب التحذير منهم تخوفًا من الوقوع فيما حذر منه نبينا من أمر الثنتين وسبعين فرقة.

على أن ما ذكرنا وكذا ما جاء واضحًا في خطاب ونداء معاوية (خال المؤمنين): يحتم على أئمة السعودية خاصة – حكامًا وعلماء –: أن يقوموا بالواجب المنوط بهم شرعًا، ويتمثل هذا الواجب في: (تحذير الأمة من الوقوع في براثن هذه الأفكار المنحرفة الهدامة، وممن تبنوها)، و(التنبيه على حتمية اطلاعهم بدور جمع شمل الأمة على صحيح الدين والاعتقاد)، وأن يبذلوا جهدهم في تحقيق تلك الغايات ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، وبخاصة وقد نص النبي ﷺ على تخصيصهم دون سواهم بالإمامة والريادة، وذلك قوله فيما رواه البخاري: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان)، وقوله: (إن هذا الأمرَ في قريش لا يعاديهم أحد، إلا كبّه الله على وجهه، ما أقاموا الدين)، وقوله فيما رواه مسلم: (الناس تبع لقريش في الخير والشر)، يعني: في الإسلام والجاهلية، كما في رواية: (الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم، وكافرهم لكافرهم)، وكذا قوله فيما صححه الألباني: (الأئمة من قريش)، (قدِّموا قريشًا ولا تَقَدَّموها).

فهذه الأحاديث بضميمة قول الماوردي بحق الأخير منها: "ليس مع النص المسلم به شبهةٌ لمنازع فيه، ولا قولٌ مخالفٌ له"، ومن قبلُ قول أحمد في كتاب السنة: "والخلافة في قريش ما بقي اثنان، ليس لأحد أن ينازعهم فيها، ولا يَخرج عليهم، ولا نُقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة"، وقول أبي الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين ص ١٢٥: "الخوارج بأسرها.. يرون أن الإمامة في قريش وغيرهم إذا كان القائم بها مستحقًا لذلك، ولا يرون إمامة الجائر"إ.هـ.. وتعليق النووي على جملة هذه الأحاديث بقوله في شرح مسلم– وبنحوه ابن حجر في باب (الأمراء في قريش) ١٣/ ١٢٦ وما بعدها –:

"هذه الأحاديث وأشباهها، دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقريش، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرَّض بخلافٍ من غيرهم فهو محجوج عليه بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم وبالأحاديث الصحيحة، قال القاضي عياض: (اشتراط كونه قرشيًا: هو مذهب العلماء كافة)، قال: (وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم يُنقل عن أحد من السلف فيها قول يخالف ما ذكرنا، وكذلك مَن بعدهم في جميع الأعصار)، قال: (ولا اعتداد بقول النَّظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قريش)"، وقوله بعدُ: "وبيّن رسول الله أن هذا الحكم مستمر إلى آخر الدنيا، ما بقي في الناس اثنان، وقد ظهر ما قاله ﷺ .. فمن زمنه إلى الآن: الخلافة في قريش من غير مزاحمة لهم فيها، وتبقى كذلك ما بقي اثنان كما قاله".. أقول:

كل هذا يؤكد ضرورة اطلاع المملكة بما ذكرنا من أمر التحذير والتنبيه، وذلك إحقاقًا للحق ورفعًا لراية أهل السنة، وإبرازًا لما ينبغي أن يتميزوا به عن غيرهم ولو كان هذا الغير زعيم دولة محسوبة على الإسلام.

أبرز ما يميز جماعة أهل الحق المنوط بها توجيه الأمة إلى صحيح الدين والاعتقاد:

وإن من أبرز ما يميز أهل الحق والسنة والجماعة عن سواهم – فيما أجمع عليه أئمة العلم الثقات –:

أ- التمسك بالشريعة وتقديم نصوصها على الهوى المتبع وآراء الرجال:

إذ (الشريعة) لغةً: مورد الشاربة التي منها يشربون ويُستقون، ولذا سميت كذلك تشبيهًا لها بشريعة الماء بحيث من شرع فيه روي وطهر، كما أنها اصطلاحًا: "الائتمار بالتزام العبودية"، وفي شأن وجوب تقديم الشرع على الهوى والرأي، وجعل ذلك أصلًا عظيمًا يفترق فيه أهل السنة المتبعون، عن مخالفيهم من جميع الطوائف والفرق في كل زمان، يقول أبو المظفر السمعاني في كتابه (الانتصار لأصحاب الحديث)، إبان كلامه عمن ينازع الأمر أهله ولا يرجع إلى أهل النقل والراوية في معرفة ما كان عليه النبي وصحابته، وفيما نقله عنه الأصبهاني في كتاب (الحجة) ٢/ ٢٣٧ وما بعدها: "كل فريق من المبتدعة – من يوم أن بدت قرونها وحتى عصرنا – يَدّعي أن الذي يعتقده هو ما كان عليه رسول الله، لأنهم كلهم مدعون شريعة الإسلام ملتزمون في الظاهر شعائرها يرون أن ما جاء به النبي هو الحق.

غير أن الطرق تفرقت بهم بعد ذلك وأحدثوا في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فزعم كل فريق أنه هو المتمسك بشريعة الإسلام، وأن الحق الذي قام به ﷺ هو الذي يعتقده وينتحله، وقد أبى الله ألا يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار، لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفًا عن سلف وقرنًا عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون من أصحاب رسول الله، وأخذه أصحاب رسول الله عن رسول الله، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله الناس من الدين المستقيم والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث، وأما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه، لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطرهم وآرائهم، فطلبوا الدين من قِبله، فإذا سمعوا شيئًا من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردُّوه، فإن اضُّطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه ونبذوا الدين وراء ظهورهم وجعلوا السنة تحت أقدامهم.

وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قِبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقًا لهما قبلوه وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجدوه مخالفًا لهم تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يُرِى الباطل، وهذا معنى قول الداراني: (ما حدّثتني نفسي بشيء إلا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة، فإن أتت بهما وإلا رددته في نحرها).

ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق – دون سواهم من نحو الخوارج والشيعة مذ ظهروا حتى زماننا –: أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار وسكون كل واحد منهم قُطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد يجْرُون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟!.

وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعًا وأحزابًا، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضًا، بل يرتقون إلى التكفير يكفر الابن أباه والرجل أخاه والجار جاره، تراهم أبدًا في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم، (تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون.. الحشر/ ١٤).. وهل على الباطل أظهر من هذا،

قال تعالى: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء.. الأنعام/ ١٥٩)، وإنما السبب في اتفاق أهل الحديث: أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثتهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلما يختلف، وإن اختلف في لفظة أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه، وأما دلائل العقل فقلما تتفق، بل عقل كل واحد يرى صاحبه غير ما يرى الآخر، وهذا بيِّنٌ والحمد لله".

وبعد أن ميَّز وضرب الأمثلة بما ساغ من خلاف بين أهل السنة مما لم يَرِد حكمه في التنزيل والسنة صراحة، قال الأصبهاني عما لم يسغ فيه الخلاف: "فلما حدثت هذه الأهواء المَردية الداعية صاحبها إلى النار – وما أشبه الليلة بالبارحة – ظهرت العداوة وتباينوا وصاروا أحزابًا، فانقطعت الأخوة في الدين، وسقطت الألفة، فهذا يدل على أن هذا التباين والفرقة، إنما حدثت في المسائل المحدثة التي ابتدعها الشيطان فألقاها على أفواه أوليائه ليختلفوا ويرمي بعضهم بعضًا، فكل مسألة حدثت في الإسلام، فخاض فيها الناس فتفرقوا واختلفوا، وأورث اختلافهم في ذلك التولي والإعراض والتدابر والتقاطع، وربما ارتقى إلى التكفير – يعني: على غرار ما مثلنا بفعل جماعة الإخوان في مسألتي: البيعات والخلافة بدعوى أنهم دون سواهم أربابها وأنهم أساتذة العالم ويمثلون الإسلام وجماعة المسلمين – علمتَ أن ذلك ليس في أمر الدين في شيء، بل يجب على كل ذي عقل أن يجتنب هذه المسألة ويُعرض عن الخوض فيها، لأن الله شرط في تمسكنا بالإسلام، أن نصبح جميعًا في ذلك إخوانًا فقال تعالى: (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا.. آل عمران/ ١٠٣)".

إلى أن قال: "وقد ظهر بما قدمنا: أن الطريق المستقيم مع أهل الحديث، وأن الحق ما نقلوه ورووه، ومن تدبر ما كتبناه وأعطى من قلبه النَّصَفَة وأعرض عن هواه، واستمع وأصغى بقلب حاضر وكان مسترشدًا مهتديًا ولم يكن متعنتًا، وأمده الله بنور اليقين، عرف صحة جميع ما قلناه، ولم يخفَ عليه شيء من ذلك، والله الموفق (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم.. الأنعام/ ٣٩)".

ثم قال الأصبهاني في معرض رده على من يقحم نفسه فيما لا يبلغه عقله من دقائق علوم الاعتقاد والحديث ورجاله ومصطلحه فيهرف بما لا يعرف ويضر أكثر مما ينفع – على نحو ما ابتلينا به في زماننا من تصدي أطباء وصيادلة وزراعيين وكيمائيين ومهندسين.. إلخ، للإفتاء والتربية والإرشاد –: "لو قال صاحب التمر لصاحب العطر: (أنا عطار)، لقال له العطار: (كذبت، بل أنا هو) ولشهد له بذلك كل من أبصره من العامة، ثم إن كل صاحب صناعة وحرفة يفتخر بصناعته ويستطيل بها ويجالس أهلها ولا يذمها، وقد رأينا أصحاب الحديث قديمًا وحديثًا هم الذين رحلوا في طلب هذه الآثار التي تدل على سنن رسول الله ﷺ فأخذوها من معادنها وجمعوها من مظانِّها، وحفظوها فاغتبطوا بها ودعوا إلى اتِّباعها وعابوا من خالفها.. ووجدنا أهل الأهواء الذين استبدوا بالآراء والمعقولات، بمعزل من الأحاديث والآثار التي هي طريق معرفة سنة رسول الله، فهذا الذي قلنا: سمةٌ ظاهرة وعلامة بينة تشهد لأهل السنة باستحقاقها، وعلى أهل الأهواء في تركها والعدول عنها، ولا نحتاج في هذا إلى شاهد أبين من هذا ولا إلى دليل أضوء من هذا".

ومن غير كلام أبي المظفر في وجوب التحاكم للشرع، يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٦/ ٤٤٠ – : "معلوم وجوب تقديم النص على الرأي، والشرع على الهوى، فالأصل الذي افترق عليه المؤمنون بالرسل والمخالفون على حدٍّ سواء: تقديم نصوصهم على الآراء، وشرعِهم على الأهواء".. ويقول ابن القيم في إغاثة اللهفان ٢/ ١٣٨: "وكان السلف يُسَمُّون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول ﷺ في مسائل العلم الخبرية وأهل مسائل الأحكام العملية، يسمونهم: (أهل الشبهات والأهواء)، لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم، وهوى لا دين، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، وغايته الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة".. ومن قبلهما يقول الشاطبي في الاعتصام ٢/ ٦٨٣:

"سمي أهلُ البدع: (أهلُ الأهواء)، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها حتى يصْدروا عنها، بل قدَّموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها من وراء ذلك"، وقال – بعد أن ساق قول عمر بن الخطاب (إياكم وأصحاب الرأي فإنهم

أعداءُ السنة، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا) –: "وهذا هو دأب أهل البدع، يضعون أهواءهم أولًا ثم يطلبون الأدلة عليها من الشرع وكلام العرب، بعكس أهل الحق فإنهم يضعون الدليل أولًا ثم ينقادون له، فيعتقدون ويحكمون بعد ما يستدلون، وأهل الأهواء إذا وجدوا الأدلة على خلاف ما يعتقدون، أوَّلوها وحرّفوها وصرفوها عن حقيقة معناها".. وتلك هي مصيبة زماننا ومصدر فتنتنا ليس في باب العقائد والخلافة فحسب؛ بل في الأحكام أيضًا وسائر الوقائع التي تمر بأمة الإسلام.

ب- ومن أبرزه كذلك (لزوم السنة والجماعة):

وإنما عنوا بـ "السنة: (طريقة الرسول ﷺ)، وبالجماعة: (جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين)، فاتِّباعُهم هدى وخِلافُهم ضلال، قال الله لنبيه: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم.. آل عمران/ ٣١)، وقال: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا.. النساء/ ١١٥).. وقال ﷺ من حديث معاوية وقد مرّ: (إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم.. الحديث)، وفي رواية – في صحيح الترمذي (٢٦٤١) – قالوا: وما هي يا رسول الله: قال: (ما أنا عليه وأصحابي)، فبين عليه السلام أن الاختلاف واقع لا محالة، وأن عامة المختلفين هالكون من الأمم السابقة ومن أمته، إلا أهل السنة والجماعة، وما أحسن قول ابن مسعود: (من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا وأعمقها علومًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهُدَى المستقيم)"إ.هـ من كلام ابن أبي العز على شرح قول الطحاوي: (ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفُرقة).

ولمزيد من التعرف على من (خالفوا السنة وفارقوا الجماعة) يقول ابن سيرين: "إن قومًا تركوا العلم ومجالسة العلماء، واتخذوا محاريب فصلُّوا فيها حتى يبس جلد أحدهم على عظمه، خالفوا السنة فهلكوا، والله ما عمل عامل بغير علم إلا كان ما يفسد أكثر مما يُصلح"، ولمزيد من التعرف على من لازم السنة والجماعة من بين فرق المصلين، يشير ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣/ ٣٤٧، إلى أنهم من: "ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله، وهم أعلم الناس بأقواله وأفعاله"، ويصرح ابن القيم في الصواعق بأنهم من "لا ينتسبون إلى مقالة معينة ولا إلى شخص معين غير الرسول ﷺ ، فليس لهم لقب يعرفون به ولا نسبة ينتسبون إليها سوى الحديث والسنة".

ويفيد ابن أبي العز – إبان شرحه قولَ الطحاوي: (ونرى الجماعة حقًا وصوابًا)، بأنها المتراحمة المُقرَّة بالحق المجتنبة محدثات الأمور الرَّادة أمورها تسليمًا وانقيادًا إلى الله ورسوله دون آراء الرجال وإن زخرفوه بالقول، ذلك أن: "الأمور التي تتنازع فيها الأمة في الأصول والفروع، إذا لم تُرَدُّ إلى الله ورسوله، لم يُتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون: على غير بينة من أمرهم، فإن رَحِمهم الله: أقر بعضُهم بعضًا ولم يَبْغِ بعضُهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد، فيقِرّ بعضُهم بعضًا ولا يَعتدي ولا يُعتدى عليه، وإن لم يرحمهم: وقع بينهم الخلاف المذموم، فبغى بعضُهم على بعض إما بالقول مثل تكفيره وتفسيقه وإما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله، والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء".

وأقول: إن ما يجري في زماننا من ادعاء فرقة عليها من المآخذ والأخطاء الشرعية ما عليها بأنها جماعة المسلمين، وادعائها الخلافة لنفسها ولمن ليسوا من قريش، وامتحان الناس على ذلك، هو – لمن تأمله – من هذا القبيل.. وأهل السنة – دون أهل البدع من الخوارج والشيعة([1]) – على إمكانية انقطاع الخلافة، مصداقًا لقوله عليه السلام في جواب حذيفة (فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟): (فاعتزل تلك الفرق)، فجعل ذلك أمرًا واردًا، بل وأمَرَ حال حدوثه باعتزال فرق الضلال المنكِرة لذلك والمكفرة لغيرها والداعية على أبواب جهنم.. وأهل السنة كذلك على انعقادها في آخر الزمان للخليفة المهدي الذي

([1]) بل وحتى الأشاعرة على ما هو المستنبط من كتبهم وأقوالهم في إمكانية جعل الخلافة في غير قريش، وقد سلكوا في ذلك مسلك الخوارج والشيعة نعوذ بالله من الخذلان

ينكر البنا مؤسس جماعة الإخوان أحاديثه قائلًا في (حديث الثلاثاء) ص ١٠٨: "فمن حسن الحظ لم نر في السنة الصحيحة ما يثبت دعوى المهدي، وإنما أحاديثه تدور بين الضعف والوضع"، كما ينكرها القرضاوي الذي ادعى في الجزء الأخير من مذكراته أنه لا أصل لها في القرآن والسنة، كل ذلك ليتسنى لهما أن يجعلاها بآخر الزمان في جماعتهما على الرغم من تواتر أحاديثها تواترًا معنويًا، كما خلص إلى ذلك د. إسماعيل المقدم في كتابه عن (المهدي حقيقة لا خرافة).

وحسبنا من تلك الأحاديث المصرحة بذلك ما رواه مسلم من قوله عليه السلام: (يكون في آخر الزمان خليفة يُقسِّم المال – وفي رواية: يكون في آخر أمتي خليفة يَحثي المال حثيًا – ولا يَعدُّه)، وقوله: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلًا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا)، وإن من أعجب العجب أن يسلِّم بعض مَن أخبر عنهم النبي بأنهم أصحاب الإمامة والخلافة – وأعني بهم أمراء وعلماء المملكة السعودية – زمام أمورهم: لمن يكفِّر الخلق وينكر تلك الأحاديث من أولئك الدعاة على أبواب جهنم، وينساقون لمن يخلع عنهم هاتين الفضيلتين، بعد أن ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا أذنابًا وتابعين وذيولًا للخوارج.

على أن وجوب التمسك دومًا وعند كل شيء بالآية والحديث، هي أوَّل أوليات مصنفو كتب الاعتقاد، وما من مؤلف فيها إلا ونبَّه على ألا قيام لدين الله إلا بهما، ومما دبجه أبو الحسن الأشعري إمام المذهب في هذا، قوله في مقدمة الإبانة:

"جاءنا الله بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، جمع فيه علم الأولين والآخرين، وأكمل به الفرائض والدين، فمن تمسك به نجا ومن خالفه ضل وغوى، وفي الجهل تَرَدّى، وحثنا الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله ﷺ فقال: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.. الحشر/ ٧)، وقال: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.. النور/ ٦٣)، وقال: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم.. النساء/ ٨٣)، وقال: (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله.. الشورى/ ١٠).. وقال: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.. النساء/ ٥٩)، فأمرهم بطاعة رسوله كما أمرهم بطاعته، ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه كما أمرهم بالعمل بكتابه".. إلى أن قال: "ديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله وبسنة نبينا محمد وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون"إ.هـ.

وفي إطار تأكيد التمسك بالنصوص والتسليم لها، ينقل صاحب (الحجة) ٢/ ٣١٦ عن بعض أهل العلم رده على الذين تلاعب بهم الشيطان وادعوا أن العقل يهديهم إلى الصواب، ثم يقول: "وإذا تأملت تعمقهم في التأويلات المخالفة لظاهر الكتاب والسنة، وعدولهم عنهما إلى زخرف القول والغرور لتقوية باطلهم وتقريبه إلى القلوب الضعيفة، لاح لك الحق وبان الصدق، فلا تلتفت إلى ما أسسوه ولا تبالِ بما زخرفوه، والزَم نص الكتاب وظاهر الحديث الصحيح اللذين هما أصول الشرعيات، تقف على الصراط المستقيم".. ثم أشاد الأصبهاني بصنيع عثمان الدارمي في: عقده بابًا في توقير الأحاديث أن تُعارَض بشيء من المقاييس أو تُنفَى.. وساق في ذلك حديث: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)، وأثر يحيى بن أبي كثير وفيه: (السنة قاضية على القرآن والقرآن أصول محكمة مجملة لا تفسِّر السنة، والسنة تفسرها وتبين حدودها ومعانيها وكيف يأتي الناس بها.. ثم راح يعقد بنفس المصدر ٢/ ٤٠٤ فصلًا في (التمسك بالسنة)، وآخر في (اجتناب البدع والأهواء)، وآخر في (التحذير من رد حديث رسول الله والقول بخلافه)، وغيره في (الحض على اتباع الصحابة بعد الكتاب والسنة).

****

الباب الثالث:
ما يجب على المسلم الصادق المتجرد وعامة المسلمين فعله.. وما يجب الحذر منه

الفصل الأول: اتخاذ العبرة مما أوقعته جماعة الإخوان بمصر وسوريا وليبيا واليمن.. بالمخالفة لشريعة وعقيدة أهل السنة

المبحث الأول: التحذير من سفك الدماء الموحدة..
دماء الموحدين يا من تحسبون أنفسكم مجاهدين ويا من تدّعون أنكم إخوانٌ للمسلمين

لقد أثبتت الأيام وأكدت مجريات الأحداث، مدى تقارب الجماعات الجهادية التي تُجْرم وتستحل الدماء الزكية بجماعة الإخوان ومدى ارتباط بعضهم بعض، والتي كان من مظاهره: تواصل د. مرسي بأيمن الظواهري بعد توليه حكم مصر وتلقيبه إياه بأمير المؤمنين، واعتراف د. محمد البلتاجي عقب عزل د.مرسي بأن (ما يحدث في سيناء سيتوقف في اللحظة التي يتراجع فيها السيسي عن قراره في ٨ يوليو ٢٠١٣)، وإقرار د. القرضاوي بأن (أبا بكر البغدادي) خليفة داعش وزعيم تنظيم الدولة الإسلامية، كان عضوًا سابقًا بالجماعة، والتعاون المشترك بينهم وبين الجماعة في: اقتحام السجون المصرية والإفراج عنهم وإعداد الجيش الحر في جبل الحلال.. إلخ، وما جاء بخصوص هذا التعاون في تقرير الخبير الأمني (جون جنكيز) سفير بريطانيا السابق بالسعودية والذي يقع في مائتي صفحة وخلص إلى اعتبار الجماعة الحاضنة الأيدلوجية للفكر المتطرف ومن عباءتها يخرج المتطرفون.. أقول إن مدى هذا الارتباط يضطرنا لأن نصدق أن الجماعات المسلحة فعلًا كلها خرجت من عباءة جماعة الإخوان، ويحمل الجماعة دون أدنى شك مسئولية كل ما جرى ويجري في عالمينا العربي والإسلامي من خراب ودمار وسفك دماء.

ولا غرو فالجامع المشترك بين جميعهم هو غياب صحيح الدين والعقيدة، وشيوع الفكر البنَّائي والقطبي الماثل في تكفير المجتمعات الإسلامية، والعمل من ثمّ على تقويضها ومحاربة جندها وشرطتها باعتبارهم المدافعين عنها والذّابّين عن حياضها، بل ومحاربة أهلها وشعوبها لكونهم الراضين بأحكامها والساكتين عن منكراتها.. هكذا سولت شياطين الجن لشياطين الإنس فاستحلت على إثر ذلك دماء الموحدين، فمن مدارس ابتدائية يُكتشف أمامها قنابل بدائية الصنع، ومن مجمعات قضائية تُفجَّر فيها أحيانًا، ومن مقرات أمنية يهلكون في محيطاتها الحرث والنسل، ومن كمائن لأفراد الحراسة يُتربص بها لحين الفتك بمن فيها، ومن شرطة يُدبَّر في الخفاء للنيل منها ليل نهار، ومن رجال مرور يكونون ضحايا اعتداءاتهم المفرطة في التكرار، ومن حافلات وعربات قطار ومترو تقلّ مئات وآلاف يتم إشعالها بمواد الوقود الحارقة، ومن أبراج كهرباء جعلوا ليل المستفيدين منها جراء تدميرها قِطعًا مظلِمة.

ومن مظاهرات يرومون من ورائها إراقة دماء لتصديرها للغرب بغرض المتاجرة، ومن جنود موحدين وأوفياء لأوطانهم ولمجتمعاتهم، يحاط بهم هنا وهناك ويتم قتلهم بالجملة وبالعشرات، ونذكر على سبيل المثال: (مقتل ١٧ جندي وإصابة ٧ فيما عرف بمذبحة رفح الأولى في ١٧ رمضان الموافق ٦/ ٨/ ٢٠١٢، مقتل ٢٥ وإصابة ٢ برفح الثانية في ١٨/ ٨/ ٢٠١٣، مقتل 9 في ١١/ ٩، مقتل ١٦ وإصابة أكثر من ١٣٤ في ٢٤/ ١٢ من نفس العام، مقتل ٤ في أول ليالي رمضان الموافق ٢٨ / ٦/ ٢٠١٤ برفح الثالثة، مقتل ٢٣ بالفرافرة في رمضان أيضًا الموافق ٢٠/ ٧/ ٢٠١٤، مقتل ٢٨ وإصابة ٢٦ بكمين كرم القواديس في ٢٤/ ١٠/ ٢٠١٤، مقتل ٤٦ وإصابة ٩٠ حسب المصادر المموِّلة والداعمة لهم في ٢٩/ ١/ ٢٠١٥).. وهكذا والقوائم طويلة، وإذا قيل لهم مع كل هذا: إنه تعالى (لا يحب الفساد.. البقرة/ ٢٠٥) و(لا يصلح عمل المفسدين.. يونس/ ٨١) لا يبالون، (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض، قالوا: إنما نحن مصلحون.. البقرة/ ١١) وقد (جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارًا.. نوح/ ٧)، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولو عرضنا هذه الأوضاع على مقاييس الشرع، لوجدنا أن دين المسلمين في واد وما يفعله أولئك المفسدون في واد آخر، ولظهر لنا أن البون بين ما أمر به الله ورسوله وأجمعت عليه الأمة وبين ما يفعلونه، جِد شاسع وبعيد، ولا أدل على ذلك من توفيق الله لكثير ممن كانت خاتمة حياتهم على أيديهم، من النطق بكلمة الحسنى (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فهذا مع قول النبي ﷺ : (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة)، و(حرم الله عليه النار)، إيذان بأن أولئك يعبثون بأرواح أهل الإيمان من الموحدين.

وحتى تستشعر فداحة الخطب في إراقة الدم المعصومة، جراء استهانة قادتهم بهذه الدماء التي لم يأت أصحابها بناقض من نواقض الإيمان يستوجب الفتك بهم، وجراء اتِّباع القاتلين الأعمى لهؤلاء القادة حتى ألّهوهم بطاعتهم وطاعة مؤسس جماعتهم المطلقة من دون الله، ونتيجة الفهم الخاطئ لكليهما في معرفة الإسلام وواقع المسلمين.. أقول: حتى تستشعر فداحة هذا الخطب، لك أن تتأمل وعيد الله الشديد في قوله: (ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا.. النساء/ ٩٣)، وقول نبي الهدى كما في البخاري (٦٨٦٢): (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا)، وقوله فيه (٣٩١): (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله – أمانه وضمانه – وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته)، وقوله كما في صحيح الترمذي للألباني: (لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار)، وقوله فيه: (لزوال الدنيا، أهون عند الله من قتل رجل مسلم)، وقوله كما في صحيح أبي داود للألباني:

(كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركًا، أو مؤمن قَتل مؤمنًا متعمدًا)، وقوله في خطبة الوداع كما في الحديث المتفق عليه: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟، اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فرب مبلَّغ أوعى من سامع)، وقوله كما في السلسلة الصحيحة (٢٦٩٧): (يأتي المقتول متعلقًا رأسه بإحدى يديه، متلبِّبًا قاتله بيده الأخرى، تشجب أوداجه دمًا حتى يأتي العرش، فيقول المقتول لرب العالمين: هذا قتلني!، فيقول الله للقاتل: تعسْت، ويُذهب به إلى النار)، وكذا هو الحال مع المعاهَدين والمستأمنين من غير المسلمين كما أفاده قوله ﷺ في البخاري (٣١٦٦): (من قتل معاهَدًا لم يرِح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا).

ولك أن تتأمل مع كل هذه النصوص، ما كان من أمر الرسول الأكرم حين أقر أولئك الذين لم يطيعوا أميرهم في الإلقاء بأنفسهم في النار التي أمر بإشعالها، وقال عليه السلام: (لو دخلوا فيها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف)، وما كان منه حين أقبل أسامة بن زيد على قتل مشرك نطق بكلمة التوحيد مجرد نطق، واستنكار الرسول له بشدة قائلًا مرارًا كما في الحديث المتفق عليه: (أقتلته بعد أن قالها؟)، ومراجعة أسامة بعدُ وهو يقول للنبي: (يا رسول الله لقد قالها متعوذًا) أي: خوفًا من السيف، والنبي يكرر في نبرة حادة ولهجة شديدة، مؤكدًا حرمة دمه وهو الذي قضى حياته كلها مشركًا: (هلا شققت على قلبه؟!)، وقول أسامة: (فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم)، وقول شارحيه فيما استنبطوه من الحديث: أن فيه "أعظم دليل على حرمة دماء المسلمين وعِظَم جرم من يتعرض لها، ودليل للقاعدة المعروفة في الفقه والأصول: أن الأحكام يحكم فيها بالظواهر، والله تعالى يتولى السرائر".. لتتأكد أنه لا عذر على الإطلاق في سفك هذه الدماء وارتكاب تيك الجرائم من قِبَل أولئك الذين يسيئون إلى الإسلام أكثر من أعدائه، ويتلذذون ويكبّرون عند قتل كل مسلم كفروه، ويمرقون من الدين مروق السهم من الرمية.

وما سبق يجعلنا نقول: إنه عندما يكشف رسول الإنسانية عن أن الجهاد في سبيل الله لا يكون بين مسلمين لقوله ﷺ : (لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض)، ويحرُم أن يكون تحت راية عِمِّية غير شرعية، على نحو تلك التي يحمل لواءها خوارج العصر، بالمخالفة لقوله فيما رواه مسلم: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهليه، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب

لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة، فقُتل، فقِتلةٌ جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرها، ولا يَتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه).

وعندما نعرف أن المقصود بالعُمَّية كما أفاده النووي: "الأمر الأعمى لا يستبين وجهه، كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور، أو التقاتل للعصبية كما قاله إسحاق بن راهويه".. وعندما نصل إلى أن هذه المعاني تنسحب على الفِرق التكفيرية المتناحرة فيما بينها والمتكالبة على كراسي الحكم، والمتمثلة في داعش والقاعدة وجماعة الإخوان وكل من تحالف معهم أو خرج من تحت عباءتهم بدءً من حماس التي ترمي مخالفيها من أسطح ونوافذ العمارات في غزة ولا تبالي، وانتهاء بأنصار بيت المقدس التي بايعت داعش في ١٠/ ١١/ ٢٠١٤، كونها جميعًا فرقًا مبتدعةً وبعيدة عن صحيح الدين والاعتقاد، وكونها تقوم على الغضبة للجماعة والانتصار للعصبية المنتنة لرجل أو رجال أفضوا إلى ما قدموا، وتقوم كذلك –غير الجهل بأصول الدين وصحيح الاعتقاد – على ترك أهل الأوثان ومحتلي الأرض ومغتصبي العرض من أعداء الإسلام، بل وعلى العمل لحساباتهم وبتمويلاتهم، ووفق مخططاتٍ وفخاخٍ وُضعت للوقيعة بينهم وبين أبناء جلدتهم، رغبة في تفكيك جيوش المسلمين وتفتيت وإضعاف دِولهم، بل ولإفنائهم هم في النهاية دون أن يدروا، وتقوم أيضًا على تكفير وتقتيل أهل الإيمان ممن يُصَلون ويصومون ويشهدون شهادة الحق ويختمون بها حياتهم، كما جرى في حادثة استشهاد من احترقت طائرتهم شمال سيناء في ٢٦/ ١/ ٢٠١٤ بفعل قذائف أطلقت عليهم، وسمعناهم ينطقون بالشهادتين، وكما جرى مع أولئك الذين قتلوا غيلة وهم يفطرون بعد صيامٍ وصلاةٍ لمغرب يوم من رمضان العام الماضي، وغيرهم كثير.

وعندما نعلم أن جهاد من ذكرنا صادر عن جهَلة بالعلوم الشرعية وحديثي عهد بالإسلام، وعلى حساب الحكمة في نشر الدعوة ورفع راية الإسلام السمح على النحو الذي رسمه لنا رسولنا ﷺ وفصَّل القولَ فيه علماؤنا، وجاء لَهْثًا وراء مُلك أو كرسي أو خِلافةٍ ليست على نهج النبوة وأخبر نبي الهدى أنها تكون في قريش دونهم، فضلًا عن كونه جهادًا غير منضبط بضوابط الشرع، وقائمًا على شق الصف ومفارقة جماعة المسلمين ونزع يد الطاعة من أولياء أمورهم، وقائمًا كذلك على التحريش بجند المسلمين وإكفارهم واستحلال دمائهم، كل ذلك بالمخالفة لما أجمعت عليه الأمة.. وعندما نضيف إلى كل ما سبق، قوله فيما أخرجه النسائي (٣٩٣٣) وأحمد (١٦٠٠٥) وصححه الألباني: (يجِيءُ المقتول بِقَاتِلِه يَومَ الْقِيامة فَيَقولُ: سل هَذا فيم قتَلَنِي؟، فَيَقول: قَتَلتهُ عَلَى مُلْكِ فُلان)، قَالَ جُندَبٌ: (فَاتَّقِهَا)، قال السندي في شرح سنن النسائي: "قَوْله (فَاتَّقِهَا)، أَي: فاتَّقِ هذه السيئة القبيحة المُؤَدّيَة إِلَى مِثل هذا الجواب الفَاضح".. تَيَقنَّا أن نبي الرحمة إنما يُشرِّع لنحو ما يجري في زماننا لنحذره، ولئلا نقع نحن معاشر أهل السنة والجماعة فيما يخالف الشرع.

وإنما قلنا أن جهاد من ذكرنا ليس منضبطًا بالشرع، لكونه – بالإضافة إلى ما ذكرنا – قتال في الفتنة وهو: ما يكون بين طائفتين مسلمتين لا تأويل لأي منهما، أو لا يظهر المحق منهما في المبطل، أو الذي يكون لطلب الزعامة والرئاسة والسلطة، وذلك قول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٦/ ٣٢٧: "من أصول أهل السنة والجماعة: لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة" وجميع أئمة السلف وأهل العلم على ذلك.. وصادر ممن لا يفرقون بين القتل والقتال، فالقتال أو المقاتلة يكون للدفع أو للإلزام بحكم أو تنفيذه، أما القتل فلا يجوز إلا بشروطه، فالكافر مثلًا يجوز قتله بإذن الإمام حال القتال، فإذا أسر لم يجز قتله إلا وفقًا لأحكام الأسرى، قال ابن قدامة في المغني ٢٠/ ٤٧١:

"فإن قتل أسيره، أو أسير غيره: فقد أساء"، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ١/ ٤١: "قَاتَلَ الصّدّيق مانعي الزكَاة، ولم يُنْقل أنّه قتل أَحدًا منهم صبْرًا، وقد أَطْنب ابن دقيق العيد في شرح العمدة في الإنكَار على مَن استدلّ بهذا الحديث على ذلك، وقال: لا يَلزم من إباحة المقَاتلة إباحة القتل؛ لأَنّ المقاتلة مُفاعَلة تستَلزم وقوع القتال من الجانبينِ، ولا كَذَلِك القتل"، وحكَى البيهقيّ عن الشّافعي أَنّه قال: "ليس القتال من القتل بِسبيل قَد يحلّ قتال الرجُل ولا يحلّ قَتله".. ولم ينتظم خلف إمام ممكن على ما نص عليه قوله كما في البخاري: (إنما الإمام جنّة، يقاتَل من ورائه ويُتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدَل كان له بذلك أجر، وإن قال بغيره فإن عليه مثله)، ولكون علماء الأمة أجمعوا على ذلك كما ترجم له ابن تيمية في قوله في

الواسطية: "ويرون – يعني: أهل السنة فيما أجمعوا عليه – إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء، أبرارًا كانوا أم فجارًا"، وابن قدامة في قوله في المغني ١٣/ ١٦: "وأمْرُ الجهاد موكولٌ إلى الإمام واجتهاده، ويَلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك".

ومن المحدثين ابن عثيمين في قوله في الشرح الممتع ٨/ ٢٥: "لا يجوز غزو الجيش إلا بإذن الإمام مهما كان الأمر، لأن المخاطب بالغزو والجهاد هم ولاة الأمور، وليس أفراد الناس".

كما أن أئمة أهل السنة جعلوا من الجهاد وسيلة لنشر دعوة الحق وليس غاية في حد ذاته، ونظروا – باعتبار الجهاد فريضة – إلى مقاصده ومآلاته ونتائجه، وخلصوا – انطلاقًا من قوله تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.. الأنفال/ ٤٩) – إلى أنه "فُرِض لمنع الفتنة ومحق الشرك، فإذا ما أدى إلى الفتنة ولم يحقق مقاصده المشروعة، فهو ممنوع شرعًا وعقلًا"، وإلى أن شأنه في ذلك شأن باقي ما فرض الله على عباده، "فالحج مثلًا فرض، ولكنه يسقط إذا لم يأمنِ الحاج على نفسه وماله من قطّاع الطريق، فإذا خرج الحاج في هذه الحالة قتله اللصوص وأخذوا ماله، فلم يحقق المصلحة من الحج، ووقعت مفسدة قتله وأخْذِ ماله!، والصوم أيضًا فرض، لكنه يسقط في حالة المرض المزمن الذي يزداد بالصوم، لأن المفسدة هنا أعظم من مصلحة الصوم، ولأنه إذا صام في هذه الحالة، فقد يذهب الصوم بحياته وينقطع عمله بالكلية بما فيه الصوم وغيره"، كذا ص ٥٠ من كتاب (تسليط الأضواء على ما وقع في الجهاد من أخطاء) من سلسلة مراجعات الجماعة الإسلامية بمصر، وفيه نقلًا عن الشاطبي في الموافقات ٢/ ٢٦٨ في قياس المصالح والمفاسد، ما نصه:

"لمَّا ثبت أن الأحكام شُرعت لمصالح العباد، وكانت الأعمال معتبرة بذلك لأنه مقصود الشارع، فإذا كان الأمر في ظاهره وباطنه على أصل المشروعية فلا إشكال، وإن كان الظاهر موافقًا والمصلحة مخالفة، فالعمل غير صحيح وغير مشروع، لأن الأعمال الشرعية ليست مقصودة لنفسها وإنما قُصد بها أمور أخرى هي معانيها، وهي المصالح التي شرعت لأجلها"، وعلى ذلك إذا لم يحقق القتال المصالح المرجوة منه وحقق المفاسد، أو رجحت كفة مفاسد القتال على مصالحه: كان القتال ممنوعًا محظورًا([1])، وعلى ذلك تواترت أقوال العلماء، ونذكر منها:

قول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٩، ٢٣٠: "إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات وتزاحمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منهما، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فيُنظر في المعارِض له، فإن كان الذي يفُوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأمورًا به، بل يكون مُحَرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته"، ويقول في الفتاوى الكبرى ٥/ ٤٨، وبنحوه مجموع الفتاوى ٢٠/ ٤٨ وما بعدها:

"الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإنها ترجيح خير الخيرين وشر الشرّين، وتحصيل أعظم المصلحتين وتفويت أدناهما، وتُدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناها، قال تعالى: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما.. البقرة/ ٢١٩)، فتبين أن السيئة تُحتمل في معرضَين: دفْع ما هو أسوأ منها إذا لم تدفع إلا بها، وتحصيل ما هو أنفع من تركها إذا لم تُحصل إلا بها، والحسنة تترك في موضعين: إذا كانت مفوِّتة لما هو أحسن منها، أو مستلزمة لسيئة تزيد مضرتها على منفعة الحسنة، هذا فيما يتعلق بالموازنات الدينية، أما سقوط الواجب لمصلحة في الدنيا وإباحة المحرم لحاجة في الدنيا، كسقوط الصيام لأجل السفر، وسقوط محذورات الإحرام وأركان الصلاة لأجل المرض، فهذا باب آخر يدخل في سعة الدين ورفع الحرج"إ.هـ.

وإنما نتكلم هنا عن تحصيل مصالح تتعلق بالجهاد الأهم والأولى بحق كل مسلم، وهو: تعلم الهدى ودين الحق الذي أولاه ابن القيم ما يستحقه من الأهمية وذلك في كتابه (زاد المعاد)، كما تتعلق بما يليها من أضرب الجهاد التالية، من: دعوة الناس إلى هذا العلم بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن مجاهدة الشيطان برد الشبهات، ومن مجاهدة المنافقين بالحجة والبيان، كما تتعلق بمصلحة حفظ الأنفس وحماية البيضة

([1]) هذا بحق المحاربين وأعداء الإسلام، فما يكون الحال في سفكة دماء المسلمين التي – لا أقوم ليس ثمة مصلحة في إراقتها – وإنما تحرم أصلًا وقولًا واحدًا؟

وإعطاء الصورة الحقيقية والمثلى للإسلام، مقابل مفاسد: الجهل حتى بأحكام الجهاد، وتكفير الناس والمجتمعات الإسلامية وتنفيرهم من الإسلام وتشويه صورته بالتقتيل والتذبيح والإسباء من غير ما ضابط ولا تقدير لمصلحة أو مفسدة، وتكالب دول الغرب على الكيد للإسلام والانقضاض على المسلمين، وإنفاذ مخططات الأعداء التي يأتي على رأسها الإطاحة بكل ما هو إسلامي، وإيجاد الفرص وتحينها للقضاء على الشباب الذي دُفع إلى مقصلة سبق وأن أعدها له دون أن يدري أعداء الإنسانية ممن لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ناهيك عن المجازر التي تقيمها الجماعات التكفيرية وعلى رأسها جماعة الإخوان بفصائلها وذيولها ضد جيوش المسلمين وداخل ديار الإسلام، وعن تعطيل مصالحهم وتخريب ممتلكاتهم وإفساد حياتهم.

وصفوة القول: أن ليس ثمة شيء في دين الله ولا في دنيا الناس، يبرر سفك الدماء المعصومة ومنها دماء أولادنا وإخوتنا بالشرطة والقوات المسلحة المصرية، فهم يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلون ويؤدون ما أمرهم به الإسلام ما استطاعوا، ولم يثبت أن أحدًا منهم أتى بناقض من نواقض الإيمان ولا أُمر به حتى تُستحل دماؤهم، وإن كان من حساب فمن سلطة الحاكم لا لآحاد الرعية.. ولقد وضح لكل ذي عينين أن (الإخوان) على مدى تاريخهم القديم والحديث هم من يسعوا دائما لافتعال الأزمات طمعًا في الوصول إلى الحكم، وهم من يبغون في الأرض بغير الحق، وهم من بدءوا في اعتصام رابعة بقتل الجنود ومن أرادوا أن يمنعوا الناس من الخروج في أمن وسلام، ولو أنهم سمعوا لصوت العقل واستجابوا لجهود المصالحة التي قام بها فضلاء أهل السنة لما سالت الدماء وما قتل أحد أبدًا.

كما وضح لكل ذي عينين أن جماعة (الإخوان) وقعوا ضحايا لأخطاء توارثوها جيلًا بعد جيل، وليس لديهم – فيما يبدو – استعداد ولا نية للتنازل عنها، وقعوا وأوقعوا غيرهم أسرى لأفكار تقوم على منازعة الأمر أهله في كل دول الإسلام، وعلى اعتبار مجتمعات المسلمين جاهلية يجب الخروج على حكامها ومحكوميها معًا، وعلى الولاء والعداء على ذلك وعلى جماعتهم، وإنما كان الأمر لديهم كذلك: كونهم وقد أخذوا البيعات لأنفسهم واعتبروا أنفسهم (جماعة المسلمين)، عدُّوا غيرهم بطبيعة الحال خارجين عن جماعة المسلمين.

والغريب أن جماعتهم تريد مع ذلك إقامة خلافة على هذا المنهج الخارجي البعيد كل البعد عن (منهاج النبوة)، وحسبك أن تقف على ما جاء بهذا الشأن في قوله عليه السلام – عقب سؤال حذيفة عن الشر الذي يعقب الخير الذي فيه دخن –: (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)، وأن تضعه بجوار قول ابن تيمية في منهاج السنة ١/ ٥٥٦ استنادًا لنفس الحديث: "وهو عليه السلام قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته وأمر مع هذا بالسمع والطاعة وإن جلد ظهرك وأخذ مالك"، لتعرف أن خوارج العصر شأن خوارج كل عصر، هم من نهى النبي عن اتباعهم وأمر بالتزام جماعة المسلمين المحقة المُمَكّنة وأئمتهم، وإلا فبوجوب اعتزال فرق الضلال إن لم يكن للمسلمين إمامة عظمى ولا جماعة.. وليعلم جميعنا أن الله محاسبنا عن كل نقطة دم مسلمة أريقت عن طريقنا، وكل فتنة مُضلَّة كنا في يوم ما سببًا فيها.

إن أمر ديننا إن أردنا أن نعود إليه بحق: ماثل بتفاصيله فيما سطره أصحاب العقائد في كتبهم، وقد ذكرنا نماذج لها ورأينا كيف أن جميعها بلا استثناء يحذر وينكر بشدة جميع أعمال الخروج والتكفير والتقتيل، بل ويبوِّب له ويَعُدُّ فاعل ذلك من (كلاب أهل النار) الذين أخبر عنهم نبي الرحمة.. وديننا مع ذلك: واضح في وجوب أن يتحاكم الجميع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وفي لزوم السنة وأهلها، وما وجدنا سنة مما نص عليها أئمة السنة، ولا آية ولا حديثًا ولا إجماعًا يقر ما تفعله جماعة الإخوان في زماننا، وإلا فليأتونا بأثارة من علم إن كانوا صادقين.

ولئن كان هذا هو أمر ديننا قد وضح بجلاء، فإن أمر المتمسكين به في حياته وبعد مماته لم يكن ليخفى على رسولنا ﷺ ، وقد قال مخبرًا: (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية .. الحديث)، وفي بعض رواياته:

(يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان).. بل لم يكن حالنا ليخفى على من كان قبلنا ممن أوتي الحكمة واستشرف ببصيرته ما يجري هذه الأيام، ولنا أن نطلع في ذلك على قول إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى – وهو في كتاب (السنة) للخلال ص ١١٠: "الخوارج قوم سوء لا أعلم في الأرض قومًا أشر منهم"، وقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٤/ ٥٠٠: "وكانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين".. وأن نطلع من قبل ذلك على قول (وهب بن منبه) منذ ما يزيد عن ألف ومائتي عام، إذ التاريخ دائما ما يعيد نفسه، يقول رحمه الله: (لقد أدركت صدر الإسلام، فوالله ما كانت الخوارج جماعة قط إلا فرقها الله على شر حالتها، وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه، ولو مكن الله لهم لفسدت الأرض، وقُطِّعت السبل، ولعاد أمر الإسلام جاهلية، وإذًا لقام جماعة كل منهم يدعو لنفسه بالخلافة، مع كل واحد منهم عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضًا، ويشهد بعضهم على بعض بالكفر، حتى يصبح المؤمن خائفًا على نفسه، وعلى دينه ودمه وأهله وماله، لا يدري مع من يكون!"إ.هـ.

فهل هناك أدق من هذا التشخيص حتى لا نحذره، ولا أوضح من هذا التحليل، الذي في شأنه أيضًا يقول ابن القيم في إعلام الموقعين ٣/ ٤: "الإنكار على الملوك أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر"، ويقول في الفوائد ص ٥٣: "فالعارف: همَّته تصحيح البناء وإحكامه، والجاهل: يرفع في البناء من غير أساس، فلا يلبث بنيانه أن يسقط"، ويقول الحافظ ابن كثير عن خوارج عصره: "لو قوي هؤلاء لأفسدوا الأرض كلها عراقًا وشامًا، ولم يتركوا طفلًا ولا طفلة، ولا رجلًا ولا امرأة، لأن الناس عندهم قد فسدوا لا يصلحهم إلا القتل جملة" وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المبحث الثاني: التحذير ممن يدعي أن جماعته هي جماعة المسلمين، إذ ذاك دليل بدعيتها ادعاء فرقة الإخوان امتلاكها الحق المطلق دليل بدعيتها

إن ادعاء فرقة الإخوان امتلاكها الحق المطلق: أمر متأصل لم تتخل عنه لحظة منذ نشأتها على يد البنا وإلى يومنا، وهذا من كبائر ما تقترفه دائمًا وأبدًا بحق نفسها وبحق غيرها.. وقد نبه على خطورة هذا المرض العضال وخطورة ما ينتج عنه: عديد من أهل التحقيق فتحت عنوان (فكر البنا هو المقياس) يشير أ. سليم الهلالي ص ١٥٥ من كتابه (مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويمًا) إلى أن الإخوان "يعتبرون فكر مرشدهم هو الميزان الذي توضع به الجماعات الإسلامية لترى وزنها وحجمها، فالإمام الشهيد كما يحلو لهم أن ينعتوه، أول من فطن إلى إحياء العمل الإسلامي.. وأول من وضع قدم المسلمين على الطريق الصحيح".

ويسوق الهلالي ما يدعم هذا الزعم من كلامهم ويؤكده، فيذكر –فيما يذكر– قول سعيد حوى في كتابه (من أجل خطوة إلى الإمام) ص ٣١: "أثبتنا بما لا يقبل جدلًا عند المنصفين، أن أحدًا لم يضع قدم المسلمين في هذا العصر في طريق تحرير الإسلام من الوهن، ثم في الطريق إلى جماعة المسلمين، وإمام تتوفر فيه الخصائص، كحسن البنا"، وقوله في (جولات) ص ٧٩: "إن حسن البنا من بين خلق الله في هذا العصر – الذي يمتد بالطبع إلى ما شاء الله – استطاع أن يُوجد القاسم المشترك الوحيد الذي يمكن أن يلتقي عليه المسلمون وتقوم به جماعة جامعة".. وقوله ص ١٢ من كتابه (في آفاق التعاليم): "إننا لا نرضى لأنفسنا أن ننطلق بعيدًا عن سير الأستاذ البنا، لأن التفريط في ذلك تفريط في السير الصحيح لنصرة الإسلام في هذا العصر"، فحصروا الإسلام فيما فهموه عنه ولو بطريق الخطأ.

والحق أن في ادعاء الحق المطلق لفرقة الإخوان ومؤسسها على النحو السالف الذكر مع ما بهما من شنيع الأخطاء، من شأنه أن يجعلها في مصاف أهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، بل هو أعظم دليل على بدعيتها وانحرافها عن منهج الكتاب والسنة، كما أن من شأنه كذلك: أن يهدم أصل الدين ويقوض مرجعيته، ليجعلهما فيما أوتي البنا من دون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما أجمع عليه علماء الأمة.. وهذا جماع كل شر، وادعاء بالعصمة لغير الأنبياء، وتكذيب لما صح عن النبي في قوله: (كل ابن آدم خطاء)، وما أحد من خلفاء المسلمين حتى المهديين منهم قال بهذا ولا بمعشاره، فهذا أول وثاني

الراشدين من بعد الرسول أثر عنهما بعد قولهما (أطيعوني ما أطعت الله فيكم): (فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم)، (وإن وجدتم فيَّ اعوجاجًا فقوموني)، فيفترض أبو بكر في نفسه المعصية ويفترض عمر الاعوجاج، بل إن القرآن علم رسوله ﷺ أن يأتي الخصوم بما يوقن بإحالته، مجاراة لهم وعملًا بما يعرف في البلاغة العربية بـ (المنصف)، وهو: "إسماع المخاطبين – الذين هم أعداء المُسْمِع – الحق على وجه لا يورثهم مزيد غضب، وذلك بترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل حيث لا يُرِد لهم إلا ما يُريد لنفسه"([1]).

بل ولأن يقول مخاطبًا لهم: (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو ضلال مبين. قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون.. سبأ/ ٢٤، ٢٥)، يعلمه ربه أن يقول هذا مع فظاعة ما بهم من شرك وكفر، ومع تيقن بطلانه وحصول إجرامهم وأنه عليه سلام الله على الحق والهدى المبين، وهذا من فقه الدعوة ومن أدب النبوة العالي.

وحتى لا يُدَّعى أن البنا فيما رسخه في أتباعه لم يقل بهذا ولا ارتضاه، لك أن تنظر إلى قوله في كتابه (دعوتنا) ص ١٦، يقول عن دعوته: "هي دعوة لا تقبل الشركة، إذ إن طبيعتها الوحدة، فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به، ومن ضعف عن هذا العبء فسيُحرم ثواب المجاهدين، ويكون مع المخلفين، ويقعد مع القاعدين ويستبدل الله لدعوته به قوما آخرين".

ويقول في (مذكرات الدعوة والداعية) ص ٢٦٣: "دعوتكم أحق أن يأتيها الناس، ولا تأتى هي أحدًا، وتستغني عن غيرها، وهى جماع كل الخير، وما عداها لا يسلم عن النقص، إذن فأقبِلوا على شأنكم ولا تساوموا على منهاجكم، واعرضوه على الناس في عزة وقوة، فمن مد لكم يده على أساسه فأهلًا ومرحبًا في وضح الصبح وفلق الفجر وضوء النهار، أخ لكم يعمل معكم ويؤمن إيمانكم وينفذ تعاليمكم، ومن أبى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"، إنه الغرور بعينه وادعاء العصمة نفسه.

ثم هو لا يقف عند هذا حتى يصنع من نفسه مطابقة واضحة وحقيقية مع النبوة، فالناس حياله – وعلى نحو ما جاء في بداية مجموعة رسائله – واحد من أربعة: إما مؤمن بدعوته وهذا يشبه المؤمنين السابقين الأولين ممن شرح الله صدورهم لهدايته.. وإما متردد شأنه كذلك شأن المترددين من أتباع الرسل.. وإما نفعي: إن كشف الله الغشاوة عن قلبه وأزاح كابوس الطمع عن فؤاده، سينضم إلى كتيبة الله، وكذلك كان شأن قوم من أشباهه حين أبوا مبايعة رسول الله.. وإما متحامل وهو الذي يأبى إلا أن يلج في غروره، وهذا حاله (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء.. القصص/ ٥٦)، و(اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).. يقول البنا هذا ويصرح به مع العلم أن عصره كان مليئا بالمفكرين وأيضا الحركات الدعوية مثل (الشبان المسلمين)، و(مصر الفتاة)، وكذلك (شباب محمد) الذين كانوا أعضاء في الإخوان المسلمين، ولكنهم خرجوا على حسن البنا بسبب أمور مالية، منها: تعديه على أموال جمعت لفلسطين وصرفه جزءا منها على الجماعة واعترافه هو بذلك وقوله: "نعيدها مرة أخرى"، وأمور أخرى إدارية.. وقد سبقه مشايخ كثر مثل: (جمال الدين الأفغانى) و(محمد عبده) و(محمد رشيد رضا) و(الكواكبى) وغيرهم كثير، ولم يَدَّع أحد منهم ذلك لنفسه، ولا عقد مطابقة بهذا الشكل، ولا قال إن فريقه دون سواه هو كتيبة الله، ولا حمل في ثنايا دعوته نفيا للآخر، ولا ادعى أن ما جاء به هو ما جاء به رسول الله ولا أن أتباعه هم أتباع الرسل.

إنه بما سبق – وبنحو قوله في مجموعة الرسائل ص ٢٤: "موقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار، أن نزنها بميزان دعوتنا، فما وافقها، فمرحبا به وما خالفها فنحن براء منه، ونحن مؤمنون بأن دعوتنا محيطة لا تغادر جزءً صالحًا من أي دعوة إلا ألمت به وأشارت إليه»، **وقوله في مذكرات الدعوة والداعية ص٢٣٢: "دعوتكم أحق أن يأتيها الناس ولا تأتي أحدًا.. إذ هي جماع كل خير، وغيرها لا يسلم من النقص"** – يجعل من نفسه مصدرًا وحيدًا للتشريع، وميزانًا دقيقًا في معرفة الحق من الباطل والخير من الشر والإيمان من الكفر، والموقِّع عن الله ورسوله، وهو إلى جانب ذلك يرسخ معاني الغرور وإقصاء الآخرين، ويصنع من نفسه ومن جماعته طواغيت تطاع ولو في المعصية وها نحن نجني ثمار هذه التربية في زماننا وبلادنا المسلمة، ورحم الله الشافعي:

([1]) بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ١/ ١٤٨.

(رأيي صواب قد يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ قد يحتمل الصواب)، وما أعظم قول ابن تيمية في المجموع ٢٠/ ٨، ٩ لرد ذلك: "لا يجوز لأحد أن يجعل الأصل في الدين لشخص إلا لرسول الله ﷺ ، ولا لقول إلا لكتاب الله عز وجل، ومن نصَّب شخصًا كائنًا من كان، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا)، وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين مثل اتِّباع الأئمة والمشايخ، فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم العيار، فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم".

على أن (العاطفة) الدينية الجياشة التي تشبه (الرأي) على حساب نصوص الوحي لدى أهل السنة، والتي تنتاب فرقة الإخوان الضالة تجاه شيخها، تفرض علينا أن ننبه على أن الارتباط الروحي والعاطفي، العلمي والعملي، إنما يكون للموحى إليه ﷺ دون مَن سواه مهما عظُم شأنه وتوافر علمه وعلا قدره، وأن نذَكر بأن أهم ما يميز أهل السنة عن أهل البدعة: أن أهل السنة – كما قال ابن القيم في مختصر الصواعق ص ٦٢٧ – "يتركون أقوال الناس لها وأهل البدع يتركونها لأقوال الناس.. ويعرضون أقوال الناس عليها فما وافقها قبلوه وما خالفها طرحوه، وأهل البدع يعرضونها على آراء الرجال، فما وافق آراءها منها قبلوه وما خالفها تركوه وتأولوه.. وأنهم يدْعون عند التنازع إلى التحاكم إليها دون آراء الرجال وعقولها، وأهل البدع يدعون إلى التحاكم إلى آراء الرجال ومعقولاتها.. وأن أهل السنة إذا صحت لهم السنة عن رسول الله لم يتوقفوا عن العمل بها واعتقاد موجبها على أن يوافقها موافق، بل يبادرون إلى العمل بها من غير نظر إلى من وافقها أو خالفها، وقد نص الشافعي على أن الواجب على من بلغته السنة الصحيحة أن يقبلها وأن يعاملها بما كان يعاملها به الصحابة حين يسمعونها من رسول الله، فيُنزل نفسه منزلة من سمعها منه ﷺ ، قال الشافعي: (وأجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس كائنًا من كان).

ومن أبرز علامات أهل السنة أيضًا – والكلام لا يزال لابن القيم –: أنهم لا ينتسبون إلى مقالة معينة ولا إلى شخص معين غير الرسول، فليس لهم لقب يعرفون به ولا نسبة ينتسبون إليها سوى الحديث والسنة.. ومنها: أن أهل السنة ينصرون الحديث الصحيح والآثار السلفية وأهل البدع ينصرون مقالاتهم ومذاهبهم.. ومنها: أن أهل السنة إذا ذَكروا السنة وجردوا الدعوة إليها نفرتْ من ذلك قلوب أهل البدع، وأهل البدع إذا ذَكرتَ لهم شيوخهم ومقالاتهم استبشروا بها.. ومنها:

أن أهل السنة يعرفون الحق ويرحمون الخلق فلهم نصيب وافر من العلم والرحمة، وأهل البدع يكذِّبون الحق ويكفِّرون الخلق فلا علم عندهم ولا رحمة، وإذا قامت عليهم حجة أهل السنة عدلوا إلى حبسهم وعقوبتهم إذا أمكنهم على غرار ما جرى لفرعون، فإنه لما قامت عليه حجة موسى قال: (لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين.. الشعراء/ ٢٩).. ومنها: أن أهل السنة إنما يوالون ويعادون على سنة نبيهم وأهل البدعة يوالون ويعادون على أقوال ابتدعوها.. ومنها: أن أهل السنة لم يؤصلوا أصولًا حكموها وحاكموا خصومهم إليها وحكموا على خالفها بالفسق والتكفير، بل عندهم الأصول: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه الصحابة" إلى آخر ما ذكره رحمه الله مما يعد مقياسًا دقيقًا يستطيع عوام المسلمين قبل خواصهم أن يُميزوا به صحة وصدق الأعمال وفاعليها عن رديئها وفساد معتنقيها.

وما آمله أن تكون هذه الكلمات([1]) رسول سلام نبعث بها لكل من احترم عقله وعظم شرعه، أما أصحاب العاطفة الدينية والرأي من المغيبين – وما أكثرهم – فهؤلاء وشأنهم، فقد ارتضوا أن يجعلوا من أنفسهم نعاجًا لمتبوعيهم وأذنابًا لطواغيتهم التي يعبدونها من دون مَن له الخلق والأمر، تشرّع لهم من الدين ما لم يأذن به الله فيستحلون من خلالهم الدماء، وينتهكون بأمر منهم الحرمات، ويكفرون ويقتلون ويحرِّقون ويخربون ويدمرون ويفسدون – وللأسف – باسم الإسلام الذي هو منهم براء، (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون).. وقديما برر البنا مؤسس الجماعة ضرب من عارضه في شعبة الإسماعيلية بقوله: "إن المخالفين قد تلبسهم الشيطان وزين لهم ذلك.. وإن من يشق عصا الجماعة فاضربوه بالسيف كائنًا من كان".

([1]) وما جاء على شاكلتها مما سبق أن نقلناه عن أئمة أهل السنة.

فما أشبه الليلة بالبارحة!، وإذا كان هذا حال المخالف من داخل الجماعة، فما يكون الحال لمن كان خارجها من أطلقوا عليهم من المسلمين: أهل جاهلية؟!.. تلك هي عاقبة المعاهدة على السمع والطاعة المطلقة العمياء، والبيعة الكاملة في المنشط والمكره والعسر واليسر لغير المعصومين ولا من أمر الشارع بطاعتهم في غير معصية من ولاة أمور المسلمين، وذلك هو أثر كل ذلك على النفس والغير.. نسأل الله أن يجعلنا من أهل السنة وأن يجنبنا البدع وأهلها.. اللهم آمين.

المبحث الثالث: التجربة الإخوانية في ميزان الشريعة الإسلامية

وما سبق يجعلنا نقول وبكل صراحة: إنه يجب على كل من يبتغي الحق أن يعلم أن (جماعة الإخوان لديها من الأخطاء والمؤاخذات الشرعية ما يستوجب تركها وعدم العمل تحت لوائها)، كونها.

أولًا: مبتدعة وداعية إلى بِدَعها وإلى موالاة أئمتها ومؤسس جماعتها على حساب الآية والحديث، وتلك هي أشهر علامات أهل الهوى والفُرقة والضلال.

ثانيًا: اعتقادها أنها جماعة المسلمين ووصمها سائر المجتمعات المسلمة بالجاهلية، وحكمها على سائر حكام المسلمين بالردة وإصدار الفتاوى الداعية إلى منازعتهم والتحريض والخروج عليهم، ولأئمتهم من نحو (سلامة عبد القوي) و(عبد المقصود) و(العريفي) و(القرني) و(حوى) و(عودة) و(الصغير) في ذلك من الأقوال والفتاوى المخالفة لما أجمع عليه سلف الأمة ما لا يحصى، بل وصل الأمر ببعضهم وهو (وجدي غنيم) بعد أن كفَّر من كفر من ولاة الأمور لأن يقول بـ (أن كل من يؤيد الكافر فهو كافر) فحكم على أكثر من ثمانين مليون مسلم مصري بالكفر البواح المخرج من الملة، وذلك من أبرز ما يميز الخوارج على مدار تاريخهم.

وثالثًا: استحلالها الدماء المعصومة بناء على هذا الأساس العقدي كما ثبت ذلك باليقين، ونذكر من ذلك – من غير ما سبق وسيأتي ذكره – ما كشفه: (محمد نبوي) المتحدث باسم حركة تمرد في مارس ٢٠١٧ بالتليفزيون المصري، من أن صفوت حجازي أخبره بمذبحة بورسعيد قبل حدوثها بعشر دقائق، وكانت صحيفة الأهرام الكندي في ٧/ ١٢/ ٢٠١٣ وتحت عنوان: (مفاجأة.. البلتاجي الرأس المدبر لمجزرة بورسعيد ونفذتها حماس!)، كتبت تقول: "في مفاجأة من العيار الثقيل، أوردت قناة العربية خبرًا قالت فيه: إن مصادر مقربة من النيابة، كشفت أن أسامة ياسين اعترف في التحقيقات أن البلتاجي هو العقل المدبر لمجزرة إستاد بورسعيد في ٢/ ٢٠١٢ والتي راح ضحيتها ٧٢ من شهداء النادي الأهلي.. وقال ياسين في اعترافاته أن البلتاجي خطط لها، وكلف رجال من حماس والقسّام بتنفيذها، وكان الهدف منها، هو: تحريض الرأي العام ضد المجلس العسكري آنذاك، وإلصاق التهم به وبأعضاء سابقين بالحزب الوطني، حتى يكسب الإخوان الرأي العام معهم لصالح انتخابات الرئاسة وفوزهم حين تعقد الانتخابات، وتسخير مجلس الشعب في ذلك الوقت للدفاع عن هذه المجزرة في محاولة لتقريب الشارع للإخوان".

كذا بما يعني أن جماعة الإخوان –رغم الجهود المضنية التي بذلها المجلس العسكري وقتها وفيما بعدُ لمكاشفتهم ومصالحتهم، ومقابلتهم ذلك بالبغي وإفساد كل محاولات الصلح بشهادة أصحاب الفضيلة الدكاترة محمد حسان وعبد الله شاكر وجمال المراكبي– هي من تسببت عن قصد في مقتل الـ٧٢، مستوجبين بذلك ما جاء في قوله تعالى في القتل شبه العمد موجبًا الدية المغلظة والكفارة: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا خطأ ومن قتل مؤمنًا خطًا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله.. النساء/ ٩٢)، وما عنون له فقهاء المسلمين تحت (باب: الغيلة والجماعة تقتل بالواحد)، و(باب: الحرابة) وقوله تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا.. الآية ٣٣ بسورة المائدة)، وباب (البغاة والخوارج) وقوله تعالى: (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي.. الآية 9 بسورة الحجرات)، ناهيك عن الجزاء الأخروي المتمثل في نحو قوله تعالى: (ومن يقتل مؤمنًا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا..النساء/ ٩٣).

ولسنا هنا بصدد التحقيق في واقعة بورسعيد، ولا فيما وقع مؤخرًا في ٣١/ ٥/ ٢٠١٧ من مقتل ٣ ضباط وجندي بمنطقة البويطي التابعة للواحات البحرية ولا ما وقع قبلها في ٢٦/ ٥/ ٢٠١٧ من مقتل ٢٨ وإصابة ٢٤ قبطي كانوا يستقلون حافلة بينهم نساء وأطفال، وقبلها في بدايات نفس الشهر من مقتل ٣ وإصابة ٥ في كمين بدائري مدينة نصر، وقبلها من مقتل ما يزيد عن ٤٥ وإصابة ١٢٦ في حادثي تفجير (كنيستي طنطا والإسكندرية)، ولا حتى ذِكر ما شاب فكر جماعة الإخوان من أخطاء في المنهج والمعتقد؛ فحسبنا من ذلك –مِن غير ما أشرنا إليه–: ما جاء في كتاب (إثبات فساد منهج ودعوة حسن البنا وجماعة الإخوان)، وهو عبارة عن ١٥ بابا، تتضمن فصولًا عديدة في موضوعات شتى، واجب على كل مسلم أن يتعرف عليها ليتأكد بنفسه أن هذه الجماعة لا تمثل الإسلام في قليل ولا كثير.. ثم لينظر في تاريخ هذه الجماعة مثلًا كتاب: (الأسرار الخفية لجماعة الإخوان المسلمين) لمحامٍ كان في يوم من الأيام قياديًا بارزًا في الجماعة وشاهدًا من أهلها، ليتعرف على التاريخ الدموي لهذه الجماعة.

وليقرأ مع هذين كتاب: (نقد منهج جماعة الإخوان المسلمين) ليطلع على فتاوى الثقات من العلماء المعاصرين في منهجها ومدى مخالفاتها، وحكم الشرع في الانضمام إليها، وليحكم بنفسه ما إذا كانت هذه الجماعة تخدم الدعوة وتعمل للإسلام أم أنها كانت ولا زالت معول هدم لهما؟.

على أن الاطلاع على هذه الكتب وما شابهها ضروري في بيان أن هذه الجماعة المبتدِعة خلال العقود التي تصدرت فيها المشهد، أضاعت على الأمة المسلمة سني عمرها، حيث لم تجن الأمة من ورائها سوى العلقم وتشويه صورة الإسلام وعدم الاعتراف بالغير وإلحاق الأذى به، والبعد عن صحيح الدين والاعتقاد، فمن تكفير للأعيان، ومن استحلال للدماء المعصومة بغير حق، ومن نشر للخراب والدمار في ربوع عالمينا العربي والإسلامي، ومن خداع وكذب على الشعوب المسلمة، ومن موالاة لأعداء الإسلام في الشرق والغرب باسم الدين، ومن عمل بدأب على الاستقواء بهم وإنفاذ مخططاتهم، ومن تمكين غير مسبوق لشبهات لا حصر لها، طال كل مسائل الاعتقاد وشمل جل أحكام الشريعة، ومن تأصيل لتيك الشبهات ودفاع من قِبلهم عنها باستماتة، بل ومن مخالفات صريحة لما جاء في آي القران وأحاديث السنة ومشاقةٍ ومحادة لله ورسوله.. إلى غير ذلك مما لا يحصى.. وإنما أردت فقط في هذا المقال، بيان:

أ-أن ما فعلته (الجماعة) على مدار العقود الماضية يرقي لأن يكون جرائم ضد الإنسانية، ولا ينبغي إلا أن يكون مجرد تجربة يجب أن تمحى من ذاكرة التاريخ ويُفيد منها المخلصون المتبعون، أما أن تمثّل الإسلام أو تكون هي الإسلام؛ فلا وألف لا.. كونها –وجميع من تحالف معها، لاسيما من سموا بـ (السرورية) و(الصحوة) و(قراء ليبيا) و(الجماعة الإسلامية) و(هيئة الحقوق والإصلاح) و(رموز وأحزاب مصر السلفية إلا من تبرأ) و(إصلاح اليمن والأردن المتلونَين المخادعَين)، ومن أطلقوا على أنفسهم (سواعد الإخاء) من دعاة الفتنة والأئمة المضلين، و(إخوان السعودية) أيًا ما كان مسماهم، وأمثالهم ممن تمسحوا بالسلفية وليسوا منها– ممن مُيعت عقيدته ونازع الأمر أهله وكانت رايات جهادهم عُميّة، وينسحب عليهم قول أيوب السختياني: (إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف).

ب-وضرورة أن تعي الأمة أن هؤلاء الخارجين من تحت عباءة الإخوان والقطبيين، هم من عناهم النبي بقوله: (يقرءون القران لا يجاوز تراقيهم) (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) (شرار الخلق والخليقة) (كلاب أهل النار) (يحسنون القيل ويسيئون الفعل)، وهم من تنبأ النبي بامتدادهم وأكد في أكثر من عشرين مرة كما في حديث ابن عمر بأنهم (كلما خرج –منهم– قرن قُطع)، وذلك أن جماعاتهم قامت على نفس ما قامت عليه من تحدث عنهم الرسول وجاء ذكرهم في أثر السختياني وفي قول ابن تيمية في منهاج السنة ٤/ ٥٢٨: "وغاية هؤلاء إما أن يُغلبوا، وإما أن يَغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة" حسب سنن الله القاضية والماثلة في قوله: (وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.. محمد/ ٣٣)، فما أكثر ما ناصروا مبتدعة الدين ودعوا الناس إلى تأييدهم، وكم قتلوا وحرضوا من أجل بدعهم وقد رفعوا مثل الخوارج، شعار: (لا حكم إلا الله) (الإسلام هو الحل) (الشرعية والشريعة) (ومن

لم يحكم بما أنزل الله فأولئك..) إلخ، رغم أنهم مَن تُعرض عليهم المسائل بل والإمارة فلا يحكمون فيهما بما أنزل الله، ومن ثم حرُم الجهاد تحت راياتهم كونها رايات لعصبية وجاهلية.

جـ-وأنها ممن ينسحب عليها وعلى بدعها قوله عليه السلام: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)، وقوله: (إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته) وما جاء في الأثر (من وقّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الدين)، وعليه فقد وجب هجرها والبراءة منها وبغضها في الله.

د- وضرورة ألا تُسَلّم الأمة نفسها وعقلها وزمام أمرها سوى للآية والحديث بفهم ومعتقد النبي والصحابة ومن تبعهم بإحسان يقودها في ذلك العلماء المتجردون، إن أرادت أن تعود إلى صفاء دينها، حيث لا يُصلِح آخرها إلا الذي صلُح به أولها.. وقد كفانا كبار علماء السعودية الأثبات مئونة الحكم على جماعة الإخوان، فقد أفتوا بأنها خارجية وليست من أهل السنة، كما سبق أن سقنا كلام أئمة السلف في إمامة المتغلب وحكم الخروج عليه، ودللنا فيما بعد على انتهاجها منهج الخوارج، وما بقي إلا أن نؤصل ونذكِّر بموقف الإسلام من أهل البدع وبخاصة الخوارج الذين أبرز ما يميزهم (الخروج عن طاعة ولاة الأمور ومفارقة الجماعة) وأنهم (يقتلون –وباسم الجهاد– أهل الإسلام)، وأن منابذتهم أمر عقدي ومن أعظم أصول الدين التي تَحفظ على المسلم دينه وتقيه من مهالك البدع والضلالات، ليحيى بعد ذاك من حي عن بينة وليهلك من هلك عن بينة، فنقول وبالله التوفيق:

إن عبارات أهل العلم على مدار العصور قد تضافرت في التحذير من المبتدعة وبدعهم لاسيما بدع الخوارج، وقد أوضحوا أن أصل البلاء: الابتداع في الدين وتقديم العقول والأهواء في فهمه دون فهم القرون الفاضلة، وذلك قول ربنا (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا)، وقوله عليه السلام: (وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل ضلالة في النار)، وقوله: (سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم)، وقوله في بيان الفرقة الناجية والطائفة المنصورة: (ما أنا عليه وأصحابي)، وسنذكر في شأن ذلك كلام ابن تيمية وابن القيم والشاطبي وأبي المظفر وغيرهم، ليتأكد لنا من خلال كلامهم: أن تقديم العقول والعواطف والآراء على نصوص الشرع "هو دأب أهل البدع، يضعون أهواءهم أولًا ثم يطلبون الأدلة عليها من الشرع وكلام العرب، بعكس أهل الحق فإنهم يضعون الدليل أولًا ثم ينقادون له، فيعتقدون ويحكمون بعد ما يستدلون، وأهل الأهواء إذا وجدوا الأدلة على خلاف ما يعتقدون أوّلوها وحرفوها وصرفوها عن حقيقة معناها".. وتلك هي مصدر فتنتنا في كل الأحداث والكوارث التي تحل بمصر وليبيا واليمن وبسائر أمة الإسلام.

ومن غير الأحاديث والآثار الواردة فيمن ذكرنا، أسوق من أقوال أئمة العلم في معاملة أهل الابتداع: ما جاء عن إسماعيل المزني، فيما كان عليه أهل السنة، قال: (والإمساك عن تكفير أهل القبلة والبراءة منهم فيما أحدثوا، ما لم يبتدعوا ضلالًا؛ فمن ابتدع منهم ضلالًا كان على أهل القبلة خارجًا، ومن الدين مارقًا، ويتقرب إلى الله بالبراءة منه، ويهجر ويُحتقر، وتجتنب غدّته فهي أعدى من غدة الجرَب)، وقول الآجري في آخر كتابه (الشريعة): (ينبغي أن يهجر جميع أهل الأهواء من الخوارج.. وكل من نسبه أئمة المسلمين أنه مبتدع بدعة ضلالة، فلا ينبغي أن يكلم ولا يسلم عليه ولا يجالس ولا يصلى خلفه ولا يُزوّج ولا يَتزوج إليه من عرفه، ولا يشاركه ولا يجادله، بل يذله بالهوان له، وإذا لقيتَه في طريق أخذت في غيرها)، وكان قد أوضح ص ٢٧ وما بعدها حكم الخوارج وبيّن أنه: "لم يَخْتَلف العلماءُ قَديمًا وحدِيثا أَن الخوارج قَومُ سُوءٍ عُصاةٌ لله ولرسوله وإن صلوا وصاموا وَاجتهدوا في العبادة وأظهروا الأمر بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكَر، وليس ذَلك بنافعٍ لهم لأنهم قَومٌ يتأَوّلون القرآن على ما يَهْوون ويُمَوِّهون على المسلمين، وقد حذّرنا الله منهم، وحذَّرنا النبي، وحذَّرناهم الخلفاءُ الراشدون بعده، وَحذَّرَناهمُ الصحابةُ ومن تبِعهم بإحسان، والخوارجُ هُم الشُّرَاةُ الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائرِ الخوارج يتوارثون هذا المذهبَ قَديمًا وحديثًا، ويَخرجون على الأئمة والأمراءِ ويستَحلون قَتل المسلمين"، إلى أن قال:

"فلا ينبغي لمن رأى اجتهادَ خارجِيٍّ قَد خرج على إمامٍ عدلًا كَان الإمامُ أو جائرًا، فَخرجَ وجمَع جماعةً وسل سيفه واستحل قتال المسلمين، فلا ينبغي له أن يغترّ بقراءته لِلقرآن، ولا بِطُولِ قيامه في الصّلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحُسْنِ أَلفَاظه في العلم إِذَا كَانَ مذهبُه مَذهبَ الخوارج".

ثم طفق يسرد علامات الخوارج إلى أن ختم كلامه فيهم بقوله: "قد ذكرتُ من التحذير من مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله عن مذهب الخوارج ولم ير رأيهم، وصبر على جور الأئمة وحَيْف الأمراء ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله كشف الظلم عنهم وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح وحج معهم وجاهد معهم كل عدو للمسلمين، وصلى معهم الجمعة والعيدين، فإن أمروا بطاعة فأمكنه أطاعهم؛ وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروا بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت الفتنة بينهم لزم بيته وكف لسانه ويده ولم يهوَ ما هم فيهم ولم يُعِن على فتنة، فمن كان هذا وصفه: كان على الطريق المستقيم".. ثم ساق بعدها وتحت عنوان (باب في السمع والطاعة لمن وُلِّي أمر المسلمين والصبر عليهم وإن جاروا، وترْك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة)، جملة من الأحاديث في ذلك.. وكذلك فعل اللالكائي في شرحه لـ (أصول اعتقاد أهل السنة)٢/ ١٠٤٣، فبدأ بالحديث عن طاعة الأئمة وثنّى بـ (ما روي عن النبي في الخوارج)، ونقل بسنده عن ابن عباس قوله – وقد ذكروا له تلاوتهم للقرآن –: (ليسوا بأشد اجتهادًا من اليهود والنصارى ثم هم يضلون).

كما تناول في الجزء الأول عموم أهل البدع والأهواء وعلاماتهم وسوء جزائهم، فذكر بسنده عن ثابت بن العجلان قوله: "أدركتُ أنس بن مالك وابن المسيب والحسن البصري وسعيد بن جبير والشعبي والنخعي وعطاء وطاووس ومجاهد والزهري ومكحول والقاسم والخراساني وثابت البناني والرقاشي: كلهم يأمروني بالجماعة وينهوني عن أصحاب الأهواء".. وعن أبي الجوزاء قوله: لأن يجاورني القردة والخنازير في داري، أحب إلي من أن يجاورني رجل من أهل الأهواء، وقد دخلوا في هذه الآية: (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ).. وعن الشعبي قوله: (إنما سميت بالأهواء لأنها تهوي بصاحبها إلى النار).. وعن أبي قلابة قوله: (لا تجالسوهم ولا تخالطوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يُلبسوا عليكم كثيرًا مما تعرفون) وفي رواية: (فإنكم إن لم تدخلوا فيما دخلوا فيه لبَّسوا عليكم ما تعرفون)، وقوله: (ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف)، وقوله للسختياني: (ولا تمكن أصحاب الأهواء من سمعك فينبذوا فيه ما شاءوا).. وعن محمد بن النضر الحارثي قوله: (من أصغى سمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم أنه صاحب بدعة، نُزعت منه العصمة ووُكل إلى نفسه)، وقوله: (إن أصحاب الأهواء قد أخذوا في تأسيس الضلالة وطمس الهدى، فاحذروهم).. وعن يحيى ابن أبي كثير قوله: (إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق أخرى).. وعن الخراساني قوله: (ما يكاد الله أن يأذن لصاحب بدعة بتوبة).. وعن ابن المبارك قوله: (صاحب البدعة على وجهه الظلمة وإن ادّهن كل يوم ثلاثين مرة).

وكان قد حكا بنفس المصدر ١/ ١٦٤ معتقد وقول الإمام البخاري فيما لقي وتوافر عليه أكثر من ألف رجل من أهل العلم بالحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر: "وأن لا ننازع الأمر أهله، ولا نرى السيف على أمة محمد، قال الفضيل: (لو كانت لي دعوة مستجابة، لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد)".

ولم يَفُتْ أئمة الإسلام أن ينبهوا على عدم الفرق بين من خرج على ولاة الأمور بالسلاح، ومن كان دأبهم الإنكار عليهم وعدم الدعاء لهم ممن يعرفون بـ (الخوارج القعدية)، وهم: أولئك الذين لا يرون الحرب والخروج بالسيف، لكنهم ينكرون على ولاة الأمور ويزينون الخروج ويؤلبون الناس على الحكام، وأن أولئك أخبث كما جاء عن أحمد، فهم شر الشر وما أكثرهم في زماننا، وفي شأنهم يقول ابن حجر في تهذيب التهذيب ٨/ ١١٤ –وبنحوه في كتابه هدي الساري ص ٤٨٣–:

"و(القَعَد الخوارج)، كانوا لا يرون الحرب، بل ينكرون على أمراء الجور حسب الطاقة، ويدعون إلى رأيهم، ويزينون مع ذلك الخروج ويُحَسنونه" ولا يباشرونه، فجميعهم دُعاة على أبواب جهنم، قال أحمد كما في مسائل أبي داود: (أشر أهل الأهواء الخوارج)، وقال: (قعد الخوارج هم أخبث الخوارج)، وقال

ابن تيمية: (لم يكن أحدٌ شرًا على المسلمين من الخوارج، لا اليهود ولا النصارى فإنهم –أي الخوارج– كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم)، ومن قبلُ كان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)، وعن امتدادهم الذي أخبر به النبي بقوله: (كلما طلع قرن قطع)، جاء قول ابن حزم في الملل: "يلحق بالخوارج مَن شاركهم في آرائهم في كل زمان"، ولكثرة ما ورد بشأنهم فإنه يَعْلَمُ بعلاماتهم وبفتنتهم مبكرًا، كلُّ عالم مستنبط يملك أدوات الاجتهاد كما قال الحسن البصري فيما نقله عن ابن سعد في الطبقات الكبرى ٧/ ١٦٦: "الفتنة إذا أقبلت عرفها كلُّ عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل".

وممن جاء تحذيره من أهل البدع صراحة أيًا ما كانوا: ابن مسعود، قال: (من أحب أن يُكرِم دينَه فليعتزل مجالسة أصحاب الأهواء فإن مجالستهم ألصق من الجرَب)، وقال: (إياكم وما يُحدث الناس من البدع، فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة، ولكن الشيطان يُحدث له بدعًا حتى يخرج الإيمان من قلبه).. وابن عباس، قال: (لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم مُمرِضةٌ للقلوب).. وعمرو بن قيس الملائي، قال: (إذا رأيت الشاب أوّل ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة، فارجه، فإذا رأيته مع أهل البدع فايئس منه، فإن الشاب على أوَّل نشئِه).. وسعيد بن جبير، قال: (لأن يصحب ابني فاسقًا أو شاطرًا –قاطع طريق– وسنيًا، أحب إلي من أن يصحب عابدًا مبتدعًا).. وإبراهيم النخعي، قال: (لا تجالسوا أهل الأهواء، فإن مجالستهم تَذهب بنور الإيمان من القلوب وتسلب محاسن الوجوه وتورث البغض في قلوب المؤمنين).. ومسلم بن يسار، قال: (لا تُمَكِّنْ صاحبَ بدعة من سمعك؛ فيصب فيها ما لا يقدر أن تخرجه من قلبك).. ومصعب بن سعد، قال: (لا تجالس مفتونًا، فإنه إما أن يفتنك فتتابعه وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه).. ومجاهد، قال: (لا تجالسوا أهل الأهواء فإن لهم عّرة كعرة الجرَب).. والحسن البصري، قال: (لا تُجالِس صاحب بدعة فإنه يُمرض قلبك) وقال: (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم).. وهشام بن حسان، قال: (كان الحسن وابن سيرين يقولان: لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم).. وابن عون، قال: (لا يُمَكِّن أحدٌ منكم أذنيه من هوى أبدًا).

وكذا الأوزاعي، وقد قيل له إن رجلًا يقول أنا أجالس أهل السنة وأجالس أهل البدع، فقال: (هذا رجل يساوي بين الحق والباطل)، وقال: (اتقوا الله معشر المسلمين وأقبلوا نصح الناصحين وعظة الواعظين، واعلموا أن هذا العلم دين فانظروا ما تصنعون، وعمن تأخذون، وبمن تقتدون، ومَن على دينكم تأمنون، فإن أهل البدع كلهم مُبطلون، أفاكون آثمون، لا يَرعوون، ولا ينظرون، ولا يتقون، ولا مع ذلك يُؤمَنون على تحريف ما تسمعون، ويقولون ما لا يعلمون في سرد ما ينكرون، وتسديد ما يفترون، والله محيط بما يعملون، فكونوا لهم حذرين متهمين، رافضين مُجانبين فإنَّ علماءكم الأولين ومن صلح من الآخرين كذلك كانوا يفعلون ويأمرون، واحذروا أن تكونوا على الله مظاهرين، ولدينه هادمين ولعراه ناقضين موهنين بتوقير المبتدعين والمحْدِثين، وأي توقير لهم أو تعظيم أشد من أن تأخذوا عنهم الدين، وتكونوا بهم مقتدين، ولهم مُصدقين موادعين مؤالفين، وكفى بذلك مشاركة لهم فيما يعملون".

ومنهم سفيان الثوري، قال: (ما من ضلالة إلا ولها زينة)، وقال: (لا تخالط صاحب بدعة).. وعبد الله بن المبارك، قال: (إياك أن تجلس مع صاحب بدعة).. وابن مهدي، قال: (لا تجالس أصحاب البدع، إن هؤلاء يفتون فيما تعجز عنه الملائكة).. والفضيل، قال: (من جلس مع صاحب بدعة لم يُعط الحكمة)، وقال: (من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه)، وقال: (صاحب البدعة لا تأمنه على دينك ولا تشاوره في أمرك ولا تجلس إليه، ومن جلس إلى صاحب بدعة أورَثه الله العمى) يعني: في قلبه، وقال: (علامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة)، وقال: (من أتاه رجل فدَله على مبتدع، فقد غش الإسلام، احذروا الدخول على أصحاب البدع فإنهم يصدون عن الحق)، وقال: (أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة وينهون عن أصحاب البدع)، وقال: (لا تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة)، وقال: (إياك أن تجلس مع من يفسد عليك قلبك، ولا تجلس مع صاحب هوى فإني أخاف عليك مقت الله)، وقال: (آكل من يهودي ونصراني ولا آكل مع مبتدع، وأُحِبُ أن يكون بيني وبين صاحب البدعة حصن من حديد)، وقال: (من عظّم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام،

ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله على محمد، ومن زوّج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع)، وفي تبرير ذلك يقول الشاطبي في الاعتصام: "فإن توقير صاحب البدعة مظِنّةٌ لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:

إحداهما: التفات الجهال والعامة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنّه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنة على سنّتهم.

والثانية: أنّه إذا وُقِّرَ من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرض له على إنشاء الابتداع في كل شيء، وعلى كل حال فتحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه".

وممن حذر بشدة من البدع وأهلها من أئمة الهدى: أيوب السختياني –وقد دُعي إلى غُسل ميت، فخرج مع القوم، فلما كُشف عن وجه الميت عرفه، وقال–: (أقبلوا قِبل صاحبكم فلست أغسِّله، رأيته يماشي صاحب بدعة)، وقال له رجل من أصحاب الأهواء: أسألك عن كلمة، فولى وهو يقول: (ولا نصف كلمة ولا نصف كلمة) وهو يشير بإصبعه.. ومفضل بن مهلهل، قال: (لو كان صاحب البدعة إذا جلستَ إليه يحدثُك ببدعته، حذَرته وفررت منه، ولكنه يحدثك بأحاديث السنة في بدو مجلسه ثم يُدخل عليك بدعته، فلعلها تلزم قلبك فمتى تخرج من قلبك؟).. ومالك، قال: (لا تُسَلّم على أهل الأهواء ولا تجالسهم إلا أن تغلظ عليهم، ولا يعاد مريضُهم، ولا تحدّث عنهم الأحاديث).. وأحمد، قال: (الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم: أنهم كانوا يكرهون الجلوس مع أهل الزيغ، فإنهم يلبِّسون عليك، وهم لا يرجعون، فالسلامة في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم)، وقال –وقد سؤل عن مبتدع يدعو إلى بدعته، يجالسُ؟:– (لا يجالس ولا يُكلم لعله يتوب)، وقال: (أهل البدع لا ينبغي لأحد أن يُجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم)، وقال: (إذا سلّم الرجل على المبتدع فهو يحبه).. وأحمد بن سنان، قال: (إذا جاور الرجل صاحب بدعة، أرى أن يبيع داره إن أمكنه وليتحوَّل، وإلا أهلك ولده وجيرانه).

والرازيان أبو زرعة وأبو حاتم –وقد سئلا عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا ويمنًا، وما يعتقدان في ذلك– فكان ضمن ما يعتقدانه: أنهما (يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، يغلِّظان في ذلك أشد التغليظ، ويُنكران وضع الكتب برأي في غير آثار)، قال ابن أبي حاتم: (وبه أقول أنا)، وقال أبو علي بين حبيش المقري: (وبه أقول)، وقال أبو المظفر: (وبه أقول) وقال اللالكائي –راوي الخبر–: (وبه أقول).. وابن جرير الطبري، قال في تفسير (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم.. الآية ٦٨ من سورة الأنعام): "في هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم".. والبربهاري، قال في شرح السنة: (إذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع فاحذره، فان الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر)، وقال: (إذا رأيت الرجل جالسًا مع رجل من أهل الأهواء فحذِّره وعرّفه، فإن جلس معه بعدما علم فاتقه، فإنه صاحب هوى).

وكان ابن بطة في (الإبانة الكبرى) قد أكثر من ذكر هذه الآثار إلى أن قال ١/ ٣٢٦–وبنحوه فعل اللالكائي في (شرح أصول السنة) ١/ ٣٨–: (الله الله معشر المسلمين، لا يحملن أحدًا منكم حُسنُ ظنه بنفسه وما عهِده من معرفته بصحة مذهبه، على المخاطرة بدينه في مجالسة أهل الأهواء، فإنهم أشد فتنة من الدّجال، وكلامهم ألصق من الجرَب وأحرق للقلوب من اللهب، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم، فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم، فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر حتى صَبُوا إليهم)، ومما قاله في الإبانة الصغرى: (لا تشاور أحدًا من أهل البدع في دينك، ولا ترافقه في سفرك، وإن أمكنك ألا تقاربه في جوارك فافعل، ومن السنة: مجانبة كل من اعتقد شيئًا مما ذكرناه – يعني: من البدع– وهجرانه والمقت له، وهجران من والاه ونصره وذب عنه وصاحبه، وإن كان الفاعل لذلك يُظهر السنة).

وممن حذر أيضًا من البدع وأهلها: ابن أبي زمنين، قال في أصول السنة: (ولم يزل أهل السنة يعيبون أهل الأهواء المضلة، وينهون عن مجالستهم، ويخوفون فتنتهم، ويخبرون بخلاقهم، ولا يرون ذلك غيبة لهم).. وابن طاووس، قال لرجل من أهل الأهواء يستأذنه في الجلوس: (إن جلست –والله– قمنا)

فانصرف الرجل، ولآخر وقد دخل عليه، فأدخل إصبعيه في أذنيه وقال لابنه: (أي بني، أدخل إصبعك في أذنيك واشدد ولا تَسمع من كلامه شيئًا).. وأبو منصور معمر بن أحمد، قال فيما اعتقده النبي والصحب وتابعوهم بإحسان في كل مكان وأجمعوا عليه –وقد نقله عنه الأصبهاني في (الحجة)–: "اجتمع هؤلاء كلهم على إثبات هذا الفصل من السنة، وهجران أهل البدعة والضلالة"، وقال: (لا تُمَكِّن أذنيك من صاحب هوى).. وابن عبد البر، قال في التمهيد ٦/ ١٢٧: "أجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، إلا أن يخاف من مكالمته وصِلته ما يُفسد عليه دينه، أو يُوَلِّد به على نفسه مضرة في دينه أو دنياه، فإن كان كذلك فقد رُخص له مجانبته، ورب صرمٍ جميل خير من مخالطة مؤذية".

وأبو المظفر السمعاني، قال في كتابه (الانتصار لأهل الحديث): "واعلم أنك متى تدبرت سيرة الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح وجدتهم ينهون عن جدال أهل البدع بأبلغ النهي، ولا يَرون رد كلامهم بدلائل العقل، وإنما كانوا إذا سمعوا بواحد من أهل البدع أظهروا التبري منه ونهوا الناس عن مجالسته ومحاورته والكلام معه، وربما نهوا عن النظر إليه"، ثم ذكر عددًا من الآثار عن السلف في معاملة أهل البدع وهجرهم والتبري منهم إلى أن قال: "فهذا الذي نقلناه طريقة السلف وما كانوا عليه"..

والإمام البغوي، قال في شرح السنة ١/ ٢٢٦: "وفيه –أي حديث كعب بن مالك– دليل على أن هجران أهل البدع على التأبيد.. وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا، مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم"، ومما قاله بنفس المصدر ١/ ٢٢٤: "إن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا".. والقفطي المعروف بابن الحاج، قال: "بيّن سبحانه بقوله: (وقد نزل عليكم في الكتاب.. الآية)، ما كان أمَرَهم به في السورة المكية: (فلا تقعد معهم)، ثم بين في هذه السورة المدنية أن مجالسة من هذه صفته لحوق به في اعتقاده.

وممن ذهب من أئمة هذه الأمة إلى هذا المذهب: أحمد والأوزاعي وابن المبارك، فإنهم قالوا في رجل شأنه مجالسة أهل البدع: (يُنهى عن مجالستهم، فإن انتهى وإلا ألحق بهم).. وابن قدامة، قال في لمعة الاعتقاد: "ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة من الدين بدعة"، وقد نقل عنه ابن مفلح في (الآداب الشرعية)١/ ٢٣٢، قوله: "كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع والنظر في كتبهم والاستماع لكلامهم".. والإمام القرطبي، قال في (المفهم)٦/ ٥٣٤ بعد أن ذكر تحريم الهجر فوق ثلاث: "وهذا الهجران الذي ذكرناه هو الذي يكون من غضب لأمر جائز لا تعلق له بالدين، فأما الهجران لأجل المعاصي والبدعة فواجب استصحابه إلى أن يتوب من ذلك، ولا يُختلف في هذا".

وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية، قال في مجموع الفتاوى ٢٤/ ١٧٤ بعد أن ذكر هجران النبي لكعب وصاحبيه وهجران عمر لصبيغ: "فبهذا وبنحوه رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيغ من المُظهرين للبدع الداعين إليها والمظهرين للكبائر، فأما من كان مستترًا بمعصيته أو مسرًا لبدعة غير مكفرة، فإن هذا لا يُهجر، إذ الهَجر نوع من العقوبة، ولهذا كان أحمد وأكثر من قبله وبعده من الأئمة كمالك وغيره، لا يقبلون رواية الداعي إلى بدعة ولا يجالسونه"، وفي ٢٨/ ٢٣٠: "ومثل أئمة البدع: أهل المقالات أو العبارات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد: (الرجل يصوم ويصلي –النافلة– ويعتكف، أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟، فقال: (إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين؛ وهذا أفضل)، فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي أولئك وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، لأن هؤلاء إذا استولوا لم يُفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون الدين ابتداء".

وله في نحو ذلك كلام جيد في مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٩٢، ١٥/ ٢٨٦، ودرء التعارض ٧/ ١٧٢، فليراجع فإنه من الأهمية بمكان.

وممن حذر من البدع وأهلها: ابن القيم، قال في (بدائع الفوائد)٢/ ٢٧٥ وبعد أن ذكر مِن أنواع المخالطة من مخالطته كالغذاء، ومن مخالطته كالداء، ومَن مخالطته كالدواء: "القسم الرابع: مَن مخالطته الهلاك كله، ومخالطته بمنزلة أكل السُّم، فإن اتفق لأكله ترياق، وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس، وهم أهل البدع والضلالة، الصادُّون عن سنة رسول الله، الداعون إلى خلافها، (الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا.. الأعراف/ ٤٥)، فيجعلون البدعة سنة والسنة بدعة، والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا.. فالحزمُ كل الحزم التماس مرضاة الله ورسوله بإغضابهم، وألا تشتغل بإعتابهم ولا باستعتابهم، ولا تبالي بذمهم ولا بغضبهم؛ فإنه عينُ كمالِك"، وقال في (إغاثة اللهفان) ١/ ١٤٠: "وصَّى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع وألا يُسلِّم عليهم، ولا يريهم طلاقه وجهه، ولا يلقاهم إلا بالعبوس والإعراض"، وقال في (مدارج السالكين)١/ ٣٧٢: "كل بدعة مضلة في الدين، أساسها القول على الله بغير علم، ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها وصاحوا بأهلها في أقطار الأرض، وحذروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا في إنكار الفواحش والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد".. والعظيم آبادي، قال في (عون المعبود) ١٣/ ١٧٤: "هجرة أهل الأهواء والبدع واجبة على مر الأوقات ما لم يظهر منهم التوبة والرجوع".

وبكل هذا يعلم وجوب اعتزال جماعة الإخوان لما خالط منهجهم من البدع والمحدثات التي لا تحصى، والتي أوسعها بحثًا صاحب كتاب (إثبات فساد منهج ودعوة حسن البنا وجماعة الإخوان)، وأن تلك هي عقيدة السلف واتفاق أهل السنة والجماعة، وعليه جميع من كتب في أمور الاعتقاد، وأنه يدخل في ذلك هجر أئمتهم والداعين إلى بدعهم وجماعتهم، كما يدخل فيه عدم القراءة لهم وعدم النظر في كتابات مؤلفيهم، وبخاصة إن كان القارئ مبتدئًا في الطلب.. والله أعلم

المبحث الرابع: واجب الأمة حيال الأفكار الهدامة التي أدت لتكفيرها.. أن تحتاط لنفسها وتزيد في صبرها واعتصامها بحبل الله، وبما كان عليه النبي والصحب ومن تبعهم بإحسان

كم من الأخطاء ارتُكبت وباسم الإسلام وبهدف السعي لإعادة الخلافة على يد ومن قِبَل ما يعرف بـ (جماعات الإسلام السياسي) بحق هذه الأمة بل وفي حق الإنسانية جمعاء!.. وكم من الدماء سفكتّ؛ وكم من القيم انتهكتّ؛ وكم من الأخلاق ديست!؛ وكم من الحماقات اقترفت!؛ وكم من الأموال أهدرت!؛ لتحقيق ذات الهدف.. ويستوجب ما سبق ذكره، لأن نقرر أن اتباع مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) والتجاوز باسم (مصلحة الدعوة) لتمرير أو تبرير فعل ما يُغضب الله تعالى، ضرب من الاحتيال، وأمر لا يعرفه الإسلام بل يمجه وينكره بشدة، ففي صحيح الترغيب (١٧٠٢) من طريق حذيفة يقول: (اتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله فإن الله لا يُنال ما عنده إلا بطاعته)، ولفظه من طريق ابن مسعود في الصحيحة (٢٨٦٦): (فإن الله لا يُدرَك ما عنده إلا بطاعته)، هذا فيما هو مشروع من طلب الرزق وخلافه، فما بالك فيما هو غير مشروع؟.

ومن هذا المنطلق، ومن منطلق رفع الحرج عن الأمة فيما لا قدرة لها عليه، كانت أمور التكليف كلها المشروعة مبتناة على الاستطاعة، حتى الصلاة التي هي عمود الدين، ذلك أن من لم يستطع أن يُصلِّها واقفًا فليصلها قاعدًا، ومن لم يستطع فموميًا، ومن لم يستطع أن يتوضأ فليتيمم ومن لم يستطيع فليصل وهو فاقد الطهورين.. كذا هي الزكاة لا تجب إلا على من يمتلك النصاب، ولغير المستطيع على الصيام والحج مندوحة في تركهما.. وهكذا ترى كل ما أوجبه علينا ربنا بما في ذلك إقامة الخلافة الراشدة التي يتحتم أن تكون على منهاج النبوة وليس على منهاج أحد من الناس وإن عظم شأنه، لما هو منصوص عليه في قوله عن آخر الزمان فيما رواه أحمد وغيره وصححه الألباني وحسنه الأرناءوط: (ثم تكون خلافة على منهاج النبوة).

وقد استنبط كتَّاب السيرة من عدم تخلي النبي عن الدعوة مقابل ما عُرض عليه في مكة: "أن الشريعة الإسلامية تعبدتنا بالوسائل كما تعبدتنا بالغايات، فليس لك أن تسلك إلى الغاية التي شرعها الله لك، إلا الطريق المعينة التي جعلها الله وسيلة إليها، وفي حدود الوسائل المشروعة فقط، فقد كان من المتصور في باب الحكمة والسياسة الشرعية أن يرضى رسول الله مع كفار قريش بالزعامة أو المُلك، على أن يَجمِع في نفسه اتخاذ المُلك والزعامة ويجعل منهما وسيلة إلى تحقيق دعوة الإسلام فيما بعد – بالضبط على نحو ما يفكر فيه شبابنا – خصوصًا وأن للسلطان والمُلك – وقد عُرضا عليه عرضًا وأتياه على طبق من ذهب – وازعًا قويًا في النفوس، وحسبك أن أرباب الدعوات والمذاهب ينتهزون فرصة الاستيلاء على الحكم كي يستعينوا بسلطانه على فرض دعوتهم ومذاهبهم على الناس، لكنه ﷺ لم يرض سلوك مثل هذه السياسة والوسيلة إلى دعوته، لأن ذلك ينافي مبادئ الدعوة نفسها.. ولو جاز أن يكون مثل هذا الأسلوب نوعًا من أنواع الحكمة والسياسة الرشيدة، لانمحى الفرق بين الصادق الصريح في صدقه والكاذب الذي يخادع في كذبه، ولتلاقى الصادقون في دعوتهم مع غيرهم على طريق واحدة عريضة.

الأمر الذي يؤكد أن فلسفة هذا الدين تقوم على عماد الشرف والصدق في كل من الوسيلة والغاية، فكما أن الغاية لا يُقَوِّمها إلا الصدق والشرف وكلمة الحق، فكذلك الوسيلة لا ينبغي أن يخُطها إلا مبدأ الصدق والشرف وكلمة الحق"([1]).

نقول هذا، لأن خلافة يسعى شبابنا في التوِّ إلى أقامتها بكل سبيل، يُهجر لأجلها أبواب الدعوة المفتحة أمامهم في أصقاع الأرض، ويُتخلى في سبيل إقامتها عن قيم الرحمة والعدل والصدق والأمانة في نقل صحيح الدين، ويُرتكب في طلبها كل ما هو محرم، ونُزهق في سبيلها أنفسًا مؤمنة وجنودًا أوفياء لدينهم ولأوطانهم، وتُدمر بسببها بلدانًا ودولًا بأكملها، وتُفكك لتحقيقها جيوشًا هي في الأول والآخر محسوبة على الإسلام، ويعمد إبان السعي لإقامتها إلى إهلاك الحرث والنسل، ويُعرَّض بسببها أولادنا ومن هو منا حديث عهد بإسلام لكل ألوان الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويُستعان لأجل إقامتها بمن نهانا ربنا أن نأمنهم على ديننا من اليهود والشيعة ونصارى الغرب.. أقول:

إن خلافة يحدث من جرائها كل هذا وتقوم على الكذب والاحتيال والخداع، هي بكل تأكيد ليست على منهاج النبوة، وأمر تحقيقها على أيدينا وإن بدت لنا غاية نبيلة، أمر مشكوك فيه ويستوجب منا التخلي أولًا عن كل ما هو مخالف للشرع، والتحلي بعد ذاك وفي المقابل بكل ما هو محفِّز على جلب النفع ونشر الخير وشيوع الرحمة والعدل والقيم النبيلة لصالح البشرية وفيما بين أفرادها، والإيقان بأن هذا الأمر، ليس الشرط فيه أن يجري على أيدينا، وإلا صُدمنا بما لم يرد الله لنا تحقيقه، وبما لم يشأ لنا أن يقوم على أكتافنا لتقصير أو قصور ربما فطنا له فيما بعد، وما أكثر ما نقصر فيه وما أبشعه وما أشنعه وما أعظمه!، وأكثر وأبشِع وأشنع وأعظِم به!!.

وها هو ذا ﷺ يعدُه ربه بإنفاذ ما وعد أو توعد به أعداءه، والقرآن في كل ذلك يوجهه ويوجه أمته على مدار التاريخ لعدم شرط تحقق ووقوع ذلك في حياته وحياتها، ولِما هو مطلوب منه ومنا تحديدًا في مثل هذا الحال، فيقول: (أفأنت تُسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين. فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون. أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون. فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم. وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون.. الزخرف/ ٤٠: ٤٤)، ويقول: (وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ.. الرعد/ ٤٠).. كذا دون ما أدنى حرج للنبي ومن معه من الصحب الكرام.

إن خلافة أو أستاذية للعالم تقوم على أشلاء موحدين، وعلى أنقاض دول الإسلام، وعلى ركامٍ من الفتن يكون ضحاياها بالآلاف إن لم يكن بالملايين من السذج والذين لا يهتدون سبيلًا، كما هو الحاصل الآن.. هي من دون شك ضرب من العبث بالأمة وبدينها، وهي أستاذية لا تمثل إلا أصحابها ويأباها بكل قوة ديننا الحنيف، القائم على الرحمة والشفقة حتى بأعداء الإسلام الذي شَرع لنا أن ندعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ومن ثم لا يُمَكن الله لها ولا يتمها لأصحابها ولو أطبقت

([1]) فقه السيرة للبوطي ص ٩٢.

السماء على الأرض، لأن الله الذي لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر، لا يحب كذلك المفسدين ولا يرضى لعباده الظلم، وقديمًا قرر أهل السياسة الشرعية من علماء السنة والحديث، أن الله يُمكِّن للدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا يمكن للدولة الظالمة ولو كانت مسلمة والواقع يشهد بهذا، فكيف بخلافة تشمل أرجاء المعمورة؟!.

إن باب الفتن الذي نعرض أنفسنا وغيرنا له باب خطير، الكفر فيه أقرب للإيمان، والإلحاد فيه أقرب من الالتزام، والبعد من خلاله عن التمسك بدين الله أقرب وأيسر الطرق لاجتناب الولوج فيه.. وهو باب ينطق من خلاله الرويبضة، فيترخصون في الدين ويحلون الحرام على نحو ما جرى من إحلال بعضهم الزنا أول مرة بزعم اسمية الجملة في الآية التي نصت على إقامة حده.. وهو صنوان باب الشُّبَه الذي قلما يعلق شيء منه بالقلب فينجو منه صاحبه.

ونستطيع على إثر ما جرى ولا يزال، من أحداث عنف وقتل وتخريب وتدمير وتحريق وإفساد وقعت في الآونة الأخيرة وأصابت مجتمعات المسلمين في مقتل، أن نقول: إن ثمة خللًا لا بد من إصلاحه واعوجاجًا لا بد من تقويمه، ولا يكفي حيال كل ذلك أن يعترض آخرون حتى من نفس الفصيل؛ كانوا في يوم يشاركون من وقعت منه هذه الموبقات المنهج والفكر، فالأمر أكبر من هذا بكثير، وأعظم من أن يكون مجرد اعتراض على موقف أو تصرف.

وحقُّ وواجبُ هذه المجموعات من الشباب والقادة علينا، وحقُّنا وواجبنا عليهم، أن نتناصح ونتذاكر بما يَعرف كل منا ويوقن أنه الحق، وأن نقول من ناحيتنا: إن الأمر على هذا النحو لا يستقيم ولا يكفي، ما لم يصحبه مراجعات في المرجعية والمنهج، ومعرفة ما إذا كانت هذه الأفكار والتوجهات المبتناة على السمع والطاعة المطلقة على صواب أم على خطأ، وأيضًا معرفة أن أمور الاتفاق والاختلاف مثلها كمثل الولاء والبراء لا تكون إلا لله ووفق ما شرع الله، وأنها المقدمة الصحيحة للعمل لدين الله على بصيرة حتى ينال من الله القبول ويقع من ثَمَّ محل رضاه سبحانه.

ولكي نصدق في مراجعاتنا، ونقف على معرفة صواب ما نحن فيه من الخطأ، فإن ثمة ضوابط وظواهر وعلامات فطن إليها علماؤنا السابقون، واستطاعوا من خلالها أن يتعرفوا على البدعة والمبتدعين، ليسهل التمييز بينهما وبين السنة وأهلها ممن يستحقون التمكين، ومن أبرز من أشار إلى هذه العلامات من غير من سبق سرد معقداتهم: الإمام ابن القيم في أواخر كتابه (مختصر الصواعق) ص ٦٢٧، فقد قال فيما قال: "إن أهل السنة يتركون أقوال الناس – يعني: من غير النبي وصحابته – لها، وأهل البدع يتركونها لأقوال الناس، ومنها: أن أهل السنة يعرضون أقوال الناس عليها، فما وافقها قبلوه وما خالفها طرحوه، وأهل البدع يعرضونها على آراء الرجال فما وافق آراءها منها قبلوه وما خالفها تركوه وتأولوه، ومنها: أن أهل السنة يَدعُون عند التنازع إلى التحاكم إليها دون آراء الرجال وعقولها، وأهل البدع يدعون إلى التحاكم إلى آراء الرجال ومعقولاتها، ومنها:

أن أهل السنة إذا صحت لهم السنة يبادرون إلى العمل بها من غير نظر إلى من وافقها أو خالفها، بل يقبلونها ويعاملونها بما كان يعاملها به الصحابة حين يسمعونها من رسول الله فينزلون أنفسهم منزلة من سمعها منه، ومنها: أنهم لا ينتسبون إلى مقالة معينة ولا إلى شخص معين غير الرسول، ومنها: أن أهل السنة إنما ينصرون الحديث الصحيح والآثار السلفية وأهل البدع ينصرون مقالاتهم ومذاهبهم، ومنها: أن أهل السنة إذا ذكروا السنة وجردوا الدعوة إليها نفرتْ من ذلك قلوب أهل البدع، وأهل البدع إذا ذَكرتَ لهم شيوخهم ومقالاتهم استبشروا بها، ومنها: أن أهل السنة يعرفون الحق ويرحمون الخلق فلهم نصيب وافر من العلم والرحمة، وأهل البدع يكذِّبون الحق ويكفِّرون الخلق فلا علم عندهم ولا رحمة، وإذا قامت عليهم حجة أهل السنة عدلوا إلى حبسهم وعقوبتهم إذا أمكنهم ذلك، على غرار ما جرى لفرعون فإنه لما قامت عليه حجة موسى قال: (لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين.. الشعراء/ ٢٩)، ومنها: أن أهل السنة إنما يوالون ويعادون على سنة نبيهم وأهل البدعة يوالون ويعادون على أقوال ابتدعوها، ومنها: – وهذا من الأهمية بمكان – أن أهل السنة لم يؤصلوا أصولًا حكموها وحاكموا خصومهم إليها،

وحكموا على من خالفها بالفسق والتكفير بل عندهم الأصول: كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه الصحابة".. إلى آخر ما ذكره رحمه الله مما يعد مقياسًا دقيقًا نستطيع أن نُميز به صحة الأعمال وفاعليها، عن رديئها وفساد معتنقيه.

وإنما خُص الصحابة هنا – بعد الله ورسوله – بالذكر، لأخذ أمور الدين منهم دون سواهم، لكونهم المرجع، ولأنهم الأقدر على فهم صحيح الدين واستنباط أحكامه، والمرضي عنهم في قوله تعالى: (رضي الله عنهم ورضوا عنه.. التوبة/ ١٠٠، المجادلة/ ٢٢)، والمشهود لهم بالخيرية والسبق في قوله ﷺ: (خير القرون، الذي بعثت فيه.. ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)، ولكونهم الذين أمنت عليهم الفتنة ولم يفسدوا دينهم بدنياهم ولا بدنيا غيرهم، ولم تتغير الحنيفية السمحة على أيديهم.. ومن ثم كانت التوصية باتِّباعهم وبالتمسك بأهدابهم.. يقول عبد الله بن عباس: (عليك بالاستقامة، واتبع الأمر الأول ولا تبتدع)، وفي أثر لحذيفة: (خذوا طريق من قبلكم، فوالله لئن سبقتم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا وإن تركتموه يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا)، وفي آخر لعليٍّ بن أبي طالب: (إياكم والاستنان بالرجال، فإن كنتم مستنين لا محالة فعليكم بالأموات)، ومن أقوال ابن مسعود في هذا: (لا تقلدوا دينكم الرجال، فإن أبيتم فبالأموات لا بالأحياء)، (من كان مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة)، (إنكم أصبحتم على الفطرة، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهَدي الأول)، (من كان متأسيًا فليتأس بأصحاب رسول الله فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علومًا وأقلها تكلفًا وأقومها هديًا وأحسنها حالًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم)، وفي رواية مماثلة للحسن البصري: (فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فإنهم ورب الكعبة على الهدى المستقيم).
ويقول نعيم بن حماد: (إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك.. فإنها الجماعة حينئذ)، ويقول الأوزاعي: (اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم)، ويقول: (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول)، ويقول ابن عمر: (أيها الناس: إنكم ستُحدثون ويُحدثُ لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالأمر الأول).

ما يعني أن الجماعة المحقة المرشحة للتمكين والاستخلاف بمعناه اللغوي، لا بديل لديها من السير على منهاج النبوة والصحابة ومن تبعهم بإحسان ولا شيء سوى ذلك، وأن يكون فهمها لقضايا العقيدة والإسلام بشموله على ضوء الكتاب والسنة والإجماع، ومنهجها في نشر الدعوة هو منهج السلف الصالح والرعيل الأول، لأن هذا المنهج هو بحق: الصحيح القادر على إعادة الخلافة في الأرض التي يظن البعض أنها من بنات أفكاره.. وحسبنا منه الآن قول النبي عليه السلام فيما يعد تلخيصًا أمينًا للمشهد: (نحن لا نعطي هذا الأمر من طلبه وحرص عليه)، وقوله لمن أطاع أميره في معصية أو شبهة: (لو دخلوها – أي النار التي طلب أميرهم أن يلجوها – ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف).
ويجرنا ما سبق إلى الكلام عن الحديث عمن ركبوا رءوسهم وأبوا أن يأخذوا دينهم من منابعه الأصلية والأصيلة، فراحوا يتخذونه ممن نهى سلف الأمة عن الأخذ عنهم ممن لم تُؤمن عليهم الفتنه، ولم يكفِهم هذا حتى طفقوا يوالون عليه ويعادون عليه، فبدا واضحًا أنهم لا يريدون إخضاع العالم كله لوحي معصوم متمثلٍ في الكتاب والسنة والفهم الصحيح، وإنما يريدون إخضاعه لفكر بشري يشوبه الخطأ والصواب.
وممن نبه لهذا وبيَّن خطورته: شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان مما قاله في درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٧٢: "ليس لأحد أن يُنَصِّب للأمة شخصًا يدعو إلى طريقته، ويوالي عليها ويعادي غير النبي ﷺ وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصًا أو كلامًا يفرقون به بين الأمة، يوالون علي ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون".. وقال في مجموع الفتاوى ٢٠/ ٨، ٩: "لا يجوز لأحد أن يجعل الأصل في الدين لشخص إلا لرسول الله ولا لقول إلا لكتاب الله، ومن نصَّب شخصًا كائنًا من كان، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، وإذا تفقه

الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين مثل اتِّباع الأئمة والمشايخ فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم العيار، فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم".. إلى أن قال: "لا يخلو أمر الداعي من أمرين، أن يكون مجتهدًا أو مقلدًا، فالمجتهد ينظر في تصانيف المتقدمين من القرون الثلاثة ثم يرجح ما ينبغي ترجيحه.. والمقلد يقلد السلف إذ القرون المتقدمة أفضل مما بعدها، فإذا تبين هذا فنقول كما أمرنا ربنا: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق.. البقرة/ ١٣٧)، ونأمر بما أمرنا الله به ونَنهى عما نهانا عنه في نص كتابه وعلى لسان رسوله كما قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.. الحشر/ ٧).. فمبنى أحكام هذا الدين ثلاثة أقسام: الكتاب والسنة والإجماع".

ومن كلامه في المجموع أيضًا ٣/ ٣٤٧: "فمن جعل شخصًا من الأشخاص – غير رسول الله – من أحبه ووافقه كان – برأيه – من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة كما يوجد ذلك في الطوائف من أتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك، كان من أهل البدع والضلال والتفرق"..

وقال في المجموع ١١/ ٥١٢: "ليس لأحد أن ينتسب إلي شيخ يوالى على متابعته ويعادي على ذلك، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ومن عُرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ولا يخص أحدًا بمزيد موالاة إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه، فيقدم من قدم الله ورسوله عليه ويفضل من فضله الله ورسوله".

وقال في موضع آخر ١٨/ ٣٢٠: "وحب الغلاة لشيوخهم وأئمتهم مثل من يوالى شيخًا أو إمامًا وينفِّر عن نظيره وهما متقاربان أو متساويان في الرتبة، فهذا من جنس أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، وحال الرافضة الذين يوالون بعض الصحابة ويعادون بعضهم، وحال أهل العصبية من المنتسبين إلى فقه وزهد الذين يوالون الشيوخ والأئمة دون البعض، وإنما المؤمن من يوالي جميع أهل الإيمان"أ.هـ.. ومما قاله تلميذه ابن القيم في زاد المعاد ٢/ ٤٢٨: "التعصب للمذاهب والطرائق والمشايخ وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبية وكونه منتسبًا إليه؛ فيدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي عليه ويزن الناس به، كل هذا من دعوى الجاهلية".

تلك هي معالم الطريق وضوابط أهل الحق، وما أحوج الجميع لأن يضعها في الاعتبار، وبخاصة أولئك الذين يُكفِّرون خصومهم ظنًا منهم أنهم يمثلون الإسلام الحق بينا الأمر على خلاف ذلك تمامًا، والحق أن الكلام في ذلك كثير ولكن حسبنا منها ما ذكرنا ليتبين كمُّ الخطأ الذي يقع فيه من يوالون على أفكار البشر ويعادون عليها مع ما بها من أخطاء شنيعة، غاب أكثرها عن أكثرنا.. والله نسأل أن يبصرنا بعيوبنا وأن يستخلفنا لدينه ولا يستبدلنا.. اللهم آمين.

******

الفصل الثاني
واجب الوقت.. وغدًا.. وبعد غد.. وإلى الممات:
معرفة موطن الخلل؛ والتحلي بفضيلتي الرجوع إلى الحق ومجاهدة النفس والشيطان

المبحث الأول: واقع المسلمين.. المشكلة والحل؛ في ضوء قوله تعالى: (لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا؟، قالوا: معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون)

لم يعد الآن خافيًا على ذي بصيرة، ما يضمره أعداؤنا الذين سماهم لنا ربنا في كتابه العزيز، وكشف عما تكنه صدروهم تجاهنا، قائلًا: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزَّل عليكم من خير من ربكم.. البقرة/ ١٠٥)، وقائلًا: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالًا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون. هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ.. آل عمران/ ١١٨، ١١٩).. كما لم تعد مخططات أولئك الأعداء ومكرهم الليل والنهار في تقسيم بلادنا وتفتيت وحدتنا وتفكيك جيوشنا وتخريب ديارنا.. سرًا، أو بالأمر الذي يغيب عن ذي لب.. ففي حين نقرأ: "أوباما قبل رحيله عن البيت الأبيض الأمريكي يدعو الشعب الأمريكي إلى التوحد ونبذ الانقسام داخل المجتمع، ويضيف: (إذا كنتم تشكُّون في التزام أمريكا أو التزامي إحقاق العدل، فاسألوا أسامة بن لادن)".. نقرأ في بعض ما تخطط له أمريكا وفي سقوط بعضنا في براثنهم رغم أمر الله بمعاداتهم، عناوين:

"طارق البشبيشي القيادي المنشق عن الإخوان: الجماعة أصبحت قفازًا.. للمشروع الأمريكي في المنطقة".. "الصحفي عمر نجيب عن المشروع الأمريكي: إخضاع العراق بالكامل لنفوذ الولايات المتحدة، وتحويله إلى مستعمرة تتقاسم النفوذ فيه: القوى الإقليميةُ المتحالفة معهم، مع السيطرة المباشرة على ثرواته من النفط والغاز، ثم تحويل العراق إلى نموذج للشرق الأوسط الجديد وتقسيم دول المنطقة إلى ٥٤: ٥٦ دولة على أساس ديني ومذهبي وعرقي ومناطقي".. "اللواء د.نبيل فؤاد أستاذ العلوم الإستراتيجية: مخطط إثارة الفتن الطائفية في الدول العربية، بدأ منذ التصريحات الأمريكية عن (الفوضى الخلاقة) التي يرعاها النظام الأمريكي والتي بدأت بهدم الدول العربية بعد احتلال العراق، ومازال العمل يجري علي تنفيذها بكل الطرق".. "جماعة الإخوان بمصر حاولت جاهدة تفكيك جهاز أمن الدولة بإشراف أمريكي، حيث عملت على الإطاحة بـ ٥٠٠ ضابط من جنرالاته، وتم توزيعهم على قطاعات أقل أهمية في الوزارة، الأمر الذي دفع بعضهم لتقديم استقالته والسفر للعمل بالدول العربية".

كما نقرأ: "برهامي يفضح الإخوان ويعلن: (إراقة الدماء في رابعة كانت مطلوبة من قِبل جماعة الإخوان، حتى يَحدث انفجار ثوري على غرار ٢٨ يناير ٢٠١١)، ويصرح: (اعتصام رابعة كان فيه أسلحة، وأنه كان هناك من يطلق النار من وسط المعتصمين)".. "بموافقة من مكتب (الإرشاد): وثيقة إسرائيلية متداولة تكشف: (مرسى) التقى ضابط بالموساد يونيو ٢٠١٢".. "بعد الكشف عن كواليس لقاء الـ٣٠ دقيقة بين المعزول مرسى وضابط الموساد: ٥ وقائع للرئيس الأسبق تؤكد صحة الوثيقة المتداولة، وتتضمن: (الوساطة بين حماس وإسرائيل)، (خطاب عزيزى بيريز)، (التقاعس في مواجهة إرهاب سيناء)".. "في إحدى زياراته لسوريا: فيديو ليوسف القرضاوي يمدح بشار الأسد ويقول: عقله متفتح وأحييه على مواقفه، ويشيد بحزب الله اللبناني بسبب حرب تموز ٢٠٠٦".. "التحالف الغربي يقتل ٧٠ جنديًا سوريًا بطريق الخطأ" بزعمهم.. "في توريطة جديدة: أمريكا تدعو إلى دور تركي في معركة الموصل".. "أجهزة أمنية مصرية ترصد ٧٠٠ ألف حساب جديد على (فيس بوك وتويتر) لإثارة الفوضى"، "إعلامي سعودي: ١٧ ألف حساب وهمي على (تويتر) تنفِذ مؤامرة ضد مصر والسعودية"، وتحته: "فضَح الكاتب محمد الساعد في مقاله تحت عنوان (السعودية ومصر.. أولًا يا إخوان)، دور

الجماعة الإرهابية في التحريض والوقيعة بين مصر والسعودية لخلق حالة توتر بينهما، مشيرًا إلى أن ملايين الدولارات تُصرف في العديد من البلدان لتغيير السياسات السعودية الراسخة، حتى يتسنى لهم حكم (اليمن وسورية)، وأولًا وأخيرًا (مصر)".

كما ننقل عن (جلوبال ريسيرش): "قطع (داعش) للرؤوس هو جزء من برنامج تتبناه الولايات المتحدة لتدريب الإرهابيين في السعودية وقطر".. "مشروع (الخلافة) – التي يريدها الإخوان على خلاف منهاج النبوة – جزء من جدول أعمال السياسة الخارجية التي تتبناها أمريكا منذ فترة طويلة لتقسيم العراق وسوريا إلى أجزاء منفصلة: (أ) خلافة إسلامية سنية، (ب) جمهورية عربية شيعية، (ج) جمهورية كردية".. "حلف شمال الأطلسي والقيادة العليا التركية، مسئولان عن تجنيد مرتزقة (الدولة الإسلامية) و(النصرة) منذ بداية التمرد السوري في مارس ٢٠١١، ووفقًا لمصادر استخباراتية إسرائيلية، تألفت هذه المبادرة من: (حمْلة لتجنيد آلاف المتطوعين المسلمين من دول الشرق الأوسط والعالم الإسلامي للقتال إلى جانب المتمردين السوريين، على أن يقوم الجيش التركي بإيواء هؤلاء المتطوعين وتدريبهم وتأمين مرورهم إلى سوريا، والناتو يمنح المتمردين أسلحة مضادة للدبابات – ديبكا)".. " توجد قوات خاصة وعملاء مخابرات غربيين في صفوف (داعش)، كما شاركت القوات الخاصة البريطانية ومخابرات في تدريب المتمردين الجهاديين في سوريا".. "بوكو حرام في نيجيريا، والشباب في الصومال، والجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا، تلقوا دعمًا من الناتو في عام ٢٠١١.. والقاعدة في المغرب الإسلامي، والجماعة الإسلامية في إندونيسيا، إلى جانب فروع القاعدة الأخرى تتلقى دعمًا سريًا من المخابرات الغربية".. "رغم أن الولايات المتحدة هي المؤسِّس غير المعلَن لـ (تنظيم الدولة)، فإن مهمة أوباما المقدسة هي حماية أمريكا ضد هجمات (داعش)".. "الغارات التي تشنها أمريكا والناتو لا تستهدف (داعش)، بل تقصف البنية التحتية الاقتصادية في العراق وسوريا، بما في ذلك المصانع ومصافي النفط".. "قوات (داعش) هم جنود المشاة التابعين للتحالف العسكري الغربي، ومهمتهم غير المعلَنة هي تخريب وتدمير سوريا والعراق، بالنيابة عن راعيهم الأمريكي".

هذا عمن أحسن الظن بأعداء الإسلام فأوردوه الموارد، أما دورنا نحن، فيتمثل فيما قاله إمام أهل السنة أحمد بن حنبل في أول كتابه (الرد على الجهمية والزنادقة): "الحمد لله الذي جعل في كل زمانٍ فترة من الرسل: بقايا من أهل العلم يَدعُون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس أحيَوه وكم من تائه قد هدَوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدع وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلِفون في الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهَّال الناس بما يشبِّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين"إ.هـ

<u>الإخوان ممن (يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يحسبونه لهم وهو عليهم):</u>

وقد سبق أن ذكرنا بالأدلة والوقائع: أن ثمة قواسم مشتركة تجمع بين إخوان الحاضر وخوارج الماضي، وأن أهم هذه القواسم: (تكفير الغير نتيجة جعل بيعتهم للمرشد بمثابة البيعة للإمام العام، ومن ثم فالخارج عليه مفارق لجماعة المسلمين التي هي جماعتهم)، و(الخروج على حكام المسلمين ومنازعة الأمر أهله جراء تصورهم الخاطئ عن البيعة)، و(استحلال الدماء المعصومة جراء نفس التصور)، وسعيهم لتحقيق خلافة حسم الرسول ﷺ أمرها وأخبر أنها لا تكون إلا في قريش وأجمع علماء الأمة على ذلك، وقد نص أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين ص ١٢٥ أن من خالف في ذلك هم الخوارج، فقال: "وأما السيف: فإن الخوارج تقول به وتراه.. والخوارج بأسرها.. يرون أن الإمامة في قريش وغيرهم إذا كان القائم بها مستحقًا لذلك، ولا يرون إمامة الجائر"إ.هـ.. ونزيد هنا في رابع هذه القواسم: ما جاء في قوله عليه السلام من أنهم أينما وجدوا: (يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم).

ومن مظاهر ذلك في خوارج عصرنا:

١-الوثوق بأعداء الإسلام والارتماء في أحضانهم، مع صريح نهي القرآن عن ذلك:

ذلك أنه ومع ما سبق ذكره من آي سورتي البقرة وآل عمران، إلا أنك ترى الثقة التامة من قِبَل داعش والإخوان فيمن حذر القرآن منهم، فقد آمن الإخوان لمن لم يتْبعْ دينَهم بالمخالفة لقوله تعالى: (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم)، وبلغ الأمر بأن ارتضى أعداء الإسلام مسلكهم، بل ورأوا فيه وفيهم: تحقيق أهدافهم من النيل منا معاشر المؤمنين ومن إسلامنا، وتقرأ لهيلاري كلينتون قولها في كتابها: (خيارات صعبة) ويقع في أكثر من ٦٠٠ صفحة: "أمريكا قد درست مشروع: (تنظيم الدولة الإسلامية) وأحالته على التنفيذ، وقد كان منتظرًا أن تقام هذه الدولة على سيناء المصريّة، وأن تُلاقِي اعترافات واسعة بها من لدن دول كثيرة وكبرى فور إعلانها"، وتقول كلينتُون – وهي تَسرد معطيات وقوف أمريكا ورَاء دَاعش خلال فترة إمساكها بحقيبة الخارجية، وتُقرن فشل المخطّط بقيام الحراك المصريّ الذي أسقط مرسِي –: "شاركنا فيما جرى بالعراق وسورية وليبيا، لكنّ ما قام بمصر أضاع كلّ شيء.. وقد فكرنا في استخدام القوّة، لكنّ الجيش المصري فطن لتحركاتنا بمياه البحر المتوسط قُبالة الإسكندريّة.. كما أنّ جودة عسكر مصر والالتفاف الشعبي حوله جعلنا ننسحب لمعاودة استراتيجياتنا".

وهنا تورد (هيلاري) اعترافها بتحركاتها الدولية من أجل تمهيد الطريق أمام دولة (دَاعش)، مقرّة بنَيلها موافقة ١١٢ دولة مستعدّة للاعتراف بهذا الكيان فور الإعلان عن قيامه، خاصّة من أُورُوبَّا.. وتزيد: "لقد كان من المقرّر أن يُعلن عن (الدولة الإسلاميّة) بحلول الخامس من يوليو العام الماضي، لكنّ كلّ شيء كُسر ونحن ننظر إليه حين ثار المصريون في الثلاثين من يونيو".. المسئولة الأمريكيّة ذكرت في كتابها، تخطيطَ أمريكا للتحكم في الطاقة والمنافذ البحريّة عن طريق (مُتعاونين مع وَاشنطن)، وأقرت بأنّ مُفَعِّلي مشروع (دَاعِش) منهم، وأنّ (الإخوان) كانوا مهيئِين لمساعدة أمريكا على ذلك من وسط دول: كـ (الكويت والسعودية والإمارات والبحرين وعُمَان)، وأنّ الغرض كان تقسيم المنطقة لصالح أمريكا.. والحق أن هذا الكلام الذي يعكس المخطط الجهنمي الذي ساهم فيه الإخوان بشكل فعال، يغني عن كثير من تفاصيلِ وعديدِ الخطط التي وضعها من لا يرقب فينا إلا ولا ذمة لتدميرنا وأوطاننا بالكلية، وآمل من كل إخواني ومن كل ساذج مثله غلبت عليه عاطفة التدين المغلوط ويتكلم عن ولي أمره وعن وطنه الذي آواه بطريقة غير لائقة، أن يتأمل ما قالته هذه السيدة المخلصة لدينها ووطنها، وأن يقرنه بمحاولاتها المستميتة ومعها إدارتها بتنحي المجلس العسكري المصري عن سدة الحكم عقب ثورة يناير لإعطاء الفرصة كاملة لـ (إخوان مصر) بتولي الحكم، ليتأكد كل إخواني بنفسه كيف أن جماعته التي سلم نفسه لها تسليم مفتاح: ممن (يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم).. ونطالع في تقرير وتأكيد ما ذكرنا:

أ) تصريح القيادي الإخواني د.محمد البلتاجي: بأن "ما يحدث في سيناء سيتوقف في اللحظة التي سيتراجع فيها الجيش عما وصفه بالانقلاب، وعودة مرسي إلى مهامه"، وهذا اعتراف ضمني بمسؤولية جماعته وحماس عن أحداث العنف التي جرت في سيناء، وبخاصة أن الأيام التي أعقبت تصريحه وأعقبت عزل مرسي كانت قد شهدت سلسلة هجمات استهدفت مقرات أمنية وكمائن للشرطة، في مدن (العريش ورفح والشيخ زويد)، ولا يزال هذا المسلسل مستمرًا وآخر ذلك مقتل العميد أركان حرب (عادل رجائي) قائد الفرقة التاسعة مدرعات السبت ٢٢/ ١٠/ ٢٠١٦، والعقيد رامي محمد حسنين قائد الكتيبة ١٠٣ صاعقة السبت ٣٠/ ١٠.

ب) قول عاصم عبد الماجد في ٥/ ٢٠١٦، فيما نصه: "الإخوان دعموا أمريكا بالعراق، وبايعوا مبارك – يعني: الذي خرجوا عليه بالسلاح فيما بعد – وتركوا اليمن للحوثي".

جـ) شهادة لواء أركان حرب متقاعد (حسام سويلم)، وهي بعنوان: (جرائم الجماعة ضد الشعب المصري فاقت ما ارتكبته إسرائيل)، إذ يقول في حديثه الكاشف: "قد تأكد لأمريكا أن دعم الإخوان ومساندتهم يَصُبان في خدمة مصالح الولايات المتحدة ويحققان أهدافها، ما يعنى لأمريكا مزيدًا من السيطرة على دوائر صنع القرار في مصر، وبالتالي تنفيذ مخطط (الشرق الأوسط الكبير)، ومضت الخطة الأمريكية لتمكين الإخوان من حكم مصر بدءً بإزاحة المجلس العسكري من السلطة في أغسطس ٢٠١٢، وإصدار الإعلان الدستوري الذي حصَّن به مرسى نفسه وقراراته ومجلس الشورى، وانتشار

الإخوان في جميع مؤسسات وهيئات الدولة ومد خطوط التعاون بين نظام الحكم الإخواني في مصر وحكومتي قطر وتركيا، إلى أن فوجئت (أمريكا) ومعها (الإخوان وحلفاؤها) بشخص (الفريق السيسي) يقلب الطاولة عليهم جميعًا، وينحاز إلي ثورة الشعب في ٣٠ يونيه ويطيح بنظام حكم الإخوان، بل ويفسد على أمريكا مخططاتها للهيمنة علي باقي دول الشرق الأوسط، ولم يستطع أوباما أن يصمد طويلًا في ترديد ما أشاعته جماعة الإخوان بأن ما حدث انقلابٌ عسكري، حيث اعترف مجبرًا بأنها ثورة شعبية ضد نظام حكم الإخوان الفاشل.

ولكن تحت ضغوط الجمهوريين في الكونجرس، اتخذَ قرارات معاقَبَة الجيش المصري بدءً بإلغاء مناورات النجم الساطع، ثم تجميد شحنة ٤ مقاتلات إف ـ ١٦ كانت في طريقها إلى مصر، ثم منع تحويل مبلغ ٥٥٠ مليون دولار المستحقة لمصر من ميزانية ٢٠١٣، وأخيرًا تخفيض المساعدات العسكرية بشكل جوهري بما يعنى منع بيع أنظمة التسلح الرئيسية المتفق عليها وهى ١٢ مقاتلة إف ـ ١٦، ١٢ هليوكوبتر أباتشي، ١٢٠ دبابة ابرانر م ـ ١، و٢ فرقاطة بحرية، وصواريخ هاربون، ومعدات أخرى، معتقدًا أن هذه العقوبات من الممكن أن تنهى أسطورة (الفريق السيسي) وتجبره على الانصياع للإرادة الأمريكية، لكن ما حدث بعد ذلك كان العكس تمامًا، فرغم تأكيدات وزير الدفاع (تشاك هيجل) في اتصالاته العديدة مع الفريق السيسي، على أن العلاقات العسكرية بين أمريكا ومصر لن تتأثر بهذه القرارات المؤقتة، إلا أن الفريق السيسي أجابه بأن مصر لا تحتاج فعلًا للمساعدات الأمريكية، ولن تقبل بضغوط أمريكية أو التلويح مرة أخرى بقطع المساعدات، كما ترفض مصر كل صور الوصاية الخارجية، واختصر (الفريق السيسي) المكالمة مع وزير الدفاع الأمريكي لانشغاله بمواعيد مهمة، وقبل أن ينهى المكالمة أعطى السيسي هيجل نصيحة ليبلغها لأوباما مفادها: (أنه – أوباما – في حاجة لأن يقضى ما تبقى من حياته بعد الخروج من الرئاسة لدراسة تاريخ الشعب المصري)".

٢ـ الخيانة والاستقواء وطلب النصرة ممن أخبر القرآن عنهم بمواصلة عدائهم بل قتالهم لنا معاشر أهل الإيمان:

وهنا يستطرد اللواء حسام سويلم ليعاود الحديث عن: قصة (خيانة الإخوان لمصر)، فيقول: "إن الخيانة وإن كانت سمة عامة في عقيدتهم الفاسدة منذ إنشاء هذه الجماعة، إلا أنها برزت بشكل فاجر لإفساد العلاقات بين مصر وكل من الولايات المتحدة وأوروبا، حيث كانت قيادات الإخوان – سواء في مصر أو في التنظيم الدولي – على اتصال دائم بدوائر صنع القرارات في هذه الدول، ومارست ضغوطًا هائلة، ودفعت أموالًا لمسئولين ورجال إعلام لوصف النظام الجديد في مصر بأنه انقلاب عسكري، ولم يخجل قادة الإخوان من دعوة القوات الأمريكية والأوروبية للنزول في مصر لإزالة نظام الحكم الجديد وضرب الجيش المصري، حتى وصل الأمر بأحدهم إلى أن يبشر المعتصمين في رابعة بنزول (٧٠٠٠) من جنود المارينز الأمريكيين في السويس، فيرددون من ورائه (الله أكبر.. الله أكبر)، بل ويسجدون على الأرض شكرًا!!".

يقول سويلم في حواره البالغ الخطورة: "وقد كشف مرسى بنفسه عن تواطؤ جماعته مع الأمريكيين لحماية نظام حكم الإخوان في مصر، عندما أبلغ الفريق السيسي في آخر لقاء جمعهما، أن على الجيش توقع تدخل عسكري أمريكي لمساندة ودعم حكم الإخوان في مصر، وهو ما يدل على اتفاق مسبق بين أمريكا والإخوان، انعكس ذلك في البداية مع اقتراب بعض قطع الأسطول الأمريكي من المياه الإقليمية في مصر، وترحيب الإخوان بذلك على النحو الذي ظهر بوضوح في كلمات أقطابهم في اعتصام رابعة.. وبلغ إرهاب وخيانة الإخوان قمته بمحاولة الاستقواء بالولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي واستعداء الإعلام الغربي ضد مصر: عندما تزامنت الهجمات الإرهابية التي شنتها في ربوع مصر مع تدفق موجات من وسطاء السوء من أمريكا والاتحاد الأوروبي في محاولات مستميتة للعودة بالزمن إلى ما قبل ٣٠ يونيه، وإفراغ ثورة الشعب من مضمونها، تارة بالترغيب في نيل رضا الغرب، وتارات أخرى بالتهديد والوعيد بقطع المعونات عن مصر وإنذار القائمين على النظام الجديد في مصر بمغبة إقصاء الإخوان عن المشاركة في الحياة السياسية!!.

وعندما رفضت مصر كل الشروط والمطالب التي قدمها الوسطاء وتبين لهؤلاء الوسطاء صلابة الموقف المصري، وأعلنت الإدارة الأمريكية تجميد مساعداتها العسكرية لمصر استجابة لمطالب التنظيم الدولي للإخوان، انطلقت أفراح الإخوان داخل وخارج مصر ابتهاجًا بهذا القرار نكاية في الجيش المصري، بل واقترنت هذه الأفراح بتكثيف هجمات الإخوان وحلفائها في المنظمات الإرهابية وحماس في سيناء، والتي انتقلت إلى منطقة القناة داخل العمق المصري، حيث شاهدنا هجمات ضد سفن عابرة في القناة، وهجمات أخرى ضد عناصر من القوات المسلحة والشرطة في طرق (الإسماعيلية والسويس وأبو صوير)، ومحاولة تفجير خط سكة حديد (السويس – بورسعيد) لإحداث أكبر خسائر ممكنة في جنود الجيش العائدين من أجازاتهم، والملاحظ هنا: أن أركان الكونجرس والإدارة الأمريكية وكبار المحللين السياسيين لم يهللوا لقرار قطع المساعدات الأمريكية عن مصر، كما هلل واحتفى الإخوان في مصر بهذا القرار نكاية في بلادهم، إلى هذا المستوى من الحضيض – يقول سويلم – وصلت خيانة الإخوان لبلدهم مصر!!؛ بل إن من توهمناهم أول المستفيدين أسرعوا بانتقاد القرار الأمريكي، ورأوا أنه غير مفيد وليس مؤثرًا ولا يليق بالعلاقات مع حليف تاريخي مثل مصر، بل إن إسرائيل ذاتها انتقدت هذا القرار واعتبرته لعبًا بالنار، وتوقعت له آثارًا سلبية على معاهدة السلام وعلى جهود مكافحة الإرهاب في سيناء".

وبعد كلامه المستفيض عن مؤامرات التنظيم الدولي في تركيا وقطر على مصر، يقول سويلم في حديثه المسجل بالصوت والصورة: "قام التنظيم الدولي للإخوان بالاستعانة بأربع شركات دعاية عالمية (واحدة أمريكية و٣ إنجليزية) لشن هجمات في وسائل الإعلام العالمية ضد الجيش المصري والمسئولين عن إدارة المرحلة الانتقالية والرموز الوطنية المساندة لثورة ٣٠ يونيه، وقد تم تخصيص ٢ مليون دولار لهذا الغرض من حسابات القياديين: (حسن مالك وخيرت الشاطر) في بنوك خارجية، وبدأت الشركات الأربع التواصل مع عدد من الكتاب والإعلاميين الغربيين للتركيز على أن مصر تعيش في حالة فشل دائمة، وأن الجيش هو المسيطر، وبما يعد انقلابًا عسكريًا، وقد رصدت الأجهزة الأمنية في مصر استعدادات التنظيم الدولي للإخوان لتنفيذ خطة إشاعة الفوضى أثناء محاكمة مرسى، حيث أنشأ صفحات عبر الإنترنت يشرف عليها قيادات إخوانية لنقل تعليمات للعناصر الإخوانية في مصر.

ومن المقرر أن تكون شبكة (رصد) التي أنشأها خيرت الشاطر وتبث موادها من قطر وتركيا، أحد أهم العناصر التي ستزود قواعد الإخوان بالمعلومات من الخارج، والهدف هو تأجيل محاكمة مرسى وقيادات الإخوان لما بعد ٢٥ يناير المقبل حتى يتمكن التنظيم من التصعيد مع قوى ثورية مناهضة للجيش في الذكرى الثالثة للثورة، ولذلك تم تجهيز غرف متابعة مركزية لتنفيذ خطط إشاعة الفوضى، موجودة في قطر وأخرى داخل مصر".

وعن دور الإخوان في تحريض العمال على العصيان، يقول سويلم: "بعد فشل جماعة الإخوان في حرق الجامعات وتعطيل الدراسة، وفى إطار المخططات القذرة التي وضعتها هذه الجماعة الإرهابية لضرب الاقتصاد المصري، رصدت الأجهزة الأمنية تعليمات صدرت من قيادات التنظيم الدولي للإخوان باختراق الطبقة العاملة في مصر، وتحريض العمال في أكثر من موقع على الإضراب والتظاهر وإحداث فوضى وشلل تام في مختلف مواقع الإنتاج والخدمات، خاصة المترو والسكة الحديد والمطارات والموانئ ومصانع الغزل والنسيج والمواد الغذائية والاستهلاكية، وأن هذه التعليمات قد عرفت طريقها إلى كوادر الجماعة، بالمحافظات والمراكز، إضافة إلى الاستمرار في مهاجمة أقسام ومراكز الشرطة وتنظيم مسيرات إلى الميادين العامة والشوارع الرئيسية للضغط على النظام الحالي بقبول المبادرات التي تطرحها بعض القيادات والشخصيات الوسيطة لاستمرار الجماعة في المشهد السياسي، فقد كشف كمال أبو عيطة وزير القوى العاملة: عن أن جماعة الإخوان أصدرت تعليمات لكوادرها بالمصانع وغيرها من المواقع الصناعية والإنتاجية والجامعة العمالية بالتظاهر، وحرق بعض المنشآت التابعة للوزارة مقابل إمدادهم بالأموال، وأن القيادي الإخواني المقبوض عليه (سعد الحسينى)

كان وراء عمليات تحريض العمال ومدهم بالأموال لوقف عجلة الإنتاج، وإظهار الحكومة الحالية بالضعف أمام الشعب والعالم".

ويخلص الخبير العسكري فيما يصور الواقع الفعلي لما جرى، إلى القول بأن "الأيام والأحداث أثبتت حقيقة أن جماعة الإخوان قد تردت في مستنقع خيانة مصر وشعبها حتى النخاع، متمسكة بمبدئها وشعارها: (إما أن نحكم مصر أو نحرقها)، ومن أجل ذلك لا تبالي هذه الجماعة بما ترتكبه من جرائم: إزهاق أرواح، وإسالة دماء المصريين، واستحلال حرمات، وتخريب وتدمير كل ما على أرض مصر من منشآت ومرافق إنتاج وخدمات، وما تتسبب فيه من تيتيم أطفال وترميل نساء وأمهات ثكلى وآباء يفقدون كل يوم أعز ما يملكون من أبناء بسبب ما تفتعله هذه الجماعة الخائنة لله ورسوله والمؤمنين من صراعات مسلحة وإثارة فوضى وأعمال عنف في جميع جنبات مصر، وهو ما لم تفعله إسرائيل في حروبها الأربع ضد مصر.. وسيفرد التاريخ المصري سجلًا خاصا بجرائم جماعة الإخوان سيطلق عليه (سجل العار)، يسجل فيه لها كل ما ارتكبته من جرائم مشينة وموبقات في حق مصر وشعبها سيندى لها الجبين مدى القرون، فلم تتورع هذه الجماعة الخائنة عن التعاون مع جميع أعداء مصر في الداخل والخارج من أجل تخريبها وهدم جيشها ومؤسساتها الأمنية، حتى تحولها مرتعًا للمجرمين والقتلة والإرهابيين الذين أخرجتهم من السجون وسمحت لهم بالقدوم من الخارج ليعيثوا في أرض مصر فسادًا، ولينتهكوا حرمات المصريين، ويستبيحوا أرضها ونيلها وقناتها وكل خيراتها، في مقابل أن يمكنوا تلك الجماعة الخائنة من حكم مصر ولو على بقعة صغيرة من أرضها، بعد أن أبدت الجماعة استعدادها للتنازل عن الكثير من الأراضي الحدودية في سيناء وجنوب مصر وغربها لحلفائها في الدول المجاورة، وقامت بأداء الدور المطلوب منها في تفتيت مصر خدمة للأهداف الأمريكية والإسرائيلية.

ومن فضل الله على مصر وشعبها أن جعل سياسات وسلوكيات جماعة الإخوان تتسم بقدر هائل من الغباء السياسي والغرور القاتل.. فقد زرع فيهم مرشدوهم وكهنتهم أقبح صفة نهى عنها الله ورسوله، وهى الكبر والاستعلاء، وأنهم وحدهم المسلمون وما دونهم كفرة، متجاهلين حديث سيدنا رسول الله: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)، لذلك ومن هذا المنطلق لا يستوعبون دروس الماضي ولا ما تلقوه من ضربات موجعة عبر العقود الماضية على أيدي أجهزة الأمن.. أما اليوم فإنهم بغبائهم لا يدركون أنهم لا يواجهون فقط الأمن والشرطة ولكن الجيش أيضا ومعه كل الشعب المصري الذي كشف حقيقة خيانتهم وانعدام الوطنية في نفوسهم، وأن جماعتهم أصبحت تشكل خطرا جسيما على هوية مصر".

وليعذرني القارئ الكريم أن أطلت النفَس في الأخذ عن هذا المناضل، فالمصاب الذي حل بأمة الإسلام جلل، والأمر جد خطير، والرجل أدرى بما تحيكه جماعة الإخوان من مكر ودهاء ومن خيانات ودسائس ومؤامرات ليست ضد مصر فحسب وإنما ضد عالمينا العربي والإسلامي، ولعل فيما سبق ذكره تحت عنوان: (أيدلوجية جماعة الإخوان بجعلها المشروع من البيعات غير مشروع والعكس) ما يكشف عن التأصيل الشرعي من قِبَلهم فيما أفضنا فيه هنا.

٣-الخلل في عقيدة الولاء والبراء: وعجيب أن نقرأ – ومعنا علماء السعودية وقُرَّاء حرميها الشريفين بل وكل علماء وقراء عالمينا العربي والإسلامي – ونحفظ من غير ما صدَّرنا به هذا المقال، قول الله تعالى: (وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين.. البقرة/ ١٣٥)، وقوله فيما يتمنونه لنا: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق.. البقرة/ ١٠٩)، ومثله: (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم.. آل عمران/ ٦٩)، وقوله في التحذير من كيدهم ومن الاستجابة لما يودونه لنا: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير.. البقرة/ ١٢٠) ومثله قوله: (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم.. آل عمران/ ٧٣)، وقوله: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين. وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم.. آل

عمران/ ١٠٠، ١٠١)، وقوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين.. المائدة/ ٥١).. ثم نقرأ ونسمع أيضًا في الوقت ذاته عن الوقائع السالفة الذكر، وما خفي من تلك الوقائع كان أعظم، وكلها تنم عن جهل فاضح ومخالفة صريحة لما جاء في آي التنزيل؟.

وقد يقول قائل عن كل ما ذكرنا: (إن المصالح تتصالح)، ونقول: نعم، لكن ليس على حساب الدين ولا باسمه، ولا عملًا بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة، ولا لأجل تحقيق أهداف أعداء الإسلام، ولا لأجل تغيير الولاءات وجعل من أمر الله بموالاتهم أعداء والعكس، إذ النهي عن كل ذلك في القرآن والسنة والإجماع جد صريح، بل ولا حتى لتحقيق خلافة هي بكل تأكيد ليست على (منهاج النبوة)، ولا هي لصاحب تركيا كونها كما أخبر النبي: (في قريش) على ما أفضنا.. وإنما التصالح في أمور الدنيا لأجل إعمارها حيث لا تستغني الدول والمجتمعات والشعوب بعضها عن بعض في تبادل المنافع والخبرات، وأيضًا بغرض الدعوة من خلال ذلك لتحقيق غاية: (فليعبدوا رب هذا البيت)، وليقرأ من يريد نموذجًا وتطبيقًا عمليًا لذلك: (سورة قريش).

ونشير هنا مع الآيات السالفة الذكر، إلى قول الله عن محاربي أهل الكتاب: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا.. البقرة/ ٢١٧)، وإلى قوله عن حلفائهم من أهل النفاق الذين استقووا بهم: (بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا. الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا).. إلى أن قال: (الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا.. النساء/ ١٣٨، ١٣٩، ١٤١)، وقوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا.. النساء/ ١٥٤)، أي: حجة عليكم في إحلال العقوبة بكم، وقوله: (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين.. المائدة/ ٥٢)، ونظير ذلك آية ١١ من سورة الحشر.

ونقول: إنه من العجيب أن تأتي هذه الآيات المحكمات على هذا النحو الصريح والواضح، ثم نقرأ عن دور الإخوان في تنفيذ حروب الجيل الرابع التي تخطط لها إسرائيل وأمريكا والغرب، وتتمثل في: إعادة رسم الخريطة السياسية لدول المنطقة بتقسيمها عرقيا وطائفيا ومذهبيًا عن طريق ذات الدول، وهو ما يستدعى بالضرورة إثارة الفوضى والصراعات المسلحة بين أبناء هذه الدول لإضعافهم جميعًا، مع دعم ومساندة منظمات الإسلام السياسي في الاستيلاء على الحكم باعتبارها وسائل وأدوات السياسة الأمريكية لتأمين مصالح أمريكا في المنطقة وتحقيق هدف الهيمنة عليها، ونقرأ من كلام اللواء سويلم:

"لقد نجحت أمريكا في تنفيذ هذه المخططات في (العراق وليبيا واليمن والسودان وسوريا ولبنان والصومال)، ولم يتبق أمامها سوى (مصر)، وكان رهانها في ذلك على جماعة الإخوان، وقد كشف رئيس الأركان الأمريكي السابق (الجنرال هيوشيلنون) عن ذلك في تصريحات أخيرة له في صحيفة (وولدتربيون) الأمريكية، والتي أكد فيها أن أمريكا خططت لزعزعة استقرار الأنظمة في دولتين على الأقل من الدول العربية خلال العامين الماضيين وهما (مصر والبحرين)، إلا أن (مصر) نجحت في إيقاف الحملة التي قام بها أوباما لزعزعة الاستقرار في البلاد خلال عام ٢٠١٣، لافتًا إلى أن وزير الدفاع المصري الفريق السيسي تمكن من كشف المؤامرة الأمريكية لدعم الإخوان الذين وصلوا إلى الحكم وسط اضطرابات لم يسبق لها مثيل، وأضاف الجنرال شيلنون: (إذا لم تتم الإطاحة بمرسى بمساعدة الجيش، لكانت مصر قد تحولت إلى سوريا أخرى، وتم تدمير الجيش المصري بالكامل)، في إشارة منه إلى ٣٠ يونيه التي أوقفت هذه المؤامرة وحافظت على مصر وجيشها من الدمار، كما أوضح (شيلنون) أن الحلفاء العرب ابتعدوا عن واشنطن، وشكلوا تحالفًا بين مصر والسعودية والإمارات ضد الإخوان، مؤكدًا أن مصر في طريقها إلى الهدوء، وأن الفريق السيسي وضع نهاية لمشروع الشرق الأوسط الجديد.

وكان السفير الأمريكي (جيفري فيلتمان) مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط هو عرّاب المخطط الأمريكي والذي أسندت إليه الإدارة الأمريكية ملف الشرق الأوسط، فقام بالتنسيق مع (قطر) لاحتضان قيادات الإخوان باعتبارهم القوة الأكبر في مصر بعد مبارك.

وفى إبريل ٢٠١١ عُقدت عدة اجتماعات سرية بين قيادات الإخوان وممثل لأمير قطر تحت إشراف فيلتمان، وخلالها – والكلام لا يزال لسويلم – جرى الاتفاق على إعادة تنظيم الجماعة بتنظيمها الدولي ليعمل في عدد من الدول العربية لمواجهة متغيرات منتظرة خلال أشهر قليلة، ولتستعد الجماعة لتكون ذراع أمريكا الجديدة في المنطقة بعد الإطاحة بالأنظمة القائمة، وحتى تملأ الفراغ الناتج عن ذلك خشية تكرار السيناريو الإيراني بعد الإطاحة بالشاه عام ١٩٧٩، وقد انحازت تركيا لهذا الفريق خاصة مع طموحات أردوغان في استعادة الخلافة العثمانية.

وكان طبيعيًا أن يُطمْئِن (فيلتمان) إسرائيل على أن النظم الإسلامية الجديدة المخطط أن تحكم، تضمن جميع التعهدات الأمنية وعلى رأسها معاهدة السلام مع مصر، وإن كانت إسرائيل رأت أن النموذج السلفي – وليس الإخواني – هو الأنسب، لأنه سيكون دافعًا للاقتتال الداخلي وهو ما يصب في صالح إسرائيل، ويمثل تطبيقًا لسياسة (الفوضى الخلاقة)، إلا أن الأمريكيين ومعهم الأتراك رفضوا ذلك لصعوبة السيطرة على انفلات السلفيين، وفى النهاية اتفقت الأطراف – أمريكا وقطر وتركيا وإسرائيل – على دعم الإخوان في الوصول إلى الحكم، وأن تطبق جماعة الإخوان في مصر النموذج التركي حتى في اختيار حزب الإخوان السياسي (الحرية والعدالة)".

٤-تكفير الإخوان لمجتمعات المسلمين، وتفوقهم على أعداء الله في العمل على تدميرها وإضعاف معنوياتها بكل سبيل، بقصد تحقيق مفاهيم خاطئة بوسائل خاطئة:

ونقرأ في ذلك من كلام سويلم: "أن الآثام والجرائم التي ارتكبتها جماعة الإخوان في حق مصر وشعبها طوال الـ ٨٥ عامًا منذ نشأتها من أعمال قتل وتخريب وتدمير، لا تقارن بما اقترفته خلال عام الشؤم الذي حكمت فيه مصر، فلقد فاقت جرائم الإخوان في بشاعتها ما ارتكبته إسرائيل ضد مصر في حروبها الماضية، فإسرائيل كانت ولا تزال عدوًا واضحًا محدد الهوية والمعالم والمكان والأهداف والخطط والنوايا، أما جماعة الإخوان فهي من بني جلدتنا يعيشون بيننا ويدينون بديننا الإسلام، ويتحدثون لغتنا وينعمون بكل خيرات الوطن الذي يحملون هويته المصرية والذي للأسف لا يعترفون به، حيث يعتبرون الوطنية والقومية (علائق نتنة) علي حد تعبير حسن البنا وسيد قطب في كتبهم التي زرعوها في عقول ونفوس تابعيهم علي مدار العقود، وكلها تقطر سمًا زعافًا في حق مفهوم الوطنية والقومية، وأورثت هؤلاء الأتباع كل ما نراه ونلمسه من بغض وحقد وكراهية لكل من لا ينتمي للإخوان، بل حرق وتخريب وتدمير لكل ما علي أرض مصر بزعم تقويض المجتمع الجاهلي القائم، ليقيم الإخوان علي أنقاضه المجتمع المسلم الذي يحكم بالشريعة طبقًا لمفاهيمهم الباطلة".

وحسبك من خطورة هذه المفاهيم: الإمعان في تكفير الغير، وحسبك من خطورتها تلك المقارنة التي تُظهر مدى الخلل الذي ينتاب الجماعة في ولاءاتها وانتماءاتها، والتي فيها يقول سويلم: "إن إسرائيل في حرب أكتوبر ١٩٧٣– مفخرة العرب والمسلمين والتي يحلو لـ (سعود الشريم) أن يصفها بالعجوز الشمطاء – لم تنجح في تقسيم المصريين (أو السعوديين)، بل وحَّدتهم جميعًا علي اختلاف فئاتهم وطوائفهم ضدها، أما جماعة الإخوان في حربها في أكتوبر ٢٠١٣، فقد نجحت بجدارة في تقسيم المجتمع المصري (وكذا السعودي) لأول مرة في تاريخهما إلي أقلية تابعة لهم أطلقت عليهم مسلمين، وما دونهم اعتبرهم الإخوان كفارًا، أحلوا حرماتهم من أرواح ودماء وأموال وأعراض، وهو ما انعكس بشدة في جرائم القتل التي ارتكبها الإخوان ضد المصريين منذ ثورة يناير ٢٠١١ حتى اليوم، عندما اعتلوا أسطح المباني في ميدان التحرير وغيرها من الميادين في المدن المصرية وأطلقوا نيرانهم ضد الشرطة والجماهير علي السواء لإشعال نيران الفتنة بين الاثنين، فيما عرف بعد ذلك بـ (الطرف الثالث)، واتضح بعد ذلك للجميع أن (الإخوان هم الذين كانوا يشكلون هذا الطرف الثالث).

في حرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت ساحة المعركة بيننا وبين إسرائيل محصورة فقط في منطقة سيناء ومدن القناة، أما في حرب أكتوبر ٢٠١٣ التي أعلنتها جماعة الإخوان ضد المصريين فقد شملت ساحة القُطر المصري الممتدة، وبذلك نجح الإخوان في تشتيت جهود الجيش المصري علي كل الجبهة المصرية، وهو ما لم تستطعه إسرائيل.

في حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم تستطع أجهزة الدعاية والحرب النفسية الإسرائيلية أن تفرق بين الجيش والشعب، حيث شكل الجيش والشعب جبهة واحدة صلبة في مواجهة العدو الإسرائيلي، أما في حرب أكتوبر ٢٠١٣ فقد سعت جماعة الإخوان إلي الوقيعة بين الجيش والشعب، بل استعْدَت الشعب المصري ضد جيشه، وبذلت أجهزة الدعاية الإخوانية جهودها للإساءة للجيش وقادته وتشويه سمعتهم.

في حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم تقم إسرائيل بقصف أي أهداف إستراتيجية في العمق المصري، كما لم تقصف أي كنيسة أو مسجد أو قسم شرطة، بينما الإخوان في حرب أكتوبر ٢٠١٣ شنوا حربًا سافرة ضد المنشآت الإستراتيجية في كل العمق المصري، فلم يتورعوا عن إحراق أكثر من ٩٠ قسم شرطة ومديرية أمن و٦٦ كنيسة لإشعال الفتنة الطائفية بين المسلمين والمسيحيين فضلا عن تخريب المساجد غير التابعة لهم في رابعة ورمسيس وغيرهما، بل تعدي ذلك إلي إحراق المحاكم ومقار الشهر العقاري والفنادق والهجوم علي مقار وزارات الداخلية والدفاع والإعلام ومحطات القوي والبث الفضائي والتليفزيوني ومحطات المترو والكليات بالجامعات والبنوك، بل وإطلاق النار عشوائيًا علي نوافذ المنازل من فوق كوبري ١٥ مايو لترويع السكان من رجال ونساء وأطفال وإشاعة الخوف والذعر بين المصريين.

في حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم تقم إسرائيل بعرقلة خطوط السكة الحديد كما لم تتسبب في قطع الطرق أو الكباري في العمق المصري، ولكن الإخوان في حرب أكتوبر ٢٠١٣ قاموا بتعطيل خطوط السكة الحديدية لأكثر من شهر، حتى اليوم عندما نسفوا القضبان وقطعوا معظم الطرق والكباري علي كل الساحة المصرية وتعمدوا عرقلة المرور وتعطيل مصالح الناس، بل وأنشئوا بؤر اعتصام في وسط البلد لتكون بمثابة مقار لمؤسسات سياسية تابعة لهم خارج سيطرة مؤسسات الدولة تمهيدًا لطلب اعتراف الدول بهم، فوجدنا في اعتصام رابعة من يسمي نفسه رئيسًا مؤقتًا للجمهورية، ومن يشكل مجلس وزراء بديلًا للموجود فعلًا، كما عقد مجلس شوري الإخوان المنحل اجتماعات له في رابعة دعا لها وسائل الإعلام العالمية.. إلخ.

في حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم يتعرض من أسَرَتْهم إسرائيل من الضباط والجنود إلي أي تعذيب أو قهر حتى تم تبادل الأسري عند وقف إطلاق النار، أما في حرب أكتوبر ٢٠١٣ فقد تعرض ضباط وجنود الشرطة والجيش الذين اقتحم الإخوان مقارهم وأحرقوها، لصنوف من الوحشية لم تقتصر فقط علي القتل بل شملت سحل جثثهم في الشوارع وإلقاء ماء النار عليهم وضربهم بالنعال، بل وصلبهم أحياء علي الأشجار في ميدان النهضة، وتقطيع أجزاء من أجسادهم ثم إلقاء جثثهم المشوهة بعد ذلك في الشوارع والحدائق وتحت الكباري، في وحشية لم نعهدها حتى من وحوش الغابة، وكل ذلك للأسف الشديد باسم الدين ودفاعًا عن الإسلام وفي سبيله كما يتشدقون وهو منهم ومن جرائمهم براء.

في حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم تسع إسرائيل إلي فصل جزء من أرض مصر وإقامة دويلة مستقلة عليه، وحتى سيناء التي كانت تحتلها قوات إسرائيلية ست سنوات منذ ١٩٦٧، لم تعلن إسرائيل انفصالها عن الجسد المصري، ولكن في حرب أكتوبر ٢٠١٣ سعت جماعة الإخوان إلي تقطيع أوصال الجسد المصري بإعلان من التنظيم الدولي للإخوان أثناء اجتماعه في جنوب تركيا عن قيام (دولة صعيد مصر العليا) التي تضم في مخيلتهم محافظات المنيا وبني سويف والفيوم وأسيوط وسوهاج، وعزلها عن باقي القطر المصري، بل ودعوا إلي قطع كهرباء السد العالي في أسوان عن باقي أجزاء القطر المصري للضغط علي النظام الجديد القائم في مصر، كما أبدي الإخوان استعدادهم للتنازل عن ٧٥٠ كم٢ من شمال سيناء لحليفتهم (حماس) لإقامة غزة الكبرى علي حساب وحدة الأراضي المصرية، إلي جانب تجنيس خمسين ألف فلسطيني بالجنسية المصرية لتمكينهم من امتلاك أراض في سيناء والاستيطان فيها،

بدعوي (أنهم منا ونحن منهم)، هذا فضلا عن سماحهم بمضاعفة عدد أنفاق التهريب عبر الحدود من (٦٠٠) نفق إلي (٢٠٠٠) نفق في عهد مرسي، مما زاد من حركة تهريب الأسلحة والأموال من حماس إلي المنظمات الإرهابية في سيناء ليقاتلوا قواتنا هناك، ناهيك عن تهريب البضائع المصرية المدعمة والوقود من مصر إلي غزة مما أحدث أزمة وقود خانقة في مصر.

وعندما طلبت قيادة قواتنا في سيناء التصديق علي هدم الأنفاق لوقف عمليات التهريب رفض مرسي بدعوي أنها تشكل (شرايين الحياة لشعبنا في غزة)، بل ووافق مرسي أيضًا علي مقترح حمساوي بإقامة منطقة حرة علي الحدود ليكون التهريب فوق الأرض وتحت الأرض، كما رفض مرسي طلبًا للجيش بضرب البؤر الإرهابية التي تحددت أماكنها بدعوي تفضيله الحل السياسي مع المنظمات الإرهابية، لأنها من السلفيين حلفاء الإخوان في الانتخابات، وأرسل لهم بالفعل مساعده (عماد عبد الغفور) للتفاوض معهم.

وغني عن القول أنه لا توجد دولة محترمة في العالم تتفاوض مع إرهابيين، أو تسمح بوجود أنفاق تهريب علي حدودها، وإمعانا في الخيانة لم يتورع مرسي عن أن يَعِد حلفاءه من الإخوان في السودان بالتنازل عن منطقتي (حلايب وشلاتين) أيضًا بدعوي (هم منا ونحن منهم)!؛ كذلك استعداد الإخوان للتنازل عن حق مصر في إدارة منطقة القناة والمشروعات الإنمائية علي ضفتيها لـ (دويلة قطر) أيضًا بدعوي (هم منا ونحن منهم)!!

وعندما اعترض المصريون علي هذه الإجراءات الفردية من قبل مرسي التي تستقطع أجزاء من أرض الوطن لصالح حلفاء الإخوان في دول الجوار، انبري عصام العريان زعيمهم في مجلس الشورى مدافعًا عن حق رئيس الجمهورية في إعادة ترسيم الحدود، بزعم أن هذا حق كفله له الدستور!!، ولابد هنا – مع وضوح الفارق بين ترسيم مرسي للحدود وترسيم السيسي لها – من التذكير بأن عصام العريان هذا سبق له أن دعا اليهود إلي العودة إلي مصر واستعادة حقوقهم فيها!!"إ.هـ من كلام اللواء حسام وهو قليل من كثير مما في جعبته.

وأقول: إن الأغرب من كل هذا، أنهم يرون آثار القتال والدمار والخراب في البلاد التي حققوا فيها مآربهم ومآرب أعدائنا ونخص منها بالذكر: (سوريا والعراق واليمن والصومال ومصر وليبيا)، ويصرُّون –رغم هذا– على نقل هذا لسائر بلاد العرب والمسلمين تحت ذات المسمى ولنفس السبب والطريقة، وعلى السير في طريق الفشل حتى نهايته، حتى أصبح الاحتراب لديهم هو السبيل الوحيد لتحقيق غاياتهم، وأصبحنا نبصر أصحاب راية (الإسلام هو الحل) يقاتلون أصحاب راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وهما أو بعضهما يقاتل أصحاب راية (الله أكبر)، وبعض هؤلاء أو جلهم يقاتل أصحاب راية (حزب الله)، وآخرون يحاربون (جيش نصرة الإسلام)، وذلك بعد أن فشل الجميع في التوحد على (صحيح الدين الاعتقاد) و(دعوة العباد إلى عبادة رب العباد)، وأضحى كلٌّ يقاتل الذين آمنوا ويترك (أشد الناس عداوة للذين آمنوا) ويطلب خلافة ليست له ولا هي على منهاج النبوة، ضاربين بقوله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا) وقول نبيه (لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض) وقوله: (الأئمة من قريش): عرض الحائط.

والأكثر غرابة أن من سلِم من الدول المسلمة من هذا القتل والخراب والدمار الناشئ عن فساد منهج (جماعة الإخوان)، لا يزال – وعلى الرأس منها السعودية – يأمنها ويحسن الظن بها ويسمح لعلمائه بنشر أفكارها التكفيرية، وسؤالنا: ألم يأت في التنزيل: (فاعتبروا يا أولي الأبصار)، وفي الأثر أن (السعيد من وعظ بغيره)، وأين ما تفعله هذه الجماعة وتدين الله به، من نصوص الوحي وكلام الأئمة التي سقناها على مدار المقالات السابقة وبينا فيها مخالفة كل ما يفعلونه لشرع الله؟، وهل أمام أي منصف للأمة الآن إلا أن يعترف:

أ- بفشل فكرة (الإسلام السياسي).. ب - بألا ننازع الأمر أهله، إذ للسياسة رجالها وحسب أحد أصحابها – وهو (السيسي) – مناداته الآن بوحدة التراب السوري والعراقي واليمني.. إلخ، وإيثار الحل السياسي الذي سبق أن ارتضاه مرسي مع الخوارج، وذلك حتى نفوت على أعداء الإسلام مخططاتهم في

تقسيمنا وتناحرنا فيما بيننا لصناعة (إسرائيل الكبرى) وإنفاذ مشروعي (الفوضى الخلاقة) و(الشرقأوسط الكبير)؟.

المبحث الثاني: الرجوع إلى الحق.. الفضيلة الغائبة في الزمن الرديء

ويدعونا ما سبق إلى ضرورة أن نفيق لأنفسنا وندرك مدى أهمية الرجوع إلى الحق في زماننا، وإنما نقصد بـ (الزمن الرديء): رداءةَ ما يقع فيه وما وصلنا إليه من مخالفات شرعية، ندركها دون ما حتى نية لتركها أو تداركها، وفظاعةَ ما يجلبه شبابُ وجماعاتُ ما يعرف بالإسلام السياسي، وما يوقعونه باسم الإسلام بأنفسهم وبأمة المعصوم صلى الله عليه وسلم – وقد تركها وتركهم على الواضحة – من أخطار جسيمة صاروا إزاءها أشبه بمن يلقي بنفسه وقومه إلى التهلكة.. فأدلة الرّادّين على من حادوا في غابر أزماننا عن الطريق ممن جنحوا لفكر الإرجاء أو التكفير أو التشيع أو الاعتزال، ماثلة للعيان ومكتظة بها أسفار سلفنا وخلفنا، ومع ذلك نرى من يستعيد هذه الطوام، ومن يتهاون فيها، ومن يتحالف على حساب دينه مع أصحابها، ومن يُعين بشكل أو بآخر على ذيوعها، كذا دون ما أدنى استيعاب لسابق تجربة ولا أدنى تحذير من مغبتها.. والنصوص في نبذ الشرك وما يؤدي إليه من إحباط العمل، هي في الكتاب والسنة لا تحتاج إلى بيان، وترى مع ذلك من يتغافل عن خطره بل ويؤصل لخفيِّه وجليه وظاهره وباطنه وصغيره وكبيره دون أن يبالي، وقُلْ مثل ذلك فيما شاب توحيد الصفات من تعطيل وتحريف وتجسيم وتشبيه وتكييف وتأويل.. وأدلة النهي عن الفساد والإفساد ناطقة بها آي مصاحفنا، ونازل بسببها ألوان العذاب على الأمم قبلنا.

ومع ذلك تجد من يتعامى عن تلكم الآيات، ولأدنى ملابسة ينقضها ويلوي أعناقها ويُعرِّض نفسه للجزاء الذي أعده الله لمرتكبيها.. وبدُو البغضاء من أفواه من يناصبونا العداء وتربصه بنا ووُدُّه عنادَنا وطمعه في أوطاننا واستمرارية قتاله لنا، بل وظهور النصوص الموجبة لإعلان براءتنا منه، وأن ذلك مفض إلى النفاق ومرَضِ القلوب، أوضح من الشمس في رابعة النهار، وينطق به واقعنا ومن قبلُ كتاب ربنا في نحو قوله: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزَّل عليكم من خير من ربكم.. البقرة/ ١٠٥)، وقوله: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا.. البقرة/ ٢١٧)، وقوله: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم.. البقرة/ ١٢٠)، وقوله: (يا أيها آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالًا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر.. آل عمران/ ١١٨)، وقوله: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين.. آل عمران/ ١٤٩)، وقوله: (بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا. الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا.. النساء/ ١٣٨، ١٣٩)، وقوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا.. النساء/ ١٥٤)، أي: حجة عليكم في إحلال العقوبة بكم، وقوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين.. المائدة/ ٥١، ٥٢)، وقوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق)، إلى قوله: (تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل. إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون.. الممتحنة/ ١، ٢)، وقوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قومًا غضب الله عليهم.. الممتحنة/ ١٣).

ومع كل ذلك ترى من يرتمي في أحضانه ويثق فيه، ويتخذه وليًا من دون المؤمنين وعلى حساب ولائه لدينه ومجتمعه وأهله وبني وطنه وإن صاموا وصلوا وحققوا الشهادتين.. وهكذا، وحال جماعة الإخوان في كل ما ذكرنا – لاسيما بعد أن مكّن الله لهم – لا يخفى على أحد.

ولك أخي القارئ أن تقرأ وترى بطريق الفيديو – في مجال الإفساد بمصر المحروسة وعلى سبيل المثال لا الحصر – ما نشر في ٢٣/ ٢/ ٢٠١٥ بالأسماء والاعترافات: "القبض على ٩ متهمين من جماعة الإخوان اعترفوا: بإشعال النيران في مكتب بريد عين شمس، ووضع عبوات ناسفة محلية الصنع داخل محطة سكك حديد وأمام المحكمة الجزئية بالمراغة، ومقتل نجل المستشار المورلى بالمنصورة، ووضع عبوة ناسفة محلية بالقرب من قسم شرطة ثان سوهاج، ومحاولة اقتحام وإطلاق الأعيرة النارية على مركز شرطة سنورس والتعدي على مواطنين أثناء المسيرات، وإطلاق الأعيرة النارية على سيارة تأمين محافظ الفيوم، وإطلاق الأعيرة النارية على سيارتي نقل محملتين بزيوت البترول الخام على طريق مصر أسيوط الغربي، وإطلاق الأعيرة النارية على ثلاث سيارات محملة بأسطوانات البوتاجاز وإصابة قائد إحداها بطلق ناري على ذات الطريق، وإحراق قطار (إيتاي البارود – الخطاطبة) وإطلاق أعيرة نارية، وحريق عمد بمحل صالون حلاقة، وشروع في قتل عامل بمخبز بقرية الخطاطبة المحطة وإحداث إصابة به برش خرطوش".

ولك أن تتأمل ما هو أدهى وأمَر – لكونه الأساس في إعطاء المبرر لِكَمِّ الفساد والإفساد التي وقع من هذه الجماعة مما لم يسبق له نظير في تاريخ البشرية المعاصر – وأن تتعجب من حالة المظلومية التي يجيد الإخوان صناعتها ولمدد طويلة قد تمتد لعشرات السنين ولقطاعات كبيرة جدًا من الشباب، لتعرف أن الإخوان هم وراء كل ما جرى في فض اعتصام رابعة والنهضة في ١٤/ ٨/ ٢٠١٣ وما أعقبه من أحداث على مستوى الجمهورية، ذلك أن فيديوهات بلغت ١٤ ألف مقطع، أثبتت تورط قيادي اعتصامي رابعة والنهضة في استخدام السلاح، وأن المعتصمين هم من بادروا باتخاذ التحصينات وإطلاق النار في وجه الشرطة وقوات الفض وقتلوا منهم ٢٠٦ من إجمالي من تسببوا في قتلهم – لكونهم البادئين، والعارفين بموعد الفض، والمختبئين في المتظاهرين أثناء الرد على مصادر النار، وغير المستجيبين لنداءات الفض المحلية والدولية – وعددهم في مصر وسائر محافظاتها ٩٦٣ من تاريخ الفض وحتى ١٤/ ١١/ ٢٠١٣، هي حصيلة الـ ٢٠٦ شرطي وجندي + ٧٢٦ مدنيين + ٣٠ جثة مجهولة الهوية، شملت: مذبحة كرداسة، وما أسفر عن اقتحام وحرق وتفجير وإتلاف الإخوان لـ ٢٣ مقرًا للشرطة، و٥٢ كنيسة ومنشأة كنسية، والعديد من مديريات الأمن والمنشآت العامة وإدارات المرور، وأن "هذه الإحصائية – حسب مصلحة الطب الشرعي وكشوف أعلنتها بالأسماء والعناوين – تهدف للرد على الأرقام المغلوطة بأن أعداد الوفيات تتجاوز الآلاف.. وتتحدى أي شخص أن يزيد اسمًا واحدًا لتلك الكشوف".

أقول: لك أن تتأمل ما ذُكرنا لتعرف كمّ المخالفات التي وقع فيها الإسلاميون – أيًا كان عدد القتلى والمصابين – لما جاء عن النبي في تجنب الفتن والتورع عن سفك الدماء إبَّانها، ونذكر منها، قوله ﷺ لأبي ذر – وهو في صحيح الجامع ٧٨١٩ –: كيف أنتَ إذا أصاب الناسَ موتٌ أي: كثير، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (عليك بالصبر)، أو قال: (تصبر).. وفيه: قلت: يا رسول الله أفلا آخذ سيفي وأضعه على عاتقي، قال: (شاركت القوم إذن)، قلت: فما تأمرني؟؛ قال: (تلزم بيتك)، قلت: فان دخل عليَّ بيتي؟، قال: (فان خشيتَ أن يبهرك شعاع السيف، فألق ثوبك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه).. وقوله ﷺ في وصية لابن عمرو – والحديث في الصحيحة ٢٠٥ – (الزم بيتك واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة).. وقوله فيما رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه من طريق سعد ابن أبي وقاص: (إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي، قال: أفرأيت إن دخل علي بيتي فبسط إليَّ يده ليقتلني؟؛ قال: (كن كابن آدم الأول)، ثم تلا: (لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك.. المائدة/ ٢٨)، إلخ.

ولك في مجال الإخلال بعقيدة الولاء والبراء والرد على شبهات قد تثار فيما سبق ذكره، أن تطالع – في واحدة من أبشع جرائم العصر أيضًا على سبيل المثال – ما نشر في ١٩/ ٨/ ٢٠١٣ تحت عنوان: (أوباما يطالب بوضع خطة للتدخل العسكري في مصر)، وإلى هنا يبدو الخبر عاديًا باعتبار أمريكا دولة معادية،

لكنك تعجب عندما تقف على تفاصيله التي تقول: "طالبَ الكونجرس الأمريكي من الرئيس أوباما استرداد مبلغ ٨ مليار دولار استلمَهم المهندس (خيرت الشاطر) دعمًا لجماعة الإخوان المسلمين مقابل تسليم ٤٠ % – وتقدر حسب مستشار الرئيس الفلسطيني (محمود الهباش) في حوار خاص مع صوت الأزهر في ١٣/ ٣/ ٢٠١٥ بـ ١٦٠٠ كم – من مساحة سيناء، لتهجير أهالي غزة إلى الأراضي المصرية والتوسعة على اليهود، والوصول من خلال ذلك إلى حل نهائي مريح للقضية الفلسطينية من وجهة نظر إسرائيل، وهو ما سبق أن رفضه مبارك إبان حكمه"، ولمّا صار (الشاطر) وأعوانه خارج السلطة أصبح أوباما في موقف حرج أمام الكونجرس، فكان من الطبيعي أن يجيء الخبر بعدُ كرد فعل، بما نصه: "أوباما يطالب السيسي بتسليم ٤٠% من أراضي سيناء، وفق وثيقة بيع تمت بينه وبين محمد مرسي، دفعت فيها أمريكا لحكومة مرسي ٨ مليار دولار".

فهذا بالمخالفة لما جاء في المادة ١٣٢من الدستور الذي وُضع في عهد د. مرسي، والتي تَنص على أن "رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة ورئيس السلطة التنفيذية.. يحافظ على استقلال الوطن وسلامة أراضيه، ويراعي الحدود بين السلطات".. وبضميمة افتئات د.مرسي وتغوله على السلطة القضائية بتحصين قراراته من الطعن عليها فيما عرف بـ (الإعلان الدستوري)، وتعديه سلطاته بالمخالفة للمادة السالفة الذكر.. وبضميمة ما كاد د.مرسي ومعه مكتب الإرشاد أن يوقع فيه البلاد من مواجهة مسلحة غير مأمونة العواقب مع معارضيه داخل البلاد بمسلميها ومسيحييها، بما تؤذن بتدخل خارجي مباشر وبحرب أهلية تقضي على الحرث والنسل، ومن معركة بالخارج مع إثيوبيا بسبب إشكالية (سد النهضة) من شأنها هي الأخرى أن تأتي على الأخضر واليابس.. وبضميمة استحواذه وجماعته على مقاليد البلاد بالمخالفة للدستور ولمبدأ المشاركة لا المغالبة الذي وعدوا به، واعتزامه تنفيذ خطة بوش الصغير ووزيرة خارجيته (كوندليزا رايس) في تفكيك الجيش المصري وإفشاء أسراره وإحداث الفوضى الخلاقة وإنفاذ مشروع الشرق الأوسط الجديد، لصالح أمريكا وإسرائيل ونظير إيصال الإخوان لسدة الحكم في مصر.

أقول: إن هذا كله – وغيره كثير مما يضيق به المقام – يؤكد أن للسياسة رجالاتها وأن تولية د. مرسي أو غيره من قادة الإخوان منذ البداية، فضلًا عن مُطالبة الإخوان بعودة مرسي للحكم مرة أخرى، هو ضرب من العبث والبله والهذيان.. ومع أن شر البلية ما يضحك، لكن يبقى السؤال:

في أي دين تلتمس هذه الأعمال السالفة الذكر؟، وهل يجوز أن يعقد رئيس دولة محترمة صفقاتٍ، يتم بموجبها بيع أراضي وأملاك تلك الدولة التي اؤتمن عليها، فيكون كالمستعمر البريطاني الذي باع ما لا يملك لمن لا يستحق؟، وهل يجوز أن تُحتل أراضي المسلمين بأيدي وبتدبير المسلمين وباسم الإسلام، لتكون لصالح العدو الغاصب ولأشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود؟!.

الذي نعرفه أن العقد الذي بموجبه يصح ويصبح رئيس مصر رئيسًا شرعيًا لها ولشعبها، يبدأ بهذا القسم الذي فيه وبالحرف الواحد: (أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصًا على النظام الجمهوري، وأن أحترم الدستور والقانون.. وأن أحافظ على استقلال الوطن ووحدة وسلامة أراضيه)، وأن مجرد التفكير في الإخلال بهذا العقد والحنث بهذا القسم عقوبته الخيانة العظمى، ومن قبل ذلك فسخ هذا العقد وإحالة هذا الرئيس للقضاء ليُفصل في أمره وينال جزاؤه الذي قد يصل – وبموجب القانون والدستور الذي أقسم بالأيمان المغلظة على احترامهما – لعقوبة الإعدام، وأنه من البجاحة والسذاجة والحمق أن يطالب أهله وعشيرته بعودته أو بشرعيته التي تحلل منها وارتكب جنايات كبرى بنقضها.

والذي نعرفه كذلك فيما أجمعت عليه الأمة واستقر عليه أمر الشريعة: أن اغتصاب شبر من أرض المسلمين تحت أي مبرر، يفرض عليهم السعي لتحريره، لاتفاق أهل العلم على "أن شبرًا ديس من أرض المسلمين بالمشرق، وجب على أهل المغرب أن يسعوا لاسترداده"، وأن ثمة توصيات في المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية في ٢٢من ذي الحجة ١٣٨٩هـ الموافق ٢٨من فبراير ١٩٧٠م، تقضي بـ

"أن الأرض المقدسة والقدس الشريف والمسجد الأقصى ملك للمسلمين كلهم، يتحتم على المسلمين في كل مكان أن يبادروا إلى تحمل واجباتهم في الجهاد والعمل على إرسال المجاهدين إلى ساحات القتال"، وبـ "أن الجهاد بالأموال والأنفس أضحى فرض عين.. ومن يتخلف عن تحمل أعبائه فقد سلك سبيلًا غير سبيل المؤمنين".

ويحق لنا أن نؤكد الآن، على أن ما دَبّره الإخوان بشأن الإفساد الذي حصل بالفعل وعم بلاد المسلمين في مصر وليبيا وغيرهما وذكرنا منه أقل القليل، وما دبّروه بالأرض المسلمة فيما يخص الشأن الفلسطيني بالذات مما كاد أن يحصل لولا أن الله سلّم، إنما مرجعه بالأساس إلى:

كمال الطاعة) التي جعلها الشيخ البنا واحدة من بنود بيعته، وألزم بها في المكره والعسر جماعته وأتباعه، وتم بموجبها جعل زمام الأمور كلها في أيدي مجموعة من البشر تمثلت في مرشد أو مراقب عام وتنظيمٍ دوليٍّ، تقَدّس أشخاصهم ويُفرض أمرهم، وتُوضع الثقة التامة في علمهم وسياساتهم ولو أدى ذلك إلى مخالفة الشرع الحنيف، وهذا واضح بجلاء في بيعاتهم التي سبق أن ذكرنا نصها وبينا عَوَرها أثناء الحديث عن: (بطلان بيعات جماعة الإخوان).. كما أنه واضح بجلاء فيما فعله البنا من تقسيم عموم الناس حيال دعوته ومنهجه وأصوله ومبادئه، حيث ذكر في (دعوتنا) ص ١٤ ما نصه:

"والناس عندما تبلغهم دعوة الإخوان، يكونون أحد أربعة أصناف: مؤمن – متردد – نفعي – متحامل"، وهو ما أكده مرة أخرى حين أشار في رسالة التعاليم ص ٣٦٩ إلى الميزان الذي يتعامل به الإخواني مع الآخرين، قائلًا: "والناس عند الأخ الصادق ستة أصناف: مسلم مجاهد، أو مسلم قاعد، أو مسلم آثم، أو ذمي معاهَد، أو محايد، أو محارب.. ولكلٍّ حكمه في ميزان الإسلام، وفي حدود هذه الأقسام توزن الأشخاص، والهيئات، ويكون (الولاء أو العداء)".

فخلع العصمة على دعوته وجعلها صنوان دعوة الإسلام، والميزان الذي على أساسه يعرف المسلم من الكافر والمجاهد من المحارب، ليتسنى له بعدُ أن يرسخ لمبدأ وعقيدة (الولاء أو العداء) على جماعته وعلى النحو الذي صرح به كما رأينا، والذي بينا أيضًا خطأه في مقالنا: (ادعاءات جماعة الإخوان امتلاكها الحق المطلق.. دليل انحرافها عن منهج الكتاب والسنة)، وأوضحنا من خلاله أن هذا شأن من قال تعالى في حقهم: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء)، وليتسنى للبنا كذلك أن يصنِّف الناس على أساس دعوته هو، فمن آمن بها فهو المؤمن، وإلا فهو الجهل والجاهلية والخروج عن جماعة المسلمين والعداء والمفارقة للدين وللجماعة على ما أفاده فيما سبق وفي قوله في رسالة التعاليم ص ١٧ عن الطاعة في (مرحلة التعريف):

"وأريدُ بـ (الطاعة): امتثال الأمر وإنفاذه توًّا في العسر واليسر والمنشط والمكره"، وقوله في (طور التكوين): "ونظام الدعوة – في هذا الطور – صوفي بحت من الناحية الروحية، وعسكري بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائمًا (أمر وطاعة) من غير تردد ولا مراجعة، ولا شكٍّ ولا حرج.. والدعوة فيه (خاصة)، لا يتصل بها إلا من استعد استعدادًا حقيقيًا لتحمل أعباء جهاد طويل المدى، كثير التبعات، وأول بوادر هذا الاستعداد: (كمال الطاعة)"، وقوله في (طور التنفيذ): "والدعوة في هذا الطور: جهاد لا هوادة معه، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون، ولا يكفل النجاح في هذا الطور إلا (كمال الطاعة كذلك)".

وهذا الناتج عن ضيق أفقهم وصلابة أقفيتهم، هو ما تعانيه المجتمعات المسلمة الآن وتجني حصاده، وهو ما بسببه تمرد فضيلة الشيخ محمد الغزالي على جماعة الإخوان وانشق عنها، وكان أن قال في كتابه (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث) وبالحرف: "إن الذين يحسبون أنفسهم جماعة المسلمين، يرون مخالفة قائدهم ضربًا من مخالفة الله ورسوله، وطريقًا ممهدة إلى النار وبئس القرار"، واستطرد – رحمه الله – يقول: "إلا أنني عزَّ عليَّ أن يلعب بالإسلام وأبنائه بهذه الطريقة السمجة، وأن تتجدد سياسة الخوارج مرة أخرى، فيلعن أهل الإيمان ويُترك أهل الطغيان، وبم؟، باسم أن القائد وبطانته هم وحدهم أولو الأمر، وأن لهم حق السمع والطاعة، وأن الخارج عليهم يصدق فيه قول رسول الله ﷺ :

(من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه ليس بفارق الجماعة شبرًا فيموت، إلا مات ميتة جاهلية)، وقوله: (من خلع يدًا من طاعة، لقي الله لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)، وهذه الأحاديث وأمثالها وردت في منع الفتوق الجسيمة التي يحدثها الشاغبون على الدولة، الخارجون على الحكام"، يقول: "بيدَ أن تعليم هذا الجنون، كان أسلوبَ تربيةٍ وتجميعٍ عند بعض الناس، أن يقال: إن الولاء للقيادة يُكفِّر السيئات وأن الخروج على الجماعة يَمحق الفضائل، أيّ إسلام هذا؟!، ومَن مِن علماء الأولين والآخرين أفتى بهذا اللغو؟، وكيف تُلْبِسون الدِّين هذا الزي المنكر؟!، وهيهات! فقد تغلغل هذا الضلال في نفوس الناشئة حتى سأل بعضهم: هل يَظن المسلم نفسه مسلمًا بعدما خرج من صفوف الجماعة؟، ولنفرض أن رئيس الجماعة هو أمير المؤمنين وأن له حقوق الحليفة الأعظم، فهل هذا يؤتيه على أتباعه حق الطاعة العمياء؟!، لقد كان الراسخون في العلم يَدعون إلى الله ويتجردون للدعوة، فكان الناس يرون طاعتهم من طاعة الله لأنهم تلقوا دروس معرفته عنهم، ثم جاء الراسخون في الجهل يطلبون حقوق القيادة، ويتحدثون عن قانون (السمع والطاعة)، ولست أعنِّف دعِيّا من هؤلاء على مزاعمه ومطالبه، فالأمر كما قيل: (بعض الناس طغاة لأننا نركع لهم)".

وحقًا قال، فإن طلب الطاعة للبشر أيًّا ما كانت منزلتهم ودرجاتهم عند الله وقربهم منه، وإطلاقها واكتمالها على النحو السالف الذكر والذي تدعو إليه جماعة الإخوان ومن سار على دربهم، افتئات على الله ورسوله ﷺ حيث الطاعة المطلقة لهما دون ما سوهما، وما عداهما مما يكون لحكام المسلمين وولاة أمورهم، فمقيدة بألا تكون في المعصية، "ولعل هذا هو السرّ في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول – في قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.. النساء/ ٥٩) – فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولوا الأمر فشرط الأمر بطاعتهم، ألا تكون في معصية"، كذا ذكره السعدي في تفسيره الآية، وفي تفسيرها يقول الطبري إمام المفسرين، في حسم الخلاف في تعريف (ولي الأمر)، أهم الولاة أم العلماء والفقهاء؟: "وأوْلى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: (هم الأمراء والولاة)، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة، وللمسلمين مصلحة".

إلى أن قال: "فإذا كان معلومًا أنه لا طاعة واجبة لأحد غير الله أو رسوله أو إمام عادل، وكان الله قد أمر في قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) بطاعة ذي أمرنا، كان معلومًا أن الذين أمر تعالى بطاعتهم من ذوي أمرنا، هم: الأئمة من ولاة المسلمين دون غيرهم من الناس.. وإذا كان ذلك كذلك، كان معلومًا صحة ما اخترنا من التأويل دون غيره".. وهذا الذي رجحه ابن جرير، هو اختيار البيهقي في الجامع لشعب الإيمان ١٣/ ٤١ وقد احتج له بحجة أخرى، فقال: "والحديث الذي ورد في نزول هذه الآية، دليل على أنها في الأمراء"، ويعني به ما أخرجه البخاري ومسلم بشأن مَن بعثه النبي على رأس سرية من أصحابه، وأمرهم أن يطيعوه فأغضبوه، فقال: أليس أمركم النبي أن تطيعوني؟، قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطبًا، فجمعوا، فقال: أوقدوا نارًا، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهمُّوا وجعل بعضهم يُمسك بعضًا ويقولون: فررنا إلى النبي من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ ذلك النبي فقال: (لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، إنما الطاعة في المعروف).

فإذا ما ضممنا إلى كل هذا، ما سنذكره من أن علماء الإخوان، هم ممن أطلق عليهم سلف الأمة مصطلح: (الأصاغر) وحذروا من أخذ العلم عنهم، **كونهم لم يرجعوا فيه إلى ما كان عليه السلف الصالح**.. وأضفنا إليه وجوب طاعة الإمام المتغلب بإجماع الأمة – على افتراض جدلًا أن الحاكم الفعلي لمسلمي مصر كذلك ولم يأت نتيجة ثورة شعبية طالبت برفض الإخوان برمتهم وبأغلبية ساحقة فاقت بمراحل ما حصل عليه د. مرسي – وأن هذا ما تقضي به عقيدة أهل السنة والجماعة الذين:

١) استدلوا على شرعية الإمام المتغلب بفعل ابن عمر، حين امتنع عن مبايعة أيٍّ من ابن الزبير أو عبد الملك، حتى غلب الأخير واستقام أمره فبايعه، وبانعقاد إجماع الفقهاء الذي عبَّر عنه ابن تيمية في منهاج السنة ١/ ٥٢٨ بقوله: "فمتى صار قادرًا على سياستهم إما بطاعتهم أو بقهره، فهو ذو سلطان مطاع إذا

أمر بطاعة الله"، وابن حجر في الفتح ١٣/ 9 بقوله: "قد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء".

٢) وأوجبوا له – ما لم يأت كفرًا بواحًا – بذل الطاعة، ونصحه، والقيام بنصرته، وأن يُعرف له عظيم حقه، وإيقاظه عند غفلته وإرشاده عن هفوته، وتحذيره من عدوه، وإعلامه بسيرة عماله، وإعانته على تحمل أعباء أمته، وردّ القلوب النافرة عنه إليه، والذبّ عنه بالقول والفعل على ما في ذلك من تفاصيل ورد ذكرها في كتاب (معاملة الحكام) د. عبد السلام بن العبد الكريم ص٧٤: ٧٧.. أتضح بما لا يدع مجالًا للشك أن الإخوان المسلمين هم فرقة من فرق الخوارج، ينطبق عليهم أحكامها وتجري عليهم شرعًا ما جري من فعل الصحابة بها، كونهم جُبلوا على ما جبلت عليه طوائف الخوارج في إخراج مخالفيهم من الملة، لاسيما من صرّح منهم بتكفير الحاكم الحالي من نحو ما وقع من (وجدي غنيم) و(عبد المقصود) و(سلامة عبد القوي) وأمثالهم من أئمة السوء والضلال، ما لم يثوبوا إلى رشدهم ويرجعوا عن غيهم، ذلك أن العقيدة الصحيحة التي أجمع عليها أهل السنة، فيها: "ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله.. ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه.. والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن.

ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم.. ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله، ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة"إ.هـ من متن الطحاوية.

تلك هي عقيدة المسلم الحق، ولا يصح إيمانه إلا بها لتضافر الأدلة عليها، وعليه أن يتجرد تمامًا في رجوعه إليها، ويتبرأ من كل ما يخالفها، إذ شأن أهل السنة أن لا يعدلوا عن النص الصحيح وعما أجمع عليه علماء الأمة، ولا يعارضوه بمعقول ولا بقول فلان ولا فلان، وأن يعلموا أن الرجوع إلى الحق بعد تبين الخطأ، أصل أصيل في الإسلام، مرجعه: حديث النبي ﷺ في قصة تأبير النخل لما أشار عليهم بترك ذلك ثم أخبروه بفساده، فقد رجع رسول الله إلى قولهم وفعلهم، ما يؤكد أن من أجلّ الأخلاق التي ينبغي أن يتخلق بها المؤمن: تعظيمه للحق والرجوع إليه متى ما أخطأه، وهي مسالة عظيمة على النفوس الضعيفة التي لا ترفع للحق رأسًا، لكون بغيتها: هواها وشهواتها، وهي في الوقت ذاته خير دليل على ما وقر في قلب العبد الصادق في تعظيمه لربه ولنبيه ولدينه، كما أنها دليل كمال الإيمان وقوة الدين وسبيل التواضع وسبب رفعة العبد في الدارين على ما أوضحه ﷺ في قوله: (ومن تواضع لله رفعه)، بينا الإعراض عن الحق بعد تبينه: قمة الكبر كما أوضحه كذلك في قوله: (الكبر بطر – دفع – الحق وغمط الناس).

ويكفي أن قد سن رسول الله ﷺ سنة الرجوع إلى الحق هذه، وأوضح أنها المنهج القويم في النزول إلى الصواب على نحو ما رأينا في قصة تأبير النخل، وقد اقتبس ذلك منه صحابته الكرام عليهم الرضوان وتابعيهم بإحسان، يقول ابن رجب في الفرق بين النصيحة والتعيير ص ١٠: "كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم، يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صغيرًا ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غيره قولهم"، ويقول الإمام الآجري في أخلاق العلماء ص ٣٧: "إن أفتى – يعني الواحد منهم – بمسألة فعلم أنه أخطأ لم يستنكف أن يرجع عنها، وإن قال قولًا فرده عليه غيره ممن هو أعلم أو مثله أو دونه فعلم أن القول كذلك، رجع عن قوله وحمده على ذلك وجزاه خيرًا".

وسير من ذكرنا ناطقة بكل هذا، فهذا هو الفاروق عمر ﷺ يوصي أبا موسى في كتابه المشهور بقوله: "ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهُديت فيه لرشدك، أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل"، وذا علي بن أبي طالب لما قامت معركة الجمل نادى في الناس، أفيكم الزبير؟، قالوا: نعم، قال: فليخرج إليَّ، فخرج إليه الزبير حتى التقت أعناق رواحلهم مع بعض، فقال عليٌ للزبير: (يا زبير ألم يقل لك رسول الله: لتقاتلنه وأنت ظالم له)، فقال

الزبير: (نعم، وأني والله قد نسيته، وإني الآن راجع)، فرجع ﷺ ، وذاك الإمام الشافعي رحمه الله، يقول: "ما كابرني أحد على الحق ودافع إلا سقط من عيني، ولا قَبِله أحد إلا هبتُه واعتقدت مودته"، وذلك الإمام زفر إمام الحنفية لما راجعه عبد الواحد بن زياد في مسالة قتل المسلم بالذمي وتبين له الحق فيها، قال له (أشهدك أني الساعة قد رجعت عنها) قال الإمام الذهبي في السير ٨/ ٤٠ معلقا على القصة: (هكذا يكون العالم وقافا مع النص)، والكلام في ذلك كثير، لكن حسبنا ما ذكرنا فإن فيه كفاية، فهل من مجيب؟.. نسأل الله الهداية.

المبحث الثالث: أهمية تلقي العلم الشرعي لـ: للوصول إلى صحة الاعتقاد وسلامة المنهج.. والتذكير بقول الإمام مالك: (إن أقوامًا ابتغوُا العبادة وأضاعوا العِلم، فخرجوا على أمة محمد بأسيافهم، ولو ابتغوُا العِلم لحجزهم عن ذلك)

وما من شك أن الكثير وبخاصة من الشباب، واقع الآن – فكرًا وتخطيطًا وتنظيمًا وإعلامًا وتوجيهًا – تحت تأثير (جماعة الإخوان) المنتشرة في أنحاء العالم، حتى إنك لترى من لا يفكر إلا بتفكير الإخوان، ومن لا يسمع إلا لقنوات وإعلام وأبواق وأئمة الإخوان، ومن لا يردد إلا كلام الإخوان، وإن ادعى أنه ليس بواحد منهم، والإخوان في المقابل يطعنون في مخالفيهم ساسةً وإعلاميين وعلماء ويوحون إلى أوليائهم: هذا كذا وكذا، وفلان فيه كذا وفلان عنده كذا وفلان يعمل في كذا، حتى يصدّونك عن سماع غيرهم.. وأصل صنيع الإخوان وقاعدتهم في ذلك: ما ورد في المثل المصري (الزَّنّ على الودان أشد من السحر).. وهذا بالطبع على عكس ما أمر به رسولنا وما كان عليه سلفنا، ففي الآية: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا.. الحجرات/ ٦)، وعن سمات اليهود مما لا يجوز أن نشبههم فيها، نقرأ: (ومن الذين هادوا سماعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين.. المائدة/ ٤١)، وفي الحديث: (لا يكن أحدكم إمعة.. ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا إن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم)، وفي آخر: (رب أحدكم ألحن بحجته من أخيه فأقضي له بما أسمع فأقتطع له قطعة من النار)، وفي الأثر عن معاذ بن جبل فيما رواه عنه أبو داود في سننه: (اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافرًا أو قال فاجرًا، واحذروا زيغة الحكيم)، قالوا: كيف نعلم أن مع الكافر حقًا؟، قال: (إن على الحق نورًا)، وفي خبرٍ للشافعي: (رأيي صواب قد يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ – يعني: فيما أرى – قد يحتمل الصواب).

ثم إن منهج الإخوان فيما ذكرنا مستقىً مما هو معلوم في عالم الجن، فإن (إبليس لما استلب من الجن عقولهم، شلّها عن التفكير فصاروا لا يفكرون إلا في جلب الشر على بني آدم)، وما ذاك إلا لحقد أبيهم على أبينا وإفهامهم أنه من تسبب في خروجه من الجنة، لا أنه الذي تمرد وأبي تنفيذ أمر الله، كما أن ترسيخ الإخوان لقاعدة: (أنت تسمع وتطيع، ونحن نفكر لك) في نفوس أتباعهم، أشبه بفعل فرعون وقوله لملأه: (ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد.. غافر/ ٢٩)، وقولِه عن كليم الله موسى: (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد.. غافر/ ٢٦).

كذا بما يعني أنه وملأه ماضون في سياسة صمِّ الآذان عن سماع الغير، لحد أن وصل بهم الأمر لأن يقولوا لنبيهم المرسل لهدايتهم: (مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين.. الأعراف/ ١٣٢)، فأضحى ما لدى موسى بنظر الفرعون وملأه فسادُ وسحر، وهو وهم أسُّ الفساد ومن كان السحر بضاعتهم، وهكذا هو حال الإخوان مع مخالفيهم من جماعة المسلمين، وما أشبه الليلة بالبارحة!.

ولقد كان من نتيجة ذلك: تغييب عقل الأمة عن الواقع والسير بها على خلاف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، حتى طال ذلك ثلة ممن ادعوا السلفية وغاب عنهم محاربة البدع والتحذير من المبتدعة، كما كان من نتيجته: إلباس الباطل ثوب الحق، وإعمال القتل في الأنفس المعصومة، وتشويه صورة الإسلام وإظهار الفساد في الأرض، يعني: بما مؤداه الصد عن سبيل الله، كما كان من نتيجته:

هذا الكيد والدمار الذي لحق الإنسانية والذي الإسلام منه براء، وإلا فأين يقع ما جرى منهم إبان ثورات الربيع العربي، وتخطيط الغرب في جعل سلاح الثورات والفوضى الخلاقة بمباركة (إخوان الشر) يرتد إلى صدر الأمة، ويُنَفّذ من خلاله ما يعرف في زماننا بحروب الجيل الرابع، ومن قبلِ ذلك ما تمخضت عنه فكرة (التنظيم الخاص أو السري) على مدى العقود الثمانية الماضية من تاريخ الجماعة من قتل وخراب ودمار؟!.

فأين يقع كل هذا من فعل السلف؛ وأيام أن كان الناس على فطرتهم من قبلِ أن تنشأ جماعة الإخوان التكفيرية الخارجية، ومن بعد أن فشل هذا الغرب الحاقد في القضاء على الإسلام وإيقاف مده؟، وهل يشبه حال الإخوان في هذا؛ إلا حال (الحشاشين) و(الباطنية) ومن كان على شاكلتهم من حركات التمرد على الدولة الإسلامية طوال تاريخها العريض؟.. وما أرجوه هنا وآمله هو: أن نراجع أنفسنا وننقدها نقدًا ذاتيًا يعود بنا وبالمسلمين جميعًا إلى فطرتهم وما أوصاهم به نبيهم بقوله: (إنه من يعش بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي.. وإياكم ومحدثات الأمور)، فنرى الحَسَن حسَنًا والقبيحَ قبيحًا، والحقَّ حقًا والباطلَ باطلًا، والحلالَ حلالًا والحرام حرامًا، والصحيح صحيحًا والخطأ خطأً، وأنا ضامن ألا ولن يكون ساعتها ما حذر منه نبي الرحمة في قوله: (لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض)، وقوله في خطبة وداعه: (إن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم ولكن رضي بالتحريش فيما بينكم).. ولنعاود البدء بتصحيح المسار فنقول:

١-إنه بعد أن عرفنا فيما مضى أن الغاية الأسمى الذي يسعى إليها شبابنا من إقامة خلافة، قد حسمها الرسول في قوله: (الأئمة – أئمة الخلافة – من قريش)، وأنها كما في حديث مسلم في (اثني عشر رجلًا) آخرهم (المهدي).

وبعد أن لمسنا ما أخبر به عليه السلام من حكم جبري هو بصدد الانتهاء بمشيئة الله إلى غير رجعة، وذلك من خلال ثورات قدَّرها ربنا أزلًا في سابق علمه أطاحت بحكام كانوا مضرب المثل في الدكتاتورية، وأن ذلك جرى في وقت متزامن وفي ظاهرة غريبة ما كان لأحد أن يتوقعها، فكانت من علامات نبوته بأبي هو وأمي: فمن حكم جبري – ممن تربعوا على قوائم الدكتاتوريين على مستوى العالم – وقع من (علي عبد الله صالح) المُنَحَى ثم المقتول على يد من استعان بهم من الحوثيين، امتد ٣٤ عاما تمخض عن خراب ودمار وفساد وثروة له ولأقاربه بلغت ٦٤ مليار دولار، لآخر كان من (معمر القذافي) المقتول، امتد ٤٢ عامًا وتمخض عن فساد وثروة قدرت بـ ٢٢٠ مليار دولار، لآخر كان من (حسني مبارك) المخلوع، امتد قرابة ٣٠ عامًا وتمخض عن ثروة له ولأسرته تقدر بـ ٤٠ مليار دولار على أقل تقدير، لآخر حصل من (زين العابدين بن علي) المطرود، استمر لأكثر من ٢٠ عامًا وتمخض عن ثروة له ولأقاربه تقدر بـ ٣٢ مليار دولار، لآخر سيقع لا محالة ممن دمر وطنه وأهلك شعبه (بشار الأسد)، تمخض عن أصول له ولأسرته تقدر بـ ١٢٢ مليار دولار، كل ذلك في وقت كانت دولهم تعاني مع القهر والبطش: الفقر والجهل والمرض.

وبعد أن عرفنا أن ما سيلي ذلك من خلافة لن تكون إلا على (منهاج النبوة) وفي (مهدي أهل السنة) الذي أراد البنا والقرضاوي – ومِن وراءهما أردوغان – إنكار أحاديثه، ليتسنى لهما أن يجعلاها من دون (المهدي) في جماعتهما وما أنكر عليهما أحد من أئمتهم.. ووقفنا على ما أوجبه نبينا على أمة الإسلام إبان زوال الحكم الجبري ولحين ظهور خلافة المهدي من لزوم (جماعة المسلمين) المحقِّة ومبايعة أئمتهم من أصحاب الشوكة، وطاعتهم والصبر عليهم وإن جاروا، وذكرنا في ذلك قول ابن تيمية في منهاج السنة ١/ ٥٥٦ – وهو يتحدث عما يقتضيه حديث حذيفة من وجوب طاعة الإمام ذو السلطان الموجود بالفعل والذي له القدرة على عمل مقصود الوِلاية، وإن وقع منه ظلم أو جور –:

"وهو ﷺ قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، وبقيام رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان الإنس، وأمر مع هذا بالسمع والطاعة للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فتبين أن الإمام الذي يطاع هو من كان له سلطان، سواء كان عادلًا أو ظالمًا"، ووقفنا كذلك على كلام ابن القيم وغيره من عدم الانشغال بالحكام، وأن نؤدي حق الله الذي لهم وندَع ما وراء ذلك امتثالًا لقول نبينا فيما

رواه الشيخان: (أدوا إليهم الذي لهم، فإن الله سائلهم عن الذي لكم)، وقوله: (أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم)، وقوله: (أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم)، وأن الدعاء لهم ودعوتهم ورعاياهم إلى الاهتداء بهديه عليه السلام والاستنان بسنته هما أساس الصلاح والإصلاح.

وعرفنا أن منهج أهل السنة ينحصر في: مبايعتهم وطاعتهم في غير معصية والجهاد تحت رايتهم، بينا منهج الإخوان يقوم على تكفيرهم وتكفير من لم يكفرهم من عامة المسلمين: بالمخالفة لما أمر به النبي ﷺ بقوله: (فالزم جماعة المسلمين وإمامهم)، ولما نهى عنه من منازعةٍ للأمر أهله ومن استحلال لدم جنودنا، ومن سير بالأمة مسيرة الخوارج، وأن الأحاديث ناطقة ببطلان البيعات العامة من غير ذوي الشوكة والسلطان، وقاضية باعتزال فرق الضلالة لاسيما المكفرة منها و(الداعية على أبواب جهنم، من أجابوه فيها قذفوه فيها)، والتي (كلما خَرج قرن منها قُطع)، ويأتي على رأسها بالطبع في زماننا (جماعة الإخوان) ومن يدور في فلكها من أمثال: ذراعها العسكري (حماس) و(بيت المقدس) وكتائبهما ولجانهما النوعية، و(تنظيم الدولة الإسلامية داعش) و(بوكوحرام) و(طالبان) و(القاعدة) و(حركة شباب الصومال)؛ وهلم جرًّا.. فكان كل ما ذكرنا بمثابة التخلية عن كل تصور باطل غير قائم على أساس شرعي أو معتقد صحيح.

٢-أقول: بعد أن عرفنا ووقفنا على كل ذلك، كان من الضروري أن نتطلع إلى ما رسمه لنا ديننا الحنيف: لنستشرف من خلال النصوص والآثار أيضًا ما هو مطلوب منا في زماننا، ولنتعرف على مراد الله في ضوء وقائع ومستجدات عصرنا بما يحقق عبوديتنا له تعالى وبما يحفظ علينا وبنا: مقاصد ديننا من صونِ (لهذا الدين وللأنفس والأعراض والأموال والعقول)، وبما يجعلنا أهلًا لإظهار دينه على الدين كله، ولأن ننال بذلك شرف الانتساب والدعوة لصحيح الإسلام والاعتقاد بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فنكون سببًا لإسعاد أنفسنا والبشرية من حولنا.. وبما يحقق لنا – نحن أمة محمد ﷺ – الخلافة بمفهومها العام الشامل الذي تعني: "نيابة الإنسان عن الله في التصرف في الأرض بإعمارها عن طريق إنفاذ أحكامه وتصديق أخباره" بحيث لا يستبدل بنا في أداء هذه المهام قومًا آخرين، إذ الخلافة في لغة العرب تطلق على: "كلِّ من خلف غيره"، فهي من ثم وفي الأصل والأساس مهمة الأمة الإسلامية ومصلحيها، وما الخليفة العام أو القائد الرباني – إن وجد – إلا نائبًا عنها في سياسة الدنيا بالدين، وهذا ما اصطلح عليه علماء اللغة والشرع وما تضافر على ذكره آي القرآن في نحو: آية البقرة/ ٣٠، والأعراف/ ٦٩، ٧٤، والأنعام/ ١٦٥، ويونس/ ١٤، ٧٣، والنمل/ ٦٢، وفاطر/ ٣٩.. وإنما يتحقق لنا ذلك في زماننا: بمجاهدة النفس والشيطان.

وقد يظن الكثير من الشباب أن الأمر بهذا، سهل.. وأقول: بل هو جد خطير وصعب لو كانوا يعلمون، وإنه – وأيم الله – لتفنى الأعمار وما يوفي المرء منا هذين النوعين من الجهاد حقهما، وإنه في المقابل لتفنى الأعمار في سبيل شبهة واحدة من شبهات الشيطان، فيموت المرء عليها وما كلف نفسه أن يسعى في ردِّها، فيلقى حتفه ويُلقِي بنفسه وبغيره من المسلمين إلى التهلكة، فيكون مصيره ما أخبر عنه ربنا في قوله: (ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيماَ.. النساء/ ٩٣) وهو يظن أنه يحسن صنعًا، وما يجري الآن على الساحة مما لا يخفى على أحد أعظم شاهد على هذا.

وحسبنا في تصوير خطورة مرتبة واحدة من مراتب مجاهدة النفس: ما صدّرنا به هذا المبحث من قول إمام دار الهجرة: (إن أقوامًا ابتغوا العبادة وأضاعوا العِلم، فخرجوا على أمة محمد بأسيافهم، ولو ابتغوُا العِلم لحجزهم عن ذلك)، وقوله: (لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا الذي أصلح أولها) وهو الإقبال على الكتاب والسنة بعلم وفهم سلف الأمة، لندرك أن ما تموج به الأمة الآن إنما هو بسبب الغفلة عنه واللهث وراء ما شرعه (حسن البنا) وأمثاله، مما لم يأذن به الله ولا شرعه لنا ديننا ولا جعله أصلًا في إيماننا، بل وما كفانا الإسلام مئونته وتفاصيل خبره على نحو ما أوضحنا آنفًا.

وعن أهمية أول مراتب هذين النوعين من الجهاد يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد ٢/ ٣٨: "لما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعًا على جهاد العبد نفسه في ذات الله كما قال النبي ﷺ : (المجاهد من

جاهد نفسه في ذات الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)، كان (جهاد النفس) مقدمًا على (جهاد العدو) في الخارج وأصلًا له، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولًا، لِتَفعلَ ما أُمرتْ به وتتركَ ما نُهيتْ عنه ويحاربها في الله، لم يُمكنْه جهاد عدوه في الخارج، إذ كيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه، لم يجاهده ولم يحاربه في الله، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج"، فانظر كيف يصور ابن القيم جهاد النفس ويبين مدى خطورتها وتسلطها على العبد وتثبيطها إياه عن نصرة الحق وإظهار دين الله، وأن جهادها هو الأصل لتحقيق تلك النصرة وبغير مجاهدتها لن تتحقق.. والسؤال الملح الآن؛ كيف لنا أن نجاهدها طالما أن الأمر كذلك؟، وهنا يجيب رحمه الله فيقول بأن ذلك يأتي على "أربع مراتب:

أحدها: أن يجاهدها على تعلُّم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها عِلمه شقيتْ في الدارين.

والثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد عِلمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرُّها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى، ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاقّ الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالِم لا يستحق أن يسمى ربانيًا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلِّمَه، فمن عَلِم وعلّم وعمل فذاك يُدعى عظيمًا في ملكوت السماء"أ.هـ.

وأنا أراهن وأنا أذكر لابن القيم هذا الكلام الذي يوزن بميزان الذهب، أراهن على أن ثلاثة أرباع أو قل أربعة أخماس من يحاربون الآن في ربوع العالم ممن لم يسلم أحد من أذاهم، إن كان قد عمِل بأول هذه المراتب من مجاهدة النفس، أتحداهم على اختلاف مشاربهم أن يذكروا لنا ما هي شروط (لا إله إلا الله)، وماذا يعني الولاء والعداء عليها، وهل يجوز قتل من يتلفظ بها وإن خفي عنا أمر نِيّته؟، أو أن يذكروا لنا (الحكمة من مشروعية الجهاد في الإسلام)؟، أتحداهم وهم من خرجوا بزعمهم للجهاد في سبيل الله إن كان بعضهم لا يُكفِّر بعضًا بل ويكفر طوب الأرض ومن في الأرض جميعًا، وإن كان بعضهم لا يُكفِّر أباه وأمه؛ لا أقول: إن كان استأذنهما في الذهاب إلى القتال أم لا؛ كما علّمنا ذلك نبي الرحمة بأبي هو وأمي؟.

أرأيتم ماذا كان يقصد الإمام مالك من مقولته التي عنْوَنَّا بها هذا المبحث؟، وإذا كان الجواب بـ (نعم)، فما يكون الحال ونحن لم نستفرغ الوسع في توفية أول مرتبة من مراتب مجاهدة النفس، ولم نستتبعها بثاني هذه المراتب ولا بثالثها ولا برابعها؟!، وما يكون الحال بمجاهدة الشيطان في رد شهواته وشبهاته – التي أطبقت على عقولنا فأضحينا لا نؤمن إلا بها ولا نذب إلا عنها على الرغم من أنها الباطل عينه – حتى نقفز فوق كل ذلك بمجاهدة ليس الكفار، وإنما المسلمين في عقر ديارهم المسلمة؟؛ أرأيتم جهلًا يفوق ذلك الجهل وسفهًا يفوق هذا السفه؟، ولا أدل على باطل هذا الجهل والسفه من أن يبعث القادة بحدثاء أسنان ويقعدون هم عن شرف الجهاد وطلب الشهادة، أو يفرُّون عند الزحف إلى تركيا وقطر بل وغيرهما من ديار الكفر، حيث العيش الوثير وارتكاب واحدة من السبع الموبقات، ويكونون كمن قال الله فيهم: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون.. البقرة/ ٤٤)، وقال: (كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا.. الصف/ ٣، ٤)؟.

إنه خير لنا أن نستفرغ الوسع في هداية واحد من الكفار كفرًا أصليًا لو أحسنا الظن بأنفسنا وعلمِنا، من أن نقتله فيموت على الكفر حيث لا فائدة تعود علينا إن قتلناه على كفره وكنا سببًا في دخوله النار ونحن من ابتعثنا ربنا لننقذه وغيره منها، ففي الحديث: (لأن يهدي الله بك رجلًا خير لك من الدنيا وما فيها) وفي رواية: (خير لك من حمر النعم) وفي أخرى: (خير لك مما طلعت عليه الشمس).

ولَكم كان رسولنا ﷺ حريصًا على هداية الكفار حتى قال له ربه: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا.. الكهف/ ٦)، وحاله مع ابن اليهودي لا يخفى على أحد، ومحصلته كما أخرج

البخاري من حديث أنس قال: "كان غلامٌ يهودي – من عامة أهل المدينة – يخدم النبي ﷺ ، فمرض فأتاه يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: (أسلم)، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلَمَ، فخرج النبي وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه بي من النار).. ولن نتكلم هنا سوى عن مرتبة (تعلم الهدى ودين الحق) التي عظم فيها تقصيرنا وبلاؤنا.

فتعلُّمُ العلم لله تعالى: خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، والبحث عنه جهادٌ يقول ﷺ بحقه: (من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخيرٍ يتعلمه أو يُعلّمه، فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله)، ويقول –كما في سنن الترمذي وحسنه–: (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)، ويقول أبو الدرداء: (من رأى الغدوَّ والرَّواح إلى العلم ليس بجهاد، فقد نقص في عقله ورأيه)، وهو الأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدِّث في الخلوة والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتُص آثارهم ويقتدى بفعالهم ويُنتهى إلى رأيهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامِّه وسباع البر وأنعامه، وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم، يقول ابن القيم في مفتاح دار السعادة ١/ ١٠٨: "لو لم يكن في العلم إلا القرب من رب العالمين والالتحاق بعالم الملائكة وصحبة الملأ الأعلى، لكفى به فضلًا وشرفًا، فكيف وعِزُّ الدنيا والآخرة منوط به ومشروط بحصوله؟".

ولأن العلم حياة القلوب من الجهل؛ ومصابيح الأبصار من الظلَم؛ ومنار أهل الجنة؛ وبه تعرف معالم الحلال والحرام؛ فإن العبد يبلغ به منازل الأخيار وأعلى الدرجات في الدنيا والآخرة، وكان التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، وبه توصل الأرحام ويُعلم حقوق الخالق والمخلوقين ويعرف الحلال من الحرام، وكان هو إمام العملِ والعملُ تابعه، يُلهمه السعداء ويُحرمه الأشقياء.. والعلم فضلًا عن هذا: "عبادة في الدين عظيمة، سابقة لغيرها ومصححة لما سواها، الظافر بها فائز والمفرِّطُ فيها نادم، امتدح الله أهلها وفضَلهم لأجلها، تهدي العبد إلى ربه وتنير له دُروب حياته، كمال الإنسان ونجاته متوقف عليها.

وما عُبد الرب بمثلها، فبها يعرف سبحانه ويعبد ويذكر ويُمجد، تؤنس صاحبَها في الخلوة وتذكِّره عند الغفلة، طلبها طاعة وبذلها قُربة، زينة لأهلها وأمانٌ لأصحابها، تنير القلوب والبصائر وتُقوِّي الأذهان والضمائر، أهلها للأرض كالنجوم للسماء بهم يُقتدى، وهم زينة للبرية وجمالها وحصن للأمة ودِرعها، ولولاهم لطُمست معالم الدين، بعبادة العلم: صلاحُ الأمة ورفعتُها، واستقامةُ النفوس وزكاتُها، وهدايةُ البشرية وسعادتُها، وتحصينُ الأجيال وسلامتُها، الحاجة إليها فوق كل الحاجات، وبدونها خراب العالم وفساده، قال الإمام أحمد: (الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين والعلم يُحتاج إليه في كل وقت).

ذلك أن رسالة الإسلام كلها علم وعمل، فالعلم شِطرُها قال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق.. التوبة/ ٣٣)، أي: بالعلم النافع والعمل الصالح، ولا شيء أطيب للعبد وأصلح لقلبه من محبة الله ورسوله، ولا سبيل إليهما إلا بالعلم، فهو الحكمة التي يؤتيها الله من يشاء من عباده (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا وما يذكر إلا أولوا الألباب.. البقرة/ ٢٦٩)، وقد عدد الله نعمه على رسوله وجعل العلم من أجلِّها قدرًا فقال: (وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم.. النساء/ ١١٣)، ولم يأمره بالاستزادة من شيء إلا من العلم فقال: (وقل رب زدني علمًا.. طه/ ١١٤)، قال الزهري: (ما عُبد الله بمثل العلم)، لذا كان نيله خير وفلاح كما في الحديث: (من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين) و(خيار الناس في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)، وهو ميزان تفاوت الأعمال ودرجاتها، وبه صلاح العمل وزكاته.

ولن تصفو للمرء عقيدته ويُحققَ الإخلاص لربه إلا بالعلم، وذلك قوله تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك.. محمد/ ١٩)، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل وبذلك بوّب البخاري في صحيحه، فالعلم يدل على الله وعلى الجنة من أقرب الطرق وأسهلها، (فمن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة) كما في حديث مسلم، وما دام العلم قائمًا فالناس في هدى، ومن عبدَ الله بغير هدى كان ما يفسد

أكثر مما يصلح، وما فشا الشرك والبدعة والضلال وسفك الدماء والخوض في الأعراض ودمار البلاد وهلاك العباد – على نحو ما رأينا ولا زلنا – إلا لقلة العلم، وبالعلم والإيمان يحيا العباد؛ وتنقشع من أمامهم ظلمات الجهالة والضلالة؛ وذلك قول رب العزة: (أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها.. الأنعام/ ١٢٢)"إ.هـ ملخصًا من خطبةٍ لإمام الحرم المدني عبد المحسن القاسم.

ولأن (العلم الخشية)، فإن من المهم مع معرفة فضله: أن يطلب بإخلاص وتجرد، بأن يُبتعد به عن العاطفة والرأي والهوى فهي آفته، وأن يصحبه إقبال عليه بالكلية والتزام تام بالآية والحديث، إذ الأمر فيه كما قال الإمام الذهبي:

(العِلم: قال الله قال رسوله * قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبُك للخلاف سفاهة * بين الرسول وبين رأى فقيه

وكما قال ابن القيم في النونية:

العِلم: قال الله قال رسوله * قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة * بين الرسول وبين رأي فلان

وقديمًا قالوا: (أكثرُ ما يفسد الدنيا: نصفُ مُتكلِّم ونصفُ متفقه ونصفُ متطبب ونصف نحوي، فهذا يفسد الأديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد الأبدان وهذا يفسد اللسان).. ولا بأس أن يطلب على يد الغير شريطة ما ذكرنا في هذه السلسلة وإلا فهو (علم الأصاغر) الذي منه حذر علماء السلف، وفي الأثر: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم).

ولكَم جرَّ التفريط في انتقاء أئمة العلم من الفتن والحسرة والندامة ما الله به عليم، ولكَم زلّت بأهل العلم الأقدام كونهم – وقد بلغوا من العلم الذروة – لم يُتبِعوه بمجاهدة الشيطان في رد شبهاته، فساروا وأتباعهم في ركب (إخوان الشياطين)، على الرغم من تحذير الأوائل من ذلك وبيان أنه نوع من الجهاد لا يقل أهمية عن سابقه، ونذكر من ذلك لابن القيم قوله في زاد المعاد بنفس السياق: "وبينهما – عدو النفس والعدو الخارجي – عدو ثالث لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده، وهو واقف بينهما يثبط العبد عن جهادهما ويخذله ويرجُف به، ولا يزال يخيَّل له ما في جهادهما من المشاق وترك الحظوظ وفوت اللذات والمشتهيات، ولا يمكنه أن يجاهد هذين العدوين إلا بجهاده، فكان جهاده هو الأصل لجهادهما، وهو: الشيطان، قال تعالى: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا.. فاطر/ ٦)، والأمر باتخاذه عدوًا: تنبيه على استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته، كأنه عدو لا يفتر ولا يقصُر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس".

وعن مرتبتي جهاده يقول رحمه الله: "أحدهما: جهاده عن دفع ما يُلقى إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان، الثانية: جهاده عن دفع ما يُلقى إليه من الإرادات والشهوات"، فانظر كيف يسوى في مدافعة الشيطان بين النزوات والشبهات، وكيف أن كليهما ملقٍ بصاحبه إلى التهلكة وألا فرق بينهما من أنهما مدخلا الشيطان ومحل وسوسته.

وفي (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) ص ٤٣١ ما نصه: "فتنة الشبهات: من ضعف البصيرة وقلة العلم، ولاسيما إذا اقترن بذلك: فساد القصد وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى.. وهذه الفتنة مآلها إلى النفاق، وهي فتنة المنافقين وأهل البدع على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا بسبب فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل والهدى بالضلال.. ولا ينجي من هذه الفتنة إلا التجرد في اتباع الرسول ﷺ، وتحكيمه في دِقِّ الدين وجُله، ظاهرِه وباطنه، عقائدِه وأعماله، حقائقِه وشرائعه، فيُتلقَى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام.. فهذا الذي ينجيه من فتنة الشبهات، وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بقدر ما فاته منه، وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي: من عمى البصيرة وفساد الإرادة".

على ابن القيم حين يتكلم عن جهاد العدو الخارجي، إنما كان يقصد بالطبع جهاد الكفار ومن تحدث عنهم النبي بقوله: (أهل الأوثان) لا (أهل الإسلام) كما يفعل الآن الخوارج شر الخليقة، كما أنه يقصد به ما كان منه بضوابطه: كأن يكون – على ما سبق أن فصلنا – تحت إمام ممكن، وراية شرعية ليست بالعُمّيّة ولا داعية إلى جماعة أو عصبية، وبإذن من الوالدين، وكأني به ﷺ وقد أطلعه ربه على ما يدور بزماننا ممن يحرفون الكلم عن مواضعه ويمرقون من الدين وهم مَن نحقِّر صلاتنا إلى صلاتهم وقراءتنا إلى قراءتهم، وممن كلما طلع منهم قرنًا قطع، وممن يسيرون بالأمة مسيرة الخوارج كما نرى في دواعش ودواحس عصرنا.

فانظر كيف أضحى الجهاد وبالًا على أمة الإسلام وفي سبيل الشيطان، بدل أن يكون لإظهار الدين وفي سبيل الرحمن؟!، وكيف صار الجهاد طعائن في ظهور المسلمين بدل أن يكون لحماية بيضتهم؟!، ولَكَمْ كان الواحد منا يتمنى أن تسعى هذه الجموع التي تدّعي لنفسها شرف الجهاد أن تجاهد في دعوة الناس إلى صحيح الدين على بصيرة وبالحكمة والموعظة الحسنة، وأن تنخرط بكل سبيل تحت راية أئمة أهل السنة الممكنين أمثال ملك السعودية الملك سلمان والسيسي رئيس مصر، ليكون جهادهم – على ما هو الأصل فيه – ضد أولئك الذين يحيطون بنا من كل جانب من الروافض والخوارج ممن يريدون أن يستأصلوا شأفتنا نحن معاشر (جماعة المسلمين)، وينشروا الخراب والدمار في ديارنا سواء في المملكة السعودية أو في قلعة الأزهر أو في غيرهما من بلاد الإسلام.

فالخوارج والروافض هم صنائع اليهود وأمريكا ونصارى الغرب وأدواتهم، والواقع يشهد بهذا، أم هل نسينا ما يجري الآن من التكفيريين على أرض سيناء وتونس وليبيا من قتل الموحدين، وما كشف عنه (دونالد رامسفيلد) وزير الدفاع الأمريكي السابق في مذكراته، من أنّ بلاده سنة ٢٠٠٣ دفعت للمرجع الشيعي بالعراق (علي السيستاني) ٢٠٠ مليون دولار لإصدار فتوى تُحرِّم على الشيعة قتال الأمريكان، وتساعد في سقوط العراق في أيدي الاحتلال الذي قادته أمريكا التي مكنته وأشياعه فيما بعد من (صدام حسين) فذبحوه وقتلوه شر قتله، وهو بعد محسوب على أئمة السنة وقلامة ظفره برقاب جميع سابِّي الصحابة من أئمة الضلال في العراق وإيران ولبنان واليمن وحسبه أن نطق بالشهادتين المرة تلو المرة؟، أم هل نسينا ولم نعد نذكر مذابح (الأحواز) الجماعية وشنقهم أهل السنة على أعمدة الإنارة، ولا الأحاديث الواردة بحق (يهود أصبهان) الذين سيخرجون آخر الزمان مع الدجال؟.

لقد كشفت تقارير عديدة عن أن الغرب بزعامة أمريكا، رأى في إيصال التيار السياسي سدة الحكم بغيته وتحقيق أهدافه من خلال التحريش فيما بين السنة والشيعة، وما بين السنة والسنة، وقد نجح في ذلك بامتياز، على نحو ما نجح بنفس الدرجة في تدمير الأمة الإسلامية ومقدراتها عن طريق الحرب بالوكالة عن هذا الغرب الحاقد وعن إسرائيل، ولتنعم الأخيرة بالأمن والأمان وتعيث في مسرى ومعراج نبينا بالفساد.

أرأيتم شباب الإسلام: كيف أن أعداء الله يستخدموننا ويخططون لنا ونحن نساق كالنعاج لإنفاذ مخططاتهم وليأكل بعضنا بعضًا وليتحقق لهم ما سبق ذكره، وأيضًا لنكون نحن حجر عثرة في نشر الإسلام في بلادهم بل في بلادنا بعد أن شوهنا بأنفسنا صورته، وصرنا همجًا رعاعًا يضرب بعضنا رقاب بعض، وهذا ما يجب على العريفي والقرني والعُودة وسائر علماء (سواعد الإخاء)، وكل العلماء المحسوبين على أهل السنة في جميع بلدان المسلمين، أن يدركوه حق الإدراك وقبل فوات الأوان، ليصوبوا خطأ ما أوقعوا وأوقعوا الأمة فيه وصيَّروها إليه.

٣-وهنا قد يسأل سائل من أبنائنا المغرر والمؤتى بهم إلى ساحات الوغى، أو ممن هو عازم على اللحاق بهم: ماذا لو اختلط عليَّ الأمر فيما يعِدوننا به الآن من إقامة خلافة إسلامية، أو فيما خامرني فيه شك وهم يزينونه لنا ويسوِّقونه على أن وراءه الجنة والحور العين وما هي إلا غمضة عين عن طريق حزام ناسف أو سيارة مفخخة أو قنبلة تسقط من هنا أو هنالك فتدمر المكان بما ومن فيه؟، والجواب: العودة على الفور لوطنك واللحاق بأهلك وعشيرتك، وترْكُ القتال في الفتن وعند الشبهات، والتفرغ من ثم للتعلم والدعوة والعبادة.

فلقد تحققت المفاسد فيما أقدم عليه القوم وانمحت المصالح، واتضح لكل ذي عينين: أن ما يعِدون به من خلافة ليست لهم ولا فيهم باطل ومجرد وهمٍ، ولا يمكن لأعداء الإسلام ولا للنظام الدولي أن يسمحوا به، فضلًا عن أنه يسير وفق خطة محكمة أعدتها منذ عشرات السنين أجهزة مخابراتهم، وتريد من خلالها قتل شبابنا المتحمس في بلاده وفي عقر داره بعد حصاره فيها وبعد أن عجزوا عن الإطاحة به خارجها في أفغانستان وغيرها، ومن لم يقرأ أو يسمع عن تقاريرهم في هذا لا يستحق الحياة.. كما اتضح: أن من ينظمون هذه الحروب هم من خرجوا على حكامهم من أهل السنة، ومن ثم فالجهاد معهم – سواء كانوا إخوانًا أو قاعدة أو بيت مقدس أو دواعش..إلخ – هو من دون شك تحت راية عُميّة وإن كتب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وخلف أئمة تكفيريين وغير ممكنين، وهو بعدُ جهاد ضد (أهل الإسلام)، وللصراع على السلطة ومن أجل الملك.

وسلف الأمة كما أوضحنا: على حرمة القتال والحال كذلك، وعلى حرمة سفك الدماء وعدم الخروج على حكامنا، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم وعدم منازعته الأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، وعلى أن الخلافة في قريش، وفي شرح النصوص الصحيحة الصريحة في ذلك وحكاية إجماع أهل السنة والجماعة سقنا كلام أئمة السلف والخلف إجمالًا وتفصيلًا فلتراجعه ولتصحح معتقدك إن كنت تريد النجاة بنفسك من فتن الدنيا وعذاب الآخرة، مصداقا لقوله عز من قائل: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.. النور/ ٦٣).

<u>أين الخلل؟ وكيف السبيل إلى سلامة المنهج وصحة المعتقد، لأجل إنقاذ الأمة والعمل على وحدتها؟:</u>

والجواب – على ما يفاد مما سبق –: يكمن في: (الخلط بين المصدرية والمرجعية، وربط المسلم بالثانية منهما دون الأولى)، فالمصدرية الوحيدة لدى المسلم بحق: هي الكتاب والسنة، وحينما يكونا كذلك تُضمن السلامة من زلل ما نقع فيه الآن، على نحو ما ضُمنت لمن كان قبلنا، ذلك أن القرآن والسنة بفهم القرون الخيِّرة: صمام الأمان الواقي من الضلال، ومصداق ذلك قوله عليه السلام: (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي).

نعم؛ لابد من اعتماد منابع أخرى تساعد على فهم النصوص الشرعية وتعكس فهوم الناس للتدين تصورًا وممارسة، لكن ليس باعتبارها مصادر يُنحاز إليها على حسابهما، ويُضفى عليها أنواعًا من القداسة الشعورية لدى المتربين من حيث ندري أو لا ندري، وإنما باعتبارها مراجع تتضمن تجارب قد تصيب وقد تخطئ، فذاك هو السياق الحقيقي الذي يمْكن للمرجع أن يُفاد منه، وأما رفعه إلى مقام المصدرية فذا عين الخطأ الذي يؤدي إلى الانصراف عن مصادر الإسلام إلى أقوال الرجال وأحوالهم، إذ هي بعد أفكار بشر ونتاج عقول قد تضل.. وهذا في زماننا: ما نعاني منه الأمرّين، فمن آخذٍ في الأحكام بالآراء الشاذة ومن قائل بالآراء الضعيفة، ومن هاجرٍ لنصوص الشرع مُؤْثِرًا عليها ترهات العقول، ومن مقدمٍ إياها على الآية والحديث، ومن مؤولٍ متكلِّف في تأويلاته، ومن مفترٍ على الله ورسوله الكذب، ومن محِلٍ للحرام ومحرمٍ للحلال، ومن قائلٍ على الله بغير علم.

وكتب أمثال الأستاذ البنا وقطب وحوى وعودة والقرضاوي وغيرهم ممن يقدمون العقول والآراء على النقل، أو يفسرون نصوص الوحي المبين على هواهم، كان البعض قديمًا يؤثرون نظائرها على الآية والحديث، ولما أوردتهم المهالك وأدركوا خطورة ذلك، جاء تحذيرهم منها ومن سائر كتب أهل الأهواء والبدع.. ومما يروى في هذا: ما جاء عن الإمام أحمد وقد سئل عن الوليد الكرابيسي وكان مخالفًا للسنة، فقال: "إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها، تركوا آثار رسول الله وأصحابه وأقبلوا على هذه الكتب"، وما جاء عنه – وقد قال له المروزي: استعرت كتابًا فيه أشياء رديئة، ترى أن أخرقه أو أحرقه؟ – قال: (نعم)، قال المروذي: (قال أبو عبد الله: يضعون البدع في كتبهم، إنما أحذر منها أشد التحذير)، ذلك أن البلاء إنما يأتي من كتب أهل الأهواء والبدع.

وأصل ذلك: تحذير نبينا من قراءة كتب أهل الكتاب مع أنها لا تخلو من حق، فعن جابر أن عمر أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فغضب بأبي هو وأمي، وقال: (أمتهوكون يا ابن الخطاب؟

والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذِّبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتّبعني).. وباعتقادي أن في هذا القدر ما يكفي في الإجابة عن سؤال: (كيف السبيل إلى سلامة المنهج؟) وأنه إنما يكمن فيما ذكرنا من: (التسليم لنصوص الوحي) و(لزوم السنة والجماعة).. على أن تبنينا لهذا الخط في قضية (الخلافة)، واعتمادنا المراجع التي أصابت فيما يؤول إليه آخر الزمان، وإيثارنا نهج الالتزام بصحيح المنقول، يُعدُّ تطبيقًا عمليًا لهذا المنهج ولما نعتقد أنه السبيل القويم في تناول أحكام الشريعة على جهة العموم وسائر قضايا الاعتقاد على وجه الخصوص.. والله تعالى أعلى وأعلم.

المبحث الرابع: شبابَنا مبتغي العلم على سبيل النجاة: (طوبى للغرباء) (وإياكم ومحدثات الأمور)، لاسيما محدثات الخوارج كونهم يتَّسمون على مدار تاريخ المسلمين وإلى خروج الدجال؛ بالانشقاق ومفارقة الجماعة وسفك الدماء

ومهما يكن من أمر، فإن المرء يساءل نفسه.. ما بال المسلمين في زماننا يعيشون في تيه أشبه بـ (تيه بني إسرائيل) أيام موسى عليه السلام – وقد تركهم محمد سيد الخلق وحبيب الحق على الواضحة والمحاجة البيضاء ليلها كنهارها –؟، ما بال عالمهم يزيغ عن الطريق المستقيم وعالَمِهم يموج في ظُلَمٍ كموج البحر وبفتن كقطع الليل المظلم تدع الحليم حيرانًا؟.

إنه البعد عن صحيح الاعتقاد، واتِّباع الهوى والشيطان وترك مجاهدتهما، إنه الخروجُ على جماعة المسلمين الشرعية وادعاءُ فرقةٍ أنها جماعتهم لتستبيح دماءهم ولتلهث وراء رئاسة لا تستحقها وخلافة ليست لها، إنه الحرص على الإمارة ومنازعة الأمر أهله الذي ما أكثر ما نهى عنه نبي الرحمة صلوات الله عليه، إنها المظلوميات وسيل الشبهات التي أجاد (الإخوان المسلمون) صنع فصولها وأحكموا الكذب والشائعات في ترويجها، إنها الثقة التي وُضعت في غير محلها والطاعة المطلقة لغير الله ورسوله ولمن ولاه الله علينا وأراده أزلًا وليًا لأمرنا، إنه عدم التجرد في اتِّباع الآية والحديث والإجماع، والانتكاسة في إخضاع الدين لفرقة انحرفت عن الثلاثة مصادر التشريعية وأضحى مصدر تلقيها إنسان يخطئ أكثر مما يصيب وقد وضع دستورًا جعله منهج حياة وأسماه (مجموعة الرسائل) بعد أن طوع الإسلام لفكرته، إنه الخلل في عقيدتي الولاء والبراء وفي توحيد الله والتعرف عليه بصفاته، وقد عرفنا كيف أن كل هذا الذي يدين به الإخوان يلتقي مع أفكار الخوارج الذين أمر الإسلام بمقارعتهم الحجة بالحجة – كما فعل ابن عباس لله دره – والذين أمر النبي بالحذر منهم بل وبمواجهتهم إن هم بدءونا – نحن جماعة المسلمين وعامتهم – بقتال.. إنها إذن أمراض الأمة وأدوائها، ولا مناص من تشخيصها ومعالجتها.

ولا نملك سوى القول: أيها الشباب المخلص لدينه المبتغي طريق العلم والهدى والرشاد: اتقوا الله في أنفسكم وفي دينكم، وإياكم وهؤلاء وأساليبهم القائمة على النفاق والكذب والخداع والطاعة المطلقة، والقائمة كذلك على مبدأ: (الغاية تبرر الوسيلة) وفيما يعرف لديهم بـ (التربية العكسية، والتيه) وتتضمن العصف بكل القيم والمبادئ الإسلامية، وأن ينطلي كل ذلك على شيوخ وسواد المسلمين الأعظم.. وما أظنني إلا في الأيام التي أخبر ﷺ عنها بقوله لأبي ثعلبة الخشني وقد سأل النبي عن معنى آية: (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم.. المائدة/ ١٠٥): (ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائكم أيامًا؛ الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، لِلعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله)، وفي زيادةٍ، قيل: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟، قال: (بل خمسين منكم)، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي حسن، ورواه ابن حبان وصححه، ورواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره الشيخ الألباني شاهدًا لحديث عتبة بن غزوان بنحوه.. وأقول:

لقد وضح لكل ذي عينين أن (الإخوان المسلمين) وقعوا ضحايا لأخطاء توارثوها جيلًا بعد جيل، وليس لدى قادتهم – فيما يبدو – استعدادٌ ولا نيةٌ للتنازل عنها، وقعوا وأوقعوا غيرهم أسرى لأفكار تقوم على منازعة الأمر أهله في كل دول الإسلام، وعلى اعتبار مجتمعات المسلمين جاهلية يجب الخروج على

حكامها ومحكوميها معًا، وعلى الولاء والعداء على ذلك وعلى جماعتهم، وإنما كان الأمر لديهم كذلك: كونهم وقد أخذوا البيعات لأنفسهم واعتبروا أنفسهم (جماعة المسلمين)، عدُّوا غيرهم بطبيعة الحال خارجين عن جماعة المسلمين، والغريب أن جماعتهم تريد مع ذلك إقامة خلافة على هذا المنهج الخارجي البعيد كل البعد عن (منهاج النبوة).

وحسبك أن ترجع لمعرفة خطأ ما هم عليه، إلى: ما جاء في قوله ﷺ – عقب سؤال حذيفة عن الشر الذي يعقب الخير الذي فيه دخن–: (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)، وما جاء في بيان مراده من قول ابن تيمية في منهاج السنة ١/ ٥٥٦، قال: "وهو ﷺ قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته وأمر مع هذا بالسمع والطاعة وإن جلد ظهرك وأخذ مالك"، إذ لا دلالة لذلك سوى أن خوارج العصر شأن خوارج كل عصر، هم من نهى النبي عن اتباعهم وأمر بالتزام جماعة المسلمين المحقة وأئمتهم وإن لم يهتدوا بهدي النبي ﷺ ولا استنُّوا بسنته، وإلا فبوجوب اعتزال فرقتهم إن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام.

والسؤال: ما عذرنا إن نحن لم نُبلِّغ الحق وننشره وندعو الناس إليه، وقد عرفناه؟، بل ما عذرنا إن نحن خلصنا إلى الله وقد سكتنا عن كل ذلك أو أيدناه أو مالئناه أو تحالفنا مع أصحابه بعد أن تبين لنا الرشد من الغي؟! وما ذنب أولادنا والأجيال من بعدنا إن نحن أورثناهم هذا الأفكار الخبيثة أو تركناهم فريسة لها؟؛ وماذا ننتظر؛ وتكفير المسلمين الموجب لاستحلال دمائهم أضحى أسلس لمذاق (جماعة الإخوان) من الماء الزلال، وآخر ذلك وليس آخرًا ما صرح به داعيتهم المجاهد في سبيل الباطل (وجدي غنيم) وقد سئل هل يجوز التّرحُّم على (أحمد زويل)، فقال ما نصه:

"أنا لا أقول إن زويل مشرك، لا بل هو كافر، ولا يجوز الترحم عليه"، كذا هو الأمر لدى جماعة الإخوان، التكفير بالعين دون ما إقامة لحجة ولا معرفة لوجه شرعي ولا تحقق لشروط ولا انتفاء لموانع ولا معرفة لولاء، بل ولك أن تعجب في تبريره ذلك برميه مخالفيه بالإرجاء، وتلك (شنشنة نعرفها من أخزم)، وذريعة لتبرير فساد معتقده في تكفير خلق الله وطوب الأرض، وقد مرَّ بنا كلام الإمام أحمد الذي يقضي بأن اتهام أهل السنة بالإرجاء، هو: من علامات الخوارج؟.. وإن تعجب فعجب رفضهم صلاة الغائب على الملك (عبد الله) ملك السعودية السابق –رحمه الله– في مسجد راغب بمدينة أكتوبر بـ (مصر).. وسبحان من وسعت رحمته الخلائق.

والسؤال الذي يفرض نفسه: ما رأي علماء السنة ودور الإفتاء على مستوى عالَمنا المعاصر في دعوة (جماعة الإخوان وأخواتها)، القائمة على هذا الفكر التكفيري؟؛ ولماذا يسكتون عنه ولا يحذرون قومهم من مغبته؟؛ وما رأي دور الإفتاء اللجنة العلمية الدائمة بالمملكة يا ترى في تصريح (وجدي غنيم) وما جاء على شاكلته؟ ومال زويل – وهو بعدُ في عداد المقلدين وليس متبحرًا في العلم الشرعي – وسبوبة (السياسة والدين) التي يجيد الإخوان المتاجرة واللعب بهما لحسابهم وحساب معتقداتهم الباطلة؟.

وما رأي جهات الفتوى فيما سبق ذلك من محاولة اغتيال مفتي مصر د. (على جمعة) من قِبَل خلية (حسم) الإخوانية مع تحفظنا على بعض ما يدين (جمعة) اللهَ به؟، وهل تتم التصفيات لجنودنا ولعموم مخالفي جماعة الإخوان في أنحاء المعمورة إلا بناء على مثل هذه الفتاوى التكفيرية القائمة على اعتبار أنفسهم جماعة المسلمين، وأن غيرهم حلال الدم يسوغ قتله بعد الحكم عليه بالكفر باعتباره ليس على الإسلام المُفصَّل على منهجهم، وخارجًا عن جماعة المسلمين التي هي جماعتهم؟ وما رأي صانعي القرار بدول الإسلام في عدم صلاة (جماعة الإخوان) على (الملك عبد الله)، وفي استعدائهم أعداء الدين في أمريكا ودول الغرب على شعوبنا، والاستقواء بهم على بلادنا، بل وتنفيذ مخططاتهم في تقسيمها وتفكيك جيوشها وتفتيت أوصالها وشعوبها وضرب اقتصادياتها واستنزاف طاقاتها وإشاعة الفوضى والأكاذيب بها، مع وضوح قوله عز من قائل: (بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا. الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا.. النساء/ ١٣٨، ١٣٩)، وقوله: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم.. المائدة/ ٥١)؟.

وما الرأي في موادعتهم الشيعة وتطبيعهم العلاقات مع معشر يهود على ما يدل عليه تاريخهم الطويل، وهم بعدُ ليسوا رؤساء دول ولا مضطرين لذلك، ولا عابئين بخطرهم وما يحدثونه من فساد في المسجد الأقصى وعالمينا العربي والإسلامي، بل ومع قوله عليه السلام عن مارقي كل عصر: (ويدَعون أهل الأوثان)؟، وما الرأي في قيامهم ومن ينتدبونهم في قتل أهل الإيمان في جميع بلدان المسلمين مع قوله ﷺ : (يقتلون أهل الإيمان)، ناهيك عما يُحدثونه من تفجيرات وتفخيخات لممتلكاتهم؟، ولماذا يعاندون ويصرون على أخطائهم مع وجود شيوخ ودور إفتاء كشفت عن كثير من خفاياهم وخطاياهم، وأبانت عن وجهة نظر الشرع فيما يصدر عنها من أقوال وأفعال؟، وما الرأي في اعترافات الشيوخ (حسان والمراكبي وشاكر) في إفشال جماعتهم بمصر لجهود المصالحة واعترافاتهم برفضها يد الجيش التي امتدت لهم لحقن الدماء قبل فض اعتصام (رابعة) التي أجادوا التسويق لها والمتاجرة بها وهم من بغوا وبدءوا بالاعتداء؟.

وما الرأي فيما جاء في محتوى الفيديو الذي قامت بعرضه (محكمة جنايات القاهرة في ٩/ ٨/ ٢٠١٦)، وفيما اعترف به (أحمد المغير) حارث خيرت الشاطر واعترف به (د. ياسر برهامي) نائب الدعوة السلفية وغيرهم بخصوص أعمال القتل والتعذيب والشغب والترويع والفوضى والتعدي على الممتلكات وعمليات الحرق والنهب التي أفرطت فيها الجماعة أثناء وبعد فض الاعتصام؟، إذ فيما ذكرنا من الحقائق ما يغني عن المفبرك من الأفلام التركية بإخراج كندي والتمثيليات والتلفيقات القطرية المتحرية الكذب؟، ثم لماذا لا تتخذ الدول الإسلامية إجراءات صارمة وتصدر فتاوى كاشفة عن وجهة النظر الشرعية فيما يفعلونه حتى يرجع أبناؤنا – بداخل البلاد العربية وخارجها – عن هذه الأفكار التكفيرية بدل أن ينجرفوا فيها أو نأخذ نحن ذنب التقصير في الدعوة لتركها، وليحيى بعد ذلك من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة؟.

إن محاولة اغتيال (د. على جمعة) مفتي مصر السابق وإطلاق (٥٨) رصاصة استهدفته، ما هي إلا نتاج طبيعي لفتوى تكفيره من قِبل (سلامة عبد القوي) وكيل وزارة الأوقاف بعهد الإخوان، وقل مثل هذا في مقتل النائب العام المصري وعشرات الخصوم من الصحفيين والإعلاميين.. إلخ، وكذا الحال بالنسبة لمحاولات اغتيال الرئيس المصري الحالي أكثر من مرة، هو أيضًا نتاج طبيعي لتكفير سلامة ووجدي غنيم وعبد المقصود ومن كان على شاكلتهم، وهكذا دواليك.. والمسلسل لا ينتهي، فالمصريون الذين خرجوا في ٣٠/ ٦/ ٢٠١٣ وأعدادهم تزيد عن الـ ٣٠ مليون نسمة في ميدان التحرير وحده، هم بنظر عبد المقصود: (كفار وأنجاس ومنافقون) يستحقون الدعاء عليهم من فوق المنابر، كما يستحقون السحق بنظر طارق الزمر، وإعلان الحرب وقطع الرءوس بنظر عاصم عبد الماجد، وإعداد أكثر من عشرة آلاف مقاتل إخواني لإبادتهم كما خطط لذلك (خيرت الشاطر) وصرح به (محمد الصغير ووحيد بالي)، كما أن أبناء الشعب المصري من الجنود والضباط هم بنظر شيوخ الإخوان (كفار) يستحقون القتل لأنهم جنود فرعون.

ولا عجب فهم من قاموا أيام مؤسس جماعتهم وعقب وفاته، باغتيال القاضي أحمد الخازندار في ٢٢/ ٣/ ١٩٤٨ واللواء سليم زكي حكمدار العاصمة ٤/ ١٢/ ١٩٤٨ ومحمود النقراشي رئيس الحكومة ٢٨/ ١٢/ ١٩٤٨ وحامد جودة رئيس مجلس النواب في ٥/ ٥/ ١٩٤٩، وهم من كانوا وراء محاولة اغتيال جمال عبد الناصر في المنشية بالإسكندرية ٢٦/ ٦/ ١٩٥٤، ومحاولة اغتياله مرة ثانية في ١٩٦٥، ومحاولة نسف القناطر.. إلخ، وهم عينهم من أحرقوا وفجروا (محلات عدس وبنزايون في ٨/ ٤٨، وشركة الإعلانات الشرقية في ١٢/ ١١/ ١٩٤٨، وشيكوريل وبعض المساكن في حارة اليهود بالقاهرة وفندق الملك جورج وستة من أقسام الشرطة بالقاهرة في ١١، ١٢/ ١٩٤٦ ومحلات جانتينو في ٧/ ١٩٤٨ ومحاولة حرق أوراق قضية السيارة الجيب في ١٢/ ١/ ١٩٤٩.. إلخ، وهم أنفسهم من قاموا بنحو ذلك وأفظع منه إبان ثورة يناير عام ٢٠١١.

وهكذا تجد معتقد الإخوان قائم على الإضرار بالبلاد المسلمة وتكفير كل من يناصبهم العداء والتوجس من كل من ليس معهم، ومعلوم أن أبرز ما يميز عقيدة الخوارج: (التكفير بالمعصية وبالعين) و(مفارقة

جماعة المسلمين) و(الخروج على حكامهم) و(استحلال الدماء المعصومة) و(موادعة وموالاة أهل الكفر والأوثان)، والسؤال هنا: ألا يستحق ما ذكرنا بدليل العقل وبموجب أدلة الشرع وآثار السلف، أن يتبرأ من ذلك كل مسلم وأخص بالذكر كل من حالف الإخوان يومًا ما أو صحبهم أو خالطهم أو كان عونًا أو جليسًا لهم حتى لا يكون مشاركًا لهم في هذه الدماء وفي إهلاكهم الحرث والنسل؟!، وهل ثمة محدثة وبدعة تستوجب التبرؤ أعظم من بدعة ومحدثةٍ تحيق بأمة الإسلام وتقضي بتكفير أبنائها واستحلال دمهم، وهل ثمة واجب شرعي تجاه هذه البدعة والمحدثة يمكن أن يكون بديلًا عن التبرؤ منها ومن أصحابها؟.

إن المروءة والشجاعة والصدق والأمانة، والصدع بالحق والرجوع إليه وعدم التمادي في الباطل، وكل مكارم الأخلاق وحميد الصفات وعظيم الخلال، تقضي – والحال على ما ذكرنا – بل تفرض على كل من ظن في نفسه أنه من أهل العلم، أو تبوأ موطنًا في قلوب مدعويه، أو تمكن من بوق إعلامي حُرِم منه غيره، أن يتبرأ من فكر ومنهج خوارج العصر وأفعالهم وفتاويهم القائمة على القتل والإذلال للمسلمين بل وأحيانًا لبعضهم البعض، أو يعترف بما كان عليه من خطأ مصاحبتهم، أو يكتفي بما حصل من فتن ربما تسبب فيها هو أو غيره ولا يتمادى في عناده، وأن يقول للمحق أنت محق وللمبطل أنت مبطل، لاسيما وقد اتسع الخرق على الراقع ولا يزال شبابنا في حيرة من أمره ولم يعد الأمر يحتمل أكثر مما جرى، بل وبعد أن سقطت بسبب هذه الأفكار الخبيثة دولًا بأكملها وأضحت وساكنيها أشلاء وأثرًا بعد عين؟.

وإلا فليخبرونا عن الوجهة الشرعية في سلوك هذه الأعمال الإجرامية إن كان ثمة دليل عليها من كتاب أو سنة أو إجماع.. أما الميوعة في معالجة الأخطاء واتباع أساليب المراوغة وإمساك العصا من المنتصف، كأن تسمع من يريد أن يستنسخ صورة جديدة لجماعة الإخوان، وكأن تسمع من يقول منهم وهو يعلم أو لا يعلم أن دعوته ونصرته كانت لراية عمية: (إن قواعد اللعبة قد تغيرت)، ومن يقول: (إن الأمر في مصر مثلًا مجرد صراع بين طالِبَي سلطة، كلٌّ يريد أن يستقطب الجماهير ليجعلها في صفِّه)، وكأن ترى – ودماء السوريين على سبيل المثال تسيل أنهارًا – من يتجاهل أو يؤثر الصمت والسكوت، ومن يعرف الحق ويكتمه بعد أن فَتن من فتن وأضلّ من أضل، ومن يمارس اللعب بالكرة ويقهقه بملء فيه ويقول قصائد الشعر في حدائق تركيا، إلى آخر ذلك.

إن الأمور السالفة الذكر لا تحق حقًا ولا تبطل باطلًا، بل من شأنها أن تعطي للشيطان – على نحو ما أعطت للباطل – فرصته الكافية في ذيوع وإلقاء شبهاته، وتلك أمور لا يعرفها الإسلام ولا تصلح معه ولا مسمى لها في شريعته سوى وصف (النفاق وكتمان العلم وطمس الحق وإلباسه بالباطل).. ألا فلنعلم جميعًا أن الله محاسبنا عن كل مثقال ذرة من قول أو عمل، وعن كل نقطة دم مسلمة أريقت عن طريقنا، وكل فتنة مُضلَّة كنا في يوم ما سببًا فيها، ومحاسبنا كذلك عن كل كتمان لحق وسكوت عن باطل وتأييد لصاحب بدعة، وأخشى ما أخشاه أن يصيبنا ما أخبر تعالى عنه في قوله: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.. البقرة/ ١٥٩)، وقوله: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب.. الأنفال/ ٢٥)، وقوله: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.. النور/ ٦٣).

إن أمر ديننا إن أردنا أن نعود إليه بحق: ماثل بتفاصيله فيما سطره أصحاب العقائد في كتبهم التي سبق أن ذكرنا بعضًا منها، وجميعها بلا استثناء يحذر وينكر بشدة ما ذكرنا من أعمال الخروج والتكفير والتقتيل، بل ويبوِّب له ويَعُدُّ فاعل ذلك من (كلاب أهل النار) الذين أخبر عنهم نبي الرحمة.. وديننا مع ذلك: واضح كالشمس وماثل فيما أخبر عنه ربنا في نحو قوله:

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا.. النساء/ ٦٥)، وقوله: (ومن يشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا.. النساء/ ١١٥)، وقوله: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينًا.. الأحزاب/ ٣٦)، وما أخبر عنه نبينا في نحو قوله: (إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومًا

فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعينيَّ، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مُهَرهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثَل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثَل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق)، وقوله: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟!، قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى).. وقوله: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل).

وكذا قوله في حديث العرباض: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار).. وقوله على لسان بعض من جاءه من الملائكة وهو نائم: (مثله – يقصد النبي ﷺ – كمثل رجل بنا دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا.. فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ ، فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله ومن عصا محمدًا فقد عصا الله، ومحمد فرْق بين الناس).. وقول حذيفة: (يا معشر القراء، استقيموا، فإن استقمتم فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا) وهو منتزع من قوله تعالى: (وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.. الأنعام/ ١٥٣)، ومن قوله عليه السلام وقد خط خطًا مستقيما وقال: (هذا سبيل الله) وخط خطوطًا عن يمينه وشماله، وقال: (وهذه سبل الشيطان) أو (وهذه طرق على رأس كل منها شيطان يدعو إليه)، ثم وضع يده على الخط المستقيم أو الأوسط وتلا الآية.

إلى غير من الأخبار التي تحض على التمسك بالسنة وأهلها وعلى نبذ منهج الخوارج وغيرها من سبل الشيطان، وما وجدنا آية ولا حديثًا ولا إجماعًا يقر ما تفعله جماعة الإخوان في زماننا، وإلا فليأتونا بأثارة من علم إن كانوا صادقين.

وإذا كان هذا هو أمر ديننا قد وضح بجلاء، فإن أمر أمتنا الآن لم يكن ليخفى على رسولنا وقد قال: (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية .. الحديث)، وفي بعض رواياته: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان).. بل لم يكن حالنا ليخفى على من كان قبلنا ممن أوتي الحكمة واستشرف ببصيرته ما يجري هذه الأيام.. ومرة أخرى لنا أن نطالع في ذلك قول (وهب بن منبه) منذ ما يزيد عن ألف ومائتي عام، إذ التاريخ دائما ما يعيد نفسه، يقول رحمه الله: (لقد أدركت صدر الإسلام، فوالله ما كانت الخوارج جماعة قط إلا فرقها الله على شر حالتها، وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه، ولو مكن الله لهم لفسدت الأرض، وقُطِّعت السبل، ولعاد أمر الإسلام جاهلية، وإذًا لقام جماعة كل منهم يدعو لنفسه بالخلافة، مع كل واحد منهم عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضًا، ويشهد بعضهم على بعض بالكفر، حتى يصبح المؤمن خائفًا على نفسه، وعلى دينه ودمه وأهله وماله، لا يدري مع من يكون!"إ.هـ.

فهل ثمة أدق من هذا التشخيص وأوضح من هذا التحليل الذي في شأنه أيضًا يقول ابن القيم في إعلام الموقعين ٣/ ٤: "الإنكار على الملوك أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر"، ويقول في الفوائد ص ٥٣: "فالعارف همته تصحيح البناء وإحكامه، والجاهل يرفع في البناء من غير أساس، فلا يلبث بنيانه أن يسقط"، ويقول الحافظ ابن كثير عن خوارج عصره: "لو قوي هؤلاء لأفسدوا الأرض كلها عراقًا وشامًا، ولم يتركوا طفلًا ولا طفلة، ولا رجلًا ولا امرأة، لأن الناس عندهم قد فسدوا لا يصلحهم إلا القتل جملة" وإنا لله وإنا إليه راجعون.

طرفًا من الأخبار المحذرة من القتال في الفتنة ومن تكفير المسلمين، والحاثة على الدعاء لحكامهم وعدم الخروج عليهم، والمخبرة أن الخلافة في قريش دون سواهم:

ويدعونا كل ما سبق، لذكر طرفٍ من الأخبار المحذرة من القتال في الفتنة، ومن تكفير المسلمين، والحاثة على الدعاء لأئمتهم وعدم الخروج عليهم، والمخبرة أن الخلافة في قريش دون سواهم، ليتعرف طلبة العلم من خلالها –إجمالًا– على ما ينبغي أن يكون عليه واجب الوقت تجاه كل هذه الجماعات المارقة وعلى رأسها (البنائية والقطبية)، بعد أن تعرضنا لذلك تفصيلًا.

ولا يقولن قائل: كيف تقول بمروقها وهو مستلزم لوقوعك فيما تحذر منه، لأن جوابه: أنا لا نكفر أحدًا وإنما نحذر ممن يكفر وندعوه إلى التوبة والإقلاع عن ذلك على غرار ما فعل ابن عباس، ثم إن هذا؛ هو لفظ الحديث بشأن أمثالهم، أم هل يخفى عليك هذا السيل من التكفير الذي ذكرنا طرفًا منه منذ قليل؟؛ أم يعجبك منه ما صدر ولا يزال من قِبل دعاتهم: وجدي غنيم وعبد المقصود وسلامة عبد القوي إلى آخر هذه القائمة ممن هم على شاكلتهم ممن لا يكفون عن توزيع الكفر واللعنات على خلق الله ليل نهار في القنوات والندوات والخلوات حتى ملئوا الأرض من ذلك؟.

ولا يقولن قائل: إن ما جاء من تحذير من تكفير المسلمين وحكامهم وما ستذكره لهم من آثار؛ يصعب تنفيذه واعتقاده لطول العهد به ولما يعاضده من شبهات، لأن جوابه: أن الأسهل من ذلك والأوقع: أن يلزم المرء السنة وأهلها ويندم على ما فاته منهما، ويتخلى في التوِّ ويهجر البدع وأهلها، ويعزم في المستقبل ألا يعود إليهما، وذلك هو صحيح الدين وليس ثمة ما يمنع من اعتقاده، وبخاصة أن ذلك – مع رد المظالم ما أمكن – هي شروط التوبة النصوح.. وإليك إذن بعض ما جاء في التحذير من أهل البدع والضلال ومعتقداتهم الباطلة:

يقول سفيان الثوري: "كلُّ أهل الأهواء يرون السيف على أهل القبلة، وأما أهل السنة فإنهم لا يرون السيف على أحد منهم، وهم يرون الصلاة والجهاد مع الأئمة تامة قائمة، ولا يُكفِّرون أحدًا بذنب ولا يشهدون عليه بشرك"، وفي عقيدة الشافعي من رواية أبي ثور: "ولا أكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب وإن عمل الكبائر وأكِلُهم إلى الله، واعقد قلبي ولساني على أن.. الجهاد ماض مع كل بر وفاجر.. والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا يُخرج عليهم بالسيف"، وله من رواية الحسين بن هشام، قوله: "والخلافة في قريش".. وللحميدي في أصول السنة: "ولا تكفير بشيء من الذنوب، وإنما الكفر في ترك الأركان الخمس"، ولبشر الحافي في صحيفة له أنه لا يكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب.. ويرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وعدم الخروج عليهم بالسيف وعدم القتال في الفتنة، كما يرى ترك الرأي والابتداع.. ولشيخ البخاري علي بن المديني قوله فيما نقله عنه اللالكائي في شرح السنة ١/ ١٥٨:

"لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ليلة إلا عليه إمام: برًا كان أو فاجرًا.. والغزو مع الأمراء ماض إلى يوم القيامة البر والفاجر، لا يترك.. ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن عمل ذلك فهو مبتدع على غير السنة، ويحل قتال الخوارج واللصوص إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله.. ومن مات من أهل القبلة موحدًا مصليًا صلينا عليه واستغفرنا له، لا نحجب الاستغفار ولا ندع الصلاة عليه لذنب صغير أم كبير، وأمره إلى الله"، ولقتيبة بن سعيد في "قول الأئمة المأخوذ في الإسلام والسنة:.. الصلاة على من مات من أهل القبلة.. ولا نكفر أحدًا بذنب وإن عمل الكبائر، وأن لا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا، ونتبرأ من كل من يرى السيف في المسلمين كائنًا من كان".

ولأحمد في موضوعات الباب عبارات كثيرة، نذكر منها قوله في أصول السنة: "والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البرّ والفاجر، لا يُترك.. ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله، فإن مات الخارج عليه، مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق".. وقوله في رواية الربعي: "السنة التي توفي عليها رسول الله:.. الصبر تحت لواء السلطان على ما كان فيه من عدل أو جور، وألا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا، وألا نكفر أحدًا من أهل التوحيد وإن عملوا الكبائر"، إلى أن قال: إن "هذه السنة فالزموها، فإن أخذها هدى وتركها ضلالة".

وقوله في رواية الأندرابي: "صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة: من يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.. ولم يُكفِّر أحدًا من أهل التوحيد بذنب.. والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بسيفك، ولا تقاتل في الفتنة والزم بيتك"، وذكر أشياء ثم قال: "هذا ما اجتمع عليه العلماء في جميع الآفاق"، وقوله في رواية الزرندي: "أجمع من أدركنا من أهل العلم أن الرجل.. لا يُخرجه من الإسلام شيء غير الشرك.. وأن تُؤمِن بالدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بالسيف، ولا تقاتل في الفتنة، ولا تتألى على أحد من المسلمين كأن تقول: (فلان في الجنة وفلان في النار)، إلا العشرة الذين شهد لهم النبي بالجنة"، وقوله من رواية الإصطخري:

"ونشهد أن الخلافة في قريش ما بقي اثنان، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها، ولا يُخرج عليهم، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة.. والانقياد إلى من ولاه أمركم، لا تَنزع يدًا من طاعته، ولا تَخرج عليهم بسيفك حتى يجعل الله لك فرجًا ومخرجًا، ولا تَخرج على السلطان، وتسمع وتطيع، ولا تنكث بيعة، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مُخالف مفارق للجماعة.. والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب لزومها، فإن ابتليتَ فقدم نفسك دون دينك، ولا تُعن على فتنة بيد ولا لسان ولكن اكفف يدك ولسانك وهواك، والكف عن أهل القبلة ولا نكفر أحدًا منهم بذنب ولا تُخرجه من الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث" ثم قال وهو يتناول فرق الضلالة:

"وأما الخوارج: فمرقوا من الدين وفارقوا الملة وشردوا عن الإسلام وشذوا عن الجماعة، فضلوا عن السبيل والهدى، وخرجوا على السلطان، وسلوا السيف على الأمة واستحلوا دماءهم وأموالهم، وعادَوا من خالفهم، وكذا من قال بقولهم وكان على مثل رأيهم، وثبت معهم في بيت ضلالتهم"، يعني: فهؤلاء مثلهم، ضلوا ووجب منعهم من ولاية المسلمين كونهم مرقوا من الدين وفارقوا جماعة السنة، ويقول – رحمه الله – عن صفات الخوارج:

"وهم يرون النكاح بغير ولي ولا سلطان([1]).. ولا يرون للسلطان عليهم طاعة، ولا لقريش عليهم خلافة، وأشياء كثيرة يخالفون عليها الإسلام وأهله، وكفى بقوم ضلالة أن يكون هذا رأيهم ومذهبهم ودينهم، وليسوا من الإسلام في شيء"، إلى أن قال: "فمن قال بشيء من هذه الأقاويل أو رآها أو صوبها أو رضيها أو أحبها، فقد خالف السنة وخرج من الجماعة وترك الأثر، وقال بالخلاف ودخل في البدعة وزال عن الطريق"، ثم ذكر في مقولات الخوارج عن أهل السنة: "أنهم يسمون أهل السنة والجماعة مرجئة، وكذبت الخوارج في قولهم، بل هم المرجئة، يزعمون أنهم على إيمان وحق دون الناس، وأن من خالفهم كافر".

وفي معتقد الإمام البخاري – وقد نقله عنه اللالكائي في شرح السنة ١/ ١٦٤ – ما نصه: "لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم: أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر.. أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة.. فلم يكونوا يكفِّرون أحدًا من أهل القبلة بالذنب.. وكانوا ينهون عن البدع ويحثون على ما كان عليه النبي وأتباعه، وألا ننازع الأمر أهله، لقوله تعالى: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.. النساء/ ٥٩)، وألا نرى السيف في أمة محمد ﷺ، قال الفضيل: (لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد)"إ.هـ.. وكان ضمن ما جاء في معتقد الإمام الذهلي: "السنة عندنا.. أن نسمع ونطيع لولاة الأمر.. ولا نرى شق العصا، مع النصح لجماعة المسلمين في السر والعلانية.. ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب، ولا نشهد عليهم بشرك".

ومما جاء في عقيدة أبي زرعة وأبي حاتم الرازي قولهما فيما أدركوا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا: "لا نكفر أهل القبلة بذنوبهم، ونكل أسرارهم إلى الله عز وجل، ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان، ولا نرى الخروج على الأئمة، ولا نقاتل في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ولا ننزع يدًا من طاعة، ونتبع السنة والجماعة ونتجنب الشذوذ

([1]) وقد وجد في زماننا للأسف من يحيي ويتلبس بهذه البدعة المنكرة، وذلك فيما أحدثوه وأسموه (جهاد النكاح)، والكلام فيه كثير وفاضح.. لكن نرأب أن نلوك بألسنتنا وأقلامنا ما جرى بخصوصه في مصر وتونس وغيرهما، حتى عما قالوه هم واعترفوا وشهدوا به على أنفسهم

والخلاف والفرقة، وأن الجهاد ماض إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين، لا يبطله شيء)"إ.هـ من شرح أصول السنة للالكائي ١/ ١٦٦.

كما جاء في عقيدة المُزَني فقيه الديار المصرية في زمانه، وقد سئل عن حقيقة اعتقاده: "المؤمنون في الإيمان يتفاضلون ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان، ولا يكَفَّرون بركوب كبيرة ولا عصيان، ولا يُوجب لمحسنهم الجنان إلا من أوجب له النبي ﷺ ولا يُشهد على مسيئهم بالنار.. والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله مَرْضيًّا، واجتناب ما كان مُسخطًا، وترك الخروج عند تعديهم وجَورهم، والتوبة إلى الله كيما يَعطف بهم على رعيتهم"، إلى أن قال:

"هذه مقالاتٌ وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورِضا، وجانبوا التكلف فيما كُفُوا، فسدِّدوا بعون الله ووفقوا، لم يرغبوا عن الاتباع فيُقَصروا ولم يجاوزوه فيَعتدوا، فنحن بالله واثقون وعليه متوكلون وإليه في اتباع آثارهم راغبون"إ.هـ من كتاب جمهرة عقائد أهل السنة.

وفي اعتقاد التُّسْتَري في خصال من كان على السنة والجماعة وهو في أصول السنة للالكائي ١/ ١٧١: "ولا يَخرج على هذه الأمة بالسيف.. ولا يَترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك الجماعة خلف كل والٍ، جار أو عدلَ".. ومن كلام الإمام الطحاوي في عقيدته التي تلقتها الأمة بالقبول: "ولا نكفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله.. ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة".

ويقول أبو الحسن الأشعري إمام المذهب في (مقالات الإسلاميين) ص ٢٩٥ حاكيًا جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة: "ويرون العيد والجمعة خلف كل بر وفاجر.. ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف، وأن لا يقاتلوا في الفتنة".

ويقول ص ٤٥١ نقلًا عنهم: "إن الإمام قد يكون عادلًا ويكون غير عادل، وليس لنا إزالته وإن كان فاسقًا، وأنكروا الخروج على السلطان ولم يروه" وكان مما قاله أيضًا في كتابه (الإبانة): "ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وفاجر، كما رُوي أن عبد الله بن عمر كان يصلي خلف الحجاج، ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف، وندين بترك القتال في الفتنة".

ومما قاله البربهاري في شرح السنة عن أحد الأهواء الأربعة التي تشعبت منها الاثنان والسبعون فرقة النارية: "ومن قال: الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا له بالصلاح: فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره".. وكان شيخ الإسلام قد ذكر في منهاج السنة ٣/ ٣٩١ أن "المشهور من مذهب أهل السنة: أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة، لأن الفساد في القتال والفتنة، أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا تُدفع أعظم المفسدتين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد تُعرف طائفة خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته".

كما نذكر من الآثار المحذرة من أهل البدع ومحادثتهم ومخالطتهم والسماع لهم والتحالف أو السير معهم – من غير ما سبق ومما نحن في مسيس الحاجة لإعماله كونهم بيننا وينطلي على كثير منا أقوالهم وأفعالهم–: قول أحمد إمام أهل السنة في عقيدته من رواية العطار: "أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله وترك البدع وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين".. وقوله من رواية الزّرَندي: "احذروا البدع كلها.. واحذروا الجدال مع أهل الأهواء.. ولا تشاور أحدًا من أهل البدع في دينك ولا ترافقه في سفرك".. وقول ابن أبي حاتم: "سمعت أبي وأبا زُرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، يغلظان في ذلك أشد التغليظ، وينكران وضع الكتب

برأي من غير آثار".. وقول المُزَني عن حقيقة اعتقاده: "الإمساك عن تكفير أهل القبلة والبراءة منهم فيما أحدثوا ما لم يبتدعوا ضلالة، فمن ابتدع منهم ضلالة كان من أهل القبلة خارجًا، ومن الدين مارقًا، ويُتقرب إلى الله بالبراءة منه، ونهجره ونتجنب عُرَّتَه – دنسه وقذارته – فهي أعدى من عُرَّةِ الجرَب"إ.هـ من جمهرة عقائد أئمة السلف.

كما نذكر من أقوالهم ما فاه به إمام المذهب أبو الحسن الأشعري في (الإبانة عن أصول الديانة)، حيث ذكر ضمن: "جملة ما عليه أهل الحديث والسنة.. أنهم لا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه.. ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين، وألا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله.. ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وألا يخرجوا عليهم بالسيف وألا يقاتلوا في الفتنة.. ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة.. ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة ومفارقة أهل الأهواء، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه"، إلى أن قال: "فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه".. وما فاه به الآجري في كتابه (الشريعة)، حيث ساق – ص ٤٠ وتحت عنوان (باب في السمع والطاعة لمن وَلِي أمر المسلمين، والصبر عليهم وإن جاروا، وترك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة) – في ذلك جملة من الأحاديث، وقبلها مباشرة جعل يتكلم عن الخوارج ويختم كلامه فيهم بقوله:

"قد ذكرتُ من التحذير من مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله تعالى عن مذهب الخوارج ولم ير رأيهم، وصبر على جور الأئمة وحَيْف الأمراء ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله كشف الظلم عنهم وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح، وحَجَّ معهم وجاهد معهم كل عدو للمسلمين، وصلى معهم الجمعة والعيدين، فإن أمروا بطاعة فأمكنه، أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروا بمعصية لم يطعهم، فمن كان هذا وصفه: كان على الطريق المستقيم إن شاء الله"إ.هـ.. وكذلك فعل اللالكائي في شرحه لـ (أصول اعتقاد أهل السنة) ٢/ ١٠٤٣.

هذا، ومما قاله الصابوني في (عقيدة السلف وأصحاب الحديث): "ويرى أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة: أن المؤمن وإن أذنب ذنوبًا صغار كانت أو كبائر فإنه لا يَكْفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد فإن أمره إلى الله، ويرون الجمعة والعيدين خلف كل إمام مسلم، برًّا كان أو فاجرًا، ويرون جهاد الكفار معهم وإن كانوا جَوَرَةً فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحَيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل، ويتجانبون ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يُحبونهم ولا يَصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مَرَّت بالآذان وقَرَّت في القلوب ضرَّت، وجَرَّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جَرَّت.

وهذه الجمل أجمعوا عليها كلها، ولم يثبت عن أحد منهم ما يُضادها، واتفقوا مع ذلك على: القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم والتقرب إلى الله بمجانبتهم ومهاجرتهم".. كذا بما يعني: التحذير الشديد ممن يمثلون امتدادًا لما كان عليه الخوارج قديمًا وإعلان البراءة ممن يدينون بدينهم في زماننا، ويعني أيضًا: انتفاء الولاية والإمارة والخلافة عنهم.. ويعني كذلك: حرمة القتال في الفتنة ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم والجهاد خلفهم والدعاء لهم وعدم الخروج عليهم، كما يعني: مشروعية قتال من خرج على الأئمة باعتباره خارجي.. لكن يبقى السؤال: لقد ذكرنا من كلام أئمة السلف إجمالًا وتفصيلًا ما فيه الكفاية، وبكل ما ذكروه نطق جميع أصحاب العقائد من شيوخ أهل السنة وتابعيهم بإحسان ولم يشذ عن ذلك منهم أحد، فهل يَعْقل هذا أولادنا الذين يلقون –ولا يزالون– بأيدهم إلى التهلكة بعد أن ضللوا، وخالفوا ما كان عليه أئمة الهدى([1])؟، وأين هم المتبوعون من أمثال: حسَّان ويعقوب والحويني وشاكر، وأصحاب القنوات من المشايخ، ومن يزعمون أنهم (سواعد إخاء) وقد تبين أنهم سواعد فرقة وهدم وخروج وابتداع؛ أين هم من هذا الكلام، حتى يلَقِّنوه لأتباعهم، على الأقل: إبراءً للذمة؟.

([1]) الذين نسأل الله أن يحيينا على ما حَيُوا عليه ويميتنا على ماتوا عليه، وأن يعصمنا من الزلل ومن مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن

خاتمة:

وبعد: فإن مما يقضى منه العجب، ما نراه من شباب لو طلب منه أن يتعصب لصحيح الدين وما عليه الرسول المعصوم والجهاد في سبيلهما، لما تعصب بمثل ما يتعصب لما عليه جماعة الإخوان ومؤسسها، على الرغم من وضوح ما هي عليهما من خلل وباطل، وعلى الرغم من كون بعض من يتعصبون لها تعلم في الأزهر وكان من المفترض أن يقيس أقواله وأفعاله على: قال الله وقال رسوله وأجمعت الأمة على كذا، لا على قول فلان أو أمر فلان من البشر.

ونستطيع أن نحكم من خلال هذا التعصب المقيت بأن (الإخوان المسلمون) فرقة ضالة مبتدعة، يستبدلها الله ولا يأتمنها على دينه.. بل و يحرم شرعًا العمل تحت لوائها أو التحالف معها أو المشاركة في فعالياتها أو الجهاد تحت رايتها لكونها راية عُميّة.. ذلك إن دعوتها إنما هي دعوة إلى الطاغوتية وعبادة القبور وتقديس الأشخاص والذوات وطاعتهم المطلقة حتى في المعاصي.

أما كون (فرقة الإخوان) على ضلال، فلكونها تقدم بين يدي الله ورسوله، ولا تستضيء بنور الوحي المبين، ولا تقول بصحيح الدين ولا تعتبر بأدلته ولا تعظم حرماته، ولا تزن تصرفاتها بميزان الكتاب والسنة ولا تعترف بإجماع الأمة، ولا تجعل هذه المصادر في معظم الأحيان مراجع أساسية لها، ولا غرو فالبنا كما ذكر أ. حوى في تربينا الروحية ص ٧٥، ١٦٠ قد "وصل إلى مرتبة الاجتهاد" و"توفرت فيه شروط المرشد الكامل".

كما أنه – على ما في (المدخل إلى دعون الإخوان) ص ١٨٣، ١٨٥ –: "مجدد القرون السبعة الماضية، وليس مجددًا لقرن واحدًا"، ودعوته "أوجدت الصيغة التي يمكن أن يلتقي عليها المسلمون جميعًا"، وأتباعه وثقوا في شخصه ودعوته تلك "ورضعوها عمن هم أمثال الجبال في الثقة".

وعليه فإنك مهما كلمتهم مثلًا عن حرمة الدماء وزدت من سرد الأدلة على حرمة تكفير المسلم، ازدادوا ولوغًا فيهما طالما أنهم يرون ذلك.. وكلما حادثتهم عن عدم جواز سعي جماعتهم وطلبها (الإمارة والحكم والخلافة)، وأنهم لو آتوها فليس من حقهم أن يعينوا في سلطانهم قرابة ولا أهل أو عشيرة وأن الأحاديث نص في كل ذلك، وحسبنا منها ما بوب له النووي في كتابه (رياض الصالحين)، ازدادوا عنادًا وابتعادًا عما رسمه لنا ديننا الحنيف.. وكلما تحدثت معهم عن عدم حب الله للفساد والمفسدين وأتيت لهم من الآيات ما به تقام الحجة، تمادوا وراحوا يضربون المثل في قطع الطرق والتخريب والتدمير والتقتيل والتحريق والعثو في الأرض فسادًا.. ومهما أخبرتهم عن وصية النبي لمصر وأهلها وجندها وشعبها وأقباطها وأنهم له الذمة والرحم، زادوا في كيدهم وأمعنوا في إلحاق الضرر والأذى بهم ولم يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة، وتلك مجرد نماذج.

فهي جماعة اعتادت ألا تعظم لله ولا لرسوله قولًا ولا أمرًا ولا نهيا، كما أنها لا تحترم إجماعًا، ودائما ما تؤول النصوص وتفصل الإسلام على هواها وهوى مرشديها ومنظريها وقادتها، وتُصدر من الأحكام ما يروق لها، وتطيع قادتها حتى في المعاصي طاعة عمياء.. وهذا هو الضلال بعينه، وفيه يقول تعالى: (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينًا)، ويقول: (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلًا)، ويقول: (ومن يضلل الله فما له من هاد)، ويقول: (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) كما يقول النبي فيه: (تركت فيكم ما اعتصمتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي).

وحسبنا في النهي عن كل ما ذكرنا والنهي عن طاعتهم في المعاصي والاستجابة لتلبيساتهم وشبهاتهم حديث البخاري ومسلم الذي فيه أن النبي بعث سرية فاستعمل عليها رجلًا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فأغضبوه، فقال: أليس أمركم النبي أن تطيعوني؟، قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطبًا فجمعوا، فقال: أوقدوا نارًا فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهموا وجعل بعضهم يُمسك بعضًا ويقولون: فررنا إلى النبي من النار، فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ ذلك النبي فقال: (لو دخلوها ما خرجوا منها إلى

يوم القيامة، إنما الطاعة في المعروف).. وكذا قوله: (فتلك عبادتكم إياهم)، وذلك أن عدي بن حاتم حين أراد أن يسلم وقد كان نصرانيًا، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكر أن يكون ممن يعبدون الأحبار والرهبان من دون الله، فقال له صلى الله عليه وسلم: (ألم يكونوا يحلون لكم الحرام فتحلونه؟ ألم يكونوا يحرمون عليكم الحلال فتحرمونه؟)، قال عدي: بلى، فقال صلى الله عليه وسلم: (فتلك عبادتكم إياهم).. ومن قبل قوله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون أندادًا يحبونهم كحب الله.. البقرة/ ١٦٥).

أما استبدال الله بها، فلأنها لم تقيد نعمة التمكين لها في زماننا بالشكر المشار إليه في قوله تعالى: (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)، وما وجدنا منها سوى الانفراد بالحكم والتكالب على السلطة والحرص والسعي إليها بكل طريق، والتسلط على المخالف لها، وموالاة أعداء الإسلام من يهود وشيعة وغيرهم، ومماليئة الباطل في السماح بالخمارات والبارات، والسكوت عن الفوضى والفساد، وإهدار الأموال وتعيين من يسئ أكثر مما يصلح وإطلاق صراح المجرمين وسافكي الدماء.

ولكونها أيضًا ما حققت شيئًا من شروط التمكين الوارد ذكرها في قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) أي كما قال ابن كثير: يترك الحق إلى الباطل (فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)، والقائل: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا)، فما وجدنا تبرئة مما طغى على منهجها من شركيات ولا رأينا أمرًا بمعروف ولا نهيًا عن منكر ولا رحمة بالمؤمنين ولا عزة على اليهود وأعداء الدين.

أما عدم ائتمانه تعالى إياها على دينه فلتلاعبها بالإسلام وأحكامه، وحصرهما في فهم جماعتها وإساءتها المنقطعة النظير لهما.. ولكم حلُم سبحانه على الفساد والمفسدين وفي غير ما دولة، في حين نزع حلمه عنهم في أقل من عام كانت لهم فيه وفي بلد الأزهر كعبة العلم ومقصد طلابه، الغلبة.. وما ذلك إلا لأنه تعالى يغار على دينه وما يصبر على من يبدله أو يحرفه أو يثير حوله الشبهات، إذ خَلْع مثل هؤلاء ونزع الملك عنهم من دلائل حفظ الله لدينه فهو القائل: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

أما كون فرقة (الإخوان المسلمون) طائفة مبتدعة، فلكون دعوتها قائمة على الطاغوتية وعبادة القبور وتقديس الأشخاص والذوات.. ومن مظاهر ذلك:

١-الخلل في توحيد الألوهية أو العبادة: فسوادها الأعظم يغضون الطرف ولا يتبرءون مما ذكره قادتهم من شركيات وكفر صريح، ولا دلالة لسكوتهم عن هذا سوى رضاهم في المجمل عنه، ونذكر من ذلك ما سطره مرشدهم العام عمر التلمساني في كتابه (شهيد المحراب عمر بن الخطاب) ص ٢٢٦، قال: "لا داعي إذن للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد"، وقال ص ٢٣١: "فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم"، والكتاب كله – على حد ما ذكر ابن سيف العجمي صاحب كتاب (وقفات مع كتاب للدعاة فقط) ص ١٦ – مليء "بالدعوة إلى الشرك وعبادة القبور وجواز الاستغاثة بها والتبرك بها ودعاء الله عندها وعدم جواز تشديد النكير على زوارها الذين يقومون بكل الأعمال السابقة".

فكلامٌ مثل هذا مع توجه من (البنا) مؤسس جماعتهم إلى النزعة الصوفية المغالية، وبقائه متمسكًا بأوراد بعض طرقها "إلى آخر عهده وفي زحمة أعماله" كما جاء في (التفسير السياسي للإسلام) لأبي الحسن الندوي ص ١٣٩، وإقرار من منظريهم على مستوى العالم بما هو وهم عليه.. هذا وحده كفيل بصرف قلوب الموحدين عنهم، والكف عن سياسة الترقيع والتلفيق أو الكلام عن مراجعات أو العودة لقديم ما كانت عليه الجماعة، وموجب – بالتالي – للبحث بدلًا من ذلك عن بديل يعود بنا إلى ما كان عليه سلف الأمة ويعتقد معتقدهم جملة وتفصيلًا ويصون الدين ويحفظ له قدسيته ويحقن دماء المسلمين ويحفظ لهم بيضتهم وكرامتهم، ذلك أن ما ذكرنا يعد من خلاف التضاد الذي لا يجوز الاجتماع مع القائل به أو

التحالف معه، وأيضًا فإن قبول العمل عند الله متوقف على إخلاص العبادة له جل وعلا، والمتابعة لرسوله القائل كما في الصحيحين: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، وذلك قوله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا).

ومعلوم بالضرورة أن مغبة الشرك وعاقبته وخيمة، وحسبنا أنه من نواقض الإيمان، وحسبنا منه كذلك قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به)، وقوله في عدم المجاملة فيه: (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين).

كما أن (توحيد الألوهية) الذي يقضي بإفراد صاحب الخلق والأمر بالتقديس والعبادة، هو الذي من أجله أنزل الله الكتب وبعث الأنبياء والرسل، فهم ما دعوا إلى شيء قبله، وذلك قوله تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.. النحل/ ٣٦)، وقوله: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون.. الأنبياء/ ٢٥)، وقوله: (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون.. الزخرف/ ٤٥)، وقوله عليه سلام الله: (نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد).

٢- الخلل في توحيد الذات والصفات:

أما خلل فرقة الإخوان في قضايا توحيد الصفات، وموالاتها ومعاداتها في غير الله، وموقفها المخزي من الشيعة وسائر أعداء الإسلام، وكذا اعتبار نفسها جماعة المسلمين، ونظرتها للبيعة، وللسمع والطاعة المطلقة، واتباع منهج الغاية تبرر الوسيلة، واستباحة الكذب والخداع باسم مصلحة الدعوة، والاستقواء بالخارج، والاستئثار بقضايا فلسطين والمتاجرة بشعبه ودماء أبنائه لحسابات لا تخضع لضوابط الشرع ولا تصب بكل تأكيد في مصلحة الشعب الفلسطيني بصفة عامة والغزاوي – الذي عادة ما يزج به في أتون معارك وهمية ويُضحى بالآلاف من أبنائه ما من بين قتلى وجرحى – بصفة خاصة، والتسلط على جنودنا وقواتنا المسلحة المصرية درع الإسلام والأمة الإسلامية، والاستبداد بالرأي وتقديمه على نصوص الوحي، وتقديم الانتماء للجماعة على غيرها وإن كان هذا الغير على صحيح الدين والمعتقد، وكراهة أهل السنة والوقيعة في أهل الأثر.. إلى غير ذلك من المخالفات الشرعية، فتلك رءوس موضوعات تحتاج إلى تفصيل يضيق به المقام.

لكن حسبنا مما كتب في ذلك ما جاء تحت عناوين: (مجموع فتاوى العلماء في الجماعات الإسلامية)، و(إثبات فساد منهج ودعوة حسن البنا وجماعة الإخوان وأنها ليست منهج السلف الصالح)، و(نقد منهج جماعة الإخوان من أقوال كبار العلماء) جزء ١- ٢، و(الرد المبين على جماعة الإخوان المسلمين)، و(الميزان في بيان منهج أهل السنة ومخالفات الإخوان)، و(المواقف العقدية والأصولية لدعوة الإخوان المسلمين)، و(التعريف بفرقة الخوارج)، و(صفات الخوارج في السنة النبوية) لعلماء أفاضل بذلوا الوقت والجهد لتصفية الإسلام مما علق به من أدران الشرك والبدع، فجزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.. والله نسأل الله أن يبصرنا بعيوبنا وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. اللهم آمين

******

فهرس بأهم المصادر والمراجع

١- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن تقديم حماد الأنصاري ت محمود بن الجميل. مكتبة الأنصار ط ٢/ ٢٠٠٦

٢- الإبانة لأبي الحسن تحقيق د. فوقية حسين محمود ط١/ ١٣٩٧- ١٩٧٧ دار الأنصار بالقاهرة.

٣-الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، المعروفة بالإبانة الكبرى، لابن بطة العكبري الحنبلي ت د/ أحمد المزيدي، ط١، ١٤٢٢ دار الكتب العلمية.

٤-إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين لمحمد الحسيني الزبيدي ط. دار الفكر

٥- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية ط ١٤٠١، دار الفكر بالقاهرة

٦-آداب الشافعي ومناقبه لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت عبد الغني عبد الخالق م. الخانجي. ط ٢/ ١٤٢٣، ١٩٩٣

٧- الأسماء والصفات للبيهقي ت. فؤاد سراج عبد الغفار المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

٨- أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل رواية عبدوس بن مالك العطار ت. العباسي والوليد بن نبيه ط ١ ١٤١٦، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.

٩- أصول السنة للإمام أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ت. أبي مالك بن عبد الوهاب ط١. لسنة ١٤٢٥ المكتب الإسلامي لإحياء التراث بالقاهرة.

١٠-أصول السنة لأبي عبد الله الشهير بابن أبي زمنين ط ١/ ١٤٢٨- ٢٠٠٧ دار الفرقان.

١١- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث للحافظ البيهقي ت د/السيد الجميلي دار الكتاب العربي ط١، ١٤٠٨ بيروت.

١٢-الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ت عبد الله محمد الخليلي دار الكتب العلمية بيروت ط١/ ١٤٢٤، ٢٠٠٤

١٣-أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه لعلي بن نفيع العلياني

١٤-البداية والنهاية للحافظ ابن كثير مكتبة المعارف بيروت ط٦/ ١٤٠٩، ١٩٨٨

١٥- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري لابن عساكر ط٢/ ١٣٩١ دار الفكر. دمشق.

١٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير مكتبة مصر للطباعة.

١٧-التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ت د/ عبد العزيز الشهوان دار الرشد للنشر بالرياض ط١، ١٤٠٨.

١٨-حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين

١٩-الحجة في بيان المحجة في شرح عقيدة أهل السنة لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني ت د/ ابن ربيع المدخلي دار الراية ط١، ١٤١١ الرياض.

٢٠-حديث الثلاثاء للأستاذ حسن البنا

٢١-حقوق الذميين في الشريعة الإسلامية د. حسين حامد

٢٢-جمهرة عقائد أئمة السلف جمع. محمد محب الدين أبو زيد مكتبة ط.التوعية الإسلامية ط١. ١٤٣٦، ٢٠١٥

٢٣-دروس في العمل الإسلامي لسعيد حوى

٢٤- الذب عن أبي الحسن الأشعري لابن درباس ت د. ناصر الفقيهي ط ١/ ٢٠٠٦ دار الإمام أحمد بمصر .

٢٥- الرد على بشر المريسي للدارمي من مجموعة عقائد السلف ت.د. النشار دار السلام.

٢٦- الرد على الجهمية للدارمي من مجموعة عقائد السلف ت د.النشار ط ١/ ١٤٢٨ دار السلام.

٢٧ -رسالة إلى أهل الثغر للأشعري ت. د. عبد الله شاكر ط ٢/ ١٤٢٢ مكتبة العلوم والحكم.
٢٨-روح المعاني للآلوسي ط ١٤١٧- ١٩٩٧ دار الفكر بيروت.
٢٩-زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ت شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة ط/ ٢ لسنة ١٤٠١
٣٠- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ت. محمود شعيب الأرناءوط. مؤسسة الرسالة. بيروت.
٣١-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ت نشأت المصري دار البصيرة ط١/ ٢٠٠٢.
٣٢-شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ط. دار التوفيقية
٣٣--شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ت. الألباني وابن باز وشاكر والفوزان. دار الهيثم بالقاهرة ط١/ ١٤٢٦، ٢٠٠٥.
٣٤-شرح السنة لأبي محمد الحسن بن علي البربهاري ت.نشأت المصري ط١. ١٤٢٦ مكتبة العلوم والحكم بالقاهرة.
٣٥-شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد خليل هراس ط١/ ١٤٢٢- ٢٠٠١ المكتبة الإسلامية- دار الآثار
٣٦-الشريعة لأبي بكر محمد الآجري ط. دار البصيرة بالإسكندرية.
٣٧-صحيح مسلم بشرح النووي ت عبد الرءوف سعد دار البيان العربي والتوفيقية
٣٨-صفة العلو لله الواحد القهار لابن قدامة المقدسي دار الصحابة للتراث ط١/ ١٤١٣- ١٩٩٣.
٣٩-عقائد السلف للأئمة أحمد والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي، جمع د/ النشار ط ١٩٧١ منشأة المعارف بالإسكندرية.
٤٠- عقيدة السلف وأصحاب الحديث لشيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل الصابوني ؟؟ وهي ضمن المجموعة المنيرية. دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٧٠.
٤١- العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها للإمام شمس الدين الذهبي ت الشيخ الألباني ط/ المكتب الإسلامي بيروت.
٤٢- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ط دار المعرفة بيروت.
٤٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ط. دار الريان والمكتبة السلفية ط.٣ . ١٤٠٧.
٤٤- الفقه الأكبر في التوحيد ط٢ المطبعة العامرية الشرفية القاهرة ١٣٢٤.
٤٥-في آفاق التعاليم لسعيد حوى
٤٦-لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، بشرح الشيخ صالح بن عثيمين ت/ هاني الحاج ط١، ١٤٢٣ مكتبة العلم.
٤٧-مجموعة الرسائل للأستاذ حسن البنا
٤٨-مجموع الفتاوى لابن تيمية ترتيب عبد الرحمن بن قاسم وولده. م ابن تيمية.
٤٩-مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، المسمى (استعجال الصواعق المرسلة) لمحمد بن الموصلي ط٢/ ١٤٠٠ مكتبة المتنبي بالقاهرة.
٥٠- مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي. للألباني ١/ ١٤٠١- ١٩٨١ المكتب الإسلامي.
٥١- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ت صلاح عويضة والقادري ط١/ ١٤١١- ١٩٩١ دار الكتب العلمية.
٥٢- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ت هلموت ريتر ط٤/ ١٤٢١- ٢٠٠ الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر.
٥٣-من أجل خطوة إلى الأمام لسعيد حوى
٥٤-المنتقى من فتاوى الشيخ فوزان
٥٥-موافقة صريح المعقول لصريح المنقول المعروف بدرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ت. محمد رشاد دار الكنوز الأدبية ط/ ١٣٩٩، ١٩٧٩
٥٦-وقفات مع كتاب للدعاة فقط لمحمد بن سيف العجمي
٥٧-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ت إحسان عباس دار صادر بيروت ط٤/ ١٩٧١

فهرس الموضوعات

إهداء
- من كنوز الحكمة في: تصوير ما نحن فيه وفيما يجب فعله أو الحذر منه
- مقدمة
مشكلات أمتنا تنحصر في: (الفراغ الديني) و(الوقوع تحت تأثير مفاهيم وتصوراتٍ خاطئة)
إزالة الشبهات لا يتأتى سوى بتغيير ما بأنفسنا والرجوع بها إلى ما عليه فهم سلف الأمة للنصوص
ما يميز أهل السنة: أنهم يَدْعُون عند التحاكم إليها، ويتركون أقوال الناس لها

الباب الأول: مجمل عقائد سلف الأمة وتابعيهم، في قضايا: التكفير، والقتال في الفتنة، والتشيع، ومنازعة حكام المسلمين والخروج عليهم
الفصل الأول: المسكوت عنه الواجب اتباعه في عقيدة أئمة القرون الثلاثة الأولى الخَيِّرة، بشأن قضايا: التكفير، والقتال في الفتنة، والتشيع، ومنازعة حكام المسلمين والخروج عليهم
المبحث الأول: معتقد أئمة العلم وحُفّاظ الحديث: (الثوري، والرازيين: أبي زُرعة، وأبي حاتم.. نموذجًا)؛ يقضي بالنهي عن تكفير أهل القبلة وعن الخروج على الأئمة والقتال في الفتنة والسماع لأهل البدع
أ-مجمل معتقد الثوري، وفيه «الصبر تحت لواء السلطان جارَ أم عدَل» والجهاد معه، كما فيه الرد على أهل الإرجاء والتشيع والتكفير.
ب- معتقد الرازيَّين يقضي: بالكف عما شجر بين الصحابة، وبالنهي عن تكفير أهل القبلة وعن الخروج على الأئمة والقتال في الفتنة والسماع لأهل البدع والضلال:
جـ- وفيما انفرد به أبو حاتم ما يؤكد: ترك الكتب المبتناة على غير أثر، وعدم الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة
د-الأئمة الثلاثة يحذرون من (البدع وأهلها وبخاصة ممن أصلوها وضعوا فيها الكتب)، كونهما أساس كل مصيبة تحل بالأمة ومصدر كل فتنة
المبحث الثاني: معتقد (الإمام البخاري، وشيخه عليِّ بن المديني).. ينهى بشدة عن تكفير موحِّد، ويقضي بتحريم الخروج على الحاكم المسلم
أ-ابن المديني يَعُدَّ من لوازم السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وتجريم دِوَل الخفاء التي تقيمها الخوارج
ب-البخاري يحسم الخلاف مع (التكفيريين وسافكي الدماء المعصومة ومن ينابذون حكام المسلمين)، وينهى عن تكفير أهل القبلة، وعن منازعة الأمر أهله، ويسوق في ذلك النصوص
المبحث الثالث: معتقد فقهاء الأمة من أئمة المذاهب الأربعة بشأن قضايا: التكفير، والقتال في الفتنة، والتشيع، ومنازعة حكام المسلمين والخروج عليهم
أولًا: قضايا التكفير والقتال في الفتنة ومنابذة حكام المسلمين في معتقد فقهاء المذاهب الربعة
ثانيًا: قضايا أخرى خُصَّ بتناولها كلٌّ.. تشغل بال الأمة وتمس واقعها المعاصر
- الإمام أحمد يقدم نموذجًا للصدع بالحق والصبر على أذى حكام المسلمين وعدم الخروج عليهم، ويبين أن هذا من أصول السنة، ويعطي المثل والقدوة في ذلك بنفسه

الفصل الثاني: المسكوت عنه الواجب اتباعه في عقيدة صالحي الخلف لخير السلف من أئمة القرون الثلاثة التالية للقرون الخيرة.. الطحاوي – الأشعري – الآجري – اللالكائي – الصابوني – الأصبهاني – ابن قدامة.. نموذجًا.
المبحث الأول: (الطحاوية) و(إبانة الأشعري).. على منهج أهل السنة والجماعة، في: عدم تكفير المسلمين وعدم الخروج على حكامهم
أولًا: في خطوة حقيقية لتجديد الخطاب الديني.. (معتقد الإمام الطحاوي المصري) كسابقَيه: من شأن اعتناقه وتدريسه على أبناء الأزهر والمعاهد الدعوية؛ أن يقيم صحيح الدين ويقضي على التطرف والإرهاب
ثانيًا: صحيح معتقد أبي الحسن الأشعري المتمثل في كتابه (الإبانة): يردُّ على أشاعرة الزمان، ويحمل في طياته وحدة الأمة، والحل الأمثل لقضاياها.
أ-الأشعري يتخلى عن مذهبه في التأويل، ويبرأ إلى الله منه، ويتبنى مذهب أهل السنة والجماعة
ب-(الإبانة)، هو لأبي الحسن الأشعري وإن رغمت أنوف
جـ-يجب على القائمين على الأزهر وسائر المعاهد الشرعية أن يقرروا (إبانة) الأشعري لطلابهم، فمن غير أنه يحمل صحيح معتقده، فيه: الحل الأمثل لقضايا مجتمعاتنا، والنجاة مما نحن فيه من فتن
المبحث الثاني: الآجرِّي واللالكائي.. يحذران من: القتال في الفتنة والخروج على حكام المسلمين

أولا: معتقد (الآجري): يتضمن التحذير من: الخروج على حكام المسلمين والقتال في الفتنة
ثانيًا: معتقد الحافظ اللالكائي يحذر من تكفير أهل القبلة والخروج على حكام المسلمين
المبحث الثالث: الصابوني والأصبهاني وابن قدامة، على نهج السلف في: النهي عن تكفير المسلمين والخروج على حكامهم
أولا: في خطوة حقيقية لتجديد الخطاب الديني.. (معتقد الصابوني) كـ(إبانة الأشعري)؛ من شأن تدريسه على أبناء الأزهر والمعاهد الدعوية، أن يقيم صحيح الدين ويقضي على التطرف والإرهاب
ثانيًا: معتقد (قوَّام السنة) الأصبهاني صاحب (الحجة في بيان المحجة)، يرد أقوال من ينازعون الأمر أهله بالحجج البالغة
ثالثًا: ابن قدامة صاحب (المغني)، يرسخ لعقيدة الكف عمن قال (لا إله إلا الله) من أهل القبلة.. ويوجب طاعة من ولي أمر المسلمين، ويُحرِّم الخروج عليه
المبحث الرابع: عقيدة رجالات الأزهر السائرين على درب السلف.. فيما يخصُّ قضايا: التكفير، والقتال في الفتنة، ومنازعة حكام المسلمين والخروج عليهم.
- كبار العلماء: الجماعة سلكت غير ما رسم القرآن وتآمرت على قتل الأبرياء وترويع الآمنين واغتيال المجاهدين
- الأزهر : حارَبوا الإسلام واصطنعوا الأغرار من دهماء المسلمين ونفخوا في صغار الأحلام بغرور القول ومعسول الأمل:
المراغي: الجماعة أحلت لنفسها الفتوى في الدين وسعت أن تكون جماعة بديلة لمشيخة الأزهر.. ولا بد من حلها
الإمام جاد الحق: الإخوان ساروا على طريق الانحراف
الدكتور نصر فريد واصل: ما تفعله جماعة الإخوان خارج عن حدود الشرعية والشريعة
الشيخ أحمد محمد شاكر: روعوا العالم العربي والإسلامي من أقصاه إلى أقصاه
خالد محمد خالد: يد الإخوان ملوثة بالدماء
الدكتور سعد الدين السيد صالح: شباب الإخوان (ممسوخ الشخصية)
عبد الوهاب الحصافي: البنا تلميذي ونصحته بعدم تأسيس الجماعة
الشيخ محمد الغزالي: سياسة الخوارج تجددت على أيدي شباب الإخوان
الشيخ الشعراوي: اكتشفت أن قضية الإخوان مطامع سياسية وليست دعوة
الشيخ معوض إبراهيم: أكلوا الثمرة وهزوا الشجرة ولم يتركوا فيها شيئا مثمرًا فلم يعد في جماعة الإخوان خير

الباب الثاني: ولايات المسلمين المعاصرة.. في ضوء شريعة وعقيدة السلف ومن تبعهم من أئمة أهل السنة
الفصل الأول: انعقاد إمامة المتغلب ووجوب الدعاء والسمع والطاعة له في غير معصية
المبحث الأول: نصوص الفقهاء وأئمة السلف وأصحاب الحديث، وإجماعهم على انعقاد إمامة المتغلب واعتبارها إحدى طرق الولاية الشرعية
المبحث الثاني: إسقاط حكم المتغلب على واقعنا المعاصر وبمصرنا الحبيبة
المبحث الثالث: فقهاء التنظيم الدولي.. يجتمعون على تدمير مصر (كنانة الله في أرضه) لأجل كرسي الحكم، وبالمخالفة لما عليه شرع الله وعقيدة السلف.. والأزهر يرد أباطيلهم
- الرد على بيان (نداء الكنانة) حول ادعاء الشرعية للرئيس الأسبق عقب اتهامه بالخيانة
- رد الأزهر الشريف على (نداء الكنانة) الصادر عن علماء وتنظيم الإخوان بتركيا

الفصل الثاني: بطلان البيعات المحدثة وغير المنضبطة بضوابط الشرع
المبحث الأول: بطلان بيعات التكفيريين وبيان أنها غير ملزمة ولا هي على صحيح الدين
المبحث الثاني: أيدلوجية جماعة الإخوان بجعلها المشروع من البيعات غير مشروع والعكس
- قيامها على بيعات عامة الأصل فيها ألا تعطى إلا لممكنين.

الفصل الثالث: الخلافة في قريش وإن رغمت أنوف.. قراءة في نصوص السنة
المبحث الأول: مصطلحات: (جماعة المسلمين – الدولة الإسلامية – الخلافة).. حقائق وشبهات وردود
المبحث الثاني: خلافة الإخوان مبتناة على: التكالب على السلطة وسفك الدماء المعصومة وخراب الديار المسلمة؛ مصر وسوريا نموذجًا
أولًا: جرائم الجماعة قبل وأثناء وبعد توليهم حكم مصر.. أحداث أيام الجمع، والجامعات، والمترو، والذكرى الأربعين لنصر أكتوبر على معشر يهود

ثانيًا: استئثار واعتقاد جماعة الإخوان أنهم جماعة المسلمين وأصحاب الخلافة.. أفشل الجهاد في سوريا ومكن لـ (طاغية سوريا)

أ-انقلاب (الجيش السوري الحر) الذي أفشلته جماعة الإخوان، استئثارًا بالحكم وقفزًا على الثورة وصراعًا على السلطة

ب-الإخوان بادعائهم أنهم أوصياء على أمه محمد ﷺ وأنهم دون سواهم (جماعة المسلمين)، هم: من يحاربون لعصبية؛ وإلا فأين نصر الله لهم؟

جـ-الإخوان هم من ينقضون الإسلام ويهدمون كل ما بناه النبي في التعامل مع أهل الذمة، بل ومع الموحدين

المبحث الثالث: الخلافة في قريش وإن رغمت أنوف.. الواجب المنوط بمن جعل الله الخلافة فيهم من (أئمة قريش؟)

- أبرز ما يميز جماعة أهل الحق المنوط بها توجيه الأمة إلى صحيح الدين والاعتقاد

أ- التمسك بالشريعة وتقديم نصوصها على الهوى المتبع وآراء الرجال

ب- ومن أبرزه كذلك (لزوم السنة والجماعة)

الباب الثالث: ما يجب على المسلم الصادق المتجرد وعامة المسلمين فعله.. وما يجب الحذر منه

الفصل الأول: اتخاذ العبرة مما أوقعته جماعة الإخوان بمصر وسوريا وليبيا واليمن.. بالمخالفة لشريعة وعقيدة أهل السنة

المبحث الأول: التحذير من سفك الدماء الموحدة.. دماء الموحدين يا من تحسبون أنفسكم مجاهدين ويا من تدّعون أنكم إخوانٌ للمسلمين

المبحث الثاني: التحذير ممن يدعي أن جماعته هي جماعة المسلمين، إذ ذاك دليل بدعيتها.. ادعاء فرقة الإخوان امتلاكها الحق المطلق دليل بدعيتها

المبحث الثالث: التجربة الإخوانية في ميزان الشريعة الإسلامية

المبحث الرابع: واجب الأمة حيال الأفكار الهدامة التي أدت لتكفيرها.. أن تحتاط لنفسها وتزيد في اعتصامها بحبل الله، وبما كان عليه الصحب ومن تبعهم بإحسان

الفصل الثاني: واجب الوقت.. وغدًا.. وبعد غد..وإلى الممات: معرفة موطن الخلل؛ والتحلي بفضيلتي الرجوع إلى الحق ومجاهدة النفس والشيطان

المبحث الأول: واقع المسلمين.. المشكلة والحل؛ في ضوء قوله تعالى: (لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا؟، قالوا: معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون)

- خوارج العصر ممن (يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم.. يحسبونه لهم وهو عليهم)

المبحث الثاني: الرجوع إلى الحق.. الفضيلة الغائبة في الزمن الرديء

المبحث الثالث: أهمية تلقي العلم الشرعي لـ: الوصول إلى صحة الاعتقاد وسلامة المنهج.. والتذكير بقول الإمام مالك: (إن أقوامًا ابتغوُا العبادة وأضاعوا العلم، فخرجوا على أمة محمد بأسيافهم، ولو ابتغوُا العِلم لحجزهم عن ذلك)

أ- ين الخلل؟ وكيف السبيل إلى سلامة المنهج وصحة المعتقد، لأجل إنقاذ الأمة والعمل على وحدتها؟:

المبحث الرابع: شبابَنا مبتغي العلم على سبيل النجاة: (طوبى للغرباء) (وإياكم ومحدثات الأمور)، لاسيما محدثات الخوارج كونهم يتّسمون على مدار تاريخ المسلمين وإلى خروج الدجال، بالانشقاق ومفارقة الجماعة وسفك الدماء

- طرفٌ من الأخبار المحذرة من القتال في الفتنة ومن تكفير المسلمين، والحاثة على الدعاء لحكامهم وعدم الخروج عليهم، والمخبرة أن الخلافة في قريش دون سواهم

- الخاتمة

- فهرس بأهم المصادر والمراجع

- فهرس الموضوعات

التعريف بكتاب:

(إماطة اللثام؛ عما تمس الحاجة لمعرفته من: عقائد ووقائع وأحكام)

= ليس ثمة ما يصلحُ حالَ وفسادَ أمتِنا؛ سوى الرجوع بها إلى: ما كان عليه أمر سلفِها الصالح ورعيلها الأول وجيلِها الفريد.. ولو أن ربّان سفينتها – من الدعاة والمصلحين والمخلصين – أخذوا على عاتقهم ذلك، وساروا بها تجاه ما ذكرنا؛ لما تَداعَتْ عليها الأمم، ولما رأيت:
قتالًا في فتنة.. ولا مُرَوِّجَا لرذيلة.. ولا مكفِّرًا لموحِّدٍ مستحلًا دمه سافكًا إياه.. ولا مارقًا من دينه مروق السهم من الرمية.. ولا داعيًا لشبهة ولا لبدعة.. ولا متّبِعًا لهوى ولا لضلالة.. ولا مرجِئًا مغلِّبًا عقله على شرعةِ ربِّه؛ فما يكون منه إلا أن يكون مهوَّنًا من شأن العمل بدين ولدين الله، ولا تلفَه إلا متحللًا رُويدًا رويدًا من أوامر خالقه ومولاه، قد باع دينه بعرض من دنياه.
بل ولما رأيتَ: عدوًا متسلطًا يأخذ ليس بعضَ بل كلَّ ما في أيدي المسلمين.. ولا متخبطًا لهدفٍ وغاية: يعَضُّ عليهما بالنواجذ؛ ويُفني لهما كلَّ حياته، ويسعى إليهما بكل طريق؛ ويُهلك في سبيلهما الحرث والنسل؛ ويقضي لأجلهما على الأخضر واليابس؛ وهو – بعدُ – غيرُ مكلَّفٍ بهما شرعًا؛ بل ويمثل حجر عثرة في نشر صحيح الدين والاعتقاد.
= هذا ما يسعى كتاب (إماطة اللثام؛ عما تمس الحاجة لمعرفته من: عقائد ووقائع وأحكام) لكشف الغطاء عنه ومعالجته، وما يأمل ويرجو ويتطلَّع – قدر الطاقة – لحلِّ معضلته، وما تدور حولَه مادتُه، وما يرجو به صاحبُه رحمةَ ربه وكبير رضوانه وواسعَ مغفرته.
والكتاب إلى ذلك يعد خطة طموحة وأطروحة بديلة لخطة الأزهر، تهدف إلى:
١-تجديد الخطاب الديني بحق
٢-القضاء على الإرهاب والتطرف عن طريق المواجهات الفكرية
٣-إصلاح الدنيا بالدين.
٤-الرجوع بالأمة إلى مجدها التليد، وإلى سابق عهدها، وإلى ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام وتابعيهم بإحسان.. إيمانًا بأنه لا ينصلح حال وأمر الأمة إلا بما صلح به أولها.

كتب للمؤلف

- ١-(التصوير البياني في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري .. دراسة ومقارنة)، رسالة (العالِمية الدكتوراه) .. ط. دار الحرم للتراث.
- ٢-(المشاكلة .. دلالتها ومواقعها في القرآن الكريم)، رسالة (التخصُّص الماجستير) .. ط/ ٢ .. دار الحرم للتراث.
- ٣-(موروثنا البلاغي والأسلوبية الحديثة: دراسة وموازنة) .. ط. دار الحرم للتراث .
- ٤-(سيرًا على خُطا الأشعري.. أئمة الخلف يتراجعون إلى ما تراجع إليه) .. وهو هذا الكتاب .. ط. دار الحرم للتراث ودار الأفنان .
- ٥-(موقف السلف من المجاز في الصفات)، ط. دار اليسر.
- ٦-(موقف السلف من تفويض الصفات) .. ط. دار اليسر.
- ٧- جُمع بينهما في كتاب: (ومضات على موقف السلف من قضيتي التفويض والتجوز في الصفات) ط. دار الحرام للتراث . وهو هذا الكتاب
- ٨-(صحيح معتقد أبي الحسن الأشعري) ط. دار اليسر ودار الأفنان.
- ٩-(من بلاغة الوقف في القرآن الكريم).
- ١٠-(أثر الوقف على حروف المعاني والبدء بها في إثراء المعنى واتساعه).
- ١١-(واو المعانقة في آي التنزيل بين العطف والاستئناف: دراسة بلاغية) ..
- ١٢-(أثر الوقف على القيود والبد بها في إثراء المعنى واتساعه)
- ١٣-(كلا: دلالتها ومواقعها في القرآن الكريم).
- ١٤-(التضمين في الأفعال بين النحاة وأهل البيان).
- ١٥-(من بلاغة القرآن في التعبير بالغدو والآصال والعشي والإبكار) .. وقد جُمعت هذه السبعة كتب الأخيرة في مؤلَّف بعنوان: (من طرائق الاتساع في معاني الذكر الحكيم) .. ط. دار الحرم للتراث.
- ١٦-(دور الخيال الشعري في النهوض بالصورة البيانية بين الأصالة والحداثة) .. ط. دار الحرم ودار أفنان .
- ١٧-(شرح لامية البحتري في مدح محمد بن علي بن عيسى) .. وقد ألحق بما قبله
- ١-(قرائن اللغة والعقل والنقل في حمل صفات الله الخبرية والفعلية على ظاهرها دون المجاز)، ويقع في مجلدين .. ط. دار اليسر.
- ١٩-(الإيجاز .. في أدلة حمل صفات الله على ظواهرها دون المجاز).. وهو مضمون ما جاء في (قرائن حمل صفات الله الخبرية والفعلية على ظاهرها دون المجاز) وكان أن نشر على هيئة حلقات بمجلة التوحيد التابعة لجمعية أنصار السنة المحمدية، وهو على أي حال لا يخلو من إضافات ومزيد عناوين .. ط.دار ابن عباس ودار الحرم
- ٢٠-(كشف الحجاب في ترجيح أدلة القائلين بفرضية النقاب) .. ط. دار اليسر ودار ابن عباس.
- ٢١-(مجمل معتقد أبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات) .. ط. المكتبة الإسلامية.

- ٢٢-(تحفة الإخوان في صفات الرحمن .. إطلالة على رسالة العقائد ومنهج جماعة الإخوان في توحيد الأسماء والصفات).
- ٢٣-(براءة الحافظين .. النووي وابن حجر من عقائد الأشعرية والمتكلمين).
- ٢٤-(الغارة على العالم الإسلامي)، منشور ضمن كتب أخرى على موقع صيد الفوائد.
- ٢٥-(الخفاض: {صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون}
- ٢٦-الوسطية الحقَّة والوسطية المدَّعاة .
- ٢٧-(التماس القدوة في خاتم النبيين وإمام المرسلين).
- ٢٨- (معارج القبول .. سؤال وجواب).. قيد الإعداد
- وقد جمعت السبعة كتب الأخيرة، مع بحوث ورسائل أخرى في كتاب يحمل عنوان: (دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر) ط. دار الحرم.
- ٢٩-(حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين .. بموجب ما جاء في التوراة والإنجيل وفي آي التنزيل) .. ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.. ودار الأفنان
- ٣٠- مرتكزات وأصول أهل السنة والجماعة .. ويليه
- ٣١- أخلائي متصوفة الزمان .. {ضُرب مثلٌ فاستَمِعوا له} .. دار ابن عباس للنشر والتوزيع
- ٣٢-(تقريب الإيضاح في: البلاغة وعلاقتها بالفصاحة – أحوال الإسناد الخبري ومكوناته) .. شرح ممزوج بمتن الإيضاح للخطيب القزويني جزء أول .. دار الأفنان.
- ٣٣-المفتاح شرح تلخيص المفتاح جزء أول .. ط. دار الأفنان للنشر والتوزيع
- ٣٤-(تقريب الإيضاح في علم البيان) .. قيد الإعداد
- ٣٥-(القول المبين في حكم التوسل بالموتى والمغيبين) .. مفقود
- ٣٦-(إماطة اللثام عما تمس الحاجة لمعرفته من عقائد ووقائع وأحكام) .. ط. دار ابن عباس.
- ٣٧-(ولايات المسلمين المعاصرة .. في ضوء معتقد أهل السنة وسلف الأمة) .. ط. دار ابن عباس.
- ٣٨-(جدلية ورود المجاز في القرآن وحسم اللغط الحاصل حولها) .. ط.دار الحرم للتراث.
- ٣٩-(اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) .. قيد الإعداد
- ٤٠-(النقاب ضرورة اجتماعية وفريضة شرعية .. وتلك أدلته) طبعة مزيدة لما جاء في (كشف الحجاب) ط.دار ابن عباس
- ٤١-معتقد فقهاء المذاهب الأربعة .. وجولة حول معتقد من تلقوا عنهم ومن تبعوا مذاهبهم .. ط . دار ابن عباس.
- ٤٢- (قضية الفهم عن الله وعمن نأخذ ديننا؟) .. ط.دار ابن عباس
- نظرة نقدية لدحض ما عليه الجماعات الجهادية .. منشور على بعض المواقع
- ٤٣- الدرر الحسان في وصايا الصحابة ومن تبعهم بإحسان .. قيد الإعداد
- ٤٤- الألفاظ المُحْدَثة الموهمة في قضايا الصفات .. بين الإجمال والاستفصال .. قيد الإعداد.
- ٤٥- تحقيق كتاب (الإبانة في أصول الديانة) لأبي الحسن الأشعري، طبعة مزيدة .. دار ابن عباس
- ٤٦-إلى الأشعرية .. هذا معتقد أبي الحسن الأشعري فاتبعوه عن كنتم صادقين ..ط.دار ابن عباس